

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء
المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الفقيه الخطيب الحدث الثبت الشهيد أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلسي كرم الله
مشواه وجعل الجنة مستقره ومأواه

الحمد لله الذي من علينا بالإسلام وأكرمنا بنبيه محمد عليه أفضل الصلوات والسلام وجعل آثاره الكريمة ضاللتنا
المنشودة والافتداء بهديه الأهدى ونوره الأوضح الأبدي غايتنا المقصودة وأمينتنا المودودة وأنعم على قلوبنا
بالارتياح لذكره والاهتزاز عند سماع خبر عنه مصدره أو إليه منتماه
وإنه لأثر رجاء في هذه القلوب البطالة وأثاره خير يرجى أن يذودها عن مشارع الجهالة ومنازع الضلالة فإن
الارتياح للذكر شهادة الحب وأمانة الحب

وقد روى عنه صلوات الله عليه نقلة السنة أن من أحبه كان معه في الجنة
ففسأل الله أن يكتبنا في محبيه حقيقة ويسلك بنا من الوقوف عند مقتضيات أوامره ونواهيه طريقة بالسعادة خليفة
فما نزال طالبين ذلك من أكرم مطلوب لديه راغبين فيه إلى خير مرغوب إليه وإن لم نكن أهلاً للإسعاف بتقصيرنا
في الأعمال فإنه جل جلاله أهل الجود والإفضال
ونصلي قبل وبعد على هذا النبي المبارك الكريم صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتخبين خير صحب
وخير آل

وهذا كتاب ذهب فيه إلى إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والأسماع باتساق الخبر عن سيرة رسول {صلى الله عليه
وسلم} وذكر نسبه ومولده وصفته ومبعثه وكثير من خصائصه وأعلام نبوته ومغازيه وأيامه من لدن مولده إلى أن
استأثر الله به وقبض روحه الطيبة إليه صلوات الله وبركاته عليه
مقدما لذلك ما يجب تقديمه وتمامه من ذكر أوليته المباركة بلدا ومحتدا بما يحسن علمه وتعليمه ملخصا جميعه من
كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتنائهم واستنفلوا في أنواعهم ككتاب محمد بن إسحاق الذي تولى عبد
الملك بن هشام تهذيبه واختصاره وكتاب موسى بن عقبة الذي استحسن الأئمة اقتصاده واقتصاره وغيرهما من
الجموعات التي لا يديم الإنصاف قصد جامعها ولا يذم الاختيار اختصاره

ولكن عظم المعول بحكم خاطر الأول على كتاب ابن إسحاق إياه أردت وتجريده من اللغات وكثير من الأنساب
والأشعار قصدت و على ترتيبه غالبا جريت ومنزعه في أكثر ما يخص المغازي تحريته
فإنه الذي شرب ماء هذا الشأن فأنقع ووقع كتابه من نفوس الخاص والعام أجل موقع
إلا أنه يتخلله كما أشرنا إليه قبل أشياء من غير المغازي تقدح عند الجمهور في إمتاعه و تقطع بالخواطر المستجمعة
لسماعة

وإن كانت تلك القواطع عريقة في نسب العلم وحقيقة بالنتييد والنظم فعسى أن يكون لها مكان هو بإيرادها أخص
إذ لكل مقام مقال لا يحسن في غيره الإيراد له والنص

ولذلك نويت فيه أن أحذف ما تخلله من مشيع الأنساب التي ليس احتياج كل الناس إليها بالضرورة الخفيث

ونفيس اللغات المعوق اعتراضها اتصال الأحاديث حتى لا يبقى إلا الأخبار المجردة و خلاصة المغازي التي هي في هذا المجموع المقصودة المعتمدة

ظنا منى أنه إذا أذن الله في تمامه وتكفل تعالى بتيسير محاولته وفق المأمول وتقريب مرامه استأنفت النفوس له قبولا و عليه إقبالا و لم يزد هذا النقص لدى جمهورهم إلا كمالا

ثم بدا لي أن أزيد على هذا المقدار ما يحسن في هذا المضمار وأعوض مما حذفته من اللغات والأنساب والأشعار بما يكون له إن شاء الله مزية الاختيار ويروق عليه رونق الإيثار منتقيا ذلك من اللواوين التي طار بها في الناس طائر الاشتهار ومتخيرا له من الأماكن التي لا يستقل بحصر فوائدها و انتقاء فرائدها كل مختار

ككتاب ابن عقبة وقد سميت به فإنه وإن اختصره جدا فقد أحسن العبارة وأتى مواضع من المغازي حذاها بسطه و حماها اختصاره

وسأضع على كثير منها ميسمه وأرسمها في هذا المختصر على نحو ما رسمه

وقد وقفت على كتاب محمد بن عمر الواقدي في المغازي ولم يحضرنى الآن لكني رأيت كثيرا ما يجري مع ابن إسحاق فاستغيت عنه به لفضل فصاحة ابن إسحاق في الإيراد وحسن بيانه الذي لا يفقد معه استحسان الحديث المعاد

وللواقدي أيضا كتاب المبعث وهو مشيع في بابه ممتع باستيفائه واستيعابه قد نقلت هنا منه جملا تناسب الغرض المسطور وتصد المعترض أن يجور

وكذلك كتاب الزبير بن أبي بكر القاضي رحمه الله في أنساب قريش وهو كما سمعت شيخنا الخطيب أبا القاسم ابن حبيش رحمه الله يحكى عن شيخه أبي الحسن ابن مغيث أنه كان يقول فيه هو كتاب عجب لا كتاب نسب

التقطت أيضا من درره نفاثس معجبة وتخيرات من فوائده نجبا لمتخيرها موجبة

ومثله التاريخ الكبير لأبي بكر ابن أبي خيثمة وناهيك به من بحر لا تكدره الدلاء وغمر لا ينفذه الأخذ الدراك ولا يستنزفه الورد الولاء

وكم شيء أستحسنه من غير هذه الكتب المسماة فأنظمه في هذا النظام وأضطر إلى الإفادة به مساق الكلام إما متمما لحديث سابق وإما مفيدا بغرض لما تقدمه مطابق

فإن لم يكن بينهم في الأحاديث اختلاف يشعر بنقص فكثيرا ما أدخل حديث بعضهم في حديث بعض ليكون المساق أبين والاتساق أحسن

وإن عرض عارض خلاف فالفصل حينئذ أرفع للإشكال وأدفع للمقال

وربما فصلت بين بعض أحاديثهم وإن اشتبهت معانيها بحسب ما تدعو إليه ضرورة الموضوع أو تحمل على إعادته

حلاوة الموقع

وكل ذلك يشهد الله أن المراد فيه بالقصد الأول وجهه الكريم وإحسانه العميم ورحمته التي منها شق لنفسه أنه الرحمن الرحيم

ثم القصد الثاني متوفر على إيثار الرغبة في إيناس الناس بأخبار نبيهم {صلى الله عليه وسلم} وعمارة خواطرهم بما يكون لهم في العاجل والآجل أنفع وأسلم

وقد عم عليه الصلاة والسلام بركة دعائه سامع حديثه ومبلغه وقال {صلى الله عليه وسلم} ما أفاد المسلم أخاه المسلم أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه

ولا أحسن بعد كتاب الله الذي هو أحسن القصص وأصدق القصص وأفضل الحصص وأجلى الأشياء للغصص من

أخبار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التي بالوقوف عليها توجد حلاوة الإسلام ويعرف كيف تمهدت السبل إلى دار السلام

فإنه لا يخلو الحاضرون لهذا الكتاب من أن يسمعوها ما صنع الله لرسوله في أعداء تنزيله فيستجزلوا ثواب الفرح بنصر الله أو يستمعوا ما امتحنه الله به من الخن التي لا يطبق احتمالها إلا نفوس أنبياء الله بتأييد الله فيعتبروا بعض ما لقيه من شدائد الخطوب ويصطبروا لعوارض الكروب تأدبا بأدابه وجريا في الصبر على ما يصيبهم والاحتساب لما ينوهم على طريقه صبره واحتسابه

وتلك غايات لن نبلغ عفوها بجهدنا ولن نصل أدانيها بنهاية ركضنا وشدنا وإنما علينا بذل الجهد في قصد الاهتداء وعلى الله سبحانه المعونة في الغاية والابتداء

وإذا استوفيت بفضل الله طلق هذا المعنى كما نويت وبلغت حاجة نفسي منه وقضيت فلي نية إن ساعدت المشيئة عليها في أن أصل هذا الغرض المتقدم من ذكر مغازي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بذكر مغازي الخلفاء الثلاثة الأول رضي الله عنهم متحلا على رجاء معونة الله أسياها ومنتخلا من كتاب شيخنا الخطيب أبي القاسم رحمه الله ومن غيره مما هو في نحو معناه صفوها ولباها لتنظم الفائدتان معا ويكون الخبر عن مغازي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومغازي خلفائه الذين بهديهم الائتمام في مكان واحد مجتمعا

وأرجو بحول الله الذي له الطول ويده القوة والحول أن يكون هذا المجموع كافيا في البابين وافية بالغرضين المتنايين ولذلك ترجمته بكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومغازي الخلفاء وفضله جل جلاله نعم الكفيل أن يجزي به خير الجزاء ويجعله من عددنا النافعة يوم اللقاء فهو عز وجهه الملجأ والمعول وبه أستعين وعليه أتوكل لا إله إلا هو سبحانه هو حسبي وإليه أنيب

ذكر نسب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تسليمًا وكيف طهره الله نفسًا وخيما وشرفه حديثًا وقديما

وألقى إلى آياته الأقدمين من الدلائل على اصطفائه إياه في الآخرين وابتعائه له رحمة للعالمين ما صيره لديهم قبل وجوده بطوائف السنين معلوما

في الصحيح من حديث واثلة بن الأسقع قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاي من بني هاشم

وفي حديث عن عبد الله بن عباس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صفيا مهذبًا لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وخرج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي من حديث المطلب بن أبي وداعة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قام على المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول الله عليك السلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا

وفي رواية فأنا خيرهم نفسا من خيرهم بيتا وصدق {صلى الله عليه وسلم} والصدق شيمته وفوق العالمين طرا قدره الرفيع وقيمته هو أشرفهم حسبا وأفضلهم

نسبا وأكرمهم أما وأبا

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

هذا الصحيح المجتمع عليه في نسبه وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف في أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله عليهما السلام وإنما الاختلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء فمقلد ومكثر وكذلك من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله روي عن ابن عباس قال كان النبي {صلى الله عليه وسلم} إذا انتهى إلى عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ٣٨ الفرقان ومن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل فولد عدنان رجلين معد بن عدنان وعك بن عدنان

فصارت عك في دار اليمن لأن عكا تزوج في الأشعرين منهم وأقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والأشعريون هم بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هيمس بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب أبو اليمن كلها وإليه مجتمع نسبها والعرب كلها عندهم من ولد إسماعيل وقحطان

وبعض اليمن يقول قحطان من ولد إسماعيل وإسماعيل أبو العرب كلها والله أعلم وأما معد فذكر الزبير بن أبي بكر رحمه الله أن يختصر لما أمر بغزو بلاد العرب وإدخال الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاصي الله واستحلالهم محارمه وقتلهم أنبياءه وردهم رسالاته أمر أرميا بن حلقيا وكان فيما ذكر نبي بني إسرائيل في ذلك الزمان أن اتت معد بن عدنان الذي من ولده محمد خاتم النبيين فأخرجه عن بلاده واحمله معك إلى الشام وتول أمره قبلك ويقال بل المحمول عدنان والأول أكثر وفي حديث عن ابن عباس أن الله بعث ملكين فاحتملا معدا فلما أدبر الأمر رداه فرجع إلى موضعه من تمامة بعدما دفع الله بأسه عن العرب فكان بمكة وناحيته مع أخواله من جرهم وبها منهم بقية هم ولادة البيت يومئذ فاختلط بهم وناكحهم

فولد معد بن عدنان نفرا منهم قضاة وكان بكره الذي به يكنى فيما يزعمون وقنص ونزار وإياد فأما قضاة فتيامنت إلى حمير بن سبأ وانتمت إلى ابنه مالك بن حمير حتى قال قائل منهم يفخر بذلك نحن بنو الشيخ المهجان الأزهر

قضاة بن مالك بن حمير

النسب المعروف غير المنكر

في الحجر المنقوش تحت المنبر

وأكثر كثير من الناس منتماهم هذا وجرت بينهم وبين من قال به من القضاة في ذلك أقاويل معروفة وأشعار

محفظة

قال الزبير ولم يجتمع رأي قضاة على الانتساب في اليمن بل أهل العلم منهم والدين مقيمون على نسيهم في معد وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما زعموا وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة

واحتج من قال ذلك بأن عمر رضي الله عنه حين أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي فسلحه إياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان من أشلاء قنص بن معد

وكان جبير أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة وكان يقول إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق وكان أبو بكر رضي الله عنه أنسب العرب

وقد قيل في نسب النعمان غير ذلك مما سيأتي ذكره عند تأدية الحديث إليه إن شاء الله تعالى وقد ذكر أيضا في بني معد الضحاك بن معد

ذكر الزبير بإسناد له إلى مكحول قال أغار الضحاك بن معد على بني إسرائيل في أربعين رجلا من بني معد عليهم دراريع الصوف خاطمي خيلهم

بجبال الليف فقتلوا وسبوا وظفروا فقالت بنو إسرائيل يا موسى إن بني معد أغاروا علينا وهم قليل فكيف لو كانوا كثيرا وأغاروا علينا وأنت نبينا فادع الله عليهم

فتوضأ موسى وصلى وكان إذا أراد حاجة من الله صلى ثم قال يا رب إن بني معد أغاروا على بني إسرائيل فقتلوا وسبوا وظفروا وسألوني أن أدعوك عليهم

فقال الله تعالى يا موسى لا تدع عليهم فإنهم عبادي وإنهم ينتهون عند أول أمري وإن فيهم نبيا أحبه وأحب أمته قال يا رب ما بلغ من محبتك له

قال أغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال يا رب ما بلغ من محبتك لأمته

قال يستغفري مستغفرهم فأغفر له ويدعوني داعيهم فأستجيب له

قال يا رب فاجعلهم من أمتي

قال نبيهم منهم

قال يا رب فاجعلني منهم

قال تقدمت واستأخروا

قال الزبير وحدثني علي بن المغيرة قال لما بلغ بنو معد عشرين رجلا أغاروا على عسكر موسى عليه السلام فدعا

عليهم فلم يجب فيهم ثم أغاروا فدعا عليهم فلم يجب فيهم ثلاث مرات

فقال يا رب دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء

فقال يا موسى دعوتني على قوم منهم خيرتي في آخر الزمان

وأما نزار بن معد واسمه مشتق من النزر وهو القليل فيقال إن أباه معدا لما ولد له نظر إلى نور بين عينيه ففرح لذلك

فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إن هذا كله لنزر في حق هذا المولود

وما كان الذي رآه إلا نور النبوة الذي لم يزل ينقل في الأصلاب حتى انتهى إلى نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم}

فطبق الأرض نورا وهدى الله به من أراد سعادته من عباده صراطا مستقيما
وكل هذه الأنوار والآثار شاهدة له عليه السلام بعظيم عناية الله وكريم المكانة عنده فلم تنزل بركته {صلى الله عليه
وسلم} معرفة في آبائه الماضين وظاهرة على أسلافه الأكرمين تشير للمخايل اللاححة فيهم إليه وتدل الدلائل
الواضحة في أوليتهم عليه صلوات الله وبركاته عليه
فولد نزار بن معد مضر وربيعة وأثمارا وإيادا وإليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير
وأهمهم سودة بنت عك بن عدنان
وقيل هي أم مضر خاصة وأم إخوته الثلاثة أختها شقيقة ابنة عك بن عدنان
وقد قيل إن إيادا شقيق لمضر أمهما معا سودة
فأثمار هو أبو بجيلة وختعم وقد تيامنت بجيلة إلا من كان منهم بالشام والمغرب فإنهم على نسبهم إلى أثمار بن نزار
وجريير بن عبد الله صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سادات بجيلة وله يقول القائل
لولا جريير هلكت بجيلة
نعم الفتى وبنت القبيلة
وكذلك تيامنت الدار أيضا بختعم وهم بنو أقييل بن أثمار وإنما ختعم جبل تحالفوا عنده فسموا به وهم بالسراة على
نسبهم إلى أثمار
وإذا كان بين مضر واليمن فيما هنالك حرب كانت ختعم مع اليمن على مضر
ويروى أن نزارا لما حضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الأربع مضر وربيعة وإياد وأثمار
فقال هذه القبة لقبة كانت له حمراء من آدم وما أشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة وهذه
الخدوم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد وهذه البدرية والجلس لأثمار يجلس فيه
وقال لهم إن أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلقتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي وكان بنجران
فاختلفوا بعده وأشكل أمر القسمة عليهم فوجهوا إلى الأفعى فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر كالأقد رعى
فقال إن البعير الذي رعى هذا لأعور
فقال ربيعة وهو أزور وقال إياد وهو أبتري وقال أثمار وهو شرود
فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال له مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة
أهو أزور قال نعم قال إياد أهو أبتري قال نعم قال أثمار وهو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا
له ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته
فساروا حتى قدموا بنجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي فنأدى صاحب البعير بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره
فقال لهم الأفعى كيف وصدتموه ولم تروه
فقال له مضر رأيت يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت أنه أعور
وقال ربيعة رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها لشدة وطنه لازوراره
وقال إياد عرفت بتره باجتماع بعيره ولو كان ذيبالا لمصع به
وقال أثمار عرفت أنه شرود أنه كان يرعى في المكان المتلف نبتة ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبت
قال الشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه
ثم سألهم من هم

فأخبروه فرحب بهم وقال تحتاجون إلي وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا
فقال مضر لم أر كاليوم حمرا أجود لولا أنها نبتت على قبر
وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة
وقال إياد لم أر كاليوم رجلا سرني لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له
وقال أنمار لم أر كاليوم كالما أنفع في حاجتنا
وسمع صاحبهم كلامهم فقال ما هؤلاء إنهم لشياطين
ثم أتى أمه فسأها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنك رجلا نزل بهم من
نفسها فوطئها فجاءت به

وقال للقهرمان الخمر التي شربناها ما أمرها قال من حيلة غرستها على قبر أبيك
وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم غيرها

فأتاهم فقال قصوا علي قصتكم

فقصوا عليه ما أوصى به أبوهما وما كان من اختلافهم

فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر

فصارت إليه الدنانير والإبل وهي حمر فسميت مضر الحمراء

قال وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة

فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة القرس

قال وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإياد

فصارت له المشية البلق

وقضى لأنمار بالدرهم والأرض

فساروا من عنده على ذلك

وكان يقال مضر وربيعه هما الصريحان من ولد إسماعيل

وروي ميمون بن مهران عن عبد الله بن العباس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لا تسبوا مضر وربيعه

فإنهما كانا مسلمين

وقال {صلى الله عليه وسلم} فيما روى عنه إذا اختلف الناس فالحق مع مضر

وسمع عليه السلام قاتلا يقول

إني امرؤ حميري حين تنسني

لا من ربيعة آبائي ولا مضرا

فقال {صلى الله عليه وسلم} ذلك أبعد لك من الله ومن رسوله

ومما يؤثر من حكم مضر بن نزار ووصاياه من يزرع شرا يحدد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على

مكروها فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق

فولد مضر بن نزار رجلين إلیاس بن مضر وعيلان بن مضر

قال الزبير وأمهما الحنفاء بنت إياد بن معد

وقال ابن هشام أمهما جرهمة

ولما أدرك إلياس بن مضر أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضا لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل بعد أدد فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها وهو أول من أهدى البدن إلى البيت أو في زمانه وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه السلام فكان أول من سقط عليه إلياس أو في زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس ومن الناس من يقول إنما هلك الركن بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهو الأشبه إن شاء الله ولم تبرح العرب تعظم إلياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه

فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة وطابخة وقمعة وأمهم خندف بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واسمها ليلي واسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عمير وإنما حالت أسماؤهم إلى الذي ذكرنا أولا عنهم فيما ذكرنا أن أربنا أنفرت إبل إلياس بن مضر فصاح ببنيه هؤلاء أن يطلبوا الإبل والأرنب فأما عمير فاطلع من المظلة ثم قمع فسمى قمعة وخرج عامر وعمرو في آثار الإبل وخرجت أمهم ليلي تسعى خلفهم فقال لها زوجها إلياس أين تخدفين أي أين تسعين فسميت خندف ومر عامر وعمرو بطي فرماه عمرو فقتله ويقال بل رمى الأرنب التي أنفرت الإبل فقال له عامر اطبخ صيدك وأنا أكفيك الإبل فطبخ عمرو فسمى طابخة وأدرك الإبل عامر فسمى مدركة واشتهر بنو خندف هؤلاء بأهمهم خندف للذي سار من فعلها في الناس وذلك أنه لما مرض زوجها إلياس وجدت لذلك وجدا شديدا ونذرت إن هلك ألا تقيم في بلد مات فيه ولا يظلمها بيت بعده وأن تسيح في الأرض وحرمت الرجال والطيب فلما هلك إلياس خرجت سائحة في الأرض حتى هلكت حزنا وكانت وفاته يوم الخميس فكانت كلما طلعت الشمس من ذلك اليوم تبكيه حتى تغيب فصارت خندف وما صنعت عجبا في الناس يتحدثون به ويذكرونه في أشعارهم فقيل لرجل من إباد أو همدان وقد هلكت امرأته ألا تبكي عليها فقال لو كان ذلك يردها لفعلت كما فعلت خندف على إلياس ثم اندفع يقول لو أنه يعني بكيت كخندف على إلياس حتى ملها الشر تندب إذا مونس لاحت خراطيم شمسه بكت غلوة حتى ترى الشمس تغرب

ولم تر عيناها سوى الدفن قبره
فساحت وما تدري إلى أين تذهب
فلم يغن شيئا طول ما بلغت به
وما طلبها دهر وعيش معذب
وفقدت امرأة من غسان أباها ثم أباه فمكثت دهرًا تبكي عليهما فنهاها قومها فقالت
تلحون سلمى أن بكى أباه
وقبل ما قد ثكلت أباها
فحولوا العذل إلى سواها
عصتكم سلمى إلى هواها
كما عصت خندف من فهاها
خلت بنها أسفا وراها
تبكي على ألياس فما أتاها

فولد مدركة بن ألياس نفرا منهم خزيمية بن مدركة وهذيل بن مدركة
وأمهما امرأة من قضاة قبيل هي سلمى بنت سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاة وقيل غير ذلك
فولد خزيمية بن مدركة كنانة وأسدا وأسدة والهون
وأم كنانة منهم عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان قرأته بخط
أحمد بن يحيى بن جابر
وأم سائر بنيه برة بنت مر أخت تميم بن مر بن أد بن طابخة
فولد كنانة بن خزيمية جماعة منهم النضر وبه كان يكنى ونضير ومالك وملكان وعمرو وعامر وأمه برة بنت مر
خلف عليها كنانة بعد أبيه خزيمية على ما كانت الجاهلية تفعله إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من
غيرها فنهى الله عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف
ويقال إن برة هذه لما أهديت أولا إلى خزيمية بن مدركة قالت له إني رأيت في المنام كأي ولدت غلامين من خلاف
بينهما ساياء فيينا أنا أتأملهما إذا أحدهما أسد يزأر وإذا الآخر قمر ينير
فأتى خزيمية كاهنة بتهمته فقص عليها الرؤيا فقالت لئن صدقت رؤياها لتلدن منك غلاما يكون لولده قلوب باسلة
ثم لتموتن عنها فيخلف عليها ابن لك فتلد منه غلاما يكون لولده عدل وعدد و قروم مجد وعز إلى آخر الأبد
ثم توفي خزيمية فخلف عليها كنانة بعد أبيه فولدت له النضر وإخوته
وإنما سمى النضر لنضارة وجهه وجماله
وأتى أبوه كنانة بن خزيمية وهو نائم في الحجر فقبل له تخير يا أبا النضر بين الصهيل والهدر وعمارة الجدر وعز الدهر
فقال كل يا رب
فصار هذا كله في قريش
والنضر هو جماع قريش في قول طائفة من أهل العلم بالنسب والأكثر على أن فهر بن مالك بن النضر هو قريش
فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي

وذكر الزبير أن هذا هو رأي كل من أدرك من نساب قريش
فولد النضر بن كنانة مالكا ويخلد والصلت

فولد مالك فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر بن سعيد بن الحارث بن مضاض الجرهمي
وهو جماع قريش عند الأكثر
قال الزبير قد اجتمع النساب من قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر ويقال إن قريشا هو اسمه الذي سمته
به أمه ولقبته فهرا

فولد فهر بن مالك غالبا ومحاربا والحارث وأسدا وأختهم جندلة وأم جميعهم ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة
ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب يا بني إن في الحزن إقلاق النفوس قبل المصائب فإذا وقعت المصيبة
برد حرها وإنما القلق في غليانها فإذا أنا مت فبرد حر مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك وعن يمينك
وعن شمالك وبما ترى من آثارها في محيي الحياة ثم اقتصر على قليلك وإن قلت منفعتك فقليل ما في يدك أغنى لك من
كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك

فولد غالب بن فهر لؤيا وتيما وهو الأدرم كان منقوص الذقن
ويقال لقومه بنو الأدرم

وأمهما في قول ابن إسحاق سلمى بنت عمرو الخزاعي

وفي قول الزبير عاتكة بنت يخلد بن النضر

وروي أن لؤي بن غالب قال لأبيه وهو غلام حديث يا أبت من رب معروفة قل إخلاقه و نضر ماؤه ومن أخلقه
أخمله وإذا أخلق الشيء لم يذكر وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى تصغير كبيره وستره
فقال له أبوه غالب إني لأستدل بما أسمع من قولك على فضلك وأستدعي لك به الطول على قومك فإن ظفرت
بطول فعد على قومك بفضلك وكف غرب جهلهم بحلمك ولم شعنتهم برهقك وإنما تفضل الرجال الرجال بأفعالها
ومن قايسها على أوزانها أسقط الفضل ولم تعل به درجة على أحد وللعليا فضل أبدا على السفلى
فولد لؤي بن غالب كعبا وعامرا وسامة وعوفا وسعدا وخزيمة

فدخل بنو خزيمة في شيبان ويسمون فيهم بعاندة وهي امرأة من اليمن كانت أم بني عبيد بن خزيمة ففسبوا إليها
وكذلك دخل بنو سعد أيضا في شيبان ويسمون فيهم ببنانة حاضنة كانت لهم من قضاة وقيل من النمر بن قاسط
ففسبوا إليها

وأما سامة بن لؤي فخرج إلى عمان ويزعمون أن عامر بن لؤي أخرجه

وذلك أنه كان بينهما شيء ففقأ سامة عين عامر فأخافه عامر فخرج إلى عمان

فيزعمون أن سامة بن لؤي بينا هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتع فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى
وقعت الناقة لشقها ثم هشت ساقه فقتلته

فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون

عين فابكي لسامة بن لؤي

علقت ما بسامة العلافة

لا أرى مثل سامة بن لؤي

يوم حلوا به قتيلا لناقة
بلغا عامرا وكعبا رسولا
أن نفسي إليهما مشتاقة
إن تكن في عمان داري فيني
غالي خرجت من غير فاقة
رب كأس هرقت يا بن لؤي
حذر الموت لم تكن مهراقة
رمت دفع الحتوف يا بن لؤي
ما لمن رام ذاك بالحتف طاقة
وخروس السري تركت رديا
بعد جد وحدة ورشاقة

قال ابن هشام وبلغني أن بعض ولده أتى رسول {صلى الله عليه وسلم} فانتسب إلى سامة ابن لؤي فقال رسول
{صلى الله عليه وسلم} الشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله
رب كأس هرقت يا بن لؤي
حذر الموت لم تكن مهراقة
قال أجل

قال ابن اسحاق وأما عوف بن لؤي فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن
سعد بن قيس بن غيلان أبطى به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن
غطفان فحبسه والتاطه وآخاه وزوجه فانتسب بتلك المؤاخاة إلى سعد ابن ذبيان أبي ثعلبة
وثعلبة يزعمون هو القائل له
احبس على ابن لؤي جملك
تركتك القوم ولا مترك لك
ويروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن
عوف إنا نعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي
وهم في نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره ولا نجحده
وإنه لأحب النسب إلينا

وقيل إن عمر بن الخطاب قال لرجال من بني مرة إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه وكان القوم أشرافا
في غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن أبي حارثة وأخوه خارجة بن سنان والحارث بن عوف
والحصين بن الحمام وهشام بن حرملة قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم
على أن الحصين بن الحمام قد تحير في هذا واختلف رأيه فلما سمع قول الحارث بن ظالم أحد بني مرة بن عوف حين
هرب من النعمان بن المنذر ولحق بقريش
وما قومي بتعلبة بن سعد
ولا بفزارة الشعر الرقابا

فقومي إن سألت بنو لؤي
بمكة علموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بني بغيض
وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى
هراق الماء واتبع السرابا
فلو طوعت عمرك كنت منهم
وما ألفت انتجع السحبا
قال الحصين بن الحمام يرد عليه وينتمي إلى غطفان
ألا لستم منا ولسنا إليكم
برئنا إليكم من لؤي بن غالب
أقمنا على عز الحجاز وأنتم
بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
يعني قريشا

ثم ندم الحصين على ما قال وعرف صدق الحارث فأكذب نفسه وقال
ندمت على قول مضي كنت قلته
تبينت فيه أنه جد كاذب
فليت لساني كان نصفين منهما
بكيم ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كناي بمكة قبره
بمعتلج البطحاء بين الأخاشب
لنا الربع من بيت الحرام وراثة
وربع البطاح عند دار ابن حاطب
يعني أن بني لؤي كانوا أربعة كعبا وعامرا وسامة وعوفا

وفي بني مرة بن عوف كان البسل وذلك ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب يسرون به إلى أي بلاد
العرب شاءوا ولا يخافون منهم شيئا قد عرفوا ذلك لهم لا يدفعونه ولا ينكرونه
وكان سائر العرب إنما يأمنون في الأشهر الحرم الأربعة فقط

وذكر الزبير عن أبي عبيدة أنه كانت لقريش في هذا مزية على سائر العرب قاطبة وذلك أن العربي لم يكن ليخرج
من داره في غير الأشهر الحرم إلا في جماعة وكان القرشي يخرج حيث شاء وأني شاء فيقال رجل من أهل الله فلا
يعرض له عارض ولا يريبه أحد بمكروه ويعظمه من لقيه أو ورد عليه ولذلك قال من قال منهم القرشي بكل بلد
حرام

وأما كعب بن لؤي وعامر بن لؤي فهما أهل الحرم وصريح ولد لؤي
وكان كعب منهما عظيم القدر في العرب وأرخوا بموته إعظاما له إلى أن كان عام الفيل فأرخوا به

وكان بين موته والقييل فيما ذكروا خمسمائة سنة وعشرون سنة وكان يوم الجمعة يسمى العروبة فسماه كعب
الجمعة لاجتماع قومه فيه يخطبهم ويذكرهم فيقول فيما يقول
أيها الناس اسمعوا وعوا وافهموا وتعلموا ليل ساج ونهار ضاح والسماء بناء والأرض مهاد والنجوم أعلام لم تخلق
عينا فتضربوا عن أمرها صفحا الآخرون كالأولين والدار أمامكم واليقين غير ظنكم صلوا أرحامكم واحفظوا
أصهاركم وأوفوا بعهدكم وثمروا أموالكم فإنما قوام مروءاتكم ولا تصونوها عما يجب عليكم وعظموها هذا الحرم
وتمسكوا به فسيكون له نبأ عظيم وسيخرج به بني كرم

ثم ينشد أبياتا منها

صروف وأنباء تقلب أهلها

لها عقدة ما يستحيل مريها

على غفلة يأتي النبي محمد

فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها

ثم يقول

يا ليتني شاهد فحواء دعوته

حين العشرة تبغي الحق خذلانا

أما والله لو كنت ذا سمع وبصر ويد ورجل لتصببت فيها تنصب الفحل ولأرقلت فيها إرقال الحمل فرحا بدعوته
جدلا بصرخته

فولد كعب بن لؤي مرة وهصيصا وعدايا

وأهمم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك

وقيل إن أم عدي وحده امرأة من فهر وهي حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر
بن نزار

فولد مرة بن كعب كلابا وتيما ويقظة

فولد كلاب رجلين قصيا وزهرة وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدره من خثعمه الأسد من اليمين حلفاء
في بني الدليل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ويقال خثعمه الأسد

واسم سيل خير وإنما سمي سيلا لطوله وسيل اسم جبل

وهو خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن خثعمه ابن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان
بن نصر بن الأزد

وسمي عامر الجادر لأنه بني جدارا للكعبة كان وهي من سيل أتى أيام ولاية جرهم البيت

وكان عامر تزوج منهم بنت الحارث بن مضاض وقيل لولده الجدره لذلك

وذكر الشرفي بن القطامي أن الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة يأخذون من طينها وحجارتها تبركا بذلك وأن عامرا
هذا كان موكلًا بإصلاح ما شعث من جدرها فسمي الجادر والله أعلم

وسعد بن سيل جد قصي بن كلاب هو أول من حلّى السيوف بالفضة والذهب وأهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته
فاطمة سيفين محليين فجعلها في خزانة الكعبة

وقصى هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيدا فسمي مجمعا لما جمع من أمرها وسمي قصيا لتقصيه عن بلاد قومه

مع أمه فاطمة بعد وفاة أبيه كلاب بن مرة
وحديثه في ذلك طويل وسنذكره إن شاء الله عند ذكر ولايته البيت وهناك نذكر مآثره وعظيم غنائه في إقامة أمر
قومه إن شاء الله فإن القصد هنا الإيجاز ما أمكن في إيراد هذا النسب المبارك لتحصل لسامعه الفائدة بانتظامه
واتصاله ولا يضل ذلك عليه بما تخلل أثناءه من القواطع التي تباعد بين أطرافه
فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين
عبد مناف وعبد الدار وعبد العزي وعبدنا وتخمم وبرة
وأهمهم جميعا حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي
وساد عبد مناف في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش وهو الذي يدعى القمر لجماله واسمه المغيرة
ذكر الزبير عن موسى بن عقبة أنه وجد كتابا في حجر فيه أنا المغيرة ابن قصي أمر بتقوى الله وصلة الرحم
وإياه عني القاتل بقوله
كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فولد عبد مناف أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا
وكلهم لعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن
قيس بن عيلان بن مضر
إلا نوفلا منهم فإنه لوفادة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة
فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وحمس نسوة
عبد المطلب وأسدا وأبا صيفي ونضلة والشفاء وخالدة وضعيفة ورقية وحية
وأم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار
فولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة
العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وهو أكبرهم والحجل والمقوم وضاراء وعبد
العزي أباهب وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة
فأم عبد الله وأبي طالب وجميع النساء غير صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن
كعب بن لؤي

فولد عبد الله بن عبد المطلب محمدا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خاتم النبيين وسيد الأولين والآخريين ونخبة
الخلق أجمعين فنسبه {صلى الله عليه وسلم} أشرف الأنساب وسببه إلى الله سبحانه باصطفائه إياه واختياره له أفضل
الأسباب وبيته في قريش أو وسط بيوتها الحرمية وأعرق معادتها الكرمية لم تخل قط مكة من سيد منهم أو سادات
يكونون خير جيلهم ورؤساء قبيلهم حتى إذا درجوا سما قسماؤهم في المجد الصميم وشركاؤهم في النسب الكريم إلى
ذلك المقام فخرجوا فصحبوا على ذلك الزمان

لواؤهم على من ناوهم منصور وسؤدد البطحاء عليهم مقصور والعيون إليهم أية سلكوا صور
ثم أتى الوادي فطم على القرى وشد الله أركان مجدهم العريق العتيق بهذا النبي الأمي فاحتازوا المجد عن آخره
وفازوا من شرف الدين والدنيا بما تعجز السنة البلغاء عن أدن مفاخره

وأمه {صلى الله عليه وسلم} هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قسيمة أبيه من هذا الأب
وكريمة قومها أولى المكان النبيه والحسب

وحسبها من الشرف المتين والكرم المبين والفخر الممكن غاية التمكين أن كانت أما لخاتم النبيين {صلى الله عليه
وسلم} وعلى آله أجمعين

فكيف ولها من نصاعة الحسب المحسب وعتاقة المنسب والمنصب ما يقف عند البطاح وتعترف له قريش البطاح
فرسول الله صلوات الله وبركاته عليه خيرة الخير من كلا طرفيه

وقد اعتنى الناس بنسبه الكرم نثرا ونظما ونقبوا عن آبائه الأجداد وأمهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا وأما فأما
فرادوا من ذلك الفخار حدائق غلبا وسادوا من شرف تلك الآثار مراقي شما

وقد تقدمت من ذلك نبد منشورة أثناء الكلام وستأتي إن شاء الله منظومة مع أشكائها تفوق العقد في النظام في
قصيدة فريدة مفيدة لأبي عبد الله ابن أبي الخصال خاتمة رؤساء الآداب والعلماء المبرزين في هذا الباب سماها معراج
المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعجزاته و مناقب أصحابه قرأها
على شيخنا الخطيب أبي القاسم ابن حبيش عنه فقد رأيت أن أورد منها هنا ما يختص بهذا النسب الكرم على
اختصار يفني إن شاء الله بالغرض المروم إذ الكلام المنظوم أعذب جريا على الألسن وأهدب رأيا في الإفادة
بالمستحسن

وأولها

إليك فهمي والفؤاد بيثرب

وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي

أعلل بالآمال نفسا أغرها

بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي

وديني على الأيام زورة أحمد

فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي

وهل أردد فضل الرسول بطيبة

فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي

وهل فضلت من مركب العمر فضلة

تبلغني أم لا بلاغ لمركب

ألا ليت زادي شربة من مياهها

وهل مثلها ربا لغلة مذنب

ويا ليتني فيها إلى الله صائر

وقلبي عن الإيمان غير مقلب

وإن امرأ وارى البقيع عظامه

لفي زمرة تلقى بسهل ومرحب

وفي ذمة من خير من وطئ الثرى

ومن يعتلقه حبله لا يعذب

ومالي لا أشري الجنان بعزمة
يهون عليها كل طام وسبب
وماذا الذي يشني عناني وإني
لجواب آفاق كثير التقلب
أفقر ففي كفي لله نعمة
وبين فقد فارقت قبل بني أبي
وقد مرنت نفسي على البعد وانطوت

على مثل حد السمهري المدرب
وكم غربة في غير حق قطعها
فهلا لذات الله كان تغربي
وكم فاز دوني بالذي رمت فائز
وأخطأني ما ناله من تغرب
أراه وأهوى فعله البر قاعدا
فيا قعدي البر قم وتلب
أماي قد أفنى الشباب انتظارها
وكيف بما أعيب الشباب لأشيب
وقد كنت أسري في الظلام بأدهم
فهأنا أغدو في الصباح بأشهب
فمن لي وأنى لي بريح تحطني
إلى ذروة البيت الرفيع المطب
إلى الهاشمي الأبطحي محمد
إلى خاتم الرسل المكين المقرب
إلى صفوة الله الأمين لوحيه
أبي القاسم الهادي إلى خير مشعب
إلى ابن الديقين الذي صيغ مجده
ولما تصغ شمس ولا بدر غيب
إلى المنتقي من عهد آدم في الذرى
يردد في سر الصريح المهذب
إلى من تولى الله تطهير بيته
وعصمته من كل عيص مؤشب
فجاء بريء العرض من كل وصمة
فما شئت من أم حصان ومن أب
كروض الربا كالشمس في رونق الضحي

كنا شيء ماء المزن قبل التصوب
عليه من الرحمن عين كلاءة
تجنبه إمام كل مجنب
إذا أعرضت أعراقه عن قبيلة
فما أعرضت إلا لأمر مغيب
وما عبرت إلا على مسلك الهدى
ولا عثرت إلا على كل طيب
فمن مثل عبد الله خير لداته
وآمنة في خير ضيء ومنصب
إذا اتصلت جاءتك أفلاذ زهرة
كأسد الشري من كل أشوس أغلب
ولا خال إلا دون سعد بن مالك
ولو كان في عليا معد ويعرب
ومن ذا له جد كشيبة ذي الندى
وساقى الحجيج بين شرق ومغرب
له سؤدد البطحاء غير مدافع
وحومة ما بين الصفا والمخضب
أبو الحارث السامي إلى كل ذروة
يقصر عن إدراكها كل كوكب
به وبما في برده من أمانة
حمى الله ذاك البيت من كل مرهب
وأهلك بالطير الأبايل جمعهم
فيا لهم من عارض غير خلب
وفيما رآه شبيبة الحمد آية
تلوح لعين الناظر المعجب
وفي ضربه عنه القداح مروعا
ومن يرم بين العين والأنف يرهب
وما زال يرمي والسهام تصيبه
إلى أن وقبه الكوم من نسل أرحب
وكانوا أناسا كلما أمهم أذى
تكشف عن صنع من الله معجب
وعاش بنو الحاجات فيهم وأخصبوا
وإن أصبحوا في منزل غير مخضب

وعمر و المعالي هاشم وتريده
بمكة يدعو كل أغبر مجذب
بمثنى جفان كالجواب مينيخة
ملئن عبيطات السنم المرعب
هو السيد المتبوع والقمر الذي
على صفحته في الرضا ماء مذهب
بني الله للإسلام عزا بصهره
إلى منتهى الأحياء من آل يثرب
وعبد مناف دوحه الشرف الذي
تفرع منها كل أروع محرب
مطاع قريش والكفيل بعزها
ومانعها من كل ضيم ومنهب
وزيد ومن زيد قصي مجمع
سمعت وبلغنا وحسبك فاذهب
به اجتمعت أحياء فهدر وأحرزت
تراث أبيها دون كل مذذب
وأصبح حكم الله في آل بيته
فهم حوله من سادنين وحجب
وما أسلمته عن تراخ خزاعة
ولكن كما عض الهناء بأجرب
ولاذت قريش من كلاب بن مرة
بجذل حكاك أو يعذق مرحب
ومرة ذو نفس لدى الحرب مرة
وفي السلم نفس الصرخدي المنوب
وكعب عقيد الجود والحكم والنهي
وذو الحكم الغر المبشر بالنبي
خطيب لؤي واللواء بكفه
لخطبة ناد أو لخطبة مقنب
وأول من سمي العروبة جمعة
وصدر أما بعد يلحي ويطي
وأرخ آل الله دهرا بموته
سنين سدى يتعبن كف الحسب
وأضحى لؤي غالبا كل ماجد

ومن غالب يمينه للمجد يغلب
وفهر أبو الأحياء جامع شملها
وكاسبها من فخره خير مكسب
تقرش فامتازت قريش بفضله
وسد فسلاوا خلة المتأوب
وغادره اسما في الكتاب منزلا
يمر به في آية كل معرب
ومالك المري على كل مالك
فتى النضر حابته السيادة بل حبي
هو الليث في الهيجاء والغيث في الندى
ويدر الدياتي حين يسري ويحتي
تردى بفضفاض على المجد نسجه
وليس عليه فليجر ويسحب
وللنضريا للنضر من كل مشهد
هو الشمس سعد في سناها و صوب
وأعرض بحر من كنانة زاخر
يساق إلى أمواجه كل مذنب
وخير حكما في الصهيل أو الرغا
أو البيت أو عز على الدهر مصحب
فلم يقتصر واختار كلافحازه
إلى غاية العز المديد المعقب
له البيت محجوبا وعز مخلد
وأجرد يعوب إلى جنب أصهب
وخزم آناف العتاة خزيمة
فلاذوا بأخلاق الذلول المغرب
عظيم لسلمى بنت سود بن أسلم
لكل قضاعي كريم معصب
ومدركة ذو اليمن والنجح عامر
وخير مسمى في العلا وملقب
ترأى مطلا إذ تتمع صنوه
ففاز بقدرح ظافر لم يخيب
لأم الجبال الشم والقطر والحصى
لخندف إن تستركب الأرض تركب

وإلياس مأوى الناس في كل أزمة
ومهر بهم في كل خوف ومرهب
وزاجرهم إذ بدلوا الدين ضيلة
وأضحوا بلا هاد ولا متحوب
وجاءهم بالركن بعد هلاكه
وقد كان في صدع من الأرض أنكب
وما هو إلا معجز لنبوة
وبشرى وعقبي للبشير المعقب
وحج وأهدى البدن أول مشعر
لها وفروض الحج لم تترتب
وكم حكمة لم تسمع الأذن مثلها
له إن تلح في ناظر العين تكذب
إلى قنص تنميه سوداء نبتة
كلا طرفيه من معد لمنسب
وفي مضر تاه الكلام وأقبلت
مآثر سدت كل وجه ومنهب
وحينا وكاثرنا النجوم بجمعها
بأكثر منها في العديد وأثقب
هنالك آتى الله من شاء فضله
وقيل لهذا سر وللآخر اركب
وكانا شقيقي نبعة فتفاوتا
لعلم وحكم ماله من معقب
وما منهما إلا حنيف ومسلم
على نهج إسماعيل غير منكب
وقد سلم الأفعى بنجران حكمه
إليهم ولم ينظر إلى متعقب
رأى فطنا أبدت له عن نجاره
وكان لنبع فاستحال لأناب
وتلك علامات النبوة كلها
تشير إلى منظورها المترقب
وقال رسول الله مهما اختلفتم
ولم تعرفوا قصد السبيل الملحج
ففي مضر جرثومة الحق فاعمدوا

إلى مضر تلفوه لم ينتقب
وما سيد إلا نزار يفوته
ومن فاته بدر الدجى لم يؤنب
قريع معد والذي سد تقده
متى يأثم شعب من الدهر يرأب
أبو أبحر الدنيا وأطواها التي
بها ثبتت طرا فلم تتقلب
ولم يكفه حتى أعانت معانة
بكل عتيق جرهمي مهذب
وجاء معد والسماة شوسها
وأقمارها في ذيله المتسحب
وبين يديه الأنجم الزهر بثها
على الأرض حتى لا مساغ لأجني
وقدما تحفى الله من بختنصر
به والورى من هالك ومعذب
وجنبه أرض البوار وحازه
إلى معقل من حرزه متأشب
وحل بأرمينية تحت حفظه
لدى ملك عن جانبيه مذنب
فلما تجلى الروع أسرى بعبده
إلى حرم أمن لأبنائه اجتبي
وقد كان رد الله عنهم كليمه
ليالي يدعو دعوة المتغضب
وجاء بنو يعقوب يشكون منهم
ينادونه هذا قتيل وذا سبي

فقال له لا تدع موسى عليهم
فمنهم نبي اصطفيه وأجتبي
أحبهم فيه رضا وأحبه
كذلك من أحبه يكرم ويجب
وأغفر إن يستغفروني ذنوبهم
ومهما دعا دا ع أحبه وأقرب
فقال إذن فاجعلهم رب أمتي
فمن ترضه يا رب يرض ويرغب

فقال هم في آخر الدهر صفوتي
يقضون أعدائي ويستتصرون بي
دعائم إيمان وأركان سؤدد
مضت بعلاها مههد بنت جلجب
ومصعد عدنان إلى جذم آدم
بأبين من قصد الصباح وأحب
ونهي رسول الله صد وجوهها
وكان لنا في نظمها شد ملهب
وإلا فآد بن الهميسع مائل
ونبت بن قيذار سلالة أشجب
وواجه أعراق الثري كل من ترى
وأسمع إسماعيل دعوة مكثب
وقام خليل الله يتلوه آزر
أغر صباحي لأدهم غيب
إلى الناحر ابن الشارع الغمر يرتقي
وللداع ثم القاسم الشامخ الأب
ويعبر ينميه إلى المجد شالخ
إلى الرافد الوهاب برك وطيب
لسام أبي السامين طرا سما بهم
لنوح للمكان العلي لثوب
لإدريس ثم الرائد بن مهلهل
لقينن ثم الطاهر المتطيب
إلى هبة الرحمن شيث بن آدم
أبي البشر الأعلى لطين لأثلب
فمنه خلقنا ثم فيه معادنا
ومنه إلى عدن فسدد وقارب

وهنا انتهى ما يخص المنتمى العلي من هذه الكلمة التي فرى ناظمها في الإحسان القري الحمود فاقتصرت منها على ما وفي بالغرض المقصود واستوفى رجال النسب الجيد والحسب التليد تعجيلا لقرى المسفيد واكتفاء من القلادة بالقدر الحيط بالجيد وإنما إن شاء الله لكافية في الباب ومقدمة الكلام للباب وتحفة إنما يعرف قدرها أولو الألباب والله يجزي قائلها الحسني وينفعه بمقصده الأسنى

وإذ قد انتهينا إلى ما حسن لدينا إيراده في هذا المعنى وصفا وذكرنا وخدمنا النسب الأشرف نظما ونثرا فلنخرج على ذكر البقعة التي اختارها الله لرسوله الكريم منشأ وجعلها لقومه قرارا ومتبوا وأولية البيت العتيق الذي جعله الله مثابة وأمنا للناس ورفعته على أفضل القواعد وأكرم الأساس ثم دحا الأرض من تحته رفعا للشبهة في شرفه والإلتباس

ثم نذكر من وليه من آبائه الكرام إذ هم أهله الأعلون وأولياؤه الأحقاء به الأولون وهو مأثرهم التي لم يزالوا إياها يراعون ومن جرائها يراعون وتراث الجد الذي إليهم يعزى وإليه يعزون وبسببها يشرفه يعرفون وباسمها يدعون ونشير إلى حرمة العظيمة في الحرمات وما أنزل الله تعالى بمن بغاه بسوء أو أتى فيه بأمر مذموم مشنوء من أليم العقوبات وعظيم النقمات

لنخدم البلد كما خدمنا اخترت وتقضي حق المكان الشريف كما قضينا حق الحسب التليد والطريف حتى نخلص إلى ذكر المولد المبارك الذي منه نتدرج إلى المقصود الذي نحن عليه عاملون ولتمامه آملون رجاء أن نجد ذلك مذخورا عند المولى الذي يضاعف لعيده الحسنات ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون

ذكر أولية بيت الله الحرام وركنه المستلم ومن تولى بناءه من ملائكته وأنبيائه صلى الله على جميعهم وسلم

قال الله العظيم إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ٩٦ آل عمرا

وفي الصحيح من حديث أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول {صلى الله عليه وسلم} أي مسجد وضع في الأرض أول فقال له المسجد الحرام قال قلت ثم أي قال ثم المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما وذكر الزبير بن أبي بكر بإسناده إلى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال كنت مع أبي محمد بن علي بمكة في ليالي العشر قبل التروية بيوم أو يومين وأبي قائم يصلي في الحجر وأنا جالس وراءه فجاء رجل أبيض الرأس واللحية جليل العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر عليه ثوبان غليظان في هيئة محرم فجلس إلى جنبه فخفف أبي الصلاة فسلم ثم أقبل عليه فقال له الرجل يا أبا جعفر أخبرني عن بدء خلق هذا البيت كيف كان فقال له أبو جعفر محمد بن علي ممن أنت يرحمك الله قال رجل من أهل الشام فقال له محمد بن علي إن أحاديثنا إذا سقطت إلى الشام جاءتنا صحاحا وإذا سقطت إلى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص

ثم قال بدء خلق هذا البيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فردوا عليه أتجعل فيها من يفسد فيها الآية

وغضب عليهم فعادوا بالعرش وطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربهم فرضي عنهم وقال لهم ابنوا لي في الأرض بيتا فيعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ويطوفون حوله كما فعلتم بعروشي فأرضى عنهم فبنوا له هذا البيت

فهذا يا عبد الله بدء خلق هذا البيت

فقال الرجل يا أبا جعفر فما بدء خلق هذا الركن

فقال إن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق قال لبني آدم ألسنت بريكهم قالوا بلى وأقروا وأجرى نورا أحلى من العسل وألذ من الزبد ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم أقم ذلك الكتاب هذا الحجر فهذا الاستلام الذي ترى إنما هو بيعة على إقرارهم بالذي كانوا أقروا به

وقال جعفر بن محمد كان أبي إذا استلم الركن قال اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفاء

قال وقام الرجل فذهب

قال جعفر بن محمد فأمرني أبي أن أردده عليه فخرجت في أثره وأنا أراه يحول بيني وبينه الزحام حتى دخل نحو الصفا

فتبصرته على الصفا فلم أراه ثم ذهبت إلى المروة فلم أراه عليها فجننت إلى أبي فأخبرته فقال لي أبي لم تكن لتجده
وذلك الخضر عليه السلام
وخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عباس وصححه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نزل الحجر
الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم
ومن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا قال إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو
لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب
ومن حديث ابن عباس أيضا قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبي الحجر والله لبيعته الله يوم القيامة له
عينان يبصر بهما ولسان ينطق يشهد على من استلمه بحق

وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من حديث عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول إن آدم عليه
السلام لما هبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبح بحمدك
ويقدسك غيري

قال الله تعالى أني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدمني وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبح فيها
خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أحصه بكراتي وأثره باسمي فأسميه بيبي وعليه وضعت
جلالي ثم أنا مع ذلك في كل شيء ومع كل شيء أجعل ذلك البيت حرما آمنا يتحرم بحرمة من حوله ومن تحته
ومن فوقه فمن حرمه بجرمي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد أخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول
بيت وضع للناس بطن مكة مباركا يأتونه شعنا غيرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يزجون بالتلبية زجيحا
ويشجون بالبكاء تحجيحا ويعجون بالتكبير عجيحا
فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا
ب حاجته

تعمره يا آدم ما كنت حي ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن
وفي حديث غير هذا عن عطاء وقتادة أن آدم عليه السلام لما أهبطه الله من الجنة وفقد ما كان يسمعه ويأنس إليه
من أصوات الملائكة وتسييحهم اسوحش حتى شكوا ذلك إلى الله تعالى في دعائه وصلاته فوجهه إلى مكة وأنزل الله
تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن
وقال الله يا آدم إني قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي
فانطلق إليه آدم فطاف به هو ومن بعده من الأنبياء إلى أن كان الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى أمر الله إبراهيم
عليه السلام ببناء البيت فبناه فذلك قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت

وعن ابن عباس أن الله أوحى إلى آدم أن لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت
ملائكتي يحفون بعرشي فهناك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي
فقال آدم أي رب وكيف لي بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدي لمكانه
فقيض الله له ملكا فانطلق به نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة ومكان يعجبه قال للملك انزل بنا
ها هنا فيقول له الملك أما ملك

حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ومن لبنان والجودي وبني قواعده من حراء

فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات بها وفي رواية أنه حج من الهند أربعين حجة على رجله وذكر الواقدي عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة العدوي قال قلت لأبي جهم ابن حذيفة يا عم حدثني عن بناء البيت ونزول إسماعيل عليه السلام الحرم قال يابن أخي سلني عنه على نشاط مني فإني أعلم من ذلك ما لا يعلمه غيري قال فمكثت شهراً أذكره المرة بعد المرة فيقول مثل قوله الأول وكان قد كبر ورق وضعف فدخلت عليه يوماً وهو مسرور فقال لي اسمع حديثك الذي سألتني عنه إن البيت بناؤه حرم في السماء السابعة وفي الأرض السابعة يعني أن ما يقابله حرم وإن آدم عليه السلام أمر بأساسه فبناه هو وحواء أسسها بصخر أمثال الخلفات يعني النوق التي في بطونها أجنة واحدهما خلفه أذن الله عز وجل للصخر أن يطيعهما ثم نزل البيت من السماء من ذهب أحمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعه على أس آدم عليه السلام ونزل الركن وهو يومئذ درة بيضاء فوضع موضعه اليوم من البيت وطاف به آدم وصلى فيه فلما مات آدم عليه السلام وليه بعده ابنه شيث فكان كذلك حتى حججه نوح عليه السلام

فلما كان الغرق يعني الطوفان بعث الله جل ثناؤه سبعين ألف ملك فرفعوه إلى السماء كي لا يصيبه الماء النجس وبقيت قواعده وجاءت السفينة فدارت به سبعة ثم دثر البيت فلم يحججه من بين نوح وبين إبراهيم أحد من الأنبياء على جميعهم السلام وعن غير الواقدي في غير حديث أبي الجهم أن شيث بن آدم عليهما السلام هو أول من بنى الكعبة وأما كانت قبل أن يبنيتها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة وكان قد حج إلى موضعها من الهند

وفي الخبر أن موضعها كان غناء على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض فلما بدأ الله خلق الأشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سماوات دحا الأرض أي بسطها وإنما دحاها من تحت الكعبة فلذلك سميت مكة أم القرى

وذكر ابن هشام أن الماء لم يصل الكعبة حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت هي في هواء إلى السماء وأن نوحاً قال لأهل السفينة وهي تطوف بالبيت إنكم في حرم الله عز وجل وحول بيته فأحرموا لله ولا يمسه أحد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزاً فتعدى حام فدعا عليه نوح بأن يسود الله لون بنيه فأجابه الله على وفق ما دعاه واسود كوش بن حام وولده إلى يوم القيامة

وقد قيل في سبب دعوته غير هذا فالله أعلم ويروى أنه لما نصب ماء الطوفان بقي مكان البيت روبة من مدرة فحج إليه بعد ذلك هود وصالح ومن آمن معهما وأن يعرب قال هود عليه السلام ألا تبنيه قال إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذة الرحمن خليلاً

قال أبو الجهم من حديث الواقدي حتى أراد الله بإبراهيم ما أراد فولد له إسماعيل وهو ابن تسعين سنة فكان بكر أبيه فلما أراد الله عز وجل أن يبوء إبراهيم مكان البيت وأعلامه أوحى الله إليه يأمره بالمسير إلى بلده الحرام

فركب إبراهيم البراق وحمل إسماعيل أمامه وهو ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم فكان لا يمر بقريّة إلا قال له إبراهيم بهذه أمرت يا جبريل فيقول جبريل لا حتى قدم به مكة وهي إذ ذاك عضاة وسلم وسمر والعماليق يومئذ حول الحرم وهم أول من نزل مكة ويكونون بعرفة وكانت المياه يومئذ قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو روبة حمراء مدرة وهو يشرف على ما حوله فقال جبريل حين دخل من كداء وهو الجبل الذي يطلعك على الحجون والمقبرة بهذا أمرت قال إبراهيم بهذا أمرت قال نعم فانتهى إلى موضع البيت فعمد إبراهيم إلى موضع الحجر فأوى فيه هاجر وإسماعيل وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشا فلما أراد إبراهيم أن يخرج ورأت أم إسماعيل أنه ليس بحضورها أحد من الناس ولا ماء ظاهر تركت ابنها في مكانه وتبعته إبراهيم فقالت يا إبراهيم إلى من تدعنا فسكت عنها حتى إذا دنا من كداء قال إلى الله عز وجل أدعكم فقالت فالله عز وجل أمرك بهذا قال نعم قالت فحسبي تركتنا إلى كاف وانصرفت هاجر إلى ابنها وخرج إبراهيم حتى وقف على كداء ولا بناء ولا ظل ولا شيء يحول دون ابنه فنظر إليه فأدركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء

ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام وعمدت هاجر فجعلت عريشا في موضع الحجر من سمر وثمأ ألقته عليه ومعها شن فيه شيء من ماء فلما نفذ الماء عطش إسماعيل وعطشت أمه فانقطع لبنها فأخذ إسماعيل كهينة الموت فظنت أنه ميت فجزعت وخرجت جزعا أن تراه على تلك الحال وقالت يموت وأنا غائبة عنه أهون علي وعسى الله أن يجعل لي في ممشاي خيرا

فانطلقت فنظرت إلى جبل الصفا فأشرفت عليه تستغيث ربها عز وجل وتدعوه ثم انحدرت إلى المروة فلما كانت في الوادي خبت حتى انتهت إلى المروة فعلت ذلك سبع مرار كلما أشرفت على الصفا نظرت إلى ابنها فتراه على حاله وإذا أشرفت على المروة فمثل ذلك

فكان ذلك أول ما سعى بين الصفا والمروة وكان من قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون المواقف حتى كان إبراهيم

فلما كان الشوط السابع وينست سمعت صوتا فاستمعت فلم تسمع إلا الأول فظنت أنه شيء عرض لسمعها من الظمأ والجهد

فنظرت إلى ابنها فإذا هو يتحرك فأقامت على المروة مليا ثم سمعت الصوت الأول فقالت إني سمعت صوتك فأعجبني فإن كان عندك خير فأعطني فإنني قد هلكت وهلك ما عندي

فخرج الصوت يصوت بين يديها وخرجت تتلوه قد قويت له نفسها حتى انتهى الصوت عند رأس إسماعيل ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه مكان البشر فظهر الماء فوق الأرض حين فحوص بعقبه وفارت بالرواء وجعلت أم إسماعيل تحظر الماء بالتراب خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها فاستقت وبادرت إلى ابنها فسقته وشربت فجعلت ثديها يتقطران لبنا فكان ذلك اللبن طعاما وشرابا لإسماعيل وكانت تجتري بماء زمزم فقال لها الملك لا تخافي أن يفقد هذا الماء وأبشري فإن ابنك سيسب ويأتي أبوه من الشام فيتبنون ها هنا بيتا يأتيه عباد الله من أقطار الأرضين ملبين لله جل ثناؤه شعنا غبرا فيطوفون به ويكون هذا الماء شرابا لضيغان الله عز وجل الذين يزورون بيته

فقال بشرك الله بخير وطابت نفسها وحمدت الله عز وجل

ويقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرا لهما أخطأهما فقد عطشا وأهلها بعرفة فنظرا إلى طير يهوي قبل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالوا أئى يكون الطير على غير ماء فقال أحدهما لصاحبه أمهل حتى نبرد ثم نسلك في مهوى الطير فأبردا ثم تروحا فإذا الطير ترد وتصدر فاتبعها الواردة منها حتى وقفا على أبي قبيس فنظرا إلى الماء وإلى العريش فنزلا وكلما هاجر وسألاها متى نزلت فأخبرتهما وقالوا لمن هذا الماء فقالت لي ولابني فقالا من حفره فقالت سقيا الله جل ثناؤه

فعرفا أن أحدا لا يقدر على أن يحفر هناك ماء وعهدهما بما هناك قريب وليس به ماء فرجعا إلى أهلها من ليلتهما فأخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء فأنست بهم ومعهم الذرية فنشأ إسماعيل مع ولدانهم

وكان إبراهيم يزور هاجر في كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام فرارها بعد ونظر إلى من هناك من العماليق وإلى كثرهم وغمارة الماء فسر بذلك

ولما بلغ إسماعيل عليه السلام تزوج امرأة من العماليق فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل وإسماعيل في ماشية يرعاها ويخرج متنكبا قوسه فيرمى الصيد مع رعيته فجاء إبراهيم عليه السلام إلى منزله فقال السلام عليكم يا أهل البيت قال فسكتت فلم ترد إلا أن تكون ردت في نفسها فقال هل من منزل فقالت لا هيم الله إذن قال فكيف طعامكم وشرابكم وشاؤكم فذكرت جهدا فقالت أما الطعام فلا طعام وأما الشاء فإنما نلح الشاة بعد الشاة المصر وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ قال فأين رب البيت قالت في حاجته قال فإذا جاء فأقرئيه السلام وقولي له غير عتبة بيتك

ورجع إبراهيم إلى منزله وأقبل إسماعيل راجعا إلى منزله بعد ذلك بما شاء الله عز وجل فلما انتهى إلى منزله سأل امرأته هل جئت أحد فأخبرته بإبراهيم وقوله وما قالت له ففارقها وأقام ما شاء الله أن يقيم

وكانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة الحرم واستحلوا منه أمورا عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالون فقام فيهم رجل منهم يقال له عموق فقال يا قوم أبقوا على أنفسكم فقد رأيتهم وسمعتهم من أهللك من هذه الأمم فلا تفعلوا تواصلوا ولا تستخفوا بحرم الله عز وجل وموضع بيته فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا في هلكة أنفسهم

ثم إن جرهما وقطوراء وهما أبناء عم خرجوا سيارا من اليمن أجذبت البلاد عليهم فساروا بذرايرهم وأمواهم فلما قدموا مكة رأوا فيها ماء معينا وشجرا ملتفا ونباتا كثيرا وسعة من البلاد ودفنا في الشتاء فقالوا إن هذا الموضوع يجمع لنا ما نريد

فأعجبهم ونزلوا به وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم سنة فيهم جروا عليها واعتادوها ولو كانوا نفرا يسيرا

فكان مضاض بن عمرو على قومه من جرهم وكان على قطوراء السמידع رجل منهم

فنزل مضاض بمن معه من جرهم أعلى مكة بقعيقعان فما حاز

ونزل السמידع بقطوراء أسفل مكة بأجباد فما حاز

وذهبت العماليق إلى أن ينازعوهم أمرهم فعلت أيديهم على العماليق وأخرجوهم من الحرم كله فصاروا في أطرافه لا يدخلونه

وجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما فكثروا وأثروا فكان مضاض يعشر كل من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر كل من دخل من أسفلها وكل على قومه لا يدخل أحدهما على صاحبه وكانوا قوما عربا وكان اللسان عربيا

وكان إبراهيم يزور إسماعيل فلما نظر إلى جرهم نظر إلى لسان عجيب وسمع كلاما حسنا ونظر إسماعيل إلى رعدة بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتر وجهها

فجاء إبراهيم زائرا لإسماعيل فجاء إلى بيت إسماعيل فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقامت إليه المرأة فردت عليه ورحبت به فقال كيف عيشكم ولبنكم وما شيتكم فقالت خير عيش بحمد الله عز وجل نحن في لبن كثير ولحم كثير وماؤنا طيب قال هل من حب قالت يكون إن شاء الله ونحن في نعم قال بارك الله لكم

قال أبو جههم فكان أبي يقول ليس أحد يخلى عن اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه ولعمري لو وجد عندنا حبا لدعا فيه بالبركة فكانت أرض زرع

ويقال إن إبراهيم قال لها ما طعامكم قالت اللحم واللبن قال فما شربكم قالت اللبن والماء قال بارك الله لكم في طعامكم وشربكم فاللبن طعام وشراب

قالت فانزل رحمك الله فاطعم واشرب قال إني لا أستطيع النزول قالت فإني أراك شعنا أفلا أغسل رأسك وأدهنه قال بلى إن شئت فجاءته بالمقام وهو يومئذ حجر رطب أبيض مثل المهابة ملقى في بيت إسماعيل فوضع عليه قدمه اليمنى وقدم إليها رأسه وهو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن فلما فرغت حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم إليها رأسه فغسلت شق رأسه الأيسر فالأثر الذي في المقام من ذلك قال أبو الجههم فقد رأيت موضع العقب والإصبع

وعن الواقدي من غير حديث أبي الجههم أن أبا سعيد الخدري سأل عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام فقال كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم إلا أن الله جل ثناؤه أراد أن يجعل المقام آية من آياته

قال أبو الجههم فلما فرغت يعني المرأة من غسل رأس إبراهيم عليه السلام قال لها إذا جاء إسماعيل فقولي له أثبت عتبة بابك فإن صلاح المنزل العتبة

فلما جاء إسماعيل قال هل جاءك أحد بعدي فأخبرته بإبراهيم وما صنعت به ثم قال لها هل قال لك أن تقولي لي شيئا قالت قال لي أثبت عتبة بابك فإن صلاح المنزل العتبة

ففرح إسماعيل وقال أتدرين من هو قالت لا قال هذا خليل الله إبراهيم أبي وأما قوله أثبت عتبة بابك فقد أمرني أن أفرك وقد كنت علي كريمة وقد ازددت علي كرامة فصاحت وبكت فقال مالك قالت ألا أكون علمت بمن هو فأكرمه وأصنع به غير الذي صنعت فقال لها إسماعيل لا تبكي ولا تجزعي فقد أحسنت ولم تكوني تقدرين أن تفعلي فوق الذي فعلت ولم يكن ليزيدك على الذي صنع بك فولدت لإسماعيل عشرة ذكور أحلهم نابت

فلما بلغ إسماعيل ثلاثين سنة وإبراهيم يومئذ ابن مائة سنة أوحى الله جل ثناؤه إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا قال إبراهيم أي رب أين أبنيه فأوحى الله إليه أن اتبع السكينة وهي ريح لها وجه وجناحان ومع إبراهيم الملك والصدرد فانتهوا بإبراهيم إلى مكة فنزل إسماعيل إلى الموضع الذي بوأه الله جل وعز لإبراهيم وموضع البيت ربوة حمراء مدرة مشرفة على ما حولها

فحفّر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وليس معهما غيرهما أساس البيت يريدان أساس آدم الأول
فحفرا عن ريب البيت يعني حوله فوجدا صخرة لا يطبقها إلا ثلاثون رجلا وحفرا حتى بلغا أساس آدم ثم بنى عليه
وحلقت السكنينة كأنها سحابة على موضع البيت فقالت ابن علي
فلذلك لا يطوف بالبيت أحد أبدا كافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكنينة
فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فجعل طوله في السماء تسع أذرع وعرضه ثلاثين ذراعا وطوله في الأرض اثنين
وعشرين ذراعا وأدخل الحجر وهو سبعة أذرع في البيت وكان قبل ذلك زربا لغنم إسماعيل
وإنما بناه بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا عند بابه خزانة للبيت يلقي فيها ما
أهدي للبيت وجعل الركن علما للناس
فذهب إسماعيل إلى الوادي يطلب حجرا ونزل جبريل بالحجر الأسود وكان قد رفع إلى السماء حين غرقت الأرض
كما رفع البيت فنزل به جبريل فوضعه إبراهيم موضع الركن وجاء إسماعيل بالحجر من الوادي فوجد إبراهيم قد
وضع الحجر فقال من أين هذا من جاءك به قال إبراهيم من لم يكن لي إليك ولا إلى حجرك
وعن الواقدي أيضا من غير حديث أبي الجهم أن يزيد بن رومان قال سمعت ابن الزبير يقول إن إبراهيم عليه السلام
ابغى الحجر فناده من فوق أبي قبيس ألا أنا هذا فرقى إليه إبراهيم فأخذه فوضعه الذي هو فيه اليوم
وكان الله جل ثناؤه لما غرقت الأرض استودع أبا قبيس الركن وقال إذا رأيت خليلي يبني لي بيتا فأعطه الركن
فأعطاه الركن

وعن غير ابن الزبير أن أبا قبيس لذلك كان يسمى في الجاهلية الأمين لوفائه بما استودعه الله إياه
قال أبو جهم ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت وأدخل الحجر في البيت جعل المقام لاصقا بالبيت عن يمين الداخل
فلما كانت قريش قصر الحشب عليهم فأخرجوا الحجر وكان ما أخرجوا منه سبعة أذرع
وأمر إبراهيم بعد فراغه من البناء أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي
قال الله جل ثناؤه أذن وعلي البلاغ
فارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت فارتفع به المقام حتى كان أطول الجبال فنادى وأدخل إصبعه في أذنيه
وأقبل بوجهه شرقا وغربا يقول أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم عز وجل
فأجابه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها ليك اللهم
لبيك أفلا تراهم يأتون يلبنون
فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهو ممن استجاب لله عز وجل
وذلك قول الله جل ثناؤه فيه آيات بينات مقام إبراهيم (٩٧ آل عمران) يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج فهي
الآية

قال الواقدي وقد روى أن الآية هي أثر إبراهيم على المقام
قال أبو الجهم فلما فرغ إبراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وأقامه على حدود الحرم وأمره أن
ينصب عليها الحجارة ففعل إبراهيم ذلك وكان أول من أقام أنصاب الحرم ويريه إياها جبريل
فلما كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب إبراهيم عليه السلام بمكة حين زاغت الشمس قائما وإسماعيل جالس
ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبيان محرمين مع كل واحد منهما أداة يحملها وعصا يتوكأ عليها فسمى
ذلك اليوم يوم التروية

فأتيا مني فصليا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وكانا نزلا في الجانب الأيمن ثم أقام حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج يمشي هو وإسماعيل حتى أتيا عرفة وجبريل معهما يريهما الأعلام حتى نزلا بنمرة وجعل يريه أعلام عرفات وكان إبراهيم قد عرفها قبل ذلك فقال إبراهيم قد عرفت فسميت عرفات فلما زاغت الشمس خرج بهما جبريل عليه السلام حتى انتهى بهما إلى موضع المسجد اليوم فقام إبراهيم فتكلم بكلمات وإسماعيل جالس ثم جمع بين الظهر والعصر ثم ارتفع بهما إلى الهضاب فقاما على أرجلهما يدعوان إلى أن غابت الشمس وذهب الشعاع ثم دفعا من عرفة على أقدامهما حتى انتهيا إلى جمع فنزلا فصلى إبراهيم المغرب والعشاء في ذلك الموضع الذي يصلى فيه اليوم ثم باتا حتى إذا طلع الفجر وقفوا على قرح فلما أسفر قبل طلوع الشمس دفعا على أرجلهما حتى انتهيا إلى محسر فأسرعا حتى قطعاه ثم عادا إلى مشيهما الأول ثم رميا جمرة العقبة بسبع حصيات حملاها من جمع ثم نزلا من منى في الجانب الأيمن ثم ذبحا في المنحر اليوم وحلقا رءوسهما ثم أقاما أيام منى يرميان الجمار حين تریغ الشمس ماشيين ذاهبين وراجعين وصدرا يوم الصدر فصليا الظهر بالأبطح وكل هذا يريه جبريل عليه السلام

قال أبو الجهم فلما فرغ إبراهيم من الحج انطلق إلى منزله بالشام فكان يحج البيت كل عام وحجته سارة وحجه إسحاق ويعقوب والأسباط والأنبياء هلم جرا وحجه موسى بن عمران عليه السلام

روي الواقدي بإسناد له عن ابن عباس قال مر موسى عليه السلام بصفاح الروحاء يلي تجاوبه الجبال عليه عباءتان قطوا نيتان من عباء الشام

وعن جابر بن عبد الله قال حج هارون نبي الله البيت فمر بالمدينة يريد الشام فمرض بالمدينة فأوصى أن يدفن بأصل أحد ولا تعلم به يهود مخافة أن ينشوه فدفنوه فقبره هناك وعن ابن عباس أن الحواريين كانوا إذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا البيت

وعن ابن الزبير أن الحواريين خلعوا نعاهم حين دخلوا الحرم إعظاما أن ينتعلوا فيه ثم توفي الله خليله إبراهيم {صلى الله عليه وسلم} بعد أن وجه إليه ملك الموت فاستنظره إبراهيم ثم أعاده إليه لما أراد الله قبضه فأخبره بما أمر به فسلم إبراهيم لأمر ربه عز وجل فقال له ملك الموت يا خليل الله على أي حال تحب أن أقبضك

قال تقبضني وأنا ساجد فقبضه وهو ساجد وصعد بروحه إلى الله عز وجل ودفن إبراهيم عليه السلام بالشام وعاش إسماعيل عليه السلام بعد أبيه ما عاش وتوفي بمكة فدفن داخل الحجر مما يلي باب الكعبة وهنالك قبر أمه هاجر دفن معها وكانت توفيت قبله

ولما توفي إسماعيل عليه السلام ولي البيت بعده ابنه نابت ولم يله أحد من ولد غيره ثم مات فدفن في الحجر مع أمه رعدة بنت مضاخ فولى البيت بعده جده مضاخ بن عمرو ثم أخواله من جرهم وقاموا عليه فكانوا هم ولاته وحجابه وولاية الأحكام بمكة

وكان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة فأنهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم وجعلت له مصراعين وقفلا قال ابن إسحاق ثم إن جرهما وقطورا بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها ومع مضاخ يومئذ بنو إسماعيل وبنو نابت وإليه ولاية البيت دون السמידع

فسار بعضهم إلى بعض فخرج مضاض من قعيقعان في كنيسته سائرا إلى السميدع ومع كنيسته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه فيقال ما سمي قعيقعان قعيقعان إلا لذلك

وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال

فيقال ما سمي أجياد أجيادا إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه

وغير ابن إسحاق يقول إنما سمي أجيادا لأن مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة وقيل بل أمر بعض الملوك غير مسمى بضرب رقاب فيه فكان يقول لسيافه توسط الأجياد وهذا ونحوه أصح في تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن إسحاق

قال فالتقوا بفاضح فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فيقال ما سمي فاضح فاضحا إلا بذلك

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا بأعلى مكة فاصطلحوا به وأسلموا الأمر إلى مضاض فلما رجع إليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس وأطعمهم فاطبخ الناس وأكلوا فيقال ما سميت المطابخ المطابخ إلا لذلك وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت بذلك لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذي كان بين مضاض والسميدع أول بغي كان بمكة فيما يزعمون

ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة وأخواهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك

لخنولتهم وقرابتهم وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال

فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد فلا يناوتون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئهم ثم إن جرهم بغوا بمكة واستحلوا حلالا من الحرمة وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فرق أمرهم

فلما رأته ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغيشان من خزاعة أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة فأذنوهم بالحرب

فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغيشان فنفوههم من مكة

وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا بيغي فيها أحد إلا أخرجته فكانت تسمى الناسة ولا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه فيقال ما سميت ببكة إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا فلم يزل أهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويحافظون على حرمتها

يقال إنه اجتمع رأى بني إسماعيل وخيارهم على أن لا يدعوا أحدا أحدث في حرم الله حدثا إلا غربوه منه ثم لم يرجع فيه ويقال بل كان ذلك مما سن لهم أولوهم فصارت سنة فيهم يدينون بها ثم خلف من خلف بعدهم على ذلك يرون فيه رأيهم وتكبر مواقعة الظلم في حرم الله والتعدي به في نفوسهم ويعتقدون أن الباغي فيه معاقب في دنياه في نفسه وماله وأن الخالف عند البيت حانتا مخوف عليه مما أصاب قبله ممن فعل فعله وأن دعاء المظلوم عنده وخصوصا في الشهر الحرام مجاب في ظالمه ويؤثرون في ذلك أشياء أراها الله إياهم صونا لحرمة الكرم وتنزيها لبيت خليله إبراهيم

ذكر الواقدي من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال عدا رجل من بني كنانة بن هذيل على ابن عم له وظلمه واضطهده فناشده بالرحم وعظم عليه فأبى إلا ظلمه فقال والله لألحقن بحرم الله في هذا الشهر ولأدعون الله

عليك فقال له ابن عمه مستهزئا به هذه ناقتي فلانة فأنا أفقرك ظهرها فاذهب فاجتهد فأعطاه ناقة وخرج حتى جاء الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم إني أدعوك جاهدا مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بداء لا دواء له

ثم انصرف فيجد ابن عمه قد رمى في بطنه فصار مثل الزرق فما زال ينفخ حتى انشق قال عبد المطلب لحدث بهذا الحديث ابن عباس فقال أنا رأيت رجلا دعا على ابن عم له بالعمى يعني في الحرم فرأينته يقاد أكمة العميان

وعن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يسأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره فقال الرجل يا أمير المؤمنين كنا في بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه ونضطهده فكان يذكرنا بالله والرحم وكنا أهل بيت نرتكب كل الأمور فلما رأى ابن عمنا أنا لا نكف عنه ولا نرد إليه ظلامته أمهل حتى دخلت الأشهر الحرم انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه إلى الله جل ثناؤه ويقول

لا هم أدعوك دعاء جاهدا

اقتل بني الضبعاء إلا واحدا

ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا

أعمى إذا قيد يعني القائدا

قال فمات إخوتي تسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيت أنا فعميت ورماني الله عز وجل في رجلي وكمهت فليس يلائمني قائد

قال ابن عباس فسمعت عمر يقول سبحان الله إن هذا هو العجب

قال وسمعت عمر يسأل ابن عمهم الذي دعا عليهم فقال دعوت عليهم كل ليلة في ليالي رجب الشهر كله بهذا الدعاء فأهلكوا في تسعة أشهر وأصاب الباقي ما أصابه

قال ابن عباس وعدا رجل على ابن عم له فاستاق ذودا له فخرج يطلبه حتى أصابه في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت ليس لك قال فاحلف قال إذا أحلف فحلف عند المقام بالله الخالق رب هذا البيت ما هن لك فقبل له لا سبيل لك عليه

فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو على صاحبه فما برح مقامه يدعو عليه حتى فذهب عقله فجعل يصيح بمكة مالي وللذود مالي ولقلان رب الذود

فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود فدفعها إلى المظلوم فخرج بها وبقي الآخر مدلها حتى تردى من جبل فمات فأكلته السباع

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لو وجدت قاتل الخطاب في الحرم ما هجته

وكان يقول لأن أذنب بركية سبعين ذنبا أحب إلى من أن أذنب ذنبا واحدا في الحرم

وركية خارج الحرم محاذية لذات عرق

وذكر رضي الله عنه يوما وهو خليفة ما كان يعاقب به من حلف ظلما يعني في الحرم زمن الجاهلية فقال إن الناس

ليرتكبون ما هو أعظم منها ثم لا يعجل لهم من العقوبة مثل ما كان يعجل لأولئك فما ترون ذلك

فقالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين

قال إن الله جل ثناؤه جعل في الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمتها وعظمتها وشرفها وجعل العقوبة لمن استحل شيئا مما

حرم ليتكبر عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما بعث الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} أوعدهم فيما انتهكوا مما حرم الساعة فقال والساعة أدهى وأمر (٤٦ البقرة)
فأخر العقاب إلى يوم القيامة وأراهم الله الاستجابة بعضهم لبعض ليتهاوا عن الظلم وأخر أهل الإسلام ليوم الجمع ويستجيب الله لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ومن المشهور في هذا الباب أمر إساف ونائلة وهما صنما قريش اللذان أقاموهما على زمزم ينحرون عندهما ذكروا أنهما كانا رجلا وامرأة من جرهم إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوق إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ويقال أحدثا فيها فمسخهما الله فالله أعلم
وأمرهما معدود فيما بلغت إليه جرهم من الاستخفاف بجرمة الحرم وقلة مبالاةهم بالبغي فيه مع ما أراهم الله من عظيم الآية بمسختهما حجرين فما فهم ذلك عن قبيح ما كانوا عليه حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدي آخرين من عباده فكان من أمرهم مع خزاعة ما كان
فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن وحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا
فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الأكبر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا

صروف الليالي والجدود العوائر

وكننا ولاية البيت من بعد نابت

نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

ونحن ولينا البيت من بعد نابت

بعز فما يحظى لدينا المكائر

ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا

فليس لحي غيرنا ثم فاخر

أم تنكحوا من خير شخص علمته

فأبنائهم منا ونحن الأصاهر

فإن تنشي الدنيا علينا بحالها

فإن لها حالا وفيها التشاجر

فأخرجنا منها المليك بقدره

كذلك يا للناس تجري المقادر

أقول إذا نام الخلي ولم أتم

إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر

وبدلت منها أوجهها لا أحبها

قبائل منها حمير ويحابر

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة
بذلك عضتا السنون الغواير
فسحت دموع العين تبكي لبلدة
بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه
يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة
إذا خرجت منه فليست تغادر
وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكر بكرًا او غبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيما بعدهم
يا أيها الناس سيروا إن قصركم
أن تصبحوا ذات يوم لا تسبرونا

حتوا المطي وأرخوا من أزمته
قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا
دهر فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام هذا ما صح له منها وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب وأنها
وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم لنا قائلها
ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة
وغبشان لقب واسمه الحارث وخزاعة يقال إنهم من ولد قمعة بن إلياس بن مضر وأن أباهم عمرو بن لحي هو عمرو
بن لحي بن قمعة بن خندف وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون إنهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن
ثعلبة بن عمرو بن عامر بن غسان
وقد روى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أريت عمرو بن لحي بن قمعة بن بن خندف يجر قصبة في النار
فسألته عن بني وبينه من الأمم فقال هلكوا
فقيل له ومن عمرو بن لحي قال أبو هؤلاء لحي من خزاعة وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم وأول من من
نصب الأوثان حول الكعبة
فإن كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال هذا فرسول الله أعلم وما قال فهو الحق
وعمر بن ربيعة الذي تنتسب إليه خزاعة يقال هو عمرو بن لحي وإن حارثة بن ثعلبة بن عمرو خلف على أم لحي
ولحي هو ربيعة بعد أن تأيتمت من قمعة ولحي صغير فتبناه حارثة وانتسب إليه
فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين إلى قمعة بالولادة وفق ما روى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قاله
والى حارثة بن ثعلبة بالتبني والانتساب به موجود كثيرا في العرب
فلما وليت خزاعة البيت حفظوه مما كانت جرهم استباحته وتوافروا على تعظيمه والذب عنه وكان الذي يليه منهم
عمرو بن الحارث الغبشاني ثم قومه من بعده وقريش إذ ذاك حلول وصرم متقطعون وبيوتات متفرقون في قومهم
من بني كنانة

فأقامت خزاعة على ولاية البيت يوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي
وبعده انتقلت ولاية البيت إلى قصي بن كلاب

وكان من حديث قصي أنه لما هلك أبوه كلاب بن مرة خلف ولديه زهرة وقصيا مع أمها فاطمة بنت سعد بن سيل من عذرة وزهرة يومئذ رجل وقصي فطيم فقدم مكة بعد مهلك كلاب حاج من قضاة فيهم ربيعة بن حرام بن صنعة بن عبد كبير بن عذرة فتزوج فاطمة بنت سعد فاحتلمها إلى بلاده فاحتلمت ابنها قصيا لصغره وأقام زهرة في قومه

فولدت فاطمة لربيعة رزاحا فكان أبا قصي لأمه وكان لربيعة بنون ثلاثة من امرأة أخرى وهم حن ومحمود وجاهمة بنو ربيعة
وأقام قصي بأرض قضاة لا ينسب إلا إلى ربيعة بن حرام
فناضل يوما رجلا من قضاة يدعى رفيعا فضله قصي وهو يومئذ شاب فغضب المنضول فوقع بينهما حتى تقاولا وتنازعا فقال رفيع ألا تلحق ببلدك وبقومك فإنك لست منا
فرجع قصي إلى أمه وقد وجد في نفسه مما قال فسأها عن ذلك فقالت أوقد قال هذا أنت والله يا بني أكرم منه نفسا ووالدا ونسبا وأشرف منزلا أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله تفد
العرب إلى ذلك البيت وقد قالت لي كاهنة رأتك هذا يلي أمرا جليلا فطب نفسا
فأجمع قصي الخروج إلى قومه و اللحق بهم وكره الغربية بأرض قضاة وضاق ذرعا بالمقام فيهم فقالت له أمه لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاج العرب فإني أخشى عليك أن يصيبك بعض الناس
فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرج حاج قضاة خرج معهم وهم يظنون أنه إنما يريد الحج ثم يرجع إلى بلاده حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها وعالجه القضاة على الخروج معهم فأبى
وكان رجلا جلدا نهدا نسيبا فلم ينشب أن خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حي فعرف حليل النسب ورغب في الرحل فزوجه وحليل يومئذ يلي أمر مكة والحكم فيها وحجابه البيت
فأقام قصي معه بمكة وولدت له حي بنية عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا

فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فأرى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر وأن قريشا قرعة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وصريح ولده
فكلم رجلا من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه إلى ذلك فكتب عند ذلك قصي إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوهم إلى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ومعه إخوته لأبيه حن ومحمود وجاهمة فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب وهم مجمعون لنصر قصي والقيام معه
فلما اجتمع الناس بمكة وفرغوا من الحج ولم يبق إلا أن يصدر الناس كان أول ما تعرض له قصي من المناسك أمر الإجازة للناس بالحج

وكانت صوفة هي التي تلي ذلك مع الدفع بهم من عرفة ورمى الجمار وهم ولد الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر

والغوٲ هو أول من ولي ذلك منهم
وذلك أن أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فذرت لله إن هي ولدت ولدا أن تصدق به على الكعبة عبدا
لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوٲ وكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولى الإجازة
بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا
فقال مر بن أد أبو الغوٲ لوفاء نذر أمه
إني جعلت رب من بنيه
ربطه بمكة العلية
فباركن لي بما إليه
واجعله لي من صالح البرية
وكان الغوٲ بن مر زعموا إذا دفع بالناس قال
لا هم إني تابع تبعاه
إن كان إثم فعلى قضاءه

وذلك أن قضاءه كان منهم أحياء يستحلون الحرمه في الجاهلية فكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيئ بهم إذا
نفروا من منى إذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذوو
الحاجات المعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات
الذين يجبون التعجيل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم بنا فيأبي عليهم حتى إذا مالت
الشمس قام فرمى ورمى الناس معه
فإذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانب العقبة فحسبوا الناس وقالوا أجيئ صوفة فلم
يجز أحد من الناس حتى
يمروا فإذا نفذت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا
فورثهم ذلك من بعدهم بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن
شحنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد
فكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب
بن صفوان
وفي ذلك يقول ابن مغراء السعدي
لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم
حتى يقال أجيئوا آل صفوانا
فأما قول ذي الإصبع العدواني واسمه حرثان بن عمرو وقيل له ذو الإصبع حية لذعته في إصبعه فقطعها
عذير الحي من عدوان
كانوا حية الأرض
بغى بعضهم ظلما
فلم يرع على بعض
ومنهم كانت السادات

والموفون بالقرض
ومنهم من يميز الناس
بالسنة والقرض

ومنهم حكم يقضي
فلا ينقض ما يقضي

وإنما قال ذلك لأن الإفاضة من المزدلفة كانت في عدوان وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان يوارثون ذلك
كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعرل
قال حويط بن عبد العزي رأيت أبا سيارة يدفع بالناس من جمع على أتان له عقوق وذكروا أنه أجاز عليها أربعين
سنة

قالوا وكان إذا وقف بالناس قال اتقوا الله ربكم وأصلحوا أموالكم واحفظوا جيرانكم وقاتلوا أعداءكم اللهم حبيب
بين نساءنا وبغض بين رعائنا واجعل أمر الناس بأيدي صلحائنا ثم يقول أفيضوا على بركة الله

وفيه يقول شاعر من العرب
نحن دفعنا عن أبي سياره
وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

قوله حكم يقضي يعني عامر بن ظرب العدواني وكانت العرب لا يكون بينها ثائرة ولا عضلة في قضاء إلا أسندوا
ذلك إليه ثم رضوا بما قضى فيه
فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه في رجل خشي له ما للرجل وله ما للمرأة أي يجعله رجلا أو امرأة ولم يأتوه
بأمر كان أعضل منه

فقال حتى أنظر في أمركم فو الله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب
فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب أمره وينظر في شأنه فلا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة
ترعى عليه غنمه فكان يعاتبها إذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل وإذا راحت عليه يقول مسيت والله يا
سخيل وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس
فلما رأت سهره وقلة قراره على فراشه قالت مالك لا أبا لك ما عراك في ليلتك هذه قال ويحك دعيني أمر ليس
من شأنك ثم عادت له بمثل قولها فقال في نفسه عسى أن تأتي مما أنا فيه بفرح فقال ويحك اختصم إلي في ميراث
خنثي أأجعله رجلا أو امرأة فو الله ما أدري ما أصنع وما يتوجه لي فيه وجه
فقالت سبحان الله لا أبالك أتبع القضاء المبال أقعده فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وإن بال من حيث
تبول المرأة فهو امرأة

قال مسي سخيل بعدها أو ضحي فرجتها والله

ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت إليه

وهذا كله من الخبر معترض قطع اتصال حديث صوفة وقصي فترجع الآن إليه ونصله بموضع انقطاعه

حيث ذكر أن صوفة هي التي كانت تلي الإجازة بالناس من منى والدفع بهم من عرفة وأن قصيا عزم على انتزاع ذلك من أيديهم والقيام به دونهم واستدعى لمظاهرة على ذلك أخاه رزاحا فوصله مع من ذكر وصوله معه فلما كان ذلك العام فعلت صوفة مثل ما كانت تفعل قد عرفت ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم من عهد جرهم وخزاعة

فأتاهم قصي بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لبحن أولى بهذا الأمر منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه بادأهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا بالأبطح حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا وفشت الجراح فيهم وأكثر ذلك في خزاعة ثم إنهم تداعوا إلى الصلح وإلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن قصي فقضي بينهم أن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة

فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها ويقال الشداخ أيضا فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه إلا أنه قد أقر العرب على ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله وبنو مرة بن عوف هم أهل البسل وقد تقدم ذكرهم وأما النساء فهم بنو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر

وهم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من أشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله سبحانه وإنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما ليواطأوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي الكافرين

٣٧ التوبة

وكان أول من نسأ الشهور منهم على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي وتوارث ذلك بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس قال الزبير وكان أبعلهم ذكرا وأطولهم أمرا يقال إنه نسأ أربعين سنة وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفرا فحرموه ليواطأوا عدة الأربعة الأشهر الحرم فإذا أرادوا الصلح قام فيهم فقال اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول ونسأت الآخر للعام المقبل وفي ذلك يقول عمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنساء على العرب

لقد علمت معد أن قومي

كرام الناس إن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر

وأي الناس لم نعلك لجاما

ألسنا الناسين على معد

شهور الحل نجعلها حراما

فهذا كان شأن النسأة في الجاهلية فأقره قصي على ما كان عليه مع سائر ما ذكر إقراره العرب عليه حتى جاء

الإسلام فهدم الله به ذلك كله

فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها

ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع الشجر من الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعرانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يزوج رجل من قريش ولا يشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء حرب قوم غيرهم إلا في داره يعقده لهم بعض ولده ولا يعذر غلام إلا في داره ولا تدرع جارية من قريش إلا في داره يشق عليها فيها درعها إذا بلغت ذلك ثم تدرعه ثم ينطلق بها إلى أهلها ولا تخرج غير من قريش فيرحلون إلا من داره ولا يقدمون إلا نزلوا في داره فكان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح إلى بلاده بمن معه من قومه فلما استقر في بلاده نشره الله ونشر حبا فهما قبيلة عذرة اليوم

فهذا حديث قصي في ولاية البيت بعد حليل بن حبشية وإخراج خزاعة عنه

وخزاعة تزعم أن حليلا أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب

قال ابن إسحاق ولم يسمع ذلك من غيرهم فالله أعلم

وقد ذكر الواقدي الأمرين على نحو ما ذكر ابن إسحاق

قال وقد سمعنا في ذلك وجهها آخر ذكر أن أبا غيشان رجلا من خزاعة كان ولي الكعبة فباع حجابتها من قصي بن كلاب بيعا وذكر غيره أنه باع منه مفتاح الكعبة بزق خمر فلذلك قيل أخسر صفقة من أبي غيشان

وذكر الواقدي أيضا بإسناد له أن رجلا من قضاة يقال له أبو الشموس حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو

خليفة حديث قصي بن كلاب وكيف استعان بإخوته على خزاعة فاستمع له عمر وتعجب لأول الحديث وقال

ذكرتنا أمرا كان دثر منا فالحمد لله رب العالمين إن الله عز وجل ليصنع لهذا الحي من قريش وهم أولى الناس أن

يتقوا الله وتحسن سيرة من ولي منهم بصنع الله لهم جعل فيهم الإمامة وقبل ذلك النبوة

قالوا فلما كبر قصي ورق وكان عبد الدار بكره وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد

العزي وعبد قال قصي لعبد الدار أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك
لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء إلا أنت بيدك ولا يشرب رجل بمكة
إلا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الحرم طعاما إلا من طعامك ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك
فأعطاه دار الندوة التي لا تقضي قريش أمرا من أمورها إلا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة
وكانت الرفادة خرجا نخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من
لم يكن له سعة ولا زاد

وذلك أن قصيا فرضها على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم
وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا
عنكم

ففعّلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من
أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ثم جرى في الإسلام إلى يومنا هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل
عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج

فمضى أمر قصي في عبد الدار ابنه وجعل إليه كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه
شيء صنعته

ثم إن قصيا هلك فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده

فاختطوا مكة رباعا بعد الذي كان قصي قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها
فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع

ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا أن يأخذوا ما في يدي بني عبد الدار بن
قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم
عليهم وفضلهم في قومهم فتنفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة منهم مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم
أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما كان قصي جعل
إليهم

فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف وذلك أنه كان أسنهم

وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار

وكانت بنو أسد بن عبد العزي بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم ابن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر مع
بني عبد مناف

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص وبنو

عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين

فعمد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها

فتعاهدوا وتعاهدوا هم وحلفاءهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين

وتعاهد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاءهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا

فسموا الأحلاف

ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض فعبت عبد مناف لبني سهم وعبت بنو أسد لبني عبد الدار وعبت زهرة لبني جمح وعبت تيم لبني مخزوم وعبت بنو الحارث بن فهر لبني عدي ثم قالوا لتغن كل قبيلة من أسند إليها

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضي كل واحد من القرنيين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة

فهذا حلف المطيين

وقد كان في قريش حلف آخر بعده وهو حلف الفضول تداعت إليه قبائل من قريش فاجتمعوا إليه في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة لشرفه وسنه فتعاقدوا وتعاهلوا على أن لا يجلبوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول واختلف في السبب الذي دعا قريشا إلى هذا الحلف ولم يسمي بهذا الاسم

فأما ما دعاهم إليه فذكر الزبير وغيره أن رجلا من أهل اليمن من بني زيد قدم مكة معتمرا ومعه بضاعة له فاشتراها رجل من بني سهم ويقال أنه العاص بن وائل فلولى الرجل بحقه فسأله ماله فأبى عليه وسأله متاعه فأبى فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فأغلظوا له فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك قام على الحجر ويقال بل أشرف على أبي قيس حين أخذت قريش مجالسها ثم نادى بأعلى صوته ثم قال

يا آل فهر لمظلوم بضاعته

ببطن مكة نائي الدار والنفر

وأشعث محرم لم يقض حرمة

بين الإله وبين الحجر والحجر

أقائم من بني سهم بذمتهم

أم ذاهب في ضلال مال معتمر

فلما سمعت ذلك قريش أعظموه وتكلموا فيه فقال المطيون والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن الأحلاف وقال الأحلاف والله لئن قمنا في هذا لتغضبن المطيون فقال ناس من قريش تعالوا فلنكن حلفا فضولا دون المطيين ودون الأحلاف

فلذلك قيل له حلف الفضول

فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان وصنع لهم طعاما كثيرا وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب وزهرة وأسد وتيم فتحالفوا على أن لا يظلم بمكة قريب ولا غريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويردوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت فيه أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا إلى الرجل الذي تعدى على

الرجل المستصرخ العاص بن وائل أو غيره فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه فمكتوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت وحكى الزبير أيضا أنه إنما سمي حلف الفضول لأنهم تحالفوا على أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وقيل إنما سمي بذلك لأنه لما تداعى له من ذكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيبين والأحلاف بأسرهم وسجوه حلف الفضول عيبا له وقالوا هذا من فضول القوم وقيل بل كان هذا الحلف على مثل حلف تقدم إليه نفر من جرهم يقال لهم الفضل وفضال وفضيل فسمي لذلك هذا الآخر حلف الفضول وأيا ما كان من ذلك فهي مأثرة لقريش من مآثرها الكرام وآثارها العظام نالهم فيه بركة حضور رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فهو وإن كان فعلا جاهليا دعيتهم السياسة إليه فقد صار لحضور رسول الله {صلى الله عليه وسلم} له وما قاله بعد النبوة فيه وأكده من أمره حكما شرعيا وفعلا نبويا وقد نشأ بين حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان زمن معاوية والوليد يومئذ أمير المدينة من قبله منازعة في مال كان بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على حسين في حقه لسلطانه فقال له حسين أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم لأدعون بحلف الفضول

فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا

وبلغت المسور بن مخزومة الزهري فقال مثل ذلك

وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك

فلما بلغ ذلك الوليد أنصف الحسين من حقه حتى رضي

ولم تكن بنو عبد شمس دخلت في هذا الحلف

وقد سأل عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جبير بن مطعم إذ قدم عليه حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وكان محمد بن جبير أعلم قريش فلما دخل عليه قال يا أبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف في حلف الفضول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا منه نحن وأنتم قال صدقت

فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول

وكانت لقريش أحلام عظام كانوا منها في جاهليتهم على مثل السلطان الضابط عناية من الله بهم ومنا منه سبحانه عليهم هم سكان الحرم وأهل الله وحجاب بيته وأهل السقاية والرفادة والرياسة واللواء والندوة ومكارم مكة وكانوا على إرث من دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم الحرم ومنعه من البغي فيه والإلحاد وقمع الظالم ومنع المظلوم

إلا أنه دخلت على أوليتهم أحداث غيرت أصول الحنيفية عندهم وطال الزمان حتى أفضى ذلك بهم إلى جهالات

بشرائع الدين وضلالات عن سنن

التوحيد فندارك الله ذلك كله بنبيه {صلى الله عليه وسلم} فهدى من الضلالة وعلم من الجهالة فيقال أنه كان أول من غير الحنيفية دين إبراهيم ونصب الأوثان حول الكعبة ودعا إلى عبادتها عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر

روي أبو هريرة أنه سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لأكنم بن الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكنم عسى أن يضربني بشبهه يا نبي الله قال لا لأنك مؤمن وهو كافر إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامي فالبحيرة عند العرب الناقفة تشق أذنفا ولا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق به وتمهل لأهنتهم

والسائبة التي ينذر الرجل إن بريء من مرضه أو أصاب أمرا يطلبه أن يسيبها ترعى لا ينتفع بها والوصيلة التي تلد أمها إثنين في كل بطن فيجعل صاحبها لأهنته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به والحامي القحل إذا نتج له عشر إناث متابعات ليس بينهن ذكر حى ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك فلما بعث الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} أنزل عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ١٠٣ المائدة وذكر بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم من ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا هذه أصنام نعبدها ونستمطرها فتمطرنا ونستصرها فتصرنا فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن إسحاق ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسيح في البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة

حتى سلخ ذلك بهم إلا أن كانوا يعبدون ما استحسوه من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبلوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه

فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا ليك اللهم ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحلون به بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ١٠٦ يوسف أي ما يوحلونني بمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا

من خلقي

وقد كانت لقوم نوح أصنام عكفوا عليها قص الله تبارك وتعالى خيرها على رسوله {صلى الله عليه وسلم} فقال وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يعوق ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ٢٣ نوح وذكر الواقدي بإسناد له عن أبي هريرة أن أول ما عبدت الأصنام في زمن نوح عليه السلام وأن ودا وسواعا ويعوق ويعوق ونسرا كانوا رجالا صالحين من قوم نوح أهل عبادة وفضل فماتوا فوجد عليهم أهلهم وتوحش الناس لفقدهم فقال لهم رجل ألا أصورهم لكم صوراً من خشب فتنظرون إليهم وتسكنون إلى رؤيتهم قالوا بلى إن قدرت قال أنا أقدر على تصويرهم ولا أقدر أن أفسخ الروح فيهم فجاء بالصور كهيبتهم أحياء فأخذ أهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها في منزلهم ينظرون إليها فأذهب ذلك بعض حزنهم

فكانوا على ذلك ما شاء الله حتى هلك ذلك القرن ثم خلف قرن آخر ثم ثالث بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الأول حتى هلكوا

ثم خلف القرن الرابع فقالوا لو أنا عبدنا هؤلاء لقربونا إلى الله وشفعوا لنا عنده ولا يزيلوننا إلا خيراً إنما نريد ما يقربنا منه فعبدوها حتى هلكوا وعبدها من بعدهم فلما غرقت الأرض زمن نوح عليه السلام غرقت تلك الأصنام فمكثت ما شاء الله أن تمكث ثم استخرجها عمرو بن لحي ففرقها في القبائل فالله تعالى أعلم

وقد خرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس موقوفاً عليه في التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصراً أن ودا وسواعا ويعوق ويعوق ونسرا أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشياطين إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصاباً سموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت

قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره وإذا قدم من سفره تمسح به وكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله فلما بعث الله رسوله محمد {صلى الله عليه وسلم} بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ٥ ص

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى إليها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها وتحجر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده

وسيمر في تضاعيف هذا الكتاب بعض أخبار هذه الطواغيت وكيف جعل الله عاقبة أمرها خسراً فأزحق الحق باطلها وعفي الإسلام آثارها وأكمل الله تعالى دينه وتم نوره ونعمته ونصر دين الهدى والحق فأظهره على الدين كله

ومع إصفاق العرب مضرها ويمنها على هذا الضلال فقد كان وقع إلى بعضهم باليمن دين اليهودية فدانوا به ووقع أيضاً دين النصرانية بنجران من أرض العرب على ما نذكره

فأما موقع اليهودية باليمن فمن جهة تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب بن كلبي كرب بن زيد وهو تبع الأول بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار

وتبان أسعد هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من يهود إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه
وكان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدآته فلم يهجع أهلها وخلف بين أظهرهم
ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لإخراهما واستتصال أهلها وقطع نخلها
فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن ظلة أخو بني النجار
وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له أحمز عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك أنه
وجده في عذق له يجمده فضربه بمنجله فقتله وقال إنما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم
فاقتتلوا فتنزع الأنصار أقم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله إن قومنا لكرام
فبينما تبع على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من
إهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل
العقوبة فقال لهما ولم ذلك قالوا هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره
فتناهى ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما
وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وإنما أراد
هلاكهم فمنعوه من أن يصرف عنهم ولذلك قال في شعره
حنقا على سبطين حلا يثربا
أولى لهم بعقاب يوم مفسد
وذكر ابن هشام أن الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع

وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين غسفان وأمج أتاه
نفر من هذيل بن مدركة فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داتر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده
وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده
فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألتهما عن ذلك فقالا ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك وما نعلم بيتا لله
اتخذة في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا
قال فماذا تأمراني أن أصنع إذا قلمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتخلق رأسك
عنده وتذل له حتى تخرج من عنده
قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أيننا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه
بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له
فعرف نصيحتهما وصدق حديثهما فقرب نفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم
ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحرون بها للناس
ويطعم أهلها ويستقيهم العسل
وأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى أن يكسوه
أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل
فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت
وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مثلاة وهي الخائض وجعل له بابا

ومفتاحا

ثم خرج موجهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالخبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن ويقال إنه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا

فدعاهم إلى دينه وقال إنه خير من دينكم
قالوا فحاكمنا إلى النار

قال نعم وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار عليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس وأمرهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأصفت عند ذلك حمير على دينه

من هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

قال ابن إسحاق وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم وحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الخبران بعد ذلك وجعلوا يتلوان التوراة وتنكص عنهما حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفت عند ذلك حمير على دينهما فالله أعلم أي ذلك كان

وكان رثام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم فقال الخبران لتبع إنما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فليجأه ثم هدم ذلك البيت قال ابن إسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهاق عليه وتبع هذا هو أحد الملوك الذين وطئوا البلاد ودوخوا الأرض ودانت لهم الممالك

ويقال إنه المسمى في قوله تعالى أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتهم ٣٧ الدخان

وذلك لأنه لما آمن في آخر عمره ووجد مخالفته حمير فتنفر قوا عنه فانقم الله منهم

وحكى الحسن بن أحمد الهمداني أنه أول ملك بشر برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وآمن به وهو رتب الملوك وأبناء الملوك من قومه في قبائل العرب والعجم ومدانها

و أمصارها وكان لكل قبيلة من العرب ولكل حي من العجم ملك من قومه إما حميري وإما كهلاني يسمع له
ويطاع

ويذكر انه جمع الملوك وأبناء الملوك والأقاول وأبناء الأقاول من قومه وقال لهم

أيها الناس إن الدهر نغد أكثره ولم يبقى إلا أقله وإن الكثير إذا قل إلى النقصان أجرى منه إلى الزيادة سارعوا إلى المكارم فإنما تقر بكم إلى الفلاح واعملوا على أنه من سلم من يومه لم يسلم من غده ومن سلم من الغد لا يسلم مما بعده وإنكم لتؤوبون مآب الآباء والأجداد وتصيرون إلى ما صاروا إليه والموت كل يوم أقرب إلى المرء من حياته منه ولكل زمان أهل ولكل دائرة سبب وسبب عطلان هذه الفترة التي من عز فيها بز من هو دونه ظهور نبي يعز

الله به دينه ويخصه بالكتاب المبين على ياس من المرسلين رحمة للمؤمنين وحنة على الكافرين فليكن ذلك عندكم وعند آبائكم بعدكم وآباء آبائكم قرنا فقرنا وجيلا فجيلا ليتوقعوا ظهوره وليؤمنوا به وليجتهدوا في نصره على كافة الأحياء حتى يفيء الناس له إلى أمر الله

وأنشد له

شهدت على أحمد أنه

رسول من الله باري النسم

فلو مد دهري إلى دهره

لكنت وزيراً له وابن عم

وألزمت طاعته كل من

على الأرض من عرب أو عجم

ولكن قولي له دائماً

سلام على أحمد في الأمم)

في أبيات ذكرها وأشعار غير هذا أثبت في إكليله كثيراً منها

قال وذكروا أن الملوك وآباء الملوك من حمير وكهلان لم تنزل تتوقع ظهور النبي {صلى الله عليه وسلم} وتبشر به وتوصي بالطاعة له والإيمان به والجهاد معه والقيام بنصره منذ ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكانوا بذلك حين بعث من أحرص الناس على نصره وطاعته فمنهم من سمع له وأطاع وآمن به قبل أن يراه ومنهم من وصل إليه كتابه فسمع وأطاع وآمن وصدق ومنهم من آواه ونصره وأيده وجاهد في سبيل الله دونه

نطق بذلك الكتاب المنير في قوله والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في

صلورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ٩ الحشر

وقوله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين

أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم إلى آخر الآية ٥٤ - ٥٥ المائدة

قال الهمداني عن أبي الحسن الخراعي يقال إنهم همدان

ثم أشار إلى ذكر سيف بن ذي يزن للنبي {صلى الله عليه وسلم} وما ألقاه من أمره إلى جده عبد المطلب عند

وفادته عليه

قال وذكروا أنه لم يكن لسيف بن ذي يزن ذلك العلم في قصة النبي {صلى الله عليه وسلم} إلا من جهة تبع وما

تناهى إليه مما كان ألقاه إليهم وعرفهم به من خبر النبي {صلى الله عليه وسلم}

وسنذكر خبر سيف هذا في موضعه إن شاء الله

وأما موقع النصرانية بأرض العرب فقد كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على الإنجيل أهل فضل

واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهي بأوسط

أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال

له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به

فحدث وهب بن منبه أن فيميون كان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحاً ينزل القرى لا

يعرف في قرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان بناء يعمل الطين وكان
يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا وخرج إلى فلاة من الأرض فصلى فيها حتى يمسي

قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح
حبا لم يحب شيئا كان قبله مثله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة
من الأرض كما كان يصنع وقد أتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يجب أن
يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فيينا هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين الحية ذات الرعوس السبعة فلما رآها فيميون دعا
عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف عليه فعيل عوله فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك
فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها

وأسمى فانصرف وعرف أنه قد عرف وعرف صالح أنه قد رأى مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله أني ما أحببت
شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك والكيونة معك حيثما كنت
قال ما شئت أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم

فلزمه صالح وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه وكان إذا ما جاءه العبد به الضر دعا له فشفي وإذا دعي إلى أحد به
ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقبل له أنه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل
يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال يا فيميون
إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارتك عليه
فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد أن تعمل في بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الثوب عن الصبي
وقال يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له
فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس

وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فيينا هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة
فناداه منها رجل فقال يا فيميون ما زلت أنتظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو لا تبرح
حتى تقوم علي فإني ميت الآن
قال فمات وقام عليه حتى وراه

ثم انصرف ومعه صالح حتى وطنا بعض أرض العرب فاحتفظتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما
بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة إذا كان ذلك العيد
علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلى النساء ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوما
فابتاع فيميون رجل من أشرفهم وابتاع صالحا آخر فكان فيميون إذا قام من الليل يصلي في بيت أسكنه إياه سيده
استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به
وقال له فيميون إنما أنتم في باطل إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع لو دعوت عليها إلهي الذي أعبد أهلكتها وهو الله
وحده لا شريك له فقال له سيده فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه

فقام فيميون فتنظهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله ريحا فجعلتها من أصلها فألقتها
فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم
الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران فيما ذكر وهب بن منبه في

حديثه هذا

وأما محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران فذكروا أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قرأها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسمه محمد بن كعب ولا شركاؤه في الحديث قالوا رجل نزلها ابنتي خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر فبعث الثامر ابنه عبد الله مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه فقال يا بن أخي إنك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه

والثامر أبو عبد الله بن الثامر لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى قدح فجمعها ثم لم يبق لله أسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بذلك الاسم الأعظم قذف فيها بقدره فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الذي كتبه فقال وما هو

قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فبوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفي حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمتلن بك قال لا تقدر على ذلك

فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بجور لا يقع فيها أحد فيها إلا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك إن فعلت سلطك الله علي فقتلتني

فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعضا في يده فشججه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه

واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث

فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران

قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر فالله أعلم أي ذلك كان

وحدث عبد الله بن الثامر هذا قد ورد في الصحيح مرفوعا إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} من طرق ثابتة خرجته مسلم بن الحجاج من حديث صهيب وبينه وبين حديث ابن إسحاق اختلاف وفيه مع ذلك زوائد تحسن لأجلها إعادة الحديث

فروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حسبي أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حسبي الساحر

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها وقتلها ومضى الناس

فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي

وكان الغلام يرى الأكمة والأبرص ويداوي الناس سائر الأدواء فسمع به جليس للملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني

قال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن أمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجاءه بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما يرى الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب

فجاءه بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه

ثم جاءه بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جاءه بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به وصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا

وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقورة فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله

فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرت به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمي من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات

فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام

فأتى الملك فقيل له رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه يعني فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم

ففعّلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق فهذا حديث مسلم عن عبد الله بن الثامر وأهل نجران وإن وقعت الأسماء فيه مبهمة فقد فسرها العلماء بما ورد من ذلك مبينا في حديث ابن إسحاق وغيره وجعلوا ذلك كله حديثنا واحدا

وذكر ابن إسحاق أنه لما كان من اجتماع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ما تقدم الحديث به سار إليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية وخبرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخذ لهم الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده ذلك أنزل الله على نبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد إلى آخر الآيات والأخدود هنا هو الحفر المستطيل في الأرض كالحندق والجداول ويقال أيضا لأثر السيف والوسط والسكين ونحوه في الجلد أخلود

قال ابن إسحاق ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم وحدث عن عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أن رجلا من أهل نجران حفر خربة من حرب نجران في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفين منها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخرجت يده عنها تعبت دما وإذا أرسلت يده ردها عليها فأمسك دما في يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه إلى عمر فكتب إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعّلوا وذو نواس هذا هو زرعة بن تبان أسعد أبي كرب وهو تبع الآخر وقد تقدم خبره وابنه زرعة ذو نواس هذا كان من صغار بنيه وصار إليه ملك اليمن وأمر حمير بعد أبيه بزمان وذلك أنه ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ربعة بن نضر بن أبي حارثة ابن عمرو بن عامر وكان من سادات اليمن وأهل الشرف منها وهو صاحب الرؤيا التي يعرف من تأويلها استيلاء الحبشة على اليمن والشارة بظهور النبي {صلى الله عليه وسلم}

وذلك أنه رأى رؤيا هالته وفضع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بها وتأويلها قالوا قصصها علينا نخبرك بتأويلها قال إني إن أخبرتكم بما لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها إنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بما فقال له رجل منهم فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطیح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبران بما سأل عنه

فبعث إليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فقال إني قد رأيت رؤيا هالتي وفظعت بما فأخبرني بما فإنك إن أصبتها
أصبت تأويلها

فقال أفعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض قهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت
منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها

فقال أحلف ما بين الحرتين من حشش ليهيطن أرضكم الحشش فليملكن ما بين أبين إلى جرش
فقال الملك وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من
ستين أو سبعين يمضين من السنين

قال أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقاتلون ويخرجون منها هارين
قال ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم قال يليه إرم بن ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدا باليمن
قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع
قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي
قال ومن هو هذا النبي

قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر
قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيها المسيئون
قال أحق ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك لحق
ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان
قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة

فلما قال له ذلك عرف أن قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن سطحيا قال بأرض قهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة
وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة

فقال الملك ما أخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من إنسان ليهيطن أرضكم
السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران

فقال له الملك وأبيك يا شق إن هذا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده فقال لا بل بعده بزمان ثم
يستفدكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان

قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن
قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع

قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل
قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولاية يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات وجمع
فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات

قال أحق ما تقول قال إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنباتك لحق ما فيه أمض
فوقع في نفس ربيعة بن نضر ما قال فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق ما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك

فارس يقال له سابور بن خرزاد فأسكنهم الحيرة

فمن بقية ولد ربيعة بن نضر فيما يزعمون النعمان بن المنذر فهو في نسب اليمن وعلمهم النعمان بن المنذر بن
النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نضر ذلك الملك

وقد تقدم قول من قال من العلماء أن النعمان من ولد قنص بن معد وقد قيل أيضا إن النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضرم وهو حصن عظيم كالمدينة على شاطئ الفرات وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قوله وأخو الحضرم إذا بناه وإذ دجلة

تجبي إليه والخابور

شاده مرمرًا وجلله كلسا

فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك

عنه فبابه مهجور

وأما شق وسطيح فإن شقا هو ابن صعب بن يشكر من بني أثمار بن نزار أبي بجيلة وخنعم

وكان شق إنسان فيما زعموا إنما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحد ولذلك سمي بشق

وسطيح هو ربيع بن ربيعة من بني ذبيان بن عدي بن مازن بن غسان وكانت العرب تسميه الذبيبي وإياه عني ميمون بن قيس الأعشى بقوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرها

حقا كما نطق الذبيبي إذ سجعا

وإنما قيل له سطيح لأنه كان جسدا ملقى له رأس وليس له جوارح فيما ذكروا

وكان لا يقدر على الجلوس فإذا غضب انتفخ وجلس

وذكر أنه قيل له أي لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله منه موسى عليه السلام فهو يؤدي إلي من ذلك ما يؤديه وعاش سطيح بعد هذا الحديث زمانا طويلا حتى أدرك مولد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فذكر الخطابي وغيره من حديث هانئ بن هانئ المخزومي وأتت عليه مائة وخمسون سنة أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ارتجس إيواء كسرى فسقط منه أربع عشر شرفة وغاضت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة وخدمت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام وأري الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها

فلما أصبح كسرى أفرغه ذلك فصر عليه تشجعا حتى إذا عجل صبره رأى ألا يدخر ذلك عن قومه ومرابته فلبس تاجه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت فيكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار فإزداد غما إلى غمه

ثم أخبر بما رأى وما هاله من ذلك فقال الموبدان وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الإبل فقال أي شيء يكون هذا يا موبدان قال حدث يكون من ناحية العرب وكان أعلمهم في أنفسهم فكتب عند ذلك كسرى إلى النعمان بن المنذر أن يوجه إليه برجل عالم بما يريد أن يسأله عنه فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقبيلة الغساني

فلما قدم عليه قال له الملك ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك عما أحب فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه

فأخبره بالذي وجه إليه فيه فقال له علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فائته فسله
عما سألتك عنه ثم أتتني بنفسيره
فخرج عبد المسيح حتى أتى إلى سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وكلمه فلم يرد عليه سطيح جواباً فأنشأ
عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن
أم فاد فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن
اتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن
أبيض فضفاض الرداء والبلدن
رسول قبيل العجم ينمي للوسن
لا يرهب الوغد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شنن
ترفعني وجنا وتموى فيه وجن
حتى أتى عاري الجأحي والقطن
تلفه في الريح بوغاء الدمن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول عبد المسيح أتى إلى سطيح على جمل مشيح وقد أوفى على الضريح بعثك
ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وحمود النيران ورؤيا الموبدان رأى إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة
وانتشرت في بلادها

عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب المراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وهدت نار فارس
فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت
ثم قضى سطيح مكانه فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بمقالة سطيح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا
قد كانت أمور

فملك منهم عشرة إلى أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه
فلما هلك ربيعة بن نصر جمع ملك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد أبي كرب فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ
بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كان بأرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة
إلى بلادهم وأهلهم فكلّموا أخوا له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا
وترجع بنا إلى بلادنا فأجابهم

فاجتمعوا على ذلك إلا ذورعين الحميري فإنه نأه عن ذلك ولم يقبل منه فقال ذورعين الحميري

ألا من يشتري سهرا بنوم
سعيد من يبيت قرير عين
فإما حمير غدرت وخانت
فمعدرة الإله لذي رعين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل
ثم قتل عمرو وأخاه حسان ورجع بمن معه إلى اليمن
فلما نزل اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما
به فقال له قاتل منهم إنه والله ما قتل رجل أخاه أو ذا رحمة بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه إلا ذهب نومه وسلط
عليه السهر

فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشرف اليمن حتى خلص إلى ذي رعين
فقال له ذو رعين إن لي عندك براءة قال وما هي قال الكتاب الذي دفعت إليك
فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه
وهلك عمرو وفرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعه
ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قاتل من حمير
تقتل أبناها وتنفي سراهما

وتبني بأيديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها
وما ضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها
وإسرافها تأتي الشرور فتخسر
وكان لخنيعه امرءا فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد
صنعها لذلك لنلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه وجنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه علامة
للفراغ من خبيث فعله

حتى بعث إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا
وسيما ذات هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد به فأخذ سكيناً حديدا لطيفا فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه
فلما خلا معه وثب إليه فوائبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حزر رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع
مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فسألوه فأشار لهم إلى الرأس فنظروا فإذا رأس لخنيعه مقطوع فخرجوا في أثر
ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحمتنا من هذا الخبيث
فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير ويسمى يوسف فأقام في ملكه سنين
قال ابن قتيبة ثمانيا وستين سنة

إلى أن كان منه في أهل نجران ما تقدم ذكره فكان ذلك سببا لاستتصال ملكه واستيلاء الحبشة على اليمن

ذكر دخول الحبشة أرض اليمن واستيلائهم على ملكها وذكر السبب في ذلك مع ما يتصل به من أمر القيل

ولما انتهى زرعة ذو نواس إلى ما انتهى إليه بأهل نجران من التحريق والقتل أفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس
ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر صاحب الروم فاستنصره
على ذي نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه

على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك

فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره

فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس فسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحوضاح البحر حتى أفضى به إلى غمره فأدخله فيه فكان آخر العهد به ودخل أرياط اليمن فملكها

فأقام بها سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما فأنحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط أنك لا تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفتيتها شيئاً فأبرز لي وأبرز لك فأبنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرياط أنصفت

فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيماً جميلاً طويلاً وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذل ذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله

فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة أرياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطاء بلاده ويجز ناصيته

فحلق أبرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي وكتب إليه أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكل طاعته لك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب من تراب أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه في فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن أثبت بأرض اليمن حتى يأتىك أمرى فأقام بها ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها الملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم لحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقبل له رجل من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك أصرف إليها حج العرب غضب ففجأ فقعدها فيها أي أنها ليست لذلك بأهل

فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه

ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم ساروا وخرج معه بالليل

وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى

حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وإخراجه
فأجابه من أجابه إلى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتي به أسيرا فلما أراد قتله
قال له ذو نفر أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي
وكان أبرهة رجلا حليما فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق
ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في
قبيلي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرا فأتي به فلما هم
بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم شهران وناهس
بالسمع والطاعة

فدخل سبيله وخرج به معه يده

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك الثقفي في رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن
عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات إنما تريد البيت
الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه

فجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة فبعثوا معه أبا رغال يدل على الطريق إلى
مكة

فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجعت قبره العرب فهو القبر
الذي يرحم الناس بالمغمس

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق
إليه أموال أهل قمامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش
وسيدها

فهتمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك
وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ثم قل له إن الملك يقول لك
إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرض حربي
فأنتني به

فلما دخل حناطة مكة سألت عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم
فجأه فقال له ما أمر به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام
وبيت خليله إبراهيم أو كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال
حناطة فانطلق إليه فإنه قد أمرني أن آتية بك

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى المعسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه في
محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن
يقتله غدوا أو عشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس القليل صديق لي فسأرسل إليه فأوصيه
بك وأعظم عليه حقلك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على
ذلك قال حسبي

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في
رعوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت قال أفعل
فكلم أنيس أبرهة قال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك فأذن له فليكلمك في حاجته
ووصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس

فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أو سم الناس وأجمله وأعظمه فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره
أن تراه الحبيشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم
قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي فلما قال له
ذلك قال أبرهة لترجمانه قل

له لقد كنت أعجبني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو
دينك ودين آباتك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه

قال عبد المطلب أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمناه قال ما كان ليمنع مني قال أنت وذاك
ويزعم بعض أهل العلم أنه كان ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة يعمر بن نفاعة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد
مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث
أموال قمامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فالله أعلم أكان ذلك أم لا
فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر
وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرفة الجيش
ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده
فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن العبد يمنع

رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليهم

و محالهم غدوا محالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما
أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها

فلما أصبح أبرهة تقياً لدخول مكة وهياً فيله وعبي جيشه وكان اسم الفيل محموداً وأبرهة مجمع لهدم البيت
والانصراف إلى اليمن فلما وجهوا الفيل إلى مكة قام نفيل بن حبيب إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال له ابرك
محمود وارجع

راشدا من حيث جنت فإنك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل
وضربوا الفيل ليقوم فأبى وضربوه في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بما ليقوم فأبى
فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك
ووجهوه إلى مكة فبرك

وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره
وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت

وخرجوا هاربين ينتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدهم على الطريق إلى اليمن فقال
نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته
أين المفر والإله الطالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب
وقال نفيل أيضا
ألا حبيت عنا يا ردينا
نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيت ولا تريه
لدى جنب الخصب ما رأينا
إذا لعذرتني وهدت أمري
ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا
وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل
كأن علي للحبشان دينا

فخر جوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم
يسقط أئمة أئمة كلما سقطت أئمة منها أتبعته مدة تمت قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما
مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

ويقال أنه أول ما رثيت الحصبة و الجدرى بأرض العرب ذلك العام وإنه أول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل
والحنظل والعشر ذلك العام

فلما بعث الله محمدا { صلى الله عليه وسلم } كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من
أمر الحبشة لبقاء أمرهم وملكهم فقال تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لم يجعل كيدهم في تضليل
وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كؤل

وقالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان
قال ابن إسحاق فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم ما أصابهم به من النعمة أعظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل
الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش
من كيدهم فقال عبد الله بن الزبيري السهمي

تنكلوا عن بطن مكة إنهما

كانت قديما لا يرام حريمها

لم تخلق الشعري ليالي حرمت

إذ لا عزيز من الأنام يرومها

سائل أمير الحبش عنها ما رأى

ولسوف يني الجاهلين عليها

ستون ألقا لم يؤوبوا أرضهم
بل لم يعيش بعد الإياب سقيمها
كانت بما عادو جرهم قبلهم
والله من فوق العباد يقيمها
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي من قصيدة سيأتي ذكرها بجملتها
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق
غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله
على القاذفات في رعوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم
جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هارين ولم يؤوب
إلى قومه ملحيش غير عصائب

وقالت سبيعة بنت الأحمب بن زبيبة من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور لابنها خارجة بن عبد
مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعاً وتذللها والفييل
وهلاك جيشه عندها
أبني لا تظلم بمكة
لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بني
ولا يغرنك الغرور

أبني من يظلم بمكة
يلق أطراف الشرور
أبني يضرب وجهه
ويلح بجذبه السعير
أبني قد جربتها
فوجدت ظالمها بيور
الله آمنها وما
بنيت بعرضتها قصور
والله آمن طيرها
و العصم تأمن في ثبير
ولقد غزاها تبع

فكسا بنيتها الحير
وأذل ربي ملكه
فيها فأوفى بالندور
يمشي إليها حافيا
بفنائها ألفا بعير
ويظل يطعم أهلها
لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفي
والرحيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه
يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد
وفي الأعاجم والجزير
فاسمع إذا حدثت وافهم
كيف عاقبة الأمور

ولم يزل شعراء أهل الجاهلية يذكرون ذلك في أشعارهم معتدين بصنع الله فيه وقد جرى على ذلك شعراء الإسلام
فقال الفرزدق بن غالب التميمي يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويعرض للحجاج بن يوسف ويذكر الفيل
وجيشه

فلما طغى الحجاج حين طغى به
غنى قال إني مرتق في السلام
فقال كما قال ابن نوح سأرتقى
إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى
عن القبلة الليضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم
هباء وكانوا مطرخي الطراخم
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله
إليه عظيم المشركين الأعاجم

قال ابن إسحاق فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن
في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة
فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ما هم
فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويلبهم هو ويبيعت إليهم من شاء من الروم فلم يشكه

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم حين يكون ذلك ففعل

ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القلقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبه له فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك وقيل إنه لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك إن هذا لأحق يدخل علي من هذا الباب الطويل ثم يطأطي رأسه

فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لهماي لأنه يضيق عنه كل شيء

ثم قال أيها الملك غلبنا على بلادنا الأغرابة

فقال كسرى أي الأغرابة الحبشة أم السند

قال بل الحبشة فجئتك لتصريني ويكون ملك بلادك لك

قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك

ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة

فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس

فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا

ثم بعث إليه فقال عمدت إلى حباء الملك تشره للناس فقال وما أصنع بهذا ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة يرغبه فيها

فجمع كسرى مرازبته فقال ماذا ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قاتل أيها الملك إن في سجونك رجلا

حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت وإن ظفروا كان ملكا ازددته

فبعث معه كسرى من كان في سجونته وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له وهرز وكان ذا سن

فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصلت إلى ساحل عدن ست سفائن

فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا قال وهرز

أنصفت

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنوده فأرسل إليهم

وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم

فلم توافق الناس على مصافهم قال وهرز أروني ملكهم قالوا له أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين

عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذلك ملكهم قال أتركوه

فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على الفرس قال أتركوه

فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا على البغلة قال وهرز بنت الحمار ذل وذل ملكه إني سأرميه فإن رأيتم أصحابه

لم يتحركوا فاتبعوا حتى أودنكم فإني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل

فاحملوا عليهم

ثم أوتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رمى فصك الياقوتة التي بين عينيه فتغلغت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولائت به وحملت عليهم الفرس وانهمزوا فقتلوا وهربوا في كل وجه

وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة أبدا اهدموا الباب فهدم ثم دخلها ناصبا رايته

وقال في ذلك أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي وتروى لابنه أمية بن أبي الصلت

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن

مذم في البحر للأعداء أحوالا

يهم قيصر لما حاز رحلته

فلم يجد عنده بعض الذي سالا

حتى أتى بني الأحرار يحملهم

إنك عمري لقد اسرعت قلقالا

لله درهم من عصبة خرجوا

ما إن أرى لهم في الناس أمثالا

بيضا مرازبة غلبا أساورة

أسدا ترب في الغيصات أشبالا

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد

أضحى شربهم في الأرض فالالا

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا

في رأس غمدان دارا منك محلالا

واشرب هنيئا فقد شالت نعمتهم

وأسيل اليوم في برديك إسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم

وكان ملك الحبشة باليمن منذ دخلها أرباط إلا أن أخرجتهم الفرس عنها اثنتين وسبعين سنة وفق ما ذكره سطح

وشق في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر

ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان

ثم مات فأمر كسرى ابن التينجان ثم عزله وولى باذان فلم يزل عليها حتى بعث الله محمدا {صلى الله عليه وسلم} {

فلما بلغ مبعثه كسرى كتب إلى باذان إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن

تاب وإلا فابعث إلي برأسه

فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} { إن

الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا

فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال إن كان نبيا فسيكون ما قال
فقتل الله كسرى على يد ابنه شرويه في اليوم الذي قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فقالت الرسل من الفرس إلى من نحن يا رسول الله قال أنتم منا وإلينا أهل البيت
قال الزهري فمن ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سلمان منا أهل البيت
وكل هذه الأخبار وإن قطعت بعض ما كنا بسبيله من أمر بني قصي فلها أيضا من الإفادة بنحو ما قصدناه وحسن
الإمتاع بالشأن المناسب لما اعتمدناه ما يحسن اعتراضها وينظم في سلك واحد مع ما مر من ذلك أو يأتي أغراضها
وعليها بمعونة الله في تجريد الترتيب لذلك كله تطبيق المنفصل ورد هذه الأحاديث المتفرقة في حكم الحديث المتصل
فنتيل ولا نمل وتقصر فلا نخل كل ذلك بركة المختار الذي يمينا تخليد أوليته وتيمنا بخدمة آثاره وسيرته صلى الله
عليه وعلى آله الأكرمين وصحابه
وكنا انتهينا من شأن بني قصي بعده إلى ما تراضوا به بينهم من الصلح على أن تكون السقاية والرفادة لبني عبد
مناف وتكون حجابة البيت واللواء والندوة لبني عبد الدار على نحو ما جعله قصي إلى أبيهم
فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف

وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد كثير وكان هاشم موسرا وكان فيما
يزعمون إذا حضر الحج قام صبيحة هلال ذي الحجة فيسند طهره إلى الكعبة من تلقاء بابها فيحض قومه على رفادة
الحاج التي سنها لهم قصي و يقول لهم في خطبته يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما
وأوسط العرب أنسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما
يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل حفظ منكم أحسن ما
حفظ جار من جاره وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة
ضيفه فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعنا غرا من كل بلد على ضواير كالتداح وقد أزهقوا وأرملوا فأقروهم
وأعينوهم فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم تقطع فيه
رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه
فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعله وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت
الله ومعونتهم إلا طيبا لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا
فكانت بنو كعب بن لؤي وسائر قريش يجتهدون في ذلك ويتراقدون عليه ويخرجون ذلك من أموالهم حتى يأتوا به
هاشم بن عبد مناف فيضعوه في داره حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم
يخرج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش أهل يسار ربما أرسل كل إنسان منهم بمائة مثقال هرقلية
وكان هاشم يأمر بجياض من آدم فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تحفر ثم يستقي فيها من البيار التي بمكة فيشرب
الحاج
وكان يطعمهم أول ما يطعمهم بمكة قبل التروية بيوم ثم بمنى وبجمع وعرفة يترد لهم الخبز واللحم والخبز والسمن
والسويق والتمر ويحمل لهم الماء فيطعمهم ويسقيهم حتى يصدروا

وكان اسم هاشم عمرا ويقال له عمرو العلاء وإنما سمي هاشما هشمة الخبز بمكة لقومه وهو فيما يذكرون أول من
سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وفي ذلك يقول بعض شعرائهم
عمرو العلاء هشم الثريد لقومه
قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء ورحلة الإصيف
وذلك أن قريشا كانوا قوما تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة إنما يقدم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ويتبايعون
فيما بينهم ويبيعون ممن حولهم من العرب
فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم إلى الشام فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون
وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم إلى شرف نفسه وكرم فعاله فذكر لقيصر فدعا به فلما رآه وكلمه أعجب به
وأدناه
فلما رأى هاشم مكانه منه طلب منه أمانا لقومه ليقدموا بلاده بتجارتهم فأجابته إلى ذلك وكتب لهم قيصر كتاب
أمان لمن أتى منهم
فأقبل هاشم بذلك الكتاب فكلما مر بحي من أحياء العرب أخذ من أشرفهم إيلافا لقومه يأمنون به عندهم وفي
أرضهم من غير حلف وإنما هو أمان الطريق
واستوفى أخذ ذلك ممن بين مكة والشام فأتى قومه بأعظم شيء أتوا به قط بركة فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج
هاشم معهم ليوفيههم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب فلم يزل يوفيههم إياه ويجمع بينهم وبين العرب حتى قدم بهم
الشام
فهلك هاشم في سفره ذلك بغزة من أرض الشام
وكان أول بني عبد مناف هلكا
وخرج المطلب بن عبد مناف وهو يسمى الفيض لسماحته وفضله إلى اليمن فأخذ من ملوكهم أمانا لمن تجر من قومه
إلى بلادهم ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن كان على طريقه من العرب كما فعل أخوه هاشم حتى أتى مكة ثم رجع
إلى اليمن فمات بردمان
وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه أمانا كذلك لمن تجر من قريش إلى بلاده ثم أخذ الإيلاف
من العرب الذين على الطريق إليها حتى بلغ مكة وتوفي بها فقبره بالحجون
وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه إلى العراق فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ثم أقبل يأخذ
الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع إلى العراق فمات بسلمان من ناحية العراق
فجبر الله قريشا بؤلاء الفجر الأربعة من بني عبد مناف فنمت أموالهم واتسعت تجارتهم فكان بنو عبد مناف يسمون
لأجل ذلك الحيزين والعرب تسميهم أقداح النصار لطيب أحسابهم وكرم فعالهم
وقال مطرود بن كعب الخراعي يكيهم جميعا حين أتاه نعي نوفل منهم وكان آخرهم هلكا
يا ليلة هيجت ليلاقي
إحدى ليالي القسيات
وما أفاسي من هموم وما

عاجلت من رزء المنيات
إذا تذكرت أخي نوفلا
ذكرني بالأوليات
ذكرني بالأرز الحمر والأردية
الصفرة القشيبات
أربعة كلهم سيد
أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسلمان
وميت بين غزات
وميت أسكن لحدا لدى الحجون
شرقي البنيات
أخلصهم عبد مناف فهم
من لوم من لام بمنجاة
إن المغيرات وأبناءها
من خير أحياء وأموات
وإنما سماهم المغيرات لأن عبد مناف أباهم كان اسمه المغيرة
فقيل المطرود فيما يزعمون لقد قلت فأحسنتم ولو كان أفحل مما هو كان أحسن
فقال أنظروني ليالي فمكث أياما ثم قال
يا عين جوذي وأذري الدمع وأنهمرى
وابكي على السر من كعب المغيرات
يا عين واستحنفري بالدمع واحتفلي
وابكي خبيثة نفسي في الملمات
وابكي على كل فياض أخي ثقة
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
محض الضريبة عالي الهم مختلق
جلد النحيزة ناء بالعظيمات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل
ماضي العزيمة متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب إذا نسوا
بجوحة المجد والشم الرفيعات
ثم اندي الفيض والقياض مطلبا
واستخرطي بعد فياض بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا

يا لهف نفسي عليه بين أموات
وابكي لك الويل إما كنت باكية
لعبد شمس بشرقي البنيات
وهاشم في ضريح وسط بلقعة
تسفي الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصي
أمسى بسلمان في رمس بمومات
لم ألق مثلهم عجمًا ولا عربًا

إذا استقلت بهم أدم المطيات
أمست ديارهم منهم معطلة
وقد يكونون زينا في السريات
أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم
أم كل من عاش أزواد المنيات
أصبحت أرضي من الأقوام بعلمهم
بسط الوجوه وإلقاء التحيات
يا عين وابكي أبا الشعث الشجيات
يبكيه حسرا مثل البليات
يبكين أكرم من يمشي على قلم
يعولنه بدموع بعد عبرات
يبكين شخصا طويل الباع ذا فخر
آبي الهضيمة فراج الجليات
يبكين عمرو العلاء إذ حان مصرعه
سمح السجية بسام العشيات
يبكيه مستكينات على حزن
يا طول ذلك من حزن وعولات
يبكين لما جلاهن الزمان له
خضر الحدود كأمثال الحميات
محتزمات على أوساطهن لما
جر الزمان من أحداث المصيبات
أبيت ليلي أراعي النجم من ألم
أبكي وتبكي معي شجوي بنياتي
ما في القروم لهم عدل ولا خطر
ولا لمن تركوا شروى بقيات

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم
خير النفوس لدى جهد الأليات
كم وهبوا من طمر سابح أرن
ومن طمرة نهب في طمرات
ومن سيوف من الهندي محلصة
ومن رماح كأشطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها
عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبت وأحصى الحاسبون معي
لم أحص أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون إما معشر فخرؤا
عند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التي خلوا مساكنها
فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقا مدامعها
لا يبعد الله أصحاب الرزيات

وكان هاشم بن عبد مناف قد قدم المدينة فتزوج بها سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار وكانت قبله عند
أحيحة بن الجلاح فيما ذكر ابن إسحاق

قال وكانت لا تنكح الرجال لشرفها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إن كرهت رجلا فارقت
فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شيبية فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك
ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك

فقال لها المطلب إني غير منصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت
شرف في قومنا نلي كثيرا من أمرهم ورهطه وعشيرته وبلده خير له من الإقامة في غيرهم أو كما قال
وقال شيبية لعمة المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها إلا أن تأذن لي
فأذنت له ودفعته إليه فاحتمله فدخل به مكة مردفة على بعيره فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه
فيها سمي شيبية عبد المطلب

فقال المطلب ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة
وذكر الزبير أن شيبية إنما سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب لما قدم به من يشرب ودخل به مكة ضحوة مردفه خلفه
والناس في أسواقهم ومجالسهم قاموا يرحبون به ويقولون من هذا معك فيقول عبد لي ابتعته يشرب فلما كان العشية
ألبسه حلة ابتاعها له ثم أجلسه في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره

فجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فيقولون هذا عبد المطلب لقول
المطلب فيه ذلك فلج اسمه عبد المطلب وترك شيبية

وكان يقال لعبد المطلب شيبية الحمد وإنما سمي شيبية لأنه كان في ذؤابته شعرة بيضاء

ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون
لقومهم من أمرهم قبله وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم
ويقال كان يعرف في عبد المطلب نور النبوة وهيبة الملك
قال الزبير ومكارم عبد المطلب أكثر من أن أحيط بها كان سيد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وفعلاً
وكمالاً
فصلى الله على المنتخب من ذريته للخصوص بأولية الفخر وآخرته وعلى آله الأكرمين وعترته وسلم تسليمًا

ذكر حفر عبد المطلب زمزم

وما يتصل بذلك من حديث مولد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد تقدم الخبر عن زمزم أنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي سقاها الله حين ظمأ وهو صغير
وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة بين صنمي قريش إساف ونائلة عند منحرف قريش فبقي أمرها كذلك إلى
أن أمر عبد المطلب بن هاشم بحفرها
فذكر ابن إسحاق وغيره من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ
أتاني آت فقال احفر طيبة قلت وما طيبة ثم ذهب عني
فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة ثم ذهب عني
فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المصنونة قلت وما المصنونة ثم ذهب عني
فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قلت وما زمزم
قال لا تنزف أبداً ولا تدم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين القرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل
فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غداً بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولد غيره
فحفر
فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر
فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنما بئر أينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا
معك فيها

قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم
قالوا له فأنصفنا فإننا غير تاركين حتى نخاصمك فيها
قال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم نخاصمكم إليه
قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم وكانت بأشراف الشام
فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض إذ
ذاك مفاوز
قال فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام في ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا
بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك
فمرنا بما شئت

قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في
حفرة ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا
قالوا نعم ما أمرت به فقام كل رجل منهم فحفر حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا
ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبغي لأنفسنا لعجز
فعمسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا

فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب إلى راحلته
فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب
وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم

ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم إلي الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا
فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا إن الذي
سقاك الماء بمذه القلادة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا
فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلصوا بينه وبينها

وفي غير حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن عبد المطلب قيل له حين أمر بحفر زمزم
ثم ادع بالماء الروي غير الكدر
يسقي حجيج الله في كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال تعلموا أنني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي
قال لا قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقا من الله يبين لك وإن يك من الشيطان فلن
يعود إليك

فرجع عبد المطلب إلى مضجعه فنام فيه فأقي فليل له أحفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم وهي تراث من أيك الأعظم
لا

تنزف أبدا ولا تدم تستقي الحجيج الأعظم مثل نعام حافل لم يقسم ينذر فيها نادر لمنعم تكون ميراثا وعقدا محكم
ليست كبعض ما قد تعلم وهي بين القرث والدم

فرعموا أنه حين قيل له ذلك قال وأين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا
فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين
الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم
فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثيننا هذين
اللذين ننحر عندهما

فقال عبد المطلب لابنه الحارث ذب عني فو الله لأمضين لما أمرت به
فلما عرفوا أن غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف أنه قد

صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرحهم فيها حين خرجت من مكة
ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا
فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا إلى أمر نصف بيني وبينكم فضرب
عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء
فهو له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت
فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش
ثم أعطوا القداح الذي يضرب بما عند هبل وهبل صنم في جوف الكعبة وهو
أعظم أصنامهم وهو الذي عنى أبو سفيان بن حرب لما نادى يوم أحد اعل هبل أي ظهر دينك
وقام عبد المطلب يدعوا الله وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف
والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش
فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلته الكعبة فيما
يزعمون
وذكر الزبير أن عبد المطلب لما أنبط الماء في زمزم حفرها في القرار ثم بجرها حتى لا تنزف ثم بنى عليها حوضا فطفق
هو وابنه يزعان عليها فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج

وكان قوم حسدة من قريش لا يزالون يكسرون حوضه ذلك بالليل ويغتسلون فيه فيصلحه عبد المطلب حين يصبح
فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فقيل له في المنام قل اللهم إني لا أحلها لغتسل وهي لشارب حل وبل
فقام عبد المطلب في المسجد فنأدى بالذي أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش أو
يغتسل فيه إلا رمي في جسده بداء حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته فرقا
وذكر الزبير أيضا أن عبد المطلب لما حفر زمزم وأدرك منها ما أدرك وجدت قريش في أنفسها مما أعطي فلقية
خويلد بن أسد بن عبد العزى فقال يا ابن سلمى لقد سقيت ماء رغدا ونثلت عادية حندا قال يا ابن أسد أما أنك
تشرك في فضلها والله لا يساعفني أحد عليها ببر ولا يقوم معي بأزر إلا بذلت له خيرا الصهر فقال خويلد بن أسد
أقول وما قولي عليهم بسنة
إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة إبراهيم يوم ابن آجر
وركضة جبريل على عهد آدم
فقال عبد المطلب ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بنارا بمكة وكانت خارجا
من مكة آبار حفائر قديمة من عهد مرة بن كعب وكلاب بن مرة وكبراء قريش الأول منها يشربون فعفت زمزم
على تلك النار التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج
وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن إبراهيم
عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب
وكان عبد المطلب فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر
ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة

فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء به فأطاعوه وقالوا وكيف
نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب اسمه فيه ثم اتنوني ففعلوا ثم اتوه فدخل بهم على هبل في جوف
الكعبة وكان على بئر في جوف الكعبة فيها يجمع ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قدح سبعة بما يضربون على ما
يريدون وإلى ما تخرج به القدح ينتهون في أمورهم

فقال عبد المطلب لصاحب القدح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه
وأخبره بنذره الذي نذر وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب بني أبيه
إليه فيما زعموا فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى

فلما أخذ صاحب القدح القدح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القدح فخرج
القدح على عبد الله فأخذ عبد المطلب يده وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من
أنديتها وقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت
هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم أمه وأم أخويه الزبير وأبي طالب
فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا
فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع فتسأها ثم أنت على رأس أمرك إن
أمرتك بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بحير فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب
خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله

فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدو عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية
فيكم قالوا عشرة من الإبل وكانت كذلك قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ثم
اضربوا عليه وعليها بالقدح فإن خرجت على صاحبكم فريدوا من الإبل حتى
يرضى ربكم وإن خرجت على الإبل فأنحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم

فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل
وعبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين
وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل وما زالوا كذلك يزيدون
عشر فعشرا من الإبل ويضربون عليها كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة من الإبل وقام
عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت قريش قد انتهى رضي ربك يا عبد المطلب

فزعموا أن عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الإبل وقام عبد
المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ثم عادوا الثانية والثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح في
كلتيهما على الإبل

فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزي وهي أخت
ورقة بن نوفل بن أسد وهي عند الكعبة

قال الزبير وكان عبد الله أحسن رجل رأي في قريش قط فقالت له حين نظرت إلى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال

مع أبي قالت لك مثل الإبل التي نخرت عنك وقع علي الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه
فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش
نسبا وموضعا

فرعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم خرج من
عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس قالت له
فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان
تنصر واتبع الكتب أنه كائن في هذه الأمة نبي
ويقال إن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة ابنة وهب وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها
إلى نفسها فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك ثم خرج
عائدا إلى آمنة فمر بتلك المرأة فدعته إلى نفسها فأبى عليها وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك قالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك
فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها
فرعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بي فأبى
علي ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو سبط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه {صلى الله عليه

وسلم}
ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن أمه كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به فقيل لها إنك قد حملت بسيد
هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي

أعيذه بالواحد

من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن هلك وأمه حامل به
هذا قول ابن إسحاق وخالفه كثير من العلماء فقالوا إن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان في المهدي حين توفي أبوه
ذكره اللولابي وغيره وذكر ابن أبي خيثمة أنه كان ابن شهرين وقيل أكثر من ذلك والله أعلم
وولد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم الاثنين لاثني عشر ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل قبل
بعد الفيل بخمسين يوما

وحكى الواقدي عن سليمان بن سحيم قال كان بمكة يهودي يقال له يوسف فلما كان اليوم الذي ولد فيه رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة في بحر تكم
هذه اليوم وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خيرا حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له ولد لابن عبد
المطلب غلام فقال هو نبي والوراثة

وقال حسان بن ثابت والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما أسمع إذا سمعت يهوديا يصرخ علي

أطمة بيثرب يا معشر يهود حتى إذا
اجتمعوا قالوا له ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به
وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليلا
قالت فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي
وذكر ابن مخلد في تفسيره أن إبليس رن أربع رنات رنة حين لعن ورنه حين أهبط ورنه حين ولد رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} ورنه حين أنزلت فاتحة الكتاب
قال ابن إسحاق فلما وضعت أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأنظر إليه فأتاه ونظر إليه
وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه
فيفزعون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها
ويروى أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها
زعموا أنه أري في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في
المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها
فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمدا
مع ما حدثته أمه

ولا يعرف في العرب أحد تسمى بهذا الاسم قبله سوى نفر سموا به من أجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع
التميمي ومحمد بن أحيحة بن الجلاح وآخر من ربيعة
وكان آباؤهم قد وفلوا على بعض الملوك ممن كان عنده علم بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي {صلى الله عليه
وسلم} وتقارب زمانه وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن
يسميه محمدا

ففعّلوا ذلك رجاء أن يكونه

والله أعلم حيث يجعل رسالاته

وقد وقع في مواضع أخر أن هؤلاء نفر كانوا أربعة ولم يذكر فيهم محمد بن أحيحة وحديثهم مخالف لما ذكرناه
خلافًا يسيرا

روينا من حديث عبد الملك بن أبي سوية عن أبيه عن جده قال سألت محمد بن عدي بن ربيعة كيف سماك أبوك
محمدا فقال سألت أبي عما سألتني عنه فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا فيهم وسفيان بن مجاشع بن دارم
وأسامة بن مالك بن خندف ويزيد بن ربيعة نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا إلى غدير عليه
شجرات وقربه شخص نائم فتحدثنا فاستمع كلامنا وأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هي لغة أهل هذه البلاد فقلنا
نحن قوم من مضر قال من أي المضريين قلنا من خندف قال أما إنه يبعث فيكم وشيكا نبي خاتم النبيين فسارعوا إليه
وخلوا بحظكم منه ترشدوا

فقلت له ما اسمه قال محمد فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل رجل منا ابن سماه محمدا
والتمس لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} الرضعا فاسترضع له من امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليلة
بنت أبي ذؤيب

وكانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء
قالت وفي سنة شهباء لم تبق لنا شيئا

قالت فخرجت على أتان لي قمرء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة ولا ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من
بكاؤه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ولكننا نرجوا الغيث والفرج
فخرجت على أتاني تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا

حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتأباه إذا قيل
لها إنه يتيم وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجدته فكنا نكرهه
لذلك

فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري
فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن إلى ذلك
اليتيم فلا خذنه

قال لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة
قالت فذهبت إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره
فلما أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعت في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب
معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنما لحافل فحلب منها ما
شرب وشربت حتى انتهينا ربا وشبعا

فتتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله إني لأرجو ذلك
ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر علي شيء من حميرهم حتى إن صواحي
ليقلن يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول هن بلى والله إنما هي
فيقلن والله إن لها لسانا

قالت ثم قدمنا منازلنا من بني سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به
معنا شبعا لبنا فحلب ونشرب وما يجلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون
لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي
شبعا لبنا

فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته
وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا
فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته

فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ فيني أحشى عليه وباء مكة
فلم نزل بها حتى ردهت معنا فرجعنا به

فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي
قد أخذه رجالان عليهما ثياب بيض فأضجعا فشقنا بطنه فهما يسوطانه
قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه

قالت فالترتمته والتزمه أبوه فقلنا ما لك يا بني

قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو

قالت فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به

قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به يا ظئر ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكنته عندك

قلت قد بلغ والله بابني وقصيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فأديته عليك كما تحبين

قالت ما هذا شأنك فاصدقني خبرك

قالت فلم تدعني حتى أخبرتها

قالت أفخوفت عليه الشيطان قلت نعم

قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإن لبني لشأنا أفلا أخبرك خبره قلت بلى

قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام

ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء

دعاه عنك وانطلق راشدة

ويروى أن نفرا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك

قال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر

فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة تلجأ فأخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا

فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الطلح حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزني بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول ما من نبي إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله قال وأنا

وكان يقول لأصحابه أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر

وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فقالت له إني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده فيزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوده ويدعو له ثم أرسل به إلى أمه آمنة

وذكر بعض أهل العلم أن ما حاج أمه السعدية على رده ما ذكرت لأمه ما أخبرتها عنه أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا إليه وسألوها عنه وقلوبه ثم قالوا لها لناخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فلم تكذب تنفقت به منهم

وذكر الواقدي أن أمه حليلة السعدية بعد أن رجعت به من عند أمه حضرت به سوق ذي الحجاز وبها يومئذ عراف من هوازن يؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم فلما نظر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وإلى الحمرة في عينيه وإلى خاتم النبوة صاح يا معشر العرب فاجتمع إليه أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي وانسلت به حليلة فجعل الناس يقولون أي صبي هو فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئاً قد انطلقت به أمه فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاماً وآهته ليغلبن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم فطلب بعكاظ فلم يوجد ورجعت به حليلة إلى منزلها فكانت بعد هذا لا تعرضه لأحد من الناس

ولقد نزل بهم عراف فأخرج إليه صبيان أهل الحاضر وأبت حليلة أن تخرجه إليه إلى أن غفلت عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخرج من المظلة فرآه العراف فدعاه فأبى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودخل الخيمة فجهد بهم العراف أن يخرج إليه فأبت فقال هذا نبي وقد عرضه عمه أبو طالب على عاتق من لهب كان إذا قدم من مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فأتاه به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه قال فنظر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم شغله عنه شيء فقال الغلام علي به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت أنفا فوالله ليكون له شأن وانطلق به أبو طالب

وكانت حليلة بعد رجوعها به من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما في الظهر فخرجت تطلبه حتى تجده مع أخته فقالت في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع تقول أمها أحقا يا بنية قالت إي والله قال تقول حليلة أعود بالله من شر ما يحذر علي ابني فكان ابن عباس يقول رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول رجع إليها وهو ابن أربع سنين هذا كله عن الواقدي

قال ابن إسحاق فكان النبي {صلى الله عليه وسلم} مع أمه آمنة وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه بينته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته

فلما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به إلى أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به إلى مكة فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع جده عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

قالوا وكانت أم أيمن تحدث تقول كنت أحضن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فغفلت عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابني قلت لا أدري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم

وكان لا يأكل طعاما إلا قال علي بابني فيؤتي به إليه
وحدث كعب بن مالك عن شيوخ من قومه أنهم خرجوا عمارا وعبد المطلب يومئذ حي بمكة ومعهم رجل من يهود
تيماء صحبهم للتجارة يريد مكة أو اليمن فنظر إلى عبد المطلب فقال إنا نجد في كتابنا الذي لم يبدل أنه يخرج من
ضئضي هذا نبي يقتلنا وقومه قتل عاد
وجلس عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران وكان صديقا له وهو يجادته وهو يقول إنا نجد صفة نبي بقي
من ولد إسماعيل هذه مولده من صفته كذا وكذا
وأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على هذا الحديث فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال
هو هذا فقال الأسقف ما هذا منك قال ابني
قال الأسقف لا ما نجد أباه حيا قال عبد المطلب هو ابن ابني مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب
تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردم فرآه قوم من بني مدلج فدعوه
فنظروا إلى قدميه وإلى أثره ثم خرجوا في طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه فاعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا
منك قال ابني قالوا فاحتفظ به فإننا لم نر قدما قط أشبه بالقدم الذي في المقام من قدمه
فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به
وقد روي أبو داود السجستاني من حديث ابن عباس قال أتى نفر من قريش امرأة كاهنة فقالوا أخبرينا بأقرينا شيها
بصاحب هذا المقام

قالت إن جررت على السهلة عباءة ومشيتم عليها أنباتكم بأقربكم شيها به
فجروا عليها عباءة ثم مشوا عليها فرأت أثر قدم ل محمد {صلى الله عليه وسلم} فقالت هذا والله أقربكم شيها به
قال ابن عباس فمكثوا بعد عشرين سنة ثم بعث محمد {صلى الله عليه وسلم}
ولما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبيشة وذلك بعد مولد النبي {صلى الله عليه وسلم} أتته وفود العرب وأشرفها
وشعراؤها يهنئونه ويمدحونه ويذكرون من حسن بلانه وطلبه بثأر قومه

فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم في أناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فأذن لهم فلما دخلوا
عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام فقال إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذن لك
فقال عبد المطلب إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنتك منبتا طابت أرومته وعزت
جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن

وأنت أيها الملك رأس العرب الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومقلها الذي يلجأ إليه العباد سلفك لك
خير سلف وأنت لنا فيه خير خلف فلم يخمل من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله
وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أجهنا بكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنة لا وفد المرزنة
فقال له سيف وأيهم أنت أيها المتكلم فقال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم قال أدنه فأدناه

ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال لهم مرحبا وأهلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرايتكم وقبل وسيلتكم وأنتم أهل
الليل والنهار فلکم الكرامة ما أقمتم والحياء إذا ظعنتم

ثم أهدوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف

ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فقال له إني مفوض إليك من سني علمي أما لو يكون غيرك لم أبح له به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مكنونا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اختزناه لأنفسنا واجتبيناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة

فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فذاك أهل الوبر زمرا بعد زمر

فقال إذا ولد بتهمامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة

فقال له عبد المطلب لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من ساره إياي ما أزداد به سرورا

فقال له ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض ويكسر الصليبان ويحمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهي عن المنكر ويبطله

فقال له عبد المطلب عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري يافصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح

فقال له ابن ذي يزن والبيت والحجب والعلامات والنصب إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أمرك هل أحسست بشيء مما ذكرت لك

فقال عبد المطلب كان لي ابن وكنت عليه رفيقا فزوجته كريمة كرائم قومه فجاء بغلام فسميته محمدا فمات أبوه وأمه وكفلته أنا

فقال له ابن ذي يزن إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم أعداؤه ولن يجعل الله عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لا آمن أن تدخلهم التعاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبال وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا أي أعلم أن الموت محترمي قبل مبعته لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكه فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل النصر له وموضع قبره ولولا أي أخاف عليه الآفات واحذر عليه العاهات لأعلنت على حدائة سنه بذكره ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء وحلس من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة عنبرا

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كله وقال له إذا حال الحول فانتني

فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني أحدكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نفاذ ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبتي من بعدي ذكره وفخره وشرفه

فإذا قيل له فما ذاك قال ستعلمون نبأه ولو بعد حين

وحديث سيف بن ذي يزن هذا عن غير ابن إسحاق وهو عندنا بالإسناد وقد تقدم ما ألقاه تبع الآخر إلى ملوك حمير وأبنائهم من أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأن علم سيف بذلك إنما كان من تلك الجهات والله أعلم

ثم إن عبد المطلب بن هاشم هلك عن سن عالية مختلف في حقيقتها
أدناها فيما انتهى إلي ووقفت عليه خمس وتسعون سنة ذكره الزبير وأعلاها فيما ذكر الزبير أيضا عن نوفل بن
عمارة قال كان عبيد بن الأبرص ترب عبد المطلب وبلغ مائة وعشرين سنة وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة

وقال محمد بن سعيد بن المسيب لما حضرت الوفاة عبد المطلب وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ستا صافية وبرة
وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأميمة وأروى فقال لهن ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت
فقال كل واحدة منهن شعرا ترثيه به وأنشدته إياه فإشار برأسه وقد أصمت أن هكذا فابكينني
وذكر ابن اسحاق تلك الأشعار

وقال ابن هشام إنه لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها
قال ابن إسحاق وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب يكي عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل
قصي على قريش وفضل ولده من بعده عليهم

أعيني جودا بالدموع على الصدر

ولا تسأما أسقيتما سبل القطر

وجودا بدمع واشفحا كل شارق

بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر

وسحا وجما واسجما ما بقيتما

على ذي حياء من قريش وذي ستر

على رجل جلد القوي ذي حفيظة

جليل اخيا غير نكس ولا هذر

على المزرد البهلول ذي البأس والندی

ربيع لؤي في القحوط وفي العسر

على خير حاف من معد وناعل

كريم المساعي طيب الخيم والنجر

على شيبه الحمد الذي كان وجهه

يضيء سواد الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخير هاشم

وعبد مناف ذلك السيد الفهري

طوى زمزما عند المقام فأصبحت

سقايته فخرا على كل ذي فخر

ليبك عليه كل عان بكربة

وآل قصي من مقل وذي وفر

بنوه سراة كهلهم وشباهم

تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

قصي الذي عادى كنانة كلها

ورابط بيت الله في العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها
فقد عاش ميمون التقيية والأمر
وأبقى رجلا سادة غير عزل
مصاليت أمثال الردينية السمر
أبو عتية الملقى إلي حباه
أغر هجان اللون من نفر غر
وحزمة مثل البدر يهتز للندى
نقي الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة
وصول لذي القربي رحيم بذى الصهر
كهولهم خير الكهول ونسلهم
كنسل الملوك لا تبور ولا تحري
متى ما تلاقي منهم الدهر منهم ناشنا
تجده ياجريا أوائله يجري
هم ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا
إذا استبق الخيرات في سالف العصر

وهم حضروا والناس باد فريقيهم
وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
بنوها ديارا جمعة وطووا بها
بنرا تسح الماء من ثبح بحر
لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم
إذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة أيام تظل ركايم
محبسة بين الأخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة
ولا نستقي إلا بنجم أو الحفر
هم يغفرون الذنب ينقم دونه
ويعفون عن قول السفاهة والهجر
أخارج إما أهلكن فلا تنزل
لهم شاكرا حتى تعيب في القبر
ولا تنس ما أسدى ابن لبني فإنه
قد أسدي يدا محقوقة منك بالشكر

وأنت ابن لبني من قصي إذا انتموا
بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وأملك سر من خزاعة جوهر
إذا حصل الأناساب يوماً ذوو الخبر
إلى سبأ الأبطال تنمي وتنمي
وأكرم بما منسوبة في ذري الدهر

ابن لبني هذا أبو هب عبد العزي بن عبد المطلب وهو أبو عتبة الذي ذكره قبل في هذا الشعر
وكانت أمه امرأة من خزاعة اسمها لبني بنت هاجر ولذلك قال وأملك سر من خزاعة
ونماها إلى سبأ الأبطال بناء على ما قدمناه من انتماء خزاعة إلى عمرو بن عامر بن غسان وانفائهم من المضرية
واليد التي ذكر هذا الشاعر أنها ترتبت عليه لأبي هب وذكر ابن إسحاق أنه كان أخذ بغرم أربعة ألف درهم بمكة
فوقف بما فمر به أبو هب فافتكه

ونسب الزبير هذا الشعر لحذافة بن غانم ودليله قوله فيه أخرج إما أهلكن البيت
فإن خارجه هو ابن حذافة وحذيفة الذي نسب ابن إسحاق إليه الشعر هو أخو حذافة ولا يعرف له ابن يسمى
خارجة وإنما هو والد أبي جهم بن حذيفة واسم أبي جهم عبيدوهو الذي بعث إليه رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} بالخميسة ذات الأعلام التي أظنته عن صلته وأمر أن يؤتي بأنجانية
ولما هلك عبد المطلب ولي زمزم والسقاية عليها ابنه العباس وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا فلم تزل إليه حتى قام
الإسلام وهي بيده فأقرها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ما مضى من ولايته وكان رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} يجله إجلال الولد الوالد

يقول كريب مولى ابن عباس وما ينبغي لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يجال إلا والدا أو عما فضيلة خص الله
بها العباس دون من سواه

وقال {صلى الله عليه وسلم} احفظوني في عمي عباس فإن عم الرجل صنو أبيه
وطلع يوماً على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال هذا العباس أجود قريش كفا وأوصلها
ولم يزل العباس سيداً في الجاهلية والإسلام يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب
قال الزبير وكان يقال كان للعباس بن عبد المطلب ثوب لعاري بني هاشم وجفنة لجائعهم ومقطرة لجاهلهم والمقطرة
خشبة ذات سلسلة يجبس فيها الناس
وفي ذلك يقول إبراهيم بن علي بن هرمة
وكانت لعباس ثلاث نعدھا

إذا ما جناب الحي أصبح أشهباً
فسلسلة تنهي الظلوم وجفنة
تناخ فيكسوها السنم المرغبا
وحلمة عصب ما تزال معدة
لعار ضريك ثوبه قد تمدا

وقال ابن شهاب لقد جاء الله بالإسلام وإن جفنة العباس لتلور على فقراء بني هاشم وإن قيده وسوطه لمعد

لسفها نهم

قال فكان ابن عمر يقول هذا والله الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفه
وكان أبو بكر وعمر في ولايتهما لا يلقي العباس واحد منهما وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها ومشى مع
العباس حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه
وبقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد مهلك جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب
وكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون
وذلك أن عبد الله أبا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبا طالب أخوان لأب وأم فكان أبو طالب هو الذي يلي
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد جده فكان إليه ومعه
وذكر الواقدي أن أبا طالب كان مقلا من المال وكانت له قطعة من الإبل تكون بعرة فيبدو إليها فيكون فيها ويؤتي
بلبنها إذا كان حاضرا بمكة

فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعا وفرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شبعوا
فكان أبو طالب إذا أراد أن يعشيهم أو يغديهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني

فيأتي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وإن كان لنا شرب رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} أولهم ثم يناول العيال القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد وإن كان
أحدهم ليشرب قعبا
فيقول أبو طالب إنك مبارك

وكان الصبيان يصحون شعنا رمضا ويصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دهبنا كحبالا
وقالت أم أيمن وكانت تحضنه ما رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شكا جوعا قط ولا عطشا وكان يغلوا
إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فرما عرضنا عليه الغذاء فيقول لا أريده أنا شعبان
قال ابن إسحاق ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام فلما قفيا للرحيل صب به رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} فيما يزعمون فرق له أبو طالب وقال والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا أو كما قال
فخرج به معه فلما نزل الركب بصري من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيري في صومعة له وكان إليه علم أهل
النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابر
عن كابر

فلما نزلوا ذلك العام بحيري وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام
فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون
أنه رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا في ظل
شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة وتحصرت أغصان الشجرة على رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيري نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال
إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم
فقال له رجل منهم والله يا بحيري إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم
قال له بحيري صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحبيت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه
كلكم

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم فلما نظر بحيري في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا يا بحيري ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش واللات والعزى إن كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيري جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيري فقال يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرني عما أسألك عنه وإنما قال له بحيري ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما فرعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيري فبالله إلا ما أخبرني عما أسألك عنه قال له سلني عما بدا لك

فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيبته وأموره ويخبره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته وأموره ويخبره ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فإنه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشلم فرعموا أن نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مثل ما رأى بحيري في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم عنه بحيري وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته وأنهم إن أجمعوا إلى ما أرادوا لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه

فشب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهها وتكرما حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة

وكان {صلى الله عليه وسلم} يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك إزارك قال فأخذته فشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي وذكر البخاري عنه {صلى الله عليه وسلم} أنه قال ما هممت بسوء من أمر الجاهلية إلا مرتين وروى غيره أن إحدى المرتين كان في غم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني أمر الغنم حتى آتي مكة وكان بها عرس فيها هو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ألقى عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له والمرّة الأخرى مثل الأولى سواء

وذكر الواقدي عن أم أيمن قالت كانت بوانة صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما إلى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يحضر ذلك العيد معهم فيأبي ذلك

قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن إنا لخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فرعا فقلن له ما دهاك قال إني أخشى أن يكون بي لم فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه

قالت فما عاد إلى عيد لهم حتى نبيء {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله وما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد فيما ذكره غير واحد من أهل العلم

وذكر الواقدي بإسناد له إلى نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية وقد رويناها أيضا من طريق أبي علي ابن السكن وحديث أحدهما داخل في حديث الآخر مع تقارب اللفظ وربما زاد أحدهما الشيء اليسير وكلاهما ينمى إلى نفيسه قالت لما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأيمن لما تكاملت فيه من خصال الخير قال أبو طالب يا بن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرا وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجلا من قومك في غيراتها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع

فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وإن كنت لأكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا تجد من ذلك بدا

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فتكون غيرها كعامة غير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة

وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم بشيء

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلعلها ترسل إلي في ذلك

فقال أبو طالب إني أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك ما قد بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمت أنه يريد هذا

ثم أرسلت إليه فقالت إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك

ففعّل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولقى أبا طالب فذكر له ذلك فقال إن هذا لرزق ساقه الله إليك فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم الشام فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نسطورا فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ثم قال له في عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه

فقال الراهب هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة
ثم حضر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى فكان بينه وبين رجل
اختلاف في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما حلفت بهما قط
فقال الرجل القول قولك

ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده إنه لو تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم
فوعى ذلك ميسرة

ثم انصرف أهل العير جميعا

وكان ميسرة يرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكان يظلاله من الشمس
وهو على بعيره

قال وكان الله عز وجل قد ألقى على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الخبة من ميسرة
فكان كأنه عبد لرسول الله فلما رجعا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى دخل
مكة في ساعة الظهرية وخديجة في علية لها معها نساء فيهن نفيسة بنت منية فرأت رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجب لذلك

ودخل عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخبرها بما ربحوا فسرت بذلك فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما
رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول الراهب نستورا وقول الآخر الذي خالفه
في البيع

قالوا وقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بتجارتهما فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له ما سميت له
فلما استقر عندها هذا وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط
نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو يقدر عليه عرضت عليه
نفسها

فقالت له فيما يزعمون يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وصيتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق
حديثك

فلما قالت له ذلك ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله حتى دخل على خويلد بن
أسد فخطبها إليه فتنزوها

هكذا ذكر ابن إسحاق وذكر الواقدي وغيره من حديث نفيسة أن خديجة أرسلت إليه دسيسا فدعته إلى تزوجها
فلما أجاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد فحضر ودخل رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} في عمومته فزوجه أحدهم

وقال عمرو هذا القحل لا يقدر أنفه

قال ابن هشام وأصدقها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عشرين بكرة

وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت

قال ابن إسحاق فولدت خديجة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولده كلهم إلا إبراهيم القاسم وبه كان يكنى
والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم

كلثوم وفاطمة

فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية
وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه
هذا قول ابن إسحاق في ذكور البنين أنهم هلكوا في الجاهلية
وقال الزبير بن بكار وهو من أئمة هذا الشأن ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيب ولد بعد النبوة ومات
صغيرا
وفي مسند القرظي ما يدل على أنه مات قبل أن يتم رضاعه وبعد النبوة

وذلك أن خديجة دخل عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد موت القاسم وهي تبكي عليه فقالت يا رسول
الله لو كان عاش حتى تكمل رضاعته لهن علي فقال إن له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته فقالت لو أعلم ذلك
لهون علي فقال إن شئت أسمعك صوته في الجنة فقالت بل أصدق الله ورسوله
قال ابن هشام وأما إبراهيم فأمه مارية سرية النبي {صلى الله عليه وسلم} التي أهداها إليه المقوقس من حفن من
كورة أنصاء وهي قبطية من قبط مصر وهذا هو الصهر الذي ذكره لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في قوله
الله الله في أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإن لهم نسبا وصهرا
قال مولى غفرة نسيهم أن أم إسماعيل النبي عليه السلام منهم وصهرهم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تسرر
فيهم

وفي حديث آخر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إذا افتتحتم معر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة
ورحما

قال ابن إسحاق وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن
أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة
من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاله
فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبى هذه الأمة قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه
أو كما قال

فجعل ورقة يستطىء الأمر ويقول حتى متى وقال في ذلك
لججت وكنت في الذكرى لجوجا

لهم طالما بعث النشيجا

ووصف من خديجة بعد وصف

فقد طال انتظاري يا خديجا

ببطن المكتين على رجائي

حديثك أن أرى منه خروجا

بما خبرتنا من قول قس

من الرهبان أكره أن يعوجا

بأن محمدا سيسود يوما

ويخصم من يكون له حجيجا

ويظهر في البلاد ضياء نور

يقيم به البرية أن تموجا
فيلقي من بحار به خسارا
ويلقي من يسالمه فلوجا
فيا ليتي إذا ما كان ذاكم
شهدت فكنت أولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهت قریش
ولو عجت بمكثها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعا
إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفاهة غير كفر
بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور

يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى
من الأقدار متلفة حروجا

الوافر وقال ورقة بن نوفل أيضا في ذلك وهو مما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق
أتبكر أم أنت العشيّة رائح
وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم
كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد
يخبرها عنه إذا غاب ناصح)

فتاك الذي وجهت يا خير حرة بغدو وبالنجدين حيث الصحاح
إلى سوق بصرى في الركاب التي غدت وهن من الأحمال قعص دواخ
فخبرنا عن كل حبر بعلمه وللحق أبواب لهن مفاتيح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بماء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤي بن غالب شباهم والأشبيون الجحاح
فإن أبق حتى يدرك الناس دهره فإني به مستبشر الود فارح
وإلا فإني يا خديجة فاعلمي عن أرضك في الأرض العريضة سائح
الطويل

ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما أحدثوه في المناسك

ولما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة قال موسى بن عقبة وإنما حمل قريشا على ذلك أن السيل كان أتى من فوق الردم الذي صنعوا فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة فأرادوا أن يشلوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا وأعدوا لذلك نفقة وعمالا ثم عمدوا إليها ليهلموها على شفق وحذر من أن يمنعهم الله الذي أرادوا قال ابن إسحاق وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها ويهايون هدمها وإنما كانت رضما فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة قال وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة قال ابن هشام فقطعت قريش يده وترعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك

قال وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبضي نجار فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يهدى لها فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهايون وذلك أنه كان لا ما يدخلها أحد إلا احزالت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهايونها فينا هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاخطفها فذهب بها فقالت قريش إنا لئرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسيكم إلا طيبا لا تدخلوا فيها معر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس

والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم إن قريشا تجرات الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب رهو الحطيم ثم إن الناس هابوا هلمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدوكم في هلمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع ويقال لم نزع اللهم إنا لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء هدمنا فقد رضي الله ما صنعنا

فأصبح الوليد من ليلته غاديا إلى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضا

وقال ابن إسحاق فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس

قال وحدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أحشباها مبارك لأهلها في الماء واللبن

وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يجلها أول من أهلها وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي {صلى الله عليه وسلم} بأربعين سنة إن كان ما يذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب

قال ابن إسحاق ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاخصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تجاوزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنوا عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال {صلى الله عليه وسلم} هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده {صلى الله عليه وسلم} ثم بني عليه

وكانت الكعبة على عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} ثمان عشرة ذراعا كانت تكسي القباطي ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف هذا قول ابن إسحاق وقال الزبير أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير

وذكر جماعة سواهما منهم الدار قطني أن نثلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس يومئذ وهو صغير فنذرت إن هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

وذكر الزبير أن الذي أضلته نثلة بنت جناب إنما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس ونذرت أن تكسو البيت إن وجدته فكسسته حين وجدته ثيابا بيضا فالله تعالى أعلم

قال ابن إسحاق وكانت قريش لا أدري أقبل القيل أم بعده ابتدعت أمر الحمس رأيا رأوه وأداروه

فقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطن مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقتنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظمون شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم

فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وان يفيضوا منها إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم يولادهم إيهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم

ما يحرم عليهم

وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك

ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغي للحمس أن يأثقتوا الأقط ولا يسألوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرماً ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاً أو عمارة ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عمارة فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب حمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم

يمسها هو ولا أحد غيره أبداً فكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقي

فحملوا على ذلك العرب فدانت به فوقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطاقوا بالبيت عمارة أما الرجال فيطوفون عمارة وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا ثوباً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه فكانوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمداً {صلى الله عليه وسلم} فأنزله الله عليه حين أحكم له دينه وشرع له سنن حجة ثم أفاضوا من حيث أفاض الناس الآية البقرة ١٩٩ يعني قريشا والناس والعرب فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها

وأنزل عليهم فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عند البيت عمارة وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية كلها (التوبة ٣٧٤) فوضع الله أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه عن الناس بالإسلام حيث بعث الله به رسوله ولم يكن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالموافق قومه على تغيير مشاعر الحج والعدول عن مواقف الناس قال جبير بن مطعم لقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن ينزل عليه الوحي وإنه لو أقف على بعيره بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله له

وقد تقدم ما أحدثوه في النسيء وما أبطل الله من حكمه بقوله سبحانه إنما النسيء زيادة في الكفر (الأعراف ٣١

- ٣٢)

فأغني ذلك عن إعادته

ذكر ما حفظ عن الأخبار والرهبان

والكهان من أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل مبعثه سوى ما تقدم من ذلك مع ذكر شيء مما سمع من ذلك عند الأصنام أو هفتت به الهوائف

قال ابن إسحاق وكانت الأخبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل مبعثه لما تقارب من زمانه

أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعما وجلوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك وكان الكاهن

والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالا حتى بعته الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرّفوها

فلما تقارب أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها لاستراقه فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد يقول الله لنبيه {صلى الله عليه وسلم} حين بعته يقص عليه خبرهم إذ حججوا قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا

يهدي إلى الرشد فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبه ولا ولدا وأنه كان يقول سفيها على الله شططا وأنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشبها وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رهم رشدا (الجن ١ - ١٠)

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجّة وقطع الشبهة فآمنوا به وصدقوا ثم ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم (الأحقاف ٢٩ - ٣٠)

وقول الجن وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن الآية هو أن الرجل من العرب من قريش وغيرهم كان إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال إني أعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة من شر ما فيه وذكر أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وأهم جاعوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم

قال بلى فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وإن كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لنفر من الأنصار ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به قالوا يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ملك ولد مولود مات مولود

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به فسترقه

الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتون به الكهان فيخطنون بعضا ويصيون بعضا ثم إن الله حجبت الشياطين بهذه النجوم التي يقدفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة

وذكر أبو جعفر العقيلي بإسناد له إلى هيب بن مالك اللهي قل حضرت عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند كذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فإننا قد فرعنا لها وخفنا سوء عاقبتها

فقال انتوني بسحر أخبركم الخبر ألخير أم ضرر ولأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه فنادينا يا خطر يا خطر فأومأ إلينا أن أمسكوا فأمسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته أصابه أصابه خامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايلة جوابه يا ويحه ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت جباله وغبرت أحواله

ثم أمسك طويلا وقال يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤمن السدان لقد منع السمع عتاة الجان بناقب بكف ذي سلطان من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل والقرآن وبالهدى وفاضل الفرقان تبطل به عبادة الأوثان قال فقلنا يا خطر إنك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومي ما أرى لنفسي
أن يتبعوا خير بني الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث في مكة دار الحمس
بمحكم التنزيل غير اللبس
الرجز

فقلنا له يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش إنه لمن قريش ما في حلمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش وأي جيش من آل قحطان وآل أيش فقلنا بين لنا من أي قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم إنه لمن نجل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثلاثة فقال لا إله إلا الله

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العم أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيظة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحنها ثم قال بدر ما بدر يوم عقر ونحر فقالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد

ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحنها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب

فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو
فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه
قال وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله
{ صلى الله عليه وسلم } وانتشر في العرب قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله
فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم
قال أيها الناس إن الله أكرم محمدا

واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم أسند في جبله راجعا من حيث جاء
وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إذ
أقبل رجل من العرب يريد عمر فلما نظر إليه عمر قال إن الرجل لعلى شركه ما فارقه أو لقد كان كاهنا في
الجاهلية

فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر هل أسلمت قال نعم يا أمير المؤمنين قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية فقال
الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيته منذ وليت
فقال عمر اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونعنتق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله
وبالإسلام

قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية
قال فأخبرني ما جاء به صاحبك
قال جاءني قبيل الإسلام بشهر أو شيعه فقال ألم تر إلى الجن وإبلاسه وإياسها من دينها و لوقها بالقلاص
وأحلاسها

قال ابن هشام هذا الكلام سجع وليس بشعر وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر
عجبت للجن وإبلاسه
وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما مؤمن الجن كأنجاسها
السريع

فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك يحدث الناس والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح لهم
رجل من العرب عجلا فنحن

نتنظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قط أتقذ منه وذلك قبيل الإسلام بشهر أو
شيعه يقول يا ذريح أمر نحيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله
قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله
وهذا الرجل الذي ظن به عمر رضي الله عنه ما ظن هو سواد بن قارب اللوسي وكان يتكهن في الجاهلية

وقد ذكر خبره غير ابن إسحاق فساقه سياقة أحسن من هذه وأتم وذكر فيه أنه كان نائما على جبل من جبال
السراة ليلة من الليالي فأتاه آت فضر به برجله وقال

قم يا سواد بن قارب أذاك رسول من لؤي بن غالب

قال فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن وتطابها

وشدها العيس بأقتابها

تموى إلى مكة تبغي الهدى

ما صادق الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم

ليس قدامها كأذناها

السريع

وأناه في الليلة الثانية فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب أذاك رسول من لؤي بن غالب قال فرفعت رأسي

وجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن وأخبارها

ورحلها العيس بأكوارها

تموي إلى مكة تبغي الهدى

ما مؤمنوها مثل كفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم

ليس قدامها كأدبارها

السريع

وأناه في الليلة الثالثة بعدما نام فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب أذاك رسول الله من لؤي بن غالب قال

فرفعت رأسي فجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن وإبلاها

ورحلها العيس بأحلاسها

تموى إلى مكة تبغي الهدى

ما مؤمنوها مثل أرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم

وارم بعينيك إلى رأسها

السريع

قال فلما أصبحت اقتعدت بعيري فأتيت مكة فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد ظهر فأخبرته الخبر وبايعته

وفي بعض طرق حديثه أنه أنشد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شعرا منه في معنى ما جاءه به رثيه

أتاني رثيي بعد هده وهجعة

ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة

أذاك رسول من لؤي بن غالب

فرفعت أذيال الإزار وشمرت
بي العرمس الوجنا هجول السباب
فأشهد أن الله لا شيء غيره
وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أذني المرسلين وسيلة
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا
وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا حين لا ذو قرابة
بمغن فتيلنا عن سواد بن قارب
الطويل

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في قومه دوس حين بلغهم وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يشتهم في الدين
و يحضهم على التمسك بالإسلام سنذكره إن شاء الله مع نظائره بعد استيفاء الخبر عن وفاة رسول الله {صلى الله
عليه وسلم}

وذكر الواقدي بإسناد له قال كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خنعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا
يتحاكمون إلى أصنامهم فيقال لأبي هريرة هل كنت أنت تفعل ذلك فيقول قد والله فعلت فأكثرت فالحمد لله الذي
تنقذني بمحمد {صلى الله عليه وسلم}

قال أبو هريرة فيينا الخنعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يهتف

يا أيها الناس ذوو الأجسام

ومسندو الحكم إلى الأصنام

أكلكم أورده كالكهام

ألا ترون ما أرى أمامي

من ساطع يجلو دجي الظلام

ذاك نبي سيد الأنام

من هاشم في ذروة السنام

مستعلن بالبلد الحرام

جاء بهدم الكفر بالإسلام

أكرمه الرحمن من إمام

السريع

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثلاثة حتى فجأهم خبر رسول الله {صلى الله

عليه وسلم} أنه قد ظهر بمكة قال فما أسلم الخنعميون حتى استأخر إسلامهم ورأوا عبرا عند صنمهم

وذكر الواقدي أيضا أن رجلا من الأنصار حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال انطلقت أنا وصاحبان لي نريد

الشام حتى إذا كنا بقفرة من الأرض نزلنا بها فيينا نحن كذلك لحقنا راكب فكنا أربعة وقد أصابنا سغب شديد

والنفت فإذا أنا بظبية عضباء ترتع قريبا مني فوثبت إليها فقال الرجل الذي لحقنا حل سبيلها لا أبا لك والله لقد رأيتنا ونحن نسلك هذا الطريق ونحن عشرة أو أكثر فيختطف بعضنا بعضا فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما يهاج بها أحد

فأبيت وقلت لا لعمر الله لا أحليها فارتحلنا وقد شددت معي حتى إذا ذهب سدف من الليل إذا هاتف يهتف بنا ويقول

يا أيها الركب السراع الأربعة

خلوا سبيل النافر المفرعة

خلوا عن العضباء في الوادي سعه

لا تدجن الظبية المروعة

فيها لأيتام صغار منفعه

الرجز

قال فخلت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام فقضينا حوائجنا ثم أقبلنا حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف بنا هاتف من خلفنا

إياك لا تعجل وخذها من ثقه

فإن شر السير سير الخفقه

قد لاح نجم فأضاء مشرقه

يخرج من ظلما عسوف موبقه

ذاك رسول مفلح من صدقة

الله أعلى أمره وحققه

الرجز

قال الرجل فأتيت مكة فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يدعو إلى الإسلام

فقال عمر الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد {صلى الله عليه وسلم}

وروينا عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي بإسناد متصل إليه قال لقيت شيوخا من شيوخ طيء المقدمين فسألتهم

عن قصة مازن يعني مازن بن الغضوبة الطائي وسبب إسلامه ووفوده على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

واقطاعه أرض عمان وذلك بمن الله وفضله

وكان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سنابل قال مازن فعترت ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من

الصنم يقول يا مازن أقبل أقبل فاسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل فأمن به كي تعزل عن حر نار تشعل

وقودها بالجنديل

قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا أبين من الأول وهو يقول يا

مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الأكبر فدع نحيتنا من حجر تسلم من حر سقر

قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب وإنه لخير يراد بي وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال

خرج بنهامة رجل يقول لمن أتاه أجييوا داعي الله يقال له أحمد

فقلت هذا والله نأ ما سمعت

ففرت إلى الصنم فكسرتة جذاذا وشدت راحلتي ورحلت حتى أتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فشرح لي
الإسلام فأسلمت فأنشأت أقول
كسرت يا جر أجد اذا وكان لنا
ربا نطيف به ضالا بتضلال
بالهاشمي هداانا من ضاللتنا
ولم يكن دينه منا على بال
يا راكبا بلغن عمرا وإخوتها
أني لمن قال ربي يا جر قلبي
البيسط

وقلت يا رسول الله إني امرؤ مولى بالطرب وشرب الخمر وبالهلوك إلى النساء وألحت علي السنون فأذهب الأموال
واهزلن الدراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا
فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرām الحلال واتهم بالحياء وهب له ولدا
قال مازن فأذهب الله عني كل ما أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن وأنشأت
أقول

إليك رسول الله سقت مطيبي
تجوب الفياقي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصي
فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
إلى معشر خالفت في الله دينهم
فلا رأيهم رأيي ولا شرحهم شرجي
وكنت امرءا بالزعب والخمر مولعا
شبابي حتى أذن الجسم بالنهج
فأصبحت همي في جهاد ونبي
فلله ما صومي ولله ما حجتي

الطويل

ومما يلحق بهذا الباب من حسان أخبار الكهان وإن كان بعد المبعث بزمان ولكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة في
الدلالة على صدق الرسول والإعلام بالغيب المجهول والإرشاد إلى سواء السبيل ما ذكره أبو علي إسماعيل بن
القاسم في أماليه بإسناد له إلى ابن الكلبي عن أبيه قال
كان خنافر بن التوأم الحميري كاهنا وكان قد أوتى بسطة في الجسم وسعة في المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود
اليمن على النبي {صلى الله عليه وسلم} وظهر الإسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج بأهله وماله ولحق
بالشحر فحالف جودان بن يحيى الفرضمي وكان سيديا منيعا ونزل بواد من أودية الشحر مخصب كثير الشجر من
الأيك والعرين

قال خنافر وكان رئي في الجاهلية لا يغيب عني فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة وساعني ذلك فبينما أنا ليلة في ذلك الوادي نائما إذ هوي هوي العقاب فقال خنافر قلت شصار فقال اسمع أقل قلت اسمع فقال عه تغم لكل مدة نهاية وكل ذي أمد إلى غاية قلت أجل فقال كل دولة إلى أجل ثم يتاح لها حول انتسخت النحل ورجعت إلى حقائقها الملل إنك سحير موصول والنصح لك مبدول إني آنست بأرض الشام نفرا من أهل العزام حكاما على الحكام يذكرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا بالسجع المتكلف فأصغيت فرجرت فعاودت فظلفت فقلت بم تهيمون وإلام تعتزون فقالوا خطاب كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار عن أصدق الأخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار

قلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر والإيمان رسول من مضر ابتهت فظهر فجاء بقول قد بمر وأوضح نهجا قد دثر فيه مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر ألف بالآي الكبر

فقلت ومن هذا المبعوث من مضر قالوا أحمد خير البشر فإن آمنت أعطيت الشبر وإن خالفت أصليت سقر فآمنت يا خنافر وأقبلت إليك أبادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر وإلا فهو القراق عن لا تلاق قلت من أين أبغي هذا الدين

قال من ذات الإحارين والنفر الميامين أهل الماء والطين

قلت أوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهنالك أهل القضل والطول والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا أراعي الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي وآذنت أعبدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الإبل على أربابها بجوها وسقاها وأقبلت أريد صنعا فأصبت فيها معاذ بن جبل أميرا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبايعته على الإسلام وعلمني من القرآن فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة وقلت في ذلك

ألم تر أن الله عاد فضله

فأنقد من لفح الزخبيخ خنافرا

وكشف لي عن حجمتي عماهما

وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا

دعاني شصار للتي لو رفضتها

لأصليت جعرا من لظى الهوب واهرا

فأصبحت والإسلام حشو جوانحي

وجانيت من أمسى عن الحق ناترا

وكان مضلي من هديت برشده

فلله مغو عاد بالرشد آمرا

نجوت بحمد الله من كل قحمة

تؤرث هلكا يوم شايحت شاصرا

فقد أمنتني بعد ذاك يجابر

بما كنت أغشى المنديات يجابرا

فمن مبلغ فتیان قومي ألوكة

بأني من أقتال من كان كافرا
عليكم سواء القصد لا فل حدكم
فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا
الطويل

وذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم حدثه أنه كان لمرداس أبي عباس بن مرداس السلمي وثن يعبده وهو حجر يقال
له ضممار فلما حضر مرداسا
الموت قال لعباس أي بني اعبد ضممار فإنه ينفعك ويضرك فبينما العباس يوما عند ضممار إذ سمع من جوف ضممار
مناديا يقول

قل للقبائل من سليم كلها
أودى ضممار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضممار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب إلى النبي محمد
الكامل

فحرق العباس ضممار ولحق بالنبي {صلى الله عليه وسلم} فأسلم
والأخبار في هذا الباب مما نقل من ذلك عن الكهان أو سمع عند الأصنام أو هتفت به هواتف الجان كثيرة جدا وقد
أتينا منها بما استحسناه مما ذكره ابن إسحاق أو ذكره سواه
قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا
وهدها لما كنا نسمع من أحبار يهود
كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا
منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن تقتلكم معه قتل عاد وإرم
فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم
فلما بعث الله رسوله محمدا {صلى الله عليه وسلم} أجابناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرنا
إليه فأمانا به وكفروا به
ففينا وفيهم نزلت هذه الآية من البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (البقرة ٨٩)

قال وحدثني صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن
وقش وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف
على بني عبد الأشهل فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب
أوثنان لا يرون أن بعثنا كائن بعد الموت
فقالوا له ويحك يا فلان أوتري هذا كائننا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم
قال نعم والذي يحلف به ولود أن له بحظه من تلك النار أعظم تور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبنونه عليه

بأن يجو من تلك النار غدا
فقالوا له ويحك يا فلان وما آية ذلك
قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن
قالوا ومتى نراه

قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه
قال سلمة فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمدا {صلى الله عليه وسلم} وهو حي بين أظهرنا
فأما به وكفر به بغيا وحسدا
فقلنا له ويحك يا فلان ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت
قال بلى ولكن ليس به

قال وحدثني عاصم بن عمر عن شيخ من بني قريظة قال قال لي هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن
سعية وأسد بن عبيد نفر من هدل إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام قال قلت
لا

قال فإن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل
الإسلام ييسر فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه
فأقام عندنا فكننا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي
مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر أو مدين من شعير
فخرجهما ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فو الله ما يروح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى

قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترون
أنه أخرجني من أرض الخمر والحمرير إلى أرض اليؤس والجوع
قلنا أنت أعلم

قال فإما قدمت هذه البلدة أتو كف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجرة فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه
وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا
يمنعنكم ذلك منه

فلما بعث الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكنا شبابا أحداثا يا بني قريظة
والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله إنه هو بصفته فنزلوا فأسلموا فأحرزوا
دماءهم وأمواهم وأهاليهم

قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن أحبار يهود

قال وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود عن ابن عباس قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال
كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه لم
يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في الجوسية حتى كت قطن النار الذي يوقدها
ولا يتركها تخبو ساعة

وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي
فاذهب إليها فاطلمها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من

ضيعتي وشغلتنني عن كل شيء من أمري
فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون
وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته
فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاحهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله
خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين
أصل هذا الدين قالوا بالشام

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أي بني أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما
عهدت قلت يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت في دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى
غربت الشمس

قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه

فقلت له كلا والله إنه لخير من ديننا

قال فخافني فجعل في رجلي قيذا ثم حبسني في بيته

وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى
فأخبروني فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم
قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام
فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الأسقف في الكنيسة فجئته فقلت له إني قد رغبت في هذا
الدين وأحببت أن أكون معك وأخلمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال ادخل
فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه
المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق

فأبغضته بغضا شديدا لما رأته يصنع

ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه
بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا

فقالوا لي وما علمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا
فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا

فصلبوه ورجموه بالحجارة

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في
الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله فأقامت معه زمانا ثم حضرته

الوفاة فقلت له يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فيالي من
توصي بي وهم تأمرني

فقال أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا
رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه

فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانا أو صابي عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك

على أمره فقال لي أقم عندي

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه

فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فألى من توصي بي وبم تأمري فقال يا بني والله ما أعلم رجلا على ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي

فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فو الله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فألى من توصي بي وبم تأمري قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عموريه فأخبرته خبري فقال أقم عندي

فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان إني كنت مع

فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فألى من توصي بي وبم تأمري

قال أي بني والله ما أعلمه أصبح علي مثل ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفي يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كنفه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب

فمكنت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيتكم بقراتي هذه وغنماتي هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها وحمولوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القري ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي فيينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت بها بصفة صاحبي فأقمت بها

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له به بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لقي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن ليجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي

فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدي فلكنني لكمة

شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عمك فقلت لا شيء إنما أردت أن أستشبهت عما قال

وقد كان عندي شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته إليه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأصحابه كلوا وأمسك يده

فلم يأكل

فقلت في نفسي هذه واحدة

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة ثم جنته به فقلت إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان

ثم جنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو بقيق العرق قد تبع جنازة من أصحابه علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رأي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أستدير به عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي فألقى الرداء عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكبت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس

فأعجب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بدر وأحد

قال سلمان ثم قال لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كاتب يا سليمان فكاتبيت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير وأربعين أوقية

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أعينوا أحاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت إلي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتي أكن أنا أضعها بيدي ففقرت وأعاني أصحابي حتى إذا فرغت جنته فأخبرته فخرج معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيده حتى فرغت فو الذي نفس سليمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة

فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي قال خذها فإن الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم فشهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد وعن سلمان أنه قال لما قلت وابن تقع هذه من الذي علي يا رسول الله أخذها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلبتها على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية

وعنه أيضا أنه قال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين أخبره خبره أن صاحب عمورية قال له أيت كذا وكذا من أرض الشام فإن بها رجلا بين غيظتين يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستحيزا يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي فسله عن هذا الدين الذي تبغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى جنت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمراضهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستحيزا من إحدى

الغيظتين إلى الأخرى فغشيه الناس بمراضهم لا يدعو لمريض إلا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه فتناولته فقال من هذا والنفت إلي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين

إبراهيم قال إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فائته فهو يملك عليه ثم دخل فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى ابن مريم

ومن حديث غير ابن إسحاق عن أبي سفيان بن حرب قال خرجت أنا وأميمة بن أبي الصلت وآخر سقط اسمه من كتابي تجارا إلى الشام قال أبو سفيان فكلمنا نزلنا منزلا أخرج أمية سفرا يقرأه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا بقريه من قرى النصارى فأروه وعرفوه وأهدوا له فذهب معهم إلى بيعتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ثم قال يا أبا سفيان هل لك في عالم من علماء النصارى إليه تناهي علم الكتب تسله عما بدا لك قال قلت لا أرب لي فيه والله لئن حدثني ما أحب لا أثق به ولئن حدثني ما أكره لأوجلن منه

قال وذهب يخالفه شيخ من النصارى فدخل علينا فقال يعني له وللآخر الذي كان معه ما منعكما أن تذهبا إلى هذا الشيخ قلنا لسنا على دينه قال وإن فإنكما تسمعان عجبا وتريانه قال قلنا لا أرب لنا في ذلك قال أتقنيان أنتما قلنا لا ولكن من قريش قال فما منعكما من الشيخ فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم وخرج من عندنا ومكث أمية عنا حتى جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما قام ولا نام حتى أصبح قال فاصبح كئيبا حزينا ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ثم قال ألا ترحلان قلنا وهل بك من رحيل قال نعم فارحلا فرحلتنا فسرنا بذلك ليلتين من همه وبنه ثم قال ليلة ألا تحدث يا أبا

سفيان قلت وهل بك من حديث فوالله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما إن ذلك شيء لست فيه إنما ذلك شيء وجلت به من منقلبي قلت وهل لك من منقلب قال إي والله لأموتن ولأحاسبن قلت فهل أنت قابل أمانى قال وعلى ماذا قلت على أنك لا تبعث ولا تحاسب فضحك ثم قال بلى والله يا أبا سفيان لنبعث ولنحاسبن وليدخلن فريق في الجنة وفريق في النار قلت في أيتهما أنت أخبرك صاحبك قال لا علم لصاحبى بذلك ولا في نفسه

فكنا في ذلك ليلتنا يعجب منا ونضحك منه حتى قلمنا غوطة دمشق وإياها كنا نريد فبعنا متاعنا وأقمنا بذلك شهرين ثم ارتحلنا حتى نزلنا بتلك القرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه فأهلوا له وذهب معهم إلى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ولم يدعنا إليه كما دعانا أول مرة ثم جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام فأصبح مبروثا حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه ثم قال لي ألا ترحلان قلت بلى إن شئت قال فارحلا

فرحلتنا فسرنا كذلك من بنه وحزنه ليالي ثم قال لي ليلة يا أبا سفيان هل لك في المسير وتحلف هذا الغلام يستأنس بأصحابنا ويستأنسون به قلت له ما شئت قال فسر فسرنا حتى برزنا قال هي يا صخر قلت مالك قال هي عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم قلت إي والله قال ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت قال وكريم الطرفين واسط في العشرة قلت كريم الطرفين واسط في العشرة قال فهل تعلم قرشيا أشرف منه قلت لا والله ما أعلم قال ومحوج هو قلت لا بل ذو مال قال فكلم أي له قلت هو ابن سبعين نظر إليها قد قاربها هو لها هو ابنها قال فالسن والشرف أزريا به قلت وما لهما أزريا به لا والله بل هما زاداه خيرا قال هو ذاك هل لك في المييت قلت هل لك فيه حاجة قال فاضطجعنا حتى مر القمل فسرنا حتى نزلنا فكنا في المنزل وبتنا

ثم رحلتنا فلما كان الليل قال يا أبا سفيان قلت لييك قال هل لك في البارحة قلت هل لي قال فسرنا على ناقتين

ناجيتين حتى إذا برزنا قال يا صخر إيه عن عتية قلت إيه عنه قال أيجتنب الحارم والمظالم ويأمر بصلة الرحم ويصلها قلت ويفعل قال ومحوج قلت ومحوج قال هل تعلم قرشيا أسود منه قلت والله ما أعلمه قال اوكم أتى له قلت سبعون هو لها هو ابها قد واقعها قال فإن السن والشرف أزريا به قلت لا والله ما أزريا به ولكنهما زاده وأنت قائل شيئا فقله قال والله لا تذكر حديثي حتى يأتي ما هو آت قلت والله لا أذكره قال الذي رأيت أصابني فيني جنت هذا العالم فسألته عن أشياء قلت أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت فمن أي العرب قال هو من أهل بيت تحجه العرب قلت فينا بيت تحجه العرب قال لا هم إخوتكم وجيرانكم من قريش قال فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو

قلت فإذا كان ما كان فصفه لي قال بلى هو شاب حين دخل في الكهولة بدء أمره أنه يجتنب الحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج ليس ينازع شرفا كريم الطرفين متوسط في العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجف بالشام منذ هلك عيسى ابن مريم ثمانون رجفة كلها فيهم مصيبة عامة وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة يخرج على أثرها

قال أبو سفيان قلت وإن هذا هو الباطل لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا شريفا مسنا قال والذي يخلف به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان هل لك في المبيت فبتنا حتى مر بنا القمل فرحلنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا

الخبر من خلفنا أصاب الشام بعدكم رجفة دمر أهلها وأصابتهم فيها مصيبة عظيمة قال كيف ترى يا أبا سفيان قلت أرى والله ما أظن صاحبك إلا صادقا وقدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة تاجرا فمكثت بها خمسة أشهر ثم أقبلت حتى قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي حتى جاءني في آخرهم محمد بن عبد الله { صلى الله عليه وسلم } وعندي هند جالسة تلاعب صببية لها فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق فقلت والله إن هذا الفتى لعجب ما جاءنا أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألتني عنها وما بلغت والله إن له معي لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألتني فقالت أو ما علمت بشأنه قلت وفرغت ما شأنه قالت والله إنه ليزعم أنه رسول الله قال فوقذي ذلك وذكرني قول النصراني ووجهت حتى قالت لي مالك فاتبعت وقلت إن هذا والله هو الباطل هو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله إنه ليقوله ويؤتي عليه وإن له لصحابة معه على أمره قلت هو والله باطل

فخرجت فبينما أنا أطوف إذ لقيته فقلت إن بضاعتك قد بلغت وكان فيها خير فأرسل إلي فخذها ولست آخذها فيها ما آخذ من قومك قال فيني غير آخذها حتى تأخذ مني ما تأخذ من قومي قلت ما أنا بفاعل قال فوالله إذا لا آخذها قلت فأرسل إليها فأخذت منها ما كنت آخذ وبعثت إليه ببضاعته

ولم أنشب أن خرجت تاجرا إلى اليمن فقدمت الطائف فنزلنا على أمية فتغديت معه ثم قلت يا أبا عثمان هل تذكر حديث النصراني قال أذكره قلت فقد كان قال ومن قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فالله يعلم أنه تصيب عرقا ثم قال يا أبا سفيان لعله وإن

صفته لهيه ولنن ظهر وأنا حي لأبلين الله في نصرته عذرا ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هناك استهلاله وأقبلت حتى قدمت الطائف فنزلنا على أمية بن أبي الصلت

قلت قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك وسمعت قال قد كان قلت فأين أنت قال ما كنت لأومن برسول ليس من
تقيف قال أبو سفيان فأقبلت إلى مكة ووالله ما أنا منه ببعيد حتى جئت فوجدته هو وأصحابه يضربون ويقهرون
فجعلت أقول فأين جده من الملائكة ودخلي ما دخل الناس من النفاسة
ووقع في هذا الحديث من قول أبي سفيان أن عتبة بن ربيعة ذو مال ووقع بعد ذلك من قول أبي سفيان أيضا أنه
محوج ولا يصح أن يجتمع الأمران وأحدهما غلط من الناقل والله أعلم
والمشهور من حال عتبة أنه كان فقيرا وكان يقال لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال
وأما أمية بن أبي الصلت فرجل من تقيف لم يرض دين أهل الجاهلية ولا وفقه الله للدخول في السمحة الحنيفية
فكان كما روي عن عروة بن الزبير قال سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن أمية بن أبي الصلت فقال أوتي
علما فضيحه
وكما روي عن الحسن وقتادة أنهما قالوا في قول الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
الشیطان فكان من الغاوين (الأعراف ١٧٥) أنه أمية بن أبي الصلت

ولغيرهما من العلماء في المعنى بهذه الآية قول أشهر من هذا وهو أن المراد بها بلعام بن باعوراء فالله تعالى أعلم
قال ابن اسحاق واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم
كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم
بعضكم على بعض

قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزي وزيد بن عمرو بن
نفيل فقال بعضهم لبعض تعلموا والله مل قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أيهم إبراهيم ما حجر نظيف به لا
يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء
فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم

فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها
وذكر الزبير بن أبي بكر بإسناد له إلى عروة بن الزبير قال سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ورقة بن
نوفل فقال لقد رأيتني في المنام عليه ثياب بيض فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض
وكان يذكر الله في شعره في الجاهلية ويسبحه وهو الذي يقول

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم

أنا النذير فلا يغركم أحد

لا تعبدن لها غير خالقكم

فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد

سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له

رب البرية فرد واحد صمد

سبحان ذي العرش سبحانا نعود له

وقبل سبحه الجودي والحمد

مستخر كل ما تحت السماء له

لا ينبغي أن ينادي ملكه أحد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له
والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت لعزتها
من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود هناك بلا كذب
لا بد من ورده يوما كما وردوا
الكامل

وفي هذا الشعر ألفاظ عن غير الزبير والبيت الأخير كذلك وفيه أبيات
تروي لأمية بن أبي الصلت

قال ابن إسحاق وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى
أرض الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة فلما قدماها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك
نصرانيا وخلف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعده على امرأته أم حبيبة وكان حين تنصر يمر بأصحاب رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} فيقول قحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتتمسون البصر ولم تبصروا بعد
وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده
وذكر الزبير أن قيصر ملكه على أهل مكة وكتب له إليهم كتابا فأنفت قريش أن يدينوا لأحد وصاح فيه ابن عمه
أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد والناس في الطواف إن قريشا لقاح لا تملك ولا تملك فمضت قريش على
كلامه ومنعوا عثمان ما جاء يطلب فرجع إلى قيصر ومات بالشام مسموما يقال سمه عمرو بن حفنة الغساني الملك
وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له

قال ابن إسحاق وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل
الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال أعبد رب إبراهيم وبادي قومه
بعيب ما هم عليه

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لقد رأيت زيد بن عمرو ابن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى
الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم
يقول اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكن لا أعلمه ثم يسجد على راحلته
وسأل ابنه سعيد بن زيد وابن عمه عمر بن الخطاب بن نفيل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنستغفر لزيد بن
عمرو قال نعم فإنه يبعث أمة وحده

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه
أربا واحدا أم ألف رب
أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلد الصور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمى بنى عمرو أوزر
ولا غنما أدين وكان ربا
لنا في الدهر إذ حلمي يسير

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

عجبت وفي الليالي معجبات

وفي الأيام يعرفها البصير

بأن الله قد أفنى رجالا

كثيرا كان شأنهم الفجور

وأبقى آخرين ببر قوم

فيربل منهم الطقل الصغير

وبينا المرء يعثر ثاب يوما

كما يتروح الغصن المطير

ولكن أعبد الرحمن ربي

ليغفر ذنبي الرب الغفور

فتقوى الله ربكم احفظوها

متى ما تحفظوها لا تبوروا

ترى الأبرار دارهم جنان

وللكفار حامية سعير

وخزي في الحياة وإن يموتوا

يلاقوا ما تضيق به الصلور

الوافر

وقال زيد بن عمرو بن نفيل وذكر ابن هشام أن أكثرها لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا

وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه

إله ولا رب يكون مدانيا

ألا أيها الإنسان إياك والردي

فإنك لا تخفي من الله خافيا

فإياك لا تجعل مع الله غيره

فإن سبيل الرشد أصبح باديا

حنانيك إن الجن كانت رجاؤهم

وأنت إلهي ربنا ورجائيا

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى

أدين لها غيرك الله ثانيا

وأنت الذي من فضل من ورحمة
بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له إذهب وهارون فادعوا
إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له آآنت سويت هذه
بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له آآنت رفعت هذه
بلا عمد أرفق إذا بك بانيا
وقولا له آآنت سويت وسطها
منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة
فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الشري
فيصبح منه البقل يهتز رايا
ويخرج منه حبه في رعوسه
وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونس
وقد بات في أضعاف حوت ليايا
وإني وإن سبحت باسمك ربنا
لأكثر إلا ما غفرت خطائيا
فرب العباد ألق سييا ورحمة
علي وبارك في بني وماليا
الطويل
وقال زيد بن عمرو أيضا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاهها فلما رآها استوت
على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة
أطاعت فصبت عليها سجالا
المتقارب

ويروي أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال ليك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به إبراهيم
مستقبل القبلة وهو قائم إذ قال إني لك عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم البر أبقى لا الخال ليس مهجر كمن قال
ويقال البر أبقى لا الخال

وكان الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حرا مقابل مكة
وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه وكل به شبابا من شباب قريش وسفهاهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة
فكان لا يدخلها إلا سرا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه مخافة أن يفسد عليهم دينهم وأن
يتابعه أحد منهم على فراقه

وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفة دين إبراهيم فكانت امرأته صفية بنت
الحضرمي كلما رأته نهيأ للخروج أو أرادته آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب وكلها به وقال إذا رأيتهم
بأمر فأذني به

ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الرهبان والأخبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها
حتى انتهى إلى راهب بميعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفة دين
إبراهيم فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي
خرجت منها يعث بدين إبراهيم الحنيفة فالحق به فإنه مبعوث الآن هذا زمانه
وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئا فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد
مكة حتى إذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما
تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثلته
وتركك أو ثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته
ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها
تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن
من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تترك الإنسان رحمة به

ولو كان تحت الأرض سبعين ودايا

الطويل

قال ابن إسحاق وكان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من
صفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مما أثبت لهم يحنس الحواري حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم
إليهم في رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم
يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني وأيضا للرب ولكن لا بد من أن

تمت الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمننا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القسط هو الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معي هذا قلت لكم لكيلا تشكوا

والمنحمننا بالسريانية هو محمد {صلى الله عليه وسلم} وهو بالرومية البرقليطس

قال ابن هشام وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبنا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ختمت على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} يمشي فعثر فقال ابنه تعس الأبعد يريد النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال له أبوه لا تفعل فإنه نبي واسمه في الوضائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم فوجد ذكر النبي {صلى الله عليه وسلم} فأسلم فحسن إسلامه وحج وهو الذي يقول

إليك تعدو قلقتا وضيبتها

معترضا في بطنها جينها

مخالفا دين النصارى دينها

الرجز

وقد جاءت أحاديث حسان بما وقع من صفة النبي {صلى الله عليه وسلم} في التوراة لم يذكر ابن إسحاق منها شيئا فمن ذلك ما ذكره الواقدي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في التوراة

فقال أجل والله إنه لوصوف في التوراة بصفته في الفرقان يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح بما أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

قال عطاء ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما اختلفا في حرف

وذكر الواقدي أيضا عن النعمان السبئي قال وكان من أحبار اليهود باليمن فلما سمع بذكر النبي {صلى الله عليه وسلم} قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال إن أبي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بني قد خرج يبشرب فإذا سمعت به فافتحه

قال نعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تحل وما تحرم وإذا فيه أنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم وأسمك أحمد {صلى الله عليه وسلم} وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صلورهم لا يحضرون قتال إلا وجبريل معهم يتحنن الله إليهم كتحنن الطير على أفراخه

ثم قال لي إذا سمعت به فاخرج إليه وآمن به وصدق به

فكان النبي {صلى الله عليه وسلم} يجب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} يا نعمان حدثنا

فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتبسم ثم قال أشهد أني رسول الله

ما صنع

قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم (العلق ١ - ٥)

فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا

فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك

فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت عنه راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها

فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي ثم حدثها بالذي رأيت فقالت أبشر يا بن عمي واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه رأى وسمع فقال ورقة فلوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لمن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت

فرجعت خديجة إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبرته بقول ورقة

فلما قضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أن أدركت ذلك اليوم لأنصرك الله نصرا يعلمه

ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى منزله ويروى عن خديجة أنها قالت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك قال نعم قالت فإذا جاءك فأخبرني به

فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى فقام فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فاجلس في حجرتها ثم قالت له هل تراه قال نعم فتحسرت

وألقت خمارها ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس في حجرتها ثم قالت هل تراه قال لا

قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان

ويروي أن خديجة أدخلت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل
وابتدى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالتنزيل في رمضان
يقول الله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان (البقرة)
وقال إنا أنزلناه في ليلة القدر (القدر ١ - إلى فاتحة السورة)

وقال حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا
مرسلين (الدخان ١ - ٤)

وقال إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (الأنفال ٤٢) يعني ملتقي رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} والمشركون بيد ذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان

هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذه الآيات كالمستشهد بما على ابتداء التنزيل في شهر رمضان على رسول الله
{صلى الله عليه وسلم}

وفي صورة هذا الاستشهاد نظر

فإن ظاهر قوله سبحانه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن عموم نزول القرآن بجملة فيه وكذلك قوله إنا أنزلناه
في ليلة القدر وإنا أنزلناه في ليلة مباركة

ولم يقع الأمر في إنزاله على رسوله {صلى الله عليه وسلم} هكذا بل أنزله الله عليه في رمضان

وفي غيره متفرقا آيات وسورا بحسب سؤال السائلين أو أحداث الخدين أو ما شاء الله من هداية العالمين

وقد قيل في قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس أي الذي أنزل في شأنه القرآن أي نزل

الأمر من الله عز وجل بصيامه كتابا يتلى وقرآنا لا يدرس ولا يبلى

كما يقال نزل القرآن بالصلاة أي نزل جزء منه بفرضها ونزل القرآن في عائشة رضي الله عنها وإنما نزلت منه
آيات براءتها من الإفك

ومثل هذا الإطلاق موجود في الأحاديث والآثار كثيرا

ولنسلم أن معنى قوله أنزل فيه القرآن أي ابتدئ فيه إنزاله فقد قيل ذلك وليس ببعيد في المفهوم ولا مما تضيق عنه

سعة الكلام ثم نجري ذلك الجرى الآيتين الأخيرتين وهما إنا أنزلناه في ليلة مباركة وإنا أنزلناه في ليلة القدر وإن بعد

ذلك فيهما لما ورد من الآثار المصححة لحكم عمومهما حسبما نذكره بعد فما بال الآية الأخرى التي هي وما أنزلنا

على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان تنظم في هذا النظام وقد أعقبها مفسرا بأن المعنى بذلك يوم بدر وهو

الحق

وهل كان يوم بدر إلا في السنة الثانية من الهجرة وبعد اثني عشرة سنة من البعث ونزول الوحي أو بعد خمس

عشرة سنة على ما ورد من الخلاف في مدة مكث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة بعد النبوة وما زال

القرآن المكي والمدني ينزل في ماضي تلك السنين

فإن كان ابن إسحاق عني ما ذكرناه عنه ونسبناه إليه فقد بينا وجه رده واستوفينا التنبيه عليه وإن كان عني غير

ذلك فقصر عنه تحرير عبارته أو سقط على الناقل من كلامه ما كان يفي لو بقي بإفهامه فالله تعالى أعلم

والرجل أولى منا بأن يصيب ويسلم إلا أنه لا ينكر أن يغلط هذا البشر

ونعوذ بالله أن نقصد بهذا الاعتداد على ذي علم أو الغرض من ذي حق فإن العلماء هم آباؤنا الأقدمون وهدايتنا

المتقدمون بأنوارهم نسري فنبصر ونستبصر وإلى غاياتهم نحري فطورا نصل وأطوارا نقصر فلهم دوننا قصب السبق
ولهم علينا في كل الأحوال أعظم الحق إذا أصابوا اعتمادنا وإذا أخطأوا استفدنا وإذا أفادوا استمددنا فجزاهم الله
عنا أفضل الجزاء ووقفنا لتوفية حقوق الأئمة والعلماء

وبعد فمن أحسن ما يتقلد في تلك الآيات الثلاث التي صدر بها كلامه مما يحفظ حكم عمومها ويطابق ظاهر
مفهومها ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين أن القرآن أنزل جملة واحدة في شهر رمضان
إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم أنزل على النبي {صلى الله عليه وسلم} شيئا فشيئا إلى حين وفاته
وقيل للشعبي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أما كان ينزل في سائر السنة
قال بلى ولكن جبريل عليه السلام كان يعارض محمدا {صلى الله عليه وسلم} في شهر رمضان ما أنزل في ماضي
السنة فيمحو الله ما يشاء ويثبت

قال ابن إسحاق ثم تمام الوحي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو مؤمن بالله مصدق لما جاءه منه قد قبله
بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم
وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس
وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل
فمضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أمر الله على ما يلقي من قومه من الخلاف والأذى
وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله وآزرتة على أمره
فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء منه

فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بما إذا
رجع إليها تثبتته وتخفف عليه وتصدقته وتؤمن عليه أمر الناس
يرحمها الله

ثم فتر عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الوحي حتى شق عليه وأحزنه
فجاءه جبريل بسورة والضحي يقسم له ربه جل وعلا وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ما ودعه ولا قلاة
فقال والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى يقول ما حرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك
وللاخرة خير لك من الأولى أي لما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا
ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة
ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى
يعرفه بما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته
فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر أي لا تكن جبارا ولا متكبيرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله
وأما بنعمة ربك فحدث اذكرها وادع إليها
فجعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن به
إليه من أهله

وافترضت عليه الصلاة فصلى صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته
قالت عائشة رحمها الله افترضت الصلاة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أول ما افترضت ركعتين ركعتين
كل صلاة ثم إن الله أتمها في الحضر أربعاً وأقرأها في السفر على فرضها الأول ركعتين

وعن بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبة في ناحية الوادي فانفجرت له منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} ينظر ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خديجة فتوضأ ليريه كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها ثم صلى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته

وعن نافع بن جبير بن مطعم وكان كثير الرواية عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ثم صلى به العشاء

الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس قال ابن إسحاق ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصلى وصدق بما جاءه من الله تبارك وتعالى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله به عليه أنه كان في حجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل الإسلام وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم يا عباس إن أحاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركنا لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ويقال عقيلا وطالبا فأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفر فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلبان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا

ثم إن أبا طالب عشر عليهما يوماً وهما يصلبان فقال لرسول الله يابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملاحته ورسله ودين أئينا إبراهيم أو كما قال {صلى الله عليه وسلم} بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أو كما قال

فقال أبو طالب أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك بشيء

تكرهه ما بقيت

وذكروا أنه قال لعلي أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه
فقال يا أبت آمنت برسول الله وصدقت بما جاء به واصلت معه الله واتبعته
فرعموا أنه قال له أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه
قال ابن إسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكان أول ذكر أسلم وصلى
بعد علي بن أبي طالب

وعن غير ابن إسحاق أن زيدا أصابه في الجاهلية سبب فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد وقيل بل
وهبه لها فوهبته خديجة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأعتقه وتبناه وذلك قبل أن يوحى إليه وكان حارثة أبوه
قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل

أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدري وإني لسائل

أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل

ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة

فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها

وتعرض ذكره إذا غربها أفل

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره

فيا طول ما حزني عليه وما وجل

سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا

ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي

فكل امرئ فان وإن غره الأمل

الطويل

ثم إن أناسا من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه وعند من هو
فخرج أبوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه

وقدما مكة فسألا عن النبي {صلى الله عليه وسلم} فدخلوا عليه فقالا يا بن عبد المطلب بن هاشم يا بن سيد قومه
أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابنا عبدك فامنن عليه وأحسن إلينا في فدائه
قال من هو قالوا زيد بن حارثة

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فهلا غير ذلك قالوا ما هو

قال أدعوه فأخيره فإن اختاركم فهو لكم وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا قالوا قد زدتنا
على النصف وأحسن

فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم قال من هذا قال أبي وهذا عمي قال فأنا من قد عملت ورأيت صحبتي لك

فاخترني أو اخترهما

قال زيد ما أنا بالذي اختار عليك أحدا أنت مني مكان الأب والعم
فقالا ويحك يا زيد أنتختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك
قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا
فلما رأى ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخرجه إلى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني
وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفوا

فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فنزلت ادعوهم لآبائهم فدعى من يومئذ زيد بن حارثة
قال ابن إسحاق ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة واسمه عتيق وقيل عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه فيما قال
ابن هشام

واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي
فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله

وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه محبا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما وبما كان فيها من خير
وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته
وحسن مجالسته

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه قال فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان
بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي والزيبر بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن
قصي وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب وسعد بن أبي وقاص مالك بن
أهيب بن عبد مناف بن زهرة وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
فجاء بهم إلى رسول {صلى الله عليه وسلم} حين استجابوا له فأسلموا وصلوا
فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول فيما بلغني ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة
ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه
قال فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وصدقوا بما جاءه من الله

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة ابن الحارث بن فهر
وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
والأرقم بن أبي الأرقم بن أسد أبي جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي
وأخوه قدامة وعبد الله ابنا مظعون

وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي
وامراته فاطمة بنت عمه الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب
وأسماء بنت أبي بكر الصديق
وعائشة بنت أبي بكر الصديق وهي صغيرة

وخباب بن الأرت حليف بني زهرة
وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص
وعبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة
وجماعة سوى هؤلاء سماهم ابن إسحاق
قال ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله {صلى الله عليه وسلم} أن يصدع بما جاءه منه وأن يبادي الناس بأمره ويدعوا إليه
وكان بين ما أفضي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمره واستسمر به إلى أن أمره الله
بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ثم قال الله له فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (الحجر ٩٤)
ثم قال وأنذر عشيرتك الأقرين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (الشعراء ١١٤ - ١١٥) وفي موضع
آخر واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين (الحجر ٤٨٩)
قال وكان أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم
فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في شعب من شعاب مكة إذ ظهر
عليهم ناس من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعايوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد يومئذ رجلا
من المشركين بلحي بعير فشججه
فكان أول دم هريق في الإسلام
فلما بادى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه
حتى ذكر آهنتهم وعابها

فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون
وحدب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على
رسوله {صلى الله عليه وسلم} على أمر الله مظهرا له لا يردده عنه شيء
فلما رأته قريش أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آهنتهم
ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم
يسلمه لهم مشى رجال من أشرفهم إلى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب وأبو
البختري بن هشام والحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي وأبو جهل
بن هشام بن المغيرة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والعاص بن وائل ومن مشى منهم
فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهنتنا وعاب ديننا وسفه أعلامنا وذلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن
تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفبه

فقال لهم أبو طالب قولوا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه
ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه
ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاعوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
بينها فنادموا فيه وحض بعضهم بعضا عليه
ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استهينناك من ابن

أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا خذلانه

وذكر أن أبا طالب حين قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له يا بن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا للذي قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق

فظن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا بن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبدا

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وإسلامه مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أهد فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقلته فإنما هو رجل كرجل قال والله لبتس ما تسوموني أتعطوني ابنيكم أعذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك أو كما قال فحقب الأمر وحيت الحرب وتنابد القوم وبادي بعضهم بعضا قال ثم إن قريشا تدامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذين أسلموا معه

فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا بن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء أبدا

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وإسلامه مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أهد فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة

قومك وسفه أحلامهم فنقلته فإنما هو رجل كرجل
قال والله لبس ما تسوموني أعطوني ابكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا
فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره
فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا
فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك أو كما قال
فحقب الأمر وحيت الحرب وتباذ القوم وبادي بعضهم بعضا
قال ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذين
أسلموا معه
فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم

ومنع الله تبارك وتعالى رسوله منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني
هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والقيام دونه فاجتمعوا إليه
وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب
فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدهم وحلبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدوا معه على أمره فقال

إذا اجتمعت يوما قريش لتفخر

فعبد مناف سرها وصميمها

فإن حصلت أشرف عبد منافها

ففي هاشم أشرفها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا

هو المصطفى من سرها وكرمها

تداعت قريش غثها وسمينها

علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكننا قديما لا نقر ظلامه

إذا ما ثنوا صعر الحدود نقيمها

ونحمي حماها كل يوم كريمة

ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا انتعش العود الذوي وإنما

بأكنافنا تندى وتنمي أرومها

الطويل

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش إنه
قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا
تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا

قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول فيه

قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن
قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون
لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو
بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده

قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس قال والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لحناء وما أنتم بقائلين من هذا
شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين
المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته
فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره
وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها
فلما خشى أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي يعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد
فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه وأولها

ولما رأيت القوم لاود فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طأوعوا أمر العدو المزابل
وقد حالقوا قوما علينا أظنة
يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمرء سمحة
وأبيض غضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي
وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه
لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركايمهم
بمفضي السيول من إساف ونائل
موسمة الأعضاء أو قصرانما
مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة
بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب الناس من كل طاعن
علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعية
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثيرا مكانه
وراق لبرقي في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر الأسود إذ يمسخونه
إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل
وموطى إبراهيم في الصخر وطأة
على قدميه حافيا غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا
وما فيهما من صورة وتمائل
ومن حج بيت الله من كل راكب
ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له

إلال إلى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية
يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع المنازل من منى
وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه
سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صملوا لها
يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية
تجيز بهم حجج بكر من وائل
حليفان شدا عقد ما اختلفا له
وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الصفاح وسرحه
وشبرقه وخذ النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
وهل من معيد يتقى الله عاذل
يطاع بنا الأعدا وودوا لو اننا

تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتهم وبيت الله نترك مكة
ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتهم وبيت الله نيزي محمدا
ولما نطاعن دونه وناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم
فموض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده
من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر و الله إن جد ما أرى
لتلتبس أسيفنا بالأماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
وما ترك قوم لا أبالك سيذا
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بكفه
ثمال اليتامي عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في رحمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخيس شعيرة
له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
بني خلف قيضا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
علينا العدي من كل طمل وخامل
فعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا في أمركم كل واغل

لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
فإن يك قوما نتثر ما صنعتم
وتحتلبوها لقحة غير باهل
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة
إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم
لكننا أسى عند النساء المطفال

فإن تك كعب من لوي صميمة
فلا بد يوما مرة من تزايل
فكل صديق وابن أخت نعه
لعمري وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة
براء إلينا من معقة خاذل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
زهير حساما مفردا من حمائل
أشم من الشم البهليل ينتمي
إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
وإخوته دأب الحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها
وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى إلها ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر ديننا حقه غير باطل
فوالله لولا أن أجيء بسية
تجر على أشياخنا في القبائل
لكننا اتبعناه على كل حالة

من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة
تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته
ودافعت عنه بالذري والكلاكل

الطويل

والقصيدة أطول من هذا وإنما تركنا ما تركنا منها اختصارا
وذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها
قال وحدثني من أتق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فشكوا إليه ذلك فصعد المنبر
فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم حوالينا ولا علينا
فانجاب السحاب عن المدينة فصار حوالينا كالإكليل فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو أدرك أبو طالب
هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت لقوله
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال أجل

قال ابن إسحاق فلما انتشر أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يك حي
من العرب أعلم بأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين ذكر وقبل أن يذكر من الأوس والخزرج وذلك لما
كانوا يسمعون من أخبار يهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم

فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت الأوسي وكان يحب قريشا
وكان يقيم فيهم السنين بامرأته

أرنب بنت أسد بن عبد العزي بن قصي قصيدة يعظم فيها الحرمه وينهي قريشا عن الحرب ويذكر فضلهم
وأحلامهم ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض وعن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويذكرهم بلاء الله عندهم
ودفعه الفيل عنهم فقال

ويا راكبا إما عرضت فبلغن

مغلغلة عني لؤي بن غالب

رسول امرىء قد راعه ذات بينكم

على النأي محزون بذلك ناصب

وقد كان عندي للهموم معرس

ولم أقض منها حاجتي ومآربي

أعيدكم بالله من شر صنعكم

وشر تباغيكم ودس العقارب
وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة
كوخز الأثافي وقعها حق صائب
فذكرهم بالله أول وهلة
وإحلال إحرام الظباء الشواذب
وقل لهم والله يحكم حكمه
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
هي الغول للأقصين أو للأقارب
تقطع أرحاما وتملك أمة
وتبري السديف من سنام وغارب
فإياكم والحرب لا تغلقنكم
وحوضا وخيم الماء مر المشارب
تزين للأقوام ثم يرونها
بعاقبة إذ بينت أم صاحب
تحرق لا تشوي ضعيفا وتتحي
ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
فتعتبروا أو كان في حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود
طويل العماد ضيفه غير خائب
وماء هريق في الضلال كأنما
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
بأيامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا
حسابكم والله خير محاسب
ولي امريء فاختر ديننا فلا يكن
عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا ديننا حنيفا فأنتم
لنا غاية قد بهتدي بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
تؤمنون والأحلام غير عواذب

وأنتم إذا ما حصل الناس جوهم
لكم سره البطماء شم الأرانب
تصونون أجسادا كراما عتيقة
مهذبة الأنساب غير أشائب
ترى طالبي الحاجات نحو بيوتكم
عصائب هلكى تهتدي بعصائب
لقد علم الأرقام أن سراتكم
على كل حال خير أهل الجبابب

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا
بأركان هذا البيت بين الأخابب
فعندكم منه بلاء ومصداق
غداة أبي يكسوم هادي الكتاب
كتيبته بالسهل تسمى ورجله
على القاذفات في رعوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم
جنود إله بين ساف وحاصب
قولوا سراعا هاربين ولم يؤب
إلى قومه ملحباش غير عصائب
فإن تملكوا فملك وتملك عصائب
يعاش بما قول امرىء غير كاذب

الطويل

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن أسلم معه منهم
فأغروا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} سفهائهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون
ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} مظهر لأمر الله لا يستخفي به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال
أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم
فحدث عروة بن الزبير أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} فيما كانوا يظهرون من عداوته
قال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا ما رأينا مثل ما
صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آهتنا لقد صبرنا منه
على أمر عظيم أو كما قالوا
فبينما هم في ذلك طلوع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت
فلما مر بهم غمزوه ببعض القول
قال ففرفت ذلك في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ففرفت ذلك

في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا

قال فانصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه

فبيناهم في ذلك طلع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا للذي يقول من عيب آهنتهم فيقول رسول الله نعم أنا الذي أقول ذلك فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق وحدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله {صلى الله عليه وسلم} عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينة والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك

ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشدّه شكيمة

فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بيته قالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا من أبي الحكم بن هشام وجده هاهنا جالسا فأذاه وسبه منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فصر به بما فشجه بما شجته منكرا ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول ما يقول فرد علي إن استطعت

فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإنني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا

وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قوله

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد عز وامتنع وأن حمزة سيمتعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

وعن محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيديا قال يوما وهو جالس في نادي قريش والنبي {صلى الله عليه وسلم} جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا

وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آفتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباءهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل يا أبا الوليد أسمع

قال يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيتك رثيا لا تستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه أو كما قال له

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل

قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (فصلت ١ - ٤)

ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه ثم انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به

فلما جلس إليهم قالوا ما ورائك يا أبا الوليد قال ورائي أن سمعت قولاً ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوهما بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به

قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه

قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم

قال ابن إسحاق ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تجس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين

ثم إن أشرف قريش من كل قبيله اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه

فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان

عليهم حريصا يجب رسلهم ويعز عليه عنتهم

حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا قد جنته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فبحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا فرجما كان كذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك

فقال لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما بي ما تقولون ما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لحكم الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال {صلى الله عليه وسلم}

قالوا يا محمد فإن كنت غير قابل شيئا مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليسط لنا بلادنا وليحرق لنا فيها أمهارة كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آباتنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا إلينا كما تقول

فقال لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم بما أرسلت به إليكم فإن قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم

قالوا فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتبس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم

فقال لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أو كما قال

فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإننا لا نؤمن بك إلا أن تفعل فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل

قالوا يا محمد فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به إنه بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرتنا إليك يا محمد وإنا والله لا نتركك وما بلغت بنا حتى نهلكك أو تهلكتنا

وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} قام عنهم وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بما منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك

ثم انصرف عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وانصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مبادئهم إياه فلما قام عنهم قال أبو جهل يا معشر قريش إن محمدا قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بمحجر ما أطيق جملة أو كما قال فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ينتظره وغدا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما كان يغدو وكان بمكة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلى صلى بين الركنين الركن اليماني والحجر الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلي وقد غدت قريش في أندية ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} احتتم أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يست يدها على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإيل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنياه فحل قط فهم بي أن يأكلني قال ابن إسحاق فذكر لي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ذلك جبريل لو دنا لأخذه فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال لهم يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلمت ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحر نفثتم وعقدتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم وقتلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقتلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بمجنون ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلامهم عن محمد وصفا لهم صفتهم وأخبرهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء

فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالوا لهم إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وأن لم يفعل فالرجل متقول فرؤا فيه رأيكم

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ما هو فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فأقبل النصر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد

أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبي وإن لم يقل فالرجل متقول فرؤا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسألوه عن تلك الأشياء فقال لهم أخبركم بما سألتكم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله عز وجل إليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف آل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا نجبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة

ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح

فذكر لي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (مریم ٦٤)

فلما جاءهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سأله عما سأله عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبوه أي اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبوه بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم فقال أبو جهل بن هشام يوما وهو يهزأ برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويجسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أعظم الناس عددا وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم

فأنزل الله في ذلك من قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا (المدثر ٣١ إلى آخر القصة)

فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالقرآن وهو يصلي يفرقون عنه ويأبون أن يسمعوا له فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وإن خفض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاح يستمع له

وقال عبد الله بن عباس إنما نزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بما وابتغ بين ذلك سيلا (الإسراء ١١٠)
(من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك فيفرقوا عنك ولا تخافت بما فلا يسمعها من يجب أن يسمعها ممن
يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يستمع فينتفع بذلك
وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بمكة عبد الله بن مسعود فيما حدث به عروة
بن الزبير قال

اجتمع يوما أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن
رجل يسمعه فقل عبد الله بن مسعود أنا قالوا إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له عشيرة يمنونه من القوم إن
أرادوه

قال دعوني فإن الله سيمعني

قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم
رافعا بها صوته الرحمن علم القرآن ثم استقبلها يقرأها وتأموه فجعلوا يقولون ما قال ابن أم عبد ثم قالوا إنه ليتلوا
بعض ما جاء به محمد

فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا
بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك قال ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ولن شتم لأغاديهم بمثلها قالوا
لا حسبك فقد أسمعهم ما يكرهون

وذكر الزهري أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله
{ صلى الله عليه وسلم } وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان
صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو
راكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا
فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا
فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في
بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف
ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها

قال الأخنس وأنا والذي حلفت به

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت
تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب

وكننا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء

فمن يدرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق

فقام عنه الأخنس وتركه

قال ابن إسحاق وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا تلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله قالوا يستهزئون به
قولنا في أكنة لا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك
فاعمل بما أنت عليه إنا عاملون بما نحن عليه إنا لا نفقه عنك شيئا
فأنزل الله عليه في ذلك من قولهم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا إلى
قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (الإسراء ٤٥ - ٤٦)
أي كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم أي
أني لم أفعل
نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (الإسراء
٤٧)

أي ذلك ما تواصلوا به من ترك ما بعثتكم به إليهم
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا (الإسراء ٤٨)
أي أخطأوا المثل الذي ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل بهم فيه قول
وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا (الإسراء ٤٩)
أي قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا وذلك ما لا يكون
قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة (الإسراء ٥٠ - ٥١)

أي الذي خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه
وسئل ابن عباس عن قول الله عز وجل أو خلقا مما يكبر في صدوركم ما الذي أراد الله به فقال الموت

قال ابن إسحاق ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أصحابه فوثبت كل قبيلة
على من فيها من المسلمين فجعلوا يجسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من
استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم منهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله
منهم

فكان بلال بن رباح وهو ابن حمامة لبعض بني جمح مولدا من مولديهم وكان صادق الإسلام طاهر القلب فكان أمية
بن خلف يخرجه إذا حميت الظهرية فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره
ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات
والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد

وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية
ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا
أي لأتخذن قبره منسكا ومسترحما والحنان الرحمة

حتى مر به أبو بكر الصديق يوما وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متي
قال أنت الذي أفسدته فأنقذه فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد
قبلت قال هو لك

فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه

وأعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب بلال سابعهم
عامر بن فهيرة وأم عبيس وزنيرة فأصيب بصرها حين أعقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى
فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله إليها بصرها

وأعتق النهديّة وابنتها وكانت لامرأة من بني عبد الدار فمرّ بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدهما بطحين لها وهي تقول
والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر حلا يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فيكم هما قالت بكذا
وكذا قال قد أخذتكما وهما حرتان ارجعا إليها طحينها قالتا أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال أو ذلك إن
شئتما

ومر بجارية بني نوفل حي من بني عدي وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام وهو يومئذ مشرك فابتاعها أبو بكر
فأعتقها

وقال له أبوه أبو قحافة يا بني إني أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت ما
فعلت أعتقت رجالا جلداء يمتعونك ويقومون دونك فقال أبو بكر يا أبت إني إنما أريد ما أريد
فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
إلى آخر السورة (الليل ٧)

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء
مكة فيمر بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقول فيما بلغني صبر آل ياسر فإن موعدكم الجنة
فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش إذا سمع بالرجل له شرف ومنعة قد أسلم أنه وأخراه
فقال تركت دين أهلك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجرا قال والله
لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به

وقال سعيد بن جبير لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من
العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم

قال نعم والله إن كانوا ليضربون أحلامهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به
حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى إلهك من دون الله فيقول نعم حتى إن جعل ليمر بهم
فيقولون له أهذا الجعل إلهك من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق فلما رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية
بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعه مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض
الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا
بدينهم إلى الله

فكانت أول هجرة كانت في الإسلام

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي معه امرأته أم سلمة وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة وسهل بن بيضاء من بني الحارث بن فهر وأبو سبرة بن أبي رهم ويقال بل أبو حاطب بن عمرو ويقال هو كان أول من قدمها

وكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبيشة منهم من خرج بأهله ومنهم من خرج بنفسه

فكان جميع من لحق بأرض الحبيشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولّوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه وكان مما قيل من الشعر في الحبيشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم حين آمنوا بأرض الحبيشة وهموا جوار النجاشي وعبوا الله لا يخافون على ذلك أحداً قال

يا راكبا بلغن عني مغلغلة

من كان يرجو بلاغ الله والدين

كل امرئ من عباد الله مضطهد

ببطن مكة مقهور ومفتون

أنا وجدنا بلاد الله واسعة

تنجي من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخزي

في الممات وغيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا

قول النبي وعالوا في الموازين

فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا

وعائذا بك أن يعلوا فيطغوني

البسيط وقال عبد الله بن الحارث أيضاً يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه في ذلك

أبت كيدي لا أكذبك قتالهم

علي وتأباه علي أناملي

وكيف قتالي معشراً أدبوكم

علي الحق ألا تأشبهه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم

فأضحوا على أمر شديد البلابل

فإن تك كانت في عدي أمانة

عدي بن سعد عن تقي أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيهم
بمحمد الذي لا يطبي بالجعائل
وبدلت شبلا شبلا كل ضعيفة
بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

الطويل

وقال عبدالله بن الحارث أيضا
وتلك قريش تجحد الله حقه
كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعني
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بما عبد الإله محمد
أبين ما في النفس إذ بلغ النفر

الطويل

فسمي عبد الله يرحمه الله المبرق بيته الذي قال

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه وكان أمية شريف قومه في زمانه
ذلك

أتيم بن عمرو للذي جاء بغضة
ومن دونه الشрман والبرك أكنع
أأخرجتني من بطن مكة آمنة
وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها
وتبري نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة
وأهلكت أقواما بهم كنت تقرع
ستعلم إن نابتك يوما ملمة
وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

الطويل

وتيم بن عمرو الذي يدعو عثمان هو جمع بن عمرو كان اسمه تيمما

قال ابن إسحاق فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة
وأهم قد أصابوا بما دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي فيردهم عليهم
ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها
فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ثم بعثوهما

فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا فيه أبياتا يحض النجاشي على حسن جوارهم والدفع عنهم
ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر
وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا
وأصحابه أم عاق ذلك شاغب
تعلم أبيات اللعن أنك ماجد
كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم فإن الله زادك بسطة
وأسباب خير كلها بك لازب
وأنت فيض ذو سجال غزيرة
ينال الأعادي نفعها والأقارب
الطويل

وذكر ابن إسحاق من حديث أم سلمة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} قالت لما نزلنا أرض الحبشة تعني مع
زوجها الأول أبي سلمة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدا لله لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه
فلما بلغ ذلك قريشا اتهموا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جليدين وأن يهلوا للنجاشي هدايا مما
يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقتهم إلا أهلوا
لهم ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته
قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم أسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم
قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقتهم بطريق إلا دفعا إليه
هديته قبل أن يكلماه وقالوا لكل بطريق إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا
في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم فإذا
كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم
فقالوا لهما نعم

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشي فقبلها ثم قالوا له أيها الملك إنه ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين
قومهم ولم يدخلوا في دينك جاءوا بدين

ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم عليهم
فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه

قالت ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهما النجاشي
فقالت بطارقتهم صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم
وقومهم

فغضب النجاشي ثم قال لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من
سواي حتى أذعهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم
وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسن جوارهم ما جاوروني

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أسأفته فنشروا مصاحفهم حوله سأهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب قال أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف الإحصنات وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور الإسلام

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له جعفر نعم قال فافراه علي فقرا عليه صدرا من كهيعص

فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أسأفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما يتلى عليهم ثم قال له النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا ولا يكادون

فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه عنهم غدا بما أستأصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أبى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا قال والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ثم غدا عليه فقال أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فسألهم عما يقولون فيه قالت فأرسل إليهم ليسألهم عنه ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه فقالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم قالت فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا نقول عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود

قالت فتناحرت بطارقه حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي أي آمنون من سبكم غرم من سبكم غرم من سبكم غرم فما أحب أن لي دبوا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم ويقال دبوا وهو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام

ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بما فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه

قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار
قالت فوالله إنا لعلی ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان أشد من
حزن حزناه عند ذلك نخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي
يعرف منه

وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من رجل يخرج حتى
يحصر وقية القوم ثم يأتي بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا قالوا فأنت وكان من أحدث القوم سنا
فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ثم سحح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى
حضرهم

قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فوالله إنا لعلی ذلك متوقعون لما هو كائن إذا
طلع الزبير يسعى فلمع بثوبه يقول ألا أبشروا فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه فوالله ما علمتنا فرحنا فرحه
قط مثلها

ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى
قدمنا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال هل تدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي
ملكی فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قلت لا والله

قال فإن عائشة أم المؤمنون حدثتني أنا أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشي وكان للنجاشي عم له من
صلبه إثنا عشر رجلا وكان أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا
ولد له غير هذا الغلام وإن لأخيه من صلبه إثني عشر رجلا فتوارثوا ملكهم من بعده بقيت الحبشة بعده دهرًا
فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه فمكثوا على ذلك حيناً ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من
الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى
على أمر عمه وإنا لتخوف أن يملكه علينا وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه
فمشوا إلى عمه فقالوا إما أن تقتل هذا الفتى أو لتخرجنه من بين أظهرنا فإننا قد خفناه على أنفسنا
قال ويلكم قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم بل أخرجته من بلادكم

فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينه فانطلق به حتى إذا كان العشي
من ذلك اليوم هاجمت سحابة منه سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحنها فأصابته صاعقة فقتلته
ففزعرت الحبشة إلا ولده فإذا هو محقق ليس في ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ما هم فيه قال
بعضهم لبعض تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره الذي بعتموه غلوة فإن كان لكم بأمر الحبشة
حاجة فأدركوه قالت فخرجوا في طلبه وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخبروه منه ثم جاءوا به ففعلوا
عليه التاج وأقعده على سرير الملك فجاءهم التاجر الذي كان باعوه منه فقال إما أن تعطوني مالي إما أن أكلمه في
ذلك فقالوا لا نعطيك شيئا قال إذا والله أكلمه قالوا فدونك

فجاءه فجلس بين يديه فقال أيها الملك ابنت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فأسلموا إلي غلامي وأخذوا دراهمي حيث إذا سرت أدركوني فأخذوا غلامي ومنعوني دراهمي

فقال لهم النجاشي لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطه دراهمه

وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه وعدله في حكمه رحمه الله تعالى وعن عائشة قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور وذكر ابن إسحاق أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحبشة اجتمعت فقالوا للنجاشي يعني عندما وافق جعفر بن أبي طالب على قوله في

عيسى ابن مريم إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه فأرسل إلى جعفر وأصحابه وهياً لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم

ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له فقال يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فما تقولون أنتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله قال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد أن عيسى لم يزد على هذا شيئا وإنما يعني علي ما كتب

فرضوا وانصرفوا

فبلغ ذلك النبي {صلى الله عليه وسلم} فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له قال ابن إسحاق ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وردهما النجاشي بما يكرهون وأسلم عمرو بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبجمرة حتى عازوا قريشا

فكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه

وقال ابن مسعود في رواية الكبائي عن غير ابن إسحاق إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر وذكر مثل ما تقدم نصا إلى آخره

ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حدث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه قالت وكنا نلقي منه البلاء أذى لنا وشدة علينا فقال إنه للانطلاق يا أم عبد الله

فقلت نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا فقال صحبكم الله

ورأيت له رقة لم يكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا
قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته علينا
قال أطمعت في إسلامه قالت نعم قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى منه
من غلظته وقسوته عن الإسلام

قال ابن إسحاق وكان إسلام عمر بعد خروج من أصحاب رسول {صلى الله عليه وسلم} إلى الحبشة
قال وكان إسلامه فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم
مستخفون بإسلامهم من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من بني عدي قد أسلم وكان يستخفي بإسلامه
فرقا من قومه وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن
فخرج عمر متوشحا سيفه يريد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم اجتمعوا
في بيت عند الصفا قريبا من أربعين بين رجال ونساء ومع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عمه حمزة وأبو بكر
الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين
فلقبه نعيم فقال أين تريد يا عمر قال أريد محمدا هذا الصابيء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وأعاب دينها
وسب آهنتها فأقتله

فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت
محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم
قال أي أهل بيتي قال خنتك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك
بهما

فرجع عمر عائدا إلى أخته وخنته وعندهما خباب معه صحيفة فيها طه يقرؤهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب
خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذيها وقد سمع عمر
قراءة خباب فلما دخل قال ما هذه الهينة التي سمعت قال ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما
محمد على دينه

وبطش بخنته سعيد فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضر بها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنته نعم
أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وارعوى وقال لها أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا
الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبها فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآهنته
ليردنها إليها إذا قرأها

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له يا أخي إنك نجس على شركك وانه لا يمسه إلا الطاهر فقام عمر
فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه
فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس
وهو يقول اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر
فقال عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتبه فأسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من
أصحابه

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا

صوته قام رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف فرجع وهو فرح فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف

فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بدلناه له وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال الرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردايته ثم جبهه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عنده قال فكبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن عمر قد أسلم

فتفرقوا من مكائهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر

وقد روي غيرهم أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للإسلام مباحدا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالخزوة فخرجت ليلة أريد جلساني أولئك في مجلسهم ذلك فلم أجد فيه منهم أحد فقلت لو أتي جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمر فأشرب منها فجنته فلم أجد

فقلت فلو أتي جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين فجئت أريد ذلك فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل بينه وبينها الكعبة فكان مصلاه بين الركنين الكن الأسود والركن اليماني فقلت حين رأيته والله لو أتي استمعت لحمد الليلة حتى أستمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لأروعه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صلواته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكانت طريقه حتى يخرج المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزر

فتبعته حتى إذا دخل بينهما أدركته فلما سمع حسبي عرفني فظن أني إنما تبعته لأوذيته فنهمني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله فحمد الله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال قد هدك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيته قال ابن إسحاق فالله أعلم أي ذلك كان

وذكر محمد بن عبد الله بن سنجر الحافظ في إسلام عمر رضي الله عنه زيادة لم يذكرها ابن إسحاق فروي بإسناد له إلى شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله

شاعر كما قالت قريش فقرأ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون (الحاقه ٤٠ - ٤١) قال
قلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (الحاقه ٤٢) إلى آخر السورة
قال فوقع الأسلام في قلبي كل موقع

قال ابن إسحاق وحدثني نافع عن ابن عمر قال لما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث قيل له جميل بن معمر
الجمحي فغدا عليه وغدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل
أي أسلمت ودخلت في دين محمد

فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا
معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن ابن الخطاب قد صبأ

قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم
قال وطلع فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها
لكم أو تركتموها لنا

فبيناهم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشي

حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن
كعب يسلمون لكم صاحبهم

هكذا عن الرجل فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه

فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه
الله خيرا قال أي بني ذلك العاص بن وائل السهمي لا جزاه الله خيرا
وهذا الدعاء عليه وله مما زاده ابن هشام عن غير ابن إسحاق

وعن بعض آل عمر قال عمر لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي الناس أشد عداوة لرسول الله {صلى الله عليه
وسلم} حتى آتبه فأخبره أي قد أسلمت قال قلت أبو جهل وكان عمر ابنا لحنتمة بنت هشام بن المغيرة فأقبلت حين
أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج إلي فقال مرحبا وأهلا يا بن أخي ما جاء بك قلت جئتك أخبرك أي قد
آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به

فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به

وفيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عمر رضي الله عنه قال حين أسلم
الحمد لله ذي المن الذي وجبت

له علينا أياد كلها عبر

وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا

صدق الحديث نبي عنده الخبر

وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدي

ربي عشيه قالوا قد صبا عمر

وقد ندمت على ما كان من زلل

بظلمها حين تتلى عندها السور

لما دعت ربها ذا العرش جاهلة
والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها
تكاد تسقني من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا
وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة
وإلى الأمانة ما في عوده خور
البيسط

قال ابن إسحاق فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا
وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} وأصحابه وجعل الإسلام يفسد في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم
وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواتقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا
على أنفسهم

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه وخرج من
بني هاشم أبو هب إلى قريش فظاهرهم ولقي هنداء بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا فقال لها
يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة
وقال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك واجتمعوا عليه

ألا أبلغا عني على ذات بيننا

لؤيا وخصا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا

نبيا كموسى خط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة

ولا خير ممن خصه الله بالحب

وأن الذي لصقتكم من كتابكم

لكم كائن نحسا كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى

ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تبغوا أمر الوشاة وتقطعوا

أواصرنا بعد المودة والتقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما

أمر على من ضاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم أحدا
لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبنا منا ومنكم سوائف
وأيد أترت بالقساسة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا
به النسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته
ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبو ناهشم شد أزره
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نتشكى ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي
إذا طار أرواح الكمأة من الرعب
الطويل

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش
وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة وهي مع رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البخري طعام كان
لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها حل سبيل الرجل

فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البخري لحي بعير فضربه فشججه ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن
عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه فيشموا بهم
ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهرا مباديا لأمر الله لا يتقي فيه أحدا
من الناس

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحاولوا بينهم وبين ما أرادوا من
البطش به يهمزونه ويستهنئون به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوتهم
من سمي لنا ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار

فكان من سمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب وإنما
سماها الله عز وجل حمالة الحطب إنما كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} حيث يمر

وكان أبو لهب يقول في بعض ما يقول يعديني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كاتنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد
ذلك ثم يفضخ في يديه ويقول تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد

فأنزل الله عز وجل فيهما تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد (سورة المسد)

قال ابن إسحاق فذكر لي أن أم جهيل حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهدر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهد فاه أما والله إني لشاعرة ثم قالت

(مذمما عصينا

وأمره أبينا) البسيط

وعن غير ابن إسحاق ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأيتك فقال ما رأيتي لقد أخذ الله ببصرها عني

وكانت قريش إنما تسمي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مذمما ثم يسبونه فكان عليه السلام يقول ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد

وأمية بن خلف الجمحي كان إذا رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} همزه ولمزه فأنزل الله فيه ويل لكل همزة لمزة سورة الهمزة إلى آخر السورة

والعاص بن وائل السهمي كان خباب بن الأرت قد باع منه سيوفا عملها له وكان قينا بمكة فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة

أو ثياب أو خدم قال بلى قال فأظنني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأفضيك هنالك حقلك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظا في ذلك

فأنزل الله في ذلك أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأؤتينا مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (مريم ٧٧ - ٨٠)

ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني فقال له والله يا محمد لتتركن سب آهتنا أو لنسبن إهلك الذي بعثك

فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (الأنعام ١٠٨)

فذكر لي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كف عن سب آهتهم وجعل يدعوهم إلى الله

والنضر بن الحارث بن كلدة من شياطين قريش ممن كان يؤذي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وينصب له

العداوة وكان قدم الحيرة وتعلم بما أحاديث ملوك القرس فكان إذا جلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مجلسا

فذكر فيه بالله ودعا فيه إلى الله وحذر قومه ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال أنا

والله يا معشر قريش أحسن حديثنا منه فهلهم فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن رستم الشيد واسنديار

وملوك فارس ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثنا مني والله ما محمد بأحسن حديثنا مني وما أحاديثه إلا أساطير الأولين

اكتبتها كما اكتبتها

فأنزل الله عز وجل فيه وقالوا أساطير الأولين اكتبتها فهي تتلى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في

السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما (الفرقان ٥ - ٦) وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن

وأنزل أيضا فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصبر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا

فبشره بعذاب أليم (الجاثية ٧ - ٨)

وهو القاتل سأنزل مثل ما أنزل الله فيما ذكر ابن هشام
قال ابن إسحاق وجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء
النضر بن الحارث فجلس معهم في المجلس وفيه غير واحد من رجال قريش
فتكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فعرض له النضر فكلمه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أفضحه ثم
تلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل
فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون (الأنبياء ٩٨ - ١٠٠)
ثم قام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس فقال له الوليد والله ما قام
النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم
فقال ابن الزبير أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن
نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم
فحجب الوليد ومن كان معه من قول ابن الزبير ورأوا أنه قد احتج وخاصم
فذكر ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال لهم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم
إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله عليه إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا
يسمعون

حسيسها وهم فيما اشتت أفسهم خالدون (الأنبياء ١٠١) أي عيسى وعزيرا ومن عبثوا من الأبحار
والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون إلى قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فلذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي
الظالمين (الأنبياء ٢٦ - ٢٩)

وأنزل فيما ذكر من أمر عيسى أنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته ولما ضرب ابن
مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ثم قال إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تترن بها واتبعوني هذا صراط مستقيم (الزخرف ٥٧ - ٦١) أي
ما وضعت على يديه من إحياء الموتى وإبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تترن بها واتبعوني
هذا صراط مستقيم

والأحسن بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وكان من أشرف القوم وممن يستمع منه فكان يصيب من رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} ويرد عليه فأنزل الله فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم (ن ١٠ - ١٣) إلى
قوله زينم

ولم يقل زينم لعيب في نسبه إن الله لا يعب أحدا بنسبه ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف والزينم العديد للقوم قال
الخطيم التميمي في الجاهلية
(زينم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد في عرض الأديم الأكارع) الطويل

والوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي
سيد تهيف ونحن عظيم القريتين

فأنزل الله فيه فيما بلغني وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا إلى قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون (الزخرف ٢٠ - ٢١)

وأبي بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسنا ما بينهما فكان عقبة بن أبي معيط قد جلس إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسمع منه فبلغ ذلك أبا فأتى عقبة فقال ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك واستغلظ من اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فستغل في وجهه

ففعل ذلك عدو الله عقبة فأنزل الله فيه ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا (الفرقان ٢٧ - ٢٩)

ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار فأنزل الله فيه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (يس ٧٨ - ٨٠)

واعترض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأممية بن خلف والعاص بن وائل وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه

فأنزل الله فيهم قل يا أيها الكافرون السورة كلها

أي إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم ولي دين وأبو جهل بن هشام لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يا معشر قريس هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها تزقما

فأنزل الله فيه إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم (الدخان ٤٤٣)

وأنزله الله فيه والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (الإسراء ٦٠)

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه فيينا هو في ذلك مر به ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله فيه عبس وتولى أن جاءه الأعمى إلى قوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة (عبس ١ - ١٤)

أي إنما بعثك بشيرا ونذيرا لم أحص بك أحدا دون أحد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصد به لمن لا يريدك قال ابن إسحاق ولما بلغ أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ذلك كان باطلا فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو

مستخفيا

وذكر موسى بن عقبة أن رجوع هؤلاء الذين رجعوا كان قبل خروج جعفر وأصحابه إلى أرض الحبشة وأهم الذين خرجوا أولا قبله ثم رجعوا حين أنزل الله سورة النجم قال وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمنال الذي يذكر به آهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنته ضلالتهم وكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله تعالى سورة والنجم قال أفرايمم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (النجم ١٩ - ٢٠) ألقى الشيطان عندها على لسانه كلمات حين ذكر الطواغيت فقال وإنهم لمن الغرائق العلى وإن شفاعتهن هي التي ترنجي

كان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ف وقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين آبائه فلما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} آخر والنجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه

فعجب القرينان كلاهما من اجتماعهم في السجود لسجود رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين

وأما المشركون فاطمأنت نفوسهم إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه لما ألقى الشيطان في أمنية النبي {صلى الله عليه وسلم} فسجدوا لتعظيم آهتهم

وفشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفيه وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وقال عز من قائل وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فنخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (الحج ٥٢ - ٥٤)

فلما بين الله قضاءه فبرأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم للمسلمين فاشتدوا عليهم فلهذا الذي ذكره ابن عقبة لم يستطع أحد ممن رجع من أرض الحبشة أن يدخل مكة إلا بجوار أو مستخفيا كما ذكر ابن إسحاق

قال فكان جميع من قدم مكة منهم ثلاثة وثلاثين رجلا دخل منهم بجوار فيمن سمى لنا عثمان بن مظعون الجمحي دخل بجوار من الوليد بن المغيرة وأبو سلمة بن عبد الأسد بجوار خاله أبي طالب

فأما عثمان فإنه لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان الوليد قال والله إن غدوي ورواحي آمننا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى

في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي
فمشي إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك قال لم يا بن أخي لعله
أذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضي بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره قال فانطلق إلى المسجد فرد علي
جواري علانية كما أجرتك علانية
فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان جاء يرد علي جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار
ولكني أحببت أن لا أستجير بغير الله

ثم انصرف عثمان وليد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشلهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
قال عثمان صدقت قال
وكل نعيم لا محالة زائل
الطويل

قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول
قال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم إن هذا سفية في
سفهاء معه فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك منه
فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ
من عثمان فقال أما والله يا بن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة
قال بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد
شمس
فقال له الوليد هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك
فقال لا

وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فإنه لما استجار بأبي طالب مشي إليه رجال بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب هذا منعت منا
ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن
أخي فقام أبو هب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما ترالون توثبون عليه في جواره من بين
قومه والله لتتتهن عنه أو
لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد
فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأبقوا على
ذلك

فقطع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما قال ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال
يجرضه على ذلك

و إن امرءا أبو عتيبة عمه
لفي روضة ما إن يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي
أبا معتب ثبت سوادك قائما

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة
تسب بها إما هبطت المواثما
وول سبيل العجز غيرك منهم
فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى
أخا الحرب يعصي الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عزيمة
ولم يخذلوك غامما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفر يقهم من بعد ود وألفة
جماعتنا كيما ينالوا المخارما
كذبتهم وبيت الله نبي محمد
ولما تروا يوما لدى الشعب قائما
الطويل

وكان أبو بكر رضي الله عنه كما حدثت عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من
تظاهر قريش على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه ما رأى قد استأذن رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} في الهجرة فأذن له فخرج مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن
عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش فقال أين يا أبا بكر
قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال لم فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف
وتكسب المعدوم فارجع فأنت في جوارى

فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد
إلا بخير

قالت فكفوا عنه وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا إذا قرأ
القرآن استبكي فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته
فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له إنك لم تجر هذا لؤذينا إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق
وكانت له هيئة ونحو فحن تنخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتهم فائته فأمره أن يدخل بيته فليصنع فيه
ما شاء

فمشى ابن الدغنة فقال يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك
منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت

قال أو أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله
قال فاردد علي جوارى قال قد رددته عليك

فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جوارى فشأنكم بصاحبكم

وعن القاسم بن محمد أن أبا بكر لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحشا على رأسه التراب فمر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال أبو بكر ألا ترى ما يصنع هذا السفيه قال أنت فعلت هذا بنفسك وهو يقول أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك
قال ابن إسحاق ثم إنه قام في نقض الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ولم يبل أحد فيها أحسن من بلاء
هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه فكان هشام لبني هشام واصلا وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني يأتي ليلا بالبعير قد أقره طعاما حتى إذا أقبله في فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه ليدخل الشعب عليهم ويأتي به قد أقره برا فيفعل به مثل ذلك

ثم إنه مشى إلى زهير بن أمية بن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد عملت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم عودته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا
فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في تقضها حتى أقضها قال قد وجدت رجلا قال من هو قال أنا قال له زهير ابغنا ثالثا

فذهب إلي المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبي أمية قال ابغنا رابعا

فذهب إلى أبي البخترى بن هشام فقال له نحوا ما قال للمطعم بن عدي فقال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم قال من هو قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك قال ابغنا خامسا
فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم ومكانهم فقال وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد قال نعم ثم سمي له القوم

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم
فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أناكل الطعام ولبس الثياب وبنو هاشم هلكت لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة

قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد كذبت والله لا تشق

قال زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك

فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأربعة قد أكلتها إلا باسمك اللهم
وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يرعمون
وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لأبي طالب يا عم إن الله قد سلط الأربعة على
صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو الله إلا أثبتته ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان قال أربك أخبرك بهذا قال
نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم
صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا
وإن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخي قال القوم رضينا فتعاقلوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا
قال ابن إسحاق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك الذين قاموا في نقضها
يمدحهم

ألا هل أتى بحرنا صنع ربنا
على نأيهم والله بالناس أروء
فنجبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
جزى الله رهطا بالحجون تنابعوا
على مالا يهدي لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه
إذا ما مشى في رفرع الدرع أحرد
جري على جل الخطوب كأنه
شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤي بن غالب
إذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل الجاد خارج نصف ساقه
على وجهه نسقى الغمام ونسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد
يحص على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لأفياء العشيرة صالحا
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
أظ بهذا الصلح كل مبرا

عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا
على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعا سهل بن بيضاء راضيا
وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقرام في جل أمرنا
وكنا قديما قبلها نودد
كنا قديما لا نقر ظلامه
وندرك ما شتتا ولا تنشد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم
وهل لكم فيما يجيء به غد
فإني وإياكم كما قال قاتل
لديك البيان لو تكلمت أسود
الطويل

أسود هنا اسم جبل كان قتل فيه قتيل لم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم
لأبان عن القاتل ولعرف بالجاني ولكنه لا يتكلم فذهبت مقاتلهم تلك مثلا
قال ابن إسحاق فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى
الهدى مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب
فكان طفيل بن عمرو اللوسى وكان رجلا شريفا شاعرا ليبي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله {صلى الله عليه
وسلم} بها فمشى إليه رجال من قريش فقالوا له يا طفيل إنك قلمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد
أعضل بنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين
الرجل وبين زوجته وإنما نحشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمع منه
قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غلوت إلى المسجد
كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمع
قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قائم يصلي عند الكعبة فقممت قريبا منه فأبى الله إلا
أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر وما يخفى علي
الحسن من القبيح فما يعني أن أسمع من هذا الرجل فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته
فمكثت حتى انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا
محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا بخوفوني
أمرك حتى سدت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله إلا أن يسمعني فسمعت قولاً حسناً فاعرض علي أمرك
فعرض علي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا
أمرأ أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم وداعيهم
إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال اللهم اجعل له آية

فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت على ثنية تطلعي على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قلت اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنما مثلة وقعت في وجهي لفرقي دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي فجعل أهل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالتنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جنتهم فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخا كبيرا فقلت إليك عني يا أبه فلست منك ولست مني قال لم يا بني قلت أسلمت وتابعت دين محمد قال أي بني فديني دينك فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم أتتني صاحبي فقلت لها إليك عني فلست منك ولست مني قالت لم بأبي أنت وأمي قلت فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد قالت فديني دينك فاذهبي إلى حنا ذي الشري قال ابن هشام ويقال هي ذي الشري فتطهري منه وكان ذو الشري صنما للوس والحنا هي حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل فقالت بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشري شيئا قلت لا أنا ضامن لذلك فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا علي ثم جئت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة فقلت

يا نبي الله إنه غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمن أسلم معي من قومي ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين

ثم لم أزل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى فتح الله عليه مكة قلت يا رسول الله ابعتني إلى ذي الكفنين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه

قال ابن إسحاق فخرج إليه فجعل وهو يوقد عليه النار يقول

يا ذا الكفنين لست من عبادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

الرجز

ثم رجع فكان بالمدينة حتى قبض الله رسوله فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيت حبس عني قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولئها قالوا ماذا قال أما حلق رأسي فوضعه وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي وأغيب فيها وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني

فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استقل منها ثم قتل

عام اليرموك في زمان عمر شهيدا

وذكر ابن هشام أن أعشى بني قيس بن ثعلبة خرج إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يريد الإسلام وقال قصيدة يمدحه فيها نذكرها بعد

فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليسلم فقال له يا أبا بصير إنه يجرم الزنا فقال الأعشى والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب فقال يا أبا بصير فإنه يجرم الخمر فقال أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتبه فأسلم

فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هذا ما ذكر ابن هشام في قصة الأعشى وظاهره يقتضي أن قصده كان إلى مكة وأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيها حينئذ لم يهاجر بعد

ويعارض هذا الظاهر ما ذكر من تحريم الخمر فإن أهل النقل مجمعون على أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد أن مضى بدر وأحد ونزل تحريمها في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن فإن صح أن خروج الأعشى كان قبل الهجرة كما في ظاهر الخبر فلعل المشرك الذي لقيه وأخبره عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بتحريم الخمر أراد بهذا القول تنفيره عن الإسلام وإبعاده عنه مع ما كان من كراهية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبدا للخمر وتنزيه الله إياه عنها

ألا تراه ليلة الإسراء لما عرضت عليه آنية الخمر واللبن اختار اللبن فقبل له هديت للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك والإسراء إنما كان بمكة في صدر الإسلام وقد يمكن أن يكون قصد الأعشى إلى المدينة بعد الهجرة وبعد تحريم الخمر فتلقاه بعض المشركين من قريش ممن لم يكن أسلم بعد

ولعل هذا هو الأولى بدليل قوله في قصيدته الآتية بعد

ألا أيهذا السائلي أين يممت

فإن لها في أهل يثرب موعدا

والله أعلم بالحقيقة في ذلك كله

والقصيدة التي مدح بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هي قوله

ألم تغتمض عينك ليلة أرمدا

وبت كما بات السليم مسهدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما

تناسيت قبل اليوم خلة مههدا

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن

إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا

كهولا وشبانا فقدت وثروة

فلله هذا الدهر كيف ترددا

وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع

وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتدل العيس المراقيل تعتلى

مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين ييمت
فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألني عني فيا رب سائل
حفي عن الأعمشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت
يذاها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية
إذا خلت حرباء الظهره أصيدا
وآليت لا آوي لها من كلاله
ولا من حفي حتى تلاقني محمدا
متى ما تناخني عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقى من فواضله ندا
نبيا يرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد
نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثلته
فترصد للموت الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها
ولا تأخذن سهما حديدا لتقصدا
وذا النصب المنسوب لا تسكنه
ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها
عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
لعاقبة ولا الأسير المقيدا

وسبح على حين العشيات والضحي

ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا

ولا تسخرن من بئس ذي ضرارة

ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

الطويل

قال ابن إسحاق وقد كان عدو الله أبو جهل مع عداوته رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبغضه إياه يذله الله إذا رآه

حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية قال قدم رجل من إراش يابل له مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثامها فأقبل الإراشي حتى وقف على ناد من قريش ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس في ناحية المسجد فقال يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي

فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يهزأون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فهو يؤدبك عليه

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذني حقي منه فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله

قال انطلق إليه وقام معه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فأنظر ما يصنع

قال وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى جاءه ف ضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فاخرج إلي فخرج إليه وما في وجهه من رائحة لقد انتقع لونه فقال أعط هذا حقه قال نعم لا يبرح حتى أعطيه الذي له

فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك

الجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي حقي

وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت

قال عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط

قال ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملتت رعبا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني

وذكر الواقدي عن يزيد بن رومان قال بينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالسا في المسجد معه رجال من

أصحابه أقبل رجل من بني زيد يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المادة أو يجلب إليكم جلب أو يحل تاجر

بساحتكم وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم يقف على الخلق حلقة حلقة

حتى انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أصحابه فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن

ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرة إبله فسامه أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه بها لأجله ساتم قال فأكسد علي سلعتي وظلمني قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأين أجمالك قال هي هذه بالخزورة

فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معه وقام أصحابه فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فرها فساوم الزبيدي حتى أحلقه برضاه فأخذها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وأبو جهل جالس في ناحية من السوق لا يتكلم ثم أقبل إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا عمرو إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد

فانصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقبل عليه أمية بن خلف ومن حضر من القوم فقالوا ذلت في يدي محمد فيما أن تكون تريد أن تتبعه وإما رعب دخلك منه قال لا أتبعه أبدا إن الذي رأيتم مني لما رأيته معه لقد رأيته رجلا عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها إلي لو خالفتها لكانت إياها أي لأتوا على نفسي وذكر محمد بن إسحاق عن أبيه قال كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب أشد قريش فخلا يوما برسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض شعاب مكة فقال له يا ركانة ألا تقني الله وتقبل ما أدعوك إليه قال لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعتك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أفرايت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك فقام إليه ركانة فصارعه فلما بطش به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أضجعه لا يملك من نفسه شيئا

ثم قال عد يا محمد فعاد فصارعه فقال يا محمد إن ذا للعجب أتصرعني قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتينني قال ادعها فدعا بها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال لها ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيته أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذي رأى وصنع

قال ابن إسحاق ثم قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى يقال إنهم من أهل نجران حين بلغهم خبره من الحبشة

فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديةهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عما أرادوا دعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه ما نعلم ركبا أحق منكم أو كما قالوا

فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا فيقال والله أعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنة به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين إلى قوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)

القصص ٥٢ - ٥٥)

فقال وقد سألت الزهري فقال ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه والآيات من المائدة قول عز وجل ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتنينا مع الشاهدين (المائدة ٨٢ - ٨٣)

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خياب وعمار وأبو فكيهة يسار وصهيب وأشبائهم هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون هؤلاء من الله عليهم من بيننا

بالهدى والحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا

فأنزل الله فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم (الأنعام ٥٢ - ٥٤)

وهؤلاء أيضا ومن قال بقولهم هم الذين عنى الله سبحانه بقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (الاحقاف ١١)

قال ابن إسحاق وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمد كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني فأنزل الله في ذلك من قولهم إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحنون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (النحل ١٠٣) وكان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال دعوه فإنما هو رجل أبت لوقد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شأنتك هو الأبت (سورة الكوثر) أي أعطيناك ما هو خير من الدنيا وما فيها والكوثر العظيم وقيل لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما الكوثر الذي أعطاك الله قال نهر كما بين

صنعاء إلى أيلة آينته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل قال عمر بن الخطاب إنها يا رسول الله لناعمة قال أكلها أنعم منها

ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قوما إلى الإسلام فقال له زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فأنزل الله في ذلك وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (الأنعام ٨ - ٤٩)

ومر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف وأبي جهل فهمزوه واستهزأوا به فغاضه ذلك فأنزل الله عليه ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (الأنعام ١٠)

(

ذكر الحديث عن مسرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قال ابن إسحاق ثم أسري برسول الله {صلى الله عليه وسلم} من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها فكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه {صلى الله عليه وسلم} عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} ومعاوية بن أبي سفيان وأم هانئ بنت أبي طالب والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين أسري به وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسري به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليه ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السموات والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء عليهم السلام قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء قال فسمعت قائلاً يقول إن أخذ الماء فغرق وغرقت أمته وإن أخذ الخمر فغوى وغوت أمته وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمته قال فأخذت إناء اللبن فشربت فقال له جبريل هديت وهديت أمتك يا محمد قال وحدثت عن الحسن أنه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمتم معه فخرج بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع يديه في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفرته وفي حديث قتادة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبتك عبد الله قبل محمد أكرم عليه منه فاستحيا حتى ارفض عرقاً ثم قر حتى ركبتة وفي حديث الحسن من انتهاء جبريل بالنبي {صلى الله عليه وسلم} إلى بيت المقدس وإمامته فيه بمن وجد عنده من الأنبياء على جميعهم السلام نحو ما تقدم من ذلك في حديث ابن مسعود قال ثم أتى ينادين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن فأخذ لبن إناء اللبن وترك إناء الخمر فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت أمتك وحرمت عليكم الخمر وذكر تحريم الخمر هنا غريب جداً والذي عليه العلماء أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد سنين من الهجرة قال الحسن ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى مكة فلما أصبح غداً على قريش فأخبرهم الخبر فقال

أكثر الناس هذا والله الإمر البين والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة

قال فارتد كثير من كان أسلم وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة فقال لهم أبو بكر إنكم تكذبون عليه فقالوا بلى ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس

فقال أبو بكر والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا نبي الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فإني قد جنته قال الحسن فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرفع لي حتى نظرت إليه فجعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت أشهد أنك رسول الله

حتى إذا انتهى قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأبي بكر وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق قال الحسن وأنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه لذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (الاسراء ٦٠)

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما دخل فيه من حديث فتادة قال ابن إسحاق وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولكن الله أسري بروحه

وكان معاوية بن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال كانت رؤيا من الله صادقة فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك قول الله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ولقوله تعالى في الخبر عن إبراهيم إذ قال لابنه يا بني إني أرى في المنام أبي أذبحك (الصافات ١٠٢ ٩) ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول تمام عيني وقلبي يقظان

فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعابن فيه ما عابن من أمر الله على أي حاله كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق

وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة صلوات الله على جميعهم فقال أما إبراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقي كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى ابن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس تحال رأسه يقطر ماء وليس فيه ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال كان علي إذا نعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول لم يكن بالطويل

الممغط ولا القصير المتردد كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القلط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكند دقيق المسربة أجرد شثن الكفين والقدمين إذا تمشى تقلع كأنما يمشي في صلب وإذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو {صلى الله عليه وسلم} خاتم النبيين أجود الناس كفا وأجراً الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله {صلى الله عليه وسلم}

قال ابن إسحاق وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب أنها كانت تقول ما أسري برسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا وهو في بيتي نام عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت معكم صلاة الغداة الآن كما ترين

ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداءه فتكشفت عن بطنه وكأنه قبطية مطوية فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك قال والله لأحدثنهموه فقلت لجارية لي حبشية ويحك اتبعي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى تسمعي ما يقول للناس وما يقولون له

فلما خرج إلى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فإننا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا

فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما وهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التعيم يقدمها جهل أوراق عليه غرارتان إحدهما سوداء والأخرى برقاء

فابتدر القوم الشية فلم يلقهم أول من الحمل كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوء ماء ثم غطوه وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوا ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد

أنفنا في الوادي الذي ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه

قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري أنه قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك

يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين حدث بهذا الحديث وما يعلم جنود ربك إلا هو (المدرثر ٣١)

فلما دخل بي قال من هذا يا جبريل قال محمد قال أو قد بعث قال نعم فدعا لي بخير وقاله

قال وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال ثم

تلقنتي الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقيني ملك إلا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك

من الملائكة فقال مثل ما قالوا ودعا بمثل ما دعوا به إلا أنه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره

فقلت لجبريل من هذا الملك الذي قال لي مثل ما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت

منهم فقال جبريل أما إنه لو كان ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك هذا مالك صاحب النار

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت لجبريل وهو من الله بالمكان الذي وصف لكم مطاع ثم أمين (التكوير ٢١) ألا تأمره أن يريني النار فقال بلى يا مالك أر محمدا النار فكشف عنها غطاءها فقارت وارتفعت حتى ظننت لتأخذ ما أرى

فقلت لجبريل مره فليردها إلى مكانها فأمره فقال لها اخبي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها

قال أبو سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها إذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد خبيث

قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها

قال ثم رأيت رجلا لهم مشافر كمشافر الإبل في أيديهم قطع من نار

كالأفهار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أديبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما ثم رأيت رجلا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ييمرون عليهم كالإبل المهيومة حتى يعرضوا على النار يطأونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا

ثم رأيت رجلا بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن ثم رأيت نساء معلقات بتنديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم

قال ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا

قال ثم أصدع بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب ثم أصدع بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا إدريس قال يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورفعناه مكانا عليا (مريم ٥٧)

قال ثم أصدع بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العنقون لم أر كهلا أجمل منه قلت من هذا يا جبريل قال هذا الحبيب في قومه هارون بن عمران

قال ثم أصدع بي إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقفي كأنه من رجال شنوءة فقلت من هذا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران

ثم أصدع بي إلى السماء السابعة فإذا كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة لم أر

رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم

ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألته لمن أنت وقد أعجبتني فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زيدا

ومن حديث عبد الله بن مسعود أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها من هذا يا جبريل فيقول محمد فيقولون أو قد بعث فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به إلى السماء السابعة ثم انتهى به إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألتني كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة في كل يوم قال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك فسله أن يخفف عنك وعن أمتك فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشرا ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه فأرجع فأسأل حتى انتهيت إلى أن وضع عني ذلك إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت على موسى فقال لي مثل ذلك فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحيت منه فما أنا بفاعل فمن أدهن منكم إيمانا واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة

قال ابن إسحاق فأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أمر الله صابرا محتسبا مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهزين خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم

الأسود بن المطلب الأسدي أبو زمعة وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال اللهم أعم بصره وأتكله ولده والأسود بن عبد يغوث الزهري والوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والحارث بن الطلائع الخزاعي

فلما تبادوا في الشر وأكثروا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} الاستهزاء أنزل الله عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر فسوف يعلمون (الحجر ٩٤ - ٩٦) فأتي جبريل عليه السلام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى جنبه فمر به الأسود بن المطلب فرمي في وجهه بورقة خضراء فعمي وسيأتي بعد أنه أصيب له يوم بدر ثلاثة من ولده ابناه زمعة وعقيل وابن ابنه الحارث بن زمعة فاستوفى الله سبحانه بذلك فيه لرَسُوله {صلى الله عليه وسلم} إجابة دعوته عليه بالعمي والشكل ثم مر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حينًا

وعن غير ابن إسحاق أنه لما نزل إنا كفيناك المستهزين (الحجر ٩٥) نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الأسود بن عبد يغوث الزهري فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالي خالي فقال له جبريل خله عنك ثم حناه حتى قتله

قال ابن إسحاق ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى اثر جرح بأسفل كعب رجله أصابه قبل ذلك بسنين وهو يمر سبله فانقض به فقتله

ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخص رجله شوكة فقتلته

ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخص قيحا فقتله

قال وكان النفر الذين يؤذون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيته أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي وكانوا جيرانه لم يسلم أحد منهم إلا الحكم فكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حجرا يستتر به منهم إذا صلى فكان {صلى الله عليه وسلم} إذا طرخوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود فيقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق قال ابن إسحاق ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتناجعت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المصائب بملك خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام يسكن إليها ومهلك أبي طالب عمه وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصر على قومه وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر على رأسه ترابا فدخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تمسح به التراب وهي تبكي ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لها لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب

قال ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه ولنعطه منا فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا فمشوا إلى أبي طالب فكلموه وهم أشرف قومه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرفهم فقالوا يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت وقد حضرنا ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال يا بن أخي هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه قال فصفقوا بأيديهم ثم قالوا أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهها واحدا إن أمرك لعجب ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آباءكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا

فقال أبو طالب لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} والله يا بن أخي ما رأيتك سألتهم شططا فلما قالها طمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيه فجعل يقول له أي عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يا بن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلي بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أنني إنما قتلها جزعا من الموت لقتلها لا أقولها إلا لأسرك بها فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه بجرم شفتيه فأصغى إليه بأذنيه فقال يا بن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم أسمع وخرج مسلم بن الحجاج من صحيحه من حديث المسيب بن حزن قال لما

حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بما عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب

فلم يزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (التوبة ١١٣)

(وأنزل في أبي طالب فقال لرسوله {صلى الله عليه وسلم} إنك لا تقدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (القصص ٥٦)

وفي الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح وفيه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه وعن ابن عباس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه

ويروي أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال يا معشر قريش أتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا احتزقوه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكنم بذلك على الناس القضييلة

ولهم به إليكم الوسيلة وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد واطركوا البغي والعقوق ففيهما هلك القرون قبلكم أجيوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام وإني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناها ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحو جهم إليه وأبعدهم منه أخطأهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منهم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي

ذكر خروج النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى الطائف بعد مهلك عمه أبي طالب

قال ابن إسحاق ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما لم تكن تنال منه في حياته خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الطائف وحده يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه

ورجا أن يقبلوا منه ما جاعهم به من الله
فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود
وحبيب بنو عمرو بن عمير ابن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح
فجلس إليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكلمهم بما جاعهم له من نصرته على الإسلام والقيام على من
خالقه من قومه

فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث
والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت
تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك
فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من عندهم وقد يتس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي إذ فعلتم ما
فعلتم فاكنموا علي وكره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يبلغ قومه فيذترهم ذلك عليه
فلم يفعلوا أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس
قال موسى بن عقبة وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين صفيهما جعل لا
يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضحهما بالحجارة حتى أدموا رجليه
وزاد سليمان التيمي أنه {صلى الله عليه وسلم} كان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه
فإذا مشي رجوه وهم يضحكون

قال ابن عقبة فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل حبلته منه وهو
مكروب موجه وإذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله
وذكر ابن إسحاق أن الحائط كان لهما وأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما اطمان يعني في ظل الحبلته قال
اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى
من تكلمي إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع
لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي
سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك

قال فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من
هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه
بين يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال له كل فلما وضع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيه يده
قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال له والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك قال نصراني وأنا من أهل نينوي فقال له رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى قال له عداس وما يدريك ما يونس ابن متى قال
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وسلم {يقبل رأسه ويديه وقدميه فلما جاءهما عداس قال له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال
يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي قالا ويحك يا عداس لا يصرفك عن
دينك فإن دينك خير من دينه

وقد خرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي {صلى الله عليه وسلم} هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد
فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبيني إلى ما أردت فانطلقت على وجهي وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادني وقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم
فنادني ملك الجبال فسلم علي فقال يا محمد ذلك لك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا

وذكر ابن هشام أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيؤه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته سار إلى حراء ثم بعث إلى الأخنس ابن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال إن بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك ثم تسلمح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن ادخل فدخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله

ولأجل هذه السابقة التي سبقت للمطعم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أساري بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء لنتني لتركتهم له
وفي انصراف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الطائف راجعا إلى مكة حين يس من خير ثقيف مر به نفر من الجن الذين ذكر الله تعالى في كتابه ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنحلة قد قام من جوف الليل يصلي فمر به أولئك نفر من الجن فيما ذكر ابن إسحاق قال وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه {صلى الله عليه وسلم} قال عز من قائل وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (الاحقاف ٢٩ - ٣٠)
ذكر عرض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نفسه على قبائل العرب
قال ابن إسحاق ثم قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به

فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويجزهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به

قال ربيعة بن عباد الدؤلي إني لغلाम شاب مع أبي بنى ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به وخلفه رجل أحول وضيء له غديران عليه حلة عدنية فإذا فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل يا

بني فلان إن هذا يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال ربيعة فقلت لأبي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما قال قال هذا عمه عبد العزي بن عبد المطلب أبو لهب وعن غير ربيعة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتى كندة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه وأتى كلبا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول لهم يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض نفسه على بني حنيفة فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم ذكر الواقدي بإسناد له عن عامر بن سلمة الحنفي وكان قد أسلم في آخر عمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال نسأل الله عز وجل أن لا يجرنا الجنة لقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ وبمجنة وبذي الحجاز يدعوننا إلى الله عز وجل وأن نمنع له ظهره حتى يبلغ رسالات ربه ويشترط لنا الجنة فما استجبنا له ولا ردنا جميلا لقد أفحشنا عليه وحلم عنا قال عامر فرجعت إلى حجر في أول عام فقال لي هوذة بن علي هل كان في موسمكم هذا خبر فقلت رجل من قريش يطوف على القبائل يدعوهم إلى الله وحده وإلى أن يمنعوا ظهره حتى يبلغ رسالته ربه وهم الجنة فقال هوذة من أي قريش قلت هو من أوسطهم نسبا من بني عبد المطلب

قال هوذة أهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قلت هو هو قال أما إن أمره سيظهر على ما هنا فقلت ها هنا قط من بين البلدان قال وغير ما هنا

ثم وافيت السنة الثانية فقدمت حجرا فقال ما فعل الرجل فقلت رأيته على حاله في العام الماضي قال ثم وافيت في السنة الثالثة وهي آخر ما رأيته وإذا بأمره قد أمر وإذا ذكره كثير من الناس وأسمع أن الخزرج تبعته فقدمت حجرا فقال لي هوذة ما فعل الرجل فقلت رأيته أمره قد أمر ورأيت قومه عليه أشداء فقال هوذة هو الذي قلت لك ولو أنا تبعناه كان خيرا لنا ولكننا نضن بملكنا وكان قومه قد توجه وملكوه قال عامر فمر بي سليط بن عمرو العامري حين بعته رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى هوذة فضيفته وأكرمته وأخبرني من خبر هوذة أنه لم يسلم وقد رد ردا دون رد قال فأخبرت سليطا خبري هوذة فأخبره سليط رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأسلم عامر ابن سلمة ومات هوذة بن علي سنة ثمان من الهجرة كافرا على نصرانيته ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بني عبس إلى الإسلام فلم يقبلوا

قال أبو وابصة العبسي فيما ذكر الواقدي جاءنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في منزلنا بمنى فدعانا إلى الله فوالله ما استجبنا له وما خير لنا وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي فقال لنا أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأي فقال له القوم من بين العرب نفعل هذا قال نعم من بين العرب فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ فقال له القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به وطمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ميسرة فكلمه فقال ميسرة ما أحسن كلامك وأنوره ولكن قومي يخالفوني وإنما الرجل بقومه فانصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخرج القوم صادقين إلى أهلهم فقال لهم ميسرة ميلوا بنا إلى فذلك فإن بها يهود نسأهم عن هذا الرجل فما ملوا إلى يهود فأخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر النبي {صلى

الله عليه وسلم { الأمي العربي يركب الحمار ويجتريء بالكسرة وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط في عينيه حمرة مشرب اللون قالوا فإن كان هذا الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإننا نحسده ولا نتبعه ولنا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى في العرب أحد إلا تبعه أو قتله فكونوا ممن يتبعه قال ميسرة يا قوم والله ما بقي شيء إن هذا لأمر بين قال القوم نرجع إلى الموسم ونلقاه ورجع القوم إلى بلادهم فأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه فقال يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك منذ يوم رأيتك أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله عز وجل إلا ما ترى من تأخر إسلامي وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } من مات على غير الإسلام فهو في النار فقال ميسرة الحمد لله الذي تنقذني فأسلم فحسن إسلامه وكان له عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه مكان

وعن ابن إسحاق أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم يقال له يحررة بن فراس والله لو أبى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له رأيت إن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أكون لنا الأمر من بعدك قال الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء

قال أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لعبرنا لا حاجة لنا بأمرك فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم موسمهم فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سأهم عما كان في موسمهم فقالوا جئنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لنا من تلاف هل لذبابها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط وإنما لحق فأين رأسكم كان عنكم وزاد الواقدي أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } لما قام عن بني عامر وانصرف إلى راحلته ليركبها أتاه بيجرة ونسبه الواقدي بيجرة بن عبد الله بن سلمة ورجلان معه فنحسوا به راحلته حتى سقط عنها ويقال قطعوا بطان راحلته

قال فقامت امرأة منهم يقال لها ضباعة بنت قرط وكانت قد أسلمت وكانت تحت عبد الله بن جدعان فكرهته ففارقها وخلف عليها بعده هشام بن المغيرة وهي أم ابنه سلمة وصاحت يا بني عامر أؤذي محمد وأنا شاهدة فقام إليهم غطيف وغطفان ابنا سهيل وعذرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير فضربوهم حتى هزموهم فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } حين رأهم صنعوا ما صنعوا اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء الآخرين فأسلم الذين بارك عليهم جميعا ومات الذين لعن وهم كفار

وذكر الواقدي أيضا من حديث جهم بن أبي جهم أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقف على بني عامر يدعوهم إلى الله فقام رجل منهم فقال له عجبنا لك والله أعياك قومك ثم أعياك أحياء العرب كلها حتى تأتينا وتردد علينا مرة بعد مرة والله لأجعلنك حديثنا لأهل الموسم

ونفض إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وكان جالسا فكسر الله عز وجل ساقه فجعل يصيح من رجليه وانصرف رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عنه

قال الواقدي بإسناد ذكره وأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غسان في منازلهم بعكاظ وهم جماعة كثيرة فجلس إليهم فدعاهم إلى الله تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال وأن تمنعوا لي ظهري حتى أبلغ رسالات ربي ولكم الجنة فقال رجل منهم هذا والله يا قوم الذي تذكر النصارى في كتبها والذي يقولون بقي من الأنبياء نبي اسمه أحمد فتعالوا تؤمن به وتتبعه فنكون من أنصاره وأوليائه فإنهم يزعمون أنه يظهر على ما بلغ الخف والحافر فيجتمع لنا شرف الدنيا مع ما يكون بعد الموت قال القوم فنكون نحن أول العرب دخل في هذا الأمر فتصب لنا العرب قاطبة ويبلغ ملوك بني الأصفر فيخرجوننا من ديارهم ولكننا نقف عنه وننظر ما تصنع العرب ثم ندخل فيما يدخل فيه الناس قال الرجل يا محمد تأبي عشيرتي أن يتبعوا قولي فيك ولو أطاعوني رشلوا قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن هذه القلوب بيد الله عز وجل فانصرف عنهم ثم عاد بعد ذلك إليهم فدعاهم إلى الإسلام فقالوا نرجع إلى من وراءنا ثم نلقاك قابلا فرجعوا فوفد منهم نفر إلى الحارث بن أبي شمر فذكروا له أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال الحارث إياكم أن يتبعه رجل منكم إذا يبيد ملكي من الشام ويتهمني هرقل قال فأمسكوا عن ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قال وأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بني محارب بن خصفة بعكاظ فوجدهم في محامهم فيهم شيخ منهم وهو جالس في أصحابه فنزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن راحلته ودعا إلى الله وطلب المنعة حتى يبلغ رسالات ربه فرد على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقيح الرد وقال له عجا لك يأبي قومك أن يتبعوك وتأتي إلى محارب تدعوهم إلى ترك ما كان عليه آباؤهم اذهب فإنه غير متبعك رجل من محارب آخر الدهر ويقبل إليه سفينة منهم فقال يا محمد ما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقا فلعمري إنك لتدعي من العلم أعظم مما سألتك عنه تزعم أن الله يوحى إليك ويكلمك فأسكت عنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وأقبل إليه رجل منهم يقال له سلمة بن قيس وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالسا قريبا من منزلهم فأراد أن يطرحه في البحر فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتنحى عن البحر فجعل سلمة يقول لو وقعت في البحر استراح منك أهل الموسم

وأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بزمام راحلته يقودها وهم يرمونها بالحجارة حتى تواري عنهم وهو يقول اللهم إنك لو شئت لم يكونوا هكذا وإن قلوبهم بيدك وأنت أعلم بهم فإن كان هذا عن سخط بك علي فلك العتبي ولا حول ولا قوة إلا بك

وذكر قاسم بن ثابت بن حزم العوفي من حديث عبد الله بن عباس عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لما أمر الله ورسوله {صلى الله عليه وسلم} أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفننا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وكان رجلا نسابا ومقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال ومن أي ربيعة أمن هامتها أم من لهازما قالوا بل من هامتها العظمى قال وأي هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الأكبر

فذكر الحديث في مناسبة أبي بكر إليهم ومقاولته لهم وانبراء دغفل بن حنظلة النسابة إليهم من بينهم وهو يومئذ

غلام حين بقل وجهه وموافقته لأبي بكر حتى اجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو حديث مشهور تركته لشهرته مع أن المقصود فيما بعده

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديراتان تسقطان على تربيته وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر

فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال له مفروق إنا لنزيد على ألف ولن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر فكيف المنعة فيكم قال علينا الجهد ولكل قوم جد قال أبو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يدلنا مرة ويدبل علينا لعلك أخو قرش

فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله فيها هو ذا

فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك فالإم تدعو يا أبا قريش

فتقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤمنوا وتتصروني فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد

فقال مفروق وإلام تدعو أيضا يا أبا قريش

فتلا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (الأنعام ٩١٥١)

فقال مفروق وإلام تدعو أيضا يا أبا قريش فتلا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (النحل ٩٠)

فقال مفروق دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهرنا عليك وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة

فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا

فقال هانئ قد سمعت مقالتيك يا أبا قريش وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك مجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا

فقال المثنى قد سمعت مقالتيك يا أبا قريش والجواب هو جواب هانئ ابن قبيصة في ترك ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر وإنما منزلنا بين صريبي اليمامة والسمامة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما هذان الصريان فقال أثمار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أثمار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره

غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه هو مما تكرهه الملوك فإن أحببت أن نؤويك ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه

فقال النعمان اللهم لك ذا

فتلا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (الأحراب ٤٥)

ثم فمض النبي {صلى الله عليه وسلم} فأخذ بيدي فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بما يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبما يتحاجزون فيما بينهم

قال ابن إسحاق فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله تعالى من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده

وقدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي

قال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اعرضها علي فعرضها عليه فقال إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور

فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلتته الخزرج قبل بعث

فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قد قتل وهو مسلم

وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره و شرفه ونسبه وهو القاتل

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى

مقاتلته بالغيب ساءك ما يفري

مقاتلته كالشهد ما كان شاهدا

وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

يسرك باديه وتحت أديمه

ثميمة غش تبترى عقب الظهر

تبين لك العينان ما هو كاتم

من الغل والبغضاء بالنظر الشرر

فرشني بخير طال ما قد بريتي

وخير الموالي من يريش ولا ييري

الطويل

ولما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير لكم مما جئتم له

فيأخذ أبو الحيسر جفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام عنهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج

ثم لم يلبث إياس أن هلك فأخبر من حضر من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون به يهلهل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات

فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما سمع

بدء إسلام الأنصار وذكر العقبة الأولى

قال ابن إسحاق فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعوده له خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج

قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن

وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد عزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم إن نبيا مبعوث الآن قد أظلم زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم

فلما كلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقكم إليه

فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا

وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار أسعد بن زرارة أبو أمامة وعوف بن الحارث بن رفاع وهو ابن عفراء ومن بني زريق رافع بن مالك بن العجلان ومن بني سلمة قطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر ابن نايي وجابر بن عبد الله بن رثاب

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

حتى إذا كان العام المقبل وافي الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فيهم من الستة المسمين قبل أبو أمامة وعوف ورافع وقطبة وعقبة ومن غير الستة من الخرج أيضا ذكوان بن عبد قيس بن خلدة الرقي وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة من بني غصينة من بلى حليف لهم والعباس بن عبادة بن نضلة العجلاني ومعاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ومن الأوس أبو الهيثم ابن مالك بن التيهان وعويم بن ساعدة فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى قال عبادة بن الصامت كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا بايعنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتاننا نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال فإن وفيتم فلکم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر قال ابن إسحاق فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معهم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة وكان يصلي بهم وذلك أن الأوس والخرج كره بعضهم أن يؤمه بعض إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير علي يدي مصعب بن عمير رضي الله عنه

ذكر ابن إسحاق عن سمي من شيوخه أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب ابن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم فلما سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما يومئذ سيادا قومهما بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه قال سعد لأسيد لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفنا فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفتيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال فوقف عليهما متشمتا فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فنتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما ذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالوا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تتشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديتهم فلما نظر إليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به

فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد فهيتهما فقالا نفعنا ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك

فقام سعد مغضبا مبادرا متخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال والله ما أراك أغويت شيئا ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشمتا ثم قال يا أبا أمامه والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارينا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب بن عمير أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان

فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهيله ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين

قالا تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نلخف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا أفضلنا رأيا وأيمننا تقيبة قال فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام علي حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة وواتل وواقف وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الإسلام وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألت
يلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس إما إن ضللنا
فيسرنا لمعروف السليل
فلولا ربنا كنا يهودا
وما دين اليهود بذئ شكول
ولولا ربنا كنا نصارى
مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات
مكشفة المناكب في الجلول

الوافر

ذكر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله ما أراد من كرامته والنصر لبيبه وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله حدث كعب بن مالك وكان ممن شهد العقبة وبايع بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال لنا البراء يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا ووالله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا فقلنا وما ذاك قال رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وأن أصلي إليها فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه فقال إني لمصل إليها فقلنا له لكننا لا نفعل فكننا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة فلما قدمناها وقد كنا عينا عليه ما صنع قال لي يا بن أخي انطلق بنا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلاصكم إياي فيه فخرجنا نسأل عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عنه فقال هل تعرفانه فقلنا لا فقال هل تعرفان العباس عمه قلنا نعم وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومهم وهذا كعب بن مالك فوالله ما أنسى قول رسول الله الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور {صلى الله عليه وسلم} يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وقد هدايني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر إليها وخالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي منه شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصلى معنا إلى الشام قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس كما قالوا نحن أعلم به منهم قال كعب ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا أخذناه معنا وكنا نكنم من معنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا وإنا نرغب بك أن تكون خطبا للنار غدا ثم دعونا إلى الإسلام وأخبرناه بمبعاد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إيانا العقبة فأسلم وشهد معنا وكان ثقيبا فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمبعاد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عدي بن عمرو بن ناي أم منيع إحدى نساء بني سلمة فاجتمعنا في الشعب ننظر رسول

الله {صلى الله عليه وسلم} حتى جاءنا ومعه عمه العباس وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجه وأوسها إن محمدا منا

حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحلمتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده

فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فتكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فحنن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلا ونحن قاطعوها يعني اليهود فهل عسييت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا

قال فتيسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال بل الدم الدم والمهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمهم

قال كعب وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس من الخزرج أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بن دليم والمنذر بن عمرو ومن الأوس أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر

قال ابن هشام وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كهلاء ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي قالوا نعم

وحدث عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال العباس بن عبادة بن نضلة أخو بني سالم بن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على فهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة

قالوا فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه

قال عاصم والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أعناقهم وقال غيره ما قاله إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم فالله أعلم أي ذلك كان

قال ابن إسحاق فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان

وفي حديث معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه قال كان أول من ضرب على يد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} البراء بن معرور ثم بايع القوم فلما بايعنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صرح الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط يا أهل الجبابج وهي المنازل هل لكم في منعم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هذا أذب العقبة هذا ابن أزيب ويقال ابن أزيب أتسمع أي عدو الله أما والله لأقرغن لك

ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ارفضوا إلى رحالكم فقال له العباس بن عباد بن نضلة والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيفنا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم أؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم

فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يملفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموه وبعضنا ينظر إلى بعض

ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام المخزومي وعليه نعلان له جديان فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر ما تستطيع وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ مثل نعلي هذا الفتى من قريش فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي فقال والله لتنتعلنهما

قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه قلت والله لا أردهما قال والله صالح والله لئن صدق الفأل لأسلبنه

وفي حديث غير كعب أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا لأمر جسيم ما كان قومي ليتفتوا علي بهذا وما علمته كان فانصرفوا عنه

ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عباد بأذاخر والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة وكلاهما كان نقيباً فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه

إلى عنقه بنسح رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير

قال سعد فوالله إني لقي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلو من الرجال

قال فقلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا

فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكمة شديدة فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير

فوالله إني لقي أيديهم يسحبوني إذ أوي إلي رجل ممن معهم فقال لي ويحك أما بينك وبين أحد من قريش تجارة ولا عهد فقلت بلى والله لقد كنت أجزى لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلاذي وللحارث بن حرب بن أمية قال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما

قال ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما عند الكعبة فقال لهما إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله إن كان ليجز لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده

قال فجاء فخلصا سعدا من أيديهم وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو

قال ابن هشام والذي أوى له أبو البحتري بن هشام

قال ابن إسحاق فكان أول شعر قبيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر قال

تداركت سعدا عنوة فأخذته

وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته ظلت هناك جراحة

وكان حقيقا أن يهان ويهدرا

الطويل

فأجابه حسان بن ثابت فقال

ولست إلى عمرو ولا المرء منذر

إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد

على شرف البرقاء يهوين حسرا

أفخخر بالكتان لما لبسته

وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم أنه

بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل

عن الشكل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تك كالشاة التي كان حنقها

بحفر ذراعها فلم ترض محفرا

ولا تك كالعاوي فأقبل نحوه

ولم يخشه سهم من النبل مضمرا

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا

كمستبضع تمرا إلى أرض خبيرا

الطويل

قال فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بما وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح وكان ابنه معاذ شهد العقبة وبايع بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان عمرو سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من أشرفهم وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون يتخذونها يعظمه ويطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة ابنه معاذ ومعاذ بن جبل في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فإذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ثم قال أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيتك فإذا أمسى ونام عمرو وعدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم

يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فإن كان فيك خير فامتع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو وعدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بجبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه فخرج يتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف يذكر صنمه ذلك وما أبصره من أمره ويشكر الله الذي أبقاه مما كان فيه من العمى والضلالة

والله لو كنت إلهما لم تكن

أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف للفقاك إله مستدن

الآن فتشناك من سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن

الواهب الرازق ديان الدين

هو الذي أبقاني من قبل أن

أكون في ظلمة قبر مرتهن

الرجز

قال ابن إسحاق وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء إنما يؤمر بالدعاء إلى الله تبارك وتعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنهم عن دينهم ونفوسهم عن بلادهم فهم من بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد منهم بأرض الحبشة ومنهم بالمدينة وفي كل وجه

فلما عنت قريش على الله وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله تبارك وتعالى لرسوله {صلى الله عليه وسلم} في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن

بغى عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم

بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور (الحج ٣٩ - ٤١)

ثم أنزل الله عليه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين الله (البقرة ١٩٣٥)
أي وحتى يعبد الله لا يعبد غيره
بدء الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق فلما أذن الله تبارك وتعالى لرسوله في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحق بإخوانهم من الأنصار وقال إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها

فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة

فكان أول من هاجر إليها من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد هاجر إليها قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا

قالت أم سلمة لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد

قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فجابدوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد وحسبني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي فرأى ما بي فرحمي فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها

فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني فارتحلت بعيري ثم أخذت بني فوضعتهم في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله قلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أبا بني عبد الدار فقال إلى أين يا بنت أبي أمية قلت أريد زوجي بالمدينة قال أو ما معك أحد قلت لا والله إلا الله وبني هذا قال والله مالك من مترك

فأخذ بخطام البعير يقودني معه يهوي بي فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله ثم استأخر عني فقال اركبي فإذا ركبت واستويت علي بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي

فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظرنا إلى قرية بني عمرو بن عوف وكان أبو سلمة بها قال زوجك

في هذه القرية فادخليها على بركة الله

ثم انصرف راجعا إلى مكة

فكانت أم سلمة تقول ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحباً كان أكرم من عثمان بن طلحة

قال ابن إسحاق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة

عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة بن غانم ثم عبد الله بن جحش بن رئاب من بني غنم بن ذودان بن أسد بن خزيمه حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه أبي أحمد عبيد بن جحش وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكان شاعراً وكانت عنده الفرعة بنت أبي

سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب

فعلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام فنظر إليها عتبة

تحقق أبو إماما يبأبا ليس فيها ساكن فتنفس الصعداء ثم قال

وكل دار وإن طالت سلامتها

يوما ستدركها النكباء والحبوب

البيسط

ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي

فذكر ذلك عبد الله بن جحش لما بلغه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له رسول الله {صلى الله عليه

وسلم} ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بما دارا في الجنة خيرا منها قال بلى قال فذلك لك

فلما افتتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فأبطأ عليه رسول الله {صلى الله عليه

وسلم} فقال الناس لأبي أحمد يا أبا أحمد إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يكره أن ترجعوا في شيء أصيب

منكم في الله فأمسك عن كلام رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وكان بنو غنم بن ذودان أهل الإسلام قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هجرة رجالمهم

ونساءهم فقال أبو أحمد بن جحش يذكر هجرة بني أسد بن خزيمه من قومه إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسوله

وإيعابهم في ذلك حين دعوا إلى الهجرة

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد

ومروها بالله برت يمينها

لنحن الأولى كنا بما ثم لم نزل

بمكة حتى عاد غنا سمينها

بما خيمت غنم بن ذودان وانبت

وما أرعدت غنم وخف قطينها

إلى الله تعدو بين مثنى وواحد

ودين رسول الله بالحق دينها

الطويل

وقال أبو أحمد أيضا

ولما رأني أم أحمد غاديا
بذمة من أحشى بغيب وأرهب
تقول فيما كنت لا بد فاعلا
فيمم بنا البلدان ولتأ يثرب
فقلت لها ما يشرب بمظنة
وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يعم
إلى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح
وناصحة تبكي بلمع وتندب
يرى أن وترا نأينا عن بلادنا
ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دما نهم
وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم
إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق
على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتموا كذبة وأزهم
عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا
ورغنا إبي قول النبي محمد
فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نمت بأرحام إليهم قريبة
ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب
فأي ابن أخت بعدنا يأمنكم
وأية صهر بعد صهري يرقب
ستعلم يوما أيننا إذ ترايلوا
وزيل أمر الناس للحق أصوب
الطويل

ثم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة

قال عمر رضي الله عنه لما أردنا الهجرة إلى المدينة اتعدت أنا وعياش ابن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب من أضاة بني غفار فوق سرف وقلنا أينما لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه فأصبحت أنا وعياش عندها وحبس عنا هشام وفتن فافتن

فلما قدمنا المدينة نزلنا يقباء وخرج أبو جهل والحارث أخوه إلى عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأمههما حتى قلما علينا فقالا له إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها بمشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك ففوق لها فقلت له يا عياش والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لا امتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت

فقال أبر قسم أمي ولي هنالك مال فأخذه

قلت والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش ما لا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما فأبي علي إلا أن يخرج معهما فلما أبي إلا ذلك قلت أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجية ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استتوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن

وفي غير حديث عمر أنهما دخلا به مكة همارا موثقا ثم قالوا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهااتكم كما فعلنا بسفهيها هذا

قال عمر رضي الله عنه في حديثه فكنا نقول ما الله بقابل من افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة أنزل الله تبارك وتعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم

من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (الزمر ٥٣)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتبها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذني طوى أصعد بما فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها فألقى الله في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة هذا ما ذكر ابن إسحاق في شأن هشام

وذكر ابن هشام عن يتيق به أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال وهو بالمدينة من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة أنا لك يا رسول الله بهما فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريد يا أمة الله فقالت أريد هذين المسجونين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعيهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك

ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال

(هل انت إلا إصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت) السريع
ثم قدما بهما المدينة على رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
ثم تتابع المهاجرون أرسالا فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف بالسبخ ويقال بل نزل
طلحة على أسعد بن زرارة
قال ابن هشام وذكر لي أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش
أتيتنا صعلوكا حقيرا فكتر مالك عندنا وبلغت الذي بلغته ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك
فقال لهم صهيب أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فإني قد جعلت لكم مالي
فبلغ ذلك رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال ربح صهيب ربح صهيب
قال ابن إسحاق وأقام رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في
الهجرة ولم يتخلف معه أحد بمكة من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق
وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله يجعل لك
صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه
ولما رأت قريش أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قد كانت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا
خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله { صلى
الله عليه وسلم } وعرفوا أنه مجمع لحربهم
فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها يتشاورون ما يصنعون
في أمره
فاعترض لهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بت فوقف على باب الدار في اليوم الذي اتعلوا له ويسمى يوم الزحمة
فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم لسمع ما
تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش
وغيرهم
فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من
غيرنا فأجمعوا فيه رأيا
فتشاوروا ثم قال قائل احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربعوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا
قبله زهيرا والنابعة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم
فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي
أغلقتم دونه إلى أصحابه فلاؤشكوا أن يشوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم
ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره
فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث
وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا وألفتنا كما كانت

قال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال لما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من أحياء العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد

قالوا وما هو يا أبا الحكم

قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسييا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو

عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم

فقال الشيخ النجدي القول ما قاله الرجل هو الرأي لا رأي غيره

فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له

فأتي جبريل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكانهم قال لعلي بن أبي طالب ثم على فراشي وتسج بردى هذا الحضرمي الأخضر فم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ينام في برده ذلك إذا نام

فاجتمعوا له وفيهم أبو جهل فقال وهو على بابه إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان لكم فيه ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وخرج عليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم أنا الذي أقول ذلك أنت أحدهم

وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه وجعل ينشر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين إلى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون (يس ٩)

حتى فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمدا قال خبيكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفلا ترون ما بكم

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون

فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقولون والله إن هذا ل محمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا

فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قول الله سبحانه وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (الأنفال ٣٠)

وأذن الله تبارك وتعالى عند ذلك لنبيه في الهجرة

ذكر الحديث عن خروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبي بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرين إلى المدينة

حدث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لا يخطى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه أتانا بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هذه الساعة إلا من حدث

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخرج عني من عندك فقال يا نبي الله إنما هما ابتنائي وما ذاك فذاك أبي وأمي

فقال إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة

فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة

قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك أن أحدا يكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يكي يومئذ

ثم قال يا نبي الله إن هاتين الراحتين قد كنت أعددتكما لهذا

وكان أبو بكر رجلا ذا مال فكان حين استأذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الهجرة فقال له لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا قد طمع بأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنما يعني نفسه فابتاع راحتين فحسبهما في داره يعلفهما إعدادا لذلك

واستأجر عبد الله بن أريقط رجلا من بني الدليل بن بكر وكان مشركا يدهما الطريق ودفعا إليه راحتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما

قال ابن إسحاق ولم يعلم بخروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خرج أحد إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر

أما علي فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخبره بخروجه وأمر أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الودائع التي كانت عنده للناس ولم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته

فلما أجمع عليه السلام الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ثم عمدا إلى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارا ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر فكان يفعل ذلك وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهارا ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار فكان عامر يرعى في رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا وذبحا فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندها إلى مكة تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفي عليه وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام بما يصلحهما وذكر ابن هشام عن الحسن بن أبي الحسن قال انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر إلى الغار ليلا فدخل أبو بكر قبله فلمس الغار لينظر فيه سبع أو حية يقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنفسه

ولما فقدت قريش رسول الله {صلى الله عليه وسلم} طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة يتبعون أثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع له لما انتهى إلى ثور وشق على قريش خروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنهم وجزعوا لذلك فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم ويوسلون من يطلبه فيما بعد عنهم وجعلوا مائة ناقة لمن رده عليهم ولما انتهوا إلى فم الغار وقد كانت العنكبوت ضربت على بابه بعشاش بعضها على بعض بعد أن دخله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما ذكروا قال قاتل منهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد

قالوا فنهى النبي {صلى الله عليه وسلم} يومئذ عن قتل العنكبوت وقال إنها جند من جنود الله وخرج أبو بكر البزار في مسنده من حديث أبي مصعب المكي قال أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدثون أن النبي {صلى الله عليه وسلم} لما كان ليلة بات في الغار أمر الله تبارك وتعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي {صلى الله عليه وسلم} وأمر الله العنكبوت فنسجت علي وجه الغار وأمر الله عز وجل حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وأتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي {صلى الله عليه وسلم} على قدر أربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين فرجع فقال لأصحابه ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد فسمع قوله النبي {صلى الله عليه وسلم} فعرف أن الله قد درأ بهما عنه فشمت عليهما وفرض جزاءهما واتخذت في حرم الله ففرخن أحسبه قال فأصل كل حمام في الحرم من فراخهما وذكر قاسم بن ثابت فيما تولى شرحه من الحديث أن الله أنبت الرأفة على باب الغار لما دخله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر رضي الله عنه قال وهي شجرة معروفة قال غيره تكون مثل قامة الإنسان ولها زهر أبيض تحشى به المخاد للينه وخفته وحكى الواقدي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما دخل الغار دعا بشجرة كانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار فحجبت أعين الكفار وهم يطوفون في الجبل

وقال أبو بكر لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر معه في الغار ثلاثا حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ببيعيريهما وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفره فإذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم تعلقها به فكان يقال لها ذات النطاق لذلك فيما ذكر ابن إسحاق

وأما ابن هشام فذكر أنها إنما يقال لها ذات النطاقين وهو المشهور عنها رضي الله عنها وذكر أنه سمع غير واحد من أهل العلم يفسره بأنها شقت نطاقها باثنين فعلمت السفره بواحد وانتطقت بالآخر قال ابن إسحاق فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قدم له أفضلهما ثم قال اركب فذاك أبي وأمي فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إني لا أركب بغيرا ليس لي قال فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها بذلك فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر خلفه مولاه عامر بن فهيرة ليخلمهما في الطريق

قال فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقالوا أين أبوك يا ابنة أبي بكر قلت لا أدري والله فرجع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمه طرح منها قرطي ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا

فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بني كعب مكان فتلقم

ومقعدها للمؤمنين بمرصد

الطويل

قالت أسماء فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأن وجهه إلى المدينة

وعن غير ابن إسحاق وهو عندنا بالإسناد من طرق أن أم معبد هذه امرأة من بني كعب من خزاعة وأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين مستنيتين فنظر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى شاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل بما من لبن قالت هي أجهد من ذلك قال أتأذنين أن أحلبها قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجتريت ودعا ياناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقي أصحابه حتى رويوا وشرب آخرهم ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاجا يتساوكن هزلا ضخامهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه لي يا أم معبد قالت رأيت

رجلا ظاهر الوضاعة أبلج الوجه حسن الخلق لم يعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دمع وفي أشفاره غطف وفي عنقه سطح وفي صوته صحل وفي لحيته كثافة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقة خرزات نظم يتحدرن ربعة لا يائس من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا

وأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه

رفيقين قالوا خيمتي أم معبد

هما نزلها بالهدى فاهتدت به

فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم

به من فعال لا تجارى وسؤدد

ليهن بني كعب مقام فتانهم

ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها

فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فنحلبت

له بصريح ضرة الشاة مزبد

فغادرها رهنا لديها لحالب

يردها في مصدر ثم مورد

الطويل

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت جعل يجاب الهاتف ويقول

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم

وقدس من يسري إليهم ويغتدي

ترحل عن قوم فضلت عقولهم

وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم

وأرسلهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا

عمى وهداة يهتدون بمهتدي

لقد نزلت منهم على أهل يثرب

ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وإن قال في يوم مقالة غائب

فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده

بصحبتته من يسعد الله يسعد

الطويل

وذكر أبو منصور محمد بن سعد الماوردي بإسناد له إلى قيس بن النعمان قال لما انطلق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر معه يستخفيان في الغار فمرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال والله ما لي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقا حملت أول الشاء فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اتنا بما فدعا لها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالبركة ثم حلب عسا فسقى أبا بكر ثم حلب آخر فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال العبد من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أترأى إن حدثتك تكتم علي قال نعم قال فإني محمد رسول الله قال أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ قال إنهم ليقولون ذلك قال العبد فإني أشهد أنك رسول الله وأن ما جمعت به الحق وأنه ليس يفعل فعلك إلا نبي ثم قال العبد أتبعك قال لا حتى تسمع بنا أنا قد ظهرنا

وخرج البرقاني في مصافحته من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما وأورده الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما من حديثه قال اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رجلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء أن يجمله إلى أهلي فقال له عازب حتى تحدثني كيف صنعت أنت ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم قال

ارتحلنا من مكة فأحسنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوى إليه فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها فنظرت بقية ظلها فسويتها وفرشت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع

ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أريد يعني الظل فسألته فقلت لمن أنت يا غلام قال لقلان رجل من قريش سماه فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت هل أنت حالب لي قال نعم فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا فضرب إحدى يديه على الأخرى فحلب لي كشيبة من لبن وقد رويت معي لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} إدواة على فمها خرقة فصبيت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليه وسلم وقد استيقظ قلت يا رسول الله اشرب فشرب حتى رضيت وقلت قد آن الرحيل يا رسول الله فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقبة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت قال لا تحزن إن الله معنا

قال فلما دنا فكان بيننا وبينه قدر رحمين أو ثلاثة قلت هذا الطلب يا رسول الله قد بلغنا وبكيت قال ما يبكيك فقلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك

فدعا عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها وقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر على إبلي وغمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا حاجة لي في إبلك ودعا له فانطلق راجعا إلى أصحابه وفي حديث البخاري ومسلم فجعل لا يلقي أحدا إلا قال قد كفيتكم ما هنا فلا يلقي أحدا إلا رده قال ووفى لنا

وعن سراقه بن مالك بن جعشم فيما أورده ابن إسحاق قال لما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم قال فبينما أنا جالس في نادي قومي أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي أنفا إني لأراهم محمدا وأصحابه

قال فأومأت إليه يعني أن أسكت ثم قلت إنما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم قال لعله ثم سكت فمكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي فقيدت لي إلى بطن الوادي وبسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ثم انطلقت فلبست لامتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره وكنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ المائة فركبت على أثرة فيينا فرسي يشتد بي عشر بي فسقطت عنه فقلت ما هذا ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره فبينما فرسي يشتد بي عشر بي فسقطت عنه فقلت ما هذا ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره فلما بدا لي القوم عشر بي فرسي وذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الأرض وتبعها دخان كالإعصار فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر

فناديت القوم أنا سراقه بن جعشم انظروني أكلمكم فوالله لا أريكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأبي بكر رضي الله عنه قل له من تبغي قال تكتبوا لي كتابا يكون آية بيني وبينك قال اكتب يا أبا بكر فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إلي فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرمح ويقولون إليك إليك ماذا تريد

فدنوت من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقه بن جعشم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم وفاء وبر ادن فدنوت فأسلمت ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنه فما أذكره إلا أبي قلت يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتما لأبلي هل لي من أجر في أن أسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى أجر

ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صدقتي وفي حديث آخر عن غير ابن إسحاق أن سراقه بن مالك بن جعشم هذا كان شاعرا مجيدا وأنه قال يخاطب أبا جهل بن هشام بعد انصرافه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

أبا حكم والله لو كنت شاهدا

لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا

رسول برهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القوم عنه فإنني

أرى أمره يوما ستبدو معاملة
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسأله
الطويل

وذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه شعرا نسبته إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يذكر فيه مسيره مع
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقصة الغار وأمر سراقه وهو

قال النبي ولم يجزع يوقرني
ونحن في سدفة من ظلمة الغار
لا نخش شيئا فإن الله ثالثنا
وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بواذره
كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا
وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم
إما غدوا وإما مدلج ساري
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا
قوم عليهم ذوو عز وأنصار
حتى إذا الليل وارتنا جوانبه
وسد دون الذي نخشى بأستار
سار الأريقط يهدينا وأنيقه
ينعين بالقرم نعيًا تحت أكوار
يعسفن عرض الثايا بعد أطولها
وكل سهب رفاق الترب موار
حتى إذا قلت قد أنجدن عارضها
من مدلج فارس في منصب وار
يردي به مشرف الأقطار معتمز
كالسيد ذي البلدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا إن كرتنا
من دونها لك نصر الخالق البارئ
إن يخسف الأرض بالأحوى وفارسه
فانظر إلى أربع في الأرض غوار

فهليل لما رأى أرساغ مقر به
قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفار
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسي
وتأخذوا موتقي في نصح أسرار
وأصرف الحي عنكم إن لقيتهم
وأن أعور منهم عين عوار
فادع الذي هو عنكم كف عدوتنا
يطلق جوادي وأنتم خير أبرار
فقال قولا رسول الله مبتهلا
يا رب إن كان منه غير إخفار
فنجه سالما من شر دعوتنا
ومهره مطلقا من كلم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافره
وفاز فارسه من هول أخطار
البسيط

وسراقة بن مالك هذا الذي أظهر الله فيه هذا العلم العظيم من أعلام نبوة نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} قد
أظهر الله فيه أثرا آخر من الآثار الشاهدة له عليه السلام بأن الله أطلعه من الغيب في حياته ما ظهر مصداقه بعد
وفاته

روى سفيان بن عيينه عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لسراقة بن مالك كيف
بك إذا لبست سواري كسرى

قال فلما أتى عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة ابن مالك فألبسه إياهما
وكان سراقة رجلا أذب كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن
هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج
ورفع بها عمر رضي الله عنه صوته

قال ابن إسحاق وذكر إسنادا رفعه إلى أسماء بنت أبي بكر قالت
لما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف أو ستة فدخل
علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله إني لأراه قد فجعلكم بماله مع نفسه فقلت يا أبت إنه قد ترك لنا
خيلا كثيرا

فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع
يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه ثم قال لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم
ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك

وذكر ابن إسحاق الطريق التي سلك برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبأبي بكر الصديق رضي الله عنه دليلهما
عبد الله بن أريقط والمناقل التي سار بهما عليهما إلى أن قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة

خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى وكادت الشمس تعتدل
وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمان خلون من ربيع الأول
فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا يا رسول
الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها
حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمندر بن عمرو في رجال منهم فقالوا يا رسول الله هلم إلينا
إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها
فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبي زهير وعبد
الله بن رواحة في رجال من بلحارث فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها
مأمورة فخلوا سبيلها

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم
اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال منهم فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى
العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده وهو يومئذ مريد لغلामين يتيمين من بني مالك بن
النجار في حجر معاذ بن عفراء فلما بركت ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليها لم ينزل وثبت فسارت غير
بعيد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} واضع لها زمامها لا يشيها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة
فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائها فنزل عنها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاحتمل أبو أيوب
رحله فوضعه في بيته

ونزل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بنى مسجده ومسكنه وسأل عن المرشد لمن هو فقال له معاذ بن
عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان له وسأرضيهما منه فاتخذ مسجدا
فأمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يبني وعمل فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليرغب المسلمين في
العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فقال قائل من المسلمين
ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنج ويقال على خارجة
بن زيد بن أبي زهير منهم

وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الودائع التي
كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنزل معه
فكان علي رضي الله عنه وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول كانت بقاء امرأة مسلمة لا زوج لها فرأيت
إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بالبا فتخرج إليه فيعطيهما شيئا معه فتأخذه
قال فاستربت شأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا
أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك
قالت هذا سهل بن حنيف قد عرف أبي امرأة لا أحد لي فإذا أمسى عدا علي أو ثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال
احتطبي بهذا

فكان علي رضي الله عنه يأت ذلك في أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق
قال ابن إسحاق فأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء

والخميس وأسس مسجدهم ثم أخرجهم الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعة
وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم
فأدرت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي
وادي رانونا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة
فأتاه عتيان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا يا رسول الله صلى الله عليك أقم عندنا
في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة لناقتة فخلوا سبيلها

فانطلقت حتى إذا وزنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا يا رسول
الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها
حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمندر بن عمرو في رجال منهم فقالوا يا رسول الله هلم إلينا
إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها
فانطلقت حتى إذا وزنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبي زهير وعبد
الله بن رواحة في رجال من بلحارث فقالوا يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها
مأمورة فخلوا سبيلها

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم
اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال منهم فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى
العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده وهو يومئذ مريد لغلामين يتيمين من بني مالك بن
النجار في حجر معاذ بن عفراء فلما بركت ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليها لم ينزل وثبت فسارت غير
بعيد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} واضع لها زمامها لا يشيها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة
فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرائها فنزل عنها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاحتمل أبو أيوب
رحله فوضعه في بيته

ونزل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بنى مسجده ومسكنه وسأل عن المرید لمن هو فقال له معاذ بن
عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان له وسأرضيهما منه فاتخذ مسجدا
فأمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يبني وعمل فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليرغب المسلمين في
العمل فيه فعمل فيه المهاجرون و الأنصار ودأبوا فقال قاتل من المسلمين

لئن قعدنا والنبي يعمل

لذلك منا العمل المضلل

الرجز

وحدث أبو أيوب قال لما نزل علي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العلو
فقلت له يا نبي الله بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فاطهر أنت فكن في العلو ونزل
نحن فنكون في السفلى فقال يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يعشانا أن نكون في سفلى البيت
فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقممت أنا وأم أيوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها نشفب بما الماء نخوفا أن يقطر على

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منه شيء فيؤذيه

فكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا وثوما فرده رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فقلت يا رسول الله بأبي وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة قال إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتما فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد

قال ابن إسحاق وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ولم يوجب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسوله {صلى الله عليه وسلم} إلا أهل دور مسمون

بنو مطعون من بني جمح وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أمية وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب فإن دورهم غلقت بمكة هجرة ليس فيها ساكن

فأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة بني له فيها مسجده ومسكته

قال وكانت أول خطبة خطبها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن نعوذ بالله أن نقول على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما لم يقل أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فليظنن يميننا وشمالا فلا ترى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم

فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزي الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قال ابن إسحاق ثم خطب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس مرة أخرى فقال إن الحمد لله أحمدته وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر فاختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى فقد سماه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئا واتقوه حق تقاته وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم

قال ابن إسحاق وكتب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم

وآخى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل تأخروا في الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي فكان رسول الله {صلى الله

عليه وسلم { سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب أخوين

ثم سمى ابن إسحاق نفرا من آخى بينهم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } من أصحابه تركنا ذكرهم اختصارا قال وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد بيني أخذته الذبحة أو الشهقة فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بتس الميت أبو أمامة ليهود ولناقيي العرب يقولون لو كان نبيا لم يميت صاحبه ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا

ولما مات أبو أمامة اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وكان أبو أمامة نقيهم فقالوا يا رسول الله إن هذا كان منا حيث قد علمت فاجعل منا رجلا مكانه يقيم في أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أنتم أخوالي وأنا أولى بكم فأنا نقيكم وكره رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أن يخص بما بعضهم دون بعض

فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم أن كان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } نقيهم قال ابن إسحاق فلما اطمأن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحکم أمر الإسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان

وقد كان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } حين قدمها إنما يجتمع إليه الناس للصلاة في حين موافقتها بغير دعوة فهم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أن يجعل بوقا كوق يهود الذي يدعون به لصالحهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس ففتح ليضرب به المسلمون للصلاة

فبيناهم على ذلك رأى عبد الله بن زيد أخو بلحارث بن الخرج النداء فأتى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال له يا رسول الله إنه طاف في هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أحضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعوا به إلى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله

فلما أخبر بها رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال إنما لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وهو يجير رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فله الحمد

وذكر ابن هشام عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب بينا هو يريد أن

يشترى خشبتين للناقوس عندما ائتمر به النبي { صلى الله عليه وسلم } وأصحابه إذ رأى في المنام أن لا تجعلا

الناقوس بل أذنوا بالصلاة

فذهب عمر إلى النبي { صلى الله عليه وسلم } ليخبره بالذي رأى فما راعه إلا بلال يؤذن وقد جاء النبي { صلى الله عليه وسلم } بالوحي بذلك فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } حين أخبره سيقك بذلك الوحي

قال ابن إسحاق فلما اطمأنت برسول الله {صلى الله عليه وسلم} داره وأظهر الله بما دينه وسره بما جمع من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني عدي بن النجار يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام وما خصهم به من نزول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليهم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة

يذكر لو يلقي صديقا مواليا

ويعرض في أهل المواسم نفسه

فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا

فلما أتانا أظهر الله دينه

فأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وألقى صديقا واطمأنت به النوى

وكان له عوننا من الله هاديا

يقص لنا ما قال نوح لقومه

وما قال موسى إذ أجاب المناديا

فأصبح لا يخشى من الناس واحدا

قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من جل مالنا

وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

ونعلم أن الله لا شيء غيره

ونعلم أن الله أفضل هاديا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم

جميعا وإن كان الحبيب المصافيا

أقول إذا أدعوك في كل بيعة

تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا

أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة

حنانك لا تظهر علي الأعاديا

فطأ معرضا إن الختوف كثيرة

وانك لا تبقى لنفسك باقيا

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي

إذا هو لم يجعل له الله واقيا

ولا تجعل النخل المقيمة رها

إذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا

الطويل

وكان أبو قيس هذا رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من

الخاص من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذ مسجدا لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب
وقال أعبد رب إبراهيم حتى قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير
وكان قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول في ذلك أشعرا حسانا هو الذي يقول

يقول أبو قيس وأصبح غاديا

ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا

أوصيكم بالله والبر والتقوى

وأعرضكم والبر بالله أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسبنهم

وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى اللواهي بقومكم

فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا

وإن ناب غرم فادح فارقوهم

وما حملوكم في الملمات فاحلموا

وإن أتم أمعرتم فتعففوا

وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

الطويل

وقال أبو قيس أيضا

سبحوا الله شرق كل صباح

طلعت شمسه وكل هلال

عالم السر والبيان لدينا

ليس ما قال ربنا بضلال

وله الطير تستدير وتأوي

في وكور من آمانات الجبال

وله الوحش بالقلابة تراها

في حقاف وفي ظلال الرمال

وله هودت يهود ودانت

كل دين إذا ذكرت عضال

وله شمس النصارى وقاموا

كل عيد لديهم واحتفال

وله الراهب الحبيس تراه

رهن بؤس وكان ناعم بال

يا بني الأرحام لا تقطعوها

وصلوها قصيرة من طول
واتقوا الله في ضعف البتامي
ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتم وليا
علما يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه
إن مال اليتيم يرعاه ولي
يا بني النجوم لا تخزلوها
إن خزل النجوم ذو عقال
يا بني الأيام لا تأمنوها
واحدروا مكرها ومر الليالي
واعلموا أن أمرها لنفاد الخلق
ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البر والتقوى
وترك الخنا وأخذ الحلال
الخفيف

قال ابن إسحاق ونصب عند ذلك أحبار يهود لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما
خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم
وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من
الشرك والتكذيب بالبعث إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من
القتل وناقوا في السر فكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي {صلى الله عليه وسلم} وجحودهم الإسلام
وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويتعننونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق
بالباطل إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريقي فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل في الحلال
والحرام كان المسلمون يسألون عنها

وكان من حديث عبد الله بن سلام وإسلامه وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله {صلى الله عليه وسلم}
عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم المدينة
فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة
بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كبرت فقالت لي عمتي حين
سمعت تكبيرتي خبيك الله لو كنت سمعت موسى بن عمران قادم ما زدت
فقلت لها أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به
فقالت أي ابن أخي هو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة فقلت لها نعم فقالت فذاك إذا

قال ثم رحى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأسلمت ثم رجعت إلى أهلي فأمرتهم فأسلموا وكنتم إسلامي
من يهود

ثم جئت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت يا رسول الله إن يهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبي عنهم ثم تسألم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فيألموا به بهتوني وعابوني

قال فأدخلني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أي رجل الحصين بن سلام فيكم فقالوا سيدنا وابن سيدنا وحرنا وعالمنا فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فأني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقته وأعرفه قالوا كذبت ثم وقعوا بي

فقلت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ألم أخبرك يا نبي الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور

قال فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمي خالدة فحسن إسلامها

قال ابن إسحاق وكان من حديث مخبريق وكان حبرا عالما غنيا كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق

قالوا إن اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وأصحابه بأحد وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي ل محمد يصنع فيها ما أراه الله

فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل وقبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمواله فعامته صدقاته بالمدينة منها

وكان {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغني يقول مخبريق خير يهود

قال وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن صفية ابنة حبي أمها قالت كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما مع ولد لهما إلا أخذاني دونه فلما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للمدينة غدا عليه أبي وعمي مغلسين فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس فأتيا كالمين كسالين ساقطين يمسيان الهويبي فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت

وكان هذان الأخوان الشقيان من أشد يهود للعرب حسدا لما خصهم الله برسوله {صلى الله عليه وسلم} فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله عز وجل فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير (البقرة ١٠٩)

ومر شأس بن قيس وكان شيخا قد عمى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بني قبيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار

فأمر شابا من يهود كان معه فقال اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعثت وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار وكان يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس وكان عليها يومئذ حضير أبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعا

ففعل الشاب ما أمره به شأس فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجالان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي وجبار بن صخر فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتُم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة وهي الحرة السلاح السلاح

فخر جوا إليها وبلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله أبعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سامعين مطيعين وقد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس فأنزل الله تبارك وتعالى في شأن شأس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن

سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون (آل عمران ٩٩)

وأنزل الله في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (آل عمران ١٠٠ - ١٠٣)

قال وحدثت عن سعيد بن جبير أنه قال أتى رهط من يهود رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا له يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه قال فغضب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه فقال خفض عليك يا محمد وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

فلما تلاها عليهم قالوا فصف لنا يا محمد كيف خلقه كيف ذراعة كيف عضده

فغضب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أشد من غضبه الأول وساورهم فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال أول مرة وجاءه من الله تبارك وتعالى بجواب ما سأله عنه يقول الله جل وعلا وما قدره الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (الزمر ٦٧)

ودخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدارس على يهود فوجد منهم

ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر من أخبارهم يقال له أشيع

فقال أبو بكر لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدون مکتوبا عندكم في التوراة والإنجيل

فقال فنحاص لأبي بكر والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه إلينا كما يتضرع وأنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا

فغضب أبو بكر فضرب وجهه فنحاص ضربا شديدا وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله

فذهب فنحاص إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال أبو بكر يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً إنه زعم أن الله فقير وأهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك

فأنزل الله عز وجل فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقا لأبي بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (آل عمران ١٨١) ونزل في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور (آل عمران) وكان ممن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس والخزرج فيما ذكروا والله أعلم من الأوس جلاس بن سويد بن الصامت من بني حبيب بن عمرو بن عوف وهو القاتل وكان ممن تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر

وكان في حجره عمير بن سعد خلف جلاس على أمه بعد أبيه فقال له عمير والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنه عندي وأعزه علي أن يصيبه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحك ولئن صمت عليها ليهلكن ديني وإلحداهما أيسر علي من الأخرى ثم مشي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذكر له ما قال جلاس فحلف جلاس لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال فأنزل الله فيه يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعنهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير (التوبة ٧٤)

فرعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير وأخوه الحارث بن سويد قتل الجذر بن زياد البلوي وذلك أن الجذر فيما ذكر ابن هشام قتل أباه سويد بن الصامت في بعض الحروب إذ كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث غرة الجذر ليقتله بأبيه فقتله وذكر ابن إسحاق أن سويدا إنما قتله معاذ بن عفراء غيلة في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعث قال وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتل

الحارث إن هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه فأنزل الله تبارك وتعالى فيه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (آل عمران ٨٦) إلى آخر القصة

ونبتل بن الحارث من بني ضبيعة بن زيد بن مالك وهو القاتل إنما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه فأنزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة

للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (التوبة ٦١)
وفيه قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما ذكر من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث
وكان جسيما أدلم نأثر شعر الرأس أحمر العينين
وذكر أن جبريل أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال إنه يجلس إليك رجل أدلم نأثر شعر الرأس أسفع
الخددين أحمر العينين كأههما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره
وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث فيما يذكرون
وعمر بن خدام وعبد الله بن نبتل وحارثة بن عامر بن العطف وابناه زيد ومجمع وهم ممن أخذ مسجد الضرار
وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره وكان يصلي بهم فيه فلما كان زمان عمر بن الخطاب كلم في
مجمع ليصلي بقومه بني عمرو بن عوف في مسجدهم فقال لا أو ليس يمام المنافقين في مسجد الضرار
فقال له مجمع يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم ولكني كنت غلاما قارئا للقرآن
وكانوا لا قرآن معهم فقدموني أصلي بهم وما أرى أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا
فرعموا أن عمر رضي الله عنه تركه فصلى بقومه
ومن الخزرج ثم من بني عوف عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون
وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل وسيأتي ذكر ذلك مستوفي
وبيان سببه عند الانتهاء إلى غزوة بني المصطلق إن شاء الله تعالى

وقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للمدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبي هذا لا يختلف عليه في شرفه من قومه
اثنان لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين
حتى جاء الإسلام ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن
النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد وكان قد ترهب ولبس المسوح فكان يقال له
الراهب فشقيا بشر فهما

أما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليوجوه ويملكوه عليهم فجاءهم الله تبارك وتعالى برسوله {صلى
الله عليه وسلم} وهم على ذلك فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} قد استلبه ملكا فلما رأى قومه قد أبو إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن
وحدث أسامة بن زيد حب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ركب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى
سعد بن عبادة يعوده من شكوا أصابه على حمار عليه أخاف فوقه قطيفة فركبه فخطمه بجبل من ليف وأردفني خلفه
فمر بعبد الله بن أبي وحوله رجال من قومه فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تنم أن يجاوزه حتى ينزل
فنزل فسلم ثم جلس فنلا القرآن ودعا إلى الله وذكر به وحذر وبشر وأنذر وعبد الله زام لا يتكلم حتى إذا فرغ
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا فاجلس في بيتك فمن
جاءك فحدثه إياه ومن لم يأتك فلا تغشه به ولا تأته في مجلسه بما يكره

فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين بل فاغشنا به واثنتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله
ما نحب ومما أكرمنا الله به وهدانا له
فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى
متى ما يكن مولاك خصمك لم تنزل

تدل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه
وإن جد يوما ريشه فهو واقع
الطويل

قال وقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عدو الله ابن أبي فقال
والله يا رسول الله إني لأرى في وجهك شيئا لكأنك سمعت شيئا تكرهه قال أجل ثم أخبره بما قال ابن أبي فقال سعد
يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له الخرز لتوجه فإنه ليرى أن قد سلبت له ملكا
وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام وأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
حين قدم المدينة فقال ما هذا الدين الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فأنا عليها فقال له رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} إنك لست عليها

قال إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها قال ما فعلت ولكني جئت بما بيضاء نقية قال الكاذب أماته الله
طريدا غريبا وحيدا يعرض برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أجل فمن
كذب يفعل الله ذلك به

فكان هو ذلك عدو الله خرج إلى مكة بيضة عشر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق
فلما افتتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها
طريدا غريبا وحيدا

قال ابن إسحاق وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بني قينقاع
سعد بن حنيف ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى وزيد بن اللصيت وهو الذي قال حين ضلت ناقه رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وادل على ناقته وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله إن قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا
يدري أين ناقته وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة
بزمامها

فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكما وصف
وكان هؤلاء المنافقون المسمون وغيرهم ممن لم يسم يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم
ويستهزئون بدينهم

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء
المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الاندلسي

فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا فقام أبو أيوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس أحد بني غنم بن مالك بن النجار وكان صاحب آهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلببه بردائه ثم نثره نثرا شديدا ثم لطم وجهه وأخرجه من المسجد وهو يقول أف لك منافقا خبيثا أدرا جك يا منافق من مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فأخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمه خر منها قال يقول خدشتني يا عمارة قال أبعذك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقرب من مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقام أبو محمد رجل من بني النجار وكان بدريا إلى قيس بن عمرو فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد وكان قيس غلاما شابا لا يعلم في المنافقين شاب غيره وقام رجل من بلحارث يقال له عبد الله بن الحارث إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو وكان ذا حمة فأخذ بجمته يسحبه سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه من المسجد قال يقول المنافق لقد أغلظت يا ابن الحارث فقال له إنك أهل لذلك يا عدو الله لما أنزل الله فيك فلا تقرب مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإنك نجس وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه ذوي بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا وأفف منه وقال غلب عليك الشيطان وأمره فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بإخراجهم ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها فيما بلغني والله أعلم وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة وفد نصارى نجران ستون راكبا فدخلوا عليه المسجد حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم يومئذ من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وحانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دعوهم فصلوا إلى المشرق وكان فيهم أربعة عشر رجلا من أشrafهم في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلتهم ومجتمعهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر ابن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم

وصاحب مدارسهم وكان أبو حارثة هذا قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكان ملوكهم قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة ويقال كوز بن علقمة فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز تعس الأبعد يريد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له أبو حارثة بل أنت تعست قال ولم يا أخي قال والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره فقال له كوز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى

فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث

وكان أبو حارثة هذا ممن كلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هو العاقب والسيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم في عيسى عليه السلام يقولون هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ويقولون هو ولد الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذ ذل ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ويقولون هو ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد

ففي كل هذا من قولهم قد نزل القرآن مدحضا حججهم ومبطلا دعوايهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

قال الله العظيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال

المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (المائدة ٤٥) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومن من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (المائدة ٧٢ - ٧٥)

وقال عز من قائل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخولوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إله واحد لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (التوبة ٣٠ - ٣١)

ولما كلموا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمرهم بالإسلام فقال له حبران ممن كلمه منهم قد أسلمنا فقال لهما إنكما لم تسلما فأسلما فقالا بلى قد أسلمنا قبلك

فقال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير

قالا فمن أبوه يا محمد

فصمت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم يجبهما

فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها

فافتتح السورة بتنزيه نفسه سبحانه مما قالوا وتوحيده إياها بالخلق والأمر ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا

معه من الأنداد ليعرفهم بذلك ضاللتهم فقال جل قوله وتعالى جده ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك

الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى

للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم (آل عمران ١ - ٦)

ثم استمر سبحانه فيما شاء من التبيان لهم والإعذار إليهم والاحتجاج عليهم وإرشاد عباده المؤمنين إلى سبيل الضراعة إليه بأن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم وأن يهب لهم من لدنه رحمة وما وصل بذلك من قوله الحق وذكره الحكيم

ثم استقبل لهم أمر عيسى وكيف كان بدء ما أراد به فقال إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
ثم ذكر امرأة عمران ونذرها لله ما في بطنها محررا أي تعبد له سبحانه لا ينتفع به لشيء من الدنيا ثم ما كان من وضعها مريم وتعيينها إياها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم
يقول الله تبارك وتعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نباتا حسنا وكفلها زكريا أي ضمها وقام عليها بعد أبيها وأمها

ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به وما أعطاه إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم وقول الملائكة لها يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يقول الله جل وعز ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم أي يستهمون عليها أيهم يخرج سهمه يكفلها وما كنت لديهم إذ يختصمون أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها

يخبره بخفي ما كنتموا منه من العلم تحقيقا لنبوته وإقامة للحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه
ثم قال تعالى إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه اسمه

المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين
أي هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وإن هذه حالاته التي يتقلب بها في عمره كتنقلب بني آدم في أعمارهم صغارا وكبارا إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد مواقع قدرته قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
أي يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ويصور في الأرحام ما يشاء وكيف يشاء بذكر وبغير ذكر
إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

ثم أخبرها بما يريد به من كرامته وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة المنزلة على موسى قبله والإنجيل المنزل عليه وجعله رسولا إلى بني إسرائيل مؤيدا من الآيات بما هو صادر عن إذنه موقوف على مشيئته تحقيقا لما أراد من نبوته كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وغير ذلك مما أيده الله به من العجائب المصدقة له وأمره إياهم بتقوى الله وطاعته وقوله لهم إن الله ربي وربكم تريا من الذي يقولون فيه واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الهدى قد حملتكم عليه وجنتكم به فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله
قال الحواريون نحن أنصار الله إلى آخر قولهم

ثم ذكر رفعه إياه إليه حين اجتمعوا لقتله فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك

ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم القصة حتى انتهى إلى

قوله ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين
أي قد جاءك الحق من ربك فلا ترتابن به ولا تترين فيه وإن قالوا كيف خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيفية أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
نبتهل ندعو باللعنة ونبتهل أيضا نجتهد بالدعاء

إن هذا هو القصص الحق أي ما أخبرتك به من أمر عيسى وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليهم بالفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون
فدعاهم الله إلى النصف وقطع عنهم الحجة

فلما أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الخبر من الله عز وجل في شأن عيسى وفصل القضاء بينه وبينهم بما أمر به من ملاحظتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه

فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعقب وكان ذرايعهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم من خبر صاحبكم بالحق ولقد علمتم ما لآعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه للاستتصال منكم إن فعلتم فإن كنتم قد أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم

فأتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع إلى ديننا ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضى

فقال لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} انتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين
فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أحببت الإمارة قط حيي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الظهر سلم ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت أتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس بصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه

قال عمر فذهب بما أبو عبيدة

ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم حتى جهلوا فما كانوا يصلون إلا وهم قعود وصرف الله ذلك عن نبيه {صلى الله عليه وسلم} فخرج عليهم

صلوات الله عليه وهم يصلون كذلك فقال لهم اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فحشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ممن أصابته الحمى وكذلك مولياه عامر بن فهيرة وبلال قالت عائشة فدخلت أعودهم قبل أن يضرب علينا الحجاب وهم في بيت واحد وبهم مالا يعلمه إلا الله من الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجددك يا أبت فقال

كل امرئ مصبح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

الرجز

فقلت والله ما يدري أبي ما يقول ثم دنوت إلى عامر فقلت كيف تجددك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت دون ذوقه

إن الجبان حنفته من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه

كالثور يجمي جلده بروقه

الرجز

قالت وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته وقال

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

بواد وحولي إذخر وجيليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة وطفيل

الطويل

قالت عائشة فذكرت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما سمعت منهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم حبب لنا المدينة كما حبيت إلينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدها وصاعها واقل وباءها إلى مهيجة وهي الجحفة

آمنة الأسعد كتاب الإكفاء

أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

شروع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حرب المشركين وذكر مغازيه التي أعز الله بها الإيمان والمؤمنين قال ابن إسحاق ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله تبارك الله وتعالى به من جهاد عدوه وقتال من أمره الله بقتاله ممن يليه من مشركي العرب

وخرج غازيا في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة

حتى بلغ ودان وهي غزوة الأبواء يريد قريشا وبنو ضمرة من بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة

وكان الذي وادعه منهم عليهم محشي بن عمرو الضمري وكان سيلهم في زمانه ذلك

ثم رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين
ليس فيهم من الأنصار أحد
فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي
وقاص قد رمي يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في سبيل الله
وقال سعد في رميته تلك فيما يذكرون
ألا هل أتى رسول الله أني
حميت صحابتي بصدور نبلي
أذود بما أوائلهم ذيادة
بكل حزنونة وبكل سهل
فما يعتد رام في علو
بسهم يا رسول الله قبلي
الوافر

في أبيات ذكرها ابن إسحاق وذكر ابن هشام أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد
ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية
وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراي وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا
بالكفار

ويقال إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في غزوة عبيدة هذه
أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث
أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصددها
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا

عليه وقالوا لست فينا بماكث

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا

وهروا هرير الحجرات اللواث

فكم قد متتنا فيهم بقراية

وترك التقى شيء لهم غير كارث)

فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائث
ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأثاث
فأولي برب الرقصات عشية حراجيج تجري في السريح الرثاث
كأدم ظباء حول مكة عكف بردن حياض البئر ذات النبات
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ولست إذا آليت قولا بجانث

لتبتدروهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث

الطويل

وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الإسلام
وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة وأنه بعث في مقامه بالمدينة حمزة بن
عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين فلقى أبا جهل بذلك الساحل في ثلاثمائة
راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين
فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يك بينهم قتال

وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأحد من المسلمين وذلك
أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس

وقد زعموا أن حمزة قال في ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله لم يكن يقول إلا حقا فالله أعلم أي ذلك كان

فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحارث أول من عقد له

والشعر المنسوب لحمزة رضي الله عنه

ألا يا لقومي للتحكم والجهل

وللنقص من رأي الرجال وللعقل

وللراكيينا بالمظالم لم نطأ

لهم حرمان من سوام ولا أهل

كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا

لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل

وأمر بإسلام فلا يقبلونه

ويتزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبت بغارة

لهم حيث حلوا أبتغي راحة القفضل

بأمر رسول الله أول خاقي

عليه لواء لم يكن لاح من قبل

لواء لديه النصر من ذي كرامة

إله عزيز فعله أفضل الفعل

عشية ساروا حاشدين وكلنا

مراجله من غيظ أصحابه تغلي

فلما تراءينا أناخوا ففعلوا

مطايا وعقلنا مدى غرض النبيل

فعلنا لهم حبل الإله نصيرنا

وليس لكم إلا الضلالة من حبل

فنار أبو جهل هنالك باغيا
فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا
وهم متتان بعد واحدة فضل
فيال لؤي لا تطيعوا غواتكم
وفيتوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخاف أن يصب عليكم
عذاب فتدعوا بالندامة والتكل
الطويل

ثم غزا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع إلى
المدينة ولم يلق كيدا
ثم غزاهم فسلك على نعب بني دينار ثم على فيفاء الحبار فنزل تحت شجرة بطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق
فصلى عندها فثم مسجده {صلى الله عليه وسلم}
وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك واستقى له من ماء يقال له
المشرب المشترك
ثم ارتحل حتى هبط بليل ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل
العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادي الأولى وليالي من جمادي الآخرة
ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا
وبعث سرية فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين فبلغ الخرار من أرض الحجاز ثم
رجع ولم يلق كيدا
ولم يقم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى
أغار كرز بن جابر القهري على سرح المدينة
فخرج {صلى الله عليه وسلم} في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز فلم يدركه
وهي غزوة بدر الأولى
ثم رجع إلى المدينة

وبعث عبد الله بن جحش بن رتاب الأسدي في رجب مقفلة من تلك الغزاة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين
وهم أبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعكاشة بن محسن وعتبة بن غزوان وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله
التميمي وخالد بن البكير وسهيل بن بيضاء
وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا
فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف
فترصد بما قريشا وتعلم لنا من أخبارهم
فقال عبد الله سمعا وطاعة
ثم قال لأصحابه قد أمرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن أمضي إلى نخلة أرصد فيها قريشا حتى آتية منهم

بخبر وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينتلق ومن كره ذلك فليرجع
فأما أنا فماض لأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له
بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه
ومضى عبد الله في بقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها
عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فلما
رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا
عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب
فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام
فتردد القوم وهابوا ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم
فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم وأفلت القوم نوفل
فأعجزهم

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة
وعزل عبد الله بن جحش لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمس تلك الغنائم وقسم سائرهما بين أصحابه وذلك
قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم فلما أحل الله القبيء بعد ذلك وأمر بقسمه وفرض الخمس فيه وقع على ما كان
عبد الله صنع في تلك العير

فلما قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام
فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا
فلما قال ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من
المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحلت محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال
وأسروا فيه الرجال

فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان
وقالت يهود تفتاء بذلك على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمرو
عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب
وواقد بن عبد الله وقدت الحرب
فجعل الله تبارك وتعالى ذلك عليهم لا لهم

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن
سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله البقرة ٢١٧
أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه
وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى
يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على
وسلم {العير والأسيرين وبعثت قريش في فدائهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا حتى يقدم صاحبنا

يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان فإننا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم
فقدم سعد وعتبة فأفدى الأسيرين عند ذلك منهم

فأما الحكم فاسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى استشهد يوم بئر معونة واما
عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا
فلما تجلى عن عبد الله بن جحش واصحابه ما كانوا فيه حتى نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا يا رسول الله أنطمع
أن تكون لنا غزوة نعطي فيها اجر المجاهدين فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهلوا
في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم البقرة ٢١٨
فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الغزوة آياتا ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد
أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا المال وأسروا الرجال
تعدون قتلا في الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صلو دكم عما يقول محمد
وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى في البيت لله ساجد
فإننا وإن غيرتمونا بقتله
وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب وأقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القيد عاقد
الطويل

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في غير لقريش
عظيمة

فندب المسلمين إليهم وقال هذه غير قريش فيها أمواهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها
فانتدب الناس فحفف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يلقي حربا
وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا حتى أصاب من بعضهم

خبراً باستنفار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} له ولغيره فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ليخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم فخرج ضمضم سريراً

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفرعتها فقالت لأخيها العباس يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفضعتني وتخوفت أن يدخل علي قومك منها شر ومصيبة فآتكم عني ما أحدثك فقال لها وما رأيت

قالت رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا أنفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فيناهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ألا أنفروا يا لغدر إلى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت هوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة

قال العباس والله إن هذه لرؤيا وأنت فآتكميها ولا تذكرها لأحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش

قال العباس فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل في رهط من قريش يعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رأيته قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبئة قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم قال زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال أنفروا في ثلاث

فستبرص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب

قال العباس فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً ثم تفرقا

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررت لهذا الفاسق الحبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة بشيء مما سمعت فقلت قد والله فعلت وما كان مني إليه من كبير وإيم الله لأعرضن له فإن عاد لأكفيكته

قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنه قد فاتني أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيتنه وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر فوالله إني لأمشي نحوه أعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به إذ خرج نحو باب المسجد يشند فقلت في نفسي ما له لعنه الله أكل هذا فرقا مني أن أشاتمته وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث

قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر

فتجهز الناس سراعا وقالوا أيطن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا

وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرفها أحد إلا أن أبا لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكانت عليه لأبي لهب أربعة آلاف درهم فاستأجره بها على أن يجزيء عنه بعته

وأجمع أمية بن خلف القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلًا فأثناه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجمرة فيها نار ومجمر حتى أوضعها بين يديه ثم قال يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء فقال قبحك الله وقبح ما جئت به

ثم تجهز وخرج مع الناس

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة وقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكد ذلك يثبتهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقفة بن جعشم المدلجي وكان من

أشرف بني كنانة فقال أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أبيض وكان أمام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأخرى مع بعض الأنصار وجعل على الساقفة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام فسلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} طريقه من المدينة إلى مكة حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسيس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهينيين إلى بدر يتجسسسان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء فسمعا جاريتين من جواري الحاضر تتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما ترد العير غدا أو بعده فأعمل لهم ثم أقضيك فقال مجدي بن عمرو وكان على الماء صدقت ثم خلص بينهما

فلما سمع بذلك عدي وبسيس انطلقا حتى أتيا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبراه ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا حتى ورد الماء فقال لجدي هل أحسست أحدا قال لا إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا

فأتي أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتنه فإذا فيه النوى فقال هذه والله علانف يشرب فأسرع إلى أصحابه فضرب وجهه عن الطريق فساحل بها وترك بدرا ييساره

ثم ارتحل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أتى واديا يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فأخبر الناس واستشارهم

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله فحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه

فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خيرا ودعا له ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أشيروا علي وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا

فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدو فلما قال ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله

فسر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم

ثم ارتحل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه قيل هو أبو بكر الصديق حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبر كما حتى تخبرني ممن أنتما فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا أخبرتنا أخبرناك

قال أو ذاك بذاك قال نعم قال الشيخ فإني بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش

فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحن من ماء ثم انصرف عنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قال يقول الشيخ ما من ماء آمن ماء العراق

ثم رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فأصابوا راوية لقريش فيها غلامان لبعضهم فأتوا بهما فسألهما ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} قائم يصلي فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما قالوا نحن لأبي سفيان فتركوهما

وركع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسجد سجديته ثم سلم وقال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرني عن قريش

فقالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى قال كم القوم قالوا كثير

قال ما عدتهم قالوا ما ندري

قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوما تسعا ويوما عشرا

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} القوم ما بين التسعمائة والألف

ثم قال لهما من فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخثري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث ابن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو

جهل بن هشام وأمّية بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على الناس فقال هذه مكة قد ألت إليكم أفلاذ كبها

وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال إني أرى فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمّية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجلا ممن قتل يوم بدر من أشرف قريش ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا قال ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا

قال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان موسما للعرب لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا

وقال الأخنس بن شريق الثقفي يا بني زهرة وكان حليفا لهم قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جنبها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا

فرجعوا فلم يشهدوا زهري واحد أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا بنو عدي بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد فرجعت بنو زهرة مع الأخنس فلم يشهد بدرا من هذين القبيلين أحد وكان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم وبين بعض قريش محاوراة فقالوا والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هو اكم لمع محمد

فرجع طالب إلى مكة مع من رجع وقال

لا هم إما يغزون طالب

في عصبة مخالفا محارب

في مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب

وليكن المغلوب غير الغالب

السريع

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العتقل والقلب بيدر في العدة الدنيا إلى المدينة وبعث الله عز وجل السماء وكان الوادي دهسا فأصاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا علي أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيادهم إلى الماء حتى إذا جاءوا أدنى ماء من بدر نزلوا به فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزله الله ليس لنا أن

نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة

فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة

قال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم

نبي عليه حوضا فتملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد أشرت بالرأي

فنهض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن معه من الناس فساروا حتى إذا أتى أدنى ماء إلى القوم نزل عليه ثم

أمر بالقلب فغورت وبني حوضا على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية

وقال سعد بن معاذ يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله

وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحيينا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد

تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله عز وجل

بهم يناصحونك ويجاهدون معك

فأثنى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليه خيرا ودعا له بخير ثم نبى لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} عريش

فكان فيه

وارتاحت قريش حين أصبحت فأقبلت فلما رآها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تصوب من الكتيب الذي

جاءوا منه قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به

اللهم أحتهم الغداة

وقد كان خفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري أو أبوه بعث إلى قريش حين مروا به ابنا له بجزائر أهداها لهم وقال إن

أحببتهم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا

فأجابوه أن وصلتك رحم قد قضيت الذي عليك فلمعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ولئن كنا إنما

نقاتل الله كما يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فقال دعوهم

فما شرب منه يومئذ رجل إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان إذا

اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني من يوم بدر

ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا أصحاب محمد

فدار بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون

قليلا أو يتقصونه ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد وضرب في الوادي حتى أبعث فلم ير شيئا فرجع

إليهم فقال ما رأيت شيئا ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلى يا تحمل المنايا نواضح يشرب تحمل الموت النافع قوم

ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فإذا أصابوا منكم

أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيلها

والمطاع فيها هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر قال وما ذلك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل

أمر حليفك عمرو بن الحضرمي

قال قد فعلت أنت علي بذلك إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله فأنت ابن الخنظلية يعني أبا جهل فإني لا
أحشى أن يشجر أمر الناس غيره
ثم قام عتبة خطيبا فقال

يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه
رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن
أصابوه فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون
وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رأى عتبة في القوم على جمل له أحمر فقال إن يك عند أحد من القوم
خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطبعوه يرشوا

قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جراهما فهو يهيتها فقلت له يا أبا الحكم إن
عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال

فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبه ما قال
ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه
ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت تأرك بعينيك فقم فانشد خفرتك
ومقتل أخيك

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمره واعمره فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا علي ما
هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة
فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو
ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على
رأسه ببرد له

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو
لأهدمنه أو لأموتن دونه

فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله
دما ثم جبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن يبر يمينه وأبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه
فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة
فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار

قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديبهم يا محمد أخرج إلينا أكفءنا من قومنا
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي
فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي
قالوا نعم أكفء كرام

فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبه وبارز علي الوليد
فأما حمزة فلم يجهل شيبه أن قتله

وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله

واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بأسيا فها علي عتبة فذفعا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه

وذكر ابن عتبة أنه لما طلب القوم المبارزة فقام إليهم ثلاثة نفر من الأنصار استحيا النبي {صلى الله عليه وسلم} من ذلك لأنه كان أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} شاهد معهم فأحب النبي {صلى الله عليه وسلم} أن تكون الشوكة ببني عمه فناداهم أن ارجعوا إلى مصافكم وليقم إليهم بنو عمهم فعند ذلك قام حمزة وعلي وعبيدة

ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال إن أكتفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل

ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في العريش معه أبو بكر الصديق وكان شعار أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحد أحد

وعدل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ صفوف أصحابه وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي بن النجار وهو مستثقل من الصف أي بارز فطعن في بطنه بالقدح وقال استويا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقديني

فكشف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن بطنه وقال استقد فاعتنقه فقبل بطنه فقال له ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له بخير وقال له ثم عدل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يناشد ربه ما وعدته من النصر ويقول فيما يقول اللهم إن تملك هذه العصاة اليوم لا تعبد

وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك

وخفق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خفقة وهو في العريش ثم اتبه فقال أبشر يا أبا

بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذا بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع

يريد العبار

ورمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتله فكان أول قتيل من المسلمين

ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتله

ثم خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الناس فحرضهم ثم قال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم

رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة

فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني

هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل

وقال يومئذ عوف بن الحارث وهو ابن عفراء يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده فقال غمسه يده في العدو

حاسرا فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل

وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

عليه وسلم فأعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه هزه فعاد في يده سيفا طويلا القامة شديد

المتن أبيض الحديدية فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى قتل في الردة وهو عنده قتله طليحة الأسدي

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال شأمت الوجوه ثم نفحهم بها ثم أمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة عليهم

وجعل الله تلك الحصباء عظيما شأنها لم تترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه واستولى عليهم المسلمون معهم الله وملائكته يقتلوهم ويأسروهم ويجدون النفر كل رجل منهم منكب على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه

فقتل الله من قتل من صنديد قريش وأسر من أسر من أشرفهم

فلما وضع القوم أيديهم يأسرون وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خوف كرة العدو عليه رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس فقال له لكأنك والله يا سعد تكره ما يصنع القوم فقال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الإثنان في القتل أحب إلي من استقبال الرجال

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ لأصحابه إني قد عرفت أن رجلا من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ومن لقي العباس عم رسول الله فلا يقتله فإنه إنما خرج مستكرها

فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن وجدته لأحمنه السيف

فبلغت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص

قال عمر والله إنه لأول يوم كئيب فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأبي حفص

أضرب وجه عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نأفتي

فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا رحمه الله

وإنما نهي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عنه

بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب

فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار يوم بدر فقال له إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد فئانا عن

قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة قال وزميلي قال المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا بك وحدك

قال إذا والله لأموتن أنا وهو جميعا لا تحدث عني نساء مكة إني تركت زميلي حرصا على الحياة وقال يرتجز

لن يسلم ابن حرة زميله

حتى يموت أو يرى سبيله

ثم اقتتلا فقتله الجندر ثم أتى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته
هذا الذي ذكر ابن إسحاق في قتل أبي البخترى
وقال موسى بن عقبة يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البخترى وبأبي أعظم الناس إلا أن الجندر هو الذي قتله
ثم اضرب ابن عقبة عن القولين وقال بل قتله غير شك أبو داود المازني وسلبه سيفه فكان عند بنيه حتى باعه بعضهم
من بعض بني أبي البخترى
وكان الجندر قد ناشده أن يستأسر وأخبره بنهي رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عن قتله فأبى أبو البخترى أن
يستأسر وشد عليه الجندر بالسيف وطعنه الأنصاري يعني أبا داود المازني بين تديبه فأجهز عليه فقتله
ويومئذ قال الجندر فيما ذكروا
أما جهلت أو نسيت نسبي
فأثبت النسبة أي من بلي
الطاعنين برماح اليزني
والضاربين الكيش حتى ينحني
بشر بيتهم من أبوه البخترى
أو بشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي
أطعن بالصعدة حتى تنثني
وأعبط القرن بعضب مشرفي
أرزم للموت كإرزام المري
فلا ترى مجدرا يفري فري
الرجز
وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة وكان اسمي عبد عمرو فلما أسلمت
تسميت عبد الرحمن فكان يلقيني فيقول يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك فأقول نعم
فيقول فإني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك
بما لا أعرف
فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت
قال فأنت عبد الإله
فقلت نعم
حتى إذا كان يوم بدر مرتت به وهو واقف مع ابنه علي أخذ بيده ومعني أذراع لي قد استلبتها فأنا أحملها فلما رأني
قال يا عبد عمرو
فلم أجهه فقال يا عبد الإله
فقلت نعم
قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع قلت نعم

فطرح الأذراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن يريد الفداء
وقال عبد الرحمن قال لي أمية وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره قلت
ذلك حمزة بن عبد المطلب

قال ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل

قال عبد الرحمن فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال وكان هو الذي يعذبه بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء
مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا ترال هكذا أو
تفارق دين محمد

فيقول بلال أحد أحد

فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجوت قال قلت أي بلال أباسيري

قال لا نجوت إن نجا

قلت أتسمع يا ابن السوداء قال لا نجوت إن نجا

ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا

فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية

صيحة ما سمعت مثلها قط فقلت انج بنفسك ولا نجاء به فوالله ما أغني عنك شينا فهبروهما بأسيا فهم حتى فرغوا

منهما فكان عبد الرحمن يقول رحم الله بلالا ذهبت أذراعي وفجعني بأسيري

وقاتلت الملائكة يوم بدر

قال ابن عباس ولم تقاتل في يوم سواه وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون وكانت سيماهم

يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ويوم حنين عمائم حمرا

وذكر ابن هشام عن علي رضي الله عنه في سيماهم يوم بدر مثل ما قال ابن عباس إلا جبريل فإن في حديث علي

أنه كانت عليه عمامة صفراء

وقال ابن عباس حدثني رجل من غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن

مشركان نتظر لمن تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب فيينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة

الخييل فسمعنا قاتلا يقول أقدم حيزوم

فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت

وقال أبو أسيد الساعدي بعد أن ذهب بصره وكان شهد بدر لو كنت

اليوم بيدر ومعني بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى

وقال أبو داود المازني إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه

قد قتله غيري

فلما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال لهم انظروا إن خفي

عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته فإني ازدهمت يوما أنا وهو على مأذبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان

وكنت أشف منه يبسير فدفعته فوق علي ركبتيه فجحشت في إحداهما جحشا لم يزل أثره به

وكان من حديث عدو الله يوم بدر أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال اللهم أقطعنا للرحم وآنانا بما لا

نعرف فأحنه الغداة

فكان هو المستفتح وأقبل يرتجز وهو يقول

ما تنقم الحرب العوان مني

بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أُمِّي

السريع

وكان أول من لقيه فيما ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة قال سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة يقولون أبو الحكم لا يخلصن إليه

فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها وعاش بعد ذلك معاذ هذا رحمه الله إلى زمان عثمان رضي الله عنه

ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالتماسه في القتلى قال عبد الله وقد كان ضيبت بي مرة بمكة فأذاني ولكزني فوجدته بأخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له أجزاك الله يا عدو الله قال وماذا أجزاني أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم قلت لله ولرسوله ثم احتزرت رأسه ثم جئت به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال الله الذي لا إله غيره وكانت يمين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلت نعم والله الذي لا إله إلا غيره ثم ألقيت رأسه بين يديه فحمد الله

وخرج مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف قال بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثاً أسانئهما فتمنيت لو كنت بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي قال أخبرت أنه يسب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعرج منا قال فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثلها

قال فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته

فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله

وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح

والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء

وذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقف يوم بدر على القتل فالتمس أبا جهل فلم يجده حتى

عرف ذلك في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال اللهم لا يعجزن فرعون هذه الأمة

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً بينه وبين المعركة غير كبير مقنعا في الحديد واضعاً سيفه

على فخذه ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرك منه عضوا وهو مكب ينظر إلى الأرض فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله وهو خائف أن ينوء إليه فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظن أنه مشيت جراحا فأراد أن يضربه بسيفه فخاف أن لا يعنى شيئا فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله وهو مكب لا يتحرك ثم رفع سابعة البيضة عن قفاه فضربه فوق رأسه بين يديه ثم سلبه فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه حدرا وفي يديه وكتفه مثل آثار السياط

فأتى ابن مسعود النبي {صلى الله عليه وسلم} فأخبره بقتله والذي رأى به فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} زعموا ذلك ضرب الملائكة

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انفخ في درعه فمأها فذهبوا ليحركوه فترايل فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ويقال إنهم لما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا أهل القليب بنس عشيرة النبي كنتم لبيكم كذبتوني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقتلتموني ونصري الناس يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال لهم لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق

قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وإنما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد علموا وفي حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين نادى أصحاب القليب يا رسول الله أتنادي قوما قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني

وذكر ابن عقبة نحوا من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر وقال حسان بن ثابت

عرفت ديار زينب بالكثيب

كخط الوحي في الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون

من الوسمي منهمم سكوب

فأمسى رسمها خلقا وأمست

يبابا بعد ساكنها الحبيب

فدع عنك التذكر كل يوم

ورد حرارة الصدر الكئيب

وخبر بالذي لا عيب فيه

بصدق غير أخبار الكنوب

بما صنع المليك غداة بدر

لنا في المشركين من النصيب

غداة كأن جمعهم حراء

بدت أركانه جتح الغروب

فلاقيناهم منا بجمع
كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه
على الأعداء في لفتح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات
وكل مجرب ماضي الكعوب
بنو الأوس الغطارف آزرهما
بنو النجار في الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا
وعتبه قد تركنا بالحوب
وشيبة قد تركنا في رجال
ذوي حسب إذا نسوا حسيب
يناديهم رسول الله لما
قدفناهم كباك في القلب
ألم تجدوا كلامي كان حقا
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكت ذارأي مصيب
الوافر

ولما أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يلحقوا في القلب أخذ عتبه بن ربيعة فسحب إلى القلب فنظر رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} فيما ذكر في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير فقال يا أبا حذيفة لعلك
دخلك من شأن أبيك شيء أو كما قال {صلى الله عليه وسلم}
قال لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ولكني كنت
أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه
من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك
فدعا له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخير وقال له خيرا

وكان في قريش فتية أسلموا ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة فلما هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم
وعشائهم بمكة وفتنهم فافتتوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر إن
الذين توفاهم الملائكة ظلي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ٩٧ النساء
وأولئك الفتية الحارث بن زمعة بن الأسود وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن
خلف والعاص بن منبه بن الحجاج

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع

فاختلف فيه المسلمون فقال من جمعه هو لنا
وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه لحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم
وقال الذين كانوا يجرسون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مخافة أن يخالف إليه العدو
والله ما أنتم بأحق به منا لقد رأينا أن تقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه
من يمنعه ولكننا خفنا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا
فكان عبادة بن الصامت إذا سئل عن الأنفال قال فينا معاشر أصحاب بدر أنزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه
أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله {صلى الله عليه وسلم} فقسمه بيننا عن بواء
يقول على السوء

فكان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله وصلاح ذات الين
ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عبد الله بن رواحة بشيرا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى
المسلمين وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سويينا على رقية بنت رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خلفني عليها مع زوجها عثمان أن زيد بن حارثة
قد قدم

قال فجننته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام
وزمعة بن الأسود وأبو البختری ابن هشام وأميرة بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج
قلت يا أبة أحق هذا قال نعم والله يا بني

ثم أقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قافلا إلى المدينة ومعه الأساري من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط
والنضر بن الحارث حتى إذا خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مضيق الصفراء نزل على كتيب يقال له
سير إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السوء
ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلامة بن
سلامة بن وقش ما الذي تهنتوننا به فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرناها فتبسم رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} ثم قال أي ابن أخي أولئك الملاء

حتى إذا كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب رضي الله
عنه ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط فقال عقبة حين أمر بقتله فمن للصبية يا محمد قال
النار

فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح في قول ابن عقبة وابن إسحاق

وقال ابن هشام قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وقالت قتيلة أخت النضر بن الحارث لما بلغها مقتل أخيها

يا راكبا إن الأثيل مظنة

من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بما ميتا بأن تحية

ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليك وعبرة مسفوحة

حادث بواكفها وأخرى تحق
هل يسمعي النضر إن ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد يا خير ضئو كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ الحق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كان عتق يعق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
الكامل

قال ابن هشام فيقال والله أعلم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغني هذا الشعر
قبل مقتله لمننت عليه

ثم مضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى قدم المدينة قبل الأساري بيوم وقد كان فرقههم بين أصحابه وقال
استوصوا بالأساري خيرا
وكان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأساري قال وكت في رهط من الأنصار حين أقبلوا
بي من بدر وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا تفحني بها قال فاستحي فأردها عليه فيردها علي ما
يمسها

قال ومر بي أخي مصعب ورجل من الأنصار يأسرنى فقال له شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال
له أبو عزيز فيما ذكر ابن هشام يا أخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما
فدي به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم فبعثت ففدته بما

وذكر قاسم بن ثابت في دلالة أن قريشا لما توجهت إلى بدر مر هاتف
من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه
أزار الحنفيون بدرا وقيعة

سيتقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لؤي وأبرزت
خرائد يضر بن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد
لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا
الطويل

فقال قائلهم من الحنفيون فقالوا هو محمد وأصحابه يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ثم لم يلبثوا أن جاءهم

الخبر اليقين

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأميه بن خلف وزمعة بن الأسود ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البخترى بن هشام فلما جعل يعدد أشرف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر والله أن يعقل هذا فسלוه عني قالوا ما فعل صفوان بن أمية قال ها هو ذاك جالس في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا

وقال أبو رافع مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتنم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو هب قد تخلف عن بدر فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتته الله وأخراه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزة وكنت أعمل الأقداح في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها تحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو هب يجر رجله بشر حتى جلس إلى جنب الحجره ظهره إلى ظهري

فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو هب هلم إلي فعندك لعمرى الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم منحناهم أكنافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما ملت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجره بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة فرفع أبو هب يده فضرب وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره فضربتته به ضربة فلقت في رأسه شجرة منكورة وقالت أتستضعفه أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدي أشد العدوى فلما أصابت أبا هب تباعد عنه بنوه وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السب في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه إنهم لم يخفروا له ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتى واروه

ويروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها وخرج البخاري في صحيحه أن أبا هب رآه بعض أهله في المنام بشر حبيبة أي حالة فقال ما لقيت بعدكم راحة غير أني سقيت في مثل هذه وأشار إلى القرحة بين السبابة والإبهام بعنقي ثوبية

وثوبية هذه أرضعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأرضعت عمه حمزة وأبا سلمة بن عبد الأسد وروى غير البخاري أن الذي رأى أبا هب من أهله هو أخوه العباس وأنه قال مكثت حولا بعد موت أبي هب لا أراه في نوم ثم رأيت في شر حال فقال ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولد يوم الاثنين فبشرت أبا هب بمولده ثوبية مولاته فقالت له أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخيك عبد الله فقال لها اذهبي فانت حرة فنفعه ذلك وهو في النار كما نفع أخاه أبا طالب

ذبه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واجتهاده في منعه ونصرته فهو أهون أهل النار عذابا
ويفعل الله ما يشاء مما يطابق سابق تقديره وقد قضى الله سبحانه بإحباط عمل الكافرين فمحال أن يقيم لهم يوم
القيامة وزنا أو ينالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نعيما إلا أنه ربما جعل التفاوت بين
جماهيرهم وبين من شاء منهم بمقدار العذاب فيضاعفه على قوم أضعافا ويضع من شدائده عن آخرين تخفيفا
وكل عذاب الله شديد فنعوذ برضا مولانا الكريم من سخطه وبمعافاته من عقوبته
وحدث محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال ناحت قريش على
قتلهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشتموا بكم ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب عليكم
محمد وأصحابه في الفداء

قال وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل ابناه والحارث بن زمعة وهو ابن ابنه وكان
يجب أن يبكي عليهم فسمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره انظر هل أحل النحب هل
بكت قريش على قتلها لعلي أبكي على أبي حكيمة يعني زمعة فإن جوفي قد احترق
فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته
قال فذاك حين يقول الأسود

أتبكي أن يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجودود
الوافر

في أبيات ذكرها ابن إسحاق

وقد تقدم دعاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على الأسود بن عبد المطلب هذا بأن يعمى الله بصره ويشكله
ولده فاستجيب له وفق دعائه سبق العمي أولا إلى بصره ثم أصيب يوم بدر بمن سمي آنفا من ولده فتمت إجابة الله
سبحانه رسوله فيه

وكان في الأساري أبو وداعة السهمي فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال
وكانكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه
قال المطلب ابن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عني صدقتم لا تعجلوا
وانسل من الليل فقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم

ثم بعث قريش في فداء الأساري فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره
مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا
رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه

فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا مكانه عندهم فقال مكرز

فديت بأذواد ثمان سبا فتى

ينال الصميم غرمها لا المواليا

رهنت يدي والمال أيسر من يدي

علي ولكني خشيت المخازيا
وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به
لأبنائنا حتى ندير الأمانيا
الطويل

وكان سهيل قد قام في قريش خطيبا عندما استنفرهم أبو سفيان فقال يا لغالب أأركون أنتم محمدا والصبأ من أهل
يثرب يأخذون غير انكم وأموالكم من أراد مالا فهذا مالي ومن أراد قوة فهذه قوة
فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما أسر سهيل يوم بدر يا رسول
الله أترع ثيبي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا إنه عسى أن يقوم مقام ما لا تدمه
فصدق الله ورسوله وكان لسهيل بعد وفاته {صلى الله عليه وسلم} في تشييت أهل مكة على الإيمان مقام سيأتي ذكر
حديثه في موضعه إن شاء الله

وكان عمرو بن أبي سفيان بن حرب أسيرا في يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أساري بدر فقيل لأبي
سفيان بن حرب أفد عمرا ابنك
فقال أجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم
فيينا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني
عمرو بن عوف معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما في غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمرا ولا يخشى
الذي صنع به لم يظن أنه يجس بمكة إنما جاء معتمرا وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا
بجبر فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بانه عمرو

ثم قال

أرھط ابن أكال أجيوا دعاه
تعاقدم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لنام أذلة
لئن لم تفكوا عن أسيرهم الكبلا
الطويل

فأجابه حسان بن ثابت فقال
ولو كان سعد يوم مكة مطلقا
لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسام أو بصفراء نبعة
تحن إذا ما أنبضت تحفز النبلا
الطويل

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي
سفيان فيفكوا به صاحبهم ففعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبعثوا به إلى أبي سفيان فحلى سبيل سعد

وكان في الأساري أيضا أبو العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس ختن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زوج ابنته زينب وكان {صلى الله عليه وسلم} يثني عليه في صهره خيرا وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة وهو ابن أخت خديجة رضي الله عنها وهي سألت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه وكان لا يخالفها فزوجه وكانت تعدة بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه وكان لا يخالفها فزوجه وكانت تعدة بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته فصدقته ودن بدينه وشهدن أن الذي جاء به هو الحق وثبت أبو العاص على شركه

فلما بادى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قريشا بأمر الله تبارك وتعالى وبالعداوة قالوا إنكم فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بمن

فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له فارق صاحبك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت

قال لا ها الله إذا لا أفارق صاحبي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد زوجه رقية أو أم كلثوم فقالوا له طلق ابنة محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت فقال إن زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص أو ابنة سعيد بن العاص وفارقها

فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقا ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له وخلف عليها عثمان بن عفان بعده

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنته وبين أبي العاص إلا أنه كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب في الأساري فكان بالمدينة عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بني بها فلما رآها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رق لها رقة شديدة وقال إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله

فأطلقوه وردوا عليها ماها

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب إليه أو وعده أبو العاص بذلك أو شرطه عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في إطلاقه ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيعلم ما هو

إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكانه زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها

فخرجا وذلك بعد بدر بشهر أو سبعة فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحقق بأبيها فخرجت تتجهز قالت زينب بينا أنا أتجهز بمكة لقيتني هند ابنة عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغني أنك تريدين اللحقق بأبيك قالت ما أردت ذلك

قالت أي ابنة عم لا تفعلني إن كانت لك حاجة بمناع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تضطني مني فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال
قالت زينب فوالله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت
ولما فرغت بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من جهازها قدم إليها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته
وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها فمرا يقود بها وهي في هودج لها وتحديث بذلك رجال قريش فخرجوا في طلبها حتى
أدركوها بذني طوى فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود الفهري فروعها هبار بالرمح
وهي في هودج لها وكانت حاملا فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة ونشر كنانته ثم قال
والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما

فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك
فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رعوس الناس علانية وقد عرفت
مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت إليه ابنته علانية على رعوس الناس من بين أظهرنا
أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت وأن ذلك من ضعف ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من
حاجة وما لنا في ذلك من ثورة ولكن أرجع المرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحديث الناس أن قد رددناها فسلها
سرا وألحقها بأبيها

ففعل فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدا بما على
رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة فقالت لهم
أفي السلم أعيار جفاء وغلظة
وفي الحرب أشباه النساء العوارك
الطويل

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بسرية بعثها بتحريق هبار بن الأسود أو الرجل الذي سبق معه إلى زينب إن
ظفروا بما ثم بعث إليهم فقال إني كنت قد أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ثم رأيت أنه لا ينبغي أن
يعذب بالنار إلا الله عز وجل فإن ظفرتم بما فاقتلوهما
وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين فرق بينهما الإسلام حتى إذا كان
قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام وكان رجلا مأمونا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه فلما
فرغ من

تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأصابوا ما معه وأعجزهم هاربا فلما قدمت
السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فاستجار بها فأجارته وجاء في طلب ماله فلما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الصبح فكبر وكبر الناس
معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع

فلما سلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا
نعم قال أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أذنهم

ثم انصرف فدخل على ابنته فقال أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له
وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فإن
تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به
قالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو ويأتي الرجل بالشنّة والإداوة حتى إن الرجل
ليأتي بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله
ثم قال يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما
قال فيني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما معني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما
أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت

ثم خرج حتى قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وحكي ابن هشام عن أبي عبيدة أن أبا العاص لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له هل لك أن تسلم
وتأخذ هذه الأموال فإنها للمشركين فقال بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي
ومن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على نفر من الأساري من قريش بغير فداء منهم أبو
عزة عمرو بن عبد الله الجمحي كان محتاجا ذا بنات فكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله لقد
عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن علي
فمن عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا فقال أبو عزة في ذلك يمدح رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} ويذكر فضله على قومه

ومن مبلغ عني الرسول محمدا

بأنك حق والمليك حميد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى

عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة

لها درجات سهلة وصعود

فإنك من حاربتته نحارب

شقي ومن سألته لسعيد

ولكن إذا ذكرت بدرا وأهله

تأوب ما بي حسرة وقعود

الطويل

وذكر موسى بن عقبة أن المسلمين جهلوا على أبي عزة هذا عندما أسر بيدر أن يسلم فقال لا حتى أضرب في

الخزرجية يوما إلى الليل

وما وقع في شعره ومحاورته رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مما يقتضي التصريح برسالته فلا أعلم له مخرجا إن
صح إلا أن يكون ذلك من جملة ما قصد به أبو عزة أن يجذب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فعاد على عدو الله
ما ائتمر ولم يجذب إلا نفسه وما شعر وذلك أنه لما أخذت قريش قبل أحد في الإعداد لحرب رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} طلبا بثأرهم في يوم بدر قال صفوان بن أمية لأبي عزة هذا يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك

فاخرج معنا

فقال إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه

قال بلى فأعنا بنفسك فلك الله علي إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن

من عز ويسر

فخرج أبو عزة يسير في تمامة ويدعو بني كنانة ويقول

أيا بني عبد مناة الرزام

أنتم حماة وأبوكم حام

لا تعدموني نصركم بعد العام

لا تسلموني لا يحل إسلام

الراجز

ثم كان من الأمر يوم أحد ما كان وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد الواقعة

مرهبا لعلوه حتى انتهى إلى حمراء الأسد فأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في وجهه ذلك أبا عزة الجمحي

فقال يا رسول الله ألقني

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين اضرب عنقه يا

زبير

فضرب عنقه

وذكر ابن هشام فيما بلغه عن سعيد بن المسيب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له إن المؤمن لا يلدغ من

جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه

وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه بمكة

ويلقون منه عنتاً وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب

أهل بدر يبسير فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال له صفوان فوالله إن في العيش خير بعلهم

فقال له عمير صدقت والله أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت

إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم

فاغتنمها صفوان فقال علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم

قال عمير فاكنتم عني شأني وشأنك قال أفعل

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة

فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم

إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن

وهب ما جاء إلا لشر وهذا الذي حرش بيننا وحررنا للقوم يوم بدر

ثم دخل عمر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً

سيفه

قال فأدخله علي

فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبه بها وقال لرجال من الأنصار كانوا معه ادخلوا علي رسول

الله {صلى الله عليه وسلم} فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون
ثم دخل به فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كذلك قال أرسله يا عمر أدن يا عمير
فدنا ثم قال أنعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أكرمنا الله
بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة قال أما والله إن كنت بما يا محمد لحديث عهد
قال فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك فقال
قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا قال اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت إلا لذلك
قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القلب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال
عندي لخرجت حتى أقبل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك

قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من
الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني
هذا المساق

ثم شهد بشهادة الحق فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقهوا أحاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له
أسيره ففعلوا

ثم قال يا رسول الله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي
فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم
فأذن له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلحق بمكة

وكان صفوان حين خرج عمير يقول أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم ووقعة بدر
وكان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا فلما قدم
عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدا فأسلم على يديه ناس كثير
وعمير هذا أو الحارث بن هشام يشك ابن إسحاق هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال أين
أي سراق ومثل عدو الله فذهب

فأنزل الله تبارك وتعالى فيه وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ٤٨
الأفعال فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من
الحرب يقول الله عز وجل فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله إلى جود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله
والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون وصدق عدو الله الكذوب رأى
ما لم يروا وقال إني أخاف الله والله شديد العقاب فذكر أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه
حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردتهم ثم أسلمهم

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

قومي الذين هم آووا نبيهم

وصدقوه وأهل الأرض كفار

إلا خصائص أقوام هم سلف

للمصالحين مع الأنصار أنصار

مستبشرين بقسم الله قولهم
لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلا وسهلا ففي أمن وفي سعة
نعم النبي ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بما
من كان جارهم دارا هي الدار
وقاسموهم بما الأموال إذ قدموا
مهاجرهم وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر حينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغيرهم ثم أسلمهم
إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردتهم
شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سرائرهم
من منجدين ومنهم فرقة غاروا
البسيط

ويروى أن قريشا رأوا سراقا المدلجي بعد وقعة بدر وهو الذي تمثل لهم
إبليس في صورته يوم بدر كما تقدم فقالوا له يا سراقا أحرمت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت
بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم وما شهدت معكم
فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله في ذلك فعلموا أنه كان إبليس تمثل لهم
ولما انقضى أمر بدر أنزل الله تبارك وتعالى فيه من القرآن الأنفال بأسرها
وكان جميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة
رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ثلاثة منهم ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ولم يشهدوا
وهم عثمان بن عفان تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لمرضها الذي توفيت فيه قبل
أن يرجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بدر فضرب له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بسهمه
قال وأجري يا رسول الله قال وأجرك
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كانا بالشام فرجعا بعد رجوع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بدر
فضرب لكليهما بسهمه
قال وأجري يا رسول الله قال وأجرك
ومن الأوس واحد وستون اثنان منهم ضرب لهما بسهميهما عاصم بن عدي العجلاني رده رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} بعد أن خرج معه وضرب له بسهمه وخوات بن جبير ضرب له أيضا بسهمه

ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا منهم الحارث بن الصمة كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بسهمه

واستشهد يومئذ من المسلمين مع رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أربعة عشر رجلا ستة من قريش عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبي وقاص الزهري وذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وعافل بن البكير حليف لبني عدي ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء ومن الأنصار ثمانية نفر خمسة من الأوس سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف ويزيد بن الحارث الذي يقال له ابن فسحم من بني الحارث بن الخزرج وعمير بن الحمام من بني سلمة ورافع بن المعلى من بني جشم وثلاثة من الخزرج من بني النجار حارثة بن سراقه وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة منهم وهما ابنا عفراء رحمة الله على جميعهم ورضوانه وكان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس الزبير بن العوام وفرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي وفرس المقداد بن عمرو البهري

وذكر ابن إسحاق أن جميع من أحصي له من قتلى قريش من المشركين يوم بدر خمسون رجلا وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا والأسرى كذلك وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وفي كتاب الله تبارك وتعالى أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول لأصحاب أحد وكان من استشهد منه سبعين رجلا يقول قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منهم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا

وأشعري أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك من قصيدة له ينعي قتلى بدر (فأقام بالعتن المعطن منهم سبعون عتبه منهم والأسود والكامل

وكان مما قيل في يوم بدر من الشعر قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ومن أهل العلم من ينكرها له

آلم تر أمرا كان من عجب الدهر

و للحين أسباب مبينة الأمر

وما ذاك إلا أن قوما أفادهم

فحانوا تواحي بالعقوق وبالكفر

عشية راحوا نحو بدر بجمعهم

فكانوا رهونا للركية من بدر

و كنا طلبنا العير لم نبغ غيرها

فساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مثوية

لنا غير طعن بالثقفة السمر

وضرب بيض يختلي الهام حدها

مشهورة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة العي ثاوبا
وشيبة في قتلي تجرحم في الجفر
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماهم
فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤي بن غالب
كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم
وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله
فخاس بهم إن الحبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحا
برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون وإني
أحاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا
وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألقا وجمعنا
ثلاث متين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا
بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لواننا
لدى مازق فيه مناياهم تجري
الطويل

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم بدر ولم ير ابن هشام أحدا يعرفها من أهل العلم بالشعر
ألم تر أن الله أبلي رسوله
بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة
فلاقوا هوانا من إيسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره
وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل
مبينة آياته لذوي العقل

فآمن أقوام بذاك وأيقنوا
فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم
فزادهم ذو العرش خبيلا على خيل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله
وقوما غضا با فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيض خفاف عصوا بما
وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشيء ذي حمية
صريع ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم
تجود ياسيال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعي عتية الغي وابنه
وشيبة تنعاه وتنعي أبا جهل
وذا الرجل تنعي وابن جدعان فيهم
مسلبة حري مينة الثكل
ثوى منهم في بئر بدر عصابة
ذوي نجدات في الحروب وفي الخل
دعا الغي منهم من دعا فأجابه
وللغي أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل
عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل
الطويل

وقال كعب بن مالك أخو بني سلمة يذكر بدرا
عجبت لأمر الله والله قادر

على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا
بغوا وسبيل الغي في النار جائر
وقد حشلوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
بأجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله

له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماضي والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها
مقاييس يزهيها لعينيك شاهر
بمن أيدنا جمعهم فتبددوا
وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكف أبو جهل صريعا لوجهه
وعتبه قد غادرتة وهو عاثر
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى
وما منهما إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
تلظى عليهم وهي قد شب حميها
بزبر الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمر حمه الله زاجر
الطويل

ولضرار بن الخطاب الفهري في هذا الروي شعر ذكر ابن إسحاق أن كعب بن مالك أجابه عنه بهذا الشعر الذي
كتبناه آنفا والأظهر من مقتضى الشعر أن ضرارا هو الذي أجاب كعب بن مالك وتقض عليه
وهذا شعر ضرار

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا
فإننا رجال بعدهم سنغادر

وتردي بنا جرد عنا جيح وسطكم
بني الأوس حتى يشفي النفس نأثر
ووسط بين النجار سوف نكرها
لها بالقتنا والدارعين زوافر
فنترك صرعي تعصب الطير حولهم
وليس لهم إلا الأمان ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة
لهن بهاليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا
بهن دم ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما
بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالفقر الأخيار هم أولياؤه
يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة منهم
ويدعى علي وسط من أنت ذاكر

أولئك لا من نتجت في ديارها
بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك
غداة الهياج الأظبيون الأكاثر
الطويل

ومن شعر حسان بن ثابت يعرض بالحارث بن هشام وفراره عن يوم بدر
إن كنت كاذبة الذي حدثني
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة وجم
الكامل

فأجابه الحارث بن هشام فيما ذكر فقال
الله أعلم ما تركت قتالهم
حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعرفت أني إن أقاتل واحدا

أقتل ولا يضرر عدوي مشهلي

فصلدت عنهم والأحبة فيهم

طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان بن ثابت أيضا ويقال إنها لعبد الله بن الحارث السهمي يشبه أهما من قصيدة

مستشعري حلق الماضي يقدمهم

جلد النحيظة ماض غير رعديد

أعني رسول الإله الحق فضله

على البرية بالتقوى وبالجود

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم

وماء بدر زعمتم غير مورود

ثم وردنا ولم نسمع لقولكم

حتى شربنا رواء غير تصريد

مستعصمين بجبل غير منجلم

مستحكم من جبال الله ممدود

فيينا الرسول وفيينا الحق نتبعه

حتى الممات ونصر غير محدود

البيسط

وقال حسان بن ثابت أيضا

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة

إبادتنا الكفار في ساعة العسر

قتلنا سراة القوم عند مجالنا

فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

فكم قد قتلنا من كريم مزراء

له حسب في قومه نابه الذكر

تركناهم للعاويات يئبهم

ويصلون نارا بعد حامية التعر

لعمرك ما حامت فوارس مالك

وأشباعهم يوم التقينا على بدر

الطويل

وقال عبيدة بن الحارث بن المطلب في يوم بدر يذكر مبارزته هو وحمزة وعلي عدوهم وما كان من إصابة رجله

يومئذ

قال ابن هشام وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة

يهب لها من كان عن ذاك ناتيا
بعتبة إذ ولي وشيبة بعده
وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلي فأني مسلم
أرجي بما عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت
مع الجنة العليا لمن كان عاليا

وبعت بما عيشا تعرفت صفوه
وعالجته حتى فقدت الأدانيا
وأكرمني الرحمن من فضل منه
بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروها إلي قتلهم
غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
لقيناهم كالأسد تعثر بالقنا
نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا
ثلاثتنا حتى أزيروا المنانيا
الطويل

قال ابن هشام لما أصيبت رجل عبيدة قال أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أي أحق منه بما قال حين يقول
كذبتم وبيت الله نبيي محمدا
ولما نطعن حوله وناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونهل عن أبنائنا والحلائل
الطويل

ولما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجله قالت هند ابنة أثانة بن عباد بن المطلب ترثيه وكانت وفاته بالصفراء
وبها دفن يرحمه الله تعالى
لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا
وحلما أصيلا وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة
وأرملة تموي لأشعث كالجدل
وبكيه للأقوام في كل شتوة
إذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفر

وتشتيت قدر طال ما أزيدت تغلي
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها
فقد كان يذكيهن بالخطب الجزل
لطارق ليل أو للتمس القري
ومستبح أضحي لديه على رسل
الطويل

وقال طالب بن أبي طالب يمدح النبي {صلى الله عليه وسلم} ويبيكي أصحاب القليب من قريش

ألا إن عيني أنفدت ماءها سكباً
تبكي على كعب وما إن ترى كعباً
ألا إن كعباً في الحروب تحاذلوا
وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنباً
وعامر تبكي للملمات غدوة
فيا ليت شعري هل أرى لهما قرباً
هما أخوأي لن يعدا لغية
تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلاً
فدا لكما لا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد ود وألفه
أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
وجيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره
لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريش عظيمة
سوى أن حمينا خير من وطئ التريا
أخا ثقة في النائبات مرزاً
كرما شاه لا بجيلاً ولا ذرباً

يطيف به العافون يغشون بابه
يؤمنون نهر لا نزورا ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسي حزينة
تملح حتى تصدقوا الخرج الضربا
الطويل

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان وكان فراغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منها في

عقبه أو في شوال بعده

فلما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأدى في إقامته تلك جل الأساري من قريش

وكان أبو سفيان بن حرب حين رجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا {صلى الله عليه وسلم} فخرج في مائتي راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة على بريد أو نحوه من المدينة ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتي حبي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا منهم فأتوا ناحية العريض فحرقوا بها أصوار نخل وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف وقد فاته أبو سفيان بن حرب وأصحابه وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاء وكان أكثر ما طرحوه السويق فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة قال نعم

ثم غزا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نجدا يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر فأقام بنجد ثم رجع ولم يلق كيدا ثم غزا قريشا حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية القرع ثم رجع منه إلى المدينة ولم يلق كيدا وذلك بعد مقامه به نحو من شهرين ربيع الآخر وجمادى الأولى من سنة ثلاث
أمر بني قينقاع

وكان فيما بين ما ذكر من غزو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر بني قينقاع وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحاربوا فيما بين بدر وأحد وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جمعهم في سوقهم ثم قال يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أي نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا يا محمد إنك ترى أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس

فقال ابن عباس ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فتنتين التقتا فتنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يروهم مثلهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار آل عمران ١٢ - ١٣

وكان منشأ أمرهم أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبى فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ففعله إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان

يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع

فحاصرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه

الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخرج فأبطأ عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأدخل يده في جيب درع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان يقال لها ذات الفضول فقال له أرسلني وغضب {صلى الله عليه وسلم} حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال ويحك أرسلني

قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هم لك

ولما حاربت بنو قينقاع تشبث عبد الله بن أبي بأمرهم وقام دونهم قال مشى عبادة بن الصامت وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخلعهم إليه وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يريد عبد الله بن أبي يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين

ثم القصة إلى قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون المائدة ٥١ - ٥٦

سرية زيد بن حارثة

ولما كان من وقعة بدر ما كان خافت قريش طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام فسلخوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زيد بن حارثة فلقبهم على القرودة ماء من مياه نجد فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فذلك الذي يعني حسان بن ثابت بقوله في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا في أخذهم تلك الطريق

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

جلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم

وأنصاره حقا وأيدي الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عاجل

فقولا لها ليس الطريق هنالك

الطويل

مقتل كعب بن الأشرف

ولما بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه وقتل من قتل من المشركين ببدر قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني نهبان وأمه

من بني النضير حين بلغه هذا الخبر أحق هذا أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لي من ظهرها فلما تبين عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فجعل يحرض على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وينشد الأشعار ويكي أصحاب القليب من قريش ثم رجع إلى المدينة فشيب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من لي من ابن الأشرف فقال له محمد بن مسلمة الأشهلي أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله

قال فافعل إن قدرت على ذلك

فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قول لا أدري هل أفين لك به أم لا قال إنما عليك الجهد قال يا رسول الله لا بد لنا من أن نقول قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة أبو نائلة وعباد بن بشر والحارث بن أوس وكلهم من بني عبد الأشهل وأبو عيس بن جبر أخو بني

حارثة ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف سلكان بن سلامة وكان أخاه من الرضاعة فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال ويحك يا ابن الأشرف أي قد جتتك حاجة أريد ذكرها لك فأنتم عني قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس فقال كعب أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول فقال له سلكان أي قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك قال أترهوني نساءكم قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم

قال أترهوني أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسق شعير ثم قال له إن معي أصحابا لي على مثل رأيي وقد أردت أن أتيك بهم فبييعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤا بها قال إن في الحلقة لوفاء

فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويجتمعوا إليه فاجتمعوا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمشى معهم {صلى الله عليه وسلم} إلى بقيع الغرقد في ليلة مقمرة ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع إلى بيته

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت إنك امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة

قال إنه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني

فقالت والله إني لأعرف في صوته الشر

فقال لها كعب لو يدعى الفتى لطنعة لأجاب

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحذثوا معه فقالوا له هل لك يا ابن الأشرف إلى أن نتماشى إلى شعب العجوز فتحدث

فيه بقية ليلتنا هذه

قال إن شتم

فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه

ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا

قال محمد بن مسلمة فتذكرت معولا كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئا فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعت في نبيته ثم تحاملت عليه حتى بلغت غايته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا الحارث بن أوس صاحبنا ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجتنا به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ونقل على جرح صاحبنا ثم رجعنا إلى أهلينا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بما يهودي إلا وهو يخاف على نفسه

وذكر ابن عقبة أن كعب بن الأشرف لما قدم على قريش يستنفرهم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له أبو سفيان والمشركون ناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق فإننا نطعم الجزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال

فقال ابن الأشرف أنتم أهدى سبيلا فأنزل الله فيه والله أعلم بما ينزل ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب

يؤمنون بالجبوت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا النساء ٥١

وذكر ابن إسحاق أن هذه الآية إنما نزلت في حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وجماعة غيرهما من أحبار يهود ليس ابن الأشرف المذكور فيهم وهم الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما قدموا

على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول فسألوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا بل دينكم خير منا دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه

فأنزل الله تعالى فيهم الآية المذكورة

فالله تعالى أعلم

قال ابن إسحاق وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه

فوثب محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سنيينة من تجار يهود وكان يلبسهم ويبيعهم فقتله فلما قتله جعل أخوه حويصة بن مسعود ولم يكن أسلم يومئذ وكان أسن من محيصة يضربه ويقول أي عدو الله أقتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله فقال محيصة والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة

قال أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها قال والله إن دينا بلغ منك هذا لعجب فأسلم حويصة وقال محيصة في ذلك

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله
لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله
متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرني أني قتلتك طائعا
وأن لنا ما بين بصري ومأرب
الطويل

وذكر ابن هشام أن هذا عرض خيصة بعد غزوة بني قريظة وظفر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بهم وأن رسول
الله {صلى الله عليه وسلم} دفع إليه منهم كعب بن يهوذا
قال وكان عظيما فيهم ليقتله فقال له أخوه حويصة وكان كافرا أقتلت كعب بن يهوذا قال نعم
قال أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله إنك للئيم
فقال له محيصة لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك
فيعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا أنه جعل ينتفض من الليل فيعجب من قول أخيه محيصة حتى أصبح
وهو يقول والله إن هذا لدين
ثم أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فأسلم

غزوة أحد

وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن
حرب بعيرهم مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال ممن أصيب آباؤهم
وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة من قريش وقالوا لهم إن محمدا قد
وتركم وقتل خياركم فأعينوا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن أصاب منا
ففعّلوا

ففيهم يقال أنزل الله عز وجل إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصلوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ٣٦ الأنفال
فاجتمعت قريش لحرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير وحركوا
لذلك من أطاعهم من القبائل وحرصوهم عليه وخرجوا بجلهم وجدهم وأحايبشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل
تّمامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وان لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وكان قائد الناس بمند بنت
عتبة وكذلك سائر أشراف قريش وكبرائهم خرجوا معهم بنسائهم
وكان جبير بن مطعم قد أمر غلامه وحشيا الحشبي بالخروج مع الناس وقال له إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة
بن عدي فأنت عتيق
فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت ويها أبا دسمة وهي كنيته اشف واشنف

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال {صلى الله عليه وسلم} إني قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون وأما الظم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يكره الخروج وكان عبد الله بن أبي يرى رأي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ذلك فقال رجل من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبننا عنهم

فقال عبد الله بن أبي يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائنين كما جاءوا فلم يزل برسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو حتى دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أخو بني النجار فصلى عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم خرج عليهم وقد ندم الناس فقالوا يا رسول الله استكر هناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد {صلى الله عليه وسلم}

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما ينبغي للنبي إذا ليس لأمته أن يضعها حتى يقاتل فخرج في ألف من أصحابه حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد أخذل عنه عبد الله بن أبي بثلاث الناس وقال أطاعهم وعصاني ما ندرني علام تقتل أنفسنا

ها هنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول يا قوم أذكركم الله أن تأخذوا قومكم ونيكم عند ما حضر من عدوهم

قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكننا لا نرى أنه يكون قتال

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال أبعدم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه

ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذبته فأصاب كلاب سيف

فاستله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان يجب الفأل ولا يعتاف

(يا صاحب السيف شم سيفك فإني أرى السيف ستسل اليوم)

ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (من رجل يخرج بنا على القوم من كذب أي من قرب من طريق لا تمر بنا عليهم) فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة أنا يا رسول الله

فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مال لمربع بن قبيط وكان منافقا ضريب البصر فلما سمع حس

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب ويقول إن كنت رسول الله

فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي

وذكر أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال والله لو أعلم أي لا أصيب بما غيرك يا محمد لضربت بها وجهك
فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر
ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال لا يقاتلن
أحد حتى نأمره بالقتال

وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت للمسلمين فقال رجل من الأنصار أترعى زرع بني قبيلة ولما
نضارب

وتعجب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني
عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بنشاب بيض
والرماة خمسون رجلا فقال انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من
قبلك

وظاهر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخى بني عبد الدار
وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى
الميسرة عكرمة بن أبي جهل

وقد كان أبو عامر عبد عمرو بن صيفي من الأوس خرج عن قومه إلى مكة مباحدا لرسول الله {صلى الله عليه
وسلم} فكان يعد قريشا أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلا فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر
في الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر
قالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق

وبذلك سماه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان يسمى في الجاهلية الراهب فلما سمع ردهم عليه قال لقد
أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة

وقال أبو سفيان يومئذ لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك يا بني عبد الدار إنكم قد وليتم لواءنا يوم
بدر فأصابنا ما قدر رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل رأيكم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا
وبينه فنكفيكموه فهموا له وتواعدوه وقالوا نحن نسلم إليك لواءنا ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع
وذلك أراد أبو سفيان

فاقتتل الناس حتى هميت الحرب

وقاتل أبو دجاجة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة حتى أمدن في الناس وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
قال لسيف عنده من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجاجة فقال وما حقه يا
رسول الله قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني
قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه

فأعطاه إياه وكان أبو دجاجة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان إذا أعلم بعصابة

له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخرج
عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفيين فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين رآه يتبختر
إنما لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن

وكان الزبير بن العوام قد سأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك السيف مع من سأله منه فمنعه إياه فقال

وجدت في نفسي حين سألته إياه فمنعني وأعطاها أبا دجاجة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت إليه فسألته إياه قبله فأعطاها إياه وتركني والله لأنظرون ما يصنع فأتبعته فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبو دجاجة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول

اضرب بسيف الله والرسول

السريع

فجعل لا يلقي أحدا إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجاجة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجاجة فقتله ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم

وقال أبو دجاجة رأيت إنسانا يحمش الناس حمشا شديدا فصمدت إليه فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن أضرب به امرأة

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد النفر الذين كانوا يحملون اللواء من بني عبد الدار وكان جبير بن مطعم قد وعد غلامه وحشيا بالعتق إن قتل حمزة بعمه طعيمة بن عدي المقتول يوم بدر قال وحشي فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أذف بالحربة قذف الحبشة قل ما أخطى بها شيئا فلما

التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شيء فوالله إني لأتمنى له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزي الغبشاني فلما رآه حمزة قال له هلم إلي يا ابن مقطعة البطور

وكانت أمه ختانة بمكة قال فضربه ضربة فكأنا أخطأ رأسه قال وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في ثنته حتى خرجت من بين رجله وذهب لينوء نحوي فغلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيتها فأخذت حربتي ورجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم تكن لي بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق

فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة هربت إلى الطائف فكنت بها فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليسلموا تعيت علي المذاهب فوالله إني لفي ذلك إذ قال لي رجل ويحك إنه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه أتشهد شهادة الحق فلما رأيته قال أوحشي قلت نعم يا رسول الله قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب عني وجهك

فكنت أتكبه {صلى الله عليه وسلم} حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله تعالى

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب خرجت معهم وأخذت بحربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما في يده السيف وما أعرفه فتهيات له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كاللنا يريده

فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينما قتله فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد قتلت شر الناس وذكر ابن إسحاق بإسناد له إلى عبد الله بن عمر وكان شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول قتله العبد الأسود

قال ابن إسحاق فبلغني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة قال ابن إسحاق

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى قتل قتله ابن قميصة الليثي وهو يظن أنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرجع إلى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب أعطى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللواء علي بن أبي طالب فقاتل علي ورجال من المسلمين

ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تحت راية الأنصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية فتقدم فقال أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة قال نعم

فبرزوا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله ويقال إن أبا سعد هذا خرج بين الصفين وطلب من يبارزه مرارا فلم يخرج إليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار كذبتكم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلي بعضكم فخرج إليه علي فاختلفا ضربتين فقتله علي

وقد قيل إن سعد بن أبي وقاص هو الذي قتل أبا سعد هذا وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس ابن طلحة كلاهما يشعره سهمها فيأتي أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الأقلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا ولا يمس مشرك أبدا فتمم الله له ذلك حيا وميتا حسب ما نذكره عند مقتل عاصم على الرجيع ماء لهذيل إن شاء الله تعالى

والتقى يوم أحد حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن صاحبكم يعني حنظلة لغسله الملائكة فسلوا أهله ما شأنه فستلت صاحبتة فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لذلك غسلته الملائكة

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وهكوكم قتلا وقد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة وكانت الهزيمة لا شك فيها

فلما أبصر الرماة الخمسون أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا والله ما نجلس هنا لشيء قد أهلك الله العدو وإخواننا في
عسكر المشركين فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن لا يتركوها وتنازعوا وفشلوا
وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلا ولم يكن نبل يتضحها ووجدت مدخلا عليهم فكان ذلك سبب الهزيمة
على المسلمين بعد أن كانت لهم

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها منكشفات هوارب ما
دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حتى كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتتنا من خلفنا
وصرخ صارخ ألا أن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد
من القوم

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ويقال إن الصارخ هو الشيطان

وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة

حتى خلص العدو إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصببت رباعيته وكلمت
شفته وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل {صلى الله عليه وسلم} يمسحه وهو يقول كيف يفلح
قوم خصبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم

فأنزل الله عليه في ذلك ليس لك من الأمر شيء أو يوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون آل عمران ١٢٨

وكان الذي كسر رباعيته وجرح شفته عتبة بن أبي وقاص وشجحه عبد الله ابن شهاب الزهري في جبهته وجرح ابن
قمينة وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع {صلى الله عليه وسلم} في حفرة من الحفر التي عمل
أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طلحة ابن عبيد الله حتى استوى
قائما

ومص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجهه ثم ازدردده فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من
مس دمه دمي لم تصبه النار

وقال {صلى الله عليه وسلم} من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فليتنظر إلى طلحة

ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه {صلى الله عليه وسلم} فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى
فسقطت ثنيته الأخرى فكان ساقط الثنيتين

وكان سعد بن أبي وقاص يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص وهو أخوه
وإن كان ما علمت لسبي الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اشتد
غضب الله على من دمي وجه رسوله

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين غشيه القوم من رجل يشري لنا نفسه فقام زياد بن السكن في نفر
خمس من الأنصار وبعض الناس يقولون إنما هو

عمارة بن زياد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان
آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم جاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه فقال رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} أدنوه مني

فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذ قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه

ماء فانتهيت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في أصحابه والدولة والرياح للمسلمين فلما انهزم المسلمون
انحزت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى
خلصت الجراح إلي

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا قالت ابن قميئة
أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا
فاعترضته أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فضربني هذه الضربة ولقد
ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان

وترس دون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبو دجاجة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منح عليه حتى كثر فيه
النبل

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال سعد فلقد رأيت يناولني النبل ويقول أرم
فذاك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ما له من نصل فيقول أرم به
ورمى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم أحد عن قوسه حتى اندقت سيبتها

وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما
وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فعرج
وأتى أنس بن النضر عم أنس بن مالك وبه سمي إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين
والأنصار قد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قد قتل محمد رسول الله
قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا على ما مات عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى

وروي حميد عن أنس أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} للمشركين لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون
فقال اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين وأعتذر إليك مما جاء به هؤلاء يعني المسلمين ثم مشى
بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد وها لريح الجنة
فقال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع

فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به حتى عرفته
أخته بنانه

قال أنس كنا نقول أنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الأحزاب ٢٣ فيه وفي أصحابه
قال ابن إسحاق وكان أول من عرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد الهزيمة وتحدث الناس بقتله كعب بن
مالك الأنصاري قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فنادت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله
{صلى الله عليه وسلم}

فأشار إلي أن أنصت

فلما عرف المسلمون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هضوا به وهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق
وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من
المسلمين

فلما أسند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله أعطف عليه رجل منا فقال
دعوه

فلما دنا تناول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحربة من الحارث بن الصمة يقول بعض القوم فلما أخذها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منه انتفض بها انفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض بها ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وكان أبي بن خلف يلقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة فيقول يا محمد إن عندي العوذ فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه
فيقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنا أقتلك إن شاء الله
فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلي والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك والله إن بك بأس
قال إنه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك
فوالله لو بصق علي لقتلي
فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة
وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما قاله يومئذ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لأصحاب السعير

ولما انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم فصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمی وجه رسوله
فبينما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذا علت عالية من قريش الجبل فقال اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع وقد كان بدن وظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال {صلى الله عليه وسلم} أوجب طلحة
وصلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا

ولما خرج {صلى الله عليه وسلم} إلى أحد رفح حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن قيس في الآكام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أب لك ما ننتظر فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد أقلا نأخذ أسيافا ثم نلحق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعل الله يرزقنا شهادة معه فأخذوا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما
فأما ثابت فقتله المشركون وأما حسيل فاختلقت عليه أسياف المسلمين فقتلوه وهم لا يعرفونه فقال حذيفة أبي قالوا والله إن عرفناه

وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين
فأراد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده عند رسول الله خيرا

وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق من أبحار اليهود وقد تقدم خبره وكيف قال - يومئذ - لليهود لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق فتعللوا عليه بأنه يوم السبت فقال لهم لا سبت لكم وأخذ سيفه وعدته فلحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال إن أصبت فمالي محمد يصنع فيه ما شاء وفيه قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مخيريق خير يهود وكان عمرو بن ثابت بن وقش أصيرم بني عبد الأشهل يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له في الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فغزا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتبسون قتلاهم في المعركة إذاهم به فقالوا والله أن هذا للأصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ما جاء بك يا عمرو احذب على قومك أم رغبة في الإسلام قال بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغلوت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة يقول حدثني عن رجل دخل الجنة لم يصلي قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بني عبد الأشهل

وكان عمرو بن الجموح اعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له إن الله قد عذرك فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يرحمه الله ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يجدن الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خلمها وقلائدها وقرطها وحشيا قاتل حمزة وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكر شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري فشكر وحشي على عمري حتى ترم أضلعي في قبري السريع

فأجابتها هند بنت أناة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر
يا بنه وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري
حمزة ليثي وعلي صقر

أصابني ما أصابني ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال انه من أهل الجنة
وكان أبو هريرة يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلي قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بني
عبد الأشهل

وكان عمرو بن الجموح اعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} المشاهدة فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له أن الله قد عذرك
فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أن بني يريدون أن يجسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله
أني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة
فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك

وقال لبنيه ما عليكم إلا أن تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل برحمة الله
ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يجدن الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من
آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خلمها وقلاندها وقرطها وحشيا قاتل حمزة وبقرت عن كبد حمزة
رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها
نحن جزيناكم بيوم بدر

والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر
ولا أخي وعمه وبكر
شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري
حتى ترم أضلعي في قبري
السريع

فأجابتها هند بنت أناة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر
يا بنه وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري

حمزة ليثي وعلي صقر
إذ رام شيب وأبوك غدري
فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

السريع

وقد كان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الأحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بآب عمه ما ترون لحما

فقال ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلة

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل

أي ظهر دينك

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قم يا عمر فأجبه
فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتالنا في الجنة وقتلاكم في النار
وفي الصحيح من حديث البراء أن أبا سفيان قال إنه لنا العزي ولا عزري لكم
فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} أجيبوه
قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
وفيه أيضا أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال أفي القوم محمد فقال لا تجيبوه
فقال أفي القوم ابن أبي قحافة قال لا تجيبوه

قال أفي القوم ابن الخطاب فلما لم يجبه أحد قال إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله قد أبهى الله لك ما يخزيك
قال ابن إسحاق فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له هلم إلي يا عمر فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعمر ايته فانظر ما شأنه

فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندي من ابن قميته وأبر

لقول ابن قميته هم إني قد قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان إنه قد كان في قتلاكم مثل والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى إن موعدكم بدر العام القابل

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد

ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإفهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإفهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزهم فخرج علي فرآهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة

وفرح الناس لقتلهم وانتشروا ويتغفونهم فلم يجدوا قتيلا إلا وقد مثلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلا فدفع صدره بقدمه وقال قد تقدمت إليك في مصرعك هذا ولعمرك الله إن كنت لو أصلا للرحم برا بالوالدة

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات فقال رجل من الأنصار أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل

فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق قال فقلت له إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك السلام عني وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات

فجنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبرته خبره

وفي سعد هذا يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد دخل عليه رجل وعلى صدره بنت لسعد جارية صغيرة يرشفها ويقبلها فقال الرجل من هذه فقال أبو بكر رضي الله عنه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع كان من النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفة ويكون سنة من بعدي لتكرته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمتلن بثلاثين رجلا منهم

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وغیظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمتلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب فأنزل الله تعالى فيما قاله من ذلك رسوله {صلى الله عليه وسلم} وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم هو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون النحل ١٢٦ - ١٢٧ فعفا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصبر ونهى عن المثلة

ويقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما وقف على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط أغیظ إلي من هذا

ثم قال جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله

ثم أمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسجى برده ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخواها لأبيها وأمها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا ينها الزبير بن العوام القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها

فقال لها يا أمه إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرك أن ترجعي

قالت ولم وقد بلغني أن قد مثل بأخي وذلك في الله فما أرضا بما كان من ذلك لأحسبن ولأصبرن إن شاء الله

فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له خل سبيلها
فأنته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له
ثم أمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدفن
وزعم آل عبد الله بن جحش أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دفن عبد الله بن جحش مع حمزة في قبره وهو
ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة إلا أنه لم يبق عن كبده وجدع أنفه وأذناه
فلذلك يقال له المجدع في الله
وكان في أول النهار قد لقي سعد بن أبي وقاص فقال له عبد الله هلم يا سعد فلندع الله وليذكر كل واحد منا
حاجته في دعائه وليؤمن الآخر
فقال سعد يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه
حتى أقتله وأسلمه سلبه
فأمن عبد الله بن جحش ثم قال اللهم ارزقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ثم يجدع
أنفي وأذني فإذا لقيت غدا قلت لي يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك فأقول فيك يا رب وفي رسولك
فتقول لي صدقت
فأمن سعد على دعوته
قال سعد كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي لقد رأيته آخر النهار وإن أذنيه وأنفه معلقتان في خيط ولقيت أنا
فلانا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه
وذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عرجونا فعاد في
يده سيفا قائمه منه فقاتل به فكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل هذا يوارث حتى بيع من بغا التركي بمائتي
دينار
واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ثم نهي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ذلك وقال
ادفنوهم حيث صرعوا
ولما أشرف {صلى الله عليه وسلم} يوم أحد على القتلى قال أنا شهيد على هؤلاء إن ما من جريح يجرح في الله إلا
والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام
أصحابه في القبر
وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد
وقال يومئذ حين أمر بدفن القتلى انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام فإنهما كانا متصافيين في
الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد
وذكر مالك بن انس في موطنه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فحفر عنهما ليغيرا من مكاهما فوجدوا لم يتغيرا كأنما
ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميظت يده عن جرحه ثم أرسلت
فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة
ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} راجعا إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش فلما لقيت الناس نعي لها
أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له
ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن زوج المرأة منها

لبمكان لما رأى من تثبتها على أخيها وخالتها وصياحها على زوجها
ومر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه
فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكي له
فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على
عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ففعلن فلما سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بكاءهن على حمزة خرج
عليهن وهن على باب المسجد يبكين عليه فقال ارجعن يرحمك الله فقد آسيتن بأنفسكن
وقيل إنه لما سمع بكاءهن قال
رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة مروهن فلينصرفن

ومر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في انصرافه بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأحد فلما نعوا لها قالت فما فعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالوا خيرا
يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين
قالت أرونيه حتى أنظر إليه
فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة
فلما انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال اغسلي عن هذا دمه يا بنية
فوالله لقد صدقني اليوم وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال
وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة
وكان يقال لسيف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذو الفقار
ونادي مناد يوم أحد
لا سيف إلا ذو الفقار
ولا فتى إلا علي
الكامل

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعلي بن أبي طالب لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا
وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال
فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بطلب العدو وأذن مؤذنه أن لا يخرج
معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس
فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله كان أبي خلفني على أخوات لي سبع وقال يا بني إنه
لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} على نفسي فتخلف على أخواتك
فتخلفت عليهن
فأذن له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخرج معه
وإنما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مرهبا للعدو ليلبغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي
أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم

وشهد مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم أحد أخوان من بني عبد الأشهل فرجعا جريحين قال أحدهما فلما
أذن مؤذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي أتفوتنا غزوة مع
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل
فخرجنا وكنت أيسر جرحا منه فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون

وانتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في خروجه ذلك إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة
فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة

وقد مر به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم
ومشركهم عبية نصح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بتهمته صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد
يومئذ مشرك فقال يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم
ثم خرج ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بجمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد
أجمعوا الرجعة إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه وقالوا أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع
قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم
فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط
يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحق عليكم
شيء لم أر مثله قط

فقال ويحك ما تقول قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل
قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم
قال فإني أنمأك عن ذلك والله لقد حملني ما رأيت علي أن قلت فيه أبياتا من الشعر
قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الأصوات راحلتي
إذ سالت الأرض بالجرذ الأبايل
تردي بأسد كرام لا تنابلة
عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا أظن الأرض ماثلة
لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقاتكم
إذا تغططت البطحاء بالخيل
إني نذير لأهل البسل ضاحية
لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخشا قنابله
وليس يوصف ما أذرت بالقييل
البيسط

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه

ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم بمذه غدا زبيبا بعكاظ إذا ما أتيتموها قالوا نعم

قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم

فمر

الركب برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا حسينا الله ونعم الوكيل

ويقال إنهم لما هموا بالرجعة إلى المدينة ليستأصلوا كما زعموا بقية أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لهم صفوان بن أمية لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا

فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بما لكانوا كأمس الذاهب

وأخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان أبا أمه وأبا عزة الجمحي وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أسره بيد رثم من عليه وقد تقدم ذكر ذلك وذكر مقتله إياه في هذه الأخذة الثانية صدر غزوة أحد ولجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل فأقام بعدها وتواري

فبعث النبي {صلى الله عليه وسلم} زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال إنكما ستجدانه بموضع كذا فوجداه فقتلاه

وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه وأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته وكان مما أنزل الله تبارك وتعالى من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وصفة ما كان في يومهم وتعزية المؤمنين في مصيبتهم ومعاتبته من عاتب منهم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه {صلى الله عليه وسلم} وإذ غلوت من أهلك تبويء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

أي سميع لما يقولون عليم بما يخفون

إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا أي تتخاذلا

والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان يقول الله تبارك وتعالى والله وليهما أي المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمته وعائذته حتى سلمتا ولحقنا بنبيهما

وقيل إنه لما أنزل الله تعالى في هاتين الطائفتين قالتا ما نحب أن نلمن بما همنا لتولي الله إيانا في ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علي وليستعين بي أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته

ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أقل عددا وأضعف قوة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقوني فإنه شكر نعمتي إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أي إن تصبروا لعدوي وتطيعوا أمري ويأتوكم من وجههم هذا أمددكم بهذا العدد من الملائكة مسومين أي معلمين وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم أي ما سميت لكم من سميته من جنود ملائكتي إلا لتستبشروا بذلك وتطمئن قلوبكم إليه لما أعرف من ضعفكم وما النصر إلا من عند الله لسلطاني وقدرتي وذلك أن العزة والحكم لي لا إلى أحد من خلقي ثم قال محمد {صلى الله عليه وسلم} ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم أو أتوب عليهم برحمتي فإن شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فيحقي فإنهم ظالمون أي عصوا فاستوجبوا ذلك بمعصيتهم إياي ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم والبلاء الذي أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذ الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وفيما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب برسلي والشرك في عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فرأوا مثلات قد مضت

مني فيهم ولن هو علي مثل ما هم عليه هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين أي نور وأدب لمن أطاعني وعرف أمري ولا تخنوا ولا تحزنوا أي لا تضعفوا ولا تبتسوا على ما أصابكم وأنتم الأعلون لكم تكون العاقبة والظهور إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني إن يمسسكم قرح أي جراح فقد مس القوم قرح مثله أي جراح مثلها وتلك الأيام نداؤها بين الناس أي نصرها للبلاء والتمحيص وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أي حسبتم أن تدخلوا الجنة فصيبوا كرامة ثوابي ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بي والصبر على ما أصابكم في ولقد كنتم تمنون الموت أي الشهادة من قبل أن تلقوه يعني الذين استهضوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الخروج بهم إلى عدوهم يوم أحد لما فاتهم من يوم بدر رغبة في الشهادة يقول فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم أي لقول الناس قتل محمد وانهمهم عند ذلك وانصرفهم عن عدوهم أفئن مات أو قتل رجعتكم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتكم جهاد عدوكم وكتاب ربكم وما خلف نبيه من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت عنكم ومفارق لكم ومن ينقلب على عقبيه أي يرجع عن دينه فلن يضرب الله شيئا أي لن ينقص ذلك عز الله ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته وسيجزى الله الشاكرين أي من أطاعه وعمل بأمره وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب

الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) أي من أراد الدنيا خاصة أتاه منها ما كتب له وما له في الآخرة من نصيب ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن أتاه منها ما وعد به مع ما يجري عليه في دنياه من رزقه المقدر له وذلك هو جزاء الشاكرين أي المتقين

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا أي وكم من نبي أصابه القتل ومعه جماعات من أنصاره فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك هو الصبر والله يحب الصابرين

وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي فقولوا مثل ما قالوا واعلموا أن ذلك بذنوب منكم فاستغفروه كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتلوا على أعقابكم راجعين وسلوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم وينصركم على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم كان وقد قتل نبيهم ولم يفعلوا كما فعلتم

فأتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الذي به وعدهم والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقا عن قلوبكم فاعتصموا به ولا تنتصروا بغيره ولا ترجعوا كفارا على أعقابكم مرتدين عن دينه

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم جزاء لهم بما أشركوا بي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهورا عليكم ما

اعتصمتم بي واتبعتم أمري وإنما أصابكم منهم ما أصابكم بذنوب قلمتموها لأنفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبيي

ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسبهم يأذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون أي لقد وفيت لكم ما وعدتكم من النصر على عدوكم إذ تحسبهم بالسيوف أي تستأصلوهم قتلا يا ذني وتسلطي أيديكم عليهم وكفي أيديهم عنكم حتى إذا فشلتم أي تخاذلتم وتنازعتم في الأمر اختلفتم فيه وعصيتم بترك أمر نبيكم يعني الرماة الذين عهد إليهم ألا يفارقوا مكالمهم فخالفوا أمره حتى أتى المسلمون من قبلهم من بعد ما أراكم ما تحبون أي الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم منكم من يريد الدنيا أي النهب ومنكم من يريد الآخرة أي الذين جاهدوا في الله ولم يخالفوا إلى ما فؤوا عنه ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين أي أنه سبحانه وإن عاقب من يشاء من عباده ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبا وموعظة فإنه غير مستوف كل ماله فيهم من الحق بما أصابوا من معصية فضلا من الله ورحمة

ثم أنهم بالفرار عن نبيهم وهو يدعوهم ولا يعطفون عليه فقال إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم أي كربا بعد كرب بقتل من قتل من إخوانكم وعلو عدوكم عليكم وما وقع في أنفسكم حين سمعتم أنه قتل نبيكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الظهور على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم بما فرجت عنكم من الكرب بوقاية نبيكم وكشف كرب الشيطان في الصراخ بقتله بينكم فكان هذا هو الذي فرج الله به عنهم ما تابع عليهم من الغم فلما رأوا رسول الله { صلى الله عليه وسلم }

حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم فيمن قتل منهم ثم قال تعالى بعد آيات ذكر فيها ما ذكر من قصة أحد وما أصابكم يوم

التقى الجمعان فيأذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) يعني عبد الله بن أبي والراجعين عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين سار إلى عدوه من المشركين

يقول الله تبارك وتعالى هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوتهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ثم قال لنبيه {صلى الله عليه وسلم} يرغب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أهوار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجلوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تبارك وتعالى فأنا ابغهم عنكم فانزل الله عز ذكره على رسوله {صلى الله عليه وسلم} هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله إلى آخرها وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا

وستل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا فقال أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أهوار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطلع الله إليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا

ثم يطلع الله إليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فرق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث نشاء ثم يطلع إليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا إلا أنا نحب أن نأكل من أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لجابر بن عبد الله ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن افعل بك قال أي رب احب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والذي نفسي بيده ما من مؤمن يفارق الدنيا يجب أن يرجع إليها ساعة من النهار وان له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فانه يجب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل في الله فيقتل مره أخرى واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار وقتل الله من المشركين يومئذ اثنين وعشرون وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصاري رحمه الله

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم
من الأرض خرق سيره منتتعت
صحار وأعلام كأن قتامها
من البعد تقع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس درجا
ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسري يلوح صليها
كما لاح كتان التجار الموضع
به العين والآرام يمشين خلفه
وبيض نعام قيضة يتقلع
مجالدنا عن ديننا كل فحمة
منذربة فيها القوانس تلمع
وكل صموت في الصوان كأنها
إذا لبست نهي من الماء مترع
ولكن بيدر سائلوا من لقيتم
من الناس والأبناء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها
سوانا لقد أجلوا بليل فأقشع
إذا جاء منا راكب كان قوله
أعدوا لما يزجي ابن حرب ويجمع
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا
علام إذا لم يمنع العرض نزرع
وفيها رسول الله نتبع أمره
إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه
ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا
إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا
ذروا عنكم هول المنيات واطمع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا
على الله إن الأمر لله أجمع
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا

إلى ملك يحيا لديه ويرجع
فسرنا إليهم جهرة في رحاهم
ضحيا علينا البيض لا تتخشع
بلمومة فيها السنور والقنا
إذا ضربوا أقدامها لا تروع
فجئنا إلى موج من البحر وسطه
أحايش منهم حاسر ومقتع
ثلاثة آلاف ونحن نضية
ثلاث ميين إن كثرنا وأربع
نغاورهم تجري المنية بيننا
نشارعهم حوض المنايا ونشرع
تهادي قسي النبع فينا وفيهم
وما هو إلا البشري المقطع
ومنجوفة حرمية صاعدية
يذر عليها السم ساعة تصنع
وخيل تراها بالقضاء كأنها
جراد صبا في قرة يتربيع
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحي
وليس لأمرهم الله مدفع
ضربناهم حتى تركنا سراهم
كأنهم بالقاع خشب مصرع
لذن غدوة حتى استفقنا عشية
كأن ذكاهها حر نار ترفع
وراحوا سراعا موجعين كأنهم
جهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا
أسود على لحم ببيشة ظلع
فنلنا ونال القوم منا وربما
فعلنا ولكن ما لدي الله أوسع
ودارت رحانا واستدارت رحاهم
وقد جعلوا كل من الشر يشبع
ونحن أناس لا نرى القتل سية
على كل من يحمي الذمار ويمنع

جلاد على ريب الحوادث لا ترى
على هالك عين لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيما بشيء نقوله
ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
ولا نحن من أظفارها نوجع
الطويل

وقال حسان بن ثابت يجيب عبد الله بن الزبيري عن كلمة له على روي هذا الجواب يفخر فيها بيوم أحد وكلتا
الكلمتين ينكرها بعض أهل العلم لمن نسبت إليه
أشأقتك من أم الوليد ربوع
بلاقع ما من أهلهم جميع
عفاهن ضيفي الرياح وواكف
من الدلو زحاف السحاب هموع
فلم يبق إلا موقد النار حوله
رواكد أمثال الحمام كنوع
فدع ذكر دار بددت بين أهلها
نوى لمئينات الجبال قطوع

وقل إن يكن يوم بأحد يعده
سفيه فإن الحق سوف يشيع
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا
وما كان منهم في اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه
لهم ناصر من ربهم وشفيع
وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم
ولا يستوي عبد وفي ومضيع
بأيديهم بيض إذا حمي الوغى
فلا بد أن يودي بهن صريع
كما غادرت في النقع عتبة ثاويا
وسعدا صريعا والوشيع شروع
وقد غادرت تحت العجاجة مستندا
أبيا وقد بل القميص نجيع

بكف رسول الله حيث تنصبت
على القوم مما قد يشرن نفع
أولئك قوسم سادة من فروعكم
وفي كل قوم سادة وفروع
بمن نعز الله حتى يعرنا
وإن كان أمر يا سخين فطيع
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم
قتيل ثوى الله وهو مطيع
فإن جنان الخلد منزلة له
وأمر الذي يقضي الأمور سريع
وقتلناكم في النار أفضل رزقهم
حميم معا في جوفها وضريع
الطويل

وقال كعب بن مالك ييب ابن الزبيري وعمرو بن العاص عن كلمتين قالها في ذلك
أبلغ قريشا وخير القول أصدقه
والصدق عند ذوي الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلنا سراتكم
أهل اللواء ففيما يكتر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا
والقتل في الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها
فرأي من خالف الإسلام تضليل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا
إن أخوا الحرب أصدى اللون مشغول
إننا بنو الحرب نمرها وننتجها
وعندنا لذوي الأضغان تنكيل
إن ينج منها ابن حرب بعدما بلغت
منه التراقي وأمر الله مفعول
فقد أفادت له حلما وموعظة
لمن يكون له لب ومعقول
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم

ضرب لشاكلة البطحاء ترعيل
تلقاكم عصب حول النبي لها
مما يعدون للهيجا سراييل
من جدم غسان مسترخ حماثلهم
لا جبناء ولا ميل معازيل
يمشون تحت عمایات القتال كما
يمشي المصاعبة الأدم المراسيل
أو مثل مشي أسود الطل ألتقها
يوم رذاذ من الجزاء مشمول
في كل سابعة كالنهي محكمة

قيامها فلح كالسيف بملول
ترد حد قران النبل خاسئة
ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قذفتهم بسلع عن ظهوركم
وللحياة ودفع الموت تأجيل
ما زال في القوم وتر منكم أبدا
تعفو السلام عليه وهو مطلول
البيسط

وقال كعب أيضا في يوم أحد من قصيدة يفخر فيها بقومه
فإن كنت عن شأننا سائلا
فسل عنه ذا العلم ممن يلينا
بنا كيف نفعل إن قلصت
عوانا ضررنا عضوضا حجونا
ألسنا نشد عليها العقاب
حتى تدر وحتى تلينا
ويوم له رهج دائم
شديد التهاول حامي الأرينا
طويل شديد أوار القتال
يبغي حواقزه المقر فينا
تحال الكمأة بأعراضه
ثمالي على لذة منزفينا
تعاور أيمانهم بينهم
كؤوس المنايا بحد الظينا

شهدنا وكنا أولى بأسه
وتحت العصاية والمعلمينا
بخرس الحسيس حسان رواء
وبصريه قد أجمن الجفونا
فما ينفلن وما ينحنين
وما ينتهين إذا ما همينا
كبرق الخريف بأيدي الكمأة
يفجعن بالطل هاما سكونا
وعلمنا الضرب آباؤنا
وسوف نعلم أيضا بنينا
جلاد الكمأة وبذل التلاد
عن جل أحسابنا ما بقينا
إذا مر قرن كفي نسله
وأورثه بعده آخرينا
نشب وتملك آباؤنا
وبينا نربي بنينا فنينا
المتقارب

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أتعرف الدار عفا رسمها
بعذك صوب المسيل الهاطل
بين السراذيح فأرمانه
فمدفع الروحاء في حائل
سألته عن ذاك فاستعجمت
لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها
وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشيزي إذا أعصفت
غبراء في ذي الشبم الماحل
والتارك القرن لذي لبدة
يعثر في ذي الخرص الذابل
واللابس الخيل إذا أحجمت
كالليث في غابته الباسل
أيض في الذروة من هاشم

لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيدا بين أسيافكم
شلت يدا وحشي من قاتل
أي امرئ غادر في آلة
مطرورة مارنة العامل
أظلمت الأرض لفقدانه
واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله في جنة
عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزا لنا
من كل أمر يأتنا نازل
وكان في الإسلام ذا تدراء
يكفيك فقد القاعد الخاذل

لا تفرحي يا هند واستجلي
دمعا وأذري عبرة الناكل
وابكي على عتبة إذ قطه
بالسيف تحت الرهج الخائل
إذ خر في مشيخة منكم
من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أسرة
يمشون تحت الخلق القاضل
غداة جبريل وزير له
نعم وزير الفارس الحامل
الرجز

وقال عبد الله بن رواحة يكي حمزة وتروي أيضا لكعب بن مالك رضي الله عنهم أجمعين
بكت عيني وحق لها بكها
وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القليل
أصيب المسلمون به جميعا
هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلي لك الأركان هدت
وأنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان

مخالطها نعيم لا يزول

الوافر

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة رضي الله عنهما

أسائله أصحاب أحد مخافة

بنات أبي من أعجم وخير

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى

وزير رسول الله خير وزير

دعاه الإله الحق ذو العرش دعوة

إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي

لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا

بكاء وحرنا محضري ومسيري

على أسد الله الذي كان مدرها

يذود عن الإسلام كل كفور

فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي

لدى أضيع تعنادي ونسور

أقول وقد أعيب العبي عشيرتي

جزى الله خيرا من أخ ونصير

الطويل

وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها شماسا وأصيب يوم أحد

يا عين جودي بفيض غير إيساس

على كريم من الفتيان لباس

صعب البديهة ميمون نقيبته

جمال ألوية ركاب أفراس

أقول لما أتى الناعي له جزعا

أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي

وقلت لما خلعت منه مجالسه

لا يبعد الله منا قرب شماس

البسيط

فأجابها أخوها يعريها فقال

اقنى حياءك في ستر وفي كرم

فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته
في طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري
فذاق يومئذ من كأس شماس
البيسط

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد
رجعت وفي نفسي بلابل جمّة
وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

من أصحاب بدر من قريش وغيرهم
بني هاشم منهم ومن آل يثرب
ولكنني قد نلت شيئا ولم يكن
كما كنت أرجو في مسيري ومركي
الطويل

وهذه هند أم معاوية بن أبي سفيان وكانت امرأة فيها مكاراة وذكرورة ولها نفس وأنفة وكان للمسلمون قد أصابوا
يوم بدر أبها عتبة وعمها شيبية وأحباها الوليد فأصابها من ذلك ما يصيب من مثله النفوس الشهمة والقلوب الكافرة
فخرجت إلى أحد مع زوجها أبي سفيان تبتغي الانتصار وتطلب الأوتار فهذا قولها يرحمها الله والوتر يقلقها والكفر
يحنقها والحزن يجرقها والشيطان ينطقها
ثم إن الله سبحانه هداها إلى الإسلام وأخذ بحجزتها عن سواء النار فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت لرسول
الله {صلى الله عليه وسلم} فيما قالت له والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من
أهل خباتك وما أصبح اليوم على الأرض خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خباتك
أو نحو هذا من القول

فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين وإياه سبحانه نسأل أن يمتتنا على خير ما هدانا إليه لا مبدلين ولا مغيرين
غدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد أحد رهط من عضل والقارة وهم بنو الهون ابن خزيمة بن مدركة
فقالوا له يا رسول الله إن فينا إسلا ما فابعت معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين وقرئونا القرآن ويعلموننا
شرائع الإسلام

فبعث معهم ستة من أصحابه مرثد بن أبي مرثد الغنوي وأمره عليهم وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي
الأقلح وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق
فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدر الهداة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيل
فلم يرع القوم وهم في رحاهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا
والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم

فأما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا
وقال عاصم

ما علتي وأنا جلد نابل
والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل
الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل
بالمراء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأمي هابل
الرجز

ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل أصحابه رحمهم الله

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه لبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد بمكة وكانت حين أصاب ابنها يوم
أحد نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر فمنعه الدبر فقالوا دعوه حتى يمسي فذهب عنه
فأخذه

فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به

وقد كان عاصم أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشركا وألا يمسه مشرك أبدا تنجسا

فكان عمر بن الخطاب يقول يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركا أبدا في
حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا ورفقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم
خرجوا بهم إلى مكة لبيعههم بها حتى إذا كانوا بالظهران انترع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه
واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبروه بالظهران

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن
عامر بن نوفل ليقتله بأبيه

وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعث به مع مولى له يقال له نسطاس إلى
التميم فأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان لما قدم
ليقتل أنشدك الله يا زيد أتعب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك فقال والله ما أحب أن
محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي

يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يجب أحدا كحجب أصحاب محمد محمدا

ثم قتله رحمه الله نسطاس مولى صفوان

قال ابن عقبة وزعموا أنهم رموه بالنبل وأرادوا فتنته فلم يزد إلا إيمانا ويقينا

وأما خبيب بن عدي فجلس بمكة في بيت ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب فكانت تحبر بعد ما أسلمت قالت لقد
اطلعت عليه يوما وإن في يده لقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ووالله ما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل
قالت وقال لي حين حضره القتل ابعتني إلي بحديدة أتظهر بها للقتل فأعطيت الموسى غلاما من الحي فقلت ادخل بها

على هذا الرجل قالت فوالله ما هو إلا أن ولي الغلام بما إليه فقلت ماذا صنعت أصاب والله الرجل تأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثك بهذه الحديدة إلي ثم خلى سبيله ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا قالوا له دونك فاركع

فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا تظنوا أي إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة

فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين

ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرت يومئذ فيمن حضره مع أبي أبي سفيان فلقد رأيتته يلقيني في الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه

وكان ممن حضره يومئذ سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي ثم أسلم بعد ذلك واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض الشام فكانت تصيبه غشية بين ظهري القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب

فسأله عمر رحمه الله في قدمه قدمها عليه فقال يا سعيد ما هذا الذي يصيبك قال والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا وغشي علي فزادته عند عمر خيرا

وذكر ابن عقبة أن خبيبا وزيدا قتلا في يوم واحد قال وزعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قتلا فيه وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش لا ندري أذكر ابن الدثنة معه أم لا

وقال خبيب يرحمه الله لما اجتمع القوم لصلبه

لقد جمع الأحزاب حولي وآلوا

قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم

وقربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي

وما أروى الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي

فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي

وذلك في ذات الإله وان يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد خيروني الكفر والموت دونه

وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لمىت
ولكن حذارى جحىم نار ملفع
ولست أبالى حىن أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبد للعدو تخشعا
ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى
الطويل

وقال حسان بن ثابت ببكى خبببا
يا عىن جوىدى بدمع منىك منسكب
وابكى خبببا مع الفتىان لم يؤب
صقرا توسط فى الأنصار منصبه
سمح السببىة محضا غير مؤتشب
قد هاج عىنى على علات عبرقما
إذ قىل نص إلى جذع من الخشب
يا أبها الرابى الغاىى لطبته
أبلغ إلىك وعىدا لىس بالكذب
بنى كبهينة إن الحرب قد لفتح
محبوبها الصاب إذ تمرى لخلب
فىها أسود بنى النجار بقدمهم
شهب الأسنة فى معصوب لب
السىط

وقال حسان أيضا بىهجو هذىلا
لعمرى لقد شانت هذىل بن مبرىك
أحابىث كانت فى خببب وعاصم
أحابىث لىان صلوا بقببببها
وللىان جرامون شر الجرائم
أناس هم من قومهم فى صمببهم
بمنزلة الزمعان ببر القوائم
هم غىروا بوم الرجىع وأسلمت
أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسول رسول الله غىرا ولم تكن

هذيل توفى منكراة اءارم
فسوف يرون النصر يوما عليهم
بقتل الذي يءميه دون اءارم
أبايل ءبر شمس دون لءمه
ءمت لءمك شءاء عظام الملاءم
لعل هذبلا أن يروا بمصابه
مصارع قتلى أو مقاما لمآتم
ويوقع فيها وقعة ذات صولة
يوافي بها الركبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إن رسوله
رأي رأي ذي ءزم بلءبان عالم
قبيلته ليس الوفاء بهمهم
وإن ظلموا لم يءفعوا كف ظالم
إذا الناس حلوا بالفضاء رأبهم
بمءرى مسيل الماء بين المءارم
مءلهم ءار البوار ورأبهم
إذا ناهم أمر كراي البهائم
الطويل

ءزوة بئر معونة

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد
وكان من ءءبهم أن أبا براء ملاءب الأسنة واسمه عامر بن مالك بن ءعفر قءم المءبنة على رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} فعرض عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الإسلام وءعاه إليه فلم يسلم ولم يبعء من الإسلام
وقال يا محمد لو بعء ءجالا من أصحابك إلى أهل نءء فءعوهم إلى أمرك ءءوت أن يستءبوا لك
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إني أءشى عليهم أهل نءء قال أنا لهم ءار فابءتهم فبعء رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} المنءر بن عمرو أءا بني ساءة المءنق ليموت في أربعين ءالا من أصحابه منهم ءارء بن الصمة
وءرام بن ملاءن وءروة بن أسماء بن الصلاء السلمي ونافع بن بءبل بن ورقاء وءامر بن فهيرة في ءال مسمين
من ءبارة المسلمين
فساروا ءءى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وءرة بني سليم كلا البلءين منها قارب وهي إلى ءرة بني
سليم أقرب
فلما نزلوها بعءوا ءرام بن ملاءن بءتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى عءو الله عامر بن الطفيل فلما

أتاهم لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا

فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رحهم الله إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار يرحمه الله فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتل فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف قيل إنه المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دماهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرني عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل

وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فخرجة عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هو فيه فسألها ممن أنتما فقالا من بني عامر

فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر في ما أصابوه من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان مع العامريين عقد من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية فلما قدم عمرو على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره الخبر قال لقد قتلت قتيلين لأدينهما

ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا وكان فيمن أصيب يومئذ عامر بن فهيرة فكان عامر بن الطفيل يقول من

رجل منهم لما قتل رأيت رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه قالوا هو عامر بن فهيرة وذكر ابن عقبة أنه لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يومئذ فيرون أن الملائكة هي وارته رحمة الله عليه

وكان جبار بن سلمى فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول إن مما دعاني إلى الإسلام أبي طعنت رجلا منهم بالرمح بين كتفيه فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعتة يقول فرت والله فقلت في نفسي ما فاز ألسنت قد قتلت الرجل حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله

وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شهرا يدعو في صلاة الغداة على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة يدعو على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وأنزل فيمن قتل هنالك قرآن ثم رفع بلغوا عنا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه

ذكر غزوة بني النضير والسبب الذي هاج الخروج إليهم

وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج إليهم يستعينهم في دية العامرين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عقد لهما فقالوا له لما كلمهم في ذلك نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه اجلس حتى تطعم وترجع بحاجتك
فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ظل جدار من جدر بيوتهم معه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ينتظرون أن يصلحوا أمرهم
فخلا بعضهم ببعض والشيطان معهم لا يفارقهم فائتمروا بقتل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيرى منا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك
وصعد ليفعل

فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الخبر من السماء بما أراد القوم فقام راجعا إلى المدينة وترك أصحابه في مجلسهم فلما استلبث النبي {صلى الله عليه وسلم} أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال لقيته داخلا المدينة فأقبلوا حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به
وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ثم سار بالناس ونزل بهم فتحصنوا منه في الحصون

وعرض عليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الجلاء عن أوطانهم وأن يسيروا حيث شاءوا فراسلهم أوليائهم من المنافقين عبد الله بن أبي رهم من قومه حين سمعوا ما يراود منهم أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم إن قاتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم

فغرتهم أماني المنافقين ونادوا النبي {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه إنا والله لا نخرج ولن قاتلنا لنقاتلنا فمضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأمر الله فيهم فلما انتهى إلى أزقيتهم وحصونهم كره أن يمكنهم من القتال في دورهم وحصونهم فحفظ الله له أمره وعزم له على رشده فأمر بالأدنى فالأدنى من دورهم أن تقدم وبالنجيل أن تحرق وتقطع وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين فلم ينصروهم وألقى الله في قلوب الفريقين كليهما الرعب فهدموا الدور التي هم فيها من أبارها فلما كادوا يبلغون آخر دورهم وهم ينتظرون المنافقين ويتربصون من نصرهم ما كانوا يمتنونهم به حتى يسوا مما عندهم سألوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي كان عرض عليهم قبل ذلك ففاضاهم {صلى الله عليه وسلم} على أن يجلبهم ويكف عن دمائهم وعلى أن لهم ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقة فقط

فطاروا بذلك كل مطير وتحملوا بما أقلت إبلهم حتى إن الرجل ليهدم بيته عن نجاف بابه في يفضعه على ظهر بعيره فينطلق به

فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وكان أشرفهم بنو أبي الحقيق وحيي بن أخطب فيمن سار إلى خيبر فلما نزلوها دان لهم أهلها

وخلي بنو النضير الأموال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكانت له خاصة بحكم الله له بما ليضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فأعطاهما

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منها
وكانت اليهود قد عبروا المسلمين حين يهدمون الدور ويقطعون النخل

فنادوا أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها وما ذنب شجرة
وأنتم تزعمون أنكم مصلحون في الأرض فأنزل الله سبحانه في قصتهم وما ذكروه من قولهم وبيان وجه الحكم في
أمواهم سورة الحشر بأسرها
فقال عز من قائل

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من
ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف
في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار للذي كان منهم من الهدم من أدبار
بيوتهم وهدم المسلمين لما يليهم منها
ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالسيف وهم في الآخرة عذاب النار أي مع ما لقوه في الدنيا
من النقمة

ثم قال تعالى فيما عابوه من قطع النخيل وعدوه من ذلك فسادا ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها
فياذن الله أي فبأمر الله قطعت لم يكن ذلك فسادا بل نقمة أنزلها بهم وليخزي الفاسقين
ثم بين تعالى لرسوله الحكم في أمواهم وأنها نفل له لا سهم لأحد فيها معه فقال عز ذكره وجل قوله وما أفاء الله
على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء
قدير فقسمها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيمن أراه الله من المهاجرين الأولين كما تقدم وأعطى منها الرجلين
المسميين من الأنصار

وقال علي بن أبي طالب يذكر إجلاء بني النضير وما تقدم قبل ذلك من قتل كعب بن الأشرف ويقال بل قالها رجل
من المسلمين غير علي
عرفت ومن يعتدل يعرف
وأيقنت حقا ولم أصدف
عن الكلم المحكم اللاء من
لدى الله ذي الرأفة الأرف
وسائل تدرس في المؤمنين
بهن اصطفى أحمد المصطفى
فأصبح أحمد فينا عزيزا
عزيز المقامة والموقف
فيا أيها الموعده سفاها
ولم يأت جورا ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب
وما آمن الله كالأخوف

وأن تصرعوا تحت أسيافه
كمصرع كعب أبي الأشرف
غداة رأي الله طغيانه
وأعرض كالجمل الأحنف
فأنزل جبريل في قتله
بوحي إلى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له
بأبيض ذي هبة مرهف
فباتت عيون له معولات
متى ينع كعب لها تدرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلا
فإنا من النوح لم نشنف
فخلاهم ثم قال اظعنوا
دحورا على رغم الأنف
وأجلى النصير إلى غربة
وكانوا بدار ذوي زخرف
إلى أذرع رداي وهم
على كل ذي دبر أعجف
المتقارب

ولم يسلم من بني النصير إلا رجلان يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما
خوفا على أموالهما فأحرزاهما وحدث بعض آل يامين أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ليامين ألم تر ما
لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني فجعل يامين لرجل جعل على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة بعد غزوة بني النصير شهر ربيع وبعض جمادي ثم غزا نجدا يريد
بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا
وهي غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات
الرقاع

وقيل لما كانوا يعصبون على أرجلهم من الحرق إذ نقتب أقدامهم
فلقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هنالك جمعا من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وخاف الناس
بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بهم
وفي هذه الغزوة عرض له رجل من محارب يقال له غورث وقد قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدا

قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به

فأقبل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو جالس وسيفه في حجره فقال يا محمد أنظر إلى سيفك هذا قال نعم

فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به فيكته الله ثم قال يا محمد أما تخافني قال لا والله ما أخاف منك قال أما تخافني وفي يدي السيف قال بلى يعني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فردده عليه

فأنزل الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون المائدة ١١

وقيل إنما نزلت في عمرو بن جحاش وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم وصل إلى بني النضير مستعينا بهم في دية العامرين فالله أعلم أي ذلك كان

وحدث جابر بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قافلا أتى زوجها وكان غائبا فلما أخبر الخبر حلف أن لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما فخرج يتبع أثر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا قال فانتدب رجل من المهاجرين قيل هو عمار بن ياسر ورجل من الأنصار قيل هو عباد بن بشر فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيك أوله أو آخره قال بل اكفي أوله فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي وأتى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ربيبة القوم فرماه بسهم فوضعه فيه قال فانزعه عنه وثبت قائما ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت

قال فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهبتي أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها

وقال جابر بن عبد الله خرجت إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال ما لك يا جابر قلت يا رسول الله أبطأ بي جملي

قال أنخه فأخنته وأناخ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع لي عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخسه بها نخسات ثم قال اركب فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقته مواهقة وتحدثت معه فقال لي أتبعني جملك هذا يا جابر قلت يا رسول الله بل أهبه لك

قال لا ولكن بعنيه

قلت فسمنيه

قال قد أخذته بدرهم

قلت لا إذن تغبني يا رسول الله

قال فبدرهمين

قلت لا

فلم يزل يرفع لي حتى بلغ الأوقية فقلت أقدر رضيت قال نعم

قلت فهو لك

قال قد أخذته

ثم قال يا جابر هل تزوجت بعد قلت نعم يا رسول الله قال أثيبا أم بكرا قلت بل ثيبا

قال أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا فكسحت امرأة

جامعة تجمع رءوسهن وتقوم عليهن

قال أصبت إن شاء الله أما إنه لو قد جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت

نمارقها

قلت والله يا رسول الله مالها من نمارق

قال إنها ستكون

فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا

قال فلما جئنا صرارا أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم فلما أمسى

دخل ودخلنا فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالت فلونك فسمع وطاعة

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم جلست في

المسجد قريبا منه وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرأى الجمل فقال ما هذا فقالوا يا رسول الله هذا جمل

جاء به جابر

قال فأين جابر فدعيت له

فقال يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك

ودعا بلالا وقال اذهب بجابر فأعطه أوقية

قال فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس

فيما أصيب لنا يعني يوم الحرة

قال ابن إسحاق ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من غزوة ذات الرقاع أقام بما بقية جمادي الأولى

وجمادي الآخرة ورجب

ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله فأقام عليه ثمان ليال ينتظره

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران وبعض الناس يقول غسфан ثم بدا له في الرجوع

فقال يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن فإن عامكم هذا عام

جدب وإني راجع فارجعوا

فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق

وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده فأثاه مخشى بن عمرو الضمري وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان فقال يا محمد أجت للقاء قريش على هذا الماء قال نعم يا أبا بني ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالديناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة

ومر برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو هناك ينتظر أبا سفيان معبد بن أبي معبد الخزاعي فقال وناقته تهوى به وقد رأى مكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قد نفرت من رفقتي محمد

وعجوة من يشرب كالعجد

تهوى على دين أبيها الأتلد

قد جعلت ماء قديد موعدي

وماء ضجنان لها ضحى الغد

الرجز

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك ويقال إنما لكعب بن مالك

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد

لميعاده صدقا وما كان وافيًا

فأقسم لو وافتينا فلقيتنا

لأبت ذميما وافتقدت المواليا

تركنا بما أوصال عتبة وابنه

وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله أف لديكم

وأمركم السيئ الذي كان غاويا

فإني وإن عنفتموني لقائل

فدا لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم تعدله فينا بغيره

شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

الطويل

وقال حسان بن ثابت في ذلك

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

جلاد كأفواه المخاض الأوارك

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم

وأنصاره حقا وأيدي الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عاجل

فقولا لها ليس الطريق هنالك

أقمنا على الرس النروع ثمانيا
بأرعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزة نصف خلقه
وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العلمي تدرى أصوله
مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن تلق في تطوافنا والتماسنا

فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده
يزد في سواد لونه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة
فإنك من غر الرجال الصعالك
الطويل

ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدمة
المدينة ثم غزا دومة الجندل ثم رجع قبل أن يصل إليها ولم يلق كيدا {صلى الله عليه وسلم}

غزوة الخندق

وكانت في شوال من سنة خمس في قول ابن إسحاق
وكان من الحديث عن الخندق أنه لما أجلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بني النضير خرج نفر من اليهود سلام
بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع النضريون وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان في نفر من بني
النضير وبني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين قدموا مكة على قريش
فاستفروهم واستنفروهم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودعوهم إلى حربته وقالوا إنا سنكون معكم عليه
حتى نستأصله

فقالت لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفدينا خير أم
دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم ألم تر إلى الذين أتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا النساء ٥١ - ٥٢
فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاجتمعوا لذلك
واتعدوا له

ثم خرج أولئك النفر حتى جاعوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى مثل ما دعوا إليه قريشا وأخبروهم أنهم
سيكونون معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك

وجعلت يهود لغطفان تحريضا على الخروج نصف تمر خبير كل عام
فرعّموا أن الحارث بن عوف أخا بني مرة قال لعبيبة بن حصن بن حذيفة ابن بدر ولقومه من غطفان يا قوم أطيعوني
دعوا قتال هذا الرجل واخلوا بينه وبين عدوه من العرب فغلب عليهم الشيطان وقطع أعناقهم الطمع ونفذوا الأمر
عبيبة على قتال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل طليحة الأسدي فيمن اتبعه من بني أسد وهما الخليفان أسد وغطفان
وكتبت قريش إلى رجال من بني سليم أشراف بينهم وبينهم أرحام استمدادا لهم فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من
سليم مددا لقريش
فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عبيبة بن حصن في بني فزارة والحارث بن
عوف في بني مرة ومسعر بن ربيعة الأشجعي فيمن تابعه من قومه من أشجع وتكامل لهم ولمن استمدوه فأمدهم جمع
عظيم هم الذين سماهم الله الأحزاب
فلما سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخروجهم وبما جمعوا له من الأمر أخذ في حفر الخندق وضربه على
المدينة فعمل فيه {صلى الله عليه وسلم} ترغيبا للمسلمين في العمل والأجر وعمل معه المسلمون فدأب فيه ودأبوا
حتى أحكموه

وأبطأ عنهم في عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم
من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة النائبة من الحاجة التي لا بد له
منها يذكر ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويستأذنه في اللحق بمجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع
إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتسابا له فأنزل الله في أولئك من المؤمنين إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم

الله إن الله غفور رحيم (النور ٦٢)

فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الحرب والطاعة لله ولرسوله
ثم قال تبارك وتعالى يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل وينهون بغير إذن من النبي {صلى الله عليه
وسلم} لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين
يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ٦٣ النور

وكانت في حفر الخندق أحاديث فيها من الله عبرة في تصديق رسوله وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون
فمنها أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا ياناء من ماء
فثفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها فوالذي بعثه بالحق
لا تمألت حتى عادت كالكتيب ما ترد فأسا ولا مسحة

ودعت عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير ابنة لها من بشير فأعطتها حفنة من تمر في ثوبها ثم قالت أي بنية اذهبي
إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما

قالت فأخنتما فانطلقت فمررت برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنا التمس أبي وخالي فقال تعالي يا بنية ما هذا
معك قالت قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه

قال هاتيه

قالت فصبيته في كفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فما ملائمتما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق وإنه ليسقط من أطراف الثوب وقال جابر بن عبد الله عملنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الخندق وكنا نعمل فيه نهارا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا فكانت معي شويهة غير جد سمينة فقلت والله لو صنعناها لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فأمرت امرأتي فطحننا لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خيزرا وذبحت تلك الشاة فشويناهها لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما أمسينا وأراد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الانصراف عن الخندق قلت يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي وإنما أريد أن ينصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معي وحده فلما قلت له ذلك قال نعم

ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بيت جابر بن عبد الله

قال قلت إنا لله وإنا إليه راجعون فأقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والناس معه فجلس وأخرجناها إليه فبرك وسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها وحدث سلمان الفارسي قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} قريب مني فلما رأي أني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قلت نعم قال أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح بها علي المشرق

فكان أبو هريرة يقول حين فتحت الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا {صلى الله عليه وسلم} مفاتيحها قبل ذلك

ولما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحايشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل قحافة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بدينب نقمي إلى جانب أحد وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالدراري والنساء فجعلوا في الآطم وخرج عدو الله حبي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على قومه وعاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب بجيبي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناده حبي ويحك يا كعب افتح لي

فقال ويحك يا حيبي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم منه إلا وفاء وصدقا
قال ويحك افصح لي أكلمك

قال ما أنا بفاعل

قال والله إن أغلقت دوبي إلا على جشيشتك أن أكل معك منها
فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جنتك بجز الدهر وبحر طام جنتك بقريش على قادتها وسادتها حتى
أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذب نغمي إلى جب أحد قد عاهدوني
وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه
فقال له كعب جنتي والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويرق وليس فيه شيء ويحك يا حيبي فدعني
وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء
فلم يزل حيبي بكعب يفتله في الذرورة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش
وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك
فنقض كعب بن أسد عهده ويريء مما كان بينه وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فلما انتهى الخبر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وإلى المسلمين بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سعد
ابن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن
جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فاحنوا إلي لحنا أعرفه ولا تفتوا في
أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فأجهروا به للناس
فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخيث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقالوا من
رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن
عبادة دع عنك مشاتمهم فما بيننا وأربي من المشاتمة
ثم أقبلوا ومن معهما إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة
أي كعذر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الله أكبر
أبشروا يا معشر المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم
النفاق من بعض المنافقين وحتى قال قاتل منهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن
على نفسه أن يذهب إلى الغائط
وأقام عليه المشركون قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمياء
بالنبيل والحصار

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف
وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينها المروضة
في الصلح حتى كتبوا

الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل

به أم شيئا تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رميتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو يبيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيكم إلا السيوف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأنت وذلك

فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتب ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنزل بني كنانة فقالوا قهياًوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم

ثم أقبلوا تعنتق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السيخة بين الخندق وطلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنتق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد

قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز علي بن أبي طالب فقال له يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتما منه فقال له أجل فقال له علي فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام

قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى النزال قال له ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي لكفي والله أحب أن أقتلك فحمني عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة

وذكر ابن إسحاق في غير رواية البكائي أن عمرا لما نادى يطلب من يبارزه قام علي رضي الله عنه وهو مقنع في الحديد فقال أنا له يا نبي الله

فقال له اجلس إنه عمرو ثم ذكر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلي رجلا فقام علي فقال أنا له يا رسول الله

قال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة وقال ولقد مجحت من النداء بجمعكم هل من مبارز ووقفت إذ جبن المشجع وقففة الرجل المناجر

وكذاك أني لم أزل
متسرعا نحو المراهز
إن الشجاعة في الفتى
والجود من خير الغرائز
الكامل

فقام علي رضي الله عنه فقال أنا له يا رسول الله
فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرا
فأذن له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمشى إليه علي وهو يقول
لا تعجلن فقد أتاك
مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة
والصدق منجي كل فائر
إني لأرجو أن أقيم

عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى
ذكرها عند المراهز
الكامل

فقال عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف قال أنا علي بن أبي طالب
فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك
فقال علي لكفي والله ما أكره أن أهريق دمك
فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا
ويقال إنه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي
فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها ففقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه
وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التكبير فعرف أن عليا
قد قتله فثم يقول علي رضي الله عنه
أعلى تقتحم الفوارس هكذا
عني وعنه أخبروا أصحابي
فاليوم يمنعني الفرار حفيظتي
ومصمم في الرأس ليس بناي
أدى عمير حين أخلص صقله
صافي الحديد يستفيض ثوابي
فغدوت ألتمس القراع بمهرف
عضب مع التراء في إقراب

قال ابن عبد حين شد ألية
وحلفت فاستمعوا من الكذاب
أن لا يفر ولا يهمل فالتقى
أسدان يضطربان كل ضراب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرت دين محمد بصواب
فصدت حين تركته متجدلا
كالجدع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني
كنت المجدل بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب
الكامل

وكان شعار أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم الخندق وبني قريظة حم لا ينصرون
وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من
أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر
سعد وعليه درع له مقلصة وقد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقد بها أي يسرع بها في نشاط وهو يقول
لبث قليلا يشهد الهيجا حمل
لا بأس بالموت إذا حان الأجل
الرجز

فقالت أمه الحق أي بني فقد والله أخرجت
قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي

قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمي سعد بسهم فقطع منه الأكل رماه حبان بن قيس بن العرقة أحد
بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة
فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقي لها فإنه لا قوم أحب إلي
أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة
ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة

وكان عبد الله بن كعب بن مالك يقول ما أصاب سعدا يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقال في
ذلك شعرا يخاطب به عكرمة بن أبي جهل
أعكرم هلا لمتني إذ يقول لي
فذاك بآطام المدينة خالد
ألست الذي ألزمت سعدا مرشدة
لها بين أثناء المرافق عائد

قضي نخبه منها سعيد فأعولت
عليه مع الشمط العذاري التواهد
الطويل

في أبيات ذكرها ابن إسحاق

ويقال إن الذي رمى سعدا خفاقة بن عاصم بن حبان

فالله أعلم أي ذلك كان

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ أطم حسان بن ثابت قالت

وحسان معنا فيه مع النساء والصبيان

قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله
{ صلى الله عليه وسلم } وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله { صلى الله عليه وسلم } والمسلمون في محور
عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف
بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
وأصحابه فانزل إليه فاقتله

قال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا

فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته

فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان انزل فاسلبه فإني لم يمعن من سلبه إلا أنه رجل

قال مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب

وأقام رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشددة لتظاهر عدوهم عليهم

وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي

لم يعلموا بإسلامي فمروني بما شئت

فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني

وبينكم

قالوا صدقت فلست عندنا بمتهم

فقال لهم إن قريشا وخطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا

منه إلى غيره وإن قريشا وخطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم

بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا هزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم فلا

طاقة لكم به إن خلا بكم فلا

تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى

تناجزوه

قالوا لقد أشرت بالرأي

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه قد بلغني أمر

رأيت علي حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكنتموا عني

قالوا نفعل

قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل إليهم نعم

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني

قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكنتموا عني

قالوا نفعل

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم

فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله لرسوله {صلى الله عليه وسلم} أرسل أبو سفيان بن حرب وروعوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشتموا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق

فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشتموا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم

وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح في ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيهم فلما انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلا لينظر ما فعل القوم فحدث حذيفة رحمه الله وقد قال له رجل من أهل الكوفة يا أبا عبد الله أرايتم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصحبتوه قال نعم يا ابن أخي

قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد

قال الرجل والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا

فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالخذق وصلى هويا من الليل ثم انفتحت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع بشرط له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم

أحد دعائي فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا

فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه

قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنيي فقلت من أنت قال فلان بن فلان وذكر ابن عقبة أنه فعل ذلك بمن يلي جانبه يمينا ويسارا قال وبدرهم بالسألة خشية أن يفتنوا له قال حذيفة ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمنن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لي أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بهم فرجعت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رأني أدخلني إلى رجله وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم

ولما أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون معه وقد عضهم الحصار فرجعوا مجهودين فوضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معنجا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج

ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان في المغتسل عندما جاءه جبريل وهو يرحل رأسه قد رجل أحد شقيه

فجاءه جبريل على فرس عليه الأمانة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز وإن على وجه جبريل لأثر الغبار فخرج إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له جبريل غفر الله لك أقد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزول بهم

فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة

وقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب برأيته إلى بني قريظة وابتدروها الناس فسار علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرجع حتى لقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابيث قال لم أظنك سمعت منهم لي أذى قال نعم

قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا

ومر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنفر من أصحابه في طريقه قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد قالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة ييضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة ينزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم

وتلاحق الناس برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة فصلوا العصر بما من بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله

وذكر ابن عقبة أن الناس لما حانت العصر وهم في الطريق ذكروا الصلاة فقال بعضهم ألم تعلموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة وقال آخرون هي الصلاة

فصلى منهم طائفة وأخرت الصلاة طائفة حتى صلوا في بني قريظة بعد أن غابت الشمس فذكروا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} من عجل الصلاة ومن أخرها فذكر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم يعنف واحدة من الطائفتين

وحاصر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بني قريظة حمسا وعشرين ليلة حتى جهلهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب

وكان حبي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال لهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثا فخذوا أيها شتمم فقالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه للذي تجلونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا تقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن هلك هلك ولم نترك وراءنا نسلنا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء

قالوا أنقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعلمهم قال فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد واصحابه قد آمنوا فيها فأنزلوا لعنا نصيب من محمد واصحابه غره قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة واحدة من الدهر

ثم أتهم بعثوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن ابعت إلينا أبا لبابه بن عبد المنذر أخوا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في امرنا فأرسله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يكون في وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابه أتري أن نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه انه الذبيح

قال أبو لبابة فوالله ما زالت قلماي من مكائهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله
ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته
وقال لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت
الله ورسوله فيه أبدا

فلما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو كان جاءني لاستغفرت له فأما إذ
فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه

فتزلت توبته على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في بيت أم سلمة قالت سمعت رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} من السحر وهو يضحك قلت مم تضحك أضحكك الله سنك قال تيب على أبي لبابة
قالت قلت أفلا ابشره يا رسول الله

قال بلى أن شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابه ابشر فقد
تاب الله عليك

قالت فثار الناس إليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هو الذي يطلقني بيده
فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه

وذكر ابن هشام أن أبا لبابه أقام مرتبطا بالجدع ست ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاه فتحله للصلاة ثم يعود
فيرتبط بالجدع

والآية التي نزلت في توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أن
الله غفور رحيم التوبة ١٠٢ وأنزل الله في أبي لبابة فيما روي عن عبد الله بن قتادة
يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الأنفال ٢٧

ثم إن ثعلبة بن سعيه وأسيد بن سعيه وأسد بن عمير وهم نفر من بني هديل ليسوا من بني قريظة ولا بني النضير
نسيهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} فأحرزوا دماغهم وأموالهم وكان إسلامهم فيما زعموا عما كان ألقاه إليهم من أمر رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} ابن الهيبان القادم عليهم قبل الإسلام متوكفا لخروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومحققا
لبوته فنفع الله هؤلاء الثلاثة بذلك واستنقذهم به من النار

وقد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي

فمر بحرس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعليه محمد بن مسلمة فلما رآه قال من هذا قال أنا عمرو بن سعدي
وكان عمرو قد أبي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال لا أغدر بمحمد
أبدا

فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمي إقالة عشرات الكرام ثم خلي سبيله فخرج على وجهه حتى بات في
مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا
فذكر شأنه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه

وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين يذهب

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيه تلك المقالة

فالله أعلم أي ذلك كان ولما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثوابت الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت يريدون بني قينقاع وما كان من حصار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لهم ونزولهم على حكمه وكيف سأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له

فلما كلمته الأوس قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك إلى سعد بن معاذ

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد قال لقومه حين أصابه السهم في الخندق اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعي لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه

فلما انتهى سعد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمين قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قوموا إلى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد الأنصار وأما الأنصار فيقولون قد عم بما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المسلمون فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد بن معاذ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلي من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو معرض عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إجلالا له

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم

قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحسبهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المدينة في دار امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى سوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليها

أرسالا

وفيهم عدو الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكشر يقول كانوا بين الثمان المائة والتسع المائة

وقالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أرسالا يا كعب ما تراه يصنع بنا قال
أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون أن الداعي لا ينزع وأن من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل
فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأتي بعدو الله حبي بن أخطب وعليه حلة
فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أتملة لثلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} قال أما والله ما لمت

نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه

فقال في ذلك جبل بن جوال التعلبي

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه

ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها

وقلقل يبغي العز كل مقلقل

الطويل

بل ابغي عدو الله ذل الأبد فوجده وجاهد الله فجاهده فأصبح برأيه القائل وسعيه الخاسر من الذين لهم خزي في
الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار

وقتل من نساء بني قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها والله إنها
لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف
باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت لها ويلك مالك قالت أقبل
قلت ولم قالت لحدث أحدثته
فانطلق بها فضربت عنقها

فكانت عائشة تقول والله لا أنسى عجايبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد علمت أنها تقتل

قال ابن هشام هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته

وكان الزبير بن باطا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية أخذه يوم بعث فجز ناصيته ثم خلي
سبيله

فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي منلك
قال فإني أردت أن أجزيك بيدك عندي

قال إن الكريم يجزي الكريم

ثم أتى ثابت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله إنه كان للزبير علي منة وقد أحببت أن أجزيه بما
فهب لي دمه

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هو لك

فأتاه فقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد وهب لي دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما
يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال بأبي أنت وأمي

يا رسول الله امرأته وولده

قال هم لك

فأتاه فقال قد وهب لي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أهلك وولدك فهم لك
قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتي ثابت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا
رسول الله ماله

قال هو لك

فأتاه ثابت فقال قد أعطاني رسول الله مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترأى
فيها عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل

قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب قال قتل

قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن شموال

قال قتل

قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة

قال ذهبوا فقتلوا

قال فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فيلة
دلو ناضح حتى ألقى الأحبة

فقدمه ثابت فضرب عنقه

فلما بلغ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قوله ألقى الأحبة قال يلقاتهم والله في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدا

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أمر بقتل كل من أنبت منهم

قال عطية القرظي وكنت غلاما فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي

وكان رفاعة بن شموال القرظي رجلا قد بلغ فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر أخت سليط بن قيس وكانت إحدى

خالات رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد صلت القبلتين معه وبايعته بيعة النساء فقالت يا نبي الله بأبي أنت

وأمي هب لي رفاعة فإنه زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل

فوبه فوهبه لها فاستحيته

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك
اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان ولفارسه سهم

وللرأجل من ليس له فارس

سهم

وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها

وما مضى من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي

ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد

فابتاع له بهم خيلا وسلاحا

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني عمرو

بن قريظة فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه وكان عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت

يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها

وكانت حين سبها قد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية فعزها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ووجد في نفسه ذلك من أمرها فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ربحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ربحانة فسرره ذلك من أمرها

وأنزل الله عز وجل في أمر الخندق وبنى قريظة القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل بهم من البلاء ويذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حتى فرج عنهم ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا الأحزاب ٩ - ١٢ في آيات استوفى فيها تعالى ذكر ما شاء من قصتهم

ثم قال سبحانه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا الأحزاب ٢٤ - ٢٧ فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيدا يرحمه الله فذكروا أن جبريل أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين قبض سعد من جوف الليل معجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سريعا يجير ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات وقد كان سعد رجلا بادنا فلما حمله الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه

فبلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال إن له حملة غيركم والذي نفس محمد بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش وقالت عائشة رضي الله عنها لأسيد بن حضير وهو قافل معها من مكة وبلغه موت امرأة له فحزن عليها بعض الحزن يغفر الله لك أبا يحيى أتحن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك وقد اهتز له العرش تعني سعدا وقال جابر بن عبد الله لما دفن سعد ونحن مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسبح الناس معه وكبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرجه الله عنه

ويروى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إن للقبر لضممة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ ولسعد يقول رجل من الأنصار وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه ويل أم سعد سعدا صرامة وحدا

وسؤددا ومجدا

وفارسا معدا

سد به مسدا

فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ

وقال حسان بن ثابت يبكي سعدا

لقد سجمت من فيض عيني عبرة

وحق لعيني أن تفيض على سعد

قتيل ثوي في معرك فجعت به

عيون ذواري الدمع دائمة الوجد

على ملة الرحمن وارث جنة

مع الشهداء وفدها أكرم الوفاء

فإن تك قد ودعتنا وتركتنا

وأمسيت في غرباء مظلمة اللحد

فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد

كريم وأثواب المكارم والحمد

بحكمك في حيي قريظة بالذي

قضى الله فيهم ما قضيت على عمد

فوافق حكم الله حكمك فيهم

ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد

فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألى

شروا هذه الدنيا بجناتهما الخلد

فنعم مصير الصادقين إذا دعوا

إلى الله يوما للوجهة والقصد

الطويل

وقال حسان يبكي سعدا ورجالا من الشهداء من أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم }

ألا يا لقومي هل لما حم دافع

وهل ما مضى من صالح العيش راجع

تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت

بنات الحشا وأنهل مني المدامع

صباية وجد ذكرتي إخوة

وقتلى مضى فيها طفيل ورافع

وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت

منازلهم فالأرض منهم بلاقع

وفوا يوم بدر للرسول و فوقهم
ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم
مطيع له في كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى تولوا جماعة
ولا يقطع الآجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعته
إذا لم يكن إلا النبيين شافع
فذلك يا خير العباد ملاذنا
إجابتنا لله والموت نافع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا
لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده
وأن قضاء الله لا بد واقع
الطويل

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار سعد ابن معاذ وأنس بن أوس بن عتيك وعبد
الله بن سهل الأشهليون والطفيل ابن النعمان و ثعلبة بن غنمة الجشميان
ومن بني دينار بن الجار كعب بن زيد أصابه سهم غرب فقتله رحمة الله عليهم
واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين خلاد بن سويد من بني الحارث بن الخزرج طرح عليه رحي فشدخته
شدخا شديدا فزعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إن له لأجر شهيدين
ومات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} محاصر بني قريظة

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا
ولكنكم تغزونهم

فكان كذلك لم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو {صلى الله عليه وسلم} يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة
وقال حسان بن ثابت في يوم الخندق يجب عبد الله بن الزبيري شاعر قريش عن كلمة قالها في ذلك

هل رسم دارسة المقام بباب

متكلم تلخور بجواب

قفر عفارهم السحاب رسومه

وهوب كل مظلة مر باب

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم

بيض الوجوه ثواقب الأحساب

فدع الديار وذكر كل خريدة

بيضاء آنسة الحديث كعاب

واشك الهموم إلى الإله وما ترى
من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بجمعهم إليه وألبوا
أهل القرى وبوادي الأعراب
جيش عينة وابن حرب فيهم
متخطين بحلية الأحزاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
قتل الرسول ومغرم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم
ردوا بغيظهم على الأعقاب
بحبوب معصفة تفرق جمعهم
وجنود ربك سيد الأرباب
وكفى الإله المؤمنين قتالهم
وأثابهم في الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم
تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه
وأذل كل مكذب مرتاب
عاقى الفؤاد موقع ذي ريبة
في الكفر ليس بطاهر الأثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده
في الكفر آحر هذه الأحقاب
الكامل

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضا يجيب ابن الزبيري عن كلمته
أبقي لنا حدث الحروب بقية
من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذري ومعاطنا
حم الجذوع غزيرة الأحلاب
كاللوب يئذل جمها وحفيلها
للجار وابن العم والمنتاب
ونزائعا مثل السراج نعى بها
علف الشعير وجزة المقضاب
عري الشوى منها وأردف نحضها

جرد المتون وسار في الآراب
قودا تراح إلى الصباح إذا غدت
فعل الضراء تراح للكلاب
وتحوط سائمة الذمار وتارة
تردي العدى وتؤوب بالأسلاب
يعدون بالزغف المضاعف شكه
ويعترسات في الثقاف صياب
وصوارم نزع الصياقل غلبها
ويكل أروع ماجد الأنساب
يصل اليمين بمارن متقارب
وكلت وقبعته إلى خباب
وكتيبة ينفي القران قنبرها
وترد حد قواجز الشباب

أعيت أبا كرب وأعيت تبعا
وأبت بسالتها على الأعراب
ومواعظ من ربنا نهدى بها
بلسان أزهر طيب الأثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها
من بعد ما عرضت على الأحزاب
حكما يراها المحرمون بزعمهم
حرجا ويفهمها ذوو الألباب
جاءت سخينة كي تغالب ربا
وليغلبن مغالب الغلاب
الكامل

ولما قال كعب بن مالك هذا البيت جاءت سخينة إلى آخره
قال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا
لقد علم الأحزاب حين تألبوا
علينا وراموا ديننا ما نودع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت
وخندف لم يدرؤا بما هو واقع
يدودوننا عن ديننا ونؤودهم
عن الكفر والرحمن راء سامع
إذا غايظونا في مقام أعاننا

على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله
علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا
ولله فوق الصانعين صنائع
الطويل

وقال كعب أيضا

ألا أبلغ قريشا أن سلعا
وما بين العريض إلى الصماد
نواضح في الحروب مدربات
وخصوص بقيت من عهد عاد
رواكد يزجر المران فيها
فليست بالجمام ولا الثماد
بلاد لم تثر إلا لكيما
نجد إن نشطتم للجلاد
أثرنا سكة الأنباط فيها
فلم نر مثلها جلهات وادي
قصرنا كل ذي حضر وطول
على الغايات مقتدر جواد
أجيبونا إلى ما نجتديكم
من القول المبين والسداد
وإلا فاصبروا للجلاد يوم
لكم منا إلى شطر المذاد
نصبحكم بكل أخي حروب
وكل مطهم سلس القياد
وكل طمرة خفق حشاها
تدف دفيف صفراء الجراد
وكل مقلص الآراب فهد
تميم الخلق من آخر وهاد
خيول لا تضاع إذا أضيعت
خيول الناس في السنة الجماد
ينازعن الأعنة مصغيات
إذا نادى إلى الفرع المنادي

إذا قالت لنا النذر استعدوا
توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يفرج ما لقينا
سوى ضرب القوانس والجهاد
ولم نر عصبة فيمن لقينا
من الأقوام من قار وباد
أشد بسالة منا إذا ما
أردناه وألين في الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها
جياذ الجدل في الأرب الشداد
قذفنا في السوابع كل صقر
كريم غير معتلث الزناد
ليظهر دينك اللهم إنا

بكفك فاهدنا سبل الرشاد

الوافر

وقال حسان بن ثابت يذكر بني قريظة
تفاقد معشر نصرورا قريشا
وليس لهم ببلنكم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه
وهم عمي من التوراة بور
كفرتم بالقران وقد أتيتهم
بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لؤي
حريق بالبويرة مستطير

الوافر

ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال
أدام الله ذلك من صنيع
وحرق في طوائفها السعير

الوافر

في أبيات ذكرها ابن إسحاق لم يأل قائلها أن صدق حسان
وقال في ذلك أيضا جبل بن جوال الثعلبي وبكى النصير وقريظة ونعى على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم
خلاف ما فعل عبد الله بن أبي في بني قينقاع
ألا يا سعد سعد بني معاذ

لما لقيت قريظة والنضير

لعمرك إن سعد بني معاذ

غداة تحملوا هو الصبور

فأما الخزرجي أبو حباب

فقال لقينقاع لا تسيروا

الوافر

ويقول في آخرها

تركتم قدركم لا شيء فيها

وقدر القوم حامية تفور

فقال سعد حين بلغه هذا الشعر من لقيهم فليحدثهم أنهم خانوا الله ورسوله فأخزاهم الله

مقتل سلام بن أبي الحقيق

وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

عليه وسلم {تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عناء إلا قالت

الخزرج والله لا يذهبون بمذه فضلا علينا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفي الإسلام

فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك

وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتحريضه عليه

فقالت الخزرج والله لا يذهبون بما فضلا علينا أبدا

فذاكروا بعد أن اقتضى شأن الخندق وبني قريظة من رجل لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} في العداوة كابن

الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير فاستأذنوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في قتله فأذن لهم فخرج إليه

من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن

ربي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم

فخرجوا وأمر عليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا لهم بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله وكان في

عليه له إليها عجلة فأسنلوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت عليهم امرأة فقالت من أنتم فقالوا أناس

من العرب نلتمس الميرة

قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا إليه

قال فلما دخلنا

أغلقتنا علينا وعليها الحجرة تخوفا أن يكون دونه مجادلة تحول بيننا وبينه

قال وصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه بأسياقنا والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا يياضه كأنه

قبطية ملقاة

قال ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نبي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيكف

يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل فلما ضربناه بأسياقنا تحمل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو

يقول قطني قطني أي حسي حسي

قال وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيئ البصر فوقع من الدرجة فوثت يده وثنا شديدا قال ابن هشام ويقال رجله وحملاه حتى نأتي منهرا من عيونهم فندخل فيه
قال وأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبون حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم
فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات فقال رجل منا أنا أذهب فأنظر لكم
فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدتها ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول أما
والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت وقلت أي ابن عتيك بهذه البلاد

ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت فاظ وإله يهود

فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها

قال ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فأخبرناه بقتل عدو الله
واختلفنا عنده في قتله كلنا ندعيه فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
هاتوا أسيفكم

فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعم
وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم

مرحاً كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم

فسقوكم حتفا بيض ذفف

مستنصرين لنصر دين نبهم

مستصغرين لكل أمر مجحف

الكامل

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

حدث عمرو بن العاص رحمه الله قال لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي
ويسمعون مني فقلت لهم تعلموا والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا وإني قد رأيت أمرا فما ترون فيه
قالوا وماذا رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإننا أن
نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير
قالوا إن هذا لرأي

قلت فاجعوا ما مهدى له وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعته إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لي مرحبا بصدريقي أهديت لي من بلدك شيئا قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرا

ثم قربته إليه فأعجبه واشتراه ثم قلت له أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده وضرب به أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله قلت أيها الملك أكذلك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أقتبايعني له على الإسلام قال نعم

فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامدا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لني أذهب والله فأسلم حتى متى قلت والله ما جئت إلا لأسلم فقدمنا المدينة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها قال فبايعته وانصرفت

وذكر ابن إسحاق عمن لا يتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار كان معهما أسلم حين أسلما وذكر غيره أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال حين رآهم رمتكم مكة بأفلاذ كبدها وحدث الواقدي بإسناد له قال قال عثمان بن طلحة لقيني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت يا محمد العجب لك حين تطمع أن أتبعك وقد خالقت قومك وجئت بدين محدث ففرقت جماعتهم وألفتهم وأذهبت بماءهم

فانصرف وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه وحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت

فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت الإسلام فإذا قومي يزبروني زبرا

شديدا ويزرون برأيي فأمسكت عن ذكره فلما هاجر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة جعلت قريش تشفق من رجوعه عليها فهم على ما هم عليه حتى جاء النفير إلى بدر فخرجت فيمن خرج من قومنا وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة عام القضية غير الله قلبي عما كان عليه ودخلني الإسلام وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعبد من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وأنظر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه وظلف أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت وجعلت أحب النظر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أن رأيتته خارجا من باب بني شيبه يريد منزلة بالأبطح فأردت أن آتيه وأخذ بيده وأسلم عليه فلم يعزم لي على ذلك وانصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} راجعا إلى المدينة ثم عزم لي على الخروج إليه فأدلت إلى بطن يأجج فألقى خالد بن الوليد فاصطحبنا حتى نزلنا الهدية فما شعرنا إلا بعمر بن العاص فانقمعنا عنه وانقمع منا ثم قال أين يريد الرجلان فأخبرناه فقال وأنا أريد الذي تريدان

فاصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبايعته على الإسلام وأقامت حتى خرجت معه في غزوة الفتح ودخل مكة فقال لي يا عثمان ايت بالفتاح فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي وقال خذوها تالدة خالدة ولا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف

قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال ألم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد أنك رسول الله قال الواقدي فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان

غزوة بني لحيان

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع حبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فلما انتهى إلى منازلهم بفران وهو واد بين أمج وعسفان وجلهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال فلما أخطأه من غرتهم ما أراد قال لو أنا هبطنا عسفان لرأي أهل مكة أنا قد جئنا مكة فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قافلا فكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول حين وجه راجعا آبيون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون أعوذ بالله من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال غارة عينية بن حصن على سرح للمدينة وخروج النبي {صلى الله عليه وسلم} في أثره وهي غزوة ذي قرد ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة من غزوة بني لحيان لم يبق بالمدينة إلا ليال قلائل حتى أغار عينية بن حصن في جبل من غطفان على لقاح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالغبابة وفيها رجل من بني غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح

وكان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي غدا يريد الغابة متوشحا سيفه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ واصباحه

ثم خرج يشد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق القوم فجعل يردهم بالنبل ويقول إذا رمي خذها وأنا ابن الأكوع
اليوم يوم الرضع
الرجز

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال خذها وأنا ابن الأكوع
اليوم يوم الرضع
فيقول قائلهم أكيعنا هو أول النهار

وبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة الفرع الفرع فترامت الخيل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكان أول من انتهى إليه من القريسان المقداد بن عمرو وهو الذي يقال له المقداد بن الأسود
ثم كان أول فارس وقف على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشهليان
وأسيد بن ظهير الحارثي يشك فيه وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة الأسديان وأبو قتادة السلمي وأبو عياش الزرقعي
فلما اجتمعوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر عليهم سعد بن زيد وقال اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس

وقال لأبي عياش يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالناس
قال أبو عياش فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس
ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني فمجتب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لو أعطيتك أفرس منك وأقول أنا أفرس الناس فأعطى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرس أبي عياش هذا فيما زعموا معاذ بن معاص أو عائد بن معاص فكان تامنا
فخرج القريسان في طلب القوم حتى تلاحقوا وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة الأخرم ويقال له أيضا قمير ولما كان الفرع جال فرس لمحمد بن مسلمة في الحائط وهو مربوط بمذع نخل حين سمع صاهلة الخيل وكان فرسا صنيعا جاما فقال بعض نساء بني عبد الأشهل يا قمير هل لك في أن تتركب هذا الفرس فإنه كما ترى ثم تلحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبالمسلمين قال نعم فأعطينه إياه فخرج عليه فلم يلبث أن بز الخيل بجمامه حتى أدرك القوم فوقف لهم بين أيديهم ثم قال قفوا بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار وحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية في بني عبد الأشهل فقتل إنه لم يقتل من المسلمين يومئذ غيره وقد قيل إنه قتل معه وقاص بن محرز المدلجي

ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المسلمين فإذا حبيب مسجي يرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده ليعرفوا أنه صاحبه وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد

فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقنا بعض اللقاح

وسار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس وأقام عليه يوما وليلة وقال له أبو سلمة بن الأكوع يا رسول الله لو سرحني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنهم الآن ليعقبون في غطفان

فقسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أصحابه في كل مائة رجل جزورا

وأقاموا عليها ثم رجع قافلا إلى المدينة

وأفلتت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجك بها ثم تحربنها إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين إنما هي

ناقة من إبلي أرجعي إلى أهلك على بركة الله

فهذا حديث ابن إسحاق عن غزوة ذي قرد

وخرج مسلم بن الحجاج رحمه الله حديثا في صحيحه بإسناده إلى سلمة بن الأكوع فذكر حديثا طويلا خالف به حديث ابن إسحاق في مواضع منه فمن ذلك أن هذه الغزوة كانت بعد انصراف الرسول {صلى الله عليه وسلم} من الحديبية وجعلها ابن إسحاق قبل ذلك وكذلك فعل ابن عقبة

وفيه أن سلمة بن الأكوع استنقذ سرح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بجملته قال سلمة فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجعت إلي فارس أتيت شجرة فجلس في أصلها ثم رميته فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل فجعلت أرميهم بالحجارة

قال فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من يعير من

ظهر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا خلفته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه ثم اتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين برده وثلاثين رمحا يستخفون ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه حتى أتوا متضايقا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون أي يتغدون وجلست على رأس قرن

قال الفزاري ما هذا الذي أرى قالوا لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا

قال فليقم إليه نفر منكم أربعة قال فصعد إلي منهم أربعة في الجبل فلما أمكنوني من الكلام قلت هل تعرفوني قالوا لا ومن أنت قلت أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد {صلى الله عليه وسلم} لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته ولا يطلبني فيدركني

قال أحدهم أنا أظن ذلك فرجعوا

فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتخللون الشجر فإذا أولهم الأخرم الأسدي

على أثره أبو قتادة الأنصاري وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي فأخذت بعنان الأخرم فولوا مدبرين قلت يا
أخرم احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه قال يا سلمة إن كنت تؤمن
بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة

قال فخلبته فالتقى هو وعبد الرحمن قال فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه
ولحق أبو قتادة فارس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعبد الرحمن فطعنه فقتله فوالذي كرم وجه محمد لتبعهم
أعدو على رجلي حتى ما أرى من ورائي من أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم} ولا غبارهم شيئا حتى يعدلوا
قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ليشر بوا منه وهم عطاش فنظروا إلي أعدو وراعهم فحلاقتهم
عنه

فما ذاقوا منه قطرة ويخرجون فيشتدون في ثنية فأعدو فألحق رجلا منهم فأمسكه بسهم في نغص كتفه قلت
خذها وأنا ابن الأكوخ

واليوم يوم الرضع

قال يا ثكلته أمه أأكوعه بكرة قلت نعم يا عدو نفسه أكوعه بكرة

قال وأردوا فرسين على ثنية فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولحقني عامر بسطيحة فيها
مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو على الماء الذي
حلائهم عنه قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وكل بردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل
التي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كبدها وسنامها قلت يا رسول الله
خلمي فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته

فضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بدت نواجذه في ضوء النار قال يا سلمة أتراك كنت فاعلا قلت
نعم والذي أكرمك قال إنهم الآن ليقرون بأرض غطفان

قال فجاء رجل من غطفان فقال نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا جلدها رأوا غبارا فقالوا إياكم القوم فخرجوا
هاربين

فلما أصبحنا قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا سلمة

ثم أعطاني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعا

وذكر الزبير بن أبي بكر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مر في غزوة ذي قرد هذه على ماء يقال له بيسان

فسأل عنه فقيل اسمه يا رسول الله بيسان وهو مالخ

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا بل اسمه نعمان وهو طيب

فغير رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الاسم وغير الله تعالى الماء

فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به وجاء إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره فقال رسول الله {صلى

الله عليه وسلم} ما أنت يا طلحة إلا فياض

فسمي طلحة الفياض

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت

أظن عيينة إذ زارها

بأن سوف يهدم منها قصورا

فأكذبت ما كنت صدقته

وقلتم ستغنم أمرا كبيرا

فعفت المدينة إذ زرتمها

وآنست للأسد فيها زئيرا

وولوا سراعا كشد النعم

ولم يكشفوا عن ملط حصيرا

أمير علينا رسول المليك

أحجب بذاك إلينا أميرا

رسول نصدق ما جاءه

ونتلو كتابا مضيئا منيرا

المتقارب

وقال كعب بن مالك

أيحسب أولاد اللقيطة أنا

على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس

وإنا أناس لا نرى القتل سبة

ولا ننثني عند الرماح المداعس

وإنا لنقري الضيف من قمع الذري

ونضرب رأس الأبلج المتشاوس

نرد كماء المعلمين إذا اتبحوا

بضرب يسلي نحوه المتعاس

بكل فتى حامي الحقيقة ماجد

كريم كسر حان الغضاة محالس

يذودون عن أحسابهم وتلادهم

بييض تقد الهام تحت القوانس

فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم

بما فعل الإخوان يوم التمارس

إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم

ولا تكتموا أخباركم في المجالس

وقولوا زلنا عن محالب خادر

به وحر في الصدر ما لم يمارس

الطويل

وقال شداد بن عارض الجشمي في يوم ذي قرد لعيينة بن حصن وكان عيينة يكنى أبا مالك

فهلا كررت أبا مالك

وخيلك مدبرة تقتل
ذكرت الإياب إلى عسجد
وهيهات قد بعد المقفل
وضمنت نفسك ذا مبيعة
مسح الفضاء إذا يرسل
إذا قبضته إليك الشمال
جاش كما اضطرم الرجل
فلما عرفتم عباد الإله
لم ينظر الآخر الأول
عرفتم فوارس قد عودوا
طراد الكماة إذا أسهلوا
إذا طردوا الخيل تشقي بهم
فضاحا وإن يطردها يتزلوا
فيعتصموا في سواء المقام
بالبيض أخلصها الصيقل
المتقارب

غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع

وغزا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست وكان بلغه أنهم يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} فلما سمع بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسوله أبناءهم ونساءهم وأموالهم وكان شعار المسلمين في ذلك اليوم يا منصور أمت أمت وأصاب يومئذ رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلا من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن ليث بن بكر يقال له هشام ابن صبابة وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجبر له من غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار

وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول فقال أقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل

ثم أقبل على من حضره من قومه وفيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم
فمشي زيد بن أرقم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره الخبر وذلك عند فراغه من عدوه وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يرتحل فيها
فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين بلغه أن زيدا بلغه ما سمع منه
فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به
وكان في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل
حدبا على ابن أبي ودفعا عنه
فلما استقل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا نبي الله والله لرحت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها
فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو ما بلغك ما قال صاحبكم قال وأي صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن أبي

قال وما قال قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل
قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز
ثم قال يا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليوجوه
فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

ثم مشى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وسار يومهم ذلك حتى آذقهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا

رفاعة بن زيد بن النابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين مات ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ومن كان على مثل أمره فلما نزلت أخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأذن زيد بن أرقم ثم قال هذا الذي أوفى الله بأذنه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمربي فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويؤاخذونه ويعنفونه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أعظم بركة من أمري

وقدم مقيس بن صبابه من مكة متظاهرا بالإسلام فقال يا رسول الله جنتك مسلما وجنتك أطلب دية أخي قتل خطأ فأمر له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بدية أخيه هشام بن صبابه فأقام عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا وقال في شعر له شفي النفس أن قد بات بالقاع مسندا تضرع ثوبه دماء الأخداع وكانت هموم النفس من قبل قتله

تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثورتي
وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثارت به فهرا وحملت عقله

سراة بني النجار أرباب فارح

الطويل

وقال أيضا

جللته ضربة باتت لها وشل

من نافع الجوف يعلوه ويتصرم

فقلت والموت يغشاه أسرته

لا تأمنن بني بكر إذا ظلموا

البيسط

وأصاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من بني المصطلق سبيا كثيرا فشا قسمه في المسلمين وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبتة على نفسها

قالت عائشة رضي الله عنها وكانت تعني جويرية امرأة حلوة ملاححة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تستعينه في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيري منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبتة على نفسي فحجنتك أستعينك على كتابتي

قال فهل لك في خير من ذلك قالت وما هو يا رسول الله قال أقضي كتابتك وأتزوجك

قالت نعم يا رسول الله

قال قد فعلت

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد تزوج جويرية

فقال الناس أصهار رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد أعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها

وبعث إليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما

سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره أن القوم هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأن يغزوهم فبينما هم في ذلك قدم وفلهم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه وتؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنا خرجنا إليه لقتله ووالله ما جئنا لذلك

فأنزل الله فيه وفيهم يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم

نادمين الحجرات ٦

هكذا ذكر ابن إسحاق أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ولم يعين مدة توجيهه إياه إليهم وقد يوهم ظاهره أن ذلك كان بحدثان إسلامهم ولا يصح ذلك إذ الوليد بن مسلمة

الفتح وإنما كان الفتح في سنة ثمان بعد غزوة بني المصطلق وإسلامهم بسنتين فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك ولا بد

وقد قال أبو عمر بن عبد البر لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل إن جاءكم فاسق نبياً نزلت في الوليد بن عقبة حين بعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بني المصطلق مصدقا والله سبحانه أعلم

وأقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سفره ذلك حتى إذا كان قريبا من المدينة قال أهل الإفك في الصديقة المرأة المطهرة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما ما قالوا

فحدثت يرحمها الله قالت كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه

فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي {صلى الله عليه وسلم}

قالت وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فيثقلن وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه على ظهر البعير فيشده به بحاله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به

فلما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لحاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكروا أنني فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس قالت فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكان وعرفت أنه لو قد افتقدت لرجع إلي

فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبيت مع الناس فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رأيته قال إنا لله وإنا إليه

راجعون طعينة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنا متلففة في ثيابي

قال ما خلفك رحمك الله قالت فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبي

واستأخر عني فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى

أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني فقال أهل الإفك ما قالوا

فارتعج العسكر والله ما أعلم بشيء من ذلك

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوا شديدا لا يبلغني من ذلك شيء وقد انتهى الحديث إلى رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} وإلى أبي لا يذكرني لي منه قليلا ولا كثيرا إلا أنني قد أنكرت من رسول الله {صلى الله

عليه وسلم} بعض لطفه بي كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي فلم يفعل ذلك في شكوي ذلك فأنكرت ذلك

منه كان إذا دخل علي وعندي أُمي تمرضني قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدت في نفسي حين رأيت ما

رأيت من جفائه لي

فقلت يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فتمرصني قال لا عليك

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نقيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذ الأعاجم نعافها ونكرها إنما كنا نذهب في فسخ المدينة وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها فقالت تعس مسطح قلت بنس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا

قلت أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر قلت وما الخبر فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان

فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي وقلت لأمي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئا قالت أي بنية خفصي عليك الشان فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يجيها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت منهم إلا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي

قالت وكان كبير ذلك عند عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها فشقيت بذلك

فلما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكحكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم

فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا

فقال أسيد كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين

قالت وتناور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر

ونزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأثنى خيرا ثم قال يا رسول الله أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا وهذا الكذب والباطل

وأما علي فإنه قال يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لتقدر أن تستخلف وسل الجارية فإنها ستصدقك فدعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بريرة ليسألها فقام إليها علي فضربها شديدا ويقول اصدقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتقول والله ما أعلم إلا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أي كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأقي الشاة فتأكله

قالت ثم دخل علي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعندي أبواي وعندي امرأة من الأنصار فأنا أبكي وهي

تبكي معي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله وإن كنت
قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده
قالت فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئا
وانظرت أبوي أن يجييا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم يتكلما
قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المسجد ويصلى به ولكني
كنت أرجو أن يرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
في منامه شيئا يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي أو يخبر خيرا فأما قرآن ينزل في فوالله لنفسي كانت أحقر عندي
من ذلك

قالت فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما ألا تجيبان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالا والله ما ندري بماذا نجيبه
قالت والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام

قالت فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا والله إني لأعلم لئن أقررت
بما يقول الناس والله يعلم أي منه بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني ثم التمس اسم
يعقوب فما أذكره فقلت ولكني سأقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون يوسف ١٨
قالت فوالله ما برح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مجلسه حتى تعشاه من الله ما كان يخشاه فسجى بثوبه
ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت ولا باليت قد عرفت
أني بريئة وأن الله غير ظالمي وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس
ثم سري عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجمان وفي يوم شات فجعل يمسح
العرق عن جبينه ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قلت بحمد الله
ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثانة وحمئة بنت
جحش وحسان بن ثابت وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حلهم

قالت فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم
النور ١١ قيل إنه حسان بن ثابت وأصحابه ويقال عبد الله بن أبي وأصحابه
ثم قال لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين أي هلا قلتم إذ سمعتموه كما
قال أبو أيوب الأنصاري وصاحبه أم أيوب وذلك أنها قالت لزوجه يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة
قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلته قالت لا والله ما كنت لأفعله
قال فعائشة والله خير منك

ثم قال تعالى إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر رحمه الله وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا
أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بشفع أبدا بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا
قالت فأنزل الله في ذلك ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله

وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم النور ٢٢ قالت فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي

فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا
وذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت مع ما كان منه في صفوان بن المعطل من القول السيء قال مع ذلك شعرا
يعرض فيه بصفوان ومن أسلم من مضر يقول فيه
أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن القريعة أمسى بيضة البلد
البيسط

فلما بلغ ذلك ابن المعطل اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف ثم قال
تلق ذباب السيف عني فإني
غلام إذا هوجيت لست بشاعر
الطويل

فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه
بجبل ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا قال أما أعجبتك ضرب
حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله
فقال له ابن رواحة هل علم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بشيء مما صنعت قال لا والله
قال لقد اجترأت أطلق الرجل
فأطلقه

ثم أتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذكروا ذلك له فدعا حسان وصفوان فقال صفوان يا رسول الله آذاني
وهجاني فاحتملني الغضب فضربته
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لحسان يا حسان أتشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام ثم قال أحسن
يا حسان في الذي أصابك
قال هي لك

فأعطاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عوضا منها بئر حاء ماء كان لأبي طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} ليضعه حيث شاء فأعطاه حسان في ضربته وأعطاه سيرين أمة قبطية ولدت له ابنه عبد
الرحمن

وقد روي من وجوه أن إعطاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إياه سيرين إنما كان لذهبه بلسانه عن النبي {صلى
الله عليه وسلم}
والله تعالى أعلم

وكانت عائشة رحمها الله تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه حصورا لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا
وقال بعد ذلك حسان يمدح عائشة رضي الله عنها ويعتذر من الذي كان في شأنها
حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

عقيلة حي من لؤي بن غالب
كرام المساعي مجلهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله جنبها
وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم
فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زين الخافل
له رتب عال على الناس كلهم
تقاصر عنه سورة المتطاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائط
ولكنه قول امرئ بي ما حل
الطويل

وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وصاحبيه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها
لقد ذاق حسان الذي كان أهله
وحمنة إذا قالوا هجيرا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا
وآذوا رسول الله فيها فجللوا
مخازي تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصداً كأنها
شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح
الطويل

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوما أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جلد فيه ورووا عن
عائشة رجمها الله أنها برأته من ذلك ثم ذكر عن الزبير بن بكار وغيره أن عائشة كانت في الطواف مع أم حكيم بنت
خالد بن العاص وابنة عبد الله بن أبي ربيعة فتذاكرن حسان فابتدرتاه بالسب فقالت لهما عائشة ابن الفريعة تسبان
إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} بلسانه أليس القائل
هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاه
الوافر

فقالنا لها أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قلت لم يقل شيئا ولكنه القائل

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
فإن كان ما قد قيل عني قلته
فلا رفعت سوطي إلي أناملي
الطويل

غزوة الحديبية

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ذي القعدة من سنة ست معتمرا لا يريد حربا واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له حتى إذا كان بعسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمرور وقد نزلوا بذئ طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين ساتر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا فسلك بهم طريقا وعرا أجول بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق عليهم وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قولوا نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك فقال والله إنما للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمص في طريق تخرج على ثنية المرار فهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأته خيل قريش هذه الجيش قد خالفوا عن طريقهم وكفوا راجعين إلى قريش وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسلون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم قال للناس انزلوا قيل يا رسول الله ما بالوادي ماء تنزل عليه فأخرج {صلى الله عليه وسلم} سهمًا من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزته في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن فلما اطمأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي

جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة ثم قال لهم نحواً مما قال لبسر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا إنكم تعجلون على محمد إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت فاتهمهم وجبهوهم وقالوا إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا يتحدث بذلك عنا العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أحمأ بن عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقبلاً قال هذا رجل غادر

فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحواً مما قال لبديل وأصحابه فرجع إلى قريش فأخبرهم

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إن هذا من قوم يتأهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلامده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا له اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر القوم والله ما على هذا حالناكم وما على هذا عاقبناكم أبيضد عن بيت الله من جاء معظماً له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأقرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به

ثم بعثوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عروة بن مسعود الثقفي فقال يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفت أنكم والد وأي ولد وكان لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئكم حتى آسيتكم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم

فخرج حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمعت أو شاب الناس ثم جئت إلى بيتك لتقضها بهم إنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك

فرد عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال أنحن نكشف عنه ثم جعل عروة يتناول حية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الحديد فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن لا تصل إليك فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك

فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فقال من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة

قال أي غدر هل غسلت سوءتك إلا بالأمس يريد أن المغيرة كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فنهاج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الأمر

وكلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عروة بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء

إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه
وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا
يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم

ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خراش بن أمية الخزاعي فحملة على بعير له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشrafهم
عنه ما جاء له ففعلوا به الجمل وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فحلوا سبيله حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه
وسلم}

وبعثت قريش أربعين رجلا أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليصيوا لهم
من أصحابه أحدا فأخذوا أحذا فأتى بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخلى سبيله
ثم دعا عمر بن الخطاب ليعتته إلى مكة فيبلغ عنه أشraf قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على
نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك
على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان

فدعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه
إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمة فخرج عثمان إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو
قبل أن يدخلها فحملة بين يديه ثم أجاره

وقال له فيما ذكره غير ابن إسحاق أقبل وأدبر ولا تخف أحدا بنو سعيد أعزه الحرم
فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما أرسله به فقالوا
له حين فرغ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف

قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال حين بلغه ذلك لا
نبرح حتى نناجز القوم

ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة
فكان الناس يقولون بايعهم على الموت
وكان جابر يقول بايعنا على ألا نفر

فبايع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس لصق
يابط ناقته يستتر بها من الناس

ثم أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن الذي كان من أمر عثمان باطل
وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بايع لعثمان ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال هذه يد عثمان

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا إيت محمدا فصالحه ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا
تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا

فأتى سهيل فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل
فلما انتهى إليه سهيل تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح
فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله قال بلى

قال أولسنا بالمسلمين قال بلى

قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى

قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله

قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله

ثم أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله أأنت برسول الله قال بلى

قال أولسنا بالمسلمين قال بلى

قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى

قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني

فكان عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين

رجوت أنه يكون خيرا

ثم دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك

اللهم

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اكتب باسمك اللهم

فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو

فقال سهيل لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو

اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا

من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا

إسلال ولا إغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

وعهدهم دخل فيه

فتواتت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده

وتواتت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم

وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها

ثلاث معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها

فبينما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل ابن عمرو ويرسف

في الحديد قد انفلت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وقد كان أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما يحمل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه ثم قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن

يأتيك هذا

قال صدقت

فجعل ينتره بتلبيسه ويجره ليرده إلى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين
يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك إلى ما بهم

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا أبا جندل اصبر واحسب فإن الله جاعل لك
ولن معك من المسلمين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطانا عهد الله
وإنا لا نغدرهم

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم
دم كلب ويدي قائم السيف منه يقول عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه ونفذت
القضية

فلما فرغ من الكتاب أشهد رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد
الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو
مشرك وعلي بن أبي طالب وهو كان كاتب الصحيفة

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مضطربا في الحل وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه
فحمره ثم جلس فحلق رأسه وأهدى عامئذ في هداياه جملا لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين

فلما رآه الناس قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون وكان فيهم يومئذ من قصر فقال رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} يرحم الله الخلقين

قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الله الخلقين

قالوا والمقصرين يا رسول الله قال يرحم الخلقين

قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين

فقالوا يا رسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين قال لم يشكوا

ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من وجهه ذلك قافلا حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة
الفتح إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما
ثم ذكر القصة فيه وفي أصحابه حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال إن

الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه أجرا عظيما)

ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم

ثم قال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه وكف أيدي
الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله
على كل شيء قديرا

ثم قال وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون
بصيرا يعني نفر الذين وجهت قريش بهم ليصيبوا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحدا فلم ينالوا
شيئا وأحلوا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} مجملتهم وسيقوا إليه فحلى سيبلهم

ثم قال بعد إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية يعني سهيل بن عمرو حين همي أن يكتب بسم الله

الرحمن الرحيم

وأن محمدا رسول الله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها أي التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

ثم قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا أي لرؤيا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التي رأى أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف وقد قال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما قدم المدينة بعض من كان معه ألم تقبل يا رسول الله أنك تدخل مكة آمنا قال بلى قال أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا

قال فهو كما قال لي جبريل فحقق له سبحانه من مواعده ما أنجزه له بعد وصدقته بقوله جل قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين معه فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية

يقول الزهري فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه وإنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه فلقد دخل في تيبك السنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر قال ابن هشام والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف وذكر ابن عقبة أنه لما كان صلح الحديبية قال رجال من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا

فبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قول أولئك فقال بس الكلام هذا بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالين مأجورين فهو أعظم الفتح أتسون يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخركم

أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتح والله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وأمره منا

وفي الصحيح من حديث سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لرددته والله ورسوله أعلم وخرج البخاري من حديث البراء بن عازب قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي {صلى الله عليه وسلم} فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا ياناء من ماء فتوضأ ثم مضى ودعا ثم صبه فيها فتركانها غير بعيد ثم إنما أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا

وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين

يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك قال فوضع النبي {صلى الله عليه وسلم} يده في الركوة فجعل الماء يغور من بين أصابعه كأمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر كم كنتم يومئذ قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وذكر ابن عقبة عن ابن عباس قال لما رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الحديبية كلمه بعض أصحابه فقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانخره لنا فلنأكل من لحومه ولندهن من شحومه ولنحذ من جلوده فقال عمر لا تفعل يا رسول الله فإن الناس إن يكن فيهم بقية ظهر أمثل فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ابسطوا أنظاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد وطعام فليشره ودعا لهم ثم قال هم قربوا أو عيتكم فأخذوا ما شاءوا

قال ابن إسحاق ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة يعني من الحديبية أتاه أبو بصير عتية بن أسيد بن حارثة وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأختس بن شريق إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالكتاب فقال {صلى الله عليه وسلم} يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا

فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحبا فقال أبو بصير أصارم سيفك هذا يا أبا بصير فقال نعم

قال أنظر إليه قال إن شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله

وذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل فقال له أبو بصير وصارم سيفك هذا فقال نعم

فقال ناولنيه أنظر إليه فناوله إياه فلما قبض عليه ضربه به حتى برد

قال ويقال بل تناول أبو بصير سيف الرجل بفيه وهو نائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد وطلب الآخر فجمز مرعوبا مستخفيا حتى دخل المسجد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس فيه يطن الحصباء من شدة سعيه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين رآه لقد رأى هذا ذعرا

قال ابن إسحاق فلما انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف فقال يا رسول الله وقت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعبت بي

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويلمه محش حرب لو كان معه رجال

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأبي بصير ويلمه محش حرب لو كان معه رجال فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم

وذكر موسى بن عقبة أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو الذي رد على قريش مكرها يوم القضية هو الذي انفلت في سبعين راكبا أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا الثراء بين أظهر قومهم فنزلوا مع أبي بصير في منزل كريبه

إلى قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام

قال وكان أبو بصير زعموا وهو في مكانه ذلك يصلي لأصحابه فلما قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم واجتمع إلى أبي جندل ناس من غفار وأسلم وجهينه وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير لا يمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها وقال في ذلك أبو جندل فيما ذكره غير ابن عقبة

أبلغ قريشا عن أبي جندل

أنا بذي المروة بالساحل

في معشر تحفق أيمانهم

بالبيض فيها والقنا الذابل

يأبون أن يبقى لهم رفقة

من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجا

والحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء ياسلامه

أو يقتل المرء ولم يأتل

السريع

فأرسلت قريش إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا سفيان بن حرب يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وإلى أبي جندل بن سهيل ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله خير فيما أحبوا وفيما كرهوا وأن رأيه أفضل من رأيهم ومن رأي من ظن أن له قوة ورأيا وعلم أن ما خص الله به نبيه من العون والكرامة أفضل

وكتب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه ويأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم ولا يعرضوا لأحد من ربه من قريش وغيرهما فقدم كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زعموا على أبي جندل وأبي بصير وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في يده يقتتره

فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا

وقدم أبو جندل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معه أناس من أصحابه ورجع سائرهم إلى أهليهم وأمنت عيرات قريش

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الفتح ورجع مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم يزل معه بالمدينة حتى توفي {صلى الله عليه وسلم} وقدم أبوه سهيل بن عمرو المدينة أول إمارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمكث بها أشهراً ثم خرج مجاهداً إلى الشام وخرج معه ابنه أبو جندل فلم يزل مجاهدين حتى ماتا جميعاً هناك يرحمهما الله

وهاجرت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في تلك المدة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسألانه أن يردهما عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية فلم يفعل أبي الله ذلك وأنزل فيه على رسوله يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم الممتحنة ٩ - ١٠ غزو خيبر

ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة من الحديبية مكث بها ذا الحجة منسلخ سنة ست وبعض المحرم من سنة سبع

ثم خرج في بقية منه إلى خيبر غازيا

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله عز من قائل وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه الفتح ٢٠ يعني بالمعجل صلح الحديبية والمغانم الموعود بها فتح خيبر فخرج إليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مستعجرا ميعاد ربه وواثقا بكفايته ونصره ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء فسلك على عصر فبني له فيها مسجدا ثم على الصهباء

ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذكر أن غطفان لما سمعت بمنزله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخيبر قال أبو معتب بن عمرو لما أشرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم فقوا ثم قال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإننا نسألك

خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ثم قال أقدموا بسم الله قال وكان يقوها لكل قرية دخلها

وقال أنس بن مالك كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانا أمسك وإن لم يسمع أذانا أغار فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه فركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والجيش قالوا محمد والخميس معه

فأدبروا هرابا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

قال ابن إسحاق وتدين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة أقيمت عليه رحى منه فقتلته ثم القموص حصن أبي

الحقيق وأصاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منهم سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية بن خليفة الكلبي فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها وكان بلال هو الذي جاء بصفية وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أغربوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداؤه فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه فذكر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجائهما

وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمه حضر عينها منها

فأتى بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر ولما أعرس بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخير أو ببعض الطريق وبات بها في قبة له بات أبو أيوب الأنصاري متوشحا بالسيف يجرسه ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما رأى مكانه قال ما لك يا أبا أيوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها وكانت حديثه عهد بكفر فحفتها عليك

فرععوا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني وأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} برجل من يهود فقال إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لكنانة أرايت إن وجدناه عندك أقتلك قال نعم

فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يريه فأمر به الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

وفشت السبايا من خير في المسلمين وأكل المسلمون لحوم الحمر من حمرها قال ابن عقبة كانت أرضا وخيمة شديدة الجهد فجهد المسلمون جهدا شديدا وأصابتهم مسغبة شديدة فوجدوا أحمره إنسية ليهود لم يكونوا أدخلوها

الحصن فانتحروها ثم وجدوا في أنفسهم من ذلك فذكروها لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنهاهم عن أكلها قال أبو سليط فيما ذكر ابن إسحاق أتانا نهي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن أكل لحوم الحمر الإنسية والقذور تفور بها فكفأناها على وجوها

وذكر أيضا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قام يومئذ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم قال مكحول نهاهم يومئذ عن أربع عن إتيان الحبالى من النساء وعن أكل الحمار الأهلي وعن أكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم

وحدث جابر بن عبد الله ولم يشهد خيبر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمير أذن لهم في لحوم الخيل

وافتح رويغ بن ثابت قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام خطيبا فقال يا أيها الناس إني لا أقول لكم إلا ما سمعت من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول فينا يوم خيبر قام فينا فقال

لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه وقال عبادة بن الصامت فمنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين وتبر الفضة بالورق العين وقال ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين وتبر الفضة بالذهب العين

ولما أصاب المسلمين بخيبر ما أصابهم من الجهد أتى بنو سهم من أسلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء

فلم يجدوا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شيئا يعطيهم إياه فقال اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا فغدا الناس وفتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر كان أكثر طعاما وودكا منه

ولما افتتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلام وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا فحاصروهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بضع عشرة ليلة وخرج مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه وهو ينادي من يبارز ويرتجز

قد علمت خيبر أني مرحب

شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينما أضرب

إذا اللبوث أقبلت تحرب

إن حماي للحمي لا يقرب

الرجز

فأجابه كعب بن مالك فقال

قد علمت خيبر أني كعب

مفرج الغما جريء صلب

حيث تشب الحرب ثم الحرب

معي حسام كالعقيق غضب

نطؤكم حتى يذل الصعب

نعطي الجزاء أو يفاء النهب

بكف ماض ليس فيه عتب

الرجز

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من لهذا قال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله أنا والله الموتور التائر قتل

أخي بالأمس

قال فقم إليه اللهم أعنه عليه

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيفه فيها فعضت به فأمسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز فخرج إليه الزبير بن العوام فيما ذكر هشام بن عروة فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله إن شاء الله فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير

وحدث سلمة بن عمرو بن الأكوع قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فدعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أرمم فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك

فخرج وهو يهرول بها هرولة وإنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب

قال اليهودي علوتم وما أنزل علي موسى أو كما قال فما رجعت حتى فتح الله على يديه وقال أبو رافع مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرجنا مع علي رضي الله عنه حين بعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضر به رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقله وحدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال إننا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر ذات عشية إذا أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من رجل يطعمنا من هذه الغنم فقال أبو اليسر أنا يا رسول الله قال فافعل

قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلما رأني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} موليا قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولاهها الحصن فأخذت شاتين من آخرها فاحضنتهما تحت يدي ثم أقبلت بهما أشتد كأنه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذبحوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} موتا فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال أمتعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم وحاصر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد حاز الأموال كلها الشق ونظاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سألوه أن

يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ويحلوا له الأموال ففعل
فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا
نحن أعلم بما منكم وأمر لها فصالحهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم
فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئنا بين المسلمين
وكانت فدك خالصة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب
فلما اطمأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية
وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه فقبل لها الذراع
فأكثرت فيه من السم

ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن
البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأما بشر فأسأغها وأما رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} فلفظها
ثم قال إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم
ثم دعا بها فاعترفت
فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا
فسيخبر

فتجاوز عنها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل
وذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تناول الكتف من تلك الشاة فانتهش منها وتناول بشر عظما
فانتهش منه فلما استرط رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقمته استرط بشر ما في فيه فقال رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني بغيت فيها
فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعي أن ألفظها إلا أني أعظمت أن
أغصك طعامك فلما أسغت ما في فيك لم أكن أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها بغي
فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول

قال جابر بن عبد الله واحتجم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ على الكاهل حجه أبو طيبة مولى بني
بياضة

وبقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي منه فدخلت عليه أم بشر بنت
البراء بن معرور تعودته فيما ذكر ابن إسحاق فقال لها يا أم بشر إن هذا لأوان وجدت انقطاع أجهري من الأكلة
التي أكلت مع أخيك بخير

قال فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مات شهيدا مع ما أكرمه الله من النبوة
ولما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعا
إلى المدينة

قال أبو هريرة لما انصرفنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن خيبر إلى وادي القرى نزلناها أصلا مع مغرب
الشمس ومع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيي فوالله إنه ليضع

رحل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ أتاه سهم غرب فأصابه فقتله فقلنا هنيئا له الجنة
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كلا والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتحرق عليه في النار كان غلها
من فيء المسلمين يوم خيبر
فسمعها رجل من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأتاه فقال له يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي
فقال يقدر لك مثلهما من النار
وخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي
{صلى الله عليه وسلم} فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كلا إني رأيت في النار في بردة غلها أو عباءة
ثم قال يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون
قال فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون
وشهد خيبر مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن عليه السلام من الفياء ولم
يضرب لهن بسهم
حدثت بنت أبي الصلت عن امرأة غفارية سميتها قالت أتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في نسوة من بني
غفار وهو يسير إلى خيبر فقلن يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين
بما استطعنا
فقال علي بركة الله

قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا من الفياء وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده
في عنقي فوالله لا تفارقني أبدا
قالت فكانت في عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تدفن معها
واستشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلا منهم عامر بن الأكوع عم سلمه بن عمرو بن الأكوع وكان
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد قال له في مسيره إلى خيبر اتزلي يا ابن الأكوع فخذ لنا من هناتك فنزل يرتجز
برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال
والله لو لا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أينا
فأنزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
الرجز

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يرحمك الله
فقال عمر بن الخطاب وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به فقتل يوم خيبر شهيدا وكان قتله أن سيفه رجع عليه
وهو يقاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا إنما قتله سلاحه حتى سأل ابن أخيه
سلمة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن ذلك وأخبره بقول الناس فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنه

لشهادة وصلى عليه

فصلى عليه المسلمون

ومنهم الأسود الراعي من أهل خيبر وكان من حديثه أنه أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود فقال يا رسول الله أعرض علي الإسلام فعرضه عليه فأسلم وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يحقر أحدا أن يدعو إلى الإسلام ويعرضه عليه فلما أسلم قال يا رسول الله إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع بما قال اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها أو كما قال فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها في وجهها وقال ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك

وخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى الله

صلاة قط فأتي به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه قال إن معه الآن زوجيه من الحور العين

وذكر ابن إسحاق عن عبيد الله بن أبي نجيح أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجته من الحور العين عليه ينفضان التراب عن وجهه ويقولان توب الله وجه من توبك وقتل من قتلك قال ولما افتتحت خيبر كلم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة ومالا منفردا في تجار أهل مكة فأذن لي يا رسول الله فأذن له قال إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول قال قل

قال الحجاج فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر وعرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان فلما رأوني ولم يكونوا علموا بإسلامي قالوا الحجاج بن علاط عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم

قال فالنبطوا بجني ناقتي يقولون إيه يا حجاج قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب به من أهل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك

فقاموا فجمعوا إلي مالي كأحث جمع سمعت به وجمت صاحبتى فقلت مالي وقد كان لي عندها مال موضوع لعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار

قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال
يا حجاج ما هذا الذي جئت به قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك قال نعم
قلت فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى أفرغ قال حتى إذا فرغت
من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ علي حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى
الطلب ثلاثا ثم قل ما شئت

قال أفعل

قلت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية بنت حبي ولقد افتتح خيبر وانتشل ما فيها
وصارت له ولأصحابه

قال ما تقول يا حجاج قلت إي والله فاكمم عني ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فرقا من أن أغلب عليه فإذا
مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب

قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رآوه قالوا
يا أبا الفضل هذا والله التجلد الحر المصيبة قال كلا والله الذي حلفتكم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على
ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه

قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله فانطلق ليحق بمحمد
وأصحابه فيكون معه

قالوا يال عباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن

ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك

وقال كعب بن مالك الأنصاري في يوم خيبر

ونحن وردنا خيبرا وفروضة

بكل فتى عارى الأشجاع مذود

جواد لدى الغايات لا واهن القوى

جريء على الأعداء في كل مشهد

عظيم رماد القدر في كل شتوة

ضروب بنصل المشر في المهند

يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة

من الله يروحها وفوزا بأحمد

يذود ويحمي عن ذمار محمد

ويدفع عنه باللسان وباليد

وينصره من كل أمر يريه

يجود بنفس دون نفس محمد

الطويل

وذكر ابن عقبة أن بني فزارة قدموا على أهل خيبر في أول أمرهم ليعينوهم فراسلهم رسول الله { صلى الله عليه
وسلم } أن لا يعينوهم وأن يخرجوا عنهم على أن يعطيهم من خيبر شيئا سماه لهم فأبوا عليه وقالوا جيراننا وحلفاؤنا

فلما فتح الله خير أناه من كان هناك من بني فزارة فقالوا الذي وعدتنا فقال لكم ذو الرقية لجبل من جبال خير قالوا إذن نقاتلك قال موعدكم جنفاء فلما سمعوا ذلك من رسول الله خرجوا هارين قال ابن إسحاق وكانت المقاسم على أموال خير على الشق ونطاة والكتيبة وكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي {صلى الله عليه وسلم} وسهم ذوي القربى والمساكين وطعم أزواج النبي {صلى الله عليه وسلم} وطعم رجال مشوا بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبين أهل فذك بالصلح وقسمت خير على أهل الحديبية من شهد خير ومن غاب عنها ولم يغب عنها ألا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقسم له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كسهم من حضرها وفي هذه الغزوة بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سهمان الخيل والرجال فجعل للفارس سهمين ولفارسه سهمًا وللراجل سهمًا فجرت المقاسم على ذلك فيما بعد ويومئذ عرب العربي من الخيل وهجن الهجين وذكر ابن عقبة أنه قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر نفرًا من الأشعرين فيهم أبو عامر الأشعري قدموا المدينة مع مهاجرة الحبشة ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر فمضوا إليه وفيهم أبان بن سعيد بن العاص والطفيل يعني ابن عمرو الدوسي ذا النور وأبو هريرة ونفر من دوس فرأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورأيه الحق أن لا يخيب مسيرهم ولا يبطل سفريهم فشركتهم في مقاسم خير وسأل أصحابه ذلك فطابوا به نفسًا ولم يذكر ابن عقبة جعفر بن أبي طالب في هؤلاء القادمين على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخيبر من أرض الحبشة وهو أولهم وأفضلهم وما مثل جعفر يتخطى ذكره ومن البعيد أن يغيب ذلك عن ابن عقبة فالله أعلم بعذره وقد ذكر ابن إسحاق أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان بعث مرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فيمن كان أقام بأرض الحبشة من أصحابه فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية فذكر جعفر أولهم ذكر معه ستة عشر رجلاً قدموا في السفينتين صحبته وذكر ابن هشام عن الشعبي أن جعفرًا قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم فتح خير فقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما بين عينيه والتزمه وقال ما أدري بأيتهما أنا أسر أفتتح خير أم بقدم جعفر ولما جرت المقاسم في أقوال خير اتسع فيها للمسلمون ووجدوا بها مرفقا لم يكونوا وجدوه قبل حتى لقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما خرج له البخاري في صحيحه ما شعبنا حتى ففتحنا خير وأقر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يهود خير في أموالهم يعملون فيها للمسلمين على النصف مما يخرج منها كما تقدم قال ابن إسحاق فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يبعث إلى أهل خير عبد الله بن رواحة خارصا بين المسلمين وبين يهود فيخرص عليهم فإذا قالوا تعديت علينا قال إن شئتم فلکم وإن شئتم فلنا فتقول يهود بهذا قامت السموات والأرض قال وإنما خرص عليهم عبد الله عامًا واحدًا ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله فكان جبار بن صخر أخو بني سلمة هو الذي يخرص عليهم بعده فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا في معاملتهم حتى علوا في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعلى عبد الله بن سهل أخي بني حارثة فقتلوه فأتمهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمون عليه

وكتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب

فكتبوا يخلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فوداه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من عنده وأقرهم على ما سبق من معاملته إياهم

فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقرهم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفي ثم أقرهم عمر صدرا من إمارته ثم بلغ عمر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت فأرسل إلى يهود فقال إن الله قد أذن في جلائكم قد بلغني أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله فليتهجنز للجلاء

فأجلى عمر منهم من لم يكن عنده عهد من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال عبد الله بن عمر خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخير نتعاهدها فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا فعدي علي تحت الليل فقرعت يداي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ علي صاحباي فأتياي فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيبا فقال أيها الناس إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان عامل يهود خبير على أنا نخرجهم إذا شتتا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوكم على الأنصاري قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخير فليلحق به فإني مخرج يهود

فأخرجهم

ولما أخرج عمر رضي الله عنه يهود خبير ركب في المهاجرين والأنصار وخرج

معه بجبار بن صخر وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم وبزید بن ثابت فهما قسما خبير على أصحاب السهمان التي كانت عليها وذلك أن الشق والنطاة اللتين هما سهم المسلمين قسمت في الأصل على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم والشق ثلاثة عشر سهما ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهما إلى مائة سهم لكل رجل سهم ولكل فرس سهمان وكانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل وأربعمائة رجل ومائتي فرس فذلك ألف سهم وثمانمائة سهم

عمرة القضاء وهي غزوة الأمن

قال ابن إسحاق ولما رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وما بعده إلى شوال يبعث فيما بين ذلك سراياه

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك وهي سنة سبع

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه

قال ابن عقبة وتغيب رجال من أشرافهم خرجوا إلى بوادي مكة كراهية أن ينظروا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غيظا وحنقا ونفاسة وحسدا

وتحدثت قريش بينها فيما ذكر ابن إسحاق أن محمدا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه

فلما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله امرءا

أراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنما صنعها لهذا الحي من قريش الذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها ولما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة في تلك العمرة وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يديه خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله السريع

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكانت تحته أختها أم الفضل بنت الحارث وقيل جعلت أمرها إلى أم الفضل فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوجها العباس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصدقها عنه أربعمئة درهم وقضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نسكه وأقام بمكة ثلاث ليال وكان ذلك أجل القضية يوم الحديبية فلما أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي في نفر من قريش ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب ناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فقال سعد كذبت لا أم لك إنما ليست بأرضك ولا أرض أبيك والله لا يخرج إلا راضيا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليه وسلم { وضحك يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا رافع مولاة فأذن بالرحيل وخلف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بما بسرف وقد لقيت ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين وصبيانهم فبني بها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بسرف ثم أدلج فسار حتى قلم المدينة

ثم كان من قضاء الله سبحانه أن ماتت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين فتوفيت حيث بني بها قال موسى بن عقبة وذكر أن الله تعالى أنزل في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص البقرة

١٩٤

وذكر ابن هشام أنها يقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن العمرة في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقنص منهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع

غزوة مؤتة من أرض الشام

ولما صدر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من عمرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحواً من ستة أشهر ثم بعث إلى الشام في جمادي الأولى من سنة ثمان بعثه الذين أصيبوا بمؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى فقالوا ما يبكيك يا بن رواحة فقال والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ولكني سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقرأ آية من كتاب الله ويذكر فيها النار وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً مريم ٧١ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين

فقال عبد الله بن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة ييدي حران مجهزة

بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي

ما أرشد الله من غاز وقد رشدا

البيسط

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فودعه ثم قال

أنت الرسول فمن يحرم نوافله

والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن

في المرسلين ونصرا كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة

فراسة خالفت فيك الذي نظروا

البيسط

يعني المشركين

ثم خرج القوم وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن

رواحه

خلف السلام على امرئ ودعته

في النخل خير مشيع وخليل

الكامل

وحدث زيد بن أرقم قال كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره فخرج بي في سفره ذلك مرد في علي حقيبة رحلة

فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه

إذا أدبني وجملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم
ولا أرجع إلي أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مشتهدى الثراء
وردك كل ذي رحم قريب
إلى الرحمن منقطع الرجاء
هنالك لا أبالي طلع بعل

ولا نخل أسافلها وراء

الوافر

فلما سمعتن بكيت فحفتني بالدرة وقال وما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل
ثم مضى القوم حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من
الروم وانضم إليهم من لحم وجذام والقيين وبهراء ويلي مائة ألف منهم
فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا
نكتب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي
له

فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس
بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإمما هي إحدى الحسينيين إما ظهور
وإما شهادة

فقال الناس صدق والله ابن رواحة

فمضى الناس وقال عبد الله في مجلسهم ذلك

جلبنا الخيل من أجأ وفرع

تعر من الحشيش لها العكوم

حلوناها من الصوان سبتا

أزل كأن صفحته أديم

أقامت ليلتين على معان

فأعقب بعد فترتها هجوم

فرحنا والجياد مسومات

تنفس في مناخرها السموم

فلا وأي مآب لتأيتها

وإن كانت بما عرب وروم

فعبأنا أعتتها فجاءت

عوابس والغبار لها برجم
بذي لجب كأن البيض فيه
إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقنها
أستننا فتنكح أو تميم
الوافر

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها
مشارف

ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها
فتعجب لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى مسيرتهم رجلا من
الأنصار يقال له عباة بن مالك ويقال عبادة
ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى شاط في رماح القوم ثم
أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء

قال أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة والله لكأني أنظر إليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى
قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقتراهما
طيبة وبارد شراهما

والروم روم قد دنا عذابها
علي إذ لاقيتها ضراهما

الرجز

وكان جعفر أول من عقّر في الإسلام فرسه

ولما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم
قال

اقسمت يا نفس لتنزلنه

لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

مالي أراك تكرهين الجنه

قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطفة في شنه

الرجز

وقال أيضا

يا نفس إلا تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلني فعلهما هديت

السريع

يعني صاحبيه زيذا وجعفر

ثم نزل فأناه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت
فأخذه من يده فانتهس منه نهمسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه
فتقدم فقاتل حتى قتل

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم
قالوا أنت

قال ما أنا بفاعل فاصطالح القوم على خالد بن الوليد

فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس

ولما أصيب القوم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم
أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم صمت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى تغيرت وجوه الأنصار
وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل
شهيدا

ثم قال لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن
سريري صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى

وذكر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن
ثلاث وثلاثين سنة فأنابه الله بذلك جناحين يطير بهما حيث شاء

ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ فقطعه نصفين

وذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال بالمدينة لما أصيبوا قبل أن يأتيه نعيهم مر علي جعفر بن
أبي طالب في الملائكة يطير كما يطرون له جناحان

قال وقدم يعلي بن منبه على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك

قال فأخبرني يا رسول الله فأخبره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خبرهم كله ووصفه له

فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وإن أمرهم لكما ذكرت

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركيهم

وحدثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر قالت لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} فقال ابيني ببني جعفر

وقد كانت غسلتهم ودهنتهم ونظفتهم

قالت فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه فقلت يا رسول الله بأبي أنت ما يبكيك أبغلك عن جعفر وأصحابه شيء قال
نعم أصيبوا هذا اليوم

قالت فقممت أصبح واجتمع إلي النساء

وخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أهله فقال لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم

وقالت عائشة رضي الله عنها لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحزن ولما انصرف خالد قافلا بالناس ودنوا من المدينة تلقاهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمسلمون ولقيهم الصبيان يشهدون ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقبل مع القوم على دابة فقال خلوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر

فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله فيقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليسوا بالفرار ولكمهم الكرار إن شاء الله

وقالت أم سلمة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} لامرأة سلمة بن هشام بن العامر بن المغيرة مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالت والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم في سبيل الله حتى قعد في بيته فما يخرج وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومحاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المسحر اليعمري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس

والله لا تنفك نفسي تلومني
على موقفي والخييل قابعة قتل
وقفت بها لا مستحيزا فنافدا
ولا مانعا من كان حم له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد
ألا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر
بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما
مهاجرة لا مشركون ولا عزل
الطويل

فبين قيس في شعره ما اختلف الناس فيه من ذلك أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان بن ثابت

تأوبني ليل ييثرب أعسر
وهم إذا ما هوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة
سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية
وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا

شعوب وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعثن الله قتلى تباعدوا
جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم
أبي إذا سيم الطلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد
بمعترك فيه فنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه
جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد
وفاء وأمرأ حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم
دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم
رضام إلى طود يروق ويقهر
بمائل منهم جعفر وابن أمه
علي ومنهم أحمد المتخير
وحزمة والعباس منهم ومنهم
عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق
عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه
عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر
الطويل

وقال كعب بن مالك في ذلك
نام العيون ودمع عينك يهمل
سحاكما وكف الطباب المنخصل
في ليلة وردت علي همومها
طورا أحن وتارة أتململ
واعتادني حزن فبت كأني
بينات نعش والسماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشا
مما تأويني شهاب مدخل
وجدنا على النفر الذين تتابعوا
يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية
وسقى عظامهم الغمام المسيل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
حذر الردي ومحافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم
فثق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه
قدام أولهم فتعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر
حيث التقى وعت الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده
والشمس قد كسفت وكادت تآفل
قوم علا بنيانه من هاشم
فرعا أشم وسؤددا ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده
وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرما
وتعمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون إلى السفاه جباهم
ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم
تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
ومهديهم رضي الإله لخلقهم
ومجدهم نصر النبي المرسل
الكامل
وقال حسان بن ثابت يبكي جعفرا
ولقد بكيت وعز مهلك جعفر
حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعت لي

من للجلاد لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها
ضربا وإنمال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر
خير البرية كلها وأجلها
رزاء وأكرمها جميعا محتدا
وأعزها متظلما وأذها
للحق حين ينوب غير تحل
كذبا وأنداها يدا وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله
حي من أحياء البرية كلها
الكامل

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع عن غزوة مؤتة
كفى حزنا أني رجعت وجعفر
وزيد وعبد الله في رمس أقر
قضوا نحيم لما مضوا لسييلهم
وخلفت للبلوى مع المتغير
الطويل

واستشهد يوم مؤتة من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة رضي الله عنهم من قريش ثم من بني عدي بن كعب مسعود
بن الأسود بن حارثة
ومن بني مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبي سرح

ومن الأنصار عباد بن قيس من بني الحارث بن الخزرج والحارث بن النعمان بن إساف من بني غنم بن مالك بن
النجار وسراقة بن عمر بن عطية بن خنساء من بني مازن بن النجار وأبو كليب ويقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو
بن زيد بن عوف بن مبدول وهما لأب وأم
وعمر وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بني مالك بن أفضى
وهؤلاء الأربعة عن ابن هشام

غزوة الفتح

وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد بعثته إلى مؤتة جمادي الآخرة ورجبا
ثم عدت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة على خزاعة ولم يزالوا قبل ذلك متعادين وكان الذي هاج ما بينهم أن حليفا
للأسود بن رزن الديلي خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على
رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن سلمى وكلثوم وذؤيب وهم منحربو بني

كثانة وأشرفهم كانوا في الجاهلية يودون دينين لفضلهم في قومهم فقتلتهم خزاعة بعرفة عند أنصاب الحرم ثم حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودخلت بنو بكر في عقد قريش فلما كانت الهدنة اغتتمتها بنو الدليل فخرجوا حتى يتتوا خزاعة على الوتير ماء لهم فأصابوا منهم رجلا وتحاجزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من العهد والميثاق بما استحلوها منهم وكانوا في عقده وعهده خرج عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي حتى قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للمدينة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس فقال

يا رب إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرنا أعتدا

وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا

أيض مثل البدر يسمو صعدا

إن سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وجعلوا لي في كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا

هم بيونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعا وسجدا

الكامل

يقول قتلنا وقد أسلمنا

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنان من السماء فقال إن هذه السحابة لتستهيل بنصر بني كعب

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للمدينة فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة

وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد وليزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء في أصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وسلم { ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل
وظن أنه قد أتى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال سيرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي
قال أو ما جئت محمدا قال لا

فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها النوى
فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا
ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب
ليجلس على فراش رسول الله { صلى الله عليه وسلم } طوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم
رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وأنت رجل نجس مشرك فلم أحب أن تجلس
عليه

قال والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر
ثم خرج حتى أتى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم
له رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال ما أنا بفاعل

ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فوالله لو لم أجد إلا الدر
لجاهدتك به

ثم خرج حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وعندها حسن بن
علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت
فاشفع لي قال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } على أمر ما نستطيع أن نكلمه
فيه

فالتفت إلى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر
الدهر

قالت والله ما بلغ بني ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال يا أبا حسن
إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحي

قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك شيئا ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوتري ذلك
مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظنه ولكنني لا أجد لك غير ذلك

فقام أبو سفيان فقال أيها الناس إني قد أجرت بين الناس
ثم ركب بعيره فانطلق

فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد
فيه خيرا

ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو

ويقال أعدي العدو ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني شيئا أم لا
قالوا وبم أمرك قال أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت

قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا

قالوا ويلك والله ما زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت

قال لا والله ما وجدت غير ذلك

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أي بنية أمركم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن تجهزوه قالت نعم فتجهز

قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس

وكتب حاطب بن أبي بلتعة عند ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جملا على أن تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به

وأتي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا له في أمرهم فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبتنا ولنخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك

فلما رأت الجد منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعتته إليه

فأتى به رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فدعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حاطبا فقال يا حاطب ما حملك على هذا قال يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرء ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه فقال عمر يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل ناقي فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلي أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

فأنزل الله في حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الآيات كلها إلى

قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الممتحنة ١ - ٤ إلى آخر القصة ثم مضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لسفره حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين وقيل في اثني عشر ألفا فسبعت سليم وقيل ألفت وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام وأوعب مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد

وقد كان ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة لقياه بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه وكلمته أم سلمة فيهما وهي أخت عبد الله منهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك

قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال

فلما خرج الخبر إليهما بذلك قال أبو سفيان ومعه بني له والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا
فلما بلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما وأنشده أبو سفيان
لعمرك إني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدح الحيران أظلم ليله
فهذا أواني حين أهدي وأهتدي
هداني هاد غير نفسي وقادني
مع الله من طردت كل مطرد
الطويل

فرعموا أنه لما أنشده هذا البيت ضرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في صدره وقال أنت طردتني كل مطرد
وعميت الأخبار عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على قريش فلا يأتيهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل
وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار
وكان العباس بن عبد المطلب قد لقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ببعض الطريق مهاجرا بعياله وكان قبل
ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنه راض
قال العباس فلما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الظهران قلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر
فجلست على بغلة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد
بعض الخطاب أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليخرجوا إليه
فيستأمنوه
فوالله إني لأسير عليها والتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان
يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا

قال يقول بديل هذه والله خزاعة همستها الحرب فيقول أبو سفيان خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانا
وعسكرها
قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل قلت نعم
قال مالك فذاك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الناس واصباح قريش
والله
قال فما الحيلة فذاك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأستأمنه لك
فركب خلفي ورجع صاحبه فجئت به كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذا رأوا بغلة رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} وأنا عليها قالوا عم رسول الله على بغلته
حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو
الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد

ثم خرج يشتد نحو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء
فأقحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلا ضرب عنقه
قلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخذت برأسه فقلت والله لا
يناجيه الليلة رجل دوبي
فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد
عرفت أنه من رجال بني عبد مناف

فقال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أبي عرفت أن
إسلامك كان أحب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من إسلام الخطاب فقال رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبحت
غدوت به إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا
الله قال بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا
بعد

قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما
والله هذه فإن في نفسي منها شيئا حتى الآن
قال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك
قال فشهد شهادة الحق وأسلم

قال العباس قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا
قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن
فلما ذهب لينصرف قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى
تمر به جنود الله فيراها

قال فخرجت فحبسته حيث أمرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن أحبسه فمرت القبائل على راياتها كلما
مرت قبيلة قال يا عباس من هذه فأقول سليم

فيقول مالي وسليم

ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة

فيقول مالي ولمزينة

حتى نفذت القبائل ما تمر قبيلة

إلا سألني عنها فإذا أخبرته بهم قال مالي ولبي فلان

حتى مر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في كتيبه الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من

الحديد قال سيحان الله يا عباس من هؤلاء قلت هذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المهاجرين والأنصار

قال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما

قلت يا أبا سفيان إنما النبوة

قال فنعم إذن

قلت النجاء إلى قومك

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحس قبح من طليعة قوم قال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تعني عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتنفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد

ولما انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وإنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عثونة ليكاد يمس وسط الرجل ولما وقف هناك قال أبو حنيفة وقد كف بصره لابنة له من أصغر ولده أي بنية اظهري بي على أبي قبيس فأشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل

قالت وأرى رجلا يسعى بين يدي السواد مقبلا ومدبرا قال أي بنية ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها ثم قالت قد والله انتشر السواد

فقال قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه {صلى الله عليه وسلم} قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه

قال فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له أسلم فأسلم

ورآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان رأسه ثغامة فقال غيروا هذا من شعره ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال أنشد الله والإسلام طوق أخي فلم يجبه أحد فقال أي أحمية احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين فرق جيشه من ذي الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى وكان على المجنبة اليسرى وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداء فذكروا أن سعدا حين وجه داخلا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرة

فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد ما نأمن أن تكون له في قريش صولة

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية فكن أنت تدخل بها ويقال إنه أمر الزبير بذلك وجعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين فسار الزبير بالناس حتى وقف بالحجون وغرز بها راية رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وذكر غير ابن إسحاق أن ضرار بن الخطاب قال يومئذ شعرا استعطف فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على
قريش حين سمع قول سعد وهو من أجود شعر قاله
يا نبي الهدى إليك لحاحي
قريش ولات حين لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأرض
وعاداهم إله السماء
والنقت حلقتا البطان على القوم
ونودوا بالصيلم الصلعا
إن سعدا يريد قاصمة الظهر
بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ
رمانا بالنسر والعواء
فأهنيه فإنه الأسد الأسود
والليث والغ في الدماء
فلئن أقحم اللواء ونادى
يا حماة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش
فقعة القاع في أكف الإماء
الخفيف

فحيثئذ انترع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا
والله أعلم

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد وكان على الخبية اليمنى فدخل من الليط أسفل مكة فلقيته
بنو بكر فقاتلوه فقتل منهم قريب من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهمزوا وقتلوا بالحزورة حتى بلغ
قتلهم باب المسجد وهرب فضضهم حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال واتبعهم المسلمون
بالسيوف

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ودخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أذاخر في المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته
ولما علا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثنية كداء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال ما هذا
وقد نهيتم عن القتال فقال المهاجرون نظن أن خالدًا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتل من قاتله وما كان
يا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليعصيك ولا ليخالف أمرك
فهبط رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الثنية فأجاز على الحجون
واندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة

وجرح رجالان من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد عهد إلى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن

يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجلوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم ارتد مشركا ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له

فرعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صمت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لمن حوله من أصحابه لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار فهلا أومأت إلي يا رسول الله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن النبي لا يقتل بالإشارة

وفي رواية إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة أعين

ومنهم عبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب كان مسلما فبعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مصدقا وكان معه رجل مسلم يخدمه فأمره أن يصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأمر بقتلهما معه فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأمنها وقيل يومئذ لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه

ومنهم الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي وكان ممن يؤذي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة ولما حمل العباس بن عبد المطلب فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مكة يريد بهما المدينة نحس بهما الحويرث هذا فرمى بهما إلى الأرض فقتله يوم القتح علي بن أبي طالب

ومنهم مقيس بن صبابه الليثي وكان أخوه هشام بن صبابه قد قتله رجل من الأنصار خطأ فقدم مقيس بعد ذلك على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة مظهرا الإسلام حتى إذا وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا

وقد تقدم ذكر ذلك فلأجله أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقتله فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه فقالت أخت مقيس في ذلك

لعمري لقد أخزي نميلة رهطه
وفجع أضياف الشتاء بمقيس

فله عينا من رأى مثل مقيس
إذا النفساء أصبحت لم تخرس

الطويل

ومنهم سارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل وكانت تؤذي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة فاستؤمن لها فأمناها وبقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمان عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناسا بالخدمة ليقاتلوا فيهم حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر وكان قد أعد سلاحا وأصلح منها فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى قال لحمد وأصحابه قالت والله ما أراه يقوم لحمد شيء قال والله إني لأرجو أن أحلمك بعضهم ثم قال

إن يقبلوا اليوم فمالي عليه

هذا سلاح كامل وأله

وذو غرارين سريع السله

السريع

ثم شهد الخدمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال فقتل كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وأصيب سلمة بن الميلاء الجهني من خيل خالد وأصيب من المشركين ناس ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته وقال لامرأته أغلقي علي

بلي

قالت فأين ما كنت تقول فقال

إنك لو شهدت يوم الخدمة

إذ فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه

ضربا فلا تسمع إلا غمغمه

لهم نهميت خلفنا وهمهمه

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

الرجز

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهميتك عن القتال قال هم بدأونا ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا النبل وقد كفت يدي ما استطعت فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قضاء الله خير

وفر يومئذ صفوان بن أمية عامدا للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامدا لليمن فأقبل عمير بن وهب بن خلف إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقدف نفسه في البحر فأمنه {صلى الله عليه وسلم} فإنك قد أمنت الأحمر والأسود فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أدرك ابن عمك فهو آمن قال يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عمامته التي دخل فيها مكة

فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تملكها فهذا أمان من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جئت بك به قال ويا ربك اغرب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك

قال إني أخافه على نفسي
قال هو أحلم من ذلك وأكرم
فرجع معه حتى وقف به على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال صفوان
إن هذا يزعم أنك أمنتني
قال صدق

قال فاجعني فيه بالخيار شهرين
قال أنت بالخيار أربعة أشهر
وأقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فقالت يا رسول الله
أمن زوجي وائذن لي في طلبه
فأذن لها وأمنه فأدركته ببعض تمامة وقيل باليمن فأقبل معها وأسلم فلما رآه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وثب إليه فرحا وما عليه رداء
وكانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية وكانت أسلمت أيضا فلما أسلم عكرمة و صفوان أقر رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول
وقالت أم هانئ بنت أبي طالب وكانت عند هيرة بن أبي وهب المخزومي لما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
بأعلى مكة فر إلى رجلان من أمهائي من بني مخزوم فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلنهما فأغلقت
عليهما بيتي ثم جئت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر
العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلي
فقال مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمنا
من أمنت فلا يقتلهما
قال ابن هشام هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة

ولما نزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته
ليستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها
فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة فقال
لا إله إلا الله صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي
هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل
أربعون منها في بطونها أو لادها يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس لآدم
وآدم من تراب
ثم تلا هذه الآية

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم
خبير الحجرات ١٣

ثم قال يا معشر قريش ما ترون أي فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم
ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء
ثم جلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في

يديه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية {صلى الله عليه وسلم} فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقال لعلى فيما حكى ابن هشام إنما أعطيتكم ما ترزأون لا ما ترزأون وذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن يغلب بنو عبد المطلب على سقائتهم لنزعت منها بيدي ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريبا من مقام إبراهيم وكان المقام لاصقا بالكعبة فأخذه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بسجل من ماء فشرب وتوضأ المسلمون بيتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون إليهم ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط بلغ هذا ولا سمعنا به

وذكر ابن هشام أيضا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى إبراهيم مصورا في يده الأضلام يستقسم بما فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأضلام ما شأن إبراهيم والأضلام ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين آل عمران ٦٧ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست

وعن ابن عباس قال دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشددة بالرصاص فجعل النبي يشير بقضيب

في يده إلى الأصنام وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا الإسراء ٨١ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي صنم إلا وقع فقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الأصنام معتبر وعلم

لمن يرجو الثواب أو العقابا

الوافر

وأراد فضالة بن عمر بن الملوحة الليثي قتل النبي {صلى الله عليه وسلم} وهو بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث نفسك فقال لا شيء كنت أذكر الله

فضحك النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم قال استغفر الله

ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه

فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه

قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث

فقلت لا

وانبعث فضالة يقول

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا

يأبي عليك الله والإسلام

لو ما رأيت محمدا وقبيله

بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بيننا
والشرك يغمى وجهه الإظلام
الكامل

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما دخل الكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن وكان دخل معه وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه
فقال الحارث أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته

وقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرته عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال قد علمت الذي قلت ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك
وقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين افتتح مكة على الصفا يدعو وقد أحذقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها
فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلت قالوا لا شيء يا رسول الله
فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال معاذ الله الحيا محياكم والممات مماتكم
وعدت خزاعة الغد من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له ابن الأثوع فقتلوه وهو مشرك برجل من أسلم يقال له أحمز بأسا وكان رجلا شجاعا وكان إذا نام غط غطيطا منكرا لا يخفي مكانه فكان يبيت في حيه معتزرا فإذا بيت الحي صرخوا يا أحمز
فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شي

فأقبل غري من هذيل يريدون حاضره حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي لا تعجلوا حتى أنظر فإذا كان في الحاضر أحمز فلا سبيل إليهم فإن له غطيطا لا يخفي
فاستمع فلما سمع غطيطة مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله
ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا يا أحمز ولا أحمز لهم فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة يقولون أنت قاتل أحمز قال نعم أنا قاتل أحمز فمه
إذ أقبل خراش بن أمية مشتملا على السيف فقال هكذا عن الرجل
قال بعض من حضرهم ووالله ما نطن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه فلما تفرجوا حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه فوالله لكأني أنظر إليه وحشوته تسيل من بطنه وإن عينيه لترنقان في رأسه وهو يقول أقد فعلتموها يا معشر خزاعة حتى انجحف فوقع

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما بلغه ما صنع خراش بن أمية إن خراشا لقتال يعيبه بذلك

وقام {صلى الله عليه وسلم} في الناس خطيبا فقال يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعصد فيها شجرا

لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا ثم قد رجعت
كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل
فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم
يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل أن يقع لقد قتلتهم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فهم
بخير النظرين إن شاعوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقله
ثم ودي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة
وكان فتحها لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان
وكان مما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان بن ثابت وذكر ابن هشام أنه قالها قبل الفتح
عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس
خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف
يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعناء التي قد تيمته
فليس لقلبه منه شفاء
كأن سبيته من بيت رأس
يكون مزاجها غسل وماء
إذا ما الأشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح القداء
نوليها الملامة إن ألما
إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشرها فتر كنا ملوكا
وأسدا ما ينهنها اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات
على أكتافها الأسد الظلماء
تظل جبادنا متمطرات
يلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا

وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد يوم

يعز الله فيه من يشاء

وجبريل رسول الله فينا

وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبدا

يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه

فقلتم لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد يسرت جندا

هم الأنصار عرضتها للقاء

لنا في كل يوم من معد

سباب أو قتال أو هجاء

فبحكم بالقوا في من هجانا

ونضرب حين تختلط الدماء

ألا أبلغ أبا سفيان عني

مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا وأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفاء

فشر كما لخير كما الفداء

هجوت مباركا برا حنيفا

أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

لساني صارم لا عيب فيه

ومجري لا تكدره الدلاء

الوافر

وقول ابن هشام إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر في غير ما شيء من مقتضياته ومن ذلك مقاولته لأبي

سفيان وهو ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وقد أسلم قبل الفتح في طريق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى مكة كما تقلم

وكذلك ذكر ابن عقبة أن حسان قاله في فخر ج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى مكة
وأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما دخل مكة نظر إلى النساء يلطمن الخيل بالخمير فالتفت إلى أبي بكر فتبسم
لقول حسان في ذلك يلطمهن بالخمير النساء

وقال أنس بن زعيم الديلي يعتذر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مما قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي

وأنت الذي تهدى معد بأمره

بل الله يهديهم وقال لك اشهد

وما حملت من ناقة فوق رحلها

أبر وأوفى ذمة من محمد

أحس على خير وأسيف نائلا

إذا راح كالسيف الصقيل المهند

وأكسي لبرد الخال قبل ابتذاله

وأعطى لرأس السابق المتجرد

تعلم رسول الله أنك مدركي

وأن وعيدا منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر

على كل صرم متهمين ومنجد

تعلم بأن الركب ركب عويمر

هم الكاذبون المخلفوا كل موعد

ونبوا رسول الله أني هجوته

فلا حملت سوطي إلي إذا يدي

سوى أنني قد قلت ويلم فتية

أصيبوا بنحس لائط وأسعد

ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا

جميعا فإن لا تدمع العين أكمد

أصابهم من لم يكن لدهانهم

كفاء فعزت عبرتي وتبلدي

الطويل

وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح

نفي أهل الخبلى كل فج

مزينة غدوة وبنو خفاف

ضربناهم بمكة يوم فتح النبي

الخير بالبيض الخفاف

صبحناهم بسلع من سليم

وألف من بني عثمان وافي
نطا أكتافهم ضربا وطعنا
ورشقا بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفا
كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم
بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غامنين بما اشتهينا
وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا
مواثيقا على حسن التصافي
وقد سمعوا مقاتلتنا فهموا
غداة الروع منا بانصراف
الوافر

وقال عباس بن مرداس السلمى في فتح مكة
منا بمكة يوم فتح محمد
ألف تسييل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه
وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم
ضنك كأن الهام فيه الحثيم
جرت سنايكها بنجد قبلها
حتى استعاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله
حكم السيوف لنا وجد مزحم
الكامل

وقال نجيد بن عمران الخراعي
وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا
ركام سحاب الهيدب المتراكب
وهجرتنا في أرضنا عندنا بما
كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة
لندرك ثارا بالسيوف القواضب

الطويل

ولما فتح الله على رسوله {صلى الله عليه وسلم} مكة بعث السرايا فيما حولها يدعوا إلى الله ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تمامة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة

فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فقال رجل منها يقال له جحدم ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحي أبدا فأخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا إن الناس قد أسلموا ووضع الحرب وأمن الناس فلم يزلوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم وقال لهم جحدم حين وضعوا سلاحه ورأى ما يصنع بهم يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رفع يديه إلى السماء ثم قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لرجل انفلت منهم فأتاه بالخبر هل أنكر عليه أحد فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه وأنكر عليه رجل أحمر مضطرب فراجعته فاشتدت مراجعتيها فقال عمر بن الخطاب أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله وأما الآخر فسلم مولى أبي حذيفة وذكروا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال رأيت كأني لقمتم لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعها فأدخل علي يده فنزعه

فقال أبو بكر هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله ثم لما كان من خالد في بني جذيمة ما كان دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب فقال يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدي لهم ميلعة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم

علي حين فرغ منه هل بقي دم أو مال لم يود لكم قالوا لا قال فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} مما لا يعلم ولا تعلمون

ففعل ثم رجع إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فآخبره الخبر فقال أصبت وأحسنت ثم قام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى ما تحت منكبیه يقول اللهم أي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات

وقد قال بعض من يعذر خالدا انه قال ما قاتلت حتى امرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر أن تقاتلهم لا متناعهم من الإسلام وحدث ابن أبي حدرد الأسلمي قال

كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سني وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى قلت ما تشاء قال هل أنت اخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردني بعد فصنعوا بي بعد ما بدا لكم قال قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بما حتى أوقفته عليهن فقال اسلمي حبيش على نغد العيش

أربتك إذا طالبتكم فوجدتكم

بجلية أو ألفتكم بالخواتق)

(ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السري والودائق)

(فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معا

أثبي بود قبل الصفاق

أثبي بود قبل أن تشحط النوي

وينأي الأمير بالحبيب المفارق

الطويل

فقال وأنت فحيت سبعا وعشرا وترا وثمانيا تترى

قال ثم انصرفت به فضربت عنقه

فما زالت تقبله حتى ماتت عنده

وخرج النسائي هذه القصة في مصنفة في باب قتل الأساري من حديث ابن عباس أن النبي {صلى الله عليه وسلم} بعث سرية فغنموا وفيهم رجل قال إني لست منهم عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم

قال فإذا امرأة طويلة أدماء فقال اسلمي حبيش قبل نغد العيش وذكر بعض الشعر المتقدم وبعده قالت نعم فديتك قال قدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقف عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم ماتت فلما قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخبروه الخبر فقال {صلى الله عليه وسلم} (أما كان فيكم رجل رحيم)

ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد إلى العزي وكانت بنحلة وكان بيتا تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بن هاشم فلما سمع صاحبها اسلمي بسير خالد إليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هو فيه وهو يقول

(أيا عز شدي شدة لا شوى لها

على خالد ألقى القناع وشمري)

أ (يا عز إن لم تقتلي المرء خالدا فبؤني يا ثم عاجل أو تنصري) (الطويل

فلما انتهى إليها خالد هدمها

ثم رجع إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

غزوة حنين

ولما سمعت هوزان برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك ابن عوف النصرى فاجتمع إليه مه هوزان تقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ولم

يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء

وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف

فلما أجمع السير إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به فلما قال في أي واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهنس مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم

قال أين مالك فدعي له فقال يا مالك انك أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردت أن اجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال فاقض به وقال راعى ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك

ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر

وعوف بن عامر

قال ذاك الجذعان لا ينفعان ولا يضران يا مالك إنك لم تصنع بتقدم بيضة هوزان إلى نخور الخيل شيئا ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعيني يا معشر هوزان أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري

وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي قالوا أطعنك

فقال دريد ابن الصمة هذا يوم لم أشهده ولم يفتني

(يا ليتني فيها جذع

أحب فيها وأضع) الرجز

ثم قال مالك للناس إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد وبعث مالك بن عوف عيوننا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصلهم فقال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجلا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى فو الله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد

ولما سمع بهم نبي الله {صلى الله عليه وسلم} بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس ويقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسمع من مالك أمر هوزان ما هم له ثم أقبل حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره الخبر

فلما أجمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} السير إلى هوزان ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا

فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقي فيها عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك قال ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سأله أن يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عامدا حنين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفا وذكر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأي كثرة من معه من جنود الله (لن تغلب اليوم من قلة)

وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكره قالها واستعمل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ثم مضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على وجهه يريد لقاء هوازن قال ابن عقبة وكان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعني في توجهه إلى مكة أنه باديء بهم وصنع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك فتح له مكة فأقر بها عينه وكبت بها عدوه

فلما خرج {صلى الله عليه وسلم} إلى حنين خرج معه أهل مكة ركابا ومشاة حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظارا ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون أن تكون الصدمة برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه

وحدث أبو واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما قال فرأينا ونحن نسير معه سدره خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (الله أكبر قلتتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون الأعراف ١٣٨ فإنها السنن لتركن سنن من كان قبلكم) وحدث جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية قمامة أجوف حطوط وإنما ننحدر فيه انحدارا قال وذلك في عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأحائه ومضايقه قد أجمعوا وتهيأوا فو الله ما راغنا ونحن منحطون إلا الكنائب قد شلوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد

وأنحاز رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات اليمين ثم قال أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله قال فلا شيء حملت الإبل بعضها على بعض وأنطلق الناس إلا انه قد بقي مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل بن عباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن قتل يومئذ

قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوزان وهم خلفه إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما ذلك الرجل يصنع ما يصنع إذ أهوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال فيأتي علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربة ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فأنجف عن رحله

قال ابن إسحاق فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من جفأة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أحدهم لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وإن الأزام لمعه في كنانته

وصرخ آخر منهم إلا بطل السحر اليوم فقال له صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن

وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار وكان أبوه قتل يوم أحد قلت اليوم أدرك ثأري اليوم أقبل محمدا

فأدرت برسول الله لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك وعلمت أني ممنوع منه وذكر ابن أبي خثيمة حديث شيبه هذا قال لما رأيت النبي {صلى الله عليه وسلم} يوم حنين أعري ذكرت أبي وعمي قتلهما حمزة قلت اليوم أدرك ثأري في محمد

فجنته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائما عليه درع بيضاء قلت عمه لن يخذله فجنته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث قلت ابن عمه لن يخذله فجنته من خلفه فدنوت ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسور سورة بالسيف فرفع الي شواظ من نار كأنه البرق فكصت على عقبي القهقري فالتفت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا شيبه ادنه

فدنوت فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصري فلهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال لي يا شيبه قاتل الكفار فقالتت معه {صلى الله عليه وسلم}

وحدث العباس بن عبد المطلب قال إني لمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها وكنت امرء جسيما شديد الصوت ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول حين رأى ما رأى من أمر الناس أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة قال فأجابوا لبيك لبيك

قال فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى أول ما كانت للأنصار ثم خلصت آخرها للخروج وكانوا صبرا عند الحرب فأشرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ركابته فنظر إلى مجتلد القوم فقال الآن حمي الوطيس قال جابر بن عبد الله في حديثه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجلوا الأساري مكتفين عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

قال والنفت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن الإسلام ومن صبر يومئذ معه

وهو آخذ بتغر بغلته فقال من هذا قال أنا ابن أمك يا رسول الله
وذكر ابن عقبة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما غشيه القتال يومئذ قام في الركابين وهو على البغلة
ويقولون نزل

فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا
ونادى أصحابه فذمرهم يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني
الخزرج

وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلها
وقال شامت الوجوه

فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصيهم فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم
الله نساءهم وذرايهم وشاههم وإبلهم وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشرف قومه
وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصر الله ورسوله وإعزاز دينه

وحدث جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى
سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي ولم أشك إنما الملائكة فلم تكن إلا هزيمة القوم
والفت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ فرأى أم سليم بنت ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي
حازمة وسطها برد لها وإنما حامل بعبد الله بن أبي طلحة ومعها جمل أبي طلحة قد خشيت أن يعزها فأدنت رأسه
منها فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أم سليم

قالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو يكفي الله يا أم سليم
وقال لها أبو طلحة ما هذا الخنجر يا أم سليم لخنجر رآه عندها
قالت خنجر اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به
فقال أبو طلحة إلا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم
وحدث أنس أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين رجلا
وقال أبو قتادة

رأيت يوم حنين رجلين يقتلان مسلما ومشركا فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم
فأتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الأخرى فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم
ويروي ريح الموت

فلولا أن الدم نرزه لقتلني فسقط فضربته فقتلته وأجهضني عنه القتال
فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قتل قتيلا فله سلبه
فقلت يا رسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فأجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه
فقال رجل من أهل مكة صدق يا رسول الله فأرضه عني من سلبه
فقال أبو بكر لا والله لا ترضيه منه تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه اردد عليه سلب قتيله
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صدق اردد عليه سلبه
قال أبو قتادة فأخذته منه فبعته فاشترت بثمنه مخرفا فإنه لأول مال اعتقدته

ولما انهزمت هوازن استنحر القتل من تقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ومعه كانت راية بني مالك وكانت قبله مع ذي الحمار فلما قتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قتل فلما بلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قتله قال أبعد الله فإنه كان يبغض قريشا

وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب وللآخر الجلاح فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين بلغه قتل الجلاح قتل اليوم سيد شباب تقيف إلا ما كان من ابن هنيذة يعني الحارث بن أويس

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعته خيل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا فأدرك ربيعة بن ربيع وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه غلبت على اسمه أدرك دريد بن الصمة فأخذ بخظام جملة وهو يظن انه امرأة وذلك انه كان في شجار له فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد بي قال أقتلك

قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي

ثم ضربه بسيفه فلم يعن شيئا فقال بنس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأني كذلك كنت أضرب الرجال ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك فرعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه وبطون فخذه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا

وقالت عميرة بنت دريد ترثي أباها

قالوا قتلنا دريدا قد صدقوا

فضل دمعي على السربال ينحدر

لولا الذي قهر الأقوام كلهم

رأت سليم وكعب كيف يآتمر

البيسط

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك بعض المهزومة

فناوشوه القتال فرمى بسهم فقتل فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه وهزمهم الله

ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر

وذكر ابن هشام عمن يتق به أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم

فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم أشهد عليه

فقتله أبو عامر ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم أشهد عليه فقتله أبو

عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلا بعد رجل ويحمل أبو عامر ويقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على

أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه
فقال الرجل اللهم لا تشهد علي

فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا رآه قال هذا
شريد أبي عامر

ورمى أبا عامر يومئذ فيما ذكر ابن هشام أخوان من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه
وولي الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما

وذكر ابن إسحاق أن القتل استحر في بني نصر بن رئاب فرعموا أن

عبد الله بن قيس الذي يقال له ابن العوراء وهو أحد بني وهب بن رئاب قال يا رسول الله هلكت بنو رئاب

فرعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال اللهم اجبر مصيبتهم

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى يمضي
ضعفاؤكم وتلحق آخراكم

فوقف هنا لك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس

قال ابن هشام وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه ماذا ترون قالوا نرى قوما واضعي
رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم

فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال

لأصحابه ماذا ترون قالوا نرى أقواما عارضي أرماحهم أغفالا على خيلهم

قال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ثم اطلع فارس

فقال لأصحابه ماذا ترون قالوا نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء

فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له

فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية ابصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ إن قدرتم على بجاد رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتكم وكان قد

أحدث حدثا

فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله {صلى الله

عليه وسلم} من الرضاعة فعنفوا عليها في السياق فقالت للمسلمين تعلموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة

فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي {صلى الله عليه وسلم} فلما انتهوا بها إليه قالت يا رسول الله إني أختك

قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها

في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها

فقال إذا أحببت فعندي محبة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت

قالت بل تمتعني وتردني إلى قومي

فتمتعها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وردها إلى قومها

فرعمت بنو سعد أنه أعطها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما

بقية

وأنزل الله تبارك وتعالى في يوم حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن

عنكم شيئاً وضافت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين
٢٥ ٢٦ التوبة

واستشهد من المسلمين يوم حنين من قريش ثم من بني هاشم أيمن بن عبيد مولاهم
ومن بني أسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب جمع به فرس يقال له الجناح فقتل
ومن الأنصار سراقبة بن الحارث العجلاني
ومن الأشعرين أبو عامر الأشعري

ثم جمعت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سبايا حنين وأموالها فأمر بما إلى الجعرانة فحبست بما حتى أدركها
هنا لك منصرفه عن الطائف على ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى
وقال عباس بن مرداس السلمي في يوم حنين
عفا مجدل من أهله فمتالع
فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا
رخي وصرف الدهر للححي جامع
حبيبة ألوت بما غربة النوى
لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تبغي الكفار غير ملومة
فإني وزير للنبي وتابع
دعانا إليه خير وفد علمتم
خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم
لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالأخشبين وإنما
يد الله بين الأخشبين نبايع
فحسنا مع المهدي مكة عنوة
بأسيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغشى متونها
حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن
إلينا وضافت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا
قراع الأعادي منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا

لواء كخدرروف السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان معتص
بسيف رسول الله والموت كانع
نذود أخاننا عن أحنينا ولو نرى
مصاللا لكننا الأقرين نتابع
ولكن دين الله دين محمد
رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا
وليس لأمر حمه الله دافع
الطويل

وقال عباس أيضا

تقطع باقي وصل أم مؤمل
بعاقبة واستبدلت نية خلفا
وقد حلفت بالله لا تقطع النوى
فما صدقت فيه ولا برت الخلفا
خفافية بطن العقيق مصيفها
وتحتل في البادين وجرة فالعرفا
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
فقد زودت قلبي على نأيها شعفا
وسوف ينيبها الخبير بأننا
أبيننا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وإننا مع الهادي النبي محمد
وفينا ولم نستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة
أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالمهم
مصاعب زافت في طروقتها كلفا
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس
أسودا تلاقت في مراصدها غضفا
بنا عز دين الله غير تنحل
وزدنا على الحي الذي معه ضعفا
بمكة إذ جننا كأن لواءنا

عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شخص الأَبصار تحسب بينها
إذا هي جالت في مواردها عزفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا
بمعتك لا يسمع القوم وسطه
لنا رحمة إلا التذامر والنقفا
ببيض تطير الهام عن مستقرها
وتقطف أعناق الكمأة بما قطفا
فكأين تركنا من قتيل ملحج
وأرملة تدعو على بعلها هفا
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبغي
لله ما يبدو جميعا وما يخفي
الطويل

وقال عباس أيضا
ما بال عينك فيها عائر سهر
مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر
عين تأوبها من شجوها أرق
فالماء يغمرها طورا وينحدر
كأنه نظم در عند ناظمه
تقطع السلك منه فهو منتشر
ما بعد منزل من ترجو مودته
ومن أتى دونه الصمان فالخفر
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
ولي الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم في مواطنها
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا
دين الرسول وأمر الناس مشتجر
الضاربون جنود الشرك ضاحية
ببطن مكة والأرواح تبتدر
حتى رفعنا وقتلهم كأنهم
نخل بظاهرة البطحاء منقعر

ونحن يوم حنين كان مشهدنا
للدين عزا وعند الله مدخر
إذ نركب الموت مخضرا بطائه
والخيل ينجاب عنها ساطع كدر
تحت اللوامع والضحاك يقدمنا
كما مشى الليث في غاباته الخدر
في مأزق من مجر الحرب كلكلها
تكاد تأفل منه الشمس والقمر
وقد صبرنا بأوطاس أستتنا
لله نصر من شئنا ونتصر
حتى تأوب أقوام منازلهم
لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشرا قلوا ولا كثروا
إلا قد أصبح منا فيهم أثر
البسيط

وقال عباس بن مرداس أيضا رضي الله عنه
يا أيها الرجل الذي تموي به
وجناء مجمرة المناسم عرمس
إما أتيت على النبي فقل له
حقا عليك إذا اطمأن المجلس
يا خير من ركب المطي ومن مشى
فوق التراب إذا تعد الأنفس
إنا وفينا بالذي عاهدتنا
والخيل تقدع بالكمامة وتضرس
إذ سال من أفناء بهمة كلها
جمع تظل به المخارم ترجس
حتى صبحنا أهل مكة فيلقا
شهباء يقدمها الهمام الأشوس
من كل أغلب من سليم فوقه
بيضاء محكمة الدخال وقونس
وعلي حنين قد وفي من جمعنا
ألف أمد به الرسول عرندس
كانوا أمام المؤمنين دريئة

والشمس يومئذ عليها أشمس
نمضي وبحرنا الإله بحفظه
والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا
رضي الإله بهم فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدة
كفت العدو وقيل منها يحبس
ندعو هوازن بالإخاءة بيننا
ثدي تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه
عبر تعاقبه السباع مفرس

(الكامل

وقال عباس بن مرداس أيضا
نصرنا رسول الله من غضب له
بألف كمي لا تعد حواسره
حملنا له في عامل الرمح راية
يذود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دما فهو لوئها
غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكننا على الإسلام ميمنة له
وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكننا له يوم الجنود بطانة
يشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدا
وكان له عوننا على من يناكره
جزى الله خيرا من نبي محمدا
وأيده بالنصر والله ناصره

الطويلغزوة الطائف

ولما قدم فل الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيننا ولا الطائف عروة بن
مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور
ثم سار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} السير إليها
قضينا من قمامة كل ريب

وخبير ثم أجهننا السيوفا
نخيرها ولو نطقنا لقات
قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها
بساحة داركم منا ألوفا
وننتزع العروش ببطن وج
وتصبح دوركم منكم خلوفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل
يفادر خلفه جمعا كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم
لها مما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات
يزرن المصطلين بها الحتوفا
كأمثال العقائق أخلصتها
قيون الهند لم تضرب كتيفا
تخال جدية الأبطال فيها
غداة الروع جاديا مدوفا
أجدهم أليس لهم نصيح
من الأقوام كان بنا عريفا
يخبرهم بأنا قد جمعنا
عتاق الخيل والنجب الطروفا

وأنا قد أتيناهم بزحف
يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلبا
نقي القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذا حكم وعلم
وحلم لم يكن نزقا خفيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا
هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم تقبل
ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد ما بقينا أو تنبوا
إلى الإسلام إذ عانا مضيئا
نجاهد لا نبالي ما لقينا
أأهلكنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألوا علينا
صميم الجذم منهم والحليفا
أتونا لا يرون لهم كفء
فجدعنا المسامع والأنوفا
بكل مهند لين صقيل
نسوقهم بما سوقا عنيفا
لأمر الله والإسلام حتى
يقوم الدين معتدلا حنيفا
وتنسى اللات والعزى ودد
ونسلبها القلائد والشنوفا
فأمسوا قد أقروا واطمأنوا
ومن لا يمتنع يقبل خسوفا
الوافر

وسلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على نخلة اليمانية وانتهى إلى بحرة الرغاء فابتنى بها مسجدا فصلى فيه
وأقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل كم بني ليث فقتله به وهو أول دم أقيد به في الإسلام وأمر في طريقه
بحصن مالك بن عوف فهلم
ثم سلك في طريق فسأل عن اسمها فقيل له الضيقة
فقال بل هي اليسرى
ثم خرج منها حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف فأرسل إليه رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك
فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه
ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل وذلك أن العسكر اقترب من
حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم
فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم فحاصروهم بضعا
وعشرين ليلة
وقيل بضع عشرة ليلة ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قيتين ثم صلى بينهما فلما أسلمت
تقيف بني عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلاة ذلك مسجدا

وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض
فحاصروهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقتلهم قتالا شديدا وتراموا بالنبل ورمهم رسول الله {صلى الله

عليه وسلم { بالمنجنيق فيما ذكر ابن هشام

قال وهو أول من رمى به في الإسلام إذ ذاك

حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } تحت دبابه
ثم رجعوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم
بالنبيل فقتلوا منهم رجالا فأمر رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بقطع أعتاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون
وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن آمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما

فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة منهن ابنة أبي سفيان ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهن السبأ فأين فلما
أبين قال لهما الأسود بن مسعود يا أبا سفيان ويا مغيرة ألا أدلكما على خير مما جنتما له إن مال بني الأسود حيث
علمتما وكان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } نازلا بينه وبين الطائف بواد يقال له العقيق إنه ليس بالطائف مال
أبعد رشاء ولا أشد مؤنة ولا أبعده عمارة من مال بني الأسود وإن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه
لنفسه أو ليدعه لله وللرحم فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يبجل

فرعموا أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } تركه لهم

وقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فيما ذكر لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو محاصر ثقيفا يا أبا بكر إني
رأيت أني أهديت إلى قعبة مملوءة زيدا فنقرها ديك فهراق ما فيها

فقال ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد

فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وأنا لا أرى ذلك

ثم إن خويلة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلبي
بادية بنت غيلان أو حلبي الفارغة ابنة عقيل
وكانتا من أحلى نساء ثقيف

فذكر أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال لها وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلة فخرجت خويلة فذكرت
ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل عمر على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال يا رسول الله ما
حديث حدثتني خويلة زعمت أنك قلته قال قد قلته
قال أو ما أذن فيهم يا رسول الله قال لا

قال أفلا أؤذن بالرحيل قال بلى فأذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد ألا إن الحي مقيم
يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراما فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع
من رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقد جئت تنصره قال أي والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ولكني أردت أن
يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتطنها لها تلد لي رجلا فإن ثقيفا قوم مناكير
ونزل على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في إقامته عليهم عبيد لهم فأسلموا فأعتقهم رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
وسلم { فلما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } لا أولئك
عتقاء الله

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من

الأنصار ورجل من بني ليث

ثم انصرف رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عن الطائف حتى نزل الجعرانة واليهما كان قدم سي هوزان وأمواهم

وقال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن تقيف يا رسول الله ادع عليهم فقال اللهم اهد تقيفا وائت بهم
ثم أتاه وفد هوزان بالجرانة وقد اسلموا وكان معه من سبيهم ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما
لا يدري ما عدته فقالوا يا رسول الله أنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله
عليك وقام رجل منهم من سعد بن بكر يقال له زهير يكنى بأبي صرد فقال يا رسول الله إنما في الخطائر عماتك
وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزلنا بمنزل ما
نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين
ثم أنشأ يقول

امنن علينا رسول الله في كرم
فإنك المرء نرجوه ومنتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر
مفرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافا على حزن
على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها
يا أرجح الناس حلما حين يحتبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها
إذ فوك تملأه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها
وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعمته
واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعمى وقد كفرت
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه
من أمهاتك إن العفو يشتهر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه
هذي البرية أن تعفو وتتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه

يوم القيامة إذ يهدي لك الظفر (البسيط

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبناؤكم ونساءؤكم أحب إليكم أم أموالكم فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين
أموالنا وأحسابنا بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا
فقال لهم أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول
الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا

فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم
فلما صلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما ما كان لي ولنبي عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقالت الأنصار ما كان لنا فهو لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال الأقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال عباس وهنتموني فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء أصيبه فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم وكان عيينة بن حصن أخذ عجوزا من عجائزهم وقال حين أخذها أرى عجوزا إني لأحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها

فلما رد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} السبايا بست فرائض أبي أن يردها فقال له زهير أبو صرد خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال وسأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد هوازن ما فعل مالك بن عوف فقالوا هو بالطائف مع ثقيف

فقال لهم أخبروا مالكا أنه أن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فأتي مالك بذلك فخاف ثقيفا أن يعلموا بما قال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيحبسوه فأمر براحلته فهيئت له وأمر بفرس له فأتى به بالطائف فخرج ليلا على فرسه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تجس فركبها فلحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه وقال

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله

في الناس كلهم بمثل محمد

أوفي وأعطى للجزيل إذا اجتدى

ومتي تشأ يجبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عردت أنيابها

بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباهه

وسط الهبابة خادر في مرصد

الكامل

فاستعمله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا

أغار عليه حتى ضيق عليهم أبو محجن بن حبيب الثقفي

هابت الأعداء جانبا

ثم تغزونا بنو سلمه

وأنا مالك بهم

ناقضا للعهد والحرمة

المديد

ولما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون يا رسول الله

اقسم علينا فيتنا

للإبل والغنم حتى ألجأوه إلى شجرة فاخطفت عنه رداءه فقال ردوا علي ردائي أيها الناس فوالله إن لو كان لكم

بعدد شجر تامة نعمنا لقسمته عليكم ثم ما ألفتيموني بخيلا ولا جبانا ولا كنوبا ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرة من

سنامه فرفعها ثم قال أيها الناس والله مالي من

فيكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخائط والمخييط فإن الغلول يكون على أهله عارا

وشنارا ونارا يوم القيامة

فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر

فقال أما نصيبي منها فلك

قال أما إذا بلغت ذلك فلا حاجة لي بها

ثم طرحها من يده

ويروي أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه وسيفه متلطح دما فقالت إني قد عرفت

أنك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين قال دونك هذه البرة تخيطين بها ثيابك

فدفعها إليها فسمع منادي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول من أخذ شيئا فليرده حتى الخائط والمخييط

فرجع عقيل فقال ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت وأخذها فألقاها في الغنائم

وأعطى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المؤلفه قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم

قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة والحارث بن هشام

وسهيل بن عمرو وحويط بن عبد العزي وصفوان بن أمية وكل هؤلاء من أشراف قريش والأقرع بن حابس

التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النصري أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش

وغيرهم مائة بعير وأعطى دون المائة رجلا من قريش منهم مخزومة بن نوفل وعمير بن وهب وأعطى سعيد بن يربوع

المخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال يعاتب فيها النبي

{صلى الله عليه وسلم}

وكانت ثوبا تلافيتها

بكري على المهر في الأجرع

وإيقاظي القوم أن يرقلوا

إذا هجع الناس لم أهجع

فأصبح نهي ونهب العبيد

بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدراء
فلم أعط شيئا ولم أمتع
إلا أقاتل أعطيتها
عديد قوائمه الأربع
وما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع
المتقارب

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اذهبوا فاقطعوا عني لسانه فأعطوه حتى رضي فكان ذلك قطع لسانه
وذكر ابن هشام أن عباسا أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنت
القائل
فأصبح نهي ونهب العبيد
بين الأقرع وعيينة
فقال أبو بكر بين عيينة والأقرع

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هما واحد
فقال أبو بكر أشهد أنك كما قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ٦٩ يس
وذكر ابن عقبة أن عباسا لما أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقطع لسانه فزرع لها وقال من لا يعرف أمر
عباس يمتل به
فأتى به إلى الغنائم فقبل له خذ منها ما شئت
فقال عباس إنما أراد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يقطع لساني بالعطاء بعد أن تكلمت
فتكرم أن يأخذ منها شيئا فبعث إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بحلة فقبلها ولبسها
وقال لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} قائل من أصحابه يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس
مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما والذي نفس محمد بيده لجعيل
بن سراقة خير من طلاع
الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ولكني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل ابن سراقة إلى إسلامه
وجاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يعطي الناس فقال
يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أجل فكيف رأيت قال لم أرك عدلت
فغضب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر بن
الخطاب ألا نقتله فقال لا دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من
الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق القرث والمم

ولما أعطى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما أعطى في قريش وفي قبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلهم لقي والله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قومه وذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت قال يعاتبه في ذلك

زاد الهموم فماء العين منحدر
سحا إذا حفلته عبرة درر
وجدنا بشماء إذ شماء بمكنة
هيفاء لا ذنن فيها ولا خور
دع عنك شماء إذ كانت مودتها
نزرا وشر وصال الواصل التزر
وأتت الرسول فقل يا خير مؤتمن
للمؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة
قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصارا ينصرهم
دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا
للنائبات وما خافوا وما ضجروا
والناس إلب علينا فيك ليس لنا
إلا السيوف وأطراف القنا وزر
نجالد الناس لا نبقي على أحد
ولا نضيع ما توحى به السور
ولا تهنر جناة الحرب نادينا
ونحن حين تلظى نارها سحر
كما رددنا بدر دون ما طلبوا
أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد
إذ حزبت بطرا أحزبا مضر
فما ونيينا ولا همتنا وما خبروا
منا عنثارا وكل الناس قد عشروا
البيسط

فدخل سعد بن عبادة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجلوا عليك لما صنعت في هذا القيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء

قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومي

قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة

فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا له أعلمه سعد بهم فأتاهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وافضل ثم قال ألا تحبونني يا معشر الأنصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسوله المن والفضل

فقال صلوات الله عليه أما والله لو شتم لقتلتم فلصدقتهم ولصدقتهم أتيتنا مكذبا فصدقتناك ومخذولا فصدركناك وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك أو جدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى رحالكم فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرء من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} قسما وحظا ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتفرقوا

ثم خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الجعرانة معتمرا وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن وأتبع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ببقايا الفيء ولما استعمل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عتابا على مكة رزقه في كل يوم درهما فقام عتاب خطيبا في الناس فقال أيها الناس أجاج الله كبد من جاع على درهم فقد رزقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} درهما كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد

وكانت عمرة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية أو في أول ذي الحجة وحب الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحب عليه وحب عتاب بن أسيد بالمسلمين فيها وهي سنة ثمان وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى رمضان سنة تسع

ولما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من سفره هذا منصرفا عن الطائف كتب بجبر بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد قتل رجلا بمكة ممن كان يهجره ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبير وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول

فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله {صلى

الله عليه وسلم { حين صلى الصبح فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه

فذكر انه قام إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } حين جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } لا يعرفه فقال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به قال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } نعم

قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير فوثب عليه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } دعه عنك فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً

فغضب كعب على الأنصار لما صنع به صاحبه ومدح المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير والقصيدة التي قالها كعب في ذلك وذكر انه أنشدها رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في المسجد

بانت سعاد فقلبي اليوم مبول

متيم عندها لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ برزت

إلا أغن غصيص الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت

كأنه منهل بالراح معلول

شحت بذى شيم من ماء محنية

صاف بأبطح أضحي وهو مشمول

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه

من صوب غادية بيض يعاليل

ويلمها خلة لو أنها صدقت

بوعدها أو لو أن النصح مقبول

لكنها خلة قد سيط من دمها

فجع وولع وإخلاف وتبديل

فما تدوم على حال تكون بها

كما تلون في أثوابها الغول

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً

وما مواعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت

إن الأمان والأحلام تضليل

أمست سعاد بأرض لا تبلغها

إلا العتاق النجيبات المراسيل

ولا يبلغها إلا عذافة

فيها على الأبن إرقال وتبغيل

من كل نضاحة الذفرى إذا عرقت
عرضتها طامس الأعلام مجهول
ضحم مقلدها فعم مقيدها
في خلقها عن بنات القحل تفضيل
حرف أخوها ابوها من مهجنة
وعمها خالها قوداء شليل
كأن أوب ذراعيتها وقد عرقت
وقد تلفع بالقور العساقيل
أوب يدي فاقد شمطاء معولة
قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقبها رعايل
تمشي الغواة بجنبها وقولهم
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله
لا أهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا طريقي لا أبالكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أتى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعلني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن
فيها مواعظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
يرمي ويسمع ما قد أسمع الفيل
لظل ترعد من خوف بوادره
إن لم يكن من رسول الله تنويل
حتى وضعت يميني ما أنازعها

في كف ذي نجمات قوله القيل
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه
وقيل إنك منسوب ومسؤول
من ضيغم بضراء الأرض مخدره
في بطن عثر غيل دونه غيل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
في عصابة من قريش قال قاتلهم
بيطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
ضرب إذا عرد السود التنايل
شم العرائن أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سراويل
بيض سوايف قد شكت لها حلق
كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا في نحورهم
ليس لهم عن حياض الموت تهليل
البيسط

ويروى أن كعبا لما أنشد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيده إلى الخلق أي اسمعوا
تعجبا بقوله

ومن مستجد شعر كعب بن زهير قوله أيضا يمدح النبي {صلى الله عليه وسلم}
تحذي به الناقة الأدماء معتجرا
بالبرد كالبرد جلى ليلة الظلم
وفي عطافيه أو أثناء برده
ما يعلم الله من دين ومن كرم
البيسط

ولما قال كعب في لاميته المقدمة إذا عرد السود التنايل
يريد الأنصار وخص المهاجرين بمدحتهم غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدحهم ويذكر بلاءهم مع
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وموضعهم من اليمن ويقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حضه على

ذلك وقال لما أنشده القصيدة المقدمة لولا ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل فقال كعب هذه الأبيات

من سره كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالح الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهري بأذرع
كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الإبصار
والباعين نفوسهم لنبيهم
للموت يوم تعاقب وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار

(دربو كما دربت ببطن خفية غلب الرقاب من الأسود ضواري

وإذا حللت ليمنعوك إليهم أصبحت عند معاقل الأغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الأفرام علمي كله فيهم لصدقني الذين أماري
قوم إذا خوت الهجوم فإنهم للطارقين النازلين مقاري
في الغر من غسان في جرثومة أعتت محافرها على الخفار
الكامل

وكان عبد الله بن الزبيري السهمي شاعر قريش ولسانها في مناقضة حسان بن ثابت وغيره من شعراء رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} له في ذلك أشعار كثيرة ذكرها ابن إسحاق في مواضعها وأضربنا نحن عنها وعن سائر
أشعار الجاهلية لما فيها من تنقص الإسلام والنيل من أهله فلما كان عام الفتح فر ابن الزبيري إلى نجران فرماه
حسان بن ثابت ببيت واحد ما زاد عليه وهو

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أحد لنيم
الكامل

فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأسلم وقال في ذلك أشعارا منها في أبيات
يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مشبور
الخفيف

وقال أيضا حين أسلم
منع الرقاد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لأمني
فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أو صالها
عيرانة سرح اليدين عشوم
إني لمعتذر إليك من الذي
أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة
سهم وتأمرني بما مخزوم
وأمد أسباب الردي ويقودني
أمر الغواة وأمرهم مشثوم
فاليوم آمن بالنبي محمد
قلبي ومخطيء هذه محروم
مضت العداوة فانقضت أسبابها
ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدائي كلاهما
زلى فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة
نور أغر وخاتم محتوم
أعطاك بعد محبة برهانه
شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق
حق وإنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى
منتقل في الصالحين كريم
فرم علا بنيانه من هاشم
فرع تمكن في النري وأروم
الكامل

غزوة تبوك

وأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة بعد منصرفه عن عمرة الجعرانة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يجوبون المقام قي ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخصوص على الحال من الزمان الذي هم عليه وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يعمد

إليه إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعث الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبطه

فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم انه يريد الروم

فقال {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أحد بني سلمة يا جد هل لك العام في جلد بني الأصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر

فأعرض عنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال قد أذنت لك ففيه نزلت ومنهم من يقول اتذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لحيطه بالكافرين التوبة ٤٩ أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر لتخلفه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والرغبة بنفسه عن نفسه يقول وإن جهنم لمن ورائه

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد

وشكا في الحق وإرجافاً بالرسول فأنزل الله فيهم وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون التوبة ٨٢ ٨١

وبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يشبثون الناس عنه في غزوة تبوك فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم البيت وفعل طلحة فاقترح الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقترح أصحابه فأفلتوا فقال الضحاك في ذلك وكادت وبيت الله نار محمد

يشيط بها الضحاك وابن أيرق

وظلت وقد طبقت كبس سويلم

أنوء على رجلي كسيرا ومرققي

سلام عليكم لا أعود لمثلها

أخاف ومن تشمل به النار يحرق

الطويل

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جد في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش وحض أهل الغني على النفقة والحملان في سبيل الله فحمل رجال من أهل الغني واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض

ثم إن رجلاً من المسلمين توا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وأبو ليلي بن كعب وعمرو بن حمام وهرمي بن عبد الله وعبد الله بن مغفل المزني ويقال عبد الله بن عمرو المزني وعرباض بن سارية القرظي فاستحملوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه

فتولوا وأعينهم كفيض من اللمع حزناً أن لا يجلوا ما ينفقون فذكر أن ابن يامين بن عمير النضري لقي أبا ليلي بن كعب وابن مغفل وهما يبكيان فقال ما يبكيكما قالوا جئنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليحملنا فلم نجد عنده

بجملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه وزودهما شيئا من تمر فخرجا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله وذكر أنهم نفر من بني غفار ثم استتب برسول الله {صلى الله عليه وسلم} سفره وأجمع السير وتخلف عنه نفر من المسلمين عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمر بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم فلما خرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وخلف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استنقلا له وتخففا منه فلما قالوا ذلك أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو نازل بالجرف فقال يا بني الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنتك استثقتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أقلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي

فرجع علي إلى المدينة رضي الله عنه ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على سفره ثم إن أبا خيثمة بعد أن سار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أيما رجع إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الضح والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيا وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل على عريش واحدة منكما حتى ألقى برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فهينا لي زادا ففعلنا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أدركه حين نزل بتبوك

وقد كان أدرك أبا خيثمة في الطريق عمير بن وهب الجمحي يطلب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير إن لي ذنبا فلا عليك أن تخلف عني حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ففعل حتى إذا دنا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كن أبا خيثمة قالوا هو والله أبو خيثمة يا رسول الله فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أولي لك يا أبا خيثمة ثم أخبره خبره فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خيرا ودعا له بخير ويروى أن أبا خيثمة قال في ذلك

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا
أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لحمد
فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما
تركت خضيبا في العريش وصرمة
صفايا كراما بسرهما قد تحمما
وكنت إذا شك المنافق أسمعحت
إلى الدين نفسي شطره حيث يمما
الطويل

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} لا تشربوا من مائها ولا يوضأ منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا
تأكلوا منه شيئا ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له

ففعل الناس ما أمرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج
الآخر في طلب بعير له فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح
حتى طرحته بجبلي طيء فأخبر بذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه
صاحبه ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفى وأما الذي وقع بجبلي طيء فإن طينا أهدته لرسول الله {صلى الله
عليه وسلم} حين قدم المدينة

ولما مر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالحجر سجي ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت
الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم
فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة
فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء

قال محمود بن لبيد لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} حيث سار فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين دعا
فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة
قيل لمحمد هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم قال نعم والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي
عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك

ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها
وعند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عقيبا بدريا وهو عم بني
عمرو بن حزم وكان في رحله زيد بن لصيت القيتاعي وكان منافقا فقال زيد وهو في رحل عمارة وعمارة عند
رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} أليس محمد يزعم انه نبي ويجزركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} وعمارة عنده إن رجلا قال هذا محمد يجزركم أنه نبي ويزعم أنه يجزركم بأمر السماء وهو لا

يدري أين ناقته وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي من شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بما فذهوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنفا عن مقالة قاتل أخبره الله عنه للذي قال زيد بن اللصيت

فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زيد يبا في عنقه ويقول بالعباد الله إن في رحلي لدهية وما أشعر أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحني

فرغم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض لم يزل متهما بشر حتى مات ثم مضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول

دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه حتى قيل يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره

فقال دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتلوم أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ماشيا ونزل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض منازلها فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده فقضى الله سبحانه أن أبا ذر لما أخرجه عثمان رضي الله عنه إلى الربرة وأدركنه بما منيته لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسلائي

وكفناي ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبو ذر صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من العراق عمار فلم يرعهم إلا بالجنزة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطؤها وقام إليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله يكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتوت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه

ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مسيره إلى تبوك وقد كان رهط من المنافقين منهم وداعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف وحليف لبني سلمة من أشجع يقال له محشن بن حمير ويقال محشي يشيرون إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتخسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأننا بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال محشن بن حمير والله لو ددت أبي أفاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا نتفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلتكم هذه

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما بلغنا لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتهم كذ وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأقروا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعتذرون فقال ودیعة بن ثابت ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحماتها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب

فأنزل الله عز وجل فيهم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب التوبة ٦٥ وقال مخش بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي

فكان الذي عفى عنه في هذه الآية مخش بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتله شهيدا لا يعلم مكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر

ولما انتهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأعطى الجزية

وأناه أهل جرباء وأذرح فأعطوا الجزية وكتب لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابا فهو عندهم بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان منهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيبة لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر ثم دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد فبعته إلى أكيدر دومة وهو أكيدر ابن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لخالد إنك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفي ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد

فنزل فأمر بفروسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه قباء ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل قدومه عليه فجعل المسلمون يلمسونه بأيدهم ويتعجبون منه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا

ثم قدم خالد بأكيدر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته فقال رجل من طيء يقال له بجير بن بجرة يذكر قول

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد إنك ستجده يصيد البقر

وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصدق قول رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

تبارك سائق البقرات إني

رأيت الله يهدي كل هادي

فمن يك حائدا عن ذي تبوك

فإننا قد أمرنا بالجهاد

الوافر

فأقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فقال رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} من سبقنا إلى الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه

فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقف عليه فلم ير فيه شيئا

فقال من سبقنا إلى هذا فقبل يا رسول الله فلان وفلان

فقال أو لم أنكم أن تسقوا منه شيئا حتى آتية ثم لعنهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودعا عليهم ثم نزل

فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن

يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إن له حسا كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أحصب ما بين يديه

وما خلفه

ومات في هذه الغزوة من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عبد الله ذو البجادين المزني وإنما سمي ذا

البجادين لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيقون عليه حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره

والبجاد الكساء الغليظ الجافي فهرب منهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما كان قريبا منه شق بجاده

بأثنين فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقبل له ذو البجادين لذلك

فكان عبد الله بن مسعود يحدث قال قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في غزوة

تبوك فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر

وعمر وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات وإذا هم قد

حفروا له ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حفرته وأبو بكر وعمر يد ليانه إليه وهو يقول أدليا إلي أحاكما

فدلياه فلما هياها لشقه قال اللهم إني قد أمسيت راضيا عنه فأرض عنه يقول عبد الله بن مسعود يا ليتني كنت

صاحب الحفرة

وقال أبو رهم الغفاري وكان ممن بايع تحت الشجرة غزوت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غزوة تبوك

فسرت ذات ليلة معه قريبا منه وألقى علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلته عليه السلام

فيفزعني دنوها منه مخافة أن أصيب رجله في الغرز فما استيقظت إلا لقله حسن فقلت يا رسول الله استغفر لي قال

سر

فجعل يسألني عنم تخلف من بني غفار فأخبره به فقال وهو يسألني ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط فحدثته

بتخلفهم قال فما فعل النفر السود الجماد القصار قلت والله ما أعرف هؤلاء منا

قال بلى الذين هم نعم بشبكة شдох فتذكرتهم في بني غفار فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا

حلفاء فينا فقلت يا رسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما منع

أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرء نشيطا في سبيل الله إن أعز أهل علي أن يتخلف عني

المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم

قال ابن إسحاق ثم أقبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار

وكان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتوية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال إني على جناح سفر وحال شغل أو كما قال {صلى الله عليه وسلم}

ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه

فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومع بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلاني فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرماه فخرجا سريعين حتى أتيا بني

سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمن انظري حتى أخرج إليك بنار من أهلي

فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشندان حتى دخلاه وفيه أهله فحرماه وهما وتفرقا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين التوبة ١٠٧ إلى آخر القصة

وقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة وقد كان تخلف عنه من تخلف من المنافقين وأولئك رهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لأصحابه لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة

وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يخلفون له ويعتذرون فصبح عنهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم يعذرهم الله ولا رسوله فاعتزل المسلمون كلام أولئك نفر الثلاثة

فحدث كعب بن مالك قال ما تخلفت عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في غزوة غزاها قط غير أني تخلفت عنه في غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب الله فيها ولا رسوله أحدا تخلف عنها وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنما خرج يريد غير قريش فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العقبه حين تواتقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت غزوة بدر هي أذكر في الناس منها

وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا لي في تلك الغزوة وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل ما يريد غزوة يغزوها إلا وري بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غزو عدو كثير فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا

لذلك أهبتهم وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد والمسلمون من تبع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني بذلك الديوان فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن انه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى

وغزا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس إليها صعر فتجهز رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتجهز المسلمون معه وجعلت أعذو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة فأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد وأصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غاديا والمسلمون معه ولم

أقضى من جهازي شيئاً فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألق بهم فغلوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفرد الغزو فهمت أن أرتحل فأدركهم وليني فعلت فلم افعل وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فطفت فيهم يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بنس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً فسكت رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فلما بلغني أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} توجه قافلاً حضر لي بشي فجعلت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخط رسول الله {صلى الله عليه وسلم} غدا وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي فلما قيل لي إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق فأجمعت أن أصدق

وصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون من الأعراب فجعلوا يلحفون له ويعتذرون وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فيقبل منهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

علايتهم وأيمانهم ويستغفرهم ويكل سرائرهم إلى الله حتى جئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعاله

فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن ابنتك ظهرتك قلت يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلاً ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذبا لترضين عني وليوشكن الله أن يسخط علي ولئن حدثتك اليوم حديثاً صادقاً تجد علي فيه إني لأرجو عقابي من الله فيه ولا والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضي الله فيك فقامت

وثار معي رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بما اعتذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لك فوالله ما زالوا حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا أحد غيري قالوا نعم رجلان قالوا مثل ذلك وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي

فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أسوة حسنة فقامت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي نفسي والأرض فما هي بالأرض التي كنت أعرف

فلبنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا فقعدا في بيوتهما وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمني أحد وآتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا ألغيت نحوه أعرض عني

حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فو الله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أي أحب الله ورسوله فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم

ففاضت عيناني ووثبت فتسورت الحائط

ثم غدوت إلى السوق فبينما أنا أمشي بالسوق إذا نبطي يسأل عني من نبط الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل علي كعب بن مالك فجعل الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان في سرقة من حرير فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيفة فالحق بنا نوسك قلت حين قرأتها وهذا من البلاء أيضا قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك فعمدت بها إلى تور فسجرت به

فأقمنا علي ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأتيني فقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها

وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك فقلت لامرأتي الخقي بأهلك وكوني فيهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالت يا رسول الله إن هلال ابن أمية شيخ كبير ضائع إلا خادم أفكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت يا رسول الله والله ما به من حركة والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ولقد تحوفت على بصره

فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذنه فيها ما أدري ما يقول لي في ذلك إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون من حين نهي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المسلمين عن كلامنا ثم صليت الصبح صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت

علي نفسي وقد كنت ابنتيت خيمة في ظهر سلع فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفي على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر

فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاءني الفرج

قال واذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بتوبة الله علينا حين صلى القجر فذهب الناس يشيروننا وذهب نحو صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم حتى أوفي على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يشيرونني نزع ثوبي فكسوتهما إياه بشارة ووالله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما ثم انطلقت أتيمم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتلقاني الناس يشيرونني بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك

حتى دخلت المسجد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله فحياني
وهنأني ووالله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره
فكان كعب لا ينساها لطلحة

قال كعب فلما سلمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر
عليك منذ يوم ولدتك أمك

قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله قال وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا
استبشر كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه

قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله
قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك

قلت إني ممسك سهمي الذي بخير

وقلت يا رسول الله إن الله قد نجاني بالصدق فإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت

والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذلك
أفضل مما أبلاني والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى يومي هذا وإني
لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي

وأنزل الله تبارك وتعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار

الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريقتهم ثم تاب عليهم إنه بهم لارءوف رحيم وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا
إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (التوبة

١١٧ ١١٩

قال كعب فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هديني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} يومئذ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين
كذبوه شر ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأوهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

التوبة ٩٥ ٩٦

قال وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين حلفوا له
فعدرهم واستغفرهم وأرجأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى فلذلك قال الله
تبارك وتعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر من تخلفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخلفه إيانا وإرجائه
أمرنا عن من حلف له واعتذر إليه فقبل منه

ذكر إسلام تقيف

وقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة من تبوك في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وقد تقيف
وكان من حديثهم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه

قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما يتحدث قومه إنهم قاتلوك
وعرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم
فقال عروة يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم
ويقال من أبصارهم
وكان فيهم كذلك محببا مطاعا

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على عليه له وقد دعاهم إلى الإسلام
وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله فقتيل له ما ترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بما
وشهادة ساقها إلي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل أن يرتحل
عنكم فادفوني معهم

فزعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه
ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ثم إنهم اتتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد
بايعوا وأسلموا فمشى عمرو بن

أمية أخو بني علاج وكان من أدهى العرب إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره وكان قبل مهاجرا له الذي
بينهما شيء ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك أخرج الي فقال عبد ياليل للرسول وملك أعمرو أرسلك إلي
قال نعم وها هوذا واقفا في دارك

قال إن هذا لشيء ما كنت أظنه لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك
فخرج إليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو إنه قد نزل بنا ما ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما
قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحرهم طاقة فانظروا في أمركم
فعند ذلك اتتمرت ثقيف بينها وقال بعضهم لبعض ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع
فانتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجلا كما أرسلوا عروة
فكلموا عبد ياليل وكان سن عروة وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة
فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا

فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو
بن وهب بن معتب وشرحيل بن غيلان بن سلمة بن معتب
ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة

فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود
لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة
يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكانت رعيته نوبا عليهم فلما رآهم ترك
الركاب عند الثقفيين وضرب يشترد يبشر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بقدمهم فلقية أبو بكر الصديق قبل أن
يدخل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره بقدمهم يريدون البيعة والإسلام وان يشترطوا شروطا
ويكتبوا من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

كتابا

فقال أبو بكر رضي الله عنه للمغيرة أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى أكون أنا أحدثه

ففعل المغيرة

فدخل أبو بكر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره بذلك ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يجيئون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ولما قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى يكتبوا كتابهم كتبه خالد بيده وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم وقد كان فيما سألوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى حتى سألوه شهرا واحدا بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرايهم ويكرهون أن يروعا قومهم بدمها حتى يدخلهم الإسلام فأبى عليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها

وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا أو ثلثم بأيهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما كسر أو ثلثكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابا أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سنا فقال أبو بكر لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن

فحدث

عثمان بن أبي العاص قال كان من آخر ما عهد إلي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين بعثني على تقيف أن قال يا عثمان تجاوز في صلاتك وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال ادخل أنت على قومك

وأقام أبو سفيان بماله بذى المذم فلما دخل علاها يضربها بالمعول وقام دونه بنو قومه معتب خشية أن يرمي أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء تقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع

أسلمها الرضاع

لم يحسنوا المصاع

الرجز

فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع وما لها من الذهب والجزع وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قلما على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبل وفد تقيف حين

قتل عروة يريدان فراق ثقيف وان لا يجامعاهم على شيء أبدا
فأسلما فقال لهما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} توليا من شئتما
فقالا نتولى الله ورسوله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخالكما أبا سفيان بن حرب
فقالا وخالنا أبا سفيان

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يقضي عن أبيه عروة ديننا كان عليه من مال الطاغية
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم
فقال له قارب بن الأسود وعن الأسود
يا رسول الله فاقضه

وعروة والأسود أخوان لأب وأم
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الأسود مات مشركا
فقال قارب يا رسول الله لكن تصل مسلما إذا قرابة يعني نفسه إنما الدين علي وإنما أنا الذي أطلب به

فأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية فلما جمع المغيرة ما
لها ذكر أبا سفيان بذلك فقضى منه عنهما
هكذا ذكر ابن إسحاق إسلام أهل الطائف بعقب غزوة تبوك في رمضان من سنة تسع قبل حج أبي بكر بالناس آخر
تلك السنة

وجعل ابن عقبة قدوم عروة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومقتله في قومه وإسلام ثقيف كل ذلك بعد
صدر أبي بكر عن حجه وبين حديثه وحديث ابن إسحاق بعض اختلاف رأيت ذكر حديث ابن عقبة وان كان
أكثره معادا لأجل ذلك الاختلاف ثم اذكر بعده حجة أبي بكر في الموضوع الذي ذكرها فيه ابن إسحاق
قال موسى بن عقبة فلما صدر أبو بكر من حجه بالناس قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} فأسلم ثم استأذن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الرجوع إلى قومه فقال له أبا أخاف أن يقتلوك
قال لو وجدوني نائما ما يقظوني فأذن له فرجع إلى الطائف وقدمها عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى
الإسلام ونصح لهم فاتهموه واعضوه واسمعه من الأذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا اسحر
وسطع الفجر قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} لما بلغه قتله مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه
واقبل بعد قتله وفد من ثقيف بضعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ
وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو اصغر القوم حتى قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة يريدون
الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة واسلم عامة العرب فقال المغيرة بن شعبه يا رسول الله انزل على
قومي اكرمهم بذلك فاني حديث الجرم فيهم

قال لا امتعك أن تكرم قومك ولكن تنزلهم حيث يسمعون القرآن
فانزلهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المسجد وبني لهم خياما لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا خطب لم يذكر نفسه فلما سمعه وفد تقيف قالوا يأمرنا أن نشهد انه رسول الله ولا يشهد به في خطبته فلما بلغه قوهم قال فاني أول من يشهد أني رسول الله وكانوا يعدون على رسول الله كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحاهم لانه اصغرهم فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهاجرة عمد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسأله عن الدين واستقراه القرآن فاختلف إليه عثمان مرارا حتى فقه في الدين وعلم وكان إذا وجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نائما عمد إلى أبي بكر وكان يكتفم ذلك من أصحابه فأعجب ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واحبه فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يدعوهم إلى الإسلام فقال له كنانة بن عبد ياليل هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ثم نرجع إليك فقال نعم إن انتم اقررتم بالإسلام قاضيتكم وألا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم قالوا أرأيت الزنا فإننا قوم نغترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام إن الله يقول ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا الإسراء ٣٢ قالوا فالربا قال والربا قالوا انه اموالنا كلها قال فلکم رءوس أموالکم قال الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا أن كنتم مؤمنين البقرة ٢٧٨ قالوا فالخمر فإنما عصير ارضنا ولا بد لنا منها قال أن الله قد حرمها قال الله يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون المائدة ٩٠ فارتفع القوم فحلا بعضهم إلى بعض وقالوا ويحكم إنا نخاف إن خالفناه يوما كيوم مكة انطلقوا فاعطوه ما سال واجيبوه فأتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا لك ما سالت أرايت الربة ماذا نصنع فيها قال اهدموها قالوا هيهاات لو تعلم الربة أنا نريد هدمها لقتلت اهلنا فقال عمر ويحك يا بن عبد ياليل ما احقك إنما الربة حجر قال أنا لم ناتك يا بن الخطاب ثم قال يا رسول الله قول أنت هدمها فأما نحن فلن نهدمها أبدا قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسا بعث إليكم من يكفيكم هدمها قال كنانة إنذن لنا قبل رسولك ثم ابعث في اثارنا فاني اعلم بقومي فأذن لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأكرمهم وحملهم قالوا يا رسول الله أمر علينا رجل يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقد كان علم سورا من القرآن قبل أن يخرج وقال كنانة لاصحابه أنا اعلمكم بتقيف فاكتموهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمدا سالنا امورا ايناها عليه سألنا أن نهدم اللات ونبطل اموالنا في الربا ونحرم الخمر حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم تقيف يتلقونهم فلما راوهم قد ساروا العنق وقطروا الإبل وتعشوا ثيابهم كهية قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت تقيف بعضهم لبعض ما جاءوكم بخير

فلما دخلوا حصنهم عمدوا لللات فجلسوا عندها واللات بيت كانوا يعبدونه ويسترونه ويهدون له الهدى يضاهون به بيت الله

ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حامية من ثقيف فسألوه ماذا جئتم به قالوا آتينا رجلا فظا غليظا يأخذ من أمره ما شاء قد ظهر بالسيف واداخ العرب ودان له الناس فعرض علينا امورا شدادا هدم اللات وترك الأموال في الربا إلا رعوس أموالكم وحرم الخمر والزنا قالت ثقيف والله لا نقبل هذا أبدا

قال الوفد اصلحوا السلاح وتهيؤوا للقتال ورموا حصنكم فمكنت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد القتال ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به طاقة اداخ العرب كلها فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل وصالحوه عليه

فلما رأى الوفد أنهم قد رعبوا واختاروا الأمن على الخوف وعلى الحرب قالوا لهم إنا قد فرغنا من ذلك قد قاضيناه واسلمنا وأعطانا ما أحببنا واشترطنا ما أردنا وجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم وقد بورك لنا ولكن في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه فقالت ثقيف فلم كتمتمونا هذا الحديث وغمتمونا بذلك أشد الغم قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا مكانهم واستسلموا

فمكثوا أياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أمر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبه فلما قدموا عليهم عمدوا لللات ليهدموها وانكفأت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون أنها تدم ويظنون أنها ستمتع

فقام المغيرة بن شعبه وقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فأخذ الكرز فضرب به ثم أخذ يرتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا أبعده الله المغيرة قد قتلته الربة وفرحوا حين رأوه ساقطا وقالوا من شاء منكم فليقترب ويجهد على هدمها فوالله لا تستطاع أبدا

فوثب المغيرة فقال قبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدبر ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا حجرا حتى سووها بالأرض وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبني الأساس فليخسفن بهم

فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد دعني أحفر أساسها فحفروها حتى أخرجوا ترايما وأخذوا حليها وثيابها فبهتت ثقيف وانصرف الوفد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بحليتها وكسوتها فقسمه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من يومه وحمد الله على نصر نبيه وإعزاز دينه

ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع وتوجيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب بعده بسورة براءة

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم ونزلت بعد بعثته إياه براءة في نقض ما بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف على أحد في الشهر الحرام وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين أهل الشرك وكان بين ذلك عهود خصائص بينه وبين قبائل العرب إلى آجال مسماة فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عن تبوك وفي قول من قال منهم فكشف الله سرائر قوم كانوا يستخفون بغير ما يظهرون فقيل لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو بعثت بما إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي

ثم دعا علي بن أبي طالب فقال أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عهد فهو إلى مدته فخرج علي على ناقدة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العصابة حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أم مأمور قال بل مأور ومضياً

فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عهد إلى مدة فهو له إلى مدته

فلم يحجج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والمعثرة لما كشفت من سرائر الناس وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وكان جميع ما غزا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنفسه سبعا وعشرين غزاة غزوة ودان وهي غزوة الالباء ثم غزوة بواط من ناحية رضوي غزوة العشيرة من بطن يبيع ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش ثم غزوة بني سليم حين بلغ الكدر ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ثم غزوة غطفان إلى نجد وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة بحران معدن بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدته المشركون ثم غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة الفتح ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل {صلى الله عليه وسلم} في تسع غزوات منها بدر وأحد والخندق وقريظة وبني المصطلق وخبير والفتح وحنين والطائف

وهذا الترتيب عن ابن إسحاق وخالفه ابن عقبة في بعضه

السرايا

وكانت بعوث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسراياه ثمانية وثلاثين من بين بعث وسرية غزوة عبيدة بن

الحارث أسفل ثنية المرة وغزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية العيص وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة

وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار وغزوة عبد الله بن جحش نخلة وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة من طريق العراق وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر وغزوة علي بن أبي طالب اليمن وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث الكديد فأصاب بني الملوحة

وكان من حديثها أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعثه في سرية وأمره أن يشن الغارة على بني الملوحة وهم بالكديد

قال جندب بن مكيث الجهني وكان مع غالب في سرية هذه فخرجنا حتى إذا كان بقديد لقينا الحارث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثي فأخذناه فقال إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلنا له إن تك مسلماً فلن يضرك رباط ليلة وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه رباطاً ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا وقلنا له إن عازك فاحترز رأسه

قال ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكمننا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيثة لهم فخرجت حتى آتيت تلامشراً على الحاضر فأسندت فيه فعلمت في رأسه فنظرت إلى الحاضر فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لامرأته إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت فقالت لا والله ما أفقد شيئاً قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جنبي فأنزعه وأضعه وثبت مكاني

ثم أرسل الآخر فوضعه في منكي فأنزعه وأضعه وثبت مكاني فقال لامرأته لو كان ربيثة تحرك لقد خالطه سهمي لا أبالك إذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا يمضغهما الكلاب علي ثم دخل

وامهلتناهم حتى إذا اطمانوا وناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا بهم لا قبل لنا به ومضينا بالنعم ومررنا بابين البرهاء وصاحبه فاحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر على أن يجاوزه فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نعمهم وما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا حتى فتناهم فقدمنا بها على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وغزوة علي بن أبي طالب بن عبد الله بن سعد من أهل فدك وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بني سليم فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً

وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد قطنا ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قتل فيها مسعود بن عروة وغزوة محمد بن مسلمة القرطاء من هوازن وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك وغزوته أيضاً

بناحية خيبر وغزوة زيد بن حارثة الجموح من أرض بني سليم وغزوته أيضا جذام من أرض خشين ويقال من أرض
حسمى

وكان من حديثها كما حدث رجال من جذام كانوا علماء بها أن رفاعه بن زيد الجذامي لما قدم على قومه من عند
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي
من عند قيصر

صاحب الروم حين بعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعه تجارة له حتى إذا كان بواد من أوديتهم أغار عليه
الهنيد بن عوص الضليعي بطن منهم وابنه عوص فأصابا كل شيء كان معه فبلغ ذلك قوما من بني الضبيب رهط
رفاعة ممن كان أسلم وأجاب فنفروا إلى الهنيد وابنه فاستنقذوا ما كان في أيديهما فردة على دحية فخرج دحية حتى
قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره خبره واستسقاها دم الهنيد وابنه فبعث رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} زيد بن حارثة وبعث معه جيشا فأغاروا فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين
معهما فلما سمعت بذلك بنو الضبيب ركب نفر منهم فيهم حسان بن ملة فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان
إنا قوم مسلمون

فقال له زيد فاقراً أم الكتاب

فقراها حسان

فقال زيد بن حارثة نادوا في الجيش إن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر

وإذا أخت حسان في الأسارى فقال له زيد خذها

فقالت أم القرز الصلعية أتطلقون بيناتكم وتذرون أمهاتكم فقال أحد بني الخصيب إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم
سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فأخبر بها زيداً فأمر بأخت حسان وقد كانت أخذت بحقوى أخيها ففكت يدها من
حقويه وقال لها اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه

فرجعوا ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه فأمسوا في أهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا إلى رفاعه
بن زيد فصبحوه فقال له حسان بن ملة إنك جالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت
به فدعا رفاعه بجمل له فشد عليه رحله وهو يقول

هل أنت حي أو تنادي حيا

الرجز

ثم غدا وهم معه مبكرين فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال فلما دخلوا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ورآهم ألاح إليهم بيده أن تعالوا

من وراء الناس فلما

استفتح رفاعه بن زيد المنطق قال رجل من الناس يا رسول الله إن هؤلاء قوم سحرة

فرددتها مرتين

فقال رفاعه رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا إلا خيرا

ثم دفع رفاعه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابه الذي كان كتب له فقال دونك يا رسول الله قديما كتابه
حديثنا غدره

فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } اقرأه يا غلام واعلم
فلما قرأ كتابه استخبرهم فأخبره فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرات فقال
رفاعة أنت أعلم يا رسول الله لا نحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما
فقال أبو زيد بن عمرو أحد من قدم مع رفاعة أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه
فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } صدق أبو زيد اركب معهم يا علي
فقال له علي يا رسول الله إن ريدا لن يطيعني
قال فخذ سيفي هذا
فأعطاه سيفه

فخرجوا فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقه من إبلهم فأنزلوه عنها فقال يا علي ما شأنك فقال ما لهم عرفوه
فأخذوه

ثم ساروا فلقوا الجيش فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا ينتزعون لبيد المرأة من تحت الرحل
وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق وغزوته أيضا وادي القرى لقي فيه بني فزارة
فأصيب بها ناس من أصحابه وارتت زيد من بين القتلى فلما قدم زيد إلى أن لا يمسه رأسه غسل من جنابة حتى يغزو
بني فزارة فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي
القرى وأصاب فيهم

وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام ويقال ابن رازم وكان من حديثه انه
كان بخيبر يجمع غطفان لغزوة رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فبعث إليه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عبد
الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بني سلمة فلما قدموا عليه كلموه وقرّبوا له وقالوا
له إنك إن قدمت على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } استعملك وأكرمك

فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر
على ستة أميال ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد
السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش في يده من شوحت فأماه ومال كل رجل من
أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلا واحدا أفلت على رجله
فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذ

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق
وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفیان بن نبيح بعثه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إليه وهو بنخلة أو بعرة
يجمع لرسول الله { صلى الله عليه وسلم } ليغزوه فقتله

قال عبد الله بن أنيس دعاني رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال لي إنه بلغني أن ابن سفیان بن نبيح الهذلي يجمع
لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرة فأتته فاقنته

فقلت يا رسول الله من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة فصليت
وأنا أمشي نحوه وأومئ برأسي

فلما انتهيت إليه قال من الرجل قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك

قال أجل أنا في ذلك

قال فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت طعانه منكمبات عليه فلما قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرآني قال أفلح الوجه قلت قد قتلته يا رسول الله قال صدقت

ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا فقال أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه لعصا قلت أعطانيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأمرني أن أمسكها عندي قالوا أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك فرجعت فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا قال آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتحصرون يومئذ فقرئها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فوضعت في كفنه ثم دفنا جميعا وقال عبد الله في ذلك تركت ابن ثور كالحوار وحوله

نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفي وخلفه
بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم لهم الدارعين كأنه
شهاب غضا من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه
أنا ابن أنيس فارسا غير قعد
وقلت له خذها بضربة ماجد
حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر
سبقت إليه باللسان وباليد
الطويل

ومن البعوث أيضا بعث مؤتة حيث أصيب جعفر بن أبي طالب وأصحابه وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاق من أرض الشام أصيب بها هو وأصحابه جميعا وغزوة عينة بن حصن بن العنبر من تميم وكان من حديثهم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعثه إليهم فأغار عليهم وأصاب منهم أناسا وسي منهم أناسا

وقالت عائشة لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا رسول الله إن علي رقية من ولد إسماعيل قال هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانا فتعتقيه فلما قدم بسبيهم ركب فيهم وفد من بني تميم منهم ربيعة بن رفيع وسيرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ووردان بن محرز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والأقرع بن حابس وفراس بن حابس فكلموا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيهم فأعتق بعضا وأدى بعضا وذلك هو الذي عنى القرزدي بقوله وعند رسول الله قام ابن حابس

بخطة سوار إلى الجند حازم
له أطلق الأسرى التي في حباله
مغللة أعناقها والشكائم
كفى أمهات الخالفين عليهم
غلاء المفادي أو سهام المقاسم
الطويل

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي أرض بني مرة وفيها قتل أسامة بن زيد حليفا لهم يقال له مرداس بن نهيك بن
الحرقة من جهينة

قال أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح قال أشهد أن لا إله إلا الله
فلم ننزع عنه حتى قتلناه
هكذا ذكر ابن إسحاق في حديثه

وخرج مسلم في صحيحه عن أسامة بن زيد قال فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك
النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال يا أسامة اقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قلت يا رسول الله إنما كان متعوذا

فقال اقتلته بعدما قال لا إله إلا الله فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم وفي بعض
طرق مسلم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لأسامة لم تقتله قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل
فلانا وفلانا وفلانا وسمى له نفرا وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله
قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اقتلته قال نعم

قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال يا رسول الله استغفر لي قال وكيف تصنع بلا إله إلا الله
إذا جاءت يوم القيامة فجعل لا يزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة
وفي حديث ابن إسحاق أن أسامة قال أنظرني يا رسول الله إني أعاهد الله أن لا اقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا
وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة وكان من

حديثه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعثه يستنفر العرب إلى الشام وذلك أن أم أبيه العاص بن وائل كانت
امراة من بلي فبعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليهم يستألفهم لذلك حتى إذا كان على ماء بأرض جذام
يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل خاف فبعث إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليه
وسلم {يستمدده فبعث إليه أبا عبيده بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لأبي عبيده حين
وجهه لا تختلفا فخرج أبو عبيده حتى إذا قدم عليه قال له عمرو وإنما جئت مددا لي قال أبو عبيده لا ولكني علي ما
أنا عليه وأنت علي ما أنت عليه

فقال له عمرو بل أنت مدد لي

فقال له أبو عبيده وكان رجلا لنا هينا سهلا عليه أمر الدنيا يا عمرو أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لي

لا تختلفا وانك أن عصيتني اطعنك

قال فإني الأمير عليك وأنت مدد لي

قال فدوئك

فصلى عمرو بالناس

وحدث رافع بن أبي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة قال كنت امرءا نصرانيا فلما اسلمت خرجت في تلك الغزاة يعني غزوة ذات السلاسل فقلت والله لا اختارن لنفسى صاحبا فصحبت أبا بكر فكنيت معه في رحلة فكانت عليه عبادة له فذكية فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ثم شكها عليه بخلال له وذلك الذي يقول أهل نجد حين ارتلوا كفارا بعد موت النبي {صلى الله عليه وسلم} ومبايعة الناس بعده لأبي بكر الخن نبايع ذا العبادة جهلوا يومئذ أن فضل الكمال ليس في ظاهر البهاء وإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء

قال رافع فلما دونونا من المدينة قافلين قلت يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعني الله بك فانصحني وعلمي قال لو لم تسلني ذلك لفعلت امرك أن توحده الله لا تشرك به شيئا وإن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتغتسل من الجنباة ولا تتأمرن على رجلين من المسلمين أبدا

قال قلت يا أبا بكر أما والله فإني أرجو أن لا اشرك بالله أبدا وأما الصلاة فلن اتركها أبدا أن شاء الله وأما الزكاة فإن يكن لي مال أوديها أن شاء الله وأما الحج فإن استطعت أحج إن شاء الله وأما الجنباه فساغتسل منها أن شاء الله

وأما الاماره فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعند الناس إلا بما فلم تنهى عنها قال إنما استجهدتني لأجهد ذلك وساخبرك عن ذلك أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} بهذا الدين فجاهد فيه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفي ذمته فيأيك أن تحفر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرتة فإن أحدكم يخفر في جاره فيظل ناتما عضله غضبا لجاره إن اصيب له شاة أو بعير فالله اشد غضبا لجاره قال ففارقته على ذلك فلما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأمر أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت يا أبا بكر ألم تكن نهيتهني عن أن اتامر على رجلين من المسلمين قال بلى وأنا الآن اهاك عن ذلك فقلت له فما حملك على أن تلي أمر الناس قال لا أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد الفرقة وفي هذه الغزاة أيضا صحب عوف بن مالك الاشجعي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها وهم لا يقدررون على أن يعضوها فقلت اتعطوني منها عشيرا على أن اقسماها بينكم قالوا نعم فاخذت الشفرتين فجزاها وأخذت منها جزء فحملته إلى اصحابي فاطبخناه فاكلناه فقال أبو بكر وعمر أنى لك هذا اللحم يعوف فآخبرتهما خبره فقالا والله ما أحسنت حين اطعمتنا هذا ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما من ذلك فلما قفل الناس كنت أول قادم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجنته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

قال اعوف بن مالك قلت نعم باي أنت وامي يا رسول الله قال اصاحب الجزور ولم يزدني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على ذلك وغزوة ابن أبي حدرود واصحابه بطن اضم وكانت قبل الفتح قال عبد الله بن أبي حدرود بعثنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى اضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومسلم بن جثامة فخرجنا حتى إذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن

الاضبط الاشجعي على فعود له معه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الإسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينهما واخذ بعيره ومتيعه

فلما قدمنا على رسول الله واخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا (٩٤) النساء إلى آخر الآية

وعن ضميرة بن سعد السلمي عن أبيه وكان شهد حينما قال صلى بنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين فقام إليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان في عامر بن الاضبط عيينة يطلب بدمه

وهو يومئذ رئيس غطفان والاقرع يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندق فتداولوا الخصومة عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونحن نسمع فسمعنا عيينة يقول والله يا رسول الله لا ادعه حتى اذيق نساءه من الحر مثل ما اذاق نسائي ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول بل تاخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا وهو يابى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قوله هذا فقبلوا الدية ثم قالوا أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلة له قد كان تهاياً فيها للقتل حتى جلس بين يدي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له ما اسمك فقال أنا محلم بن جثامة فرفع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يديه ثم قال اللهم لا تغفر لحلم بن جثامة ثلاثا فقام يتلقى دمه بفضل رداءه قال فأما نحن فنقول فيما بيننا أنا لرجو أن يكون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد استغفر له واما ما ظهر من رسول الله فهذا

وذكر سالم أبو النصر انه حدث أن عيينة بن حصن وقيسا لم يقبلوا الدية حتى خلاهم الاقرع بن حابس وقال يا معشر قيس منعم رسول الله قتيلا يستصلح به الناس افامتم أن يلعنكم رسول الله فيلعنكم الله بلعنته أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه والله الذي نفس الاقرع بيده لتسلمته إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فليصنع فيه ما أراد أو لآتين بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله لقتل صاحبكم كافرا ما صلى قط فلا تظن دمه

فقبلوا الدية

وفي حديث عن الحسن البصري قال والله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض والذي نفس الحسن بيده ثم عادوا له فلفظته ثم عادوا له فلفظته

فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شأنه فقال والله أن الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم بما اراكم منه

وغزوة ابن أبي حدرد الاسلامي أيضا الغابة قال تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استعينه على نكاحي فقال وكم اصدقت قلت مائتي درهم قال سبحان الله لو كنتم تاخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم والله ما عندي ما اعينك به

قال فلبثت أياما واقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من بني جشم حتى ينزل بقومه ومن معه بالغابه يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان ذا اسم في جشم وشرف فدعاني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورجلين معي من المسلمين فقال اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تاتوا منه بخبر وعلم قال وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال تبلغوا عليها واعتقبوها

قال فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عشيئمة مع غروب الشمس كمنت في ناحية

وامرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في ناحية العسكر فكبرا وشدوا معي فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيئا وقد غشنا الليل حتى ذهب فحمة العشاء وكان لهم راع سرح في ذلك البلد فابطأ عليهم حتى تخوفوا عليه فقام صاحبهم ذلك فاخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال والله لا تبعن اثر راعينا هذا ولقد أصابه شر فقال نفر من معه والله لا تذهب أنت نحن نكفيك قال والله لا ينهب إلا أنا قالوا فنحن معك قال والله لا يتبعني أحد منكم وخرج حتى مر بي فلما أمكنتني شحنته بسهم فوضعت في فؤاده فوالله ما تكلم

ووثبت إليه فاحتزرت رأسه وشدت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه عندك عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجئت برأسه احمله معي فأعاني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي فجمعت إلي أهلي وغزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف قال عطاء بن أبي رباح سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم فقال عبد الله سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم ثم ذكر مجلسا شاهده من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر فيه عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعته عليها

قال فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرايس سوداء فأدناه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منه ثم نقضها ثم عمه بها وأرسل من خلفه أربع اصابع أو نحوها من ذلك ثم قال هكذا يا بن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على نفسه ثم قال خذها يا بن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدنا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء قال ابن هشام فخرج إلى دومة الجندل

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوهم إياه حتى صار إلى أن يعده لهم عددا حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمره فقسمها يوما فنقصت تمره عن رجل فوجد فقدها ذلك اليوم قال بعضهم فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصينا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعها على طريقة ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فجلس عليه فخرج من تحتها وما مست رأسه فلما قدمنا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أخبرناه خبرها وسألناه عن أكلنا إياها فقال رزق رزقكموه الله وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خبيب وأصحابه إلى مكة وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري فخرجا حتى قدما مكة وحسبا جملتهما بشعب من شعاب

يأجج ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمر و لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفئتهم فقال كلا إن شاء الله

قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فو الله إنا لمشي بمكة إذ نظر الي رجل من أهل مكة فعرفني فقال عمرو بن أمية والله إن قدمها إلا لشر

فقلت لصاحبي النجاء

فخرجنا نشتد حتى أصدنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى إذا علونا الجبل ينسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا وقد أخذنا حجارة فرضناها دوننا

فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ويحتلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت إن رأنا صاح بنا فأخذنا فقتلنا

قال ومعني خنجر قد أعددت له لأبي سفيان فأخرج إليه فأضربه على ثديه وصاح صيحة أسمع أهل مكة وأرجع فأدخل مكاني

وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك فقال عمرو بن أمية وغلبيه الموت فمات مكانه ولم يدل على مكاننا فاحتلموه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاء

فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب ابن عدي فقال أحدهم والله ما رأيت كالبيلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية فلما حاذى عمرو الخشبة شد عليها فاحتلمها

وخرج هو وصاحبه شدا وخرجوا وراءه حتى أتى جرفا بمسط يأجج فرمى بالخشبة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه

قال عمرو بن أمية وقلت لصاحبي النجاء حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه فإني شاغل عنك القوم وكان الأنصاري لا رجلة له

قال ومضيت حتى اخرج على ضجنان ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفا فبينما أنا فيه دخل علي شيخ من بني الدليل أعور في غنيمة فقال من الرجل فقلت من بني بكر فمن أنت قال من بني بكر

قلت مرحبا فاضطجع

ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم ما دمت حيا

ولا دان لدين المسلمين

فقلت في نفسي ستعلم

فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم

ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج ثم سلكت ركوبه حتى إذا هبطت النقيع إذا رجالان من قريش من المشركين

كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسسان فقلت استأسرا

فأبيا فأرمني أحدهما في بسهم فأقتله واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سبيا من أهل ميناة وهي السواحل وفيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم

يعني بين الأمهات والأولاد فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم يبكون فقال ما لهم فقيل يا رسول الله

فرق بينهم فقال لا تبعوهم إلا جميعا
وغزوة سالم بن عمير أبا عفك أحد بني عمرو بن عوف وكان نجم نفاقه حين قتل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
الحارث بن سويد بن صامت فقال
لقد عشت دهرا وما إن أرى
من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهدا وأوفى لمن
يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قبيلة في جمعهم
تهد الجبال ولم تخضعا
فصدعهم راكب جاءهم
حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم
أو الملك تابعتم تبعا
الطويل

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من لي بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف وهو أحد
البكائين فقتله فقالت أمامة المريدية في ذلك
تكذب دين الله والمرء أحمدا
لعمري الذي أمناك بئس الذي يمني
حباك حنيف آخر الليل طعنة
أبا عفك خذها على كبر السن
الطويل

وغزوة عمير بن عدي الخطمي وهو الذي يدعي القارئ عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد وكانت تحت رجل
من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد فلما قتل أبو عفك نافقت فقالت تعيب الإسلام وأهله وتونب الأنصار في
اتباعهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
أطعتم أتاوي من غيركم
فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الردوس
كما يرتجي مرق المنضج
إلا أنف يبتغي غرة
فيقطع من أمل المرتجي
المتقارب

فلما بلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إلا أحد لي من ابنة مروان فسمع ذلك من قوله عمير بن
عدي فلما أمسى من تلك الليلة سما عليها في بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا

رسول الله إني قد قتلتها فقال نصرت الله ورسوله يا عمير فقال هل علي شيء من شأنها يا رسول الله فقال لا ينتطح فيها عنزان

فرجع عمير إلى قومه وبنو خطمة يومئذ كثير فوجههم في شأن بنت مروان ولها بنون خمسة رجال

فقال يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان فكيديني جميعا ثم لا تنظرون فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم ويومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام

والسريرة التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة وذلك أن خيلا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرجت فأخذت رجلا من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا إيساره ورجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أهله

فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلقحته أن يغدي عليه بها ويراح

فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقول أسلم يا ثمامة وفي رواية ما تقول يا ثمامة فيقول يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكرك وإن ترد الفداء فسل تعط منه ما شئت فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال النبي {صلى الله عليه وسلم} يوما أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن ظهوره ثم أقبل فبايع النبي {صلى الله عليه وسلم} على الإسلام فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم ينل منه إلا قليلا وباللحقة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مم تعجبون من رجل أكل في أول النهار في معي كافر وأكل آخر النهار في معي مسلم إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معي واحد وقال ثمامة حين أسلم لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلي فأصبح وهو أحب الوجوه إلي ولقد كان دينك أبغض الدين إلي فأصبح وهو أحب الاديان إلي ولقد كان بلدك أبغض البلاد إلي فأصبح وهو أحب البلاد إلي

ثم قال يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فأذن لي يا رسول الله

فأذن له فخرج معتمرا فلما قدم مكة قالوا صبأت يا ثمامة قال لا ولكني اتبعت خير الدين دين محمد ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا فكتبوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنك تأمر بصلة الرحم وإنك قد قطعت أرحامنا

فكتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن خل بين قومي وبين ميرتهم ففعل

ويقال إنه لما كان ببطن مكة في عمرته لبي فكان أول من دخل مكة يليه فأخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا وهموا بقتله ثم خلوه لمكان حاجتهم إليه والى بلده فقال بعض بني حنيفة

ومنا الذي لى بمكة معلنا

برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

الطويل

وبعث علقمة بن مجزز المدلجي لما قتل وقاص بن مجزز أخوه يوم ذي قرد وسأل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يبعثه في آثار القوم ليدرك ثأره فيهم فبعثه في نفر من المسلمين

قال أبو سعيد الخدري وأنا فيهم حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكانت فيه دعابة فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم أليس لي عليكم السمع والطاعة قالوا بلى

قال فما أمركم بشيء إلا فعلتموه قالوا نعم

قال فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توائتتم في هذه النار

فقام بعض القوم يمتجيز حتى ظن أنهم واثبون فيها

فقال لهم اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم

فذكر ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه

ويقال إن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا

وبعث كرز بن جابر

وذلك أن نفرا من قيس كبة من بجيلة قدموا على

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاستوبأوا المدينة وطلحوا وكانت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقاح ترعى ناحية الجماء يرعاها عبد له يقال له يسار كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصابه في غزوة بني محارب وبني ثعلبة فقال لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو خرجتم إلى اللقاح فشربتهم من ألبانها وأبوالها فخرجوا إليها فلما صحوا وانطوت بطونهم عكنا عدوا على راعي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه واستاقوا اللقاح فبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في آثارهم كرزاً فلحقهم فأتي بهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مرجعه من غزوة ذي قرد ففقطع أيديهم وسمل أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا

وغزوة علي بن أبي طالب اليمن غزاها مرتين

وقال أبو عمر المدني بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب إلى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب

ثم بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء

والداروم من أرض فلسطين وهو آخر بعث أمر به رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد من رحمته وكرامته فلم ينفذ بعث أسامة إلا بعد وفاته صلوات الله عليه

ورحمته وبركاته

وسياقي ذكر ذلك مستوفي إن شاء الله

فهذه مغازي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبعوثه وسراياه التي أعز الله بها الدين ودوخ بها الكافرين وشد أزره فيها بمن اختاره لصحبته ونصرته من الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم أجمعين وتلك أيام الله التي يجب بها التذكر والتذكير ويتأكد شكر الله سبحانه على ما يسرته منها المقادير

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه وتروي لابنه عبد الرحمن

ألستم خير معد كلها نفرا

ومعشرا إن هم عموا وإن حصلوا

قوم هم شهدوا بدرا بأجمعهم

مع الرسول فما آلوا وما خذلوا

وبابعوه فلم ينكت به أحد

منهم ولم يك في إيمانهم دخل)

ويوم صبحهم في الشعب من أحد ضرب رصين كحجر النار مشتعلا

ويوم ذي قرد يوم استثار بهم على الجياد فما خاموا وما نكلوا

وذا العشرة جاسوها بخيلهم مع الرسول عليها البيض والأسل

ويوم ودان أجلوا أهله رقصا بالجيل حتى فمانا الحزن والجيل

وليلة طلبوا فيها عدوهم لله والله يجزيهم بما عملوا

وغزوة يوم نجد ثم كان لهم مع الرسول بها الأسلاب والنفل

وليلة بجنين جالدوا معه فيها يعلمهم بالحرب إذا نهلوا

وغزوة القاع فرقنا العدو به كما تفرق دون المشرب الرسل

ويوم بويج كانوا أهل بيعته على الجلال فأسوه وما عدلوا

وغزوة الفتح كانوا في سرية مرابطين فما طاشوا وما عجلوا

ويوم خيبر كانوا في كتيبه يمشون كلهم مستبسل بطل

بالبيض ترعش في الأيمان عارية تعوج في الضرب أحيانا وتعندل

ويوم سار رسول الله محسبا إلى تبوك وهم راياته الأول

وساسة الحرب إن حرب بدت لهم حتى بدا لهم الإقبال فالقفل

أولئك القوم أنصار النبي وهم قومي أصير إليهم حين أتصل

ماتوا كراما ولم تنكت عهودهم وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا

البيسط

وقال حسان أيضا

وكنا ملوك الناس قبل محمد

فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

وأكرمنا الله الذي ليس غيره

إله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الإله والرسول ودينه
وألبسناه اسما مضى ماله مثل

أولئك قومي خير قوم بأسرهم
فما كان من خير فقومي له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى
وليس عليهم دون معروفهم قفل
إذا اختبطوا لم يفحشوا في نديهم
وليس على سؤاظم عندهم بخل
وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا
فحربهم حنف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعلياء بيته
له ما توى فينا الكرامة والبذل
وحاملهم موف بكل جمالة
تحمل لا غرم عليه ولا خذل
وقاتلهم بالحق إن قال قائل
وحلمهم عود وحكمهم عدل
ومنا أمير المسلمين حياته
ومن غسلته من جنابته الرسل
الطويل

وقال حسان أيضا من قصيدة له أولها
وقومي أولئك إن تسألي
كرام إذا الضيف يوما ألم
عظام القدور لأيسارهم
يكبون فيها المسن السنم
يواسون جارهم في الغنى
ويحمون مولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكا بأرضيهم
يبادون غضبا بأمر غشم
ملوكا على الناس لم يملكوا
من الدهر يوما كحل القسم
ملوكا إذا غشموا في البلاد
لا ينكلون ولكن قدم

فأبنا بساداتهم والنساء
وأولادهم فيهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم
وكننا ملوكا بما لم نرم
فلما أتانا الرسول الرشيد
بالحق والنور بعد الظلم
فقلنا صدقت رسول المليك
هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد
الإله أرسلت نورا بدين قيم
فإنا وأولادنا جنة
نقيك وفي مالنا فاحتكم
فنحن أولئك إن كذبوك
فناد نداء ولا تحتشم
وناد بما كنت أخفيته
نداء جهارا ولا تكتتم
فسار الغواة بأسيافهم
إليه يظنون أن يحترم
فقمنا إليهم بأسيافنا
نجالد عنه بغاة الأمم
بكل صقيل له ميعة
رقيق الذباب عضوض خنم
إذا ما يصادف صم العظام
لم ينب عنها ولم ينثلم
فذلك ما ورثنا القروم
مجدا تليدا وعزا أشم
إذا مر نسل كفى نسله
وغادر نسلا إذا ما انقصم
فما إن من الناس إلا لنا
عليه وإن خاس فضل النعم
المتقارب

ذكر الوفود على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ملخصا من كتاب ابن إسحاق والواقدي وغيرهما

وما زال آحاد الوفدين وأفذاذ الوفود من العرب يغدون على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منذ أظهر الله دينه وقهر أعداءه

ولكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكة ومعظمه في سنة تسع ولذلك كانت تسمى سنة الوفود وذلك أن العرب كانت تربص بالإسلام ما يكون من قريش فيه إذ هم الذين كانوا نصبوا الحرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخلافه وكانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل وقادة العرب لا ينكر لهم ذلك ولا ينازعون فيه

فلما افتتح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحربه ولا عداوته فدخلوا في دين الله أفواجا يضربون إليه من كل وجه يقول الله عز وجل لنبية {صلى الله عليه وسلم} إذا جاء نصر الله والفتح سورة النصر أي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا جماعات جماعات فسبح بحمد ربك أي فاحمد الله على ما ظهر من دينك واستغفروه إنه كان توابا إشارة إلى انقضاء أجله واقتراب لحاقه برحمة ربه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

النساء ٦٩

كذلك يقول عبد الله بن عباس وقد سأله عمر بن الخطاب عن هذه السورة فلما أجابه بنحو هذا المعنى قال له عمر رضي الله عنه ما أعلم منها إلا ما تعلم فقدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفود العرب فمن ذلك وفد بني تميم

قدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي في أشرف من قومه منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهمم والحئات بن يزيد ونعيم بن يزيد وقيس بن الحارث وقيس بن عاصم في وفد عظيم من بني تميم

فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمد فأذى ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من صياحهم وإياهم عنى الله سبحانه بقوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الحجرات ٤ فخرج إليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا يا محمد جئناك نفاخر بك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال

الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعزة أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برعوس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك أقول هذا لأن تآتوننا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا

ثم جلس

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لثابت بن قيس بن شماس أخي بني الحارث بن الخزرج قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت فقال

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه حديثا وأفضله حسبا فأنزل

عليه كتابه وأتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به فأمن برسول الله {صلى الله عليه وسلم} المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جهلناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا

أقول قولي هذا واستغفر اللهي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم

فقام الزبيرقان بن بدر فقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا

منا الملوكة وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العز يتبع

ونحن يطعم عند القحط مطعنا

من الشواء إذا لم يؤنس القزح

بما ترى الناس تأتينا سراهم

من كل أرض هوأنا ثم متع

فننحر الكوم عبطا في أرومتنا

للنازلين إذا ما أنزلوا شيع

فلا ترانا إلى حي نفاخرهم

إلا استفادوا وكانوا الرأس يقطع

فمن يفاخرنا في ذلك نعرفه

فيرجع القوم والأخبار تستمع

إنا أبينا وما يأتي لنا أحد

إنا كذلك عند القمحر نرتفع

البسيط

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد استدعى حسان بن ثابت ليحجب شاعر بني تميم قال حسان فخرجت

إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنا أقول

منعنا رسول الله حل وسطنا

على أنف راض من معد وراغم

منعناه لما حل بين بيوتنا

بأسيافنا من كل باغ وظلم

ببيت حريد عزة وثراؤه

بجابية الجولان وسط الأعاجم

هل المجد إلا السؤدد العود والندى

وجاه الملوك واحتمال العظام

الطويل

فلما فرغ الزبيرقان قال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قم يا حسان فأجب الرجل

فقال حسان

إن الذوائب من فھر وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بهم كل من كانت سريرته

تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة

إن الخلاق فاعلم شرها البدع

إن كان في الناس سابقون بعدهم

فكل سبق لأذن سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوھت أكفهم

عند الدفاع ولا يوهون ما - رقعوا

إن سابقوا الناس يوما فاز سبقتهم

أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا

أعفة ذكرت في الوحي عفتهم

لا يطمعون ولا يردبهم طمع

لا يتخلون على جار بفضلهم

ولا يمسه من مطمع طبع

إذا نصينا لحي لم ندب لهم

كما يدب إلى الوحشية الذرع

نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبيها

إذا الزعانف من أظفارها خشعوا

لا يفخرون إذا نالوا عدوهم

وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع

كأنهم في الوغى والموت مكتع

أسد بجلبة في أرساغها فدع

خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا

ولا يكن همك الأمر الذي منعوا

فإن في حربهم فاترك عدوتهم

شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
إذا تفاوتت الالهواء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يوازره
في ما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم
إن جد بالناس جد القول أو شمع
البسيط

وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في وفد بني تميم قام فقال
أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
إذا اختلفوا عند اختصار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطن
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا
ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع في كل غارة
نغير بنجد أو بأرض الأعاجم
الطويل

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال
هل المجد إلا السؤدد العود والندى
وجاه الملوك واحتمال العظام
نصرنا وآوينا النبي محمدا
على أنف راض من معد وراغم
بحي حريد أصله وثرأوه
بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا
بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بيننا دونه وبناتنا
وطبنا له نفسا بقيء المغام
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا
على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها

ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم
لنا حول ما بين ظنر وخادم
فإن كنتم جتتم لحقن دما نكم
وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم
الطويل

قال ابن إسحاق فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من
خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا
فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأحسن جوائزهم
وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم وكان أصغرهم سنا فأعطاه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
مثل ما أعطى القوم
وقيس بن عاصم هو الذي ذكره له ذكرا أزرى به فيه فكان بينهما ما هو معلوم
وفد بني عامر

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأريد بن قيس وجبار بن سلمى
وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم
فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه يا عامر
إن الناس قد أسلموا فأسلم
قال والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لأريد إذا
قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف

فلما قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له عامر بن الطفيل يا محمد خالني قال لا والله حتى تؤمن
بالله وحده

قال يا محمد خالني وجعل يكلمه وينظر من أريد ما كان أمره به فجعل أريد لا يجير شيئا فلما أبى عليه رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} قال أما والله لأملأها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
اللهم اكفني عامر بن الطفيل

فلما خرجوا قال عامر لأريد ويا أريد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على وجه الأرض رجل أخوف
عندي على نفسي منك وأيم الله لا أخفك بعد اليوم أبدا

قال لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيبي وبين الرجل حتى ما أرى غيرك
أفاضريك بالسيف

وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله

في بيت امرأة من بني سلول فجعل

يقول يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول ويقال إنه قال أغدة كغدة الإبل وموتا في بيت سلولية

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر فأتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا أريد قال لا شيء والله لقد دعاني الي عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما وأنزل الله جل قوله في وقاية الله تعالى لنبيه عليه السلام مما أراد به عامر وفيما قتل به أريد سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي أن المعقبات التي يحفظ الله بها نبيه هي من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال الرعد ١٣١٠

وفد تجيب

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بهم وأكرم منزلهم وقالوا يا رسول الله سقنا إليك حق الله تعالى في أموالنا

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ردوها فاقسموها على فقرائكم

فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا

فقال أبو بكر يا رسول الله ما وفد علينا وفد من العرب بمثل ما وفد به هؤلاء الحي من تجيب

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان

وسألوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أشياء فكتب لهم بها وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فإزداد رسول

الله {صلى الله عليه وسلم} رغبة فيهم وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم

فأقاموا أياما ولم يطيلوا البت فقيل لهم ما يعجلكم فقالوا نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله {صلى الله

عليه وسلم} وكلامنا إياه وما رد علينا

ثم جاءوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يودعونه فأرسل إليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود

قال هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا

قال أرسلوه إلينا

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام انطلق إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاقض حاجتك منه فإننا قد قضينا

حوائجنا منه

وودعناه

فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله إني امرؤ من بني أبدي قال الواقدي هو

أبدي بن عدي وأم عدي تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج واليهما ينسبون يقول الغلام من الرهط الذين أتوك

آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي يا رسول الله

قال وما حاجتك

قال إن حاجتي ليست بحاجة أصحابي وإن كانوا قدموا راعين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم وإن الله ما أعلمني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي وأن يرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقبل إلى الغلام اللهم أغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه

فانطلقوا راجعين إلى أهاليهم ثم وافوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في الموسم بمى سنة عشر فقالوا نحن بنو أبندي

قال رسول الله ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله والله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقبح منه بما رزقه الله عز وجل لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تشعب أهواؤه وهوموه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه يذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب إلى زياد بن ليلى يوصيه به خيرا

فروة بن مسيك المرادي

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مفارقا للملوك كندة متابعا للنبي {صلى الله عليه وسلم} وقال في ذلك لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نساتها قربت راحتي أوم محمدا أرجو فواضلها وحسن ثرائها الكامل

ثم خرج حتى أتى المدينة وكان رجلا له شرف فأنزله سعد بن عباد عليه ثم غدا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو جالس في المسجد فسلم عليه ثم قال يا رسول الله أنا من ورائي من قومي قال أين نزلت يا فروة قال على سعد بن عباد قال بارك الله على سعد بن عباد وكان يحضر مجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كلما جلس ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

وكان بين مراد وحمدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها حمدان من مراد ما أرادوا حتى أنخنوهم في يوم يقال له يوم الردم وكان الذي قاد حمدان إلى مراد الأجدع بن مالك ففضحهم يومئذ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما وفد إليه يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما إن ذلك اليوم لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا

وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك

مررنا باللقاء وهن حوص

ينازعن الأعنة يتتحمينا

فإن تغلب فغلابون قدما

وإن تغلب فغير مغلبينا

وما إن طبنا جن ولكن

منايانا وطعمة آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال

تكر صروفه حينا فحيننا

فبيننا ما نسر به ونرضى

ولو لبست غضارته سنينا

إذا انقلبت به كرات دهر

فألقي للأولى غبطوا طحيننا

فمن يغبط بريب الدهر منهم

تجد ريب الزمان له خؤونا

فلو خلد الملوك إذن خلدنا

ولو بقي الكرام إذا بقينا

فأفنى ذلكم سرورات قومي

كما أفنى القرون الأولينا

الوافر

واستعمل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فروة بن مسيك على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة وكتب له فيها كتابا لا يعدوه إلى غيره فكان خالد مع فروة في بلاده حتى توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ولما كانت السنة التي توفي فيها صلوات الله وبركاته عليه وصدر عن مكة ورأت أبناء زبيد قبائل اليمن تقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقرين بالإسلام مصدقين برسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم يرجع راجعهم

إلى بلاده وهم على ما هم عليه قالوا لخالد بن سعيد والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس وصدقنا بمحمد {صلى الله عليه وسلم} وخلينا بينك وبين صدقات أموالنا وكنا لك عوناً على من خالفك من قومنا قال خالد قد فعلتم قالوا فأوفد منا نفراً يقدمون على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويخبرونه بإسلامنا ويقبسونا منه خيراً

قال خالد ما أحسن ما دعوتهم إليه وأنا أجيبكم ولم يعني أن أقول لكم هذا إلا أرى رأيي الوفود تمر بكم فلا يهيجكم ذلك على الخروج فساءني ذلك منكم حتى ساء ظني بكم وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك فخشيت أن يكون الإسلام لم يرسخ في قلوبكم فأما إذا طلبتم ما طلبتم فأنا أرجو أن يكون الإسلام راسخاً في قلوبكم

قالوا وما أنكرت منا والله لقد كنا في حيزك واخترنك على غيرك من عمال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما رأيت منا شيئاً تكرهه ولا تنكره إلى يومنا هذا

قال اللهم غفراً لولا أنني أنكرت منكم بعض ما ينكر ما قلت هذا أما تعلمون أنني أخذت من شاب منكم فريضة بنت مخاض فعقلتها ووسمتها بميسم الصدقة فجتتم بأجمعكم فأخذتموها ثم قلتهم إن شاء خالد فليأخذها من مرعاها فأمسكت عنكم وخفت أن يأتي منكم ما هو شر من هذا قالوا فقد كان ونزعنا وتبنا إلى الله فلا نحول بينك وبين شيء تريده فبعث معهم وفداً إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وفد زيد عمرو بن معدي كرب

وقدم عمرو بن معدي كرب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أناس من قومه بني زيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز يقال إنه نبي فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفي علينا إذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه فإنه إن سبق إليه رجل من قومك سادنا وترأس علينا وكنا له أذناناً

فأبى عليه قيس وسفه رأيه فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقام أياماً فأجازه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما كان يجيز الوفود وأنصرف راجعاً إلى بلاده فأقام في قومه بني زيد وعليهم فروة بن مسيك سامعاً له مطيعاً فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ارتد عمرو ثم راجع الإسلام بعد ذلك

وقد كان قيس بن مكشوح لما بلغه خروج عمرو وأوعده وتحطم عليه وقال خالفني وترك رأبي فقال عمرو في ذلك من أبيات أمرتك يوم في ذي صنعاء

أمرأ باديا رشده

أمرتك باتقاء الله

والمعروف تتعده

فكنت كذي الحمير غره

مما به وتده

تمناني على فرس

عليه جالس أسده

فلو لاقيتني للقيت

ليثا فوقه لبده

الوافر

وطلب فروة بن مسييك قيس بن مكشوح كل الطلب حتى هرب من

بلاده وكان مصمما في طلب من خالفه فكان عمرو يقول لقيس قد خبرتك يا قيس أنك تكون ذنبا تابعا لفروة بن

مسييك

وفد بني ثعلبة

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني ثعلبة سنة ثمان مرجعه من الجعرانة

ذكر الواقدي عن رجل منهم قال لما قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الجعرانة قدمنا عليه وافدين مقرين

بالإسلام ونحن أربعة نفر فنزلنا دار رملة بنت الحارث فجاءنا بلال فنظر إلينا فقال أمعكم غيركم قلنا لا فانصرف

عنا فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتى بجفنة من ثريد بلبن وسمن فأكلنا حتى نهلنا ثم رحنا إلى الظهر فإذا رسول الله {صلى

الله عليه وسلم} قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء فرمى ببصره إلينا فأسرعنا إليه وبلال يقيم الصلاة

فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا مقرين بالإسلام وهم في مواشيهم وما لا يصلحه إلا هم

وقد قيل لنا يا رسول الله لا إسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حيثما كنتم واتقيتم الله

فلا يضركم حيث كنتم

وفرغ بلال من الأذان ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} يكلمنا ثم تقدم فصلى بنا الظهر لم تصل وراء أحد قط

أتم صلاة ولا أوجز منه ثم انصرف إلى بيته فدخل فلم يلبث أن خرج إلينا فقبل لنا صلى في بيته ركعتين فدعا بنا

فقال أين أهلكم فقلنا قريبا يا رسول الله هم بهذه السرية فقال كيف بلادكم فقلنا مخصيون فقال الحمد لله

فأقمنا أياما وتعلمنا من القرآن والسنن وضيافته تجري علينا ثم جئنا نودعه منصرفين فقال لبلال أجزهم كما تجيز

الوفد فجاء بلال بنقر من فضة فأعطى كل واحد منا خمس أواق وقال ليس عندنا دراهم مضروبة فانصرفنا إلى

بلادنا

وفد بني سعد هذيم

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بنو سعد هذيم من قضاة في سنة تسع

ذكر الواقدي عن ابن النعمان منهم عن أبيه قال قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وافدا في نفر من

قومي وقد أوطأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} البلاد غلبة وأدخ العرب والناس صنفان

إما داخل في الإسلام راغب فيه وإما خائف من السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى

بابه فوجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في

صلاتهم وقلنا حتى نلقي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونبايعه ثم انصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

فنظر إلينا فدعا بنا فقال من أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم قال فهلا صليتم على أخيكم

قلنا يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أينما أسلمتم فأنتم

مسلمون

قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأيدينا على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في طلبنا فأتى بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} له ثم أمره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علينا فكان يؤمننا ولما أردنا الانصراف أمر بلالا فأجازنا بأواقي من فضة لكل رجل منا فرجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام وفد بني فزارة

ولما رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحمر بن قيس بن حصن بن أخيه عيينة بن حصن وهو أصغرهم فنزلوا في دار زينب بنت الحارث وجاءوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقرين بالإسلام وهم مستنون على وكاف عجاف فسألهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن بلادهم فقال أحدهم يا رسول الله أستت بلادنا وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا إلى ربك ويشفع لنا ربك إليك

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سبحان الله ويلك هذا أنا شفعت إلى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض فهي تنط من عظمتة وجلاله كما ينط الرجل الجديد

وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله جل وعز ليضحك من شفعمكم وأزلكم وقرب غياتكم فقال الأعرابي يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل قال نعم قال الأعرابي لن نعلمك من رب يضحك خير فضحك النبي {صلى الله عليه وسلم} من قوله وصعد المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريبا طيبا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدمًا ولا غرقًا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري فقال يا رسول الله التمر في المربد فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم اسقنا فعاد أبو لبابة لقوله وعاد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لدعائه فعاد أيضا أبو لبابة لقوله وعاد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لدعائه فعاد أيضا أبو لبابة فقال التمر في المربد يا رسول الله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده يزاره

قالوا ولا والله ما في السماء سحب ولا قرعة وما بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فو الله ما رأوا الشمس سبعا وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده يزاره لتلا يخرج التمر منه فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر قال فانجاب السحاب عن المدينة انجياب الثوب

وفد بني أسد

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني أسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا وتكلموا وقال متكلمهم يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله وجنتاك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا

قال محمد بن كعب القرظي فأنزل الله عز وجل على رسوله يمنون عليك أن أسلموا قل لا تموا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ١٧ الحجرات
وكان مما سألو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنه يومئذ العيافة والكهانة وضرب الحصى فنهاهم عن ذلك كله فقالوا يا رسول الله إن هذه أمور كنا نفعلها في الجاهلية رأيت خصلة بقيت قال وما هي قال الخط قال علمه نبي من الأنبياء فمن صادق مثل علمه علم وفد بهراء

وذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وهم ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون وراحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد ونحن في منزلنا نبي جديلة فخرج إليهم المقداد فرحب بهم وأنزلهم وجاءهم بجفنة من حيس قد كنا هيأناها قبل أن يجلوا لجلس عليها فحملها أبو معبد المقداد وكان كريما على الطعام فأكلوا منها حتى نملوا ورددت إلينا القصة وفيها أكل فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة ثم بعثنا بها إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع سدرة مولاتي فوجدته في بيت أم سلمة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضباعة أرسلت بهذا قالت سدرة نعم يا رسول الله قال ضعي ثم قال ما فعل ضيف أبي معبد قلت عندنا فأصاب منها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكلا هو ومن معه في البيت حتى نملوا وأكلت معهم سدرة ثم قال اذهبي بما بقي إلى ضيفكم قالت سدرة فرجعت بما بقي في القصعة إلى مولاتي قالت فأكل منها الضيف ما أقاموا نرددها عليهم وما تغيض حتى جعل الضيف يقولون يا أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين وقد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام إنما هو العلق أو نحوه ونحن عندك في الشبع فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه أكل منها أكلا وردها فهذه بركة أثر أصابع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجعل القوم يقولون نشهد أنه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذي أراد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم جاءوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فودعوه وأمر لهم بجوائزهم وانصرفوا إلى أهلهم
وفد بني غدره

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني غدره في صفر سنة تسع اثنا عشر رجلا فيهم حمزة بن النعمان وسليم وسعد ابنا مالك ومالك بن أبي رباح فترلوا في دار رملة بنت الحارث النجارية ثم جاءوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في المسجد فسلموا بسلام أهل الجاهلية فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من القوم فقال متكلمهم من لا تنكر نحن بنو غدره أخوة قصي لأمه نحن الذين عضوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ولنا قرابات وأرحام

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم فما منعكم من تحية الإسلام قالوا يا محمد

كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولمن خلفنا فإلام تدعو فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهلوا أي رسول الله إلى الناس كافة فقال المتكلم فما وراء ذلك من الفرائض فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصلوات الخمس تحسن ظهورهن وتصلينهن لمواقبتهن فإنه أفضل العمل ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام والزكاة والحج فقال المتكلم الله أكبر نشهد انه لا اله إلا الله وأنت رسول الله قد أجبناك إلى ما دعوت إليه ونحن أعوانك وأنصارك ثم قال يا رسول الله إنا متاحو الشام وأخبارهم ترد علينا وبالشام من قد علمت هرقل فهل أوحى إليك في أمره بشيء فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبشر فإن الشام ستفتح عليكم ويهرب هرقل إلى ممتع بلاده قال الله أكبر يا رسول الله إن فينا امرأة كاهنة كانت قريش والعرب يتحاكمون إليها ولو قد رجعنا أقرت هي وغيرها من قومنا بالإسلام إن شاء الله أفسأنا عن كهانتها فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا تسألوها عن شيء قال الله أكبر ثم سأله عن الذبائح التي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم فنهاهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنها وقال لا ذبيحة لغير الله عز وجل ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلا واحدة ط قال وما هي فداك أبي وأمي قال الأضحية قال وأمي وقت تكون قال صبيحة العاشر من ذي الحجة تذبح شاة عنك وعن أهللك قال يا رسول الله أهي على أهل كل بيت وجدوها قال نعم

فأقاموا أياما ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا

وقدم بلي

وقد على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بلي في ربيع الأول من سنة تسع قال رويغ ابن ثابت البلوي فبلغني قدومهم فخرجت حتى جتتهم برأس الثنية في أيديهم خطم رواحلهم فرحبت بهم وقلت المنزل علي فعدلت بهم إلى منزلي فنزلوا ولبسوا من صالح ثيابهم ثم خرجت بهم حتى انتهيت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو جالس في أصحابه في بقية فيء الغداة فسلمت فقال رويغ فقلت لبك قال من هؤلاء القوم قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالإسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من يرد الله به خيرا يهده للإسلام قال وتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يديه فقال يا رسول الله إنا قلنا عليك لنصلقك ونشهد أن ما جئت به حق ونخلع ما كنا نعبد وبعبد آباؤنا قبلنا

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار قال يا رسول الله إني رجل لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك من أجر قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة قال يا رسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك قال يا رسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في القلاة من الأرض قال لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه وسأله عن أشياء غير هذه فأجابه عنها

قال رويغ ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي فإذا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثا ثم دعوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأجازهم ورجعوا إلى

بلادهم

ضمام بن ثعلبة

وبعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} جالس في أصحابه وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في أصحابه فقال أيكم ابن عبد المطلب فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنا ابن عبد المطلب قال أمحمد قال نعم قال يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك قال لا أجد في نفسي فسئل عما بدا لك

قال أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله بعثك إلينا رسولا قال اللهم نعم قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه قال اللهم نعم قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس قال اللهم نعم ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص ثم انصرف إلى بعيره راجعا

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة قال فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا عليه فكان أول ما تكلم به أن سب اللات والعزى قالوا مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون قال ويلكم إنهما والله ما تضران ولا تنفعان إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاستنذكم به مما كنتم فيه فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وقد جنتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه قال فوالله ما أمسي من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما

فبنوا المساجد وآذنوا بالصلاة وكلما اختلفوا في شيء قالوا عليكم بوافدنا قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة واختلف في الوقت الذي وفد فيه ضمام هذا على النبي {صلى الله عليه وسلم} فقليل سنة خمس ذكره الواقدي وغيره وقيل سنة سبع وقيل سنة تسع فالله أعلم وقد عبد القيس

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد عبد القيس في جماعة رأسهم عبد الله بن عوف الأشج فلما أتوه قال من الوفد أو من القوم قالوا ربيعة قال مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا الندامي قالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإننا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة

فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع

أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال هل تدرون ما الإيمان بالله قالوا الله ورسوله أعلم
قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمسا من
المغنم

ونهاهم عن الدباء والحتم والمزفت والنقير

قالوا يا نبي الله ما علمك بالنقير قال بلى جذع ينقرونه فيقذفون فيه من القطيعاء أو قال من التمر ثم يصبون فيه من
الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه حتى أن أحدكم أو أن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف وفي القوم رجل أصابته
جراحه كذلك قال وكنت أخبأها حياء من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد كان رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} لما سلم عليه القوم سأهم أيكم عبد الله الأشج فقالوا أتاك يا رسول الله وكان عبد الله وضع ثياب سفره
وأخرج ثيابا حسانا فلبسها وكان رجلا دميما فلما جاء ونظر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى دمامته قال يا
رسول الله إنه لا يستقي في مسوك الرجال إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه
فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن فيك الخصلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والأناة فقال عبد الله يا
رسول الله أشيء حدث في أم شيء جبلت عليه فقال بل شيء جبلت عليه

وكان الأشج يسائل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن الفقه والقرآن فكان رسول الله يدينه منه إذا جلس

وكان يأتي أبي بن كعب فيقرأ عليه

وأمرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بجوائز وفضل الأشج عليهم فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونشا وذلك أكثر
مما كان يجيز به الوفود

وقدم في هذا الوفد الجارود بن عمرو وكان نصرانيا فلما انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كلمه فعرض
عليه الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه فقال يا محمد إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفنضمن لي ديني فقال
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم أنا ضامن أن قد هدك الله إلى ما هو خير منه فأسلم وحسن إسلامه
وأراد الرجوع إلى بلاده فسأل النبي {صلى الله عليه وسلم} حملانا فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه قال يا
رسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنتبليغ عليها إلى بلادنا قال لا إياك وإياها وإنما تلك حرق
النار

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه وكان حسن الإسلام صليبا في دينه حتى هلك وقد أدرك الردة فلما رجع
من كان أسلم من قومه إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود فتشهد بشهادة الحق ودعا إلى
الإسلام فقال يا أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأكفر من لم يتشهد
ويروي وأكفى من لم يشهد

وفد بني مرة

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلا رأسهم الحارث بن عوف وذلك
منصرف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من توك جاعوه وهو في المسجد فقال الحارث بن عوف يا رسول الله
إنا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال للحارث أين
تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال فكيف البلاد قال والله إنا لمستنون وما في المال مخ فادع الله لنا

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم استقمهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الإنصراف إلى بلادهم فجاجوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواق عشر أواق فضة وفضل الحارث بن عوف أعطاه اثني عشرة أوقية ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا متى مطرتم فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيه

فقدم عليه قادم بعد وهو يتجهز لحجة الوداع فقال يا رسول الله رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مضبوطة مطرا لذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه ثم قلدتنا أقالاد الزرع في كل خمس عشرة ليلة مطرة جودا ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بروك وإن غنمنا ما توارى من أبياتنا فترجع فتقبل في أهلنا فقال رسول الله الحمد لله الذي هو صنع ذلك

وفد خولان

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في شعبان من سنة عشر وفد خولان وهم عشرة فقالوا يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما ما ذكرتم من مسيركم الي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة قالوا يا رسول الله هذا السفر الذي لا توى عليه

ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما فعل عم أنس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا بشر وعر بدلنا الله به ما جئت به وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قد قمنا عليه هدمناه إن شاء الله فقد كنا في غرور وفتنة يا رسول الله إن فتنته كانت أعظم مما عسينا أن نذكره لك فالحمد لله الذي من علينا بك وتقلدنا من الهلكة وما مضى عليه الآباء من عبادته

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا يا رسول الله لقد رأيتنا وأستتنا حتى أكلنا الرمة ومات الولدان غرما وهلكت ناغيتنا وراعيتنا وحافرنا أو ما ذهب منها

فقلنا أو من قال منا قريبا لعم انس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونوا فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب ذاهبنا فبتاع مائة ثور ثم حشرها علينا فنحرتها في غداة واحدة وتركانها تردها السباع ونحن أحوج إليها من السباع فجاجنا الغيث من ساعتنا فأى فتنة اعظم من هذه فلقد رأينا العشب يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس

وذكروا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له وجزءا لله بزعمهم

قالوا كنا نزرع الزرع فجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرة لله جل وعز فإذا مالت الريح بالذي سميناه لله جعلناه لعم أنس وإذا مالت الريح بالذي جعلناه لعم أنس لم نجعله لله

فذكر لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن الله عز وجل أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا فما كان لشركانهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى

شركانهم ساء ما يحكمون (الأنعام ١٣٦)

قالوا وكنا نتحاكم إليه فنكلم

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تلك الشياطين تكلمكم
قالوا فأصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبد
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار لمن جاؤوا وان لا يظلموا
أحدا

قال فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
ثم أمر بهم فأنزلوا دار رملة وأمرهم بضيافة تجرى عليهم وأمر من يعلمهم القرآن والسنن ثم ودعوه بعد أيام
فأجازهم ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس
وفد محارب

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عام حجة الوداع وفد محارب وهم كانوا أغلظ العرب وأفظه على
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في تلك المواسم أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله فجاء رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} منهم عشرة نائين عن من وراءهم من قومهم فأسلموا

وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما من الظهر إلى العصر
فعرف رجلا منهم فأبده النظر فلما رآه الخاربي يديم النظر إليه قال كأنك يا رسول الله توهمني
قال لقد رأيتك

فقال الخاربي أي والله لقد رأيتني وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على
الناس

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نعم
ثم قال الخاربي يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد من الإسلام مني فأحمد الله الذي أتعاني
حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن هذه القلوب بيد الله عز وجل
فقال الخاربي يا رسول الله استغفر لي من مراجعتي إياك
فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر
ثم انصرفوا إلى أهلهم

وفد طيء
وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما إنتهوا إليه كلموه
وعرض عليهم الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما ذكر لي رجل من
العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيتته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخيل وقطع له
فيدا وأرضين معه وكتب له بذلك كتابا فخرج من عنده راجعا إلى قومه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن
ينج زيد من حمى المدينة يسميها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يومئذ باسم غير الحمى وغير أم ملدم

وقال زيد حين انصرف
أنيخت بأجام المدينة أربعا
وعشرا يغني فوقها الليل طائر

فلما قضى أصحابها كل بغية
وخط كتابا في الصحيفة ساطر
شدت عليها رحلها وسليها
من الدرس والشعراء والبطن ضامر
الطويل

فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى فمات
وقال لما أحس بالموت
أمرتحل قومي المشارق غدوة
وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني
عوائد من لم يشف منهن يجهد
فليت اللواتي عدنني لم يعدنني
وليت اللواتي غبن عني شهد
الطويل

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان من كتبه التي قطع له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحرقنها بالنار
وأما عدي بن حاتم فكان يقول فيما ذكر عنه ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله {صلى الله عليه
وسلم} حين سمع به مني أما أنا فكننت امرأ شريفا وكننت نصرانيا وكننت أسير في قومي بالمرباع فكنت في نفسي
على دين

وكننت ملكا في قومي لما كان يصنع بي قومي وما كان يصنع في أهل ديني فلما سمعت برسول الله {صلى الله عليه
وسلم} كرهته فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعيا لإبل لي لا أبالك أعدد لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها
قريبا مني فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ففعلت ثم إنه أتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت
صانعا إذا غشيك خيل محمد فاصنعه الآن فأبني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد
قلت فقرب إلي أجمالي فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم
في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها

وتخالفني خيل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتنصيب بنت حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} في سبايا من طيء فجعلت بنت حاتم في حظيرة باب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمر بها
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد كان بلغه هربي إلى الشام فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول
الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك
قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم

قال الفار من الله ورسوله قالت ثم مضى وتركني حتى إذا كان من الغد مر بي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما
قال بالأمس

قالت حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يتست فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه فقمت إليه فقلت يا

رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فتمنن علي من الله عليك قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى أهلك ثم آذني

فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلميه فقبل علي بن أبي طالب وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة وإنما أريد أن آتي أخي بالشام فجئت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة

وبلاغ

فكساني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحلني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام قال عدي فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى طعينة تصوب إلي تؤمنا قلت ابنة حاتم فإذا هي فلما وقفت علي انسحلت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك قلت أي أختي لا تقولي إلا خيرا فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت

ثم نزلت فأقامت عندي

فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله وان يكن ملكا فلن تذلل في عز اليمن وأنت أنت قلت والله أن هذا للرأي

فخرجت حتى أقدم علي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانطلق بي إلى بيته فوالله انه لعامد بي إليه إذ لقبته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال قلت في نفسي والله ما هذا بملك قال ثم مضى بي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفا فقذفها إلي فقال اجلس علي هذه قال قلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالأرض فقلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك ثم قال إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسيا قلت بلى قال أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع قلت بلى قال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت اجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال

لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن

تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم

وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال فأسلمت

وكان عدي يقول مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لشكونن

قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وأيم الله لشكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه

وفد كنده

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الأشعث بن قيس في ثمانين راكبا من كندة فدخلوا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مسجده قد رجلوا جميعهم وتكحلوا عليهم جباب الخبزة قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم قال فشقوقه منها فالقوه

ثم قال له الأشعث بن قيس يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن أكل المرار فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث وكانا إذا خرجا تاجرنا فضرنا في بعض العرب فستلنا من هما قالوا نحن بنو آكل المرار يعجزان بذلك وذلك أن كندة كانوا ملوكا ثم قال لهم لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبنينا وقال جندب بن مكيث لقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم قدم وفد كندة عليه حلة يمانية يقال إنها حلة ابن ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر مثل ذلك وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا قدم عليه الوفد لبس احسن ثيابه وأمر عليه أصحابه بذلك وفد صداء

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد صداء في سنة ثمان وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما انصرف من الجعرانة بعث بعوثا إلى اليمن وهياً بعنا استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة وعقد له لواء أبيض ورفع له راية سوداء وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء فقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا رسول الله جنتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قيس بن سعد من صدور قناة وخرج الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خمسة عشر رجلا منهم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلوا علي فنزلوا عليه فحياهم وأكرمهم وكساهم ثم راح بهم إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فبايعوه على الإسلام وقالوا نحن لكن على من ورائنا من قومنا فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام فوافى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منهم مائة رجل في حجة الوداع

ذكر هذا الواقدي عن بعض بني المصطلق

وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي أنه الذي قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له اردد الجيش وأنا لك بقومي فردهم

قال وقدم وفد قومي عليه فقال لي يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال قلت بلى من الله عز وجل ومن رسوله وكان زياد هذا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بعض أسفاره قال فاعتشى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أي سار ليلا واعتشينا معه وكنت رجلا قويا قال فجعل أصحابه يتفرقون عنه ولزمت غرزه فلما كان في السحر قال أذن يا أخا صداء فأذنت علي راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في إداوتي

فقال هاته فجئت به فقال صب فصبيت ما في الإداوة في القعب وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الإناء

فأريت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي لسقينا واستسقينا ثم توضأ وقال أذن في صحلي
من كانت له حاجة بالوضوء فليرد

قال فوردوا من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن أخا صداء قد أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى بنا وكت سألته قبل أن يؤمرني على قومي ويكتب لي بذلك كتابا ففعل فلما سلم يريد من صلاته قام رجل يشتكى من عامله فقال يا رسول الله إنه أخذنا بدخول كانت بيننا وبينه في الجاهلية فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا خير في الإمارة لرجل مسلم ثم قام رجل فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن الله لم يكمل قسمها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها على ثمانية أجزاء فإن كنت جزءا منها أعطيتك وإن كنت عنها غنيا فأعنا هو صداع في الرأس وداء في البطن

فقلت في نفسي هاتان خصلتان حين سألت الإمارة وأنا رجل مسلم وسألته من الصدقة وأنا غني عنها فقلت يا رسول الله هذان كتابك فأقبلهما فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولم قلت إني سمعتك تقول لا خير في الإمارة لرجل مسلم وأنا مسلم وسمعتك تقول من سأل من الصدقة وهو عنها غني فأعنا هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما إن الذي قلت كما قلت لك فأقبلهما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال دلي على رجل من قومك أستعمله فدلته على رجل فاستعمله قلت يا رسول الله إن لنا بئرا إذا كان الشتاء كفانا ماؤها وإذا كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والإسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرا

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ناولني سبع حصيات فناولته فعر كهن بيده ثم دفعهن إلي وقال إذا انتهيت إليها فألق فيها حصاة حصاة وسم الله
قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة
وقد غسان

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد غسان
قالوا أو من قاله منهم فيما ذكر الواقدي عنهم قدمنا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في رمضان سنة عشر ونحن ثلاثة نفر فلما كنا برأس الثنية لقينا رجلا على فرس متنكب قوسا فحيانا بتحية الإسلام فرددنا عليه تحيتنا فقال من أنتم قلنا رهط من غسان قد قدمنا على محمد نسمع من كلامه ونرتاد لقومنا

قال فانزلوا حيث ينزل الوفد قلنا وأين ينزل الوفد قال دار رملة بنت الحارث
ويقال الحارث ثم اتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكلموه
قلنا ونقدر عليه كلما أردنا قال فتبسّم فقال أي لعمرى إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده وكنا قوما نسمع كلام النصارى وصفتهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنه يمشي وحده لا شرطة معه ويرعب من يراه منهم
فقلنا للرجل من أنت لك الجنة
قال أنا أبو بكر بن أبي قحافة

فقلنا أنت فيما يزعم النصارى تقوم بهذا الأمر بعده

قال أبو بكر الأمر إلى الله عز وجل ثم قال كيف تخدعون عن الإسلام وقد خبركم أهل الكتاب بصفته وأنه آخر الأنبياء قلنا هو ذاك فمضى ومضينا نسأل عن دار رملة حتى انتهينا إليها فنصادف وفودا من العرب كلهم مصدق بمحمد {صلى الله عليه وسلم} فقلنا فيما بيننا أترانا شر من نرى من العرب ثم خرجنا حتى نلقى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عند باب المسجد واقفا فأمدنا ببصره وقال أنتم الغسانيون قلنا نعم قال قدمتم مرتادين لقومكم فما انتفعتم بعلم من كان معكم من أهل الكتاب

قلنا يا محمد لم نر أحدا منهم اتبعك فوقفنا عنك لذلك

ونحن الآن على غير ما كنا عليه فالإم تدعو قال أدعو إلى الله

وحده لا شريك له وخلع ما دعي من دونه وأني رسول الله

قال قائلهم فمن معك من أتباعك قال الله جل وعز معي والملائكة جبريل وميكائيل والأنبياء وصالح المؤمنين ثم التفت ونظر إلى عمر ولم ير أبا بكر فقال هذا وصاحبه قلنا ابن أبي قحافة قال نعم قلنا إنك لتأوي إلى ركن شديد وقد صدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق ولا ندري أيتبعنا قومنا أم لا وهم يجوبون بقاء ملكهم وقرب قيصر ثم أسلموا وأجازهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بجوازهم وانصرفوا راجعين فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم وكتبوا إسلامهم حتى مات منهم رجالان على الإسلام وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك فلقي أبا عبيدة فخره بإسلامه فكان يكرمه وقد سلامان

وذكر الواقدي أيضا بإسناد له أن خبيب بن عمرو السلامي كان يحدث قال قدمنا وفد سلامان على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونحن سبعة نفر فانتبهنا إلى باب المسجد فصادفنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خارجا منه إلى جنازة دعي إليها فلما رأيناه قلنا يا رسول الله السلام عليك فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن قوم من سلامان قدمنا عليك لنبايعك على الإسلام ونحن على من ورائنا من قومنا فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء حيث ينزل الوفد فخرج بنا ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة فيها نخل وفيها وفود من العرب وإذا هي دار رملة بنت الحارث التجارية فلما سمعنا أذان الظهر خرجنا إلى الصلاة فقمنا على باب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى خرج إلى المسجد فصلى بالناس وهو يتصفحنا ودخل بيته فلم يلبث أن خرج فجلس في المسجد بين المنبر وبين بيته وجلست عليه أصحابه عن يمينه وعن شماله فرأيت رجلا هو أقرب القوم منه يكثر ما يلتفت إليه ويحدثه

فسألت عنه فقيل أبو بكر بن أبي قحافة وجئنا فجلسنا تجاه وجهه وجعل الوفد يسألونه عن شرائع الإسلام فلم يكذب سائلهم يقطع حتى خشيت أن يقوم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت إنا نريد ما تريد فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأسكت السائل فقلت أي رسول الله ما فضل الأعمال قال الصلاة في وقتها ثم ذكر حديثنا طويلا

قال ثم جاء بلال فأقام الصلاة فقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى بالناس العصر فكانت صلاة العصر أخف في القيام من الظهر ثم دخل بيته فلم ينشب أن يخرج فجلس في مجلسه الأول وجلس معه أصحابه وجئنا فجلسنا فلما

رآني قال يا أبا سلامان قلت لبيك قال كيف البلاد عندكم قلت أي رسول الله مجدبة وما لنا خبر من البلاد فادع الله أن يسقينا في بلادنا فنقر في أوطاننا ولا نسير إلى بلاد غيرنا فإن النجع تفرق الجميع وتشتت الديار

فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيده اللهم اسقهم الغيث في ديارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك فإنه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قام وقمنا عنه فأقمنا ثلاثا وضيافته تجري علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أوقية لكل رجل منا واعتذر إلينا بلال وقال ليس عندنا مال اليوم

فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا إلى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في تلك الساعة

قال الواقدي وكان مقدمهم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في شوال سنة عشر وفد بني عيس

قال وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني عيس فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش وهي معايشنا فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فاقرضت وأنشأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال نبي ضيعه قومه وفد الأزدي وفد جرش

قال ابن إسحاق وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزدي فأمره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت إليها خنعم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليهم فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها منه ثم إنه رجع عنهم قافلا حتى إذا كان إلى جبل يقال له شكر ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا

وقد كان أهل جرش يبعثوا رجلين منهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالمدينة يرتادان وينظران فيبينما هما عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عشية بعد العصر إذ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأي بلاد الله شكر فقال الجرشيان ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال إنه ليس بكشر ولكنه شكر قالوا فما شأنه يا رسول الله قال إن بدن الله لتحر عنه الآن فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما ويحكما إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الآن لينعى لكما قومكما فقوموا فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فقاما إليه فأسألاه عن ذلك فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا من عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} راجعين إلى قومهما فوجدوا قومهما أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر

فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأسلموا وحمي لهم حمى حول قريتهم على

أعلام معلومة للفرس والراحلة وللميرة بقرة الحرث فمن رعاه من الناس فماله سحت
فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد وكانت خنعم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يعدون في الشهر الحرام
يا غزوة ما غزونا غير خائبة
فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميرا في مصانعها
وجمع خنعم قد شاعت لها النذر
إذا وضعت غليلا كنت أحمله
فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا
البيسط
وفد غامد

قال الواقدي وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد غامد سنة عشر وهم عشرة فترلوا في بقيع الغردق
وهو يومئذ أثل وطرفاء ثم انطلقوا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخلفوا في رحلهم أحدثهم سنا فنام عنه
وأتى سارق فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له وانتهى القوم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فسلموا عليه
وأقروا له بالإسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع من شرائع الإسلام وقال لهم من خلفتم في رحالكم قالوا أحدثنا يا
رسول الله قال فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم فقال أحد القوم يا رسول الله ما لأحد من
القوم عيبة غيري فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أخذت ورددت إلى موضعها فخرج القوم سراعا حتى
أتوا رحلهم فوجدوا صاحبهم فسألوه عما خبرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال فرعت من نومي ففقدت
العبية فقمتم في طلبها فإذا رجل قد كان قاعدا فلما رأيته نثار يعدو مني فانتهيت إلى حيث انتهى فإذا أثر حفر وإذا
هو قد غيب العيبة فاستخرجتها

فقالوا نشهد أنه رسول الله فإنه قد أخبرنا بأخنها وأنها قد ردت

فرجعوا إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فأخبروه وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم
وأمر النبي {صلى الله عليه وسلم} أبي بن كعب فعلمهم قرآنا وأجازهم {صلى الله عليه وسلم} كما كان يجيز
الوفود وانصرفوا

وفد بني الحارث بن كعب

قال ابن إسحاق وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة
عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فإن استجابوا فأقبل منهم
وإن لم يفعلوا فقاتلهم

فخرج خالد بن الوليد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون أيها
الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه
وبذلك كان أمره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن هم أسلموا ولم يقاتلوا
ثم كتب خالد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
بسم الله الرحمن الرحيم حمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فانك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وأن لم يسلموا قاتلتهم وإني قدمت عليهم فدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبعثت فيهم ركبانا فقالوا يا بني الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بن أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأماهم عن ما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي {صلى الله عليه وسلم} حتى يكتب إلي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
فكتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله
إلى خالد بن الوليد
سلام عليك

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فيشرهم وأنذرهم وأقبل ولقبك معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
فأقبل خالد إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصاة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن الخجل وعبد الله بن قراد الزياتي وشداد بن عبد الله القناني وعمرو بن عبد الله الضبابي

فلما قدموا على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فرآهم قال من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند يعني في الطول والسمنة قيل يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب فلما وقفوا عليه سلموا وقالوا نشهد أنك لرسول الله وأنه لا إله إلا الله قال وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ثم قال اتهم الذين إذا زجروا استقدموا فسكوا فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الثانية فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المدان نعم يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا قالها أربع مرات فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو أن خالدًا لم يكتب إلي بأنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رعوكم تحت أقدامكم فقال يزيد بن عبد

المدان أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا قال فمن حمدتم قالوا حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله قال صدقتم ثم قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بم كتمت تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا لم نك تغلب أحد قال بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا تغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم

وأمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على بني الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث إليهم بعد أن ولى وفلهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب لهم كتابا عهد إليه فيه عهده وأمره فيه أمره

بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وإن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وينهي الناس فلا يمسه القرآن إنسان إلا وهو طاهر ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشدد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال ألا لعنة الله على الظالمين (ويبشر الناس بالجنة ويعملها وينذر الناس النار وعملها ويتألف الناس حتى يفقهوا في الدين ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفرائضه وما أمر الله به والحج الأكبر والحج الأصغر هو العمرة وينهي الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوبا يشي طرفيه على عاتقيه وينهي أن يجتبي أحد في ثوب واحد يقضي بفرجه إلى السماء وينهي أن لا يعقص أحد شعر رأسه في قفاه وينهي إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ولتكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له

فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ويأمر الناس ياسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحوا برءوسهم كما أمرهم الله وأمر بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود يغسل بالصبح ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العفار عشر ما سقت السماء وسقت العين وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين أربع شياة وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها أي لا يفتن وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا

فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

وفد بني حنيفة

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب قال ابن إسحاق فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تستره بالثياب ورسول الله جالس في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات فلما انتهى إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه

قال وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخلقوا مسيلمة في رحلم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا أو في ركابنا يحفظها لنا قال فأمر له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمثل ما أمر به للقوم وقال أما إنه ليس بشركم مكانا أي لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال ثم انصرفوا عن رسول {صلى الله عليه وسلم} وجاءوه بما أعطاه فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم

وقال إني قد أشركت في الأمر معه وقال لوفده الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكروني له أما إنه ليس بشركم مكانا ما ذاك إلا لما كان يعلم إني قد أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحلبى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك يشهد لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأنه نبي فأصفت معه حنيفة على ذلك

فإنه أعلم أي ذلك كان

وذكر الواقدي أنه قدم في وفد بني حنيفة الرحال بن عنقوة وأنه كان أيام مقام الوفد يختلف إلى أبي بن كعب يتعلم القرآن وشرائع الإسلام حتى كان الرحال عندهم أفضل من كان وفد عليهم لما يرون من حرصه فلما تنبأ مسيلمة بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شهد له الرحال بن عنقوة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أشركه في الأمر فافتتن الناس وفد همدان

قال ابن هشام وقدم وفد همدان على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيهم مالك بن نمط وأبو ثور وهو ذو المشعار ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلماني وعميرة ابن مالك الخارقي فلقوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الخبرات والعمائم العدنية برحال الميس على المهريّة والأرحبية ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم يقول أحدهما

همدان خير سوقة وأقبال

ليس لها في العالمين أمثال

محلها الهضب ومنها الأبطال

لها إطابات وآكال

الرجز

ويقول آخر

إليك جاوزن سواد الريف

في هبوات الصيف والخريف

مخطمات بجبال الليف

الرجز

فقام مالك بن نمط بين يديه ثم قال

يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بجبال الإسلام لا تأخذهم في الله

لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السواد والقود أجا بوا دعوة الرسول وفارقوا آلهات الأنصاب عهدهم
لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع
فكتب لهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وخفاف الرمل مع وافدها ذي
المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون
علافها ويرعون عافيتها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدتهم المهاجرون والأنصار
فقال في ذلك مالك بن نمط

ذكرت رسول الله في فحمة الدجي

ونحن بأعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوض طلائع تغتلى بركبائها في لا حب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مرا لهجف الخفيدد

حلقت برب الراقصات إلى منى صوادي بالركبان من ظهر قردد

بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد

وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بجد المشرفي المهند

وفد النخع

قال الواقدي وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفد النخع وهم آخر وفد قدموا للنصف من الحرم سنة
إحدى عشرة من الهجرة في مائتي رجل فنزلوا دار الأضياف ثم جاءوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مقرين
بالإسلام وقد كانوا بايعوا معاذ ابن جبل باليمن فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله إني رأيت في
سفري هذا عجبا

قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها في الحي كأنها ولدت جديا أسفع أحوى

فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هل تركت أمة لك مصرة على حمل قال نعم قال فإنها ولدت غلاما وهو
ابنك

قال يا رسول الله فما باله أسفع أحوى قال أدن مني فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق
ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك

قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان

قال ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجه

قال يا رسول الله ورأيت عجوزا شطاء خرجت من الأرض

قال تلك بقية الدنيا

قال ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظي لظي بصير وأعمى

أطعموني آكلكم آكلكم أهلكم وما لكم

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تلك فتنة تكون في آخر الزمان

قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس إمامهم ويشتحرون اشتجار أطباق الرأس وخالف رسول الله {صلى الله

عليه وسلم { بين أصابعه يحسب المسمي فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحل من شرب الماء إن مات
ابنك أدركت الفتنة وإن مت أنت أدركها ابنك
قال يا رسول الله أدع الله أن لا أدركها
فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } اللهم لا
يدركها فمات وبقي ابنه
وكان ممن خلع عثمان

وهذا الذي تيسر لنا ذكره من شأن الوفود وهم أكثر من هذا ومعظم من ذكرنا إنما هو من كتاب الواقدي مع من
ذكره ابن إسحاق منهم

ذكر بعث رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إلى الملوك وكتابه إليهم
يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام

قال ابن هشام وقد كان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه وكتب معهم إليهم
يدعوهم إلى الإسلام

حدثني من أتق به عن أبي بكر الهذلي قال بلغني أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } خرج على أصحابه ذات يوم
بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا علي كما اختلف
الحواريون على عيسى ابن مريم عليه السلام

وفي حديث ابن إسحاق إن الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على
عيسى فقال أصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله فقال دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا
قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتناقل فشكا ذلك عيسى إلى الله تعالى فأصبح المتناقلون
وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها

فبعث رسول الله { صلى الله عليه وسلم } دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم وبعث عبد الله بن حذافه
السهمي إلى كسرى ملك فارس وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي
بلتعنة إلى المقوقس

صاحب الإسكندرية وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجنندي ملك عمان وبعث سليط بن عمرو أحد
بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن
ساوي العبدي ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام
ويقال بعثه إلى جبلة بن أيهم الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك
اليمن

ذكر كتاب النبي { صلى الله عليه وسلم } إلى قيصر وما كان من خبر دحية معه

ذكر الواقدي من حديث ابن عباس ومن حديثه خرج في الصحيحين أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كتب
إلى قيصر يدعو إلى الإسلام وبعث بكتابه مع دحية الكلبي وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصري ليدفعه إلى قيصر فدفعه
عظيم بصري إلى قيصر وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لله جل وعز فيما
أبلاه من ذلك فلما جاء قيصر كتاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال التمسوا لنا ها هنا أحدا من قومه
نسألهم عنه

قال ابن عباس فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا وذلك في الهدنة التي كانت بين رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبين كفار قريش قال فأتانا رسول قيصر فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه عليه التاج وحوله عظماء الروم فقال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسبا وليس في الركب يومئذ رجل من بني عبد مناف غيري قال قيصر أدنوه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه

قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وإنما جعلتم خلف كتفيه لتردوا عليه كذبا إن قاله قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه ولكني استحيت فصدقته وأنا كاره ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم فقلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول منكم أحد قبله قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال هل كان من آباءه ملك قلت لا قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون أو يتقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه قلت لا قال فهو يغدر قلت لا ونحن الآن منه في مدة ونحن لا نخاف غدوره

وفي رواية ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها

قال أبو سفيان ولم تمكني كلمة أغمزه بها لا أخاف علي فيها شيئا غيرها

قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحره قلت دول سجال ندال عليه مرة ويدال علينا أخرى قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة

فقال لترجمانه قل له إني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال هذا القول منكم أحد قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آباءه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آباءه ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أو يتقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم

وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الإيمان حتى تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وأن حربكم وحره دول وسجال ويدال عليكم مرة وتداولون عليه أخرى وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت أنه بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وهو نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وإن كان ما أتاني عنه حقا فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم أي أخلص إليه لتجشمت لقيه ولو كنت عنده لغسلت قدميه

قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقرأ فإذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فإني أدعوك بداعية الإسلام أسلم لتسلم وأسلم يؤتلك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين
ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون
قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ الكتاب علت أصوات الذين حولته وكثر لعظهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنا
فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة هذا ملك بني الأصفر يخافه قال
فوالله ما زلت ذليلا مستيقنا أن أمره سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام
وفي حديث غير هذا ذكره أيضا الواقدي عن محمد بن كعب القرظي أن
دحية الكلبي لقي قيصر بممص لما بعثه إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقيصر ماش من قسطنطينة إلى إيلياء
في نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشي حافيا من قسطنطينة فقال لدحية قومه لما بلغ قيصر إذا رأيته
فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك

قال دحية لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله عز وجل قالوا إذا لا يؤخذ كتابك ولا يكتب جوابك قال وإن لم
يأخذه فقال له رجل منهم أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك ولا يكلفك فيه السجود
قال دحية وما هو قال إن له على كل عقبة منبرا يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر فإن أحدا لا يجرها حتى
يأخذها هو ثم يدعو صاحبها فيأتيه
قال أما هذا فسأفعل فعمد إلى منبر من تلك المنابر التي يستريح عليها قيصر فألقى الصحيفة فدعا بها فإذا عنوانها
كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية فإذا فيه
من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم
فغضب أخ لقيصر يقال له نياق فضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الصحيفة منه فقال له قيصر ما شأنك
أخذت الصحيفة فقال تنظر في كتاب رجل بدا بنفسه قبلك وسمك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا
فقال له قيصر إنك والله ما علمت أحق صغيرا مجنون كبيرا أتريد أن تحرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه فلعمري
لئن كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق أن يبدأ بما مني وإن كان سمانى صاحب الروم لقد صدق ما أنا إلا
صاحبهم وما أملكهم ولكن الله عز وجل سخرهم لي ولو شاء لسلبهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه
ثم فتح الصحيفة فإذا فيها
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم سلام على من اتبع الهدى
أما بعد يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا
الله

الآية إلى قوله اشهدوا بأنا مسلمون آل عمران ٦٤ في آيات من كتاب الله يدعو إلى الله ويزهده في ملكه ويرغبه
فيما رغبة الله فيه من الآخرة ويجذره بطش الله وبأسه
وفي حديث غير الواقدي أن دحية لما لقي قيصر قال له
يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك والذي أرسله خير منه ومنك فاسمع ذل ثم أجب بنصح فإنك إن لم تدل لم
تفهم وإن لم تنصح لم تنصف
قال هات

قال هل تعلم أن المسيح كان يصلي

قال نعم

قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له وادعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم بعده وعندك من ذلك آثاره من علم تكفي عن العيان وتشفي عن الخبر فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا

وأعلم أن لك ربا يقصم الجابرة ويغير النعم

فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبله ثم قال

أما والله ما تركت كتابا إلا قرأته ولا عالما إلا سألته فما رأيت إلا خيرا فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدا ما هو أحسن منه فأرجع عنه فيضرنى ذلك ولا ينفعني أقم حتى أنظر ويروي أن قيصر لما سأل أبا سفيان بن حرب عما سأله عنه من أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حسبما تقدم واخبره به قال والذي نفسي بيده ليوشكن أن يغلب علي ما تحت قدمي يا معشر الروم هلم إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعا إليه

ونسأله الشام أن لا توطأ علينا أبدا فإنه لم يكتب نبي من الأنبياء قط إلى ملك من الملوك يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه إليه ثم يسأله عندها مسألة إلا أعطاه مسألة ما كانت فأطيعوني فلنجبه ونسأله أن لا توطأ الشام قالوا لا نطاولك في هذا أبدا تكتب إليه تسأله ملكك الذي تحت رجلك وهو هنالك لا يملك من ذلك شيئا فمن أضعف منك

وفي هذا الحديث عن أبي سفيان انه قال لقيصر لما سأله عن النبي {صلى الله عليه وسلم} في جملة ما أجابه

أيها الملك إلا أخبرك خيرا تعرف به أنه قد كذب

قال وما هو

قلت إنه زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح قال وبطريق إيلياء عند رأس قيصر فقال قد علمت تلك الليلة قال فنظر إليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال إني كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبي فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرنى فلم نستطع أن نحركه كأنما نزول جبلا فدعوت النجارين فنظروا إليه فقالوا هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى فرجعت وتركت البابين مفتوحين فلما أصبحت غلوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي وقد صلى الليلة في مسجدنا هذا فقال قيصر لقومه يا معشر الروم أستم تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبي بشركم به عيسى ابن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فإن الله جعله في غيركم في أقل منكم عددا وأضيق منكم بلدا وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء

وفي الصحيح من الحديث أن هرقل لما تحقق أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بما كان يجده فيما عندهم من العلم أذن لغطاء الروم في دسكرة له بحمص وأمر بالأبواب فغلقت ثم طلع عليهم فقال يا معشر الروم هل لكم في

الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وأن تتبعوا ما قال عيسى ابن مريم قالوا وما ذاك أيها الملك قال تتبعون هذا النبي العربي

قال فحاصوا حيصة حمر الوحش واستحالوا في الكنيسة وتناخروا ورفعوا الصلب وابتدروا الأبواب فوجدوها مغلقة فلما رأى هرقل يئس من إسلامهم وخافهم على ملكه فقال ردوهم علي فردوهم فقال إنما قلت لكم ما قلت لأخبر كيف صلاتكم في دينكم فقد رأيت منكم رأيت الذي أحب فسجلوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأنهم

ويروي أن قيصر لما انتهى مع قومه إلى ما ذكر ويئس من إجابتهم كتب مع دحية جواب كتابه الذي جاءه به يقول فيه للنبي {صلى الله عليه وسلم}

إني مسلم ولكني مغلوب على أمري

وأرسل إليه بهدية فلما قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتابه قال كذب عدو الله ليس بمسلم بل هو على نصرانيته وقبل هديته وقسمها بين المسلمين

وقال دحية في قدومه

ألا هل أتاها على نأبها

بأني قدمت على قيصر

فقررته بصلاة المسيح

وكانت من الجوهر الأحمر

وتدبير ربك أمر السماء

والأرض فاغضى ولم ينكر

وقلت تغز ببشرى المسيح

فقال سأنظر قلت أنظر

فكاد يقر بأمر الرسول

فمال إلى البدل الأعور

فشك وجاشت له نفسه

وجاشت نفوس بني الأصفر

على وضعه بيديه الكتاب

على الرأس والعين والمنخر

فأصبح قيصر في أمره

بمنزلة الفرس الأشقر

المتقارب

ذكر توجه عبد الله بن حذافة إلى كسرى بكتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} وما كان من خبره معه

وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز أنوشروان ومعنى أبرويز المظفر فيما ذكره المسعودي وهو الذي كان غلب الروم

فأنزل الله في قصتهم ألم غلبت الروم في أدنى الأرض ١ - ٣ الروم وأدنى الأرض فيما ذكر الطبري هي بصرى

وفلسطين وأذرعات من أرض الشام

وذكر الواقدي من حديث السفاء بنت عبد الله أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث عبد الله بن حذافة

السهمي منصرفه من الحديدية إلى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أذعوك بداعية الله فيني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن آيت فعليك إثم المجوس قال عبد الله بن حذافة فانتهيت إلى بابه فطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقرأ عليه فأخذه ومزقه فلما بلغ ذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال مزق ملكه وذكر أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات قال لما قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال

يا معشر الفرس إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبي ولا كتاب ولا تملك من الأرض إلا ما في يديك وما لا تملك منها أكثر وقد ملك الأرض قبلك ملوك أهل الدنيا وأهل الآخرة فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة فاختلفوا في سعي الدنيا واستووا في عدل الآخرة وقد صغر هذا الأمر عندك أنا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت وما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل

فأخذ الكتاب فمزقه ثم قال لي ملك هني لا أخشى أن أغلب عليه ولا أشرك فيه وقد ملك فرعون بني إسرائيل ولستم بخير منهم فما يعني أن أملككم وأنا خير منه فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب وانتم أولئك تشعب بطونكم وتأبى عيونكم فأما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام فانصرف عنه عبد الله وقال في ذلك

أبي الله إلا أن كسرى فريسة

لأول داع بالعراق محمدا

تقاذف في فحش الجواب مصغرا

لأمر العريب الخائفين له الردا

فقلت له أروود فإنك داخل

من اليوم في بلوى ومتهب غدا

فأقبل وادبر حيث شئت فإننا

لنا الملك فابسط للمسألة اليدا

وإلا فأمسك قارعا سن نادم

أقر بذل الخرج أو مت موحدا

سفهت بتخريق الكتاب وهذه

بتمزيق ملك الفرس يكفي مبددا

الطويل

ويروي أن كسرى رأى في النوم بعد أن أخبر بخروج النبي {صلى الله عليه وسلم} ونزوله يشرب أن سلما وضع في الأرض إلى السماء وحشر الناس حوله إذ أقبل رجل عليه عمامة وإزار أو رداء فصعد السلم حتى إذا كان بمكان منه نوذي أين

فارس ورجلها ونساؤها ولامتها وكنوزها فأقبلوا فجعلوا في جوالق ثم رفع لجوالق إلى ذلك الرجل فأصبح كسرى تعس النفس محزوناً لتلك الرؤيا وذكرها لأساورته فجعلوا يهونون عليه الأمر فيقول كسرى هذا أمر تراد به فارس فلم يزل مهموماً حتى قدم عليه عبد الله بن حذافة بكتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يدعو إلى الإسلام

وذكر الواقدي من حديث أبي هريرة وغيره أن كسرى بينا هو في بيت كان يخلو فيه إذا رجل قد خرج إليه في يده عصا فقال يا كسرى إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فأسلم تسلم واتبعه يبق لك ملكك قال كسرى آخر هذا عني أثرا ما فدعا حجابيه وبوابيه فتواعدهم وقال من هذا الذي دخل علي قالوا والله ما دخل عليك أحد وما ضيعنا لك بابا ومكث حتى إذا كان العام المقبل أتاه فقال له مثل ذلك وقال إن لا تسلم أكسر العصا

قال لا تفعل آخر ذلك أثرا ما ثم جاء العام المقبل ففعل مثل ذلك وضرب بالعصا على رأسه فكسرها وخرج من عنده

ويقال إن ابنه قتله في تلك الليلة وأعلم الله بذلك رسوله عليه السلام بمحدثان كونه فأخبر {صلى الله عليه وسلم} بذلك رسل باذان إليه

وكان باذان عامل كسرى على اليمن فلما بلغه ظهور النبي {صلى الله عليه وسلم} ودعاؤه إلى الله كتب إلى باذان أن أبعث إلى هذا الرجل الذي خالف دين قومه فمره فليرجع إلى دين قومه فإن أبي فابعث إلي برأسه وإلا فليواعدك يوما تقتتلون فيه

فلما ورد كتابه إلى باذان بعث بكتابه مع رجلين من عنده فلما قدما على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنزلهما وأمرهما بالمقام فأقاما أياما ثم أرسل إليهما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات غداة فقال انطلقا إلى باذان فأعلماه أن ربي عز وجل قد قتل كسرى في هذه الليلة فانطلقا حتى قدما على باذان فأخبراه بذلك فقال إن يكن الأمر كما قال فوالله إن الرجل لنبي وسيأتي الخبر بذلك إلى يوم كذا فأتاه الخبر كذلك فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ويقال إن الخبر أتاه بمقتل كسرى وهو مريض فاجتمعت إليه أساورته

فقالوا من تؤمر علينا فقال لهم ملك مقبل وملك مدبر فاتبعوا هذا الرجل وادخلوا في دينه وأسلموا ومات باذان فبعث رعو سهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وفلهم يعرفونه بإسلامهم

ذكر إسلام النجاشي وكتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليه مع عمرو بن أمية الضمري

قال ابن إسحاق لما وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وجه إلى النجاشي عمرو بن أمية فقال له يا أصحابنا إن علي القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك وقع الحز وإصابة الفصل وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي {صلى الله عليه وسلم} رسله إلى الناس فرجك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه خير سالف وأجر ينتظر

فقال النجاشي أشهد بالله أنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن

بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخبر
وذكر الواقدي أن الكتاب الذي كتبه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى النجاش مع عمرو ابن أمية الضمري
هو هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاش ملك الحبشة

سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم
روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده
وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني
أدعوك وجودك إلى الله عز وجل فقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى

فكتب إليه النجاشي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فو رب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما
ذكرت تفروقا إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله
صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين
وذكر الواقدي عن سلمة بن الأكوع أن النجاشي توفي في رجب سنة تسع منصرف رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} عن تبوك قال سلمة صلى بنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصبح ثم قال إنا أصحمة النجاشي قد توفي
هذه الساعة فاخرجوا بنا إلى

المصلى حتى نصلي عليه قال سلمة فحشد الناس وخرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المصلى فرأيت
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقدمنا وإنا لصفوف خلفه وأنا في الصف الرابع فكبر بنا أربعاً
كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبي بلتعة
ولما وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رسله إلى الملوك بعث حاطباً إلى المقوقس صاحب الإسكندرية بكتاب
فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت
فإن عليك إثم القبط

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً
من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون

وختم الكتاب

فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية فأنتهى إلى حاجبه فلم يلبثه أن أوصل إليه كتاب رسول الله {صلى الله
عليه وسلم}

وقال حاطب للمقوقس لما لقيه

إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك
ولا يعتبر بك

قال هات

قال إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي {صلى الله عليه وسلم} دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشاراة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد {صلى الله عليه وسلم} وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدركه هذا النبي ولسنا ننهك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به

فقال المقوقس إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي إلا عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأظر وأخذ كتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه

وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها
والسلام عليك

ولم يزد على هذا ولم يسلم

وهاتان الجاريتان اللتان ذكرهما إحداهما مارية أم إبراهيم ابن النبي {صلى الله عليه وسلم} وأختها سيرين وهي التي وهبها النبي {صلى الله عليه وسلم} لحسان بن ثابت فولدت له ابنه عبد الرحمن والبغلة هي دلدل وكانت بيضاء وقيل إنه لم يكن في العرب يومئذ غيرها وإنما بقيت إلى زمان معاوية

وذكر الواقدي بإسناد له أن المقوقس أرسل إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا ترجمان له يترجم بالعربية فقال له ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها وتصدقني فإني أعلم أن صاحبك قد تخبرك من بين أصحابه حيث بعثك فقال له حاطب لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فسأله عن ماذا يدعو إليه النبي {صلى الله عليه وسلم} ومن أتباعه وهل يقاتل قومه فأجاب حاطب عن ذلك كله ثم سأله عن صفته فوصفه حاطب ولم يستوف فقال له بقيت أشياء لم أرك تذكرها في عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتري بالتمرات والكسرة ولا يبالي من لاقى من عم وابن عم

قال حاطب فهذه صفته

قال كنت أعلم أنه بقي نبي وكنت أظن أن مخرجه ومنبته بالشام وهناك تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج في العرب في أرض جهنم وبؤس والقبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك وأنا أضن بملكي أن

أفارقة وسيظهر على البلاد وينزل بساحتها هذه أصحابه من بعده حتى يظهر على ما ها هنا فارجع إلى صاحبك فقد أمرت له بمدايا وجاريتين أختين فارهتين وبغلة من مراكيي وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من لين وغير ذلك وأمرت لك بمائة دينار وخمسة أثواب

فارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً

فرجعت من عنده وقد كان لي مكرماً في الضيافة وقلة اللبث ببابه ما أقمت عنده إلا خمسة أيام وإن الوفود وفود العجم ببابه منذ شهر وأكثر

قال حاطب فذكرت قوله لرسول {صلى الله عليه وسلم} فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ذكر كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى المنذر بن ساوي العبدي مع العلاء بن الحضرمي بعد انصرافه من الحديبية

ذكر الواقدي بإسناد له عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فإذا فيه بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي وكتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام فكتب يعني المنذر إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمر

فكتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله

أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن

رسلي قد أتوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية

وذكر غير الواقدي أن العلاء بن الحضرمي لما قدم على المنذر بن ساوي قال له

يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغر من الآخرة إن هذه الجوسية شردين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحي من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لم لا يكذب أن تصدقه ولمن لا يخون أن تأتمنه ولمن لا يخلف أن تتق به فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهي عنه أو ما نهي عنه أمر به أوليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر

فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم م من يرده وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر

وذكر ابن إسحاق والواقدي وسيف الطبري وغيرهم أن المنذر لما وصله العلاء برسالة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكتابه أسلم فحسن إسلامه

وزاد الواقدي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} استقدم العلاء بن الحضرمي فاستخلفه العلاء مكانه على عمله وذكر ابن إسحاق وغيره أن المنذر توفي قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أميراً لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} على البحرين

وذكر ابن قانع أن المنذر وفد على النبي {صلى الله عليه وسلم} ولا يصح ذلك إن شاء الله ذكر كتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان مع عمرو بن العاص ذكر الواقدي بإسناد له إلى عمرو بن العاص أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث نفراً سماهم إلى جهات مختلفة برسوم الدعاء إلى الإسلام

قال عمرو فكنت أنا المبعوث إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وكتب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معي كتاباً قال وأخرج عمرو الكتاب فإذا صحيفة أقل من الشبر فيها بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بداعية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وإنكما إن أقرتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما

وكتب أبي بن كعب وختم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الكتاب ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت إني رسول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليك وإلى أخيك فقال أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال لي وما تدعو إليه قلت أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله قال يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد {صلى الله عليه وسلم} ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام قال فمتى تعته قلت قريباً فسألني أين كان إسلامي قلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومك بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والأساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم

قال انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحلّه في ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي قلت بلى قال بأي شيء علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد {صلى الله عليه وسلم} قال لا والله لو سأني درهما واحداً ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له نياق أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين ديناً محدثاً قال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع

قال انظر ما تقول يا عمرو قلت قد والله صدقتك قال عبد فاخبرني ما الذي يأمر به وينهي عنه

قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وينهي عن عبادة الحجر والوثن والصليب

فقال ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا

قلت إنه إن أسلم ملكه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال إن هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل

فقال يا عمرو تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه

فقلت نعم فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا

قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى ثم أنه دعاني يوما

فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضيعي فقال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب محتوما ففرض خاتمه فقراه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقراه مثل قرأته إلا أنني رأيت أخاه أرق منه ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهور في السيف

قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم فهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطنك الخيل ويبيد خصرك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال

قال دعني يومي هذا وارجع إلي غدا

فرجعت إلى أخيه فقال يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يرض بملكه

حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرت أبي لم أصل إليه فأوصلني إليه

فقال أبي فكرت فيما دعوت إليه فإذا أنا أضعف العرب ن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى

قلت فأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال ما نحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه

فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبي {صلى الله عليه وسلم} وخليا بيني وبين

الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عوننا على من خالفني

وفي حديث غير الواقدي أن عمرا قال له فيما دار بينهما من الكلام إنك وإن كنت منا بعيدا فإنك من الله غير بعيد

إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تفرد بعبادتك وإن لا تشرك به من لم يشركه فيك واعلم انه يملك الذي أحياك

ويعيدك الذي أبدأك فأنظر في هذا النبي الأمي الذي جاءنا بالدنيا والآخرة فإن كان يريد به أجرا فامنع أو يميل به

هوى فدعه ثم أنظر فيما

يجيء به هل يشبهه ما يجيء به الناس فإن كان يشبهه فسله العيان وتخبر عليه في الخبر وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال

وخف ما وعد

قال ابن الجندبي إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي انه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به ولا ينهي عن شر

إلا كان أول تارك له وإنه يغلب فلا يبظر ويغلب فلا يضجر وأنه يفى بالعهد وينجز الموعد وأنه لا يزال سر قد
اطلع عليه يساوي فيه أهله وأشهد أنه نبي

كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى هودّة بن علي مع سليط بن عمرو العامري وما كان من خبره معه
ولما بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الله بعث سليط بن عمرو إلى هودّة بن
علي الحنفي صاحب اليمامة والمتوج بها وهو الذي يقول فيه الأعشي ميمون بن قيس من كلمة
إلى هودّة الوهاب أعلمت ناقتي
أرجي عطاء فاضلا من عطائكا
فلما أتت آطام جو وأهلها
أنىخت وألقت رحلها بقباتكا
الطويل

وذكر الواقدي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كتب إلى هودّة مع سليط حين بعثه إليه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هودّة بن علي سلام على من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر إلى
منتهى الخلف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك
فلما قدم عليه سليط بكتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} محتوما أنزله وحياه واقتراً عليه الكتاب فرد ردا دون رد
وكتب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم}

ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إلى بعض الأمر أتبعك
وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على

النبي {صلى الله عليه وسلم} فأخبره وقرأ النبي {صلى الله عليه وسلم} كتابه وقال لو سألتني سبابة من الأرض ما
فعلت باد وباد ما في يده فلما انصرف النبي {صلى الله عليه وسلم} من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هودّة
مات فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فقال قائل يا رسول
الله فمن يقتله فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنت وأصحابك فكان من أمر مسيلمة وتكذبه ما كان
وظهر المسلمون عليه فقتلوه وكان ذلك القاتل من قتلته وفق ما قاله الصادق المصدوق صلوات الله وبركاته عليه

وذكر وثيمة بن موسى أن سليط بن عمرو لما قدم على هودّة بكتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان
كسرى قد توجه وقال له يا هودّة إنه قد سودتك أعظم حائلة وأرواح في النار وإنما السيد من متع الإيمان ثم زود
التقوى إن قوما سعلوا برأيك فلا تشقين به وإني أمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه أمرك بعبادة الله
وأنهاك عن عبادة الشيطان فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما
خفت وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو المطلع

فقال هودّة يا سليط سودني من لو سودك شرفت به وقد كان لي رأي اختبر به الأمور فقدتته فموضعه من قلبي هواء
فاجعل لي فسحة يرجع إلي رأيي فأجيبك به إن شاء الله

وقال هودّة في ذلك

أتاني سليط بالحوادث جهة

فقلت له ماذا يقول سليط

فقال التي فيها على غضاضة
وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذي كنت أجتلي
به الأمر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره
أبا النصر جاش في الأمور ربيط
فأذهبه خوف النبي محمد
فهوذة فيه في الرجال سقيط
فأجمع أمري من يمين وشمال
كأني ردود للنبال لقيط
وأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل
أتاك رسول للنبي خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح
عليه من اوبار الحجاز غبيط
أحاذر منه سورة هائمية
فوراسها وسط الرجال عبيط
سكرت ودبت في المفارق وسنة
لها نفس على الفؤاد غطيظ
فلا تعجلني يا سليط فإننا
نبادر أمرا والقضاء محيظ
الطويل

وذكر الواقدي بإسناد له عن عبد الله بن مالك أنه قال قدمت اليمامة في خلافة عثمان بن عفان فجلست في مجلس
لحجر فقال رجل في المجلس إني لعند ذي التاج الحنفي يعني هوذة يوم القمصح إذ جاء حاجبه فاستأذن لأركون دمشق
وهو عظيم من عظماء النصارى فقال ائذن له فدخل فرحب به وتحدثا فقال الأركون ما أطيب بلاد الملك وأبرأها
من الأوجاع

قال ذو التاج هي أصح بلاد العرب وهي زين بلادهم قال الأركون وما قرب محمد منكم قال ذو التاج هو يشرب
وقد جئني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه
قال الأركون لم لا تحببه قال ضننت بديني وأنا ملك قومي وإن تبعته لم أملك
قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وإن الخيرة لك في اتباعه وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم وإنه
لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله
قال ذو التاج قد قرأت في الإنجيل ما تذكر
ثم قال الأركون فما لك لا تتبعه قال الحسد له والظن بالخمير وشربها
قال فما فعل هرقل قال هو على دينه ويظهر لرسله أنه معه وقد سير أهل مملكته فأبوا أشد الإباء فظن بملكه أن

يفارقه قال ذو الناج فما أراني إلا متبعه وداخلا في دينه فأنا في بيت العرب وهو مقري على ما تحت يدي
قال البطريق هو فاعل فاتبعه فدعا رسولا وكتب معه كتابا وسمي هدايا فجاهه قومه فقالوا تتبع محمدا وتترك دينك
لا تملكن علينا أبدا فرفض الكتاب

قال فأقام الأركون عنده في حياء وكرامة ثم وصله ووجه راجعا إلى الشام
قال الرجل وتبعته حين خرج فقلت أحق ما أخبرت ذا الناج قال نعم والله فاتبعه قال فرجعت إلى أهلي فتكلفت
الشخص إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقدمت عليه مسلما فأخبرته بكل ما كان فحمد الله الذي هداني
ولم يسم في حديث الواقدي هذا الرجل إلا أن فيه أنه كان من طيء ثم من بني نهبان

وقد تقدم صدر هذا الكتاب أن عامر بن سلمة من بني حنيفة رأى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثلاثة أعوام
ولاء في الموسم بعكاظ ومجنة وبذي الحجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله وإلى أن ينصروه حتى
يبلغ عن الله فلا يستجيب له أحد وإن هوزة بن علي سأل عامرا بعد انصرافه عن الموسم إلى اليمامة في أول عام عن
ما كان في موسمهم من خبر فأخبره خبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنه رجل من قريش فسأله هوزة من أي
قريش هو فقال له عامر من أوسطهم نسبا من بني عبد المطلب قال هوزة أهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال
هو هو فقال هوزة أما إن أمره سيظهر على ما هنا وغير ما هنا
ثم ذكر تكرر سؤال هوزة له عنه حتى ذكر له في السنة الثالثة أنه رآه وأمره قد أمر فقال له هوزة هو الذي قلت
لك ولو أنا أتبعناه لكان خيرا لنا ولكننا نضن بملكنا

وأخبر عامر بذلك كله سليط بن عمرو وقد مر به منصرفا عن هوزة إذ بعته إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فلم يسلم واسلم عامر آخر حياة النبي {صلى الله عليه وسلم} ومات هوزة كافرا على نصرانيته
ذكر كتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى الحارث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهب
ذكر الواقدي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث شجاعا إلى الحارث بن أبي شمر وهو بغوطة دمشق فكتب
إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مرجعه من الحديبية

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله
وحده لا شريك له يبق لك ملكك
فختم الكتاب وخرج به شجاع بن وهب

قال فانتبهت إلى صاحبه فأخذه يومئذ وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطف لقيصر وهو جاء من حمص إلى إيلياء
حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال فأقامت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال حاجبه لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان روميا
اسمه مري يسألني عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما يدعو إليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول
إني قرأت في الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه يخرج بالشام فأراه قد خرج بأرض القرظ فأنا أو من به
واصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني

قال شجاع فكان يعني هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويجبرني عن الحارث بالأس منه ويقول هو يخاف قيصر
قال فخرج الحارث يوما فجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وسلم { فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جنته علي بالناس فلم يزل جالسا بعرض حتى الليل وأمر بالخيال أن تعزل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى
وكتب إلى قيصر يخبره خبري فصادف قيصر بإيلياء وعنده دحية الكلبي قد بعثه إليه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه أن لا تسر إليه واله عنه ووافني بإيلياء قال ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك قلت غدا فأمر بمائة مثقال ووصلني مري بنفقة وكسوة وقال إقرأ علي رسول الله مني السلام وأخبره أبي متعب دينه
قال شجاع فقدمت علي النبي { صلى الله عليه وسلم } فأخبرته فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } صدق

قال الواقدي ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح وكان نازلا بجلق ووليهم جبلة بن الأيهم وكان ينزل الجابية وكان آخر ملوك غسان أدركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فأسلم ثم أنه لاحي رجلا من مزينة فلطم عينه فجاء به المزني إلى عمر رضي الله عنه وقال خذ لي بحقي فقال له عمر الطم عينه فأنف جبلة وقال عيني وعينه سواء قال عمر نعم فقال جبلة لا أقيم بهذه الدار أبدا ولحق بعمورية مرتدا فمات هناك على رذته
هكذا ذكر الواقدي أن توجه شجاع بن وهب بكتاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كان إلى الحارث بن أبي شمر وكذلك قال ابن إسحاق

واما ابن هشام فقال إنما توجه إلى جبلة بن الأيهم وقد قال ذلك غيره فالله أعلم
وذكر بعض من وافق ابن هشام على أن الرسالة كانت إلى جبلة أن شجاع بن وهب لما قدم عليه قال له يا جبلة إن قومك نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دراهم يعني الأنصار فأوروه ومنعوه وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آباءك ولكنك ملكك الشام وجاورت بها الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق وقد أقر بهذا النبي الأمي من أهل دينك من إن فضلناه عليك لم يفضلك وإن فضلناك عليه لم يرضك فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة وكن قد استبدلت المساجد بالبيع الأذان بالناقوس والجمع بالشعائين والقبلة بالصليب وكان ما عند الله خير وأبقى
فقال له جبلة

إني والله لو ددت أن الناس اجتمعوا علي هذا النبي الأمي اجتماعهم علي خلق السموات والأرض ولقد سرتني اجتماع قومي له وأعجبتني قتله أهل الأوثان واليهود واستبقاه النصارى ولقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه فانتدب له مالك بن نافلة من سعد العشيرة فقتله الله ولكني لست أرى حقا ينفعه ولا باطلا يضره والذي يمدني إليه أقوى من الذي يخلجني عنه وسأنظر

واما توجه المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وهو شقيق أم سلمة زوج النبي { صلى الله عليه وسلم } إلى الحارث بن عبد كلال فلم أجد عند ابن إسحاق ولا فيما وقع إلي عن الواقدي شيئا أنقله عنهما سوى ما ذكر ابن إسحاق من توجيه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إياه إلى الحارث بن عبد كلال ذكرا مقتصرًا فيه علي هذا القدر مختصرًا من الإمتاع بما تحسن إضافته إلى ذلك من الوصف

وتقدم لابن إسحاق في كتابه وذكره أيضا الواقدي أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قدم عليه كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم الحارث ابن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال

والنعمان قيل ذي رعين ومعاقر وهمدان وبعث إليه زرعة ذي يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم
الشرك وأهله

وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مسيره إلى تبوك يقول إني بشرت بالكافرين فارس والروم وأمدت
بالمملك ملك حمير يأكلون في الله ويجاهدون في سبيل الله
فلما قدم عليه مالك بن مرة بإسلامهم كتب إليهم
بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعاقر
وهمدان

أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا
بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بمده
أن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما
كتب على المؤمنين من الصدقة وبين لهم صدقة الزرع والإبل والبقر والغنم ثم قال

فمن زاد خيرا فهو خير له ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما
لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه
ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيتها فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد
دينار وافر من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإن له ذمة الله
وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله

أما بعد فإن محمدا النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن
زيد ومالك بن عباد وعقبة بن
نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها رسلي فإن أميرهم
ابن جبل فلا ينقلبن إلا راضيا

أما بعد فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله
ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير وأمرك بحمير
خيرا ولا تخاونوا ولا تخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وإن الصدقة لا تحل لحمد ولا لأهل بيته وإنما
هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل
وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وأمركم به خيرا وإني قد أرسلت إليكم من صالح أهلي وأولي دينهم وأولي
علمهم وأمركم بهم خيرا فإنه منظور إليهم
والسلام عليكم ورحمة الله

فهذا ما ذكر ابن إسحاق من شأن ملوك حمير وما كتبوا به وكتب إليهم وذكر الواقدي أيضا نحوه

ولا ذكر للمهاجر بن أبي أمية في شيء من ذلك إلا أن ابن إسحاق والواقدي ذكرا أن قدوم رسول ملوك حمير على
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان مقدمه من تبوك وذلك في سنة تسع وتوجيه رسول الله {صلى الله عليه

وسلم} رسله إلى الملوك إنما كان بعد انصرافه عن الحديبية آخر سنة ست فلعل المهاجر والله أعلم كان توجهه حينئذ إلى الحارث بن عبد كلال فصادف منه عامئذ تردداً واستنظارا ثم جلا الله عنه العمى فيما بعد وأمر بمدايته فاستبان له القصد فعند ذلك أرسل هو وأصحابه بإسلامهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبذلك يجتمع الأمران ويصح الخبران إذ لا خلاف بين أهل العلم بالأخبار والعناية بالسير أن ملوك حمير أسلموا وكتبوا بإسلامهم إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما أنه لا خلاف بينهم أيضا في توجيه المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال

ويقول بعض من ذكر ذلك أن المهاجر لما قدم عليه قال له

يا حارث إنك كنت أول من عرض عليه النبي {صلى الله عليه وسلم} نفسه فخطيت عنه وأنت أعظم الملوك قدرا فإذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك وإذا أسرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت أخبارها عاشوا طويلا وأملوا بعيدا وتزودوا قليلا منهم من أدركه الموت ومنهم من أكلته النقم وإني أدعوك إلى الرب الذي إن أردت الهدى لم يمنحك وإن أردك لم يمنك منه أحد وأدعوك إلى النبي الأمي الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهي عنه وأعلم أن لك ربا يميت الحي ويحي الميت ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

فقال الحارث

قد كان هذا النبي عرض نفسه علي فخطيت عنه وكان ذخرا لمن صار إليه وكان أمره أمرا بسق فحضره اليأس وغاب عنه الطمع ولم تكن لي قرابة أحتمله عليها ولا لي فيه هوى أتبعه له غير أبي أرى أمرا لم يؤسس الكذب ولم يسنده الباطل له بدو سار وعافية نافعة وسأنظر ذكر كتاب النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى فروة بن عمرو الجذامي ثم النفاقي وما كان من تبرعه بالإسلام هداية من الله عز وجل له

ذكر الواقدي بإسناد له أن فروة بن عمرو هذا كان عاملا لقيصر على عمان من أرض البلقاء وفي كتاب ابن إسحاق معان وما حولها من أرض الشام وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد كتب إلى هرقل وإلى الحارث بن أبي شمر ولم يكتب إليه فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بإسلامه وبعث من عنده رسولا يقال له مسعود بن سعد من قومه بكتاب مختوم فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد رسول الله النبي إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وإنه الذي بشر به عيسى ابن مريم

والسلام عليك

ثم بعث مع الرسول بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارة يعفور وفرسا يقال له الظرب وبعث بأثواب من لين وقباء من سندس محوص بالذهب فقدم الرسول فدفع الكتاب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاقتراه وأمر بلالا أن ينزله ويكرمه فلما أراد الخروج كتب إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جواب كتابه

من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد

فإنه قدم علينا رسولك بكتابتك فبلغ ما أرسلت به وخبر عن ما قبلكم وأنبأنا بإسلامك وإن الله عز وجل قد هدانا لهذا

أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقامت على الصلاة وآتيت الزكاة والسلام عليك
ولما بلغ قيصر إسلام فروة بن عمرو بعث إليه فحجسه ولما طال حبسه أرسلوا إليه أن أرجع إلي دينك ويعيد إليك
ملكك فقال لا أفارق دين محمد أبداً أما أنك تعرف انه رسول الله بشرك به عيسى ابن مريم ولكنك ضننت بملكك
وأحييت بقاءه

فقال قيصر صدق والإنجيل

وذكر الواقدي أنه مات في ذلك الحبس فلما مات صليبه

وقال ابن إسحاق إنهم صلبوه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين

قال فلما اجتمعت الروم لصلبه قال

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها

على ماء عفراء فوق إحدى الرواحل

على ناقه لم يضرب الفحل أمها

مشذبة أطرافها بالمناجل

الطويل

وذكر ابن شهاب الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه قال

أبلغ سراة المسلمين بأني

سلم لربي أعظمى ومقامي

الكامل

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء يرحمه الله

قال ابن إسحاق وقد كان تكلم على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الكذابان مسيلمة ابن حبيب الحنفي

باليمامة في بني حنيفة والأسود بن كعب العنسي بصنعاء

وذكر بإسناد له عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يخاطب الناس على منبره

وهو يقول

يا أيها الناس إني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا

فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة

وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم

يدعي النبوة

قال ابن إسحاق وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ

الإسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها وبعث زياد بن لبيد

أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بني أسد

وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني حنظلة وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم فبعث الزبيرقان بن

بدر على ناحية منها وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث على بن

أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليهم بجزيتهم

وقد كان مسيلمة رسول الله محمد بن حبيب كتب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مسيلمة إلى رسول الله

سلام عليك أما بعد

فإني قد أشركت في الأمر معك

وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون

فقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بهذا الكتاب رسولان لمسيمة فقال لهما رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين قرأ كتابه فما تقولان أنتما قالوا نقول كما قال فقال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب إلى مسيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى مسيمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

قال ابن إسحاق وكان ذلك في آخر سنة عشر

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وقد قيل إن دعوى مسيمة ومن أدعى من الكذابين النبوة في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنما كانت بعد انصرافه من حجة التمام ووقوعه في المرض الذي توفاه الله فيه فالله تعالى أعلم

ذكر حجة الوداع

وتسمى أيضا حجة التمام وحجة البلاغ

ولما دخل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذو القعدة من سنة عشرة تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له وخرج لخمس ليل بقين من ذي القعدة وقد كان أذن في الناس أمه خارج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويعمل مثل عمله قال جابر بن عبد الله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملناه فأهل بالتوحيد ليك اللهم ليك لا شريك لك وأهل لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك وأهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد عليهم شيئا منه ولزم {صلى الله عليه وسلم} تلبيته

وفي حديث عائشة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما خرج في حجة الوداع لم يكن يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج حتى إذا كان بسوق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معه الهدي وأشرف من أشرف الناس أمر الناس أن يحلوا بعمره إلا من ساق الهدي

وقال جابر في حديثه لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى البقرة ١٢٥ فجعل المقام بينه وبين البيت ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله البقرة ١٥٨ أبدا بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا إله

ألا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده

ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماءه في بطن الوادي حتى إذا صعدا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة

فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله ألعامننا هذا أم لأبد فشبك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصابعه واحدة في الأخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين بل لأبد الأبد وقدم على من اليمن بيدن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوجد فاطمة ممن حل وليست ثيابا صبيغا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت إن أبي أمرني بهذا قال فكان علي يقول بالعراق فنهبت إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} محرشا على فاطمة للذي صنعت مستفتيا له فيما ذكرت عنه فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم إني أهل بما أهل به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال فإن معي الهدي فلا تحل فكان جماعة الهدي الذي قدم به على من اليمن والذي أتى به النبي {صلى الله عليه وسلم} مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي {صلى الله عليه وسلم} ومن كان معه هدي

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج فركب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس قال ابن إسحاق ومضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على حجة فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب للناس خطبته التي بين فيها ما بين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كان ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم

أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله

فيحلوا ما حرم الله التوبة ٣٧ ويجرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض
وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم التوبة ٣٦
ثلاثة متواليه ورجب مضر الذي هو بين جمادى وشعبان

أما بعد أيها الناس فإن لكم علي نساتكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه
وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير
مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن
شيئا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت وقد
تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه
أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما
أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم
اللهم هل بلغت فذكر أن الناس قالوا اللهم نعم فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اللهم أشهد
وفي حديث جابر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال للناس في خطبته وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون
قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت
فقال

ياصبغه السبابة يرفعها إلى السماء ويكبتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد ثلاث مرات ثم أذن ثم أقام فصلى
الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات
وجعل جبل المشاة بين يديه

واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة بن زيد
خلفه ودفع وقد شق القصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة
السكينة كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد ثم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدة
وإقامتين ولم يسيح بينهما شيئا ثم اضطجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين
تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحد
فلم يزل واقفا حتى أصفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس حتى أتى بطن محر فحرك قليلا
ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة منها رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ثم أعطى عليا فنحر
ما غبروا شركة في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم
ركب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى البيت فأفاض وصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون
على زمزم فقال انزعوا يا بني عبد المطلب فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوفا فشرب
منه

ويروي أن ربيعة بن أمية بن خلف هو الذي كان يصرخ في الناس بقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو
بعرفة يقول له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قل أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي شهر هذا فيقول له
هم فيقولون الشهر الحرام فيقول لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم

هذا ثم يقول أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي بلد هذا قال فيصرخ به فيقولون البلد الحرام فيقول قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه بلدكم هذا

ثم يقول قل يا أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرون أي يوم هذا فيقول لهم فيقولون يوم الحج الأكبر فيقول قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا وقال عمرو بن خارجة وقفت تحت ناقه النبي {صلى الله عليه وسلم} وإن لعابها ليقع على رأسي ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} واقف بعرفة فسمعته وهو يقول أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً

ولما وقف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعرفة قال هذا الموقف للجبل الذي هو عليه وكل عرفة موقف وقال حين وقف على قرح صبيحة المزدلفة هذا الموقف وكل المزدلفة موقف

ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر وكل منى منحور

فقضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض عليهم من حجهم من الموقف ورمى الجمار وطواف البيت وما أحل لهم في حجهم وما حرم عليهم فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع وذلك أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم يحج بعدها

ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين بوفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله أجمعين

ولما قفل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من حجة الوداع أقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً وضرب على الناس بعنا إلى الشام وهو البعث الذي أمر إليه أسامة بن زيد وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون وكان آخر بعث بعثته رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيينا الناس على ذلك ابتديء صلوات الله عليه بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد به من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول فكان أول ما ابتديء به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيما ذكر أنه خرج إلى بقيع العرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله فلما أصبح ابتديء بوجعه من يومه ذلك

حدث أبو مويهبة مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال بعثني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من جوف الليل فقال يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى ثم أقبل علي فقال يا أبا مويهبة إني

قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة

ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدأ به وجعه الذي قبضه الله فيه

وقالت عائشة رضي الله عنها رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول وراساه فقال بل أنا والله يا عائشة وراساه

قالت ثم قال وما ضرك لو مت قبلي فقامت عليك وكفنتك واصلت عليك ودفنتك فقلت والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساتك فتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وتام به وجهه وهو يدور على نساته حتى استعز به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي فأذن له وفي غير حديث عائشة أن نساءه {صلى الله عليه وسلم} كن يومئذ تسعا عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة وزينب بنت جحش وسودة بنت زمعة القرشيات وميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير

فهؤلاء التسع هن اللاتي توفي عنهن {صلى الله عليه وسلم} وتوفي منهن قبله عليه السلام خديجة بنت خويلد وزيرته على الإسلام وأم بنيه وبناته كلهم ما خلا إبراهيم فإنه لسريته مارية القبطية ولم يتزوج عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى ماتت وزينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم فزينب هذه وخديجة توفيتا قبله وبهما كمل عدد من بني عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أزواجه ممن اتفق العلماء عليه إحدى عشرة امرأة توفي منهن عن تسع كما ذكرنا وقد عقد عليه السلام على نساء غيرهن فلم ين في المشهور من أقاويل العلماء بوحدة منهن فاستغينا لذلك عن ذكرهن

ونرجع الآن إلى حديث عائشة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} لما استأذن أزواجه أن يمرض في بيتها فأذن له قالت فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي

وعن ابن عباس أن الرجل الآخر هو علي بن أبي طالب ثم غمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واشتد به وجعه فقال هريقوا علي من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم

فأقعدها في مخضب لحفصة بنت عمر ثم صبينا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم قال الزهري حدثني أبو أيوب بن بشير أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده فاختر ما عند الله ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال بل تشديك بأنفسنا وأبنائنا فقال علي رسلك يا أبا

قالت ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب قالت فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب فقعد فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي {صلى الله عليه وسلم} لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلا رقيقا يا عمر صل بالناس فقال له عمر أنت أحق بذلك فصلى أبو بكر تلك الأيام

ومن حديث الأسود عن عائشة قالت لما تحمل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس

قالت فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقالت له فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنكن لانتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فأمرها أبا بكر فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض فلما دخل المسجد وسمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقم مكانك فجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلي بالناس جالسا وأبو بكر قائما يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر وعن عبد الله بن زمعة بن الأسود أنه كان عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في نفر من

قالت ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب قالت فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب فقعد فاغتسل ثم ذهب لينيوي فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلي الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي {صلى الله عليه وسلم} لصلاة العشاء الآخرة فأرسل النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلا رقيقا يا عمر صل بالناس فقال له عمر أنت أحق بذلك فصلى أبو بكر تلك الأيام

ومن حديث الأسود عن عائشة قالت لما تحمل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس

قالت فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقالت له فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنكن لانتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت فأمرها أبا بكر فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض فلما دخل المسجد وسمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أقم مكانك فجاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلي بالناس جالسا وأبو بكر قائما يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر وعن عبد الله بن زمعة بن الأسود أنه كان عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في نفر من

المسلمين لما استعز به ودعاه بلال إلى الصلاة فقال مروا من يصلي بالناس قال فخرجت فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام فلما كبر سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صوته وكان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأين أبو بكر يأتي الله ذلك والمسلمون يأتي الله ذلك والمسلمون

فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى أبو بكر بالناس يريد ما بعد من الصلوات فقال لي عمر ويحك ماذا صنعت في يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس

قلت والله ما أمرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة للناس

وعن أنس بن مالك قال آخر نظرة نظرهما إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كشف الستارة يوم الاثنين والناس صفوف في الصلاة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضاحكا فيهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج النبي {صلى الله عليه وسلم} ونكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل فأرخى الستة فتوفي من يومه ذلك

وفي رواية عن أنس أن خروج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الناس كان وهم يصلون الصبح وأنه لما رفع الستة وقام على باب عائشة فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم فرحاه به حين رأوه قال وتبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سرورا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم وما رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحسن هيئة منه تلك الساعة قال ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد أفرق من وجهه وعن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال اشتد

وعن أسامة بن زيد قال لما ثقل النبي {صلى الله عليه وسلم} هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة يعني الجيش الذي كان تقياً للخروج معه في بعثته قال فدخلت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد أصمت فلا يتكلم وجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما علي أعرف أنه يدعولي

وذكر ابن إسحاق من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة أن مما تكلم به رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للناس يوم صلى قاعدا عن يمين أبي بكر أن قال لهم لما فرغ من الصلاة وأقبل عليهم فكلهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول يا أيها الناس سعرت الناس وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم إني والله ما تمسكون علي بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن

قال فلما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كلامه قال له أبو بكر يا رسول الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خاروجة أفأتيها قال نعم ثم دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح

وعن عبد الله بن عباس قال خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الناس من عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له الناس يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أصبح بحمد الله بارئاً قال فأخذ العباس بيده ثم قال يا علي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث مرات أحلف بالله لقد رأيت الموت في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليه وسلم فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس فقال علي إني والله لا أفعل والله لئن منعناه لا يؤتينا أحد بعده فتوفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين اشتد

الضحى من ذلك اليوم

أيها الناس من كان عنده شيء فليرده ولا يقل رجل فضوح الدنيا إلا وإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة
فقام رجل فقال يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله قال ولم غللتها قال كنت إليها محتاجا قال
خذها منه يا فضل ثم قال من خشي من نفسه شيئا فليقم أدع له فقام رجل فقال يا رسول الله إني لكنوب وإني
لفاحش وإني لنؤم

فقال اللهم ارزقه الصدق واذهب عنه النوم إذا أراد

ثم قام رجل فقال والله يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق وما شيء أو إن شيء إلا قد جنته

فقام عمر بن الخطاب فقال فضحت نفسك أيها الرجل فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} يا ابن الخطاب فضوح
الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وصيرا أمره إلى خير
فقال عمر كلمة فضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر
حيث كان

وعن عائشة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث قالت فلما
اشتد وجعه كنت أنا أقرأ عليه وأمسح عنه بيمينه رجاء بركتها
وعنها قالت ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا اغبط أحدا بمون موت
بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وقالت رضي الله عنها رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو بالموت وعندة قدح فيه ماء وهو يدخل يده في
القدح ثم يمسح وجهه {صلى الله عليه وسلم} بالماء ثم يقول اللهم أعني على منكرات الموت أو سكرات الموت
وعنها وعن عبد الله بن عباس أيضا قالوا لما نزل برسول الله {صلى الله عليه وسلم} طفق يلقي خميصة على وجهه
فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
يحذرهم مثل ما صنعوا

وعن أسامة بن زيد قال لما ثقل النبي {صلى الله عليه وسلم} هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة يعني الجيش الذي
كان تقياً للخروج معه في بعته قال فدخلت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد أصمت فلا يتكلم وجعل
يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما علي

أعرف أنه يدعولي

وذكر ابن إسحاق من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة أن مما تكلم به رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
للناس يوم صلى قاعدا عن يمين أبي بكر أن قال لهم لما فرغ من الصلاة وأقبل عليهم فكلهمم رافعا صوته حتى خرج
صوته من باب المسجد يقول يا أيها الناس سعرت الناس وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم إني والله ما تمسكون علي
بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن

قال فلما فرغ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كلامه قال له أبو بكر يا رسول الله إني أراك قد أصبحت
بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خاروجة أفأيتها قال نعم ثم دخل رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح

وعن عبد الله بن عباس قال خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الناس من عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال له الناس يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال أصبح بحمد الله بارئاً قال فأخذ العباس بيده ثم قال يا علي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث مرات أحلف بالله لقد رأيت الموت في وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس فقال علي إني والله لا أفعل والله لئن منعنا لا يؤتينا أحد بعده فتوفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين اشتد الضحى من ذلك اليوم

وقالت عائشة رضي الله عنها رجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ذلك اليوم حين دخل المسجد فاضطجع في حجره فدخل علي رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر فنظر إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في يده نظراً عرفت أنه يريد فقلت يا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك قال نعم قالت فأخذته فمضغته له حتى لينته ثم أعطيته إياه قالت فاستن به كأشد ما رأيت استن بسواك قط ثم وضعه ووجدت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتقل في حجره فلنهدت انظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة قالت فقلت خبرت فاخترت والذي بعثك بالحق

وقالت كان عليه السلام كثيراً ما أسمع يقول إن الله لم يقبض نبياً حتى يخبره فلما حضر كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة

فقلت إذا والله لا يختارنا وعرفت أنه الذي كان يقول لنا إن نبياً لم يقبض حتى يخبر

قالت وقبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وعن أنس بن مالك قال لما وجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة واكرباه لكربك يا أبة فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} لا كرب على أبيك بعد اليوم إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحداً لموافاة يوم القيامة

وقالت عائشة رضي الله عنها كان آخر ما عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن قال لا يترك بجزيرة العرب دينان

وقالت أم سلمة كان عامة وصية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يلجلجها في صدره وما يقبض بما لسانه

وقال أنس بن مالك شهدته يوم توفي {صلى الله عليه وسلم} فلم أر يوماً كان أقبح منه

وقالت عائشة توفي {صلى الله عليه وسلم} بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً فمن سفهي وحدائة سني أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قبض وهو في حجره ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي

واختلف أهل العلم بهذا الشأن في اليوم الذي توفي فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الشهر بعد اتفاهم

على أنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول

فذكر الواقدي وجهور الناس أنه توفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمة المدينة وهذا لا يصح وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه وذلك أن المسلمين قد أجمعوا على أن وقفة النبي {صلى الله عليه وسلم} بعرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة تاسع ذي الحجة من سنة عشر فاستهل هلال

ذي الحجة على هذا ليلة الخميس ثم لا يخلو شهر ذي الحجة والحرم بعده من سنة إحدى عشرة ثم صفر بعده أن تكون هذه الأشهر الثلاثة كاملة كلها أو ناقصة كلها أو اثنان منها كاملين وواحد ناقصا أو اثنان منها ناقصين وواحد كاملا وأيا ما قدرت من ذلك واعتبرته لم تجد الثاني عشر من ربيع الأول يكون يوم الاثنين أصلا وذكر أبو جعفر الطبري بإسناد يرفعه إلى فقهاء أهل الحجاز قالوا قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول وهذا القول وإن خالف ما ذكره جمهور العلماء فإنه أولى بالصواب وأمكن أن يكون حقا فإنه إن كانت الأشهر الثلاثة كل شهر منها من تسعة وعشرين يوما كان استهلال شهر ربيع الأول على ذلك بالأحد فكان يوم الاثنين ثانية

وقد حكى الخوارزمي أنه {صلى الله عليه وسلم} توفي أول يوم من شهر ربيع الأول وهذا أيضا أمكن وأكثر إذ اتصال القص في ثلاثة أشهر لا يكون إلا قليلا والله تعالى أعلم

ولما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وارتفعت الرنة عليه وسجته الملائكة دهش الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة وطاشت عقولهم وافحموا واختلطوا فممنهم من خبل ومنهم من اصمت ومنهم من أقعد إلى الأرض فكان عمر رضي الله عنه ممن خبل فجعل يصيح ويقول أن رجلا من المنافقين يزعمون أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} توفي وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات والله ليرجع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما رجع موسى فليقطع أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مات وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم واقعد علي رضي الله عنه فلم يستطع حراكا وأضني عبد الله بن أنيس

وبلغ الخبر أبا بكر رضي الله عنه وهو بالسبح فجاء وعيانه قملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة وهو في ذلك رضوان الله عليه جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأكب عليه وكشف عن وجهه ومسحه وقيل جبينه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ولنقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهييت عن البكاء لاشدنا عليك ماء الشون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وأدناف يتخالفان لا يرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم تقم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

ثم خرج إلى الناس وهم في عظيم غمهم وشديد سكرتهم فقام فيهم بخطبة جلها الصلاة على النبي {صلى الله عليه وسلم} وقال فيها

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين في كلام طويل ثم قال

أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا قال الله تبارك وتعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين آل عمران ١٤٤

وإن الله سبحانه قد اختار لنبيه {صلى الله عليه وسلم} ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط النساء ١٣٥ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتكم عن دينكم فعاجلوا الشيطان بالخزي تعجزوه ولا تستنظروه فليلحق بكم

فلما فرغ من خطبته التفت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا عمر أنت الذي بلغني عنك أنك تقول على باب النبي {صلى الله عليه وسلم} والذي نفس عمر بيده ما مات نبي الله أما علمت أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يوم كذا كذا وكذا وقال يوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه إنك ميت وإهم ميتون ٣٠ الزمر

فقال عمر والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الحديث كما حدث وأن الله تبارك وتعالى حي لا يموت صلوات الله على رسوله وعند الله نحسب رسوله وفي بعض سياق هذا الخبر أن أبا بكر رضي الله عنه لما دخل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيت عائشة ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ناحية البيت عليه برد حبرة أقبل حتى كشف عن وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم أقبل عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا ثم رد البرد على وجه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل يكلم الناس فلما سمع الناس كلام أبي بكر أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال

يا أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم آل عمران ١٤٤ إلى آخر الآية

قال فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم

وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد مات وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما كان منه يومئذ لعمرى لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدي الذي قلته الجزع وقلت يغيب الوحي عنا لفقده كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع وكان هواي أن تطول حياته

وليس لحي في بقا ميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه
إذا الأمر بالجدع الموعب قد وقع
فلم تك لي عند المصيبة حيلة
أرد بها أهل الشمامة والقذع
سوى إذن الله الذي في كتابه
وما أذن الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة
لها في حلوق الشامتين به بشع
ألا إنما كان النبي محمد
إلى أجل وافي به الموت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه
ونعطي الذي أعطى وتمنع ما منع
ووليت محزوننا بعين سخيبة
أكفكف دمعي والفؤاد قد أنصدع
وقلت لعيني كل دمع ذخرتة
فجودي به إن الشجي له دفع
الطويل

وذكر ابن إسحاق بإسناد يرفعه إلى عبد الله بن عباس قال إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له
وفي يده الدرة ما معه غيري وهو يحدث نفسه ويضرب وخشي قدمه بدرته إذ التفت إلي فقال يا ابن عباس هل
تدري ما حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} قال قلت لا أدري يا أمير المؤمنين
أنت أعلم

قال فإنه والله إن حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ١٤٣ البقرة فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمارها فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت
وذكر موسى بن عقبة أن المقام الذي قام به أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويعد
الذي كان من عمر من القول هو أنه خرج سريعا إلى المسجد من بيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتوطأ
رقاب الناس حتى جاء المنبر وعمر يكلم الناس ويوعدهم من زعم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مات فجلس
عمر حين رأى أبا بكر مقبلا فقام أبو بكر على المنبر فنادى الناس أن اجلسوا وأنصتوا فتشهد بشهادة الحق ثم قال
إن الله قد نعى نبيكم لنفسه وهو حي بين أظهركم ونعى لكم أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله يقول الله
عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على
عقبه فلن يضرب الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ١٤٤ آل عمران
وقال إنك ميت وإهم ميتون ٣٠ الزمر

وقال ٧٧ كل نفس ذائقة الموت ١٨٥ آل عمران ٣٥ الأنبياء ٥٧ العنكبوت

وقال كل شيء هالك إلا وجهه ٨٨ القصص

وقال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٢٦ الرحمن

ثم قال إن الله عمر محمدا وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد أعداء الله حتى توفاه الله صلوات الله عليه وهو على ذلك وتركتم على الطريقة فلا يهلك هالك إلا من بعد البينة فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت فليعبده ومن كان يعبد محمدا أو يراه إله فقد هلك إلهه فأفبقوا أيها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وإن كلمته باقية وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه وإن كتاب الله بين أظهرنا هو النور والشفاء وبه هدى الله محمدا وفيه حلال الله وحرامه لا والله ما نبالي من أجلب علينا من خلق الله إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلا يبقى أحد إلا على نفسه

ثم انصرف وانصرف المهاجرون معه

بيعة أبي بكر رضي الله عنه وما كان من تحيز الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة ومنتهى أمر المهاجرين معهم

قال ابن إسحاق ولما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل فأتى آت إلى أبي بكر فقال إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس من قبل أن يتفاهم أمرهم ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله قال عمر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه

قال وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار أن عبد الله بن عباس قال أخبرني عبد الرحمن بن عوف وكنت في منزله بمنى أنتظره وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر قال فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدني في منزله أنتظره وكنت أقرئه القرآن فقال لي لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبي بكر غيا فلتة فتمت قال فغضب عمر فقال إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذوهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم ثم قال عبد الرحمن

فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل إن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم وإثمهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة وتخلص بأهل الفقه وإشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا فيعي أهل الفقه مقاتلتك ويضعونها موضعها فقال عمر أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حلوه تمس ركبتي ركبته فلم انشب أن خرج عمر

فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف قال فأنكر علي سعيد بن زيد ذلك

قال وما عسى أن يقول مما لم يقل قبله فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فأثني على الله بما هو له أهل ثم قال أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها ولا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليأخذها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب علي إن الله بعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعلمناها ووعيناها ورجم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورجمنا بعده فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وأن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الأعراف ثم إننا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من الكتاب لا ترغبوا عن آباتكم فإنه كفر بكم أو كفر بكم أن ترغبوا عن آباتكم ألا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ثم إنه قد بلغني أن فلانا قال لو والله قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغرن امرأة أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت وإنما قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتل إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه {صلى الله عليه وسلم} أن الأنصار خالفوا فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلا صالحا فذكر لنا ما تمألا عليه القوم وقالوا أين تريدون يا معشر المهاجرين قلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالوا فلا عليكم أن لا تقر بهم يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم قال قلت والله لنأتينهم

فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله فقالوا وجع

فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثني على الله بما هو له أهل ثم قال أما بعد فحزن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم قال وإذا هم يريدون أن يجازونا من أصلنا ويعصونا الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فقال أبو بكر علي رسلك يا عمر فكرهت أن أعصيه فتكلم وهو كان أعلم مني وأوفر فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في يديهته أو مثلها أو أفضل منها حتى سكت قال أما ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد

هذين الرجلين فبايعوا أيهما شتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ولم أكره شيئا مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر قال فقال قائل من الأنصار أنا جدي لها الحك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش

قال فكشر اللغظ وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عباد فقلت قتل الله سعد بن عباد

وذكر ابن إسحاق عن الزهري عن عروة أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة هو عويم بن ساعدة وهو الذي قال فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما سئل من الذين قال الله لهم رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين التوبة ١٠٨ فقال {صلى الله عليه وسلم} نعم المرء منهم عويم بن ساعدة وأما الرجل الآخر فهو معن بن عدي ويقال إنه لما بكى الناس على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين توفاه الله وقالوا والله لو ددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده قال معن بن عدي لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا وقتل رحمه الله شهيدا يوم اليمامة

وذكر ابن عتبة أنهم لما توجهوا إلى سقيفة بني ساعدة وأراد عمر أن يتكلم ويسبق بالقول ويمهد لأبي بكر ويتهدد من هناك من الأنصار وقال عمر خشيت أن يقصر أبو بكر رضي الله عنه عن بعض الكلام وعن ما أجد في نفسي من الشدة على من خالفنا زجره أبو بكر رضي الله عنه فقال على رسلك فستكفي الكلام إن شاء الله تعالى ثم سوف تقول بعدي ما بدا لك فتشهد أبو بكر وأنصت القوم ثم قال بعث الله محمدا بالهدى ودين الحق فدعا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه فكننا معشر المهاجرين أول الناس

إسلاما ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه فحن أهل النبوة وأهل الخلافة وأوسط الناس أنسابا في العرب ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيلة إلا لقريش فيها ولادة ولن تعترف العرب ولا تصلح إلا على رجل من قريش هم أصبح الناس وجوها وأبسطة ألسنا وأفضله قولا فالناس لقريش تبع فحن الأمراء وأنتم الوزراء وهذا الأمر بيننا وبينكم قسمة إلا بلمه وأنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وأحب الناس إلينا وأنتم الذين آووا ونصروا وأنتم أحق الناس بالرضى بقضاء الله والتسليم لقضيلة ما أعطى الله إخوانكم من المهاجرين وأحق الناس أن لا تحسدوهم على خير أتاهم الله إياه فأنا أدعوكم إلى أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ووضع يديه عليهما وكان قائما بينهما فكلاهما قد رضيته للقيام بهذا الأمر ورأيتنه أهلا لذلك فقال عمر وأبو عبيدة ما ينبغي لأحد بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يكون فوقك يا أبا بكر أنت صاحب الغار مع رسول الله وثاني اثنين وأمرك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين اشتكى فصليت بالناس فأنت أحق بهذا الأمر

قالت الأنصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم وما خلق الله قوما أحب إلينا ولا أعز علينا منكم ولا أرضى عندنا هديا ولكننا نشفق بعد اليوم فلو جعلتم اليوم رجلا منكم فإذا مات أخذنا رجلا من الأنصار فجعلناه فإذا مات أخذنا رجلا من المهاجرين فجعلناه فكنا كذلك أبدا ما بقيت هذه الأمة بايعناكم ورضينا بذلك من أمركم وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي إن زاغ أن ينقض عليه الأنصاري وأن يشفق الأنصاري إن زاغ أن ينقض عليه القرشي

فقال عمر لا ينبغي هذا الأمر ولا يصلح إلا لرجل من قريش ولن ترضى العرب إلا به ولن تعرف العرب الإمارة إلا له ولن تصلح إلا عليه والله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه

فقام الحباب بن المنذر من بني سلمة فقال منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش أنا جذيلها الحك وعذيقها المرجب
دفت علينا منكم دافة أرادوا أن يخرجوننا من أصلنا ويخصونا من هذا الأمر وإن شئتم كررناها جزعة
فكثر القول حتى كادت الحرب تقع بينهم وأوعد بعضهم بعضا ثم تراد المسلمون وعصم الله لهم دينهم فرجعوا
بقول حسن وسلموا الأمر لله وعصوا الشيطان ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشير
بن سعد أبو النعمان بن بشير يستبقان ليابعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع ثم بايعا معا ووثب أهل السقيفة يبتدرون
البيعة وسعد بن عباد مضطجع يوعك فازدحم الناس على أبي بكر فقال رجل من الأنصار اتقوا سعدا لا تطؤه
فتقتلوه

فقال عمر وهو مغضب قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة
فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعده على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله
حتى كان آخر الليل من ليلة الثلاثاء مع الصبح
وقال ابن أبي عزة القرشي الجمحي في ذلك

شكرا لمن هو بالثناء خليق
ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعد ما دحضت بسعد نعله
ورجا رجاء دونه العيوق
جاءت به الأنصار عاصب رأسه
فأتاهم الصديق والفاروق
وأبو عبيدة والذين إليهم
نفس المؤمل للبقاء تتوق
كنا نقول لها علي والرضى
عمر وأولاهم بتلك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها
إن المنوه باسمه الموثوق
الكامل

وذكر وثيمة بن موسى بن الفرات أنه كان لأشراف قريش فيما كان من شأن الأنصار مقامات محمودة فمن ذلك
أن خالد بن الوليد قام على أثر أبي بكر بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان خطيب قريش فقال
أيها الناس إنا رمينا في بدع بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله وصعب علينا
مرتقاه وكنا كأنا منه على أوفاز ثم والله ما لبثنا أن خف علينا ثقله وذل لنا صعبه وعجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا
ممن آمن به حتى والله أمرنا بما كنا ننهي عنه ونهينا عن ما كنا نأمر به ولا الله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنه التوفيق

إلا وإن الوحي لم ينقطع حتى أكمل ولم يذهب النبي {صلى الله عليه وسلم} حتى أعذر فلسنا ننتظر بعد النبي نبيا
ولا بعد الوحي وحيا ونحن اليوم أكثر منا بالأمس ونحن بالأمس خير منا اليوم من دخل في هذا الدين كان من ثوابه
على حسب عمله ومن تركه رددناه إليه إنه والله ما صاحب هذا الأمر يعني أبا بكر بالمسؤول عنه ولا المختلف فيه
ولا بالخفي الشخص ولا المغمور القناة

ثم سكت فعجب الناس من كلامه

وقام حزن بن أبي وهب وهو الذي سماه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سهلا فقال

وقامت رجال من قريش كثيرة

فلم يك في القوم القيام كخالد

ترقى فلم تزلق به صدر نعله

وكف فلم يعرض لتلك الأوابد

فجاء بها غراء كالبدر سهلة

تشبهها في الحسن أم القلائد

أخالد لا تعدم لؤي بن غالب

قيامك فيها عند قذف الجلامد

كسائك الوليد بن المغيرة مجده

وعلمك الشيخان ضرب العماحد

تقارع في الإسلام عن صلب دينه

وفي الشرك عن أجالل جد ووالد

وكنت لمخزوم بن يقظة جنة

كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

إذا ما غنا في هيجها ألف فارس

عدلت بألف عند تلك الشدائد

ومن يك في الحرب المصرة واحدا

فما أنت في الحرب العوان بواحد

إذا ناب أمر في قريش محلج تشيب له روس العذارى النواهد

توليت منه ما يخاف وإن تغب يقولوا جميعا خطنا غير شاهد

الطويل

قال ابن إسحاق ولما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني

تقول لما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ارتدت العرب

واشرأت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغيم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم

الله على أبي بكر

وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتواري فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى

عليه ثم ذكر وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن ربنا ضربنا عنقه

فترجع الناس وكفوا عن ما هموا به فظهر عتاب بن أسيد وقد تقدم لنا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال

في سهيل بن عمرو لعمر بن الخطاب وقد قال له انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا

فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه فكان هذا المقام المتقدم هو الذي أراد

رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وعن أنس بن مالك قال لما بويح أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال

أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهدا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولكني كنت أرى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سيد برنا يقول يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر ببيعة العامة بعد بيعة السقيفة

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال

أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلواتكم يرحمكم الله

وذكر موسى بن عقبة أن رجالا من المهاجرين غضبوا في بيعة أبي بكر منهم علي والزبير فدخلا بيت فاطمة ابنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعهما السلاح فجاءهما عمر بن الخطاب في عصابة من المهاجرين والأنصار فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهلين وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي فكلموهما حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم وقال والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما قط ولا ليلة ولا سألتها الله قط سرا ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة ولقد قلت أمرا عظيما مالي به طاقة ولا يدان إلا بتقوية الله ولوددت أن أقوي الناس عليها مكاني اليوم

فقبل المهاجرون منه ما قاله واعتذر به وقال علي والزبير ما غضبنا إلا أنا أخرنا عن المشورة وإنا لئرى أن أبا بكر أحق الناس بما بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف له شرفه وسنه ولقد أمره رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالصلاة بالناس وهو حي وذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقيهم في بيعتهم ويستقبلهم فيما تحمله من أمرهم ويعيد ذلك عليهم كل ذلك يقولون له والله لا تقيلك ولا نستقبلك قدمك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمن ذا يؤخرك

ولم يبدأ أبو بكر رضي الله عنه بعد أن فرغ أمر البيعة واطمأن الناس بشيء من النظر قبل إنفاذ بعث أسامة فقال له امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكلمه رجال من المهاجرين والأنصار وقالوا أمسك أسامة وبعثه فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أبو بكر وكان أفضلهم رأيا أنا أحتبس بعثه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد اجترأت إذا على أمر عظيم والذي نفسي بيده لأن تميل العرب على أحب إلي من أن أحتبس جيشا أمرهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به ثم اغز حيث أمرك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة فإن الله سيكفي ما تركت ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالتخلف لأستشيره وأستعين برأيه فإنه ذو رأي ونصيحة للإسلام وأهله فعلت ففعل أسامة وأذن لعمر فأقام بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين

ذكر غسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودفنه وما يتصل بذلك من أمره صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته

ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجمعهم الله عليه وصرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم {صلى الله عليه وسلم} والاشتغال به قالت عائشة رضي الله عنها لما أرادوا غسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اختلفوا فيه فقالوا والله ما ندري أنجرد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه قالت فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن أغسلوا النبي وعليه ثيابه

قالت فقاموا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون أيديهم

ويروي عن غير واحد أن الذين ولوا غسله {صلى الله عليه وسلم} ابن عمه علي بن أبي طالب وعمه العباس بن عبد المطلب وابناه الفضل وقتم وحبه أسامة بن زيد ومولاه شقران

وقال أوس بن خولي أحد بني عوف بن الخزرج وكان ممن شهد بدرًا لعلي بن أبي طالب يومئذ فحضر غسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معهم فأسند على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى صدره وكان العباس والفضل وقتم يقلبونه معه وكان أسامة وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه وعلي يغسله قد أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدللكه به من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعلي يقول بأبي أنت وأمي ما أطيبك حيا وميتا

ولم ير من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شيء مما يرى من الميت وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلا نساؤه

ولما فرغ من غسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كفن في ثلاثة أثواب

قال ابن إسحاق في حديث يرفعه إلى علي بن حسين ثوبين صحارين وبرد حبرة أدرج فيه إدراجا وخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة قالت كفن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في ثلاثة أثواب يبيض سحرولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة زاد الترمذي قال فذكروا لعائشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد أتى بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه واختلف المسلمون في موضع دفنه فقال قائل ندفنه في مسجده وقال آخر بل ندفنه مع أصحابه وقال أبو بكر رضي

الله عنه ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب فعلموا أن قد صدق
وفي رواية أنه قال لهم سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض
فرفع فراش رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي توفي عليه فحفر له تحته
ولما أرادوا أن يحفروا له وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي
يحفر لأهل المدينة وكان يلحد دعا العباس برجلين فقال لأحدهما اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ولأخر اذهب إلى
أبي طلحة

اللهم خر لرسول الله فوجد الذي توجه إلى أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فلما فرغ من جهاز رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس على
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يصلون عليه أرسالا الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء
أدخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحد
ويروي في حديث أن عليا رضي الله عنه قال لقد سمعنا همهمة ولم نر شخصا فسمعنا هاتما يقول ادخلوا رحمكم الله
فصلوا على نبيكم

ثم دفن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من وسط الليل ليلة الأربعاء
قالت عائشة رضي الله عنها ما علمنا بدفن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى سمعنا صوت المساحي من جوف
الليل من ليلة الأربعاء

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عمه العباس
وشقران مولى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وقال أوس بن خولي من الأنصار لعلي بن أبي طالب يا علي أشدك الله وحظنا من رسول الله {صلى الله عليه
وسلم}

فقال له انزل فنزل مع القوم

وكانت لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} قطيفة يلبسها ويفرشها فأخذها شقران مولاه فدفنها في القبر وقال والله
لا يلبسها أحد بعدك أبدا فدفنت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ولما انصرف الناس قالت فاطمة رضي الله عنها لعلي رضي الله عنه يا أبا الحسن دفنتم رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} قال نعم

قالت فاطمة كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما كان في صدوركم
لرسول الله رحمة أما كان معلم الخير قال بلى يا فاطمة ولكن أمر الله الذي لا مرد له فجعلت تبكي وتندب وأبتاه
أجاب ربا دعاه وأبتاه من جنة القردوس مأواه وأبتاه إلى جبريل ينعاه

وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أسر إليها في مرضه أنه مقبوض منه ولاحق بربه فبكت مشفقة من
فراقه فأسر إليها ثانية أما أول أهله لحاقا به فضحكت راضية بالموت مسرورة بوقوعه في جنب ما تعجل من لقائه
في حضرة القدس ومحلة الرضوان والكرامة

ولما دفن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وانصرف المهاجرون والأنصار عن دفنه ورجعت فاطمة رضي الله عنها
إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها فقالت
اغبر أفاق السماء وكورت

شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة
أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبيكه شرق البلاد وغربها
ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوه
والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضنه
صلى عليك منزل القرقران
الكامل

ويروي أيضا أن فاطمة رضي الله عنها أنشدت بعد موت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} متمثلة بشعر سميتها

فاطمة بنت الأجهم
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله
فتركني أمشي بأجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ما عشت لي
أمشي البرار وكت أنت جناحي
فاليوم أحضض للذليل وأتقى
منه وأدفع ظلمي بالراح
وإذا دعت قمرية شجنا لها
ليلا على فن دعوت صباحي
الكامل

ومما ينسب إلى علي أو فاطمة رضي الله عنهما

ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدا الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أتما
صبت على الأيام عدن لياليا
الكامل

وجلست أم أيمن تبكي على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد موت وهي حاضنته التي كان يأوي إليها بعد
موت أمه ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} في بيته لم يدفن بعد فقيل لها ما يبكيك يا أم أيمن قد أكرم الله نبيه
وادخله جنته وأراحه من نصب الدنيا فقالت إنما أبكي على خبر السماء كان يأتينا غضا جديدا كل يوم وليلة فقد

انقطع عنا ورفع فعليه أبكي

فعجب الناس من قولها وبكوا لبيكاتها

وقال أنس بن مالك خادم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله {صلى الله

عليه وسلم { المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وإنما لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ولد النبي { صلى الله عليه وسلم } يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين فإلهذا اليوم كم خير تسبب فيه إلى أهل الأرض وأي مصيبة نزلت فيه بمنية ضاق عنها منفسح الطول والعرض وقد حدثنا ابن عباس أيضا أنه سمع رسول الله { صلى الله عليه وسلم } يقول من كان له فرطان من أمي أدخله الله بهما الجنة

فقالت عائشة فمن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقه قالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فأنا فرط لأمتي لن يصابوا بمثلي

ولله در شاعره حسان بن ثابت إذ يقول

وهل عدلت يوما رزية هالك

رزية يوم مات فيه محمد

الطويل

وهذا البيت من قصيدة له يرثي بها رسول الله { صلى الله عليه وسلم } سنذكرها بعد في مراثيه

وروي أيضا عن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أنه قال ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي

فيأها والله مصيبة أحرقت الأكباد وغمرت بالأسف والحزن الآماد والآباد وزراء ثقيلآ آد كاهل الإيمان منه ما آد

وخطبا جليلا أودي بكل صبر جميل أو كاد

والصبر يحمد في المواطن كلها

إلا عليك فإنه مذموم

الكامل

ولولا أن الله سبحانه وتعالى ربط على القلوب من بعده بأمر من عنده لأودت مكلفها كمدا ولما وجدت إلى البقاء

متسلفا ولا عن وحي القنا ملتحدا ولو رجفت الأرض لفقدان أحد لأصبحت لفقدانه راجفة ولو نسفت الجبال

لمهلك هالك لغدت رواسيها على حكم الأسف متنافسة ولو كسفت النيرات لمصرع حي لأمست دررها منشورة

لمصرعه ولو تغيرت المشارع المورودة لموت إنسان لأمر لموته على كل وارد عذب مشرعه

هيهات هيهات ذلك والله الرزأ الكبار والنازلة التي يعيي بها الاحتمال

والاصطبار والخطر الذي تقاصر دونه الأخطار والخطب الذي تشقي بمضاضة مشاهدته المهاجرون والأنصار

والمفقود الذي لا عوض منه أبدا وان تراخت الأيام وتطاوت الأعصار ولو غير الأقدار أصابته لبدلت دونه أعلاق

المهجع أو غير المنايا نابتة لتعذر على قاصده وجه السبيل المنتهج ولكنها السبيل التي لا يتخطاها سالك وما سبقت به

مشيئة الدائم الباقي الذي كل شيء إلا وجهه هالك فلا مجال للدفاع ولا حيلة في الامتناع ولا غناء للأعوان

والأتباع ولا شيء يضمه حكم الممكن المستطاع غير الانقياد لأمر الله والإهطاع ولها ثم لها عليه ويا برح شوق

القلوب للشربة نور الإيمان به وشدة نراعها إليه وبالدموع أجريت عليه { صلى الله عليه وسلم } لقد أوجدت مجرا

وأوجبت أجرا وحرمت لها عن أسبابها وزجرا ولقد كان من يقدم المدينة بعد أن استأثر به مولاه الذي شرح له

صدرا ورفع له ذكرا وقدر إذا اشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضجيجا يصم السميع والليكاء في جنباتها عجيجا اصحل

الخلوق ونزف الدموع

حدث أبو ذؤيب الهذلي فقال بلغنا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظلمت افاصي طولها حتى إذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالإسلام

بين النخيل ومعقد الأطم

قبض النبي محمد فعيوننا

تذري الدموع عليه بالتسجام

الكامل

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبح يقع في العرب وعلمت أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قد قبض أو هو ميت من علته فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعن لي شيهم يعني القنفذ قد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيهم يقضها حتى اكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شيء مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم أكل الشيهم إيها غلبة القائم بعده على الأمر فحشت ناقتي حتى إذا كنت بالغبابة زجرت الطائر فأخبرني بوفاته

ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجنت المسجد فوجدته خاليا فأتيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فوجدت بابه مرتجا وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت أين الناس فقبل في سقيفة بني ساعدة ساروا إلى الأنصار فجنت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما مولى أبي حذيفة وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملا منهم فأويت إلى قريش وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر رضي الله عنه فله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب والله لقد تكلم لكلام لا يسمعه سامع إلا إققاد له ومال إليه ثم تكلم عمر رضي الله عنه بعده دون كلامه ومد يده وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه

قال أبو ذؤيب فشهدت الصلاة على محمد {صلى الله عليه وسلم} وشهدت دفنه

ثم أنشد أبو ذؤيب يبكي النبي {صلى الله عليه وسلم}

لما رأيت الناس في غسلاتهم

ما بين ملحود له ومضرح

متبادلين لشرجع بأكفهم

نص الرقاب لفقد أبيض أروح

فهناك صرت إلى الهموم ومن بيت

جار الهموم يبيت غير مروح

كسفت لمصرعه النجوم ويدرهما

وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجيال يثرب كلها
ونخلتها لخلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته

بمصابه وزجرت سعد الأذبح
الكامل

وذكر الزبير بن أبي بكر بإسناد له إلى هشام بن عروة أن صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالت ترثي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما توفي
إلا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلما
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده
ولكن لما أخشى من المهرج آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد
وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد
على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي
وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا
ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا
سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته
يبكي ويدعو جده اليوم نائبا
الطويل

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم يبكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
أرقت فبات ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه
نفوس الناس أو كريت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا
بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل
أفأطم إن جزعت فذاك عذر
وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول
الوافر

ولما بلغت عمرو بن العاص السهمي وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يومئذ بعمان قال يرثيه
أتاني ورحلى في عمان مصيبة
فبت بعين طرفها طرف أرمذ
غداة نعي الناس النبي محمدا
فأعزز علينا بالنبي محمد
فقدنا به وحي السماء ونعمة
تروح علينا بالمراد وتغتدي
وأوحش منه منبر كان زينة
ومسجده وحش فيا خير مسجد
فلو كنت يوما شاهدا لوفاته
لمست ترايا من ضريحته يدي
ياذن يراه أهله ومكیده
أسود بما ما عشت يومي وفي غد
كما نالها منه المغيرة خدعة
وما أنا دون الطائفي الجفید

الطويل

يريد المغيرة بن شعبه الثقفي وكان يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويقول أخذت خاتمي فألقيته في القبر وقلت إن خاتمي سقط مني وإنما طرحته عمدا لأمس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأكون أحدث الناس عهدا به {صلى الله عليه وسلم}

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينكر ذلك من قول المغيرة ويأباه ويقول أحدث الناس عهدا برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فثم بن عباس

وذكر وثيمة بن موسى أن عبد الله بن أنيس الجهني كان غائبا ببعض ضواحي المدينة فلما انتهى إليه الخبر بوفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أظلمت عليه الأرض ثم قال والله لو أن ميتا رده قتل حي نفسه لقتلت نفسي ولكن أفرغ إلى أمر الله إنا لله وإنا إليه راجعون ثم سأل الذي أخبره هل استخلف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجلا بعينه قال لا والله قال الله أكبر لو استخلفه هلكننا بمعصيته

فهل اجتمع الناس على رجل قال أمر نبي الله {صلى الله عليه وسلم} أبا بكر أن يصلي بالناس قال هي إعلام الإمامه وليس كل من صلى بإمام

ما فعل علي قال هو في بيته قال لا يريد بها يا ابن أخي لها ثلاثة من قريش علي وأبو بكر وعمر من ادعى منازلهم قصر دونهم

ما صنعت الأنصار قال إعتزلت قال كلا طائف من الشيطان لم يكن الله ليخلهم مع ما سبق لهم بت عندي الليلة فإني عليل ولا أراي إلا لما بي من هذه الصدمة ولكن أبلغ عني قريشا فقال

نفا النوم ما لا تبغيه الأصابع

وخطب جليل للبلية جامع

غداة نعي الناعي إلينا محمدا

وتلك التي تستك منها المسامع

فلو رد نفسا قتل نفس قتلتها

ولكنه لا يدفع الموت دافع)

فآليت لا أبكي على هلك هالك

من الناس ما أرسى ثبير وفارغ

ولكنني باك عليك ومتبع

مصيته إني إلى الله راجع

وقد قبض الله النبيين قبله

وعادا أصيب بالورى والتتابع

فإن مات فالإسلام حي وربنا

لذ الدين مما كاده اليوم مانع

فياليت شعري من يقوم بأمرنا

وهل لقريش يا إمام منازع

ثلاثة رهط من قريش هم هم
أزمة هذا الأمر والله صانع
علي أو الصديق أو عمر لها

وليس لها بعد الثلاثة رابع
أولئك خير الحي فهر بن مالك
وأول من تجنى عليه الأصابع
أولئك إن قاموا به سلكوا بنا
محجتنا العظمى وقل التنازع
وكل قريش والذي أنا عبده
علي كل حال للثلاثة تابع
فإن قال من قائل غير هذه
أبيننا وقلنا الله راء وسامع
فيا لقريش قلدوا الأمر بعضكم
فإن ضجيع العجز للسن قارع
ولا تبطؤو عنها فواقا فإئما
إذا قطعت لم تسر فيها المطامع
الطويل

قال فانتهى الرجل إلى قريش وقد انطلق المهاجرون إلى الأنصار وكان من أمرهم الذي كان فرجع إلى عبد الله بن
أنيس فأخبره الخبر ففرح بذلك
ولأبي الهيثم بن اليتهان الأنصاري في نحو هذا المعنى شعر قاله وقد مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل مبايعة
الناس إياه فشكى إليه وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أبو الهيثم قد والله شتمت اليهودية والنصرانية
وبلغني عن الناس أمر ساءني فرجع أبو الهيثم إلى منزله فقال
ألا قد أرى أن المني لم تخلد
لأن المنايا للنفوس بمرصد
لقد جدعت أذاننا وأنوفنا
غداة فجعنا بالني محمد
تكلم أهل الشرك من بعد غلظة
لغيبية هاد كان فينا ومهتدي
ثلاثة أصناف من الناس كلهم
يروح علينا بالشنان ويغندي
نصاري يقولون القرى ومناقى
شبيهه بذاك الشامت المتهود
وأوعد كذاب اليمامة جهده

فأجلب عودا باللسان وباليد
فإن تك هذا اليوم منهم شماتة
فلا يأمنوا ما يحدث الله في غد
وما نحن إن لم يجمع الله أمرنا
بخير قریش كلها بعد أحمد
بأمنع من شاء بقفر مطيرة
بقبيعة قاع أو ضباب بفلقد
وإني لأرجو أن يقوم بأمرنا
علي أو الصديق والمرء من عدي
أولئك خيار الحي فھر بن مالك
وأنصار هذا الدين من كل معتدي

الطويل

ولما انتهت إلى همدان وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تكلمت سفهاؤهم بما كرهت ظمأؤهم فقال عبد الله
بن مالك الأرض وكان من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} له هجرة وفضل في دينه فاجتمعت إليه
همدان فقال

يا معشر همدان إنكم لم تعبدوا محمدا إنما عبدتم رب محمد وهو الحي الذي لا يموت غير أنكم أطعتم رسولكم بطاعة
الله فدعاكم فأجبتموه وهداكم فاتبعتموه واعلموا انه ولى نعمتكم في دينكم ودنياكم فأما دينكم فاستنقذكم الله به
من النار وأما دنياكم فاستنقذكم الله به من الرق ولم يكن الله ليجمع صحابة رسوله على ضلال وقد وعدهم أن
يهدبهم عندما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فأطيعوا من اختاروا وقدموا من قدموا في كلام غير هذا تكلم به على هذا
المثال ونسجه على هذا المتوال

وقال في ذلك

لعمري لئن مات النبي محمد
لما مات يا ابن القيل رب محمد
وما كان إلا مرسلا برسالة
ليبلغها والحادثات بمرصدا
ولما قضى من ذاك ما كان قاضيا
ولم يبق شيء فيه إلحاد ملحد
دعاه إليه ربه فأجابه
فيا خير غوري ويا خير منجد
وما نحن إلا مثل من كان قبلنا
فريقين شتى كافر وموحد
ونحن على ما كان بالأمس بيننا
من الذي نهدى من أراد فيهندي

الطويل

ثم قام ابن ذي مران وكان من سادات همدان وملوكهم فتكلم فيهم فأطال نفس الكلام وحرص على التمسك بالدين وحمل على الطاعة للقائم بالأمر بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال يرثيه ويفجع للمصيبة فيه

إن حزني على الرسول طويل

ذاك مني على الرسول قليل

قلت والموت يا إمام كربه

ليتني مت يوم مات الرسول

(ليتني لم أكن بقيت فواقا

بعده والفواق مني طويل)

(بكت الأرض والسماء عليه

وبكاه خليله جبريل)

(يا لها رحمة أصيب بها الناس تولت وحن منها الرحيل)

(جدعت منهم الأنوف فللقب خفوق وللجفون هول)

(ليس للناس إمام من الأمر

فتيل وأين منك القتيل)

(إنما الأمر للذي خلق الخلق وفي خلقه عليه دليل) الخفيف

في أبيات غير هذه يؤنس فيها المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة وكان أميراً عليهم من قبل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بما عند قومه من حسن الطاعة له والقيام في الحق معه

ثم قام ابن ذي المشغار وكان ملك أهل ناحيته وكان متأها فتكلم أيضا في هذا النحو بكلام حسن نظما ونثرا فلما فرغ من مقالته أتاه مسروق ابن الحارث القوالي الأرحبي فقال له

أيها الملك إنه لا يعرف عندك في قريش إلا رجل مثلي من قومك أنا القوال ابن القوال الفارس ابن الفارس ابعتني إلى خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأقوم مقاما شريفا أباهي به فيك الناس

فسرحه فلما قدم مسروق على أبي بكر رضي الله عنه تهيأت له قريش وقالوا خطيب همدان وفتاها فتكلم عندهم بكلام تركنا ذكره وذكر ما أنشد معه من الشعر إذ ليس مناسبا لما نحن الآن بسبيله من ذكر مراثي رسول الله

{صلى الله عليه وسلم} فلما سمعت قريش شعره وخطبته عجبت منه وكان معه عبد الله بن سلمة الحمداني فقام فقال يا معشر قريش إنكم لم تصابوا بني الله {صلى الله عليه وسلم} دون سائر العرب لأنه لم يكن لأحد دون أحد

وأيم الله لا أدري أي الرجلين أشد

حزنا عليه وأعظم مصابا به من عاينه فغاب عنه عيانه أو من أشرف على رؤيته فلم يره غير أنا معترفون للمهاجرين بفضل هجرتهم وللأنصار بفضل نصرتهم والتابع ناصر والمؤمن مهاجر في كلام غير هذا صدر عن قلب مؤمن وجأش

به خاطر شديد فأثنى عليه أبو بكر خيرا وحمدته قريش وكان سيذا فقال

إن فقد النبي جدعنا اليوم

فدته الأسماع والأبصار

وفدته النفوس ليس من الموت
فرار وأين أين الفرار
ما أصيبت به الغداة قريش
لا ولا أفردت به الأنصار
دون من وجه الصلاة إلى الله
وقد هنتت به الكفار
ورجال منافقون شامت
يوم واروه كفرهم إسرار
من بكنته السماء تسعدها الأرض
وبكت بعد القفار البحار
وسرافيل قد بكاه وجبريل
وميكال والملا الطهار
يا لها كلمة يضيق بها الخلق
أنا بنا بنقلها السفار
قيل مات النبي فانصدع القلب
وشابت من هولها الأشعار
فعليه السلام ما هبت الريح
ومدت جبح الدجى أنوار
الخفيف

وقال سواد بن قارب اللوسي وهو الذي كان كاهنا فأسلم فحسن إسلامه يارشاد ربه إياه إلى ذلك حسب ما تقدم
صدر كتابنا هذا من خبره يبكي النبي {صلى الله عليه وسلم} لما بلغت أسد السراة وفاته بعد أن قام فيهم مقاما
محمودا يثبتهم في الدين ويحذرهم سوء عاقبة الارتداد وكان قد سادهم وشرف فيهم فأجابوه إلى ما أراد وقبلوا رأيه
وقال

جلت مصيبتك الغداة سواد
وأرى المصيبة بعدها ترداد
أبقى لنا فقد النبي محمد
صلى الإله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا
أو هل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نحل به جنابا مرعا
خف الجناح فأجذب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا
وتصدعت وجدا به الأكباد

قل المتاع به وكان عيانه
حلما تضمن سكرتبه رقاد
مفجعة قد شفها فقد أحمد
فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره
ولكن لنفسى بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهلها
على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوي فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح منضد
تميل عليه التراب ايد وأعين
عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلمنا ورحمة
عشية علوه الثري لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به
وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا
معلم صدق أن يطيعوا ويسعلوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبيننا هم في نعمة الله وسطهم

دليل به نهج الطريق يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتلوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه
إلى كتف يحنو عليهم ويمهد
فبيننا هم في ذلك النور إذ غدا
إلى نورهم سهم من الموت مقصد

فأصبح محمودا إلى الله راجعا
يبكيه جن الرسائل ويحمد
وأمسست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبية ما كانت من الوحي تعهد
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
فقيده نكيه بلاط وغرقه
ومسجده فالموحشات لفقده
خلاء له فيها مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
ديار وعرصات وربيع ومولد
فبكى رسول الله يا عين عبرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
يحين فيها الله من خف حلمه
ويسعد فيها ذو الأناة بما صبر
نطيع قريشا ما أطاعوا فإن عصوا
أبيننا ولم نشر السلامة بالغرر
وكان لهذا الأمر منهم ثلاثة
علي أو الصديق أو ثالث عمر
فلم يخطئوا إذا سدودها لبعضهم
هم ما هم كل لإرعاده مطر

الطويل

وأمثال هذه المقالات نثرنا ونظما لرجال من سادات العرب وأشرف القبائل بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} كثير قاموا بما في قومهم يحذرونهم من الفتنة ويجرضونهم على التمسك بالطاعة لمن قام بالأمر
وقد ذكر المؤلفون في الردة كثيرا منها وهي بذلك الباب أخص وإنما تخيرت هنا منها ما يتعلق نظمه بباب الرثاء
ويبعث في حق المصطفى على الفجع والبكاء حشدا على الداهية الدهياء واستعانة على الحادثة النكراء وعظيم
المصيبة بوفاة من حق في حقه بكاء الأرض والسماء وقل لفقده أن تسح المدامع عوض الدموع بالدماء

هو الرزء الذي ابتداء الرزايا

وقال لأعين الثقلين جودي

الوافر

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يبكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

بطيبة رسم للرسول ومعهد

منير وقد تعفو الرسوم وتممد

ولا تمتحي الآيات من دار حرمة

بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آثار وبقي معالم

وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها

من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد أيها

أناها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده

وقبرا بها واره في التراب ملحد

ظلمت بها أبكي الرسول فأسعدت

عيون ومثالاها من الجفن تسعد

يذكون ألاء الرسول وما أرى

لها محصيا نفسي فننفي تبالد

مفجعة قد شفها فقد أحمد

فظالت لآلاء الرسول تعدد

وما بلغت من كل أمر عشيره

ولكن لنفسي بعد ما قد توجد

أطالت وقوفا تدرف العين جهلها

على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوي فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا

عليه بناء من صفيح منضد

تميل عليه التراب ايد وأعين

عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلمنا ورحمة

عشية علوه الثري لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه
ومن قد بكنته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به
وينقذ من هول الخرايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا
معلم صدق أن يطيعوا ويسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبيننا هم في نعمة الله وسطهم
دليل به نهج الطريق يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتلوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه
إلى كتف يحنو عليهم ويمهد
فبيننا هم في ذلك النور إذ غدا
إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودا إلى الله راجعا
يبكيه جن الرسائل ويحمد
وأمسست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبية ما كانت من الوحي تعهد
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها
فقيده نبيكه بلاط وغرقه
ومسجده فالموحشات لفقده
خلاء له فيها مقام ومقعد

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
ديار وعرصات وربيع ومولد
فبكى رسول الله يا عين عبرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعوي
لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة
وأقرب منه ناتلا لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالدا
إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتهى
وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا

دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعا في القروع ومنبتا
وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليدا فاستتم تمامه
على أكرم الخيرات رب مجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه
فلا العلم محيوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقي لما قلت عائب
من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هوأي نازعا عن ثنائه
لعلى به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد
الطويل

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
ما بال عينك لا تنام كأنما

كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدي أصبح ثاوبا
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
وجهي يقيك التراب لهفا ليتني
غيبت قبلك في بقيع الغرقد
بأبي وأمي من شهدت وفاته
في يوم الاثنين النبي المهدي
فظللت بعد وفاته متبلدا
متلدا يا ليتني لم أولد
أأقيم بعدك في المدينة بينهم
يا ليتني صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا
في راحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقي طيبا
محضا ضرائبه كريم الخلد
يا بكر آمنة المبارك ذكرها
ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضياء على البرية كلها
من يهد للنور المبارك يهتدي
يا رب فاجمعنا معا ونبينا
في جنة تبني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلال والسؤدد
والله أسمع ما بقيت بمالك
إلا بكيت على النبي محمد
يا ويح أنصار النبي ورهطه
بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا
سودا وجوههم كلون الأثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره
وفضول نعمته بنا لم تجحد
والله أكرمنا به وهدى به
أنصاره في كل ساعة مشهد

صلى الإله ومن يحف بعرشه
والطيون على المبارك احمد
الكامل

وقال حسان بن ثابت أيضا يكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
نب المساكين أن الخير فارقه
مع النبي تولى عنهم سحرا
من ذا الذي عنده رحلي وراحتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى جناده
إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور تبعه
بعد الإله وكان السمع والبصرا

يا ليتنا يوم واروه بملحده
وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحدا
ولم يعيش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم
وكان أمرا من أمر الله قد قدرا
واقتمسم القياء دون الناس كلهم
وبددوه جهارا بينهم هدرا
البسيط

وقال حسان بن ثابت أيضا يكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
آليت ما في جميع الناس مجتهدا
مني ألية بر غير إفناد
تا الله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقا من بريته
أوفي بذمة جار أو بميعاد
من ذا الذي كان فينا يستضاء به
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما
يضرين فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد

أيقن بالبؤس بعد النعمة الباد
يا أفضل الناس إني كنت في نمر
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي
البيسط

وقال كعب بن مالك الأنصاري من كلمة يبكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وباكية حرى تحرق بالبكا
وتلطم منها خدها والمقلدا
على هالك بعد النبي محمد
ولو عدلت لم تبك إلا محمدا
فلست بباك بعد فقد محمد
فقيدا وإن كان القريب المسودا
فجعنا بخير الناس حيا وميتا
وأدناه من أهل السموات مقعدا
وأعظمه فقدا على كل مسلم
وأكرمه في الناس كلهم يدا
متى تنزل الأملاك بالوحي بعده
علينا إذا ما اللبس فينا ترددا
إذا كان منه القول كان موفقا
وإن كان وحيا كان نورا مجددا
جزى الله عنا ربنا خير ما جزى
نبي الهدي الداعي إلى الحق أحمددا
الطويل

وقال عمرو بن سالم الخزاعي يبكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
لعمرى لئن جادت لك العين بالبكا
لحقوقة أن تستهل وتدمعا)

فيا حفص إن الأمر جل عن البكا غداة نعي الناعي النبي فأسمعا
فلم أر يوما كان أعظم حادثا ولم أر يوما كان أكثر موجعا
ولم أر من يوم أعم مصيبة ولا ليلة كانت أمر وأفظعا
تعزى بصبر واذكري الله واعلمي بأن سوف يجزي كل ساع بما سعى
ولا ترثي محض الحياء فتفجعي بدينك والدنيا فتزريها معا
فإن يك قد مات النبي فبعدهما نعي نفسه بدءا وعودا فأسمعا

إذا ذكرت نفسي فراق محمد تبيح حزني والفؤاد تقطعا
فيالك نفسا لا يزال يريدها على الدهر طول الدهر إلا تصدعا

جزى منك رب الناس أفضل ما جزى نبيا هداانا ثم ولي مودعا
فوالله لا أنساك ما دمت ذاكرا لشيء وما قلبت كفا وأصبعها

الطويل

وقد أكثر الشعراء في تأيينه صلوات الله عليه قديما وحديثا وقضوا من الفجيع عليه حقا لا ينبغي أن يكون عهده
نكيثا ولم يمنعهم تقادم الأيام وتطول الأعوام من تجديد البكاء عليه ومزيد الحنين إليه وبحق ما يكون ذلك فهو الرزء
الذي حقه أن ينسى جميع الأرزاء والحادث الجلل الذي يقبح معه حسن العزاء وطواعية الأسف عليه دائما من
أعدل الشهادات بالإخلاص لمن قام بها واستقام بالنية والقول على سواء مذهبها جعلنا الله ممن أحبه حقا وكتبنا
فيمن غدا لشفاعته المشفعة مستحقا

فمن ذلك ما وقعت عليه لأبي إسحاق إسماعيل بن القاسم الغزي الكوفي المعروف بأبي العتاهية من كلمة

على رسول الله مني السلام

ما كان إلا رحمة للأنام

أحيي به الله قلوبا كما

أحيي موات الأرض صوب الغمام

أكرم به للخلق من مبلغ

هاد وللناس به من إمام

وأصبح الحق به قائما

وأصبح الباطل دحض المقام

السريع

وقال إسماعيل بن القاسم أيضا من كلمة أخرى

ليبك رسول الله من كان باكيا

ولا تنس قبرا بالمدينة ساويا

جزى الله عنا كل خير محمدا

فقد كان مهديا دليلا هاديا

لمن تبتغي الذكرى لما هو أهله

إذا كنت للبر المطهر ناسيا

أتسى رسول الله أفضل من مشى

وآثاره بالمسجدين كما هيا

وكان أبر الناس بالناس كلهم

وأكرمهم بيتا وشعبا وواديا

تكدر من بعد النبي محمد

عليه سلام الله ما كان صافيا

فكم من منار كان أوضحه لنا

ومن علم أمسى وأصبح عافيا

ركنا إلى الدنيا الدنية بعده
وكشفت الأطماع منا المساويا
وإننا ل نرمي كل يوم بعبرة
نراها فما نزداد إلا تعاميا
كأننا خلقنا للبقاء وأينا
وإن مدت الدنيا له ليس فانيا
أبى الموت إلا أن يكون لمن ترى
من الخلق طرا حيث ما كان لاقيا

حسنت المنى يا موت حسما مبرحا
وعلمت يا موت البكاء البواكيا
ومزقتنا يا موت كل ممزق
وعرفتنا يا موت منك الدواهيا
الطويل

ولأبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي ومكانه من متانة العلم والدين وصدق المقالة وصحة اليقين
المكان الذي يلحقه بأقرانه من العلماء المتقنين قصائد يرثي بها النبي {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله أجمعين يساجل
بها شاعره حسان بن ثابت في قصائده المقدمة صوتا بصوت وكلمة بكلمة أخبرنا بها وبسائر كلامه نشره ونظمه غير
واحد من أشياخنا رحمهم الله عنه فمن ذلك قوله يعارض حسان في قصيدته الأولى ويمشي في الفجع والتوجع على
طريقته المظلي

بطيبة آثار تحج وتقصد
ودار بها لله نور مخلد
ومهبط جبريل بوحى وحكمة
يبينها للعالمين محمد
ومظهر آيات كأن رسومها
على ما محى منها البلى يتجدد
وفي مسجد التقوى تأرخ روضة
عليها من الفردوس كل ممدد
يفاوحها طيب الجنان وتربة
تبوءها من جنة الخلد أحمد
ومنبره الأعلى على ذروة التقى
وجذع له فيه حنين مررد
ومولد إبراهيم حيث تمخضت
به أمه مشوى كريم ومولد
وموقعه من نفسه واختياره

له اسم خليل الله فخر مشيد
وإعلانه بالخرن تدمع عينه
له رحمة والنفس ترقى وتصعد
ومبني علي والهدى يألف الهدى
بفاطمة نور بنور يقيد
ومولد سبطيه وريحان قلبه
مكأنهما من عاتقيه ممهد
وحيث ارتقت منه إمامة مرتقى
يقوم بها جبالها ثم يسجد
وحيث بني بالطيبات نساته
بعصمته الوقتى وجبريل يشهد
ومتلى كتاب الله في حجراتها
يقمن به في الليل والناس هجد
وتمت لأصحاب الكساء طهارة
من الله يحميها الكتاب المؤيد
معاهد إيمان تألق نورها
ففي كل أفق جذوة تنوقد
وكانت أمانا ثم عادت مخافة
فزائرها فوق الردي يتوسد
فيا أيها الدار التي حق أهلها
على الناس طرا دائم ليس ينفد
لقد درست منك المغاني وأوحشت
وكان إليها الدين يأوي ويصمد
ذكرتك ذكرى من يهيم فواده
بقربك لكني عن القرب مبعد
ومثلت لي في بهجة الدين والنقى
وأمر رسول الله يعلو ويمهد

وإذ برقت نورا أسابير وجهه
فزحزح قطع الليل والليل أسود
وألقت إليه الأرض أفلاذها التي
تحل بها عقم الأمور وتعقد
وغزو تبوك ثم حج وداعه
ولم يبق تبين ولم يبق مشهد

ومثلت ي والمسلمون بشكوه
فرائصهم من روعة البين ترعد
وقد جلل الدنيا ظلام مطبق
يخال به ليل على الناس سرمد
فما راعهم إلا وفاة رسولهم
وكل يرى أن الرسول يخلد
وقد ذهلوا أن التي يقرونها
إذا جاء نصر الله للموت مرصد
وودع جبريل وداع مفارق
ولا عود يستثنى ولا وحي يعهد
وأم أبيها مسبلات دموعها
كما انحل من سلك فريد مبدد
فأودعها سرا بكت من نحيه
وثني بسر فانثنت تتجلد
وقد أعلنت عند الرسول بكرها
لكرب أبيها وهو بالموت يجهد
فقال لها كفى دموعك واصبري
فما بعد هذا اليوم كرب يعدد
وبشرها من قرب ملحقها به
ببشري حديث صادق لا يفند
فيا من رأى حيا يعزي بموته
فيرضي كأن الموت خلد مؤيد
فرارا عن الدنيا إلى قرب ربها
وشجا عليها من حياة تكد
ولطفا من الله العظيم بصونها
وباب الرزايا المستكنات مرصد
ولو أنها امتدت طويلا حياقما
لشرد عنها النوم ليل مسهد
وغصت على قرب بثكل ابن عمها
وفقد شهيد حزنه ليس يفقد
أقام كتاب الله في كل مارق
يقر به في زعمه وهو يجحد
فقيض أشقى الناس يدني سعادة

عن هو بالإيمان أولى وأسعد
وكيف بما والله يأبي هو أنما
لمصرع سبط أول وهو مقصد
وقد جرعته حتفه كف جعدة
بمكرع سم مجه فيه أسود
ولو حدثت عن كربلاء لأبصرت
حسينا فتاها وهو شلو مقدد
وثاني سيطي أحمد جمعجت به
عناة جفأة وهو في الأرض أوحده
ولم يرقبوا إلا لآل محمد
ولم يذكروا أن القيامة موعد
وأن عليهم في الكتاب مودة
لقرباه لا ينحاش عنها موحد
فيا سرع ما ارتلوا وصدوا عن الهدي
ومالوا عن البيت الذي بهم هدوا
فحل عن برد القرات عطاشهم
وروي منهم ذابل ومهند
فيا أوجها شاهت وناهت عن الهدي
أهذا التحضي منكم والتردد
وترتم رسول الله في ذبح سبطه
وبؤتم بنار حرها ليس يبرد
فما لكم عند الشفيح شفاعاة
ولا لكم في كوثر الخوض مورد
لعمرى لقد غادرتم كل مؤمن
على مضض برح يقوم ويقعد
ونغصتم الحبي وأرضيتم العدي
فأنتم لغير الله جند وأعبد
فيا كبدي إن أنت لم تصدعي
فأنت من الصفوان أقسى وأجلد
ويا عبرتي إن لم تفيضي عليهم
فنفسى أسخى بالحياة وأجود
أنتهب الأيام أفلاذ أحمد
وأفلاذ من عاداهم تتودد

ويضحى ويظمي أحمد وبناته
وبنت زياد وردها لا يصرد
أفي دينه في أمنه في بلاده
تضيق عليهم فسحة تنورد
وما الدين إلا دين جلهم الذي
به أصدروا في العالمين وأوردوا
ينام النصارى واليهود بأمنهم
ونومهم بالخوف نوم مشرد
وما هي إلا ردة جاهلية
وحدد قديم بالحديث يؤكد
أهفي علي سطي هدي ونبوة
جري لهما يوم من الشر أنكد
شهيدين متبوعين من كل مؤمن
بكل صلاة برة تتعهد
فهذا أذابت سورة السم كبده
وهذا أبادته قسى تكبد
فما عذر أهل الأرض والقسط قاتم
وكلهم في موقف الفصل شهد
أيفعل هذا باين بنت نبيكم
وليس لكم في النصر يوم ولا غد
أبي الله إلا أن في النفس حسرة
بغصتها أضحي وأمسي وأرقد
إلى أن يقيد الله من كل واطر
على أن كفوا مقنعا ليس يوجد
وأي دم يو في دم ابن محمد
حسين وأمسي وهو سبط موحد
فيها خاتم الأسباط إن تحتي
تؤمك من أرض بعيد وتقصد
مثقلة باللمع شوقا ولوعة
على زفرة من حرها أتأود
ويا أسوة للمؤمنين كريمة
يلين عليها الحادث المتشدد
فمن ينكر البلوى وأنت بكر بلا

لذي البث والشكوى إمام مقلد
فإن تجهل الدنيا عليك وأهلها
فإنك في أهل السماء ممجد
(أبوك شفيح الناس وهو الذي له
مقام كريم في البرية يحمد
ومشرفة الحوض الروي بكفه تزداد رجال عندها وتطرد
ومن يذود الله عنه عصاة بقتلك في طغيانها تتحمد
وذنهم في قتلك الذنب كله فما لهم إلا الجحيم تغمد
وهل كنت إلا مثل عمك جعفر قتيلا لكفار بذي العرش أخلوا
وإلا كليث الله جدك حمزة وحرية وحشي إليه تسدد
وما منهم إلا غريق شهادة حيالكم موصولة حين تنفذ
ومثل أبي حفص وعثمان بعده ومثل علي وهو للحق سيد

دماؤهم مسك ذكي وأجرهم على الله لا يحصى ولا يتحدد
أقول ببث مستكن وظاهر مضاضته عن حبكم تتولد
وما سرني أي خلي من الهوى هوى هو في حم يتلى ويسند
سريرة حب يوم تتلى سرائري يقوم بها عني الصفيح المنضد
سلام على تلك المعاهد إنما لآل رسول الله طهر ومسجد
فيا رب وفدي إليها مسلما ويا طيب مسري من إليها يوفد
أفض بما دمعي وأنقع غلتي وأتمم في ربع الرسول وأنجد
وأدعو إلى الرحمن دعوة تائب
إلى عفوه من طيبه يتزود
وأسمو إلى البيت العتيق بفرضه
فكل به من ذنبه يتجرد
ولست على قبر الرسول بمؤثر
ليحشر من ذاك البقيع محمد
فيا رب حقق نبتي ومنيتي
هنا لك والأرواح جند مجند
الطويل

وقال أيضا يعارض حسان في كلمته الثانية التي أولها
ما بال عينك لا تنام كأنما
بهذه الكلمة المرسومة بعد
هل يجمعن صباح يوم أو غد
بيني وبين القبر قبر محمد

حتى أروي ناظري من عبرتي
ويقر عيني طيب ذاك المشهد
وأقبل الأرض التي حملت به
نورا يجلي كل جنح أسود
وأعظم البلد الذي أرسى به
طود النبوة ثابتا بالأسعد
أشكو إلى جبل تضمن حبه
حبا أضاق تصبري وتجلدي
وابلغ القلب المروع أمانه
وأقول للنفس التي ظمئت ردي
وأهش للأفق المبارك جوه
متجددا من نوره المتجدد
وأسح في أبيات آل محمد
دمعا كنظم اللؤلؤ المتبدد
والله يعلم أن آل رسوله
آل تمكن حبه في محتدي
وبكرتي منهم أبوح وأنطوي
ومحسرتي فيهم أروح وأغتدي
قف بالمنازل سائلا عن أهلها
أين الرسالة والرسول المهتدي
أين الصواحب والصحابة حوله
إذ بايعوه بالقلوب وباليد
أين الذين بسبقهم عز الهدي
وعلت على الأديان ملة أحمد
أين الذين لعنته ولشيبة
والمى الوليد سموا بكل مهند
أين الذين بيوم أحد صرعوا
ما بين مثنى في الإله وموحد
أين الذين بمؤتة وجلادها
ماتوا كراما كالليوث الحرد
أين الثمانية الذين بصبرهم
تابت بأوطاس بصائر من هدى
يا مسجد التقوى غلوت بفضلهم

ومكانهم في الدين أفضل مسجد
وبقيت بعدهم مثابة رحمة
في غربة المستوحش المتفرد

تبكي على خير البرية كلها
بدموع كل مصدق وموحد
فقد السماء كما فقدت نديهم
ونحيبهم في مهبط أو مصعد
وتفرد الرحمن بالغيث الذي
كان الرسول بوحيه عقب الند
ولقد أقام الدين من خلفائه
أصهاره كل بأحمد يقتدي
وأنتك بعلمهم الملوك فمصلح
يضع الأمانة عند آخر مفسد
يا بيت عائشة الجن ثلاثة
تطموا به نظم الطراز الأرحم
مثنوي النبي وصاحبيه وفسحة
عيسى ابن مريم حازها بالموعود
بوركت من بيت يضم رسالة
ونبوة وخلافة في ملحد
مني إليك تحية يهفو بها
قلب بذكرهم وحبهم ند
صلى الإله وأرضه وسمائه
والعالمون على النبي المقتدي
بالأنبياء المهتدي بمداهم
رشدا تبين في الكتاب المرشد
الكامل

وقال أبو عبد الله أيضا يعارض حسان في كلمته الثالثة التي أولها

نب المساكين إن الخير فارقهم
بمذه الكلمة الرسومة

هون عليك من الأرزاء ما خطرا
بعد الرسول ولا تعدل به خطرا
واذكره في كل محنور تغص به
تلقي المصاب به قد هون الحدرا

أبعد أحمد يستقري مضاجعه
فودع البيت والأركان والحجرا
مستقبلا طيبة والله ينقله
إلى رضاه فلما يعد أن صدرا
ثم استعز به شكوه يعالجه
يغشى بسورته الأبيات والحجرا
حتى انتهى دوره في بيت عائشة
في نومها يتبع الأنفاس والأثرا
فمال في حجرها طلقا أسرته
غض البشاشة إلا اللحم والنظرا
فأذهل الناس طرا عن حياقم
موت الرسول ومنهم من نفي الخبرا
فياله من نظام بات في قلق
لولا أبو بكر الصديق لانتثرا
إن كنت معتبرا فانظر تقلله
والأرض تبر ودين الله قد ظهرا
لم يرض منها سوى قبر تضمنه
كان الفراش له في نومه مدرا
يا قبر أحمد هل من زورة أمم
قبل الحمام تسر السمع والبصرا
وهل إلى طيبة ممشى يقربها
يا طيبة إن تأتي يومه سفرا
فتنشق النفس في أرجائها أرجا
يشفي السقام وينفي الذنب والضررا
وأستجير ببطن الأرض من كرب
في ظهرها لم تدع شمسا ولا قمرا
أستجمل الله من أسرار قدرته
عزما يخوض إليه البدو والحضرا
وقوة بالضعيف هم ناهضة
وحجة تنظم الأصال والبكرا

يا حب أحمد كن لي في زيارته
أقوى ظهير إلى أن أفضي الوطرا
صلى الإله صلاة غير نافذة

تكاثر الريح والأشجار والمطرا
على البشير النذير المصطفى كرما
من كل بطن و صلب طيب ظهرا
على ابن آمنة الماحي بملته
من كان بالله والإسلام قد كفرا
وأهله الطيبين الأكرمين ومن
آوى وساهم في البلوى ومن نصرا
وأمهات جميع المؤمنين ومن
هدى هداه ومن صلى ومن نحرا
ونضر الله حسانا وأعظمه
فقد رثا وبكى في الله وانتصرا
أبا الوليد لقد هيجت لي شجنا
وقد بعثت الجوى والحزن والذكرا
وأنت شاعر آل الله قاطبة
نافحت عنهم بروح القدس مقتدرا
يا رحمة الله أمني غير صاغرة
ضريحه وامسحي عن وجهه العفرا
فإنه سابق والسابقات لها
في الحق أن تمسح الأعطاف والغورا
أبقي له منبر الإنشاد مكرمة
عمت فلا المدر استشت ولا الوبرا
ولم يسئل لسانا في مقاوله
وإنما سل عضبا صارما ذكرا
يا مقولا نضر الله الرسول به
لازلت في جنة القردوس مشتهرا
البيسط

وقال أيضا رحمه الله يبكي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويعارض حسان في كلمته المتقدمة قبل رابعة لكلماته

وهي التي أولها
آليت ما في جميع الناس مجتهدا
بمذه الكلمة الموسومة بعد
قلبي إلى طيبة ذو غلة صادي
إلى البشير النذير الخاتم الهادي
إلى أبي القاسم الماحي بملته

كفران كل كفور جهله بادي
حتى أعفر خدي في مواطنه
غورا بغور وأنجادا بأنجاد
وأرسل اللمع سحا في منازله
مستفرغا جهد أفلاذ وأكباد
في حيث أودع جبريل رسالته
وحيا إليه بتوفيق وإرشاد
وأشرب الماء من أروي منابعه
فطيبه قد سري في ذلك الوادي
يا حب أحمد إني منك في ثقة
وأنت أحضر أعتادي وأزوادي
سري إليه وجاور بي متابته
حتى أضمن أكفاني وأعوادي
وما تمكنت من قلبي لتبدع بي
ولا لتقطعني عن ذلك النادي
نور من الله لو أني سريت به
لما افتقرت إلى هاد ولا حادي
لم يقذف الله في قلبي محبته
إلا لأجمل فوق الرأس والهاد
متى أقول لوفد الله عن كشب
يا رايحين انظروني إني غاد
وقد برئت إلى الرحمن من نشي

وقد تخليت عن أهلي وأولادي
مستبدلا بجوار الله منقطعا
إلى الرسول انقطاع العاطف الباد
صلى الإله وأهل الأرض يقدمهم
أهل السموات من مثني وآحاد
على الذي أتقذ الله العباد به
من ظلمة الكفر رشدا بعد إفاد
على ابن آمنة المختار من نفر
ما فوق مجدهم مرمي لمزداد
على النبي الذي تمت نبوته
وآدم طينة قدت لأجساد

على الرسول بن عبد الله أكرم من
أوري بنور أضواء الأرض وقاد
وبعد صلوات الله عاطرة
على الصحابة أعداد بأعداد
وأهله الطيبين الأكرمين فهم
في الأرض أظهر غياب وشهاد
يا رب واحفظ مقامي في محبتهم
فإنها وإليك المنتهى زادي
البيسط

فهذا ما تيسر لنا ذكره من مراثي الشعراء في سيد المرسلين وخاتم الأنبياء
وبقي علينا منها كثير تخطيناه إما لتخطي الاختيار له والانتقاء وإما لقصد الاختصار والاكتفاء وأكثر الشعراء
أفحمتهم المصيبة القاصمة للظهور والرزية المتجددة على بلي الأزمان وتجدد الدهور عن أن يفوهوا في ذلك بنت
شفقة أو يفوا بما يناسب ذلك الكرب العظيم والخطب الجسيم من صفة متصفة وأولئك أولى الناس بالمعذرة وأحقهم
بالتجاوز عن مقاصدهم المقصرة فمصاب المسلمين به عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم من أن تؤدي حقيقته سعة
الكلام أو تستقل أساليب القول المتشعبة ومنداح العبارات المتطنبة المهذبة بأيسر جزء من مآثره الكرام ومحاسنه
العظام أو تنفي الألفاظ على اتساعها وتعدد ضرورها وأنواعها بشرح ما يتحمل فيه القلوب المؤمنة من برح الآلام
والإعراب عن قدر مصيبة فقده على الإسلام فيجزاه الله عن نهمنا لنا السبيل إلى دار السلام أفضل ما أعده من
الجزاء لأنبيائه المختصين من عنايته بشرف الاجتباء والاصطفاء دون الأنام وأدر عليه وعليهم من سحب الرحمة
والبركات والسلام والصلوات ما يزي بهطال الديم وواكف الغملم
وهنا انتهى ما يخص من هذا المجموع بمغازي نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} وذكر أيامه وكافة أمره إلى حين
وفاته

ونشرع الآن في صلة ذلك بمغازي خلفائه الثلاثة الأول رضي الله عن جميعهم على نحو ما عملنا به في مغازيه من
قصد التهذيب وبذل الجهد في حسن الترتيب وربنا الكريم جلت قدرته نعم الوكيل بالمعونة على ذلك ولا حول
ولا قوة إلا به هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب انتهى الجزء الثاني من مغازي الرسول {صلى الله
عليه وسلم} وسيرته ويلييه إن شاء الله القسم الأول من مغازي الثلاثة الخلفاء

ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما حفظ عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من الإيماء إليها
والإشارات الدالة عليها مع ما كان من تقدمه

{صلى الله عليه وسلم} إلى الإنذار بالفتن الكائنة بعده وما صدر عنه من الأقاويل المنذرة بالردة
في الصحيح من الآثار أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما سمع صوت عمر في صلاته بالناس عندما أمر عليه
السلام في مرضه أبا بكر أن يصلي فلم يوجد حاضرا قال يأبي الله ذلك والمسلمون يأبي الله ذلك والمسلمون
وفي رواية يأبي الله والمسلمون إلا أبا بكر

وعن حذيفة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه استخلف أبو بكر فأقام واستقام
وقال صعصعة استخلف الله أبا بكر فأقام المصحف
وذكر يعقوب بن محمد الزهري عن شيوخه قالوا وذكروا استخلاف أبي بكر بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
ومن قبل ما وصف لهم صفة من يلي بعده حتى كاد يقول خليفتي أبو بكر
وحدث جبير بن مطعم أن امرأة أتت النبي {صلى الله عليه وسلم} تكلمه في شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا
رسول الله إن جنت فلم أجدك تعني الموت قال فأقي أبا بكر
وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيظ برسول الله
{صلى الله عليه وسلم} ونيظ عمر بأبي بكر ونيظ عثمان بعمر
قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله وأما ما ذكر من
نوط بعضهم ببعض ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما
شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعها والله يغفر له ضعف ثم استحالت غربا فأخذها
ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن
وفي رواية فأروى الظمئة وضرب الناس بعطن

وقد أخبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بردة المرتدين من بعده فحدث أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين
يخرجان مسيلمة والعنسي

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين يدي الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة
يعني مسيلمة وصاحب خيبر يعني طليحة ومنهم العنسي يعني الأسود ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة
وعن عبد الله بن حوالة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثلاث من نجا منهن فقد نجا من موتي ومن قتل
خليفة مصطبر بالحق يعطيه ومن الدجال
وقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعبد بن مسهر الحارثي فيما يعظه به لما قدم عليه وإن أدركتك الردة فلا
تتبعن كندة

ودعه أيضا لجريير بن عبد الله لما وفد عليه فقال اللهم اشرح صدره للإسلام ولا تجعله من أهل الردة
ولما أسر المسلمون يوم بدر سهيل بن عمرو العامري سأل عمر بن الخطاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن
ينزع ثنيتيه السفلاوين وكان أعلم الشفة السفلى قال فإنه خطيب ليقوم عليك خطيبا بمكة فقال رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} لعمر عسى أن يقوم مقام ما يسرك فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وانتهى خبر وفاته
إلى مكة تكلم بها قوم كلاما قبيحا ووعى ذلك عليهم فقام سهيل بن عمرو بخطبة أبي بكر كأنه كان يسمعها فقال
أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يموت وقد نعى الله عز وجل نبيه
{صلى الله عليه وسلم} إليكم وهو بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد ألم تعلموا أن الله
تعالى قال إنك ميت وإهم ميتون ٣٠ الزمر وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم الآية ١٤٤ آل عمران وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت ١٨٥ آل عمران وقال كل شيء

هالك إلا وجهه ٨٨ القصص فاتقوا الله واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وكلمته تامة وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه جمعكم الله على خيركم

وفي كلام أكثر من هذا وعظهم به وذكرهم وقد كان الناس نفروا وهموا فنفعهم الله بكلامه فلم يرتد بمكة أحد فلما بلغ عمر بن الخطاب مقام سهيل قال أشهد أن ما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حق فهو والله هذا المقام ذكر بدء الردة بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما كان من تأييد الله لخليفة رسوله عليه السلام فيها

قالت عائشة رضي الله عنها لما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نجم النفاق وارتدت العرب واشربت اليهودية والنصرانية وصار المسلمون كالغيم المطيرة في الليلة الشاتية لفقدهم حتى جمعهم الله على أبي بكر فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجمال الراسيات لهاضها فوالله ما اختلفوا فيه من أمر إلا طار أبي بعلانه وغنائه وكان من رأى ابن الخطاب علم أنه خلق عوناً للإسلام كان والله أحوذاً نسيحاً وحده قد أعد للأمر أقرانها وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال لما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واستخلف أبو بكر رضي الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقاباً كانوا يؤدونه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق

قال عمر بن الخطاب والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة وذكر يعقوب بن محمد الزهري عن جماعة من شيوخه قالوا فكان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم وأمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم أهل الردة بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبرأي أبي بكر أجمعوا على قتالهم وذلك أن العرب افتقرت في ردتها فقالت فرقة لو كان نبياً ما مات وقال بعضهم اقتضت النبوة بموته فلا تطيع أحداً بعده وفي ذلك يقول قائلهم

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا

فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أبورثها بكراً إذا مات بعده

فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

الطويل

وقال بعضهم نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله ونصلي ولكن لا نعطيكم أموالنا

فأبي أبو بكر إلا قتالهم على حسب ما تقدم ذكره

وجادل أبو بكر الصحابة في جهادهم وكان من أشلهم عليه عمر وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وقالوا له احبس جيش أسامة بن زيد فيكون عمارة وأمانة بالمدينة وارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فإن هذا الأمر شديد غوره وتمتلكه من غير وجهه فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد وقد اتفقت العرب على الارتداد فهم بين مرتد ومانع صدقة فهو مثل المرتد وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك قد

قدم رجلا وآخر رجلا

وفي كتاب الواقدي من قول عمر لأبي بكر وإنما شحت العرب على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئا فلو تركت للناس صدقة هذه السنة

وقدم على أبي بكر عيينة بن حصن القرظي والأقرع بن حابس في رجال من أشرف العرب فدخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالهم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإن جعلوا لنا جعلنا نرجع فكفيناكم من وراءنا فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر فعرضوا عليه الذي عرضوا عليهم وقالوا نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طعمة يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع إليك أسامة وجيشه ويشد أمرك فإننا اليوم قليل في كثير ولا طاقة لنا بقتال العرب قال أبو بكر هل ترون غير ذلك قالوا لا قال أبو بكر إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم وأن الله لن يجمعكم على ضلالة وإني سأشير عليكم فإنما أنا رجل منكم تنظرون فيما أشير به عليكم وفيما أشرت به فتجتمعون على أرشد ذلك فإن الله يوفقكم وأما أنا فأرى أن ننبذ إلى عدونا فمن شاء فليؤم من ومن شاء فليكفر وأن لا نرشوا على الإسلام أحدا وأن نأسى برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتجاهد عدوه كما جاهدهم والله لو منعوني عقالا لرأيت أن أجاهدكم عليه حتى آخذه فأتروا يرشدكم الله فهذا رأيي وأما قدوم عيينة وأصحابه إليكم فهذا أمر لم يرغب عنه عيينة هو راضه ثم جاء له ولو رأوا ذباب السيف لعادوا إلى ما خرجوا منه أو أفناهم السيف فإلى النار قتلناهم على حق منعه وكفر فبان للناس وجه أمرهم وقالوا لأبي بكر لما سمعوا رأيه أنت أفضلنا رأيا ورأينا لرأيك تبع

فأمر أبو بكر الناس بالتجهز وأجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الردة وكانت أسد وغطفان من أهل الضاحية قد ارتدت ولم ترتد عيس ولا

بعض أشجع وارتدت عامة بني تميم وطوائف من بني سليم عصابة وعميرة وخفاف وبنو عوف بن امرئ القيس وذكوان وبنو جارية وارتد أهل اليمامة كلهم وأهل البحرين وبكر بن وائل وأهل دبي من أزد عمان والنمر بن قاسط وكتب ومن قاربهم من قضاة وعمامة بن عامر بن صعصعة وفيهم علقمة بن علاثة وقيل إنما تربصت مع قادتها وسادتها ينظرون لمن تكون الدبرة وقدموا رجلا وأخروا أخرى وارتدت فزارة وجمعها عيينة بن حصن وتمسك بالإسلام من بين المسجدين وأسلم وغفار وجهينة ومزينة وكعب وتقيف قام فيهم عثمان بن أبي العاص في بني مالك وقام في الأحلاف رجل منهم فقال يا معشر تقيف نشدتكم الله أن تكونوا أول العرب ارتدادا وآخرهم إسلاما وأقامت طيء كلها على الإسلام وهذيل وأهل السراة وبجيلة وختعم ومن قارب تمامة من هوازن نصر وجشم وسعد بن بكر وعبد القيس قام فيهم الجارود فثبتوا على الإسلام وارتدت كعدة وحضرموت وعنس وقال أبو هريرة لم يرجع رجل واحد من دوس ولا من أهل السراة كلها

وقال أبو مرزوق النخعي لم يرجع رجل واحد من تميم ولا من همدان ولا من الأبناء بصنعاء ولقد جاء الأبناء وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فشق نساؤهم الجيوب وضربن الخدود وفيهم المرزبانة فشقت درعها من بين يديها ومن خلفها

وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما صدر من الحج سنة عشر وقدم المدينة فأقام حتى رأى هلال الحرم

سنة إحدى عشرة وبعث المصدقين في العرب فبعث على عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل وبعث حامية بن سبيع الأسدي على صدقات قومه وعلى بني كلاب الضحاك ابن سفيان وعلى أسد وطية عدي بن حاتم وعلي بن يربوع مالك بن نويرة وعلي بن دارم وقبائل بني حنظلة الأقرع بن حابس وبعث الزبرقان بن بدر على صدقات قومه وقيس ابن عاصم المقري على صدقات قومه

فلما بلغتهم وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اختلفوا فمنهم من رجع ومنهم من أدى إلى أبي بكر وكان الذين حسبوا صدقات قومهم وفرقوها بين قومهم مالك بن نويرة وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس التميمي وأما بنو كلاب فتربصوا ولم يمنعوا معنا بينا ولم يعطوا كانوا بين ذلك

وبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على فزارة نوفل بن معاوية الديلي فلقية خارجة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بالشربة فقال أما ترضى أن تغنم نفسك فرجع نوفل بن معاوية هاربا حتى قدم على أبي بكر الصديق بسوطه وقد كان جمع فرائض فأخذها منه خارجة فردها على أربابها وكذلك فعلت سليم بعرياض بن سارية وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعثه على صدقاتهم فلما بلغتهم وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} أبوا أن يعطوه شيئا وأخذوا منه ما كان جمع فانصرف من عندهم بسوطه وأما أسلم وغفار ومزينة وجهينة وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعث إليهم كعب بن مالك الأنصاري فسلموا إليه صدقاتهم لما بلغتهم وفاته وتآدت إلى أبي بكر فاستعان بها في قبال أهل الردة وكذلك فعل بنو كعب مع أمير صدقاتهم بشر بن سفيان الكعبي وأشجع مع مسعود بن رحيلة الأشجعي فقدم بذلك كله على أبي بكر

وكان عدي بن حاتم قد حبس إبل الصدقة يريد أن يبعث بها إلى أبي بكر إذ وجد فرجة والزبرقان بن بدر مثل ذلك فجعل قومهما يكلموئهما فيأبيان وكانا أحزم رأيا وأفضل في الإسلام رغبة ممن كان فرق الصدقة في قومه فقالا لقومهما لا تعجلوا فإنه إن قام بهذا الأمر قائم ألكم لم تفرقوا الصدقة وإن كان الذي تظنون فلعمرى إن أموالكم ليأيديكم فلا يغلبنكم عليها أحد فسكتوهم حتى أتاهم يقين خبر القوم فلما اجتمع الناس على أبي بكر جاءهم

أنه قد قطع البعوث وسار بعث أسامة بن زيد إلى الشام وأبو بكر يخرج إليهم فكان عدي بن حاتم يأمر ابنه أن يسرح مع نعم الصدقة فإذا كان المساء روحها وإنه جاء بها ليلة عشاء فضره وقال ألا عجلت بها ثم راح بها الليلة الثانية فوق ذلك قليلا فجعل يضربه وجعلوا يكلمونه فيه فلما كان اليوم الثالث قال يا بني إذا سرحتها فصح في أدبارها وأم بما المدينة فإن لقيك لاق من قومك أو من غيرهم فقل أريد الكلاء تعذر علينا ما حولنا فلما أن جاء الوقت الذي كان يروح فيه لم يأت الغلام فجعل أبوه يتوقعه ويقول لأصحابه العجب لحبس ابني فيقول بعضهم نخرج يا أبا طريف فنتبعه فيقول لا والله فلما أصبح أصبح قهياً ليغدو فقال قومه نغدو معك فقال لا يغدو معي منكم أحد إنكم إن رأيتموه حلتهم ببني وبين ضربه وقد عصى أمري كما ترون فخرج على بعير له سريعا حتى لحق ابنه ثم حدر النعم إلى المدينة فلما كان ببطن قناة لقيته خيل لأبي بكر عليها ابن مسعود ويقال محمد بن مسلمة وهو أثبت عندنا فلما نظروا إليه ابتدروه وما كان معه وقالوا له أين الفوارس الذين كانوا معك قال ما معي أحد قالوا بلى لقد كان معك فوارس فلما رأونا تغيبوا فقال ابن مسعود خلوا عنه فما كذب ولا كذبتكم جنود الله معه ولم يرههم فقدم علي أبي بكر بثلاثمائة بعير وكانت أول صدقة قدم بها على أبي بكر

وذكر بعض من ألق في الردة أن الزبرقان بن بدر هو الذي فعل هذا الفعل المنسوب في هذا الحديث إلى عدي بن حاتم فيما أن يكونا فعلاه معا توفيقا من الله لهما وإما أن يكون هذا مما يعرض في النقل من الاختلاف والذي ينسب

ذلك إلى الزبرقان يقول إنه قال في ذلك

لقد علمت قيس وخنذف أني
وفيت إذا ما فارس الغدر ألجما
أتيت التي قد يعلم الله أنها
إذا ذكرت كانت أعف وأكرما
أنفت لعوف أن يسب أبوهم
إذا اقتسم الناس السوام المقسما
وروحنها من أهل جوفاء صبحت
تلوس بأيديها الحصاد المحرما
حبوت بما قبر النبي وقد أبي

فلم يجبه ساع من الناس مقسما

الطويل

وقال أيضا

وفيت بأذواد النبي ابن هاشم
على موطن ضام الكريم المسودا
فأديتها ألفا ولو شئت ضمها
رعاء يكون الوشيخ المقصدا

الطويل

وذكر ابن إسحاق أن عدي بن حاتم كانت عنده إبل عظيمة اجتمعت له من صدقات قومه عندما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما ارتد من الناس وارتجوا صدقاتهم وارتدت بنو أسد وهم جيرانهم اجتمعت طيء إلى عدي بن حاتم فقالوا إن هذا الرجل قد مات وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس فقال ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين قالوا بلى ولكن قد حدث ما ترى وقد تري ما صنع الناس قال والذي نفس عدي بيده لا أخيس بما أبدا ولو كنت جعلتها لرجل من الزنج لوفيت له بما فإن أيتهم لأقاتلنكم يعني على ما في يده وما في أيديهم فليكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدي بن حاتم أو يسلمها فلا تطمعوا أن يسب حاتما في قبره عدي ابنه من بعده فلا يدعونكم عذر عاذر إلى أن تعذروا فإن للشيطان قادة عند موت كل نبي يستخف لها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة وإنما هي عجاجة لا ثبات لها ولا ثبات فيها إن لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} خليفة من بعده يلي هذا الأمر وإن لدين الله أقواما سينهضون ويقومون به بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما قاموا بعهد وذو بيته في السماء لئن فعلتم ليقارعنكم على أمور الكم ونسائكم بعد قتل عدي وغدركم فأبي قوم أنتم عند ذلك فلما رأوا منه الجد كفوا عنه وسلموا له

ويروى أن مما قال له قومه أمسك ما في يدك فإنك إن تفعل تسد الخلفين يعنون طينا وأسدا فقال ما كنت لأفعل حتى أدفعها إلى أبي بكر فجاء بما حتى دفعها إليه فلما كان زمن عمر بن الخطاب رأى من عمر

رحمه الله جفوة فقال له عدي ما أراك تعرفني قال عمر بلى والله والله يعرفك من السماء أعرفك والله أسلمت إذ كفروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا بلى وأيم الله أعرفك

وقدم أيضا الزبرقان بن بدر بصداقات قومه على أبي بكر فلم يزل لعدي والزبرقان بذلك شرف وفضل على من سواهما

وأعطى أبو بكر عديا ثلاثين بعيرا من إبل الصدقة وذلك أن عديا لما قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نصرانيا فأسلم وأراد الرجوع إلى بلاده أرسل إليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعتذر من الزاد ويقول والله ما أصبح عند آل محمد شقة من الطعام ولكن ترجع ويكون خير فلذلك أعطاه أبو بكر تلك القرائض ولما كان من العرب ما كان من التوائهم عن الدين ومنع من منع منهم الصدقة جد بأبي بكر الجدي في قتالهم وأراه الله رشده فيهم وعزم على الخروج بنفسه إليهم وأمر الناس بالجهاز وخروج هو في مائة من المهاجرين وقيل في مائة من المهاجرين والأنصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بقاء وهو ذو القصة يريد أبو بكر أن يتلاحق الناس من خلفه ويكون أسرع لخروجهم ووكّل بالناس محمد بن مسلمة يستحثهم فأنهى إلى بقاء عند غروب الشمس فصلى بها المغرب وأمر بنار عظيمة فأوقدت وأقبل خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر وكان ممن ارتد في خيل من قومه إلى المدينة يريد أن يخذل الناس عن الخروج أو يصيب غرة فيغير فأغار على أبي بكر رضي الله عنه ومن معه وهم غافلون فاقتتلوا شيئا من قتال وتحيز المسلمون ولاذ أبو بكر

بشجرة وكره أن يعرف فأوفى طلحة بن عبيد الله على شرف فصاح بأعلى صوته لا بأس هذه الخيل قد جلاءتكم فترجع الناس وجاءت الأمداد وتلاحق المسلمون فانكشف خارجة بن حصن وأصحابه وتبعه طلحة بن عبيد الله فيمن خف معه فلحقوه في أسفل ثنايا عوسجة وهو هارب لا يألوا فيدرك أخريات أصحابه فحمل طلحة على رجل بالرمح فدق ظهره ووقع ميتا وهرب من بقي ورجع طلحة إلى أبي بكر فأخبره أن قد لولا منهزمين هارين وأقام أبو بكر ببقاء أياما ينتظر الناس وبعث إلى من كان حوله من أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وكعب يأمرهم بجهاد أهل الردة والخفوف إليهم فتحلب الناس إليهم من هذه النواحي حتى شحنت منهم المدينة

قال سيرة الجهني قدمنا معشر جهينة أربعمائة معنا الظهر والخيل وساق عمرو بن مسرة الجهني مائة بعير عونا للمسلمين فوزعها أبو بكر في الناس وجعل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب يكلمان أبا بكر في الرجوع إلى المدينة لما رأيا عزمه على المسير بنفسه وقد توافى المسلمون وحشوا فلم يبق أحد من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} من المهاجرين والأنصار من أهل بدر إلا خرج وقال عمر ارجع يا خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تكن للمسلمين فتنة وردءا فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعل الباطل الحق وأبو بكر مظهر المسير بنفسه وسأهم بمن نبدأ من أهل الردة فاختلفوا عليه فقال أبو بكر نصمده لهذا الكذاب على الله وعلى كتابه طليحة

ولما ألحوا على أبي بكر في الرجوع وعزم هو عليه أراد أن يستخلف على الناس فدعا زيد بن الخطاب لذلك فقال يا خليفة رسول الله قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلم أرزقها وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه فدعا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فعرض عليه ذلك فقال مثل ما قال زيد فدعا سالما

مولى أبي حذيفة ليستعمله فأبى عليه فدعا أبو بكر خالد بن الوليد فأمره على الناس وقال لهم وقد توافى المسلمون قبله وبعث مقدمته أمام الجيش

أيها الناس سيروا على اسم الله تعالى وبركته فأمركم خالد بن الوليد إلى أن ألقاكم فإني خارج فيمن معي إلى ناحية خيبر حتى ألقىكم ويروى أنه قال للجيش

سيروا فإن لقيتكم بعد غد فالأمر إلي وأنا أميركم وإلا فخالد بن الوليد عليكم فاسمعوا له وأطيعوا وإنما قال ذلك أبو بكر لأن تذهب كلمته في الناس وتهاب العرب خروجه ثم خلا بخالد بن الوليد فقال يا خالد عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار

فسار خالد ورجع أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص في نفر من المهاجرين والأنصار من أهل بدر رضي الله عن جميعهم إلى المدينة وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد حين بعثه في هذا الوجه قال حنظلة بن علي الأسلمي بعث أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أهل الردة وأمره أن يقاتلهم على خمس خصال فمن ترك واحدة من الخمس قاتله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان زاد زيد بن أسلم وحج البيت وقال كن ستا وعن نافع بن جبران أن أبا بكر حين بعث خالد بن الوليد عهد إليه وكتب معه هذا الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى خالد بن الوليد حين بعثه فيمن بعثه من المهاجرين والأنصار ومن معهم من غيرهم لقتال من رجع عن الإسلام بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عهد إليه وأمره أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله علانيته وسره وأمر بالجد في أمر الله والمجاهدة لمن تولى عنه إلى غيره ورجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية وأمانى الشيطان وعهد إليه وأمره أن لا يقاتل قوما حتى يعذر إليهم ويدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم الذي لهم في الإسلام والذي عليهم فيه ويحرص على هدايتهم فمن أجابه إلى ما دعاه إليه من الناس كلهم أحرهم وأسودهم قبل منه ويعذر إلى من دعاه بالمعروف وبالسيوف وإنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله فإذا أجاب المدعو إلى الإيمان وصدق إيمانه لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد في عمله ومن لم يجبه إلى ما دعا إليه من دعائه الإسلام ممن رجع عن الإسلام بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يقاتل أولئك بمن معه من

المهاجرين والأنصار حيث كانوا وحيث بلغ مراغمه ثم يقتل من قدر عليه من أولئك ولا يقبل من أحد شيئا دعاه إليه ولا أعطاه إياه إلا الإسلام والدخول فيه والصبر به وعليه وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأمره أن يمضي بمن معه من المسلمين حتى يقدم الإمامة فيبدأ ببني حنيفة ومسيلمتهم الكذاب فيدعوهم ويدعوهم إلى الإسلام وينصح لهم في الدين ويحرص على هدايتهم فإن أجابوا إلى ما دعاهم إليه من دعاية الإسلام قبل منهم وكتب بذلك إلي وأقام بين أظهرهم حتى يأتيه أمري وإن هم لم يجيبوا ولم يرجعوا عن كفرهم واتباع كذابهم على كذبه على الله عز وجل قاتلهم أشد القتال بنفسه ومن معه فإن الله ناصر دينه ومظهره على الدين كله كما قضى في كتابه ولو كره الكافرون فإن أظهره الله عليهم إن شاء الله وأمكنه منهم فليقتلهم بالسلاح وليحرقهم بالنار ولا يستبقيه منهم أحدا قدر على أن يستبقه وليقسم أموالهم وما أفاء الله عليه وعلى المسلمين إلا خمسة فليرسل به إلي أضعه حيث أمر الله به أن يوضع إن شاء الله وعهد إليه أن لا يكون في أصحابه فشل من رأيهم ولا عجلة عن الحق إلى غيره ولا

يدخل فيهم حشو من الناس حتى يعرفهم ويعرف ممن هم وعلام اتبعوه وقاتلوا معه فأبى أحشى أن يدخل معكم ناس يتعدون بكم ليسوا منكم ولا على دينكم فيكونون عيوننا عليكم ويتحفظون من الناس بمكالمهم معكم وأنا أحشى أن يكون ذلك في الأعراب وجفائهم فلا يكونن من أولئك في أصحابك أحد إن شاء الله تعالى وارفق بالمسلمين في سيرهم ومنازلهم وتفقلهم ولا تعجل بعض الناس عن بعض في المسير ولا في الارتحال من مكان واستوص بمن معك من الأنصار خيرا في حسن صحبتهم ولين القول لهم فإن فيهم ضيقا ومرارة وزعارة وهم حق وفضيلة وسابقة ووصية من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئتهم كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ويروى أن أبا بكر رحمة الله كتب مع هذا الكتاب كتابا آخر إلى عامة الناس وأمر خالد أن يقرأه عليهم في كل مجمع وهو

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة تاما على إسلامه أو راجعا عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الهادي غير المضل أرسله بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فهدى الله بالحق من أجاب إليه وضرب بالحق من أذبر عنه حتى صاروا إلى الإسلام طوعا وكرها ثم أدرك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عند ذلك أجله الذي قضى الله عليه وعلى المؤمنين فتوفاه الله وقد كان بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل عليه فقال له إنك ميت وإنهم ميتون ٣٠ الزمر وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرا والخير فتنة وإلينا ترجعون ٣٤ ٣٥ الأنبياء وقال للمؤمنين وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ١٤٤ آل عمران فمن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه وإني أوصيكم أيها الناس بتقوى الله وأحضكم على حظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم محمد {صلى الله عليه وسلم} وأن تمثنوا بهدي الله وتعتصموا بهدي الله فإن كل من لم يحفظه الله ضائع وكل من لم يصدق الله كاذب وكل من لم يسعده الله شقي وكل من لم يرزقه الله محروم وكل من لم ينصره الله مخنول فاهتدوا بهدي الله ربكم وما جاءكم به نبيكم محمد {صلى الله عليه وسلم} فإنه من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا ١٧ الكهف وإنه قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمر الله وطاعة للشيطان و

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ٦
فاطر وإني قد بعثت خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين الأولين من قريش والأنصار وغيرهم وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوهم إلى داعية الله فمن دخل في دين الله وتاب إلى الله ورجع عن معصية الله إلى ما كان يقر به من دين الله وعمل صالحا قبل ذلك منه وأعانه عليه ومن أبى أن يرجع إلى الإسلام بعد أن يدعو بداعية الله ويعذر إليه بعذرة الله أن يقاتل من قاتله على ذلك أشد القتال بنفسه ومن معه من أنصار دين الله وأعوانه ثم لا يبقى

على أحد بعد أن يعذر إليه وأن يحرقهم بالنار ويسبي النراري والنساء وأمرته أن لا يقبل من أحد شيئاً إلا الرجوع إلى دين الله وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله {صلى الله عليه وسلم} وقد أمرته أن يقرأ على الناس كتابي إليهم في كل مجمع وجماعة فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فهو شر له وعن عروة بن الزبير قال جعل أبو بكر رضي الله عنه يوصي خالد بن الوليد ويقول

يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك من رعيتك فإن معك أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أهل السابقة من المهاجرين والأنصار فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تتأقهم وقدم أملك الطلائع تتراد لك المنازل وسر في أصحابك على تعبنة جيدة فإذا لقيت أسداً وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك وبعضهم لا عليك ولا لك متربص دائرة السوء ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة ولكن الخوف عندي من أهل اليمامة فاستعن بالله على قتالهم فإنه بلغني أنهم رجعوا بأسرهم وإن كفك الله الضاحية فامض إلى أهل اليمامة فإنك تلقى عدواً كلهم عليك لهم بلاد منكرة فلا توتّي إلا من مفازة فارفق بجيشك في تلك المفازة فإن في جيشك قوماً أهل ضعف أرجو أن تنصر بهم حتى تدخل بلادهم هم إن شاء الله تعالى فإن دخلت بلادهم فالحذر الحذر إذا لقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به السهم للسهم والرمح للرمح والسيوف للسيوف فإن أعطاك الله الظفر عليهم فأقل البقية عليهم إن شاء الله تعالى وإياك أن تلقاني غداً بما يضيق صدري به منك اسمع عهدي ووصيتي لا تغرن على دار سمعت فيها أذانا حتى تعلم ما هم عليه وإياك وقتل من صلى واعلم يا خالد أن الله يعلم من سريرتك ما يعلم من علانيتك واعلم أن رعيتك إنما تعمل بما تراك تعمل كف عليك أطرافك وتعاهد جيشك وأنهم عما لا يصلح لهم فإنما تقاتلون من تقاتلون بأعمالكم وبهذا نرجو لكم النصر على أعدائكم سر على بركة الله تعالى

ذكر مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى براخة وغيرها

قالوا وسار خالد بن الوليد ومعه عدي بن حاتم وقد انضم إليه من طيء ألف رجل فنزل براخة وكانت جديلة معرضة عن الإسلام وهي بطن من طيء وكان عدي بن حاتم من الغوث وقد همت جديلة أن تترد فجاءهم مكنف بن زيد الخليل الطائي فقال أتريدون أن تكونوا سبية على قومكم لم يرجع رجل واحد من طيء وهذا أبو طريف عدي بن حاتم معه ألف رجل من طيء فكسرهم فلما نزل خالد براخة قال لعدي يا أبا طريف ألا نسير إلى جديلة فقال يا أبا سليمان لا تفعل أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة فقال خالد بل بيدين قال عدي فأن جديلة إحدى يدي فكف خالد عنهم فجاءهم عدي فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا فحمد الله وسار بهم إلى خالد فلما رآهم خالد فرح منهم وظن أنهم أتوا للقتال فصاح في أصحابه بالسلاح فقبل له إنما هي جديلة أتت تقاتل معك فلما جاءوا حلوا ناحية وجاءهم خالد فرحب بهم وفرح بهم واعتذروا إليه من اعتزالهم وقالوا نحن لك حيث أحببت فجزاهم خيراً فلم يرتد من طيء رجل واحد فسار خالد على تعبته وطلب إليه عدي أن يجعل قومه مقدمة أصحابه فقال يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا ألحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا ولكن دعني أقدم قوماً صبراً لهم سوابق ونيات وهم من قومك قال عدي الرأي ما رأيت فقد المهاجرين والأنصار ولم يزل خالد يقدم طبيعته منذ خرج من بقعاء حتى قدم اليمامة وأمر عيونهم أن يختبروا كل من مروا به عند مواقيت الصلاة بالأذان لها فيكون ذلك أماناً لهم ودليلاً على إسلامهم وانتهى خالد والمسلمون إلى عسكر طليحة وقد ضربت لطيحة قبة من آدم وأصحابه حوله معسكرون فانتهى خالد ممسياً فضرب عسكره

على ميل أو نحوه من عسكر طليحة وخرج يسير على فرس معه نفر من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} فوقف من عسكر طليحة غير بعيد ثم قال يخرج إلى طليحة فقال أصحابه لا تصغر اسم نبينا وهو طلحة فخرج طليحة فوقف فقال له خالد إن من عهد خليفتنا إينا أن ندعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن تعود إلى ما خرجت منه فنقبلمنك ونغمد سيوفنا عنك فقال يا خالد أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأني نبي مرسل يأتيني ذو النون كما كان جبريل يأتي محمدا وقد كان ادعى هذا في عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذو النون وكان عينه بن حصن قد قال له لا أبا لك هل أنت مرينا بعض نبوتك فقد رأيت ورأينا ما كان يأتي محمدا قال نعم فبعث عيوننا له حيث سار خالد بن الوليد بن الوليد من المدينة مقبلا إليهم قبل أن يسمع بذكر خالد وقال إن بعثتم فارسين على فارسين أغرين محجلين من بني نصر بن قعين أتوكم من القوم بعين فهوا فارسين فبعثوا فارسين فخرجوا فركضوا فلقينا عينا لخالد بن الوليد فقال ما وراءك فقال هذا خالد بن الوليد في المسلمين قد أقبلوا فأتوا به إليه فزادهم فتنة وقال ألم أقل لكم

فلما أبى طليحة على خالد أن يقر بما دعاه إليه انصرف خالد إلى معسكره فاستعمل تلك الليلة على حرسه مكنف بن زيد الخيل وعدي بن حاتم وكان لهما صدق نية ودين فباتا يحرسان في جماعة من المسلمين فلما كان في السحر نهض خالد فعبأ أصحابه ووضع ألويته مواضعها ودفع اللواء الأعظم إلى زيد ابن الخطاب فقدم به وتقدم ثابت بن قيس بن بلواء الأنصار وطلبت طيء لواء يعقد لها فعقد خالد لواء ودفعه إلى عدي بن حاتم فلما سمع طليحة حركة القوم عبأ أصحابه وجعل خالد يسوي الصفوف على رجليه وطليحة يسوي أصحابه على راحلته حتى إذا استوت الصفوف زحف بهم خالد حتى دنا من طليحة فلما انتهى إليه خرج إليه طليحة بأربعين غلاما جلداء من جنوده مردا فأقامهم في الميمنة فقال اضربوا حتى تأتوا الميسرة فتضعض

الناس ولم يقتل أحد ثم أقامهم في الميسرة ففعلوا مثل ذلك وانهمز المسلمون فقال رجل من هوازن حضرهم يومئذ أن خالد لما كان ذلك قال يا معشر الأنصار الله الله واقنم وسط القوم وكر عليه أصحابه فاختلطت الصفوف واختلفت السيوف بينهم وخرس خالد في القتال فجعل يقحم فرسه ويقولون له الله الله فإنك أمير القوم ولا ينبغي لك أن تقدم فيقول والله إني لأعرف ما تقولون ولكني والله ما رأيتني أصبر وأخاف هزيمة المسلمين وفيما ذكر الكلبي عن بعض الطائيين أنه نادى مناد من طيء يعني عندما حمل أولئك الأربعون غلاما على المسلمين يا خالد عليك سلمى وأجأ فقال بل إلى الله الملجأ قال ثم حمل فوالله ما رجعت حتى لم يبق من أولئك الأربعين رجل واحد وقاتل خالد يومئذ بسيفين حتى قطعهما وتراد الناس بعد الهزيمة واشتد القتال وأسر حبال بن أبي حبال فأرادوا أن يبعثوا به إلى أبي بكر فقال اضربوا عنقي ولا تروني محمديةكم هذا فضربوا عنقه

وذكر الواقدي عن ابن عمر قال نظرت إلى راية طليحة يومئذ حمراء يحملها رجل منهم لا يزول بها فترا نظرت إلى خالد أتاه فحمل عليه فقتله فكانت هزيمتهم فنظرت إلى الراية تطؤها الإبل والخيل والرجال حتى تقطعت وعنه قال يرحم الله خالد بن الوليد لقد كان له غناء وجرأة ولقد رأيت يوم طليحة يباشر الحرب بنفسه حتى ليم في ذلك ولقد رأيت يوم اليمامة يقاتل أشد القتال إن كان مكانه ليقني حتى يطلع إينا منبها

ولما تراجع المسلمون وخرس القتال تزل طليحة بكساء له ينتظر زعم أن ينزل عليه الوحي فلما طال ذلك على أصحابه وهدمهم الحرب جعل عينه بن حصن يقاتل ويذمر الناس قال ابن إسحاق قاتل يومئذ في سبعمئة من فرزة قتالا شديدا حتى إذا لج المسلمون عليهم بالسيف وقد صبروا لهم

أتى طليحة وهو متلثم في كسائه فقال لا أبا لك هل أتاك جبريل بعد قال يقول طليحة وهو تحت الكساء لا والله ما جاء بعد فقال عيينة تبا لك سائر اليوم ثم رجع عيينة فقاتل وجعل يحض أصحابه وقد ضجوا من وقع السيوف فلما طال ذلك على عيينة جاء طليحة وهو مستلق متسج بكسائه فجذبه جبذة جلس منها وقال له قبح الله هذه من نبوة ما قيل لك بعد شيء فقال طليحة قد قيل لي إن لك رحال كرحاه وأمر لن تنساه فقال عيينة أظن قد علم الله أن سيكون لك أمر لن تنساه يا فزارة هكذا وأشار لها تحت الشمس هذا والله كذاب ما بورك له ولا لنا فيما يطالب فانصرفت فزارة وذهب عيينة وأخوه في آثارها فيدرك عيينة فأسر وأفلت أخوه ويقال أسر عيينة عروة بن مضر بن أوس بن حارثة بن لام الطائي فأراد خالد قتله حتى كلمه فيه رجل من بني مخزوم فترك قتله

ولما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون خرج منهزما وأسلمه الشيطان فأعجزهم هو وأخوه فجعل أصحابه يقولون له ماذا ترى وقد كان أعد فرسه وهياً امرأته النوار فوثب على فرسه وحمل امرأته وراه فنجا بها وقال من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل ولينج بأهله ثم هرب حتى قدم الشام فأقام عند بني جفنة الغسانيين وفي كتاب يعقوب الزهري أن طليحة قال لأصحابه ما رأى أهزاهم ويلكم ما يهزمكم فقال له رجل منهم أنا أخبرك أنه ليس منا رجل إلا وهو يجب أن صاحبه يموت قبله وأنا نلقى قوما كلهم يجب أن يموت قبل صاحبه وذكر ابن إسحاق أن طليحة لما ولى هاربا تبعه عكاشة بن محصن وثابت ابن أقرم وقد كان طليحة أعطى الله عهداً أن لا يسأله أحد النزول إلا فعل فلما أدبر ناداه عكاشة يا طليحة فعطف عليه فقتل عكاشة ثم أدركه ثابت فقتله أيضاً طليحة ثم لحق بالشام وقال طليحة يذكر قتله إياهما

زعمتم بأن القوم لن يقتلوكم
أليسوا وإن لم يسلموا برجال
عدلت لهم صدر الحمالة إنهما
معودة قيل الكماة نزال
فيوما تفي بالمشرفية خدها
ويوما تراها في ظلال عوال
ويوما تراها في الجلال مصونة
ويوما تراها غير ذات جلال
عشية غادرت ابن أقرم ثاويها
وعكاشة الغنمي عند مجال
فإن يك أذواد أصبن ونسوة
فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال
الطويل

وقد قيل في قتلها غير هذا وهو ما ذكره الواقدي عن عميلة الفزاري وكان عالماً بردقم أن خالد بن الوليد كان لما دنا من القوم بعث عكاشة وثابتا طليحة أمامه وكانا فارسين فلقبهما طليحة وأخاه مسيلمة ابني خويلد طليحة لمن وراءهما من الناس وخلصوا عسكرهم من ورائهم فلما التقوا انفرد طليحة بعكاشة ومسلمة بثابت فلم يلبث مسيلمة أن قتل ثابتاً وصرخ طليحة بمسلمة أعني على الرجل فإنه قاتلي فكر معه على عكاشة فقتلاه رحمه الله ثم كراراجعين

إلى من وراءهما وأقبل خالد معه المسلمون فلم يرعهم إلا ثابت ابن أقرم قتيلا تطؤه المطي فعظم ذلك على المسلمين
ثم لم يسيرا إلا يسيرا حتى وطوا عكاشة قتيلا فثقل القوم على المطي كما وصف واصفهم حتى ما تكاد المطي ترفع
أخفافها

وفي كتاب الزهري ثم لحقوا أصحاب طليحة فقتلوا وأسروا وصاح خالد لا يطبخن رجل قدرا ولا يسخن ماء إلا
على أنفيه رأس رجل وتظلف رجل من بني أسد فوثب على عجز راحلة خالد وهو يقول
لن يخزي الله قوما أنت قائدهم
يا ابن الوليد ولن تشقى بك الدبر
كفك كف عقاب عند سطوتها
على العدو وكف برة عقر
البيسط

أنشدك الله أن يكون هلاك مضر اليوم على يديك قال من أنت ويحك قال أنا الأباء بن قيس يا خالد حكمتك في بني
أسد قال حكمتي فيهم أن يقيموا الصلاة ثم يؤتوا الزكاة ثم يرجعوا إلى بلادهم فمن كان له بما مال فليعمده وليسلم
عليه فهو له فأقروا بذلك فنادى خالد من قام فهو آمن فقام الناس كلهم فآمن من قام
وسمعت بذلك بنو عامر فأعلنوا بالإسلام وأمر خالد الحظائر أن تبنى ثم أوقد فيها النار ثم أمر بالأسري فألقيت فيها
وألقى يومئذ حامية بن سبيع ابن الحسحاس الأسدي وهو الذي كان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } استعلمه
على صدقات قومه فارتد عن الإسلام

وأخذت أم طليحة إحدى نساء بني أسد فعرض عليها الإسلام فأبى ووثبت فاقحمت النار وهي تقول
يا موت عم صباحا
كافحته كفاحا)
إذ لم أجد براحا
رجز

وذكر الواقدي عن يعقوب بن يزيد بن طلحة أن خالدا جمع الأساري في الحظائر ثم أضرهم عليهم فاحترقوا وهم
أحياء ولم يحرق أحد من بني فزارة فقلت لبعض أهل العلم لم حرق هؤلاء من بين أهل الردة فقال بلغت عنهم مقالة
سيئة شتموا النبي { صلى الله عليه وسلم } ووثبوا على ردتهم
وذكر عن غير يعقوب أن خالدا أمر بالأخدود يحفر فقيل له ما تريد بهذا الأخدود قال أحرقهم بالنار فكلتم في ذلك
فقال هذا عهد الصديق أبي بكر إلي أقرؤه في كل مجمع إن أظفرك الله بهم فأحرقهم بالنار
وعن عبد الله بن عمر قال شهدت بزاحة فظفرنا الله على طليحة فكنا كلما أغرنا على القوم سبينا الدراري
واقتمنا أموالهم

ذكر رجوع بني عامر وغيرهم إلى الإسلام

ولما أوقع الله ببني أسد وفزارة ما أوقع بزاحة بعث خالد بن الوليد سرايا ليصيبوا ما قدروا عليه ممن هو على رده
وجعلت العرب تسير إلى خالد راغبة في الإسلام أو خائفة من السيف فمنهم من أصابته السرية فيقول جئت راغبا

في الإسلام وقد رجعت إلى ما خرجت منه ومنهم من يقول ما رجعنا ولكننا منعنا أموالنا وشحننا عليها فقد سلمناها فليأخذ منها حقه ومنهم من لم تظفر به السرايا فانتهى إلى خالد مقرا بالإسلام ومنهم من مضى إلى أبي بكر الصديق ولم يقرب خالدا

قال الواقدي فاختلّفوا علينا في قرّة بن هبيرة القشيري فقال قائل هرب إلى أبي بكر وأسلم عنده وقال قائل أخذته خيل خالد فأنت به إليه ومنهم من قال جاء إلى خالد بن الوليد شاردا حين جاءت بنو عامر إلى خالد وهو أتبت عندنا

قال بعضهم وكانت بنو عامر تربص لمن الدبرة وصاحب أمرهم قرّة بن هبيرة فقام فيهم أبو حرب ربيعة بن خويلد العقيلي وهو يومئذ فارس عامر ورجلها فقال مهلا يا بني عامر قد قتلتم رسل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى بنو معونة وأخفرتهم ذمة أبي براء وأرداكم عامر بن الطفيل وقد أظلمكم خالد في المهاجرين والأنصار فكسرهم قوله وقد رضوه وكان عرض لعمرو بن العاص مقدمه من عمان بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع قرّة بن هبيرة ما نذكره وذلك أن عمرا كان عاملا للنبي {صلى الله عليه وسلم} على عمان فجاءه يوما يهودي من يهود عمان فقال أرأيتك إن سألتك عن شيء أأخشى علي منك

قال لا قال اليهودي أنشدك الله من أرسلك إلينا قال اللهم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال اليهودي الله إنك لتعلم أنه رسول الله قال عمرو اللهم نعم فقال اليهودي لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وحواشيه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي فيه ما قال ثم خرج بخفراء من الأزدي وعبد القيس يأمن بهم فجاءته وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمجر ووجد ذلك عند المنذر بن ساوي فسار حتى قدم أرض بني حنيفة فأخذ منهم خفيرا حتى جاء أرض بني عامر فنزل على قرّة بن هبيرة القشيري فقال له حين أراد عمرو أن يركب إن لك عندي نصيحة وأنا أحب أن تسمعها إن صاحبك قد توفي قال عمرو وصاحبنا هو لا أم لك يعني دونك قال له قرّة وإنكم يا معشر قريش كنتم في حرمكم تأمنون فيه ويأمنكم الناس ثم خرج منكم رجل يقول ما سمعت فلما بلغنا ذلك لم نكرهه وقلنا رجل من مضر يريد يسوق الناس وقد توفي والناس إليكم سراع وإنهم غير معطيكم شيئا فالحقوا بحرمكم تأمنون فيه وإن كنت غير فاعل فعديني حيث شئت آتتك فوقع به عمرو وقال إني أرد عليك نصيحتك وموعدك فخش أمك قال قرّة إني لم أرد هذا وندم على مقالته ويقال خرج مع عمرو في مائة من قومه خفراء له

وأقبل عمرو بن العاص يلقي الناس مرتدين حتى أتى على ذي القصة فلقى عيينة بن حصن خارجا من المدينة وذلك حين قدم على أبي بكر يقول إن جعلت لنا شيئا كفينك ما وراعا فقال له عمرو بن العاص ما وراعاك يا عيينة من ولى الناس أمورهم قال أبو بكر فقال عمرو الله أكبر قال عيينة يا عمرو استويننا نحن وأنتم فقال عمرو كذبت يا ابن الأخابت من مضر وسار عتيبة فجعل يقول لكل من لقي من الناس احبسوا عليكم أموالكم قالوا فأنت ما تصنع قال لا يدفع إليه رجل من فرارة عناقا واحدة ولحق عند ذلك بطليحة الأسدي فكان معه

وقدم عمرو المدينة فأخبر أبا بكر بما كان في وجهه وبمقالة قرّة بن هبيرة وبمقالة عيينة بن حصن وأتى عمرو خالدا حين بعثه أبو بكر إلى أهل الردة فجعل يقول يا أبا سليمان لا يقلت منك قرّة بن هبيرة فلما صنع الله بأهل بزاحة ما صنع عمد خالد إلى جبلي طيء فأتته عامر وغطفان يدخلون في الإسلام ويسألونه الأمان على مياهم وبلادهم وأظهروا له التوبة وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأمنهم خالد وأخذ عليهم العهود والمواثيق ليبايعن على ذلك

أبناءكم ونساءكم آناء الليل وآناء النهار فقالوا نعم نعم ولما اجتمعوا إليه قال خالد أين قرّة بن هبيرة القشيري قال
ها أنا ذا قال قدمه فاضرب عنقه وقال أنت المتكلم لعمرو بن العاص بما تكلمت به وأنت المتربص بالمسلمين الدوائر
ولم تنصر وقلت إن كانت الدائرة على المسلمين فمالي بيدي وجمعت قومك على ذلك ورأسك قومك ولم تكن بأهل
أن ترأس ولا تطاع قال يا بن المغيرة إن لي عند عمرو بن العاص شهادة فقال خالد عمرو الذي نقل عنك إلى
الخليفة ما تكلمت به

ويروي أنه قال له هذا ما قال لك عمرو سيأتيك في حفش أمك فقال له قرّة يا أبا سليمان إني قد أجرته فأحسنت
جواره وأنا مسلم لم أرتد فقال لولا ما تذكر لضربت عنقك ولكن لا بد أن أبعث بك في وثاق إلى أبي بكر فيرى
فيك رأيه فلما فرغ من بيعة بني عامر أوثق عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة وبعث بهما إلى أبي بكر الصديق
قال ابن عباس فقدم بهما المدينة في وثاق فنظرت إلى عيينة مجموعة يدها إلى عنقه بجمل يتخسه غلمان المدينة بالجر يد
ويضربونه ويقولون أي عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت بالله
قالوا ووقف عليه عبد الله بن مسعود فقال خبت وخسرت إنك لموضع في الباطل قديما فقال له عيينة أقصر أيها
الرجل فلولا ما أنا فيه لم تكلمني بما

تكلمني به فانصرف ابن مسعود وأتى بقرّة بن هبيرة فقال يا خليفة رسول الله والله ما كفرت وسل عمرو بن العاص
فإن لي عنده شهادة لما أقبل من عمان خرجت في مائة من قومي خفراء له وقبل ذلك ما أكرمت منزله ونحرت له
فسأل أبو بكر رضي الله عنه عمرا فقال نزلت به فلم أر للضيف خيرا منه لم يترك معي في مائة من قومه ثم
ذكر عمرو ما قال له قرّة فقال قرّة انزع يا عمرو فقال عمرو لو نزع نزعتم فلم يعاقبه أبو بكر وعفا عنه وكتب
له أمانا وقبل منه

وكان فيمن ارتد من بني عامر ولم يرجع معهم علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر فبعث أبو بكر إلى
ابنته وامراته ليأخذها فقالت امرأته مالي ولأبي بكر إن كان علقمة قد كفر فإني لم أكفر فتركها ثم راجع علقمة
الإسلام زمن عمر رضي الله عنه فرد عليه زوجته

وأخذ خالد بن الوليد من بني عامر وغيرهم من أهل الردة ممن جامعهم وبايعه على الإسلام كل ما ظهر من
سلاحهم واستحلقتهم على ما غيبوا عنه فإن حلفوا تركهم وإن أبوا شلهم أسرا حتى أتوا بما عندهم من السلاح
فأخذ منهم سلاحا كثيرا فأعطاه أقواما يحتاجون إليه في قتال عدوهم وكتبه عليهم فلقوا به العدو ثم ردوه بعد فقدم
به على أبي بكر رضي الله عنه

وحدث يزيد بن شريك الفراري عن أبيه قال قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر وافدا حين فرغ خالد بن بزاخة
وجعلت أسد وغطفان تسلل فاجتمعوا عند أبي بكر فممنهم من بايع خالد ومنهم من لم يبايعه فجاجوا إلى أبي بكر
فقال أبو بكر اختاروا بين خصلتين حرب مجلية أو سلم مخزية قال خارجة بن حصن هذه الحرب المجلية قد عرفتها
فما السلم المخزية قال تقرون أن قتالنا في الجنة وأن قتالكم في النار وأن تردوا علينا ما أخذتم منا
ولا نرد عليكم مما أخذنا منكم شيئا وأن تدوا قتالنا دية كل قبيل مائة بعير منها أربعون في بطونها أولادها ولا ندى
قتالكم ونأخذ منكم الحلقة والكرراع وتلحقون بأذنان الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم أو
يرى منكم إقبالا إلى ما خرجتم منه فقال خارجة بن حصن نعم يا خليفة رسول الله قال أبو بكر عليكم عقد الله
وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار وتعلموه أولادكم ونساءكم ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم

قالوا نعم فقال عمر يا خليفة رسول الله كلما قلت كما قلت إلا أن يدوا من قتلوا منا فإنهم قوم قتلوا في سبيل الله واستشهدوا

وفي رواية فتتابع الناس على قول عمر وقبض أبو بكر رضي الله عنه كلما قدر عليه من الحلقة والكراع فلما توفي رأى عمر رضي الله عنه أن الإسلام قد ضرب بجراحه فدفعه إلى أهله أو إلى عصبة من مات منهم

ولما فرغ خالد بن بزاخة وبنو عامر ومن يليهم أظهر أن أبا بكر عهد إليه أن يسير إلى أرض بني تميم وإلى الإمامة فقال ثابت بن قيس بن شماس وهو على الأنصار وخالد على جماعة المسلمين ما عهد إلينا ذلك وما نحن بسائرين وليست بنا قوة وقد كل المسلمون وعجف كراعهم فقال خالد أما أنا فلست بمستكره أحدا منكم فإن شئتم فسروا وإن شئتم فأقيموا فسار خالد ومن تبعه من المهاجرين وأبناء العرب عامدا لأرض بني تميم والإمامة وأقامت الأنصار يوما أو يومين ثم تلاومت فيما بينها وقالوا والله ما صنعنا شيئا والله لئن أصيب القوم ليقولن أخذلتموهم وأسلمتموهم وإنما لسبة باق عارها آخر الدهر ولئن أصابوا خيرا وفتح الله فتحا إنه خير منعموه فابعثوا إلى خالد يقيم لكم حتى تلحقوه فبعثوا إليه مسعود بن سنان ويقال ثعلبة بن عنمة فلما جاءه الخبر أقام حتى لحقوه فاستقبلهم في كثرة من معه من المسلمين لما أطلوا على العسكر حتى نزلوا وساروا جميعا حتى انتهى خالد بهم إلى البطاح من أرض بني

تميم فلم يجد بها جمعا ففرق السرايا في نواحيها وكان في سرية منها أبو قتادة الأنصاري قال فلقينا رجل فقلنا من أنت قال من بني حنظلة فقلنا أين من يمنع الصدقة منا الآن قال هم بمكان كذا وكذا فقلت كم بيننا وبينهم قال مائة فانطلقنا سراعا حتى أتيناهم حين طلعت الشمس ففرعوا حين رأونا وأخذوا السلاح وقالوا من أنتم قلنا نحن عباد الله للمسلمون قالوا ونحن عباد الله المسلمون وكانوا اثني عشر رجلا فيهم مالك بن نويرة قلنا فضعوا السلاح واستسلموا ففعلوا فأخذناهم فجعنا بهم خالدا وذكر من خبرهم ما يأتي بعد إن شاء الله تعالى

وكان مالك بن نويرة قد بعثه النبي {صلى الله عليه وسلم} مصدقا إلى قومه بني حنظلة وكان سيدهم فجمع صدقاتهم فلما بلغته وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} جفل إبل الصدقة أي ردها من حيث جاءت فلذلك سمي الجفول وجمع قومه فقال إن هذا الرجل قد هلك فإن قام قائم من قريش بعده نجتمع عليه جميعا إن رضي منكم أن تدخلوا في أمره ولم يطلب ما مضى من هذه الصدقة أبدا ولم تكونوا أعطيتم الناس أموالكم فأنتم أولى بها وأحق فتسارع إليه جمهور قومه وفرحوا بذلك فقام ابن قعنب وكان سيد بني يربوع فقال يا بني تميم بئس ما ظننتم أن ترجعوا في صدقاتكم ولا يرجع الله في نعمه عليكم وأن تجردوا للبلاء ويليسكم الله العافية وأن تستشعروا خوف الكفر وأن تسكنوا في أمن الإسلام إنكم أعطيتم قليلا من كثير والله مذهب الكثير بالقليل ومسلط على أموالكم غدا من لا يأخذها الرضي ولا يخيركم في الصدقة وإن منعموها قتلتم فأطيعوا الله واعصوا مالكا فقام مالك فقال يا معشر بني تميم إنما رددت عليكم أموالكم إكراما لكم وبقياء عليكم وإنه لا يزال يقوم قائم منكم يخطئني في ردها عليكم ويخطئكم في أخذها فما أغناني عما يضربني ولا ينفعكم فوالله ما أنا بأحرصكم على المال ولا بأجزعكم من الموت ولا بأخفاكم شخصا إن أقمت ولا بأخفكم رحلة إن هربت فترضاه عند ذلك بنو حنظلة وأسندوا إليه أمرهم وقالوا حربنا حربك وسلمنا سلمك فأخذوا أموالهم وأبي الله إلا أن يتم أمره فيهم وقال في ذلك مالك وقال رجال سدد اليوم مالك

وقال رجال مالك لم يسدد
فقلت دعوني لا أبا لأبيكم
فلم أخط رأيا في المعاد ولا البد
وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء به غد
فدونكموها إنما صدقاتكم
مصررة أخلافها لم تحرد
وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء به غد
سأجعل نفسي دون ما تحذرونه
وأرهنكم يوما بما قبلته يدي
فإن قام بالأمر المخوف قائم
أطعنا وقلنا الدين دين محمد
الطويل

ولما بلغ ذلك أبا بكر والمسلمين حنقوا على مالك وعاهد الله خالد بن الوليد لئن أخذه ليقتلنه ثم ليعلن هامته أنفية
للقدر فلما أتى به أسيرا في نفر من قومه أخذوا معه كما تقدم
أختلف فيه الذين أخذوهم فقال بعضهم قد أسلموا فما لنا عليهم من سبيل وفيمن شهد بذلك أبو قتادة الأنصاري
وكان معهم في تلك السرية وقالوا إنا قد أذنا فأذنوا ثم أقمنا فأقاموا ثم صلبنا فصلوا
وكان من عهد أبي بكر إلى خالد أن أيما دار غشيتموها فلم يسمعتم الأذان فيها بالصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى
تسألوهم ماذا نعموا وماذا يبعون وأيما دار غشيتموها فلم تسمعوا فيها الأذان فشوا عليها الغارة فاقتلوا وحرقوا
وشهد بعض من كان في تلك السرية أنهم لم يسلموا وأنهم لم يسمعوا كبروا ولا أذنوا وأن قتلهم وسيبهم حلال
وكان ذلك رأى خالد فيهم
قال أبو قتادة فجننته فقلت أنت هؤلاء القوم قال نعم قلت والله ما يحل لك قتلهم ولقد اتقونا بالإسلام فما
عليهم من سبيل ولا أتابعك على قتلهم فأمر بهم خالد فقتلوا
قال أبو قتادة فتسمرت حتى قلمت على أبي بكر فأخبرته الخبر وعظمت عليه الشأن فاشتد في ذلك عمر وقال
ارجم خالدًا فإنه قد استحبل ذلك فقال أبو بكر والله لا أفعل إن كان خالد تأول أمرا فأخطأه
وذكر يعقوب بن محمد الزهري والواقدي في مقتل مالك بن نويرة روايات غير ما تقدم أستغني عن إيرادهما بما ذكر
هنا وفي بعض ذلك أن خالدًا أمر برأسه فجعل أنفيه لقد حسب ما تقدم من نذره ذلك وكان من أكثر الناس شعرا
فكانت القدر على رأسه فراحوا وإن شعره ليدخن وما خلصت النار إلى شواة رأسه
وعاتب أبو بكر خالدًا لما قدم عليه في قتل مالك بن نويرة مع ما شهد له به أبو قتادة وغيره فاعتذر إليه خالد وزعم
أنه سمع منه كلاما استحبل به قتله فعذره أبو بكر وقبل منه
ورثا متمم بن نويرة أخاه مالكا بقصائد كثيرة منها قصيدته المشهورة المتخيرة في مراثي العرب التي يقول فيها
وكنا كندماني جذيمة حقة

من الدهر حتى قيل لن تنصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

الطويل

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال لمتمم بن نويرة لو ددت أني رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك

وكان زيد أصيب يوم اليمامة فقال له متمم يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته

فقال عمر ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيتيه

قصة مسيلمة الكذاب وردة أهل اليمامة

عن رافع بن خديج قال قلت على النبي {صلى الله عليه وسلم} وفود العرب فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوبا ولا

أحرى أن يكون الإسلام لم يقر في قلوبهم من بني حنيفة

وقد تقدم ذكر قدوم مسيلمة في قومه وأنه ذكر لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال أما أنه ليس بشركم مكانا

لما كانوا أخبروه به من أنهم تركوه في رحالهم حافظا لها

ويروى من حديث ابن عباس أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذكر له مسيلمة قال عندما قدم في قومه لو

جعل لي محمد الخلافة من بعده لاتبعتة فجاءه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} معه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ميثخه من نخل فوقف عليه ثم قال لئن أقبلت ليفعلن الله بك ولئن أدبرت ليقطعن

الله دابرك وما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رايت ولئن سألتني هذه الشظية لشظية من الميثخة التي في يده ما

أعطيتكها وهذا ثابت يجيبك

قال ابن عباس فسألت أبا هريرة عن قول النبي {صلى الله عليه وسلم} ما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت قال

كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا فوق

أحدهما باليمامة والآخر باليمن قيل ما أولتهما يا رسول الله قال أولتهما كذا بين يخرجان من بعدي

ولما انصرف في قومه إلى اليمامة ارتد عدو الله وادعى الشركة في النبوة مع النبي {صلى الله عليه وسلم} وقال

للوفا الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكروني له أما أنه ليس بشركم مكانا ما ذاك إلا لما علم أني أشركت في

الأمر معه وكتب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإنني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش

نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون

وقدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بهذا الكتاب رسولان لمسيلمة فقال لهما رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وسلم {حين قرأ كتابه فما تقولان أنتما قالوا نقول كما قال فقال أما والله لولا أن الرسل ما تقتل لضربت أعناقكما

ثم كتب إلى مسيلمة

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين

قال ابن إسحق وكان ذلك في آخر سنة عشر وذكر غيره أن ذلك كان بعد انصراف النبي {صلى الله عليه وسلم} من

من حجة الوداع ووقوعه في المرض الذي توفاه الله فيه فالله تعالى أعلم

وجد بعدو الله ضلاله بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأصفقت معه حنيفة على ذلك إلا أفادا من

ذوي عقولهم ومن أراد الله به الخير منهم وكان من أعظم ما فتن به قومه شهادة الرجال بن عنفوة له بإشراك النبي {صلى الله عليه وسلم} إياه في الأمر وكان من قصة الرجال أنه قدم مع قومه وافدا على النبي {صلى الله عليه وسلم} فقرأ القرآن وتعلم السنن

قال ابن عمر وكان من أفضل الوفد عندنا قرأ البقرة وآل عمران وكان يأتي أبيا يقرئه فقدم اليمامة وشهد لمسيمة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه أشركه في الأمر من بعده فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من غيره لما كان يعرف به

وقال رافع بن خديج كان بالرجال من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير فيما نرى شيء عجيب خرج علينا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما وهو معنا جالس مع نفر فقال أحد هؤلاء نفر في النار قال رافع فنظرت في القوم فإذا بأبي

هريرة وأبي أروى الدوسي وطفيل بن عمرو اللوسي والرجال بن عنفوة فجعلت أنظر وأعجب وأقول من هذا الشقي فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجعت بنو حنيفة فسألت ما فعل الرجال قالوا افتتن هو الذي شهد لمسيمة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه أشركه في الأمر من بعده فقلت ما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فهو حق

قالوا وسمع الرجال يقول كبشان انطحا فأحبهما إلينا كبشنا

كتاب : الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء
المؤلف : أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

وكان ابن عمير اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرفهم وكان مسلما يكتنم إسلامه وكان صديقا للرجال
فقال شعرا فشا في اليمامة حتى كانت المرأة والوليدة والصبي ينشدونه فقال

يا سعاد الفؤاد بنت أثال
طال ليلى بفتنة الرجال
إنها يا سعاد من حدث الدهر
عليكم كفتنة الرجال
فتن القوم بالشهادة والله
عزيز ذو قوة ومحال
لا يساوي الذي يقول من الأمر
قبالا وما احتذى من قبال
إن ديني دين النبي وفي القوم
رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم محكم بن طفيل
ورجال ليسوا لنا برجال
بزههم أمرهم مسيلمة اليوم
فلن يرجعوه أخرى الليالي
قلت للنفس إذ تعاطمها الصبر
وساءت مقالة الأقوال
ربما تجزع النفوس من الأمر
له فرجة كحل العقال
إن تكن ميتي على فطرة الله
حنيفا فإنني لا أبالي
الحنيف

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكما وأشرف أهل اليمامة فطلبوه ففأقنم وحق بخالد بن الوليد فأخبره بحال أهل اليمامة
ودله على عوراتهم وقالوا إن رجلا من بني حنيفة كان أسلم وأقام عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فحسن إسلامه فأرسله

رسوله الله {صلى الله عليه وسلم} إلى مسيلمة ليقدم به عليه وقال الحنفي إن أجاب أحدا من الناس أجابني
وعسى أن يجيبه الله فخرج حتى أتاه فقال إن محمدا قد أحب أن تقدم عليه فإنك لو جئت لم يفارقك إلا عن
رضى ورفق به وجعل يأتيه خاليا فيلقى هذا القول إليه فلما أكثر عليه قال انظر في ذلك فشاور الرجال بن

عنفوة وأصحابه فقالوا لا تفعل إن قدمت عليه قتلك ألم تسمع كلامه وما قال فأبى مسيلمة أن يقدم معه على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبعث معه رجلين ممن يصدق به ليكلماه ويخبراه بما قال الحنفي فخرج الرسولان حتى قدما على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع رسوله فتشهد أحدهما برسول الله وحده ثم كلمه بما بدا له فلما قضي كلامه تشهد الآخر فذكر رسول الله وذكر مسيلمة فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كذبت خذوا هذا فاقتلوه فثار المسلمون إليه يلببونه وأخذ صاحبه بحجزه وجعل يقول يا رسول الله اعف عنه بأبي أنت وأمي فيجاذبه إياه المسلمون فلما أرسلوه تشهد بذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحده وأسلم هو وصاحبه فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرجا فقدم علي أهليهما باليمامة وقد فتن الذي أمسك بحجزه صاحبه ذلك فقتل مع مسيلمة وثبت المسك بحجزته وكان بعد يخبر خالد بن الوليد بعورة بني حنيفة وأخبر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رسوله إلى مسيلمة كيف رفق به حتى أراد أن يقدم لولا أن الرجال نماء فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقتله الله ويقتل الرجال معه ففعل الله ذلك بهما وأنجز وعده فيهما واستضاف مسيلمة إلى ضلاله في دين الله وتكذبه على الله ضلالة سجاح وكانت امرأة من بني تميم أجمع قومها أنها نبية فادعت الوحي واتخذت مؤذنا وحاجبا ومنبرا فكانت العشيرة إذا اجتمعت تقول الملك في أقرنا من سجاح وفيها يقول عطار بن حاجب بن زرارة

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها

وأصبحت أنبياء الناس ذكرا

البيط

ثم إن سجاح رحلت تريد حرب مسيلمة وأخرجت معها من قومها من

تابعها على قولها وهم يرون أن سجاح أولى بالنبوة من مسيلمة فلما قدمت عليه خلا بها وقال لها تعالي نتدارس النبوة أينا أحق فقالت سجاح قد أنصفت وفي الخبر بعد هذا من قوله ما يحق الإعراض عن ذكره وقد قيل أن سجاح إنما توجهت إلى مسيلمة مستجيبة به لما وطىء خالد العرب ورأت أنه لا أحد أعز لها منه وقد كانت أمرت مؤذنها شبت بن ربيعي أن يؤذن بنبوة مسيلمة فكان يفعل فلما قدمت على مسيلمة قالت اخترتك على من سواك ونوهت باسمك حتى إن مؤذني ليؤذن بنبوتك فخلا بها ليتدارسا النبوة ولما قتل مسيلمة أخذ خالد بن الوليد سجاح فأسلمت ورجعت إلى ما كانت عليه ولحقت بقومها وعظمت فتنة بني حنيفة بكذابهم هذا حتى كان يدعو لمريضهم ويبرك على مولودهم ولا ينهاهم عن اغترارهم به ما يشاهدون من قلة غنائه عنهم جاءه قوم بمولود فمسح رأسه فقرع فقرع كل مولود له وجاءه آخر فقال يا أبا ثمامة إني ذو مال وليس لي مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود وهو ابن عشر سنين ولي مولود ولد أمس فأحب أن تبارك فيه وتدعو أن يطيل الله عمره فقال سأطلب لك الذي طلبت فجعل عمر المولود أربعين سنة فرجع الرجل إلى منزله مسرورا فوجد الأكبر قد تردى في بئر ووجد الصغير ينزع في الموت فلم يمس من ذلك اليوم حتى ماتا جميعا تقول أمهما فلا والله ما لأبي ثمامة عند إلهه مثل منزلة محمد {صلى الله عليه وسلم}

قالوا وحفرت بنو حنيفة بثرا فأعذبوها نتاحا فجاؤوا إلى مسيلمة فطلبوا إليه أن يأتيها وأن يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت أجاجا

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد عاهد خالدا إذا فرغ من أسد وغطفان والضاحية أن يقصد اليمامة وأكد عليه في ذلك فلما أظفر الله خالدا بأولئك تسلل بعضهم إلى المدينة يسألون أبا بكر أن يبايعهم على الإسلام ويؤمنهم فقال لهم بيعني إياكم وأماي لكم أن تلحقوا بخالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فمن كتب إلى خالد بأنه حضر معه اليمامة فهو آمن فليبلغ شاهدكم غائبكم ولا تقدموا علي اجعلوا وجوهكم إلى خالد قال أبو بكر بن أبي الجهم أولئك الذين لحقوا خالد بن الوليد من الضاحية هم الذين كانوا انهزموا بالمسلمين يوم اليمامة ثلاث مرات وكانوا على المسلمين بلاء

وقال شريك الفزاري كنت ممن حضر بزاحة مع عيينة بن حصن فرزق الله الإنابة فجتت أبا بكر فأمرني بالمسير إلى خالد وكتب معي إليه

أما بعد فقد جاءني كتابك مع رسولك تذكر ما أظفرك الله بأهل بزاحة وما فعلت بأسد وغطفان وإنك سائر إلى اليمامة وذلك عهدي إليك فاتق الله وحده لا شريك له وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين كن لهم كالوالد وإياك يا خالد بن الوليد ونخوة بني المغيرة فإني قد عصيت فيك من لم أعصه في شيء قط فانظر بني حنيفة إذا لقيتهم إن شاء الله فإنك لم تلق قوما يشبهون بني حنيفة كلهم عليك ولهم بلاد واسعة فإذا قدمت فباشر الأمر بنفسك واجعل على ميمنتك رجلا وعلى ميسرتك رجلا واجعل على خيلك رجلا واستشر من معك من الأكابر من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من المهاجرين والأنصار واعرف لهم فضلهم فإذا لقيت القوم وهم على صفوفهم فالتهم إن شاء الله وقد أعددت للأمور أقرانها فالسهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف فإذا صرت إلى السيف فهو الشكل فإن أظفرك الله بهم فإياك والإبقاء عليهم أجهز على جريحتهم واطلب مدبرهم واحمل أسيرهم على السيف وهول فيهما القتل واحرقهم بالنار وإياك أن تخالف أمري والسلام عليك فلما انتهى الكتاب إلى خالد اقتراه وقال سمع وطاعة

ولما اتصل بأهل اليمامة مسير خالد إليهم بعد الذي صنع الله له في أمثالهم حيرهم ذلك وجزع له محكم بن

الطفيل سيدهم وهم أن يرجع إلى الإسلام فبات يتلوى على فراشه وهو يقول

أرى الركبان تخبر ما كرهنا

أكل الركب يكذب ما يقول

ألا لا ليس كلهم كذوبا

وقد كذبوا وكذبهم قليل

وقد صدقوا لهم منا ومنهم

لنا إن حاربوا يوم طويل

فقل لابن الوليد وللمنايا

على السراء والضراء دليل

أقطع بيننا جبلا وصال

فليس إليهما أبدا سبيل
وما في الحرب أعظم من جريح
وعان خر بينهما قتيل
الوافر

فلما سمع القوم كلامه عرفوا أنه ثابت على ضلالتهم وفرح بذلك منه مسيلمة وكان محكم سيد أهل اليمامة
وكان صديقا لزياد بن لييد بن بياضة من الأنصار فقال له خالد في بعض الطريق لو ألقىت إلى محكم شيئا
تكسره به فإنه سيد أهل اليمامة وطاعة القوم له فيبعث إليه مع راكب ويقال بل بعث بها إليه حسان بن ثابت
من المدينة

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم
لله در أبيكم حية الوادي
يا محكم بن طفيل إنكم نفر
كالشاء أسلمها الراعي لآساد
ما في مسيلمة الكذاب من عوض
من دار قوم وإخوان وأولاد
فاكفف حنيفة عنه قبل نائحة
تنعي فوارس شاخ شجوها بادي
لا تأمنوا خالدا بالبرد معتجرا
تحت العجاجة مثل الأغضف العاد
ويل اليمامة ويلا لا فراق له
إن جالت الخيل فيها بالقنا الصاد
والله لا تشني عنكم أعنتها
حتى تكونوا كأهل الحجر أو عاد
البيسط

ووردت على محكم وقيل له هذا خالد بن الوليد في المسلمين فقال رضي خالد أمر ورضينا غيره وما ينكر خالد
أن يكون في بني حنيفة من قد أشرك في الأمر فسيرى خالد إن قدم علينا يلق قوما ليسوا كمن لقي ثم خطب
أهل اليمامة فقال يا معشر أهل اليمامة إنكم تلقون قوما يبذلون أنفسهم دون صاحبهم فابذلوا أنفسكم دون
صاحبكم فإن أسدا وغطفان إنما أشار إليهم خالد بذياب السيف فكانوا كالنعام الشارد وقد أظهر خالد بن
الوليد بأوا حيث أوقع ببزاحة ما أوقع وقال هل حنيفة إلا كمن لقينا

وكان عمير بن ضابئ الشكري في أصحاب خالد وكان من سادات اليمامة ولم يكن من أهل حجر كان من
أهل ملهم وهي لبني يشكر فقال له خالد تقدم إلى قومك فاكسرهم فأتاهم ولم يكونوا علموا بإسلامه وكان
مجهدا فارسا سيدا فقال يا معشر أهل اليمامة أظلكم خالد في المهاجرين والأنصار تركت القوم يتتابعون إلى فتح

اليمامة قد قضوا وطراً من أسد وغطفان وعليها وهوازن وأنتم في أكفهم وقولهم لا قوة إلا بالله إني رأيت أقواما
إن غلبتموهم بالصبر غلبوكم بالنصر وإن غلبتموهم على الحياة غلبوكم على الموت وإن غلبتموهم بالعدد
غلبوكم بالمدد لستم والقوم سواء الإسلام مقبل والشرك مدبر وصاحبهم نبي وصاحبكم كذاب ومعهم السرور
ومعكم الغرور فالآن والسيف في غمده والنبل في جفيره قبل أن يسلس السيف ويرمي بالسهم سرت إليكم مع
القوم عشرا

فكذبوه واتهموه فرجع عنهم وقام ثمامة بن إثال الحنفي في بني حنيفة فقال
اسمعوا مني وأطيعوا أمري ترشدوا إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد وإن محمدا {صلى الله عليه وسلم} لا نبي بعده
ولا نبي مرسل معه ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب شديد

العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (١٣ غافر هذا كلام الله عز وجل أين هذا من يا ضفدع نقي كم
تنقين لا الشرب تمنعين ولا الماء تكدرين والله إنكم لترون أن هذا الكلام ما يخرج من إل وقد استحق محمد
{صلى الله عليه وسلم} أمرا أذكره به مر بي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنا على دين قومي فأردت
قتله فحال بيني وبينه عمير وكان موقفا فأهدر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} دمي ثم خرجت معتمرا فبيننا
أنا أسير قد أظلمت علي المدينة أخذتني رسله في غير عهد ولا ذمة فعفا عن دمي وأسلمت فأذن لي في الخروج
إلى بيت الله وقلت يا رسول الله إن بني قشير قتلوا أثالا في الجاهلية فأذن لي أغزهم فغزوتهم وبعثت إليه بالخمسة
فتوفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم لا تأخذه في الله
لومة لائم ثم بعث إليكم رجلا لا يسمى باسمه ولا اسم أبيه يقال له سيف الله معه سيوف لله كثيرة فانظروا في
أمركم

فآذاه القوم جميعا أو من آذاه منهم فقال ثمامة

مسيلمة ارجع ولا تمحك

فإنك في الأمر لم تشرك

كذبت على الله في وحيه

فكان هواك هو الأونك

ومناك قومك أن يمنعوك

وإن يأتهم خالد تترك

فما لك من مصعد في السماء

ولا لك في الأرض من مسلك

المتقارب

ذكر تقديم خالد بن الوليد الطلائع أمامه من البطاح

قالوا ولما سار خالد بن الوليد من البطاح ووقع في أرض بني تميم قدم أمامه فارس مائتي عليهم معن بن عدي العجلاني وبعث معه فرات بن حيان العجلي دليلاً وقدم عينين له أمامه مكنف بن زيد الخيل الطائي وأخاه

وذكر الواقدي أن خالد لما نزل العرض قدم مائتي فارس وقال من أصبتم من الناس فخذوه فانطلقوا حتى أخذوا جماعة بن مرارة الحنفي في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه قد خرجوا في طلب رجل من بني نمير أصاب فيهم دماً فخرجوا وهم لا يشعرون بمقبل خالد فسألوهم ممن أنتم قالوا من بني حنيفة فظن المسلمون أنهم رسل من مسيلمة إلى خالد فلما أصبحوا وتلاحق الناس جاءوا بهم إلى خالد فلما رآهم ظن أيضاً أنهم رسل من مسيلمة فقال ما تقولون يا بني حنيفة في صاحبكم فشهدوا أنه رسول الله فقال لجماعة ما تقول أنت فقال والله ما خرجت إلا في طلب رجل من بني نمير أصاب فينا دماً وما كنت أقرب مسيلمة ولقد قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأسلمت وما غيرت ولا بدلت فقدم القوم فضرب أعناقهم على دم واحد حتى إذا بقي سارية بن مسيلمة بن عامر قال يا خالد إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً أو شرافاً فاستبق هذا يعني جماعة فإنه لك عون على حربك وسلمك

وكان جماعة شريفاً فلم يقتله وأعجب بسارية وكلامه فتركه أيضاً وأمر بهما فأوثقا في جوامع حديد وكان يدعو جماعة وهو كذلك فيتحدث معه وجماعة يظن أن خالدًا يقتله فيبينما هما يتحدثان قال له يا ابن المغيرة إن لي إسلاماً والله ما كفرت ولقد قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فخرجت

من عنده مسلماً وما خرجت لقتال وأعاد ذكر خروجه في طلب النميمي فقال خالد إن بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في حربنا ما هو قاض ودفعه إلى أم ميمم امرأته التي تزوجها لما قتل زوجها مالك بن نويرة وأمرها أن تحسن إيساره فظن جماعة أن خالدًا يريد حبسه لأن يشير عليه ويخبره عن عدوه فقال يا خالد إنه من خاف يومك خاف غدك ومن رجاك رجاها ولقد خفتك ورجوتك ولقد علمت أني قدمت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبايعته على الإسلام ثم رجعت إلى قومي وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس فإن يكن كذاب خرج فينا فإن الله يقول لا تزر وازرة وزر أخرى ١٨ فاطر وقد عجلت في قتل أصحابي قبل الثاني بهم والخطأ مع العجلة فقال خالد يا جماعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة وقد بلغك مسيري إقراراً له ورضي بما جاء به فهلا أبليت عذراً فتكلمت فيمن تكلم فقد تكلم ثمامة بن إثال فرد وأنكر وقد تكلم اليشكري فإن قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلى تريدي لقائي أو كتبت إلى كتابا أو بعثت إلى رسولا وأنت تعلم أني قد وقعت بأهل بزاخة وزحفت بالجيش إليك فقال جماعة إن رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله فعلت فقال خالد قد عفوت عن دمك ولكن في نفسي من تركك حوجاً بعد فقال جماعة أما إذا عفوت عن دمي فلا أبالي

وكان خالد كلما نزل منزلاً واستقر به دعا جماعة فأكل معه وحدثه فقال له ذات يوم أخبرني عن صاحبك يعني مسيلمة ما الذي يقرأ عليكم هل تحفظ منه شيئاً قال نعم فذكر له شيئاً من رجزه قال خالد وضرب بإحدى يديه على الأخرى يا معشر المسلمين اسمعوا إلى عدو الله كيف يعارض القرآن ثم قال ويحك يا جماعة أراك رجلاً سيداً عاقلاً اسمع إلى كتاب الله عز وجل ثم انظر كيف عارضه عدو الله فقرأ عليه خالد سبح اسم ربك الأعلى

فقال جماعة أما أن رجلا من أهل البحرين كان يكتب أدناه مسيلمة وقربه حتى لم يكن يعد له في القرب عنده أحد فكان يخرج إلينا فيقول يا أهل اليمامة صاحبكم والله كذاب وما أظنكم تتهموني عليه إنكم لترون منزلي عنده وحالي هو والله يكذبكم

ويأتىكم بالباطل قال خالد فما فعل ذلك البحراني قال هرب منه كان لا يزال يقول هذا القول حتى بلغه فخافه على نفسه فهرب فلحق بالبحرين قال خالد فما كان في هذا ناه ولا زاجر ثم قال هات زدنا من كذب الخبيث فقال جماعة أخرج لكم حنطة وزؤانا ورطبا وتمرانا في رجز له فقال خالد وهذا كان عندكم حقا وكنتم تصدقونه قال جماعة لو لم يكن عندنا حقا لما لقيتك غدا أكثر من عشرة آلاف سيف يضاربونك فيه حتى يموت الأعجل قال خالد إذا يكفيناهم الله ويعز دينه فإياه تقاتلون ودينه تريدون

وفي كتاب الأموي ثم مضى خالد حتى نزل منزله من اليمامة ببعض أوديتها وخرج الناس مع مسيلمة وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة لما أشرف خالد بن الوليد وأجمع أن ينزل عقرباء دفع الطلائع أمامه فرجعوا إليه فخبروه أن مسيلمة ومن معه قد خرجوا فنزلوا عقرباء فشاور خالد أصحابه أن يمضي إلى اليمامة أو ينتهي إلى عقرباء فأجمعوا له أن ينتهي إلى عقرباء فزحف خالد بالمسلمين حتى نزلوا عقرباء وضرب عسكره وقد قيل إن خالدا هو الذي سبق إلى عقرباء فضرب عسكره ثم جاء مسيلمة فضرب عسكره ويقال توافيا إليها جميعا

قالوا وكان المسلمون يسألون عن الرجال بن عنقوة فإذا الرجال على مقدمة مسيلمة فلعنوه وشتموه فلما فرغ خالد من ضرب عسكره وحنيفة تسوى صفوفها ثمض خالد إلى صفوفه فصفها وقدم رايته مع زيد بن الخطاب ودفع راية الأنصار إلى ثابت بن قيس بن شماس فتقدم بها وجعل

على يمينته أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعلى يسارته شجاع بن وهب واستعمل على الخيل البراء بن مالك ثم عزله واستعمل عليها أسامة بن زيد وأمر بسرير فوضع في فسطاطه واضطجع عليه يتحدث مع جماعة ومعه أم متمم وأشرف أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتحدث معهم وأقبلت بنو حنيفة قد سلت السيوف فلم نزل مسللة وهم يسيرون فمارا طويلا فقال خالد يا معشر المسلمين أبشروا فقد كفاكم الله عدوكم ما سلو السيوف من بعيد إلا ليرهبونا وإن هذا منهم لجبن وفشل فقال جماعة ونظر إليهم كلا والله يا أبا سليمان ولكنها الهنداوية خشو من تحطمها وهي غداة باردة فأبرزوها للشمس لأن تسخن متونها

فلما دنوا من المسلمين نادوا إنا نعتذر من سلنا سيوفنا حين سللناها والله ما سللناها ترهيبا لكم ولا جينا عنكم ولكنها كانت الهنداوية وكانت غداة باردة فخشينا تحطمها فأردنا أن تسخن متونها إلى أن نلقاكم فسترون

قال فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر الفريقان جميعا صبورا طويلا حتى كثرت القتلى والجراح في الفريقين وكان أول قتيل من المسلمين مالك بن أوس من بني زعوراء قتله محكم بن الطفيل واستلحم من المسلمين حملة القرآن حتى فنوا إلا قليلا وهزم كلا الفريقين حتى دخل المسلمون عسكر المشركين والمشركون عسكر المسلمين مرارا وإذا أجلى المسلمون عن عسكرهم فدخل المشركون أرادوا حمل جماعة فلا يستطيعون لما هو فيه من الحديد ولأنه لا تزال تناوشهم خيل المسلمين فإذا رجع المسلمون وثبوا على جماعة ليقتلوه وقالوا اقتلوا عدو الله فإن رأسهم وأنهم إن دخلوا عليه أخرجوه فإذا أشهروا عليه سيوفهم ليقتلوه حنت عليه أم متمم امرأة خالد وردتهم عنه

وقالت إني له جار حتى أجارته منهم وكان جماعة أيضا قد أجارها من المشركين مرارا أن يقتلوهما على هذا الوجه وقد كان جماعة قال لها لما دفعه إليها خالد لتحسن إيساره يا أم متمم هل لك أن أحالفك إن غلب أصحابي كنت لك جارا وأنت كذلك فقالت نعم فتحالفا على ذلك

وقال عكرمة حملت حنيفة أول مرة كانت لها الحملة وخالد على سريريه حتى خلص إليه فجرد سيفه وجعل يسوق حنيفة سوقا حتى ردهم وقتل منهم قتلى كثيرة ثم كرت حنيفة حتى انتهوا إلى فسطاط خالد فجعلوا يضربون الفسطاط بالسيوف

قال الواقدي وبلغنا أن رجلا منهم لما دخلوا الفسطاط أراد قتل أم متمم ورفع السيف عليها فاستجارت بجماعة فألقى عليها رداءه وقال إني جار لها فنعمت الحرة كانت وعيرهم وسبهم وقال تركتم الرجال وجئتم إلى امرأة تقتلونها عليكم بالرجال فانصرفوا وجعل ثابت بن قيس يومئذ يقول وكانت معه راية الأنصار بنس ما عودتم أنفسكم الفرار يا معشر المسلمين

وقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرجال فجعل زيد بن الخطاب ينادي وكانت عنده راية خالد أما الرجال فلا رجال وأما الرجال فلا رجال اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن طفيل وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمه الله فلما قتل وقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون يا سالم إنا نخاف أن نؤتي من قبلك فقال بنس حامل القرآن أنا إذا إن أتيتم من قبلي

قالوا ونادت الأنصار ثابت بن قيس وهو يحمل رايتهم الزمها فإنما ملاك القوم الراية يتقدم سالم مولى أبي حذيفة فحفر لرجليه حتى بلغ أنصاف ساقيه ومعه راية المهاجرين وحفر ثابت لنفسه مثل ذلك ثم لزم رايتيهما ولقد كان الناس يتفرقون في كل وجه وإن سالما وثابتا لقاتمان برايتيهما حتى قتل سالم وقتل أبو حذيفة مولاه رحمهما الله تعالى فوجد رأس أبي حذيفة عند رجلي سالم ورأس سالم عند رجلي أبي حذيفة لقرب مصرع كل واحد منهما من صاحبه فلما قتل سالم مكثت الراية ساعة لا يرفعها أحد فأقبل يزيد بن قيس وكان بدريا فحملها حتى قتل رحمه الله ثم حملها الحكم بن سعيد بن العاص فقاتل دونها نهارا طويلا ثم قتل رحمه الله

قال وحشي اقتتلنا قتالا شديدا فهزموا المسلمين ثلاث مرات وكر المسلمون في الرابعة وتاب الله عليهم وثبت أقدامهم وصبروا لوقع السيوف واختلفت بينهم وبين بني حنيفة السيوف حتى رأيت شهب النار تخرج من خلالها حتى سمعت لها أصواتا كالأجراس وأنزل الله تعالى علينا نصره وهزم الله بني حنيفة وقتل الله مسيلمة قال ولقد ضربت بسيفي يومئذ حتى غرى قائمه في كفي من دمائهم

وقال ابن عمر لقد رأيت عمارا على صخرة قد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلي وأنا أنظر إلى أذنه تذبذب وقد قطعت وقال سعد القرظ لقد رأيته يومئذ يقاتل قتال عشرة

وقال شريك الفزاري لما التقينا والقوم صبر الفريقان صبرا لم أر مثله قط ما تزول الأقدام فترى واختلفت السيوف بينهم وجعل يقبل أهل السوابق والنيات فيتقدمون فيقتلون حتى فنوا وذلقت فينا سيوفهم طويلا

فأهزمنا

فلقد أحصيت لنا ثلاث أهزيمات وما أحصيت لحنيفة إلا أهزامة واحدة التي ألجأناهم فيها إلى الحديقة يعني

حديقة الموت

وقال رافع بن خديج شهدنا اليمامة فكنا تسعين من النبيت فلاقينا عدوا صبورا لوقع السلاح وجماعة الناس أربعة آلاف وحنيفة مثل ذلك أو نحوه فلما التقينا أذن الله للسيوف فينا وفيهم فجعلت السيوف تختلي هام الرجال وأكفهم وجراحا لم أر جراحا قط أبعد غورا منها فينا وفيهم إني لأنظر إلى عباد بن بشر قد ضرب بسيفه حتى انحنى كأنه منجل فيقيم على ركبته فيعرض له رجل من بني حنيفة فلما اختلفا ضربات ضربة عباد بن بشر على العاتق مستمكنا فوالله لرأيت سحره باديا ومضى عنه عباد ومررت بالحنفي وبه رمق فأجهزت عليه وأنظر بعد إلى عباد وقد اختلفت السيوف عليه وهو يبضع بها ويبعج بطنه فوقع وما أعلم به مصحا وكانوا حنقوا عليه لأنه أكثر القتل فيهم قال وحرصت على قتلته فناديت أصحابنا من النبيت فقمنا عليه وقتلنا قتلته فرأيتهم حوله مقتلين فقلت بعدا لكم

وقال ضمرة سعيد بن المازني وذكر ردة بني حنيفة لم يلق المسلمون عدوا أشد لهم نكاية منهم لقوهم بالموت الناقع وبالسيوف قد أصلتوها قبل النبل وقبل الرماح وقد صبر المسلمون لهم فكان المعول يومئذ على أهل السوابق ونادى عباد بن بشر يومئذ وهو يضرب بالسيوف قد قطع من الجراح وما هو إلا كالتمر الجرف فيلقى رجلا من بني حنيفة كأنه حمل صئول فقال هلم يا أبا الخزرج أتحسب قتالنا مثل من لاقيت فيعمد له عباد ويبدره الحنفي ويضربه ضربة بالسيوف فانكسر سيفه ولم يصنع شيئا وضربه عباد فقطع رجله وجاوزه وتركه ينو على ركبته فناده يا ابن الأكارم اجهز على فكر عليه عباد فضرب عنقه ثم قام آخر في ذلك المقام فاختلعا ضربات وتجاولا

وعباد على ذلك كثير الجراح فضربه عباد ضربة أبدى سحره وقال خذها وأنا ابن وقش ثم جاوزه يفري في بني حنيفة ضربا فريا فكان يقال قتل عباد يومئذ من بني حنيفة بالسيوف أكثر من عشرين رجلا وأكثر فيهم الجراح قال ضمرة فحدثني رجل من بني حنيفة قديم قال إن حنيفة لتذكر عباد ابن بشر فإذا رأته الجراح بالرجل منهم تقول هذا ضرب مجرب القوم عباد ابن بشر

وفي بعض الروايات عن حديث رافع بن خديج قال خرجنا من المدينة ونحن أربعة آلاف وأصحابنا من الأنصار ما بين خمسمائة إلى أربعمائة وعلى الأنصار ثابت بن قيس ويحمل رايتنا أبو لبابة فانتبهنا إلى اليمامة فننتهي إلى قوم هم الذين قال الله تعالى استدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون ١٦ الفتح فلما صففنا صفوفنا ووضعنا الرايات مواضعها لم يلبثوا أن حملوا علينا فهزمونا مرارا فنعود إلى مصافنا وفيها خلل وذلك أن صفوفنا كانت مختلطة فيها حشو كثير من الأعراب في خلال صفوفنا فينهزم أولئك الناس فيستخفون أهل البصائر والنيات حتى كثر ذلك منهم ثم إن الله بمنه وفضله رزقنا عليهم الظفر وذلك أن ثابت بن قيس نادى خالد بن الوليد أخلصنا فقال ذلك إليك فناد في أصحابك قال فاخذ الراية ونادى يا للأنصار فتسللت إليه رجلا رجلا فنادى خالد للمهاجرين فأحدقوا به ونادى عدي بن حاتم ومكنف بن زيد الخليل الطائي بطيء فنابت إليهما طيء وكانوا أهل بلاء حسن وعزلت الأعراب عنا ناحية فقاموا من ورائنا غلوة أو أكثر وإنما كنا

نؤتي من الأعراب

قال رافع فانتبهنا إلى جمعهم فصبروا وصبرنا صبرا لم ير مثله قط لم تزل الأقدام فذكرت بيتي قيس بن الخطيم
إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا
صدود الحدود وازرار المناكب
صدود الحدود والقنا متشاجر
ولا تبرح الأقدام عند التضارب
الطويل

قال وأجهضهم أهل السوابق والبصائر فهم في نخورهم ما يجد أحد مدخلا إلا أن يقتل رجل منهم أو يخرج فيقع
فيخلف مقامه آخر حتى أوجعنا فيهم وبان خلل صفوفهم وضجوا من السيف ثم اقتنحنا الحديدية فصاربوا فيها
وعلقنا الحديدية وأقمنا على باهما رجلا لثلا يهرب منهم أحد فلما رأوا ذلك عرفوا أنه الموت فجدوا في القتال
ودكت السيوف بيننا وبينهم ما فيها رمي بسهم ولا حجر ولا طعن برمح حتى قتلنا عدو الله مسيلمة فليل
لرافع يا أبا عبد الله أي القتلى كان أكثر قتلاكم أو قتلاهم قال قتلاهم أكثر من قتالنا وأخبت أحسبنا قتلنا
منهم ضعف ما قتلوا منا مرتين فقد قتل من الأنصار يومئذ زيادة على التسعين وجرح منهم مائتان ولقد لقينا
بني سليم بالجواء وأنهم نجروحون فأبلوا بلاء حسنا

وكان أبو خيشمة النجاري يقول لما انكشف المسلمون يوم اليمامة تنحيت ناحية وكأني أنظر إلى أبي دجاجة يومئذ
ما يولي ظهره منهزما وما هو إلا في نخور القوم حتى قتل رحمه الله وكان يختال في مشيته عند الحرب سحجية ما
يستطيع غير ذلك قال وكرت عليه طائفة من بني حنيفة فما زال يضرب بالسيف أمامه وعن يمينه وعن شماله
فحمل على رجل فصرعه وما ينيس بكلمة حتى انفرجوا عنه ونكصوا على أعقابهم والمسلمون مولون وقد
ابيض

ما بينهم وبينه فما ترى إلا المهاجرين والأنصار لا والله ما أرى أحدا يخالطهم فقاموا ناحية وتلاحق الناس فدفعوا
حنيفة دفعة واحدة فانتبهنا بهم إلى الحديدية فأقحمناهم إياها

قال أبو دجاجة ألقوني على الترسه حتى أشغلهم فكانوا قد أخلقوا الحديدية فأخذه فألقيه على الترسه حتى وقع
في الحديدية وهو يقول لا ينجيكم منا الفرار فصاربهم حتى فتحها ودخلنا عليه مقتولا رحمه الله
وقد روى أن البراء بن مالك هو المرمي به في الحديدية والأول أثبت

وقال ثابت بن قيس يومئذ يا معشر الأنصار الله الله ودينكم علمنا هؤلاء أمرا ما كنا نحسنه ثم أقبل على
المسلمين فقال أف لكم ولم تعملون ثم قال خلوا بيننا وبينهم أخلصونا فأخلصت الأنصار فلم يكن لهم ناهية
حتى انتهوا إلى محكم بن الطفيل فقتلوه ثم انتهوا إلى الحديدية فدخلوها فقاتلوا أشد القتال حتى اختلطوا فيها فما
يعرف بعضهم بعضا إلا بالشعار وشعارهم أمت أمت ثم صاح ثابت صيحة يستجلب بها المسلمين يا أصحاب
سورة البقرة يقول رجل من طيء والله ما معي منها آية وإنما يريد ثابت يا أهل القرآن
وقال واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ لما زحف المسلمون انكشفوا أقيح الانكشاف حتى ظن ظانهم أن لا تكون
لهم فنة في ذلك اليوم والناس أوزاع قد هدا حسهم وأشرت حنيفة وأظهروا البغي وأوفي عباد بن بشر على

نشز من الأرض ثم صاح بأعلى صوته أنا عباد بن بشر يا للأنصار يا للأنصار ألا إلي ألا إلي فأقبلوا إليه جميعا وأجابوه ليك ليك حتى توافوا عنده فقال فداكم أبي وأمي حطموا جفون السيوف ثم حطم جفن سيفه فألقاه وحطمت الأنصار جفون سيوفهم ثم قال حملة صادقة اتبعوني فخرج أمامهم حتى ساقوا حنيفة منهزمين حتى انتهوا بهم إلى الحديقة فأغلق عليهم فأوفى عباد بن بشر يشرف على الحديقة وهم فيها فقال للرماة ارموا فرموا أهل الحديقة بالنبل حتى أجنثوهم أن اجتمعوا في ناحية منها لا يطلع النبل عليهم ثم إن الله فتح الحديقة فافتحم عليهم المسلمون فضاربوهم ساعة ثم أغلق عباد باب الحديقة لما كل أصحابه وكره أن تفر حنيفة وجعل يقول اللهم إني أبرأ إليك مما جاءت به حنيفة قال واقد بن عمرو فحدثني من رأى عباد بن بشر ألقى درعه على باب الحديقة ثم دخل بالسيف صلنا يجالدهم حتى قتل رحمه الله

وقال أبو سعيد الخدري سمعت عباد بن بشر يقول حين فرغنا من بزاحة يا أبا سعيد رأيت الليلة كأن السماء فرجت ثم أطبقت علي فهي إن شاء الله الشهادة قال قلت خيرا والله قال أبو سعيد فانظر إليه يوم اليمامة وإنه ليصبح بالأنصار ويقول أخلصونا فأخلصوا أربعمائة رجل لا يخلطهم أحد يقدمهم البراء بن مالك وأبو دجانة سماك بن خرشة وعباد بن بشر حتى انتهوا إلى باب الحديقة

قال أبو سعيد فرأيت بوجه عباد يعني بعد قتله ضربا كثيرا وما عرفته إلا بعلامة كانت في جسده وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما انصرف إليه أسامة بن زيد من بعثه إلى الشام بعثه في اربعمائة مددا لخالد بن الوليد فأدرك خالد قبل أن يدخل اليمامة بثلاث فاستعمله خالد على الخيل مكان البراء بن مالك وأمر البراء أن يقاتل راجلا فافتحم عن فرسه وكان راجلا لا رجلة به فلما انكشف الناس يوم اليمامة وانكشف أسامة بأصحاب الخيل صاح المسلمون يا

خالد ول البراء بن مالك فعزل أسامه ورد الخيل إلى البراء فقال له اركب في الخيل فقال البراء وهل لنا من خيل قد عزلتني وفرقت الناس عني فقال له خالد ليس حين عتاب اركب أيها الرجل في خيلك أما ترى ما لحم من الأمر فركب البراء فرسه وإن الخيل لأوزاع في كل ناحية وما هي إلا الهزيمة فجعل يليح بسيفه وينادي يا صحابة يا للأنصار يا للأنصار يا خيلاه يا خيلاه أنا البراء بن مالك فثابت إليه الخيل من كل ناحية وثابت إليه الأنصار فارسها وراجلها

قال أبو سعيد الخدري فقال لنا احملوا عليهم فداكم أبي وأمي حملة صادقة تريدون فيها الموت ثم أظهر التكبير وكبرنا معه فما كانت لنا ناهية إلا باب الحديقة وقد غلقت دوننا وازدحمنا عليهم فلم نزل حتى فتح الله وظفنا فله الحمد

وقال عبد الله بن أبي بكر بن حزم كان البراء فارسا وكان إذا حضرته الحرب أخذته رعدة وانتفض حتى يضبطه الرجال مليا ثم يفيق فيبول بولا أحمر كأنه نقاعة الحناء فلما رأى ما يصنع بالناس يومئذ من الهزيمة أخذه ما كان يأخذه فانتفض وضبطه أصحابه وجعل يقول طروني إلى الأرض فلما أفاق سرى عنه وهو مثل الأسد وهو يقول

أسعديني ربي على الأنصار

كانوا يدا طرا على الكفار

في كل يوم ساطع الغبار

فاستبدلوا النجاة بالفرار

الرجز

قال وضرب بسيفه قدما حتى أفرجوا له وخاض غمرتهم وثابت إليه الأنصار كأنها النحل تأوي إلى يعسوبها

وتلاومت الأنصار فيما صنعت

وحدث عن خالد بن الوليد من سمعه يقول شهدت عشرين زحفا فلم أر قوما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداما من بني حنيفة يوم اليمامة أنا لما فرغنا من طليحة الكذاب ولم تكن له شوكة قلت كلمة والبلاء موكل بالقول وما حنيفة ما هي إلا كمن لقينا فلقينا قوما ليسوا يشبهون أحدا لما انتهينا إلى عسكرهم نظرت إلى قوم قد قدموا أمام عسكرهم بشرا كثيرا فقلت هذه مكيدة وإذا القوم لم يحفلوا بنا فعسكرنا منهم بمنظر العين فلما أمسيت حررت القوم بنفسي فإذا القوم نحونا فبتنا في عسكرنا وباتوا في عسكرهم فلما طلع الفجر قام القوم إلى التعبئة وثرنا معهم في غدوة باردة وصفقت صفو في وصفوا صفوفهم ثم أقبلوا إلينا يقطنون قطوا قد سلوا السيوف فكبرت ورأيت ذلك منهم فشلا فلما دنوا منا نادوا أن هذا ليس بفشل ولكنها الهندوانية وخننا التحطم عليها فما هو إلا أن واجهونا حملوا علينا حملة واحدة وانهمزت الأعراب ولاذوا بين إضعاف الصفوف فانهمز معهم أهل النيات وأوجعت حنيفة في أديارهم بالقتل وتقدمت أضرب بسيفي مرة يشتملون على ومرة أنفذ منهم وكر المسلمون كرة ثانية فحملت بنو حنيفة أيضا حتى هزموا المسلمين ثلاث مرات وإنما ينهزم بالناس الأعراب فنادت في المسلمين فذكرتهم الله وناديت في المهاجرين والأنصار الله الله الكرة على عدوكم فنادى أهل السوابق أخلصونا فأخلصوا لا يخلطهم رجل فأخلص قوم قد ألع السيوف عليهم وقتل من قتل منهم ومن بقي من أهل النيات منقطع من الجراح ولكننا لم نجد المعول إلا عليهم ولا الصبر إلا عندهم فصفوا جميعا في نحر العدو وجاءت الأعراب من خلفهم وذهبت حنيفة تطلب أن تهزمهم كما كانت تفعل فثبتوا على مصافهم لا تزول فترا واختلفت السيوف بينهم وصبر الفريقان جميعا وذهب الأعراب من ورائنا فحملنا عليهم حملة فما زادت حنيفة على أن رجعت القهقري ما تولى الأديار حتى وقفوا على باب الحديقة واختلفت السيوف بيننا وبينهم حتى نظرت إلى شهب النار

وحتى صارت القتلى منا ومنهم ركاما وقد أغلقت الحديقة فدخل

من رحمه الله فشغلهم عن الباب حتى دخلنا فإذا أهل السوابق قد وطئوا أنفسهم على الموت فما هو إلا أن عاينتهم حنيفة في الحديقة فنادت أصحابي عضوا على النواجذ لا أسمع شيئا إلا وقع الحديد بعضه على بعض فما كان شيء حتى قتل عدو الله فما ضرب أحد بعده من بني حنيفة بسيف ولقد صبروا لنا من حين طلعت الشمس إلى صلاة العصر ولقد رأيتني في الحديقة وعانقني رجل منهم وأنا فارس وهو فارس فوقنا عن فرسينا ثم تعانقنا بالأرض فأجؤه بخنجر في سيفي وجعل يجزني بمعول في سيفه فجرحني سبع جراحات وقد جرحته جرحا أثبتته فاسترخى في يدي وما بي من حركة من الجراح وقد نزت من الدم إلا أنه سبقني بالأجل فالحمد لله على ذلك

وحدث ضمرة بن سعيد أنه خلص يومئذ إلي معكم بن طفيل وهو يقول يا بني حنيفة قاتلوا قبل أن تستحقب

الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات وما كان عندكم من حسب فأخرجوه فقد لحم الأمر واحتيج إلى ذلك منكم وجعل يقول يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة سأمنع دابركم وجعل يرتجز

لبئسما أوردنا مسيلمة

أورثنا من بعده أغيلمة

الرجز

فدخلوا الحديقة وغلغوها عليهم ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر محكما بسهم فقتله فقام مكانه المعترض بن عمه فقاتل ساعة حتى قتله الله

وفي غير حديث ضمرة أن خالد بن الوليد هو الذي قتل محكما

حدث الحارث بن الفضل قال لما رأى محكم بن طفيل من قتل قومه ما رأى جعل يصيح ادن يا أبا سليمان فقد جاءك الموت الناقع قد جاءك قوم لا يحسنون الفرار فبلغت خالدا كلمته وهو في مؤخر الناس فأقبل يقول هأنذا أبو سليمان وكشف المغفر عن وجهه ثم حمل على ناحية محكم يخوض بني

حنيفة فاقتحم عليه خالد فيضربه ضربة أرعش منها ثم ثنى له بأخرى وهو يقول خذها وأنا أبو سليمان فوق ميتا وكان عبد الرحمن بن أبي بكر قد رماه بسهم قبل ذلك ومنهم من يقول رماه عبد الرحمن بعد ضربة خالد ومنهم من يقول لم يكن من سهم عبد الرحمن شيء

وقاتلت حنيفة بعد قتل محكم بن طفيل أشد القتال وهم يقولون لا بقاء بعد محكم وقال قائل يا أبا ثمامة أين ما كنت وعدتنا قال أما الدين فلا دين ولكن قاتلوا عن أحسابكم فاستيقن القوم أنهم كانوا على غير شيء وقال وحشي لما اختلط الناس في الحديقة وأخذت السيوف بعضها بعضا نظرت إلى مسيلمة وما أعرفه ورجل من الأنصار يريدني وأنا من ناحية أخرى أريده فهزرت من حربتي حتى رضيت منها ثم دفعته عليه وضربه الأنصاري فربك أعلم أينما قتله إلا أنني سمعت امرأة فوق الدبر تقول قتله العبد الحبشي

وقال أبو الحويرث ما رأيت أحدا يشك أن عبد الله بن زيد الأنصاري ضرب مسيلمة وزرقه وحشي فقتلاه جميعا

وذكر عمرو بن يحيى المازني عن عبد الله بن زيد أنه كان يقول أنا قتله

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول أنا قتله

وكانت أم عبد الله بن زيد وهي أم عمارة نسيبة بنت كعب تقول إن ابنها عبد الله هو الذي قتله وكانت ممن شهد ذلك اليوم وقطعت فيه يدها وذلك أن ابنها حبيب بن زيد كان مع عمرو بن العاص بعمان عندما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلما بلغ ذلك عمرا أقبل من عمان فسمع به مسيلمة فاعترض له

فسبقه عمرو وكان حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب الأسلمي في الساقة فأصابهما مسيلمة فقال لهم أتشهدان أي رسول الله فقال الأسلمي نعم فأمر به فحبس في حديد وقال لحبيب أتشهد أي رسول الله فقال لا أسمع فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فأمر به فقطع وكلما قال له أتشهد أي رسول الله قال لا أسمع فإذا قال له أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ثم حرقه بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عن ما بدأ به حتى مات في النار رحمه الله

فلما تمياً بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة جاءت أم عمارة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأستأذنته في الخروج فقال لها أبو بكر ما مثلك يحال بينه وبين الخروج قد عرفناك وعرفنا جزاءك في الحرب فاخرجي على اسم الله

قالت فيما حدث به عنها ابن ابنها عباد بن تميم بن زيد فلما انتهوا إلى اليمامة واقتتلوا تداعت الأنصار فأخلصوا فلما انتهينا إلى الحديقة ازدحمنا على الباب وأهل النجدة من عدونا في الحديقة قد انحازوا يكونون فئة لمسيلمة فافتحمتنا فصار بناهم ساعة والله يا بني ما رأيت أبذل لمهج أنفسهم منهم وجعلت أقصد لعدو الله مسيلمة لأن أراه وقد عاهدت الله لئن رأيت لا أكذب عنه أو أقتل دونه وجعلت الرجال تختلط والسيوف بينهم تختلف وخرص القوم فلا صوت إلا وقع السيوف حتى بصرت بعدو الله فأشد عليه ويعرض لي منهم رجل فضرب يدي فقطعها فوالله ما عرجت عليها حتى انتهى إلى الخبيث وهو صريع وأجد ابني عبد الله قد قتله وفي رواية وابني يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته قال نعم يا أمه فسجدت لله شكرا وقطع الله دابرهم فلما انقطعت الحرب ورجعت إلى

منزلي جائي خالد بن الوليد بطبيب من العرب فداوايني بالزيت المغلي وكان والله أشد على من القطع وكان خالد كثير التعاهد لي حسن الصحبة لنا يعرف لنا حقنا ويحفظ فينا وصية نبينا {صلى الله عليه وسلم} قال عباد فقلت يا جدة كثرت الجراح في المسلمين فقالت يا بني لقد تحاجز الناس وقتل عدو الله وإن المسلمين لجرحي كلهم لقد رأيت بني أبي مجرحين ما بهم حركة ولقد رأيت بني مالك بن النجار بضعة عشر رجلا لهم أنين يكمدون ليلتهم بالنار ولقد أقام الناس باليمامة خمس عشرة ليلة وقد وضعت الحرب أوزارها وما يصلي مع خالد بن الوليد من المهاجرين والأنصار إلا نفر يسير من الجراح وذلك أنا أتينا من قبل العرب انهزموا بالمسلمين إلا أني أعلم أن طينا قد أبلت يومئذ بلاء حسنا لقد رأيت عدي بن حاتم يومئذ يصيح بهم صبرا فداكم أبي وأمي لوقع الأسل وإن ابني زيد الخيل يومئذ ليقاتلان قتالا شديدا

وعن محمد بن يحيى بن حبارة قال جرحت أم عمارة يعني يوم اليمامة أحد عشر جرحا بين ضربة بسيف أو طعنة برمح وقطعت يدها سوى ذلك فرئي أبو بكر يأتيها يسأل عنها وهو يومئذ خليفة وقاتل كعب بن عجرة يومئذ وانهزم الناس الهزيمة الآخرة وجاوزوا الرحال منهزمين فجعل يصيح يا للأنصار يا للأنصار الله ورسوله حتى انتهى إلى محكم بن الطفيل فضربه محكم فقطع شماله فوالله ما عرج عليها كعب وأنه ليضرب يمينه وإن شماله لتهراق الدماء حتى انتهى إلى الحديقة فدخل وأقبل حاجب بن زيد بن تميم الأشهلي يصيح بالأوس يا للأشهل فقال له ثابت بن هذال ناد يا للأنصار فإنه جماع لنا ولك فنادى يا للأنصار يا للأنصار حتى اشتملت عليه حنيفة فانفجرت وتحتته منهم اثنان قد قتلتهما وقتل رحمه الله فخلفه في مقامه عمير بن أوس فاشتملوا عليه حتى قتل رحمه الله

وكان أبو قيل الأزرق حليف الأنصار بدري من أول من خرج يوم اليمامة رمى بسهم فوقع بين منكبيه وفزاده فشطب في غير مقتل فاخرج السهم ووهن شقه الأيسر وكانت فيه وهذا أول النهار وجرروه إلى الرحل فلما همي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح يا للأنصار الله الله والكرة على عدوكم وأعنت معن بن عدي يقدم القوم وذلك حين صاحت الأنصار أخلصونا فأخلصوا

رجلا رجلا يتميزون

قال أبو عمرو وهض أبو عقيل يريد قومه فقلت ما تريد يا أبا عقيل ما فيك قتال قال قد نوه المنادي باسمي فقلت إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى قال فأنا رجل من الأنصار وأنا أجيب ولو جبنوا قال ابن عمر فتحزم أبو عقيل فأخذ السيف بيده اليمنى مجردا ثم جعل ينادي يا للأنصار كرة كيوم حنين فاجتمعوا جميعا يقدمون المسلمون دريئة دون عدوهم حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلفوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض وبه أربعة عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل وقتل عدو الله مسيلمة

قال ابن عمر فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت يا أبا عقيل فقال ليبيك بلسان ملثاث ثم قال لمن الدبرة فقلت أبشر ورفعت صوتي قد قتل عدو الله فرفع إصبه إلى السماء يحمد الله ومات رحمه الله قال ابن عمر فأخبرت أبي بعد أن قدمت بخبره كله فقال رحمه الله ما زال يسأل الشهادة ويطلبها وإن كان ما علمت لمن خيار أصحاب نبينا {صلى الله عليه وسلم} وقديمي إسلامهم وذكر مجاعة بن مرارة يوما معن بن عدي وكان نازلا به ليالي قدم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع خلة كانت بينهما قبل ذلك قديمة فلما قدم في وفد

اليمامة على أبي بكر توجه أبو بكر رضي الله عنه يوما إلى قبور الشهداء زائرا لهم في نفر من أصحابه يمشون قال فخرجت معهم حتى أتوا قبور الشهداء السبعين يرحمهم الله فقلت يا خليفة رسول الله لم أر قوما قط أصبر لوقع السيوف ولا أصدق كرة منهم لقد رأيت رجلا منهم يرحمهم الله وكانت بيني وبينه خلة فقال أبو بكر رضي الله عنه معن بن عدي قلت نعم وكان عارفا بما كان بيني وبينه فقال رحمه الله ذكرت رجلا صالحا حديثك قلت يا خليفة رسول الله فأنظر إليه وأنا موثق في الحديد في فسطاط ابن الوليد وانهمز المسلمون انهزمت بهم الضاحية انهزامة ظننت أنهم لا يجتبرون لها وساءني ذلك قال أبو بكر الله لساءك ذلك قلت الله لساءني قال أبو بكر الحمد لله على ذلك قال فأنظر إلى معن بن عدي قد كر معلما في رأسه بعصاية حمراء واضعا سيفه على عاتقه وإنه ليقطر دما ينادي يا للأنصار كرة صادقة قال فكرت الأنصار عليه فكانت الواقعة التي ثبتوا عليها حتى انتحوا وأباحوا عدوهم فلقد رأيتني وأنا أطوف مع خالد بن الوليد أعرفه قتلى بني حنيفة وإني لأنظر إلى الأنصار وهم صرعى فبكى أبو بكر رضي الله عنه حتى بل لحيته

وعن أبي سعيد الخدري قال دخلت الحديقة حين جاء وقت الظهر والعصر واستحضر القتال فأمر خالد بن الوليد المؤذن فأذن على جدار الحديقة بالظهر والقوم يضطربون على القتل حتى انقطعت الحرب بعد العصر فصلى بنا خالد الظهر والعصر ثم بعث السقاة يطوفون على القتلى فطفت معهم فمررت بأبي عقيل الأنصاري البدرى وبه خمسة عشر جرحا فاستسقاني فسقيته فخرج الماء من جراحاته كلها ومات رحمه الله ومررت ببشر بن عبد الله وهو قاعد في حشوته فاستسقاني فسقيته فمات ومررت بعامر بن ثابت العجلاني وإلى جنبه رجل من بني حنيفة به جراح فسقيت عامرا فشرب وقال الحنفي اسقني

فدى لك أبي وأمي قلت لا كرامة ولكني أجهز عليك قال قد أحسنت لي مسألة ولا شيء عليك فيها أسألك عنها قلت وما هي قال أبو ثمامة ما فعل قلت قتل والله قال نبي ضيعه قومه قال أبو سعيد فضربت عنقه

وعن محمود بن لبيد قال لما قتل خالد بن الوليد من أهل اليمامة من قتل كانت لهم في المسلمين أيضا مقتلة عظيمة حتى أبيع أكثر أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقيل لا نغمد السيوف وبيننا وبينهم عين تطرف وكان فيمن بقي من المسلمين جراحات كثيرة فلما أمسى جماعة بن مرارة أرسل إلى قومه ليلا أن اليسوا السلاح النساء والذرية والعيبد ثم إذا أصبحتم فقوموا مستقبلي الشمس على حصونكم حتى يأتيكم أمري وبات خالد والمسلمون يدفنون قتلاهم فلما فرغوا رجعوا إلى منازلهم فباتوا يتكمدون بالنار من الجراح فلما أصبح خالد أمر بجماعة فسيق معه في الحديد فجعل يستبرئ القتلى وهو يريد مسيلمة فمر برجل وسيم فقال يا جماعة أهو هذا قال لا هذا والله أكرم منه هذا محكم بن الطفيل ثم قال جماعة إن الذي تبتغون رجل ضخم أشعر البطن والظهر أبجر بجرته مثل القدرح مطرق إحدى العينين ويقال هو أريجل أصيفر أخينس قال وأمر خالد بالقتلى فكشفوا حتى وجد الخبيث فوقف عليه خالد فحمد الله كثيرا وأمر به فألقى في البئر التي كان يشرب منها

قالوا ولما أمسينا أخذنا شعل السعف ثم جعلنا نحفر لقتلانا حتى دفناهم جميعا بدمائهم وثيابهم وما صلينا عليهم وتركنا قتلى بني حنيفة فلما صالحوا خالدًا طرحوهم في الآبار وكان خالد يرى أنه لم يبق من بني حنيفة أحد إلا من لا ذكر له ولا قتال

عنده فقال خالد لما وقف على مسيلمة مقتولا يا جماعة هذا صاحبكم الذي فعل بكم الأفاعيل ما رأيت عقولا أضعف من عقول أصحابك مثل هذا فعل بكم ما فعل فقال جماعة قد كان ذلك يا خالد ولا تظن أن الحرب انقطعت بينك وبين بني حنيفة وإن قتلت صاحبهم إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماعة الناس وأهل البيوتات لفي الحصون فانظر فرفع خالد بن الوليد رأسه وهو يقول قاتلك الله ما تقول قال أقول والله الحق فظفر خالد فإذا السلاح وإذا الخلق على الحصون فرأى أمرا غمه ثم تشدد ساعتئذ وأدركته الرجولية فقال لأصحابه يا خيل الله اركبي وجعل يدعو بسلاحه ويقول يا صاحب الراية قدمها قال والمسلمون كارهون لقتالهم وقد ملوا الحرب وقتل من قتل وعامة من بقي جريح فقال جماعة أيها الرجل إني لك ناصح إن السيف قد أفنك وأفنى غيرك فتعال أصالحك عن قومي وقد أحل بخالد مصاب أهل السابقة ومن كان يعرف عنده الغناء فقد رق وأحب الموادة مع عجم الكراع فاصطلحا على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع ونصف السبي ثم قال جماعة آتى القوم فأعرض عليهم ما صنعت قال فانطلق فذهب ثم رجع فأخبره أنهم قد أجازوه فلما بان لخالد أنه إنما هو السبي قال ويلك يا جماعة خدعتني في يوم مرتين قال جماعة قومي فما أصنع وما وجدت من ذلك بدا قد حضني النساء وأنشده قول امرأة من بني حنيفة

مسيلم لم يبق إلا النساء

سبايا لذي الخف والحافر

وطفل ترشحه أمه

حفير متى يدع يستأخر

فأما الرجال فأودى بهم

حوادث من دهرنا العاثر

فليت أباك مضى حيضه

وليتك لم تك في الغابر

سحبت علينا ذبول البلاء

وجئت بمن سمى قاشر

فمجاعة الخير فانظر لنا

فليس لنا اليوم من ناظر

سواك فإننا على حالة

تروعننا مرة الطائر

المتقارب

فقال مجاعة فكنت أجد من هذا بدا

وذكر أن مجاعة لما ذهب إلى قومه ليعرض عليهم الصلح انتهى إلى باب الحصن ليلا فإذا امرأة تنشد هذا الشعر فدنا منها مجاعة فقال هتم الله فاك اسكتي أنا مجاعة ثم دخل الحصن وليس فيه إلا النساء والصبيان فأمرهم بلبس السلاح وإطالة الإشراف والقيام في مصاف الرجال فقال سلمة بن عمير لأصحابه يا بني حنيفة قاتلوا ولا تصالحوا خالدا فإن الحصن حصين والطعام كثير والقوم قد أفناهم السيف ومن بقي منهم جريح ولا تطيعوا مجاعة فإنه إنما يريد أن ينفلت من إساره فقال مجاعة يا بني حنيفة أطيعوني واعصوا سلمة فإنني أخاف أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن سلمة أن تستردف النساء سبيات وينكحن غير حظيات فأطاعوا مجاعة وتم الصلح بينه وبين خالد

وقال أسيد بن حضير وأبو نائلة لخالد لما صالح يا خالد اتق الله ولا تقبل الصلح قال خالد إنه قد أفناكم السيف قال أسيد وإنه قد أفنى غيرنا أيضا قال فمن بقي منكم جريح قال وكذلك من بقي من القوم جرحى لا ندخل في الصلح أبدا اغد بنا عليهم حتى يظفرونا الله بهم أو نبيد من آخرونا احملنا على كتاب أبي بكر إن أظفرك الله ببني حنيفة فلا تبق عليهم فقد أظفرونا الله بهم وقتلنا رأسهم فمن بقي أكل شوكة فبينما هم على ذلك إذ جاء كتاب أبي بكر يقطر الدم ويقال إنهم لم يمسوا حتى قدم سلمة بن سلامة بن وقش من عند أبي بكر بكتابين في أحدهما

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإذا جاءك كتابي فانظر فإن أظفرك الله ببني حنيفة فلا تستبق منهم رجلا جرت عليه الموسيقى

فتكلمت الأنصار في ذلك وقالوا أمر أبي بكر فوق أمرك فلا تستبق

منهم أحدا فقال خالد إني والله ما صالحت القوم إلا لما رأيت من رقتكم ولما تمكنت الحرب منكم وقوم قد صالحتهم ومضى الصلح فيما بيننا وبينهم والله لو لم يعطونا شيئا ما قاتلتهم وقد أسلموا

قال أسيد بن حضير قد قتلت مالك بن نويرة وهو مسلم فسكت عنه خالد فلم يجبه قالوا وقال سلمة بن سلامة بن وقش لا تحالف كتاب إمامك يا خالد فقال خالد والله ما ابتغيت بذلك إلا الذي هو خير رأيت أهل السابقة وأهل الفضل وأهل القرآن قد قتلوا ولم يبق معي إلا قوم خشيت أن لا يكون لهم بقاء على السيف لو أُلح

عليهم فقبلت الصلح مع أنهم قد أظهروا الإسلام واتفقوا بالراح
وكان خالد قد خطب إلى جماعة ابنته وكانت أجمل أهل اليمامة فقال له جماعة مهلا إنك قاطع ظهري وظهرك
عند صاحبك إن القالة عليك كثيرة وما أقول هذا رغبة عنك فقال له خالد زوجني أيها الرجل فإنه إن كان
أمري عند صاحبي علي ما أحب فلن يفسده ما تخاف علي وإن كان علي ما أكره فليس هذا بأعظم الأمور
فقال له جماعة قد نصحتك ولعل هذا الأمر لا يكون عيبة إلا عليك ثم زوجه فلما بلغ ذلك أبا بكر رضي الله
عنه غضب وقال لعمر بن الخطاب وأبي خالد أنه لخيرص على النساء حين يصاهر عدوه وينسى مصيبتة فوقع
عمر في خالد وعظم الأمر ما استطاع فكتب أبو بكر إلى خالد مع سلمة بن سلامة
يا خالد بن أم خالد إنك لفارغ تنكح النساء وتعرس بهن وببائك دماء ألف ومائتين من المسلمين لم تجف بعد ثم
خدعك جماعة عن رأيك فصالحك على قومه وقد أمكن الله منهم في كلام غير هذا ذكره وثيمة في الردة
فلما نظر خالد في الكتاب قال هذا عمل عمر وكتب إلى أبي بكر جواب كتابه مع أبي برزة الأسلمي

أما بعد فلعمري ما تزوجت النساء حتى تم لي السرور وقرت بي الدار وما تزوجت إلا إلى امرئ لو أعملت إليه
من المدينة خاطبا لم أبل دع أبي استشرت خطبتي إليه من تحت قدمي فإن كنت كرهت لي ذلك لدين أو دنيا
اعتبتك وأما حسن عزائي على قتلى المسلمين فوالله لو كان الحزن يبقى حيا أو يرد ميتا لأبقى حزني الحى ورد
الميت ولقد أقحمت في طلب الشهادة حتى ينست من الحياة وأيقنت بالموت وأما خدعة جماعة إياي عن رأيي
فإني لم أخط رأيي يومي ولم يكن لي علم بالغيب وقد صنع الله للمسلمين خيرا أورثهم الأرض وجعل لهم عاقبة
المتقين

فلما قدم الكتاب على أبي بكر رضي الله عنه رق بعض الرقة وتم عمر على رأيه الأول في عيب خالد بما صنع
ووافقته على ذلك رهط من قريش فقام أبو برزة الأسلمي فعذر خالد وقال يا خليفة رسول الله ما يؤبى خالد
بجبن ولا خيانة ولقد أقحمت حتى أعذر وصبر حتى ظفر وما صالح القوم إلا على رضاه وما أخطأ رأيه بصلح
القوم إذ هو لا يرى النساء في الحصون إلا رجلا فقال أبو بكر صدقت لكلامك هذا أولى بعذر خالد من كتابه
إلي

وقد كان خالد لما وقع الصلح خاف من عمر أن يحمل أبا بكر رضي الله عنهما عليه فكتب إلى أبي بكر كتابا
فيه

بسم الله الرحمن الرحيم لأبي بكر خليفة رسول الله من خالد بن الوليد أما بعد فإني أقسم بالله أني لم أصالحهم حتى
قتل من كنت أقوى به وحتى عجف الكراع وهلك الخف ونهك المسلمون بالقتل والجراح حتى إني لأفعل أمورا
أرى أني فيها معزر أباشر القتال بنفسى حتى ضعف المسلمون ونهكوا حتى
إن كنت لا تنكر ثم أدخل بسيفي فرقا على المسلمين حتى جاء الله بالظفر فله الحمد

فسر أبو بكر بذلك فدخل عليه عمر وهو يقرأ الكتاب فدفعه إليه فقراه فقال إنما راقب خنوتهم وخالف أمرك
ألا ترى إلى ذكره أنه يباشر القتال بنفسه يمن عليك بذلك فقال أبو بكر لا تقل ذلك يا عمر فإنه والى صدق
ميمون النقيبة ناكى العدو وقد كان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } يقدمه ويقربه وقد ولاه فقال عمر ولاه
وخالف أمره وقبل بدخول الجاهلية حتى كان ما كان فقال أبو بكر دع هذا عنك فقال عمر سمعا وطاعة

ولما فرغ خالد من الصلح أمر بالحصون فألزمها الرجال وحلف مجاعة بالله لا يغيب عنه شيئا مما صالحه عليه ولا يعلم أحدا غيبه إلا رفعه إلى خالد ثم فتحت الحصون فأخرج سلاحا كثيرا فجمعه خالد على حدة وأخرج ما وجد فيها من دنانير ودراهم فجمعه على حدة وجمع قرايعهم وترك الخف فلم يجره ولا الرثة ثم أخرج السبي فقسمه قسمين ثم أقرع على القسمين فخرج سهمه على أحدهما وفيه مكتوب لله ثم جزأ الذي صار له من السبي على خمسة أجزاء ثم كتب على كل سهم منها لله وجزأ الكراع والحلقة هكذا ووزن الذهب والفضة فعزل الخمس وقسم على الناس أربعة الأحماس وأسهم للفارس سهمين ولصاحبه سهمًا وعزل الخمس من ذلك كله حتى قدم به على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ولما انقطعت الحرب بين خالد وبين أهل اليمامة وتحول من منزله الذي كان فيه إلى منزل آخر ينتظر كتاب أبي بكر يأمره أن ينصرف إليه بالمدينة فبينما هو على ذلك إذ أقبل سلمة بن عمير الحنفي وكان من شياطينهم فقال لمجاعة استأذن لي على الأمير فإن لي إليه حاجة فأبى مجاعة عليه وقال

ويحك يا سلمة ابق على نفسك فقد آن لكأن تبصر ما أنت فيه والله لكأني أنظر إلى خالد بن الوليد قد أمر بك فضربت عنقك فقال سلمة ما بيني وبين خالد من عتاب قد قتل قومي فلهي عنه مجاعة فجعل يطلب غرة من خالد فأقبل مع الناس الذين يدخلون عليه فلما رآه خالد التفت إلى مجاعة فقال والله إني لأعرف في وجه هذا الشر فقام إليه مجاعة وهو يخافه على الذي ظن به فإذا هو مشتمل على السيف فقال يا عدو الله لعنك الله لقد أردت أن تستأصل حنيفة والله لو قتلت ما بقي من حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل ثم لبيه بثوبه وجعل يتله حتى أدخله بيتا ثم أوثقه في الحديد وأعلق عليه فأفلت من الليل ومعه سيف فوقع في حائط من حوائط اليمامة وعلم شأنه وما أراد من ضرب خالد بالسيف وكان خالد قد أمر به أن تضرب عنقه فكلمه فيه مجاعة وقال هبه لي يا أبا سليمان فوهبه له وقال له أحسن أدبه فذلك حين حذره مجاعة فخرج بالسيف واكتنفه أهل اليمامة فلما رأى ذلك أمال السيف على حلقة فقطع أوداجه وسقط في بئر هناك فانقطع ذكره

وحدث زيد بن أسلم عن أبيه قال كان أبو بكر حين وجه خالدًا إلى اليمامة رأى في النوم كأنه أتى بتمر من تمر هجر فأكل منها تمرًا واحدة وجدها نواة على خلقه التمرة فلاكها ساعة ثم رمى بها فتأولها فقال ليلقين خالد من أهل اليمامة شدة وليفتحن الله علي يديه إن شاء الله فكان أبو بكر يستريح الخبر من اليمامة بقدر ما يجيء رسول خالد فخرج أبو بكر يوما بالعشي إلى ظهر الحرة يريد أن يبلغ صرارًا ومعه عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ونفر من المهاجرين والأنصار فلقي أبا خيشمة النجاري قد أرسله خالد فلما رآه أبو بكر قال له ما وراءك يا أبا خيشمة قال خير يا خليفة رسول الله قد فتح الله علينا اليمامة قال فسجد أبو بكر قال أبو خيشمة وهذا كتاب خالد إليك فحمد الله أبو بكر وأصحابه ثم قال أخبرني عن الواقعة كيف كانت فجعل أبو خيشمة يخبره كيف صنع خالد وكيف صف أصحابه

وكيف انهزم المسلمون ومن قتل منهم وجعل أبو بكر يسترجع ويترحم عليهم وجعل أبو خيشمة يقول يا خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتينا من قبل الأعراب انهزموا بنا وعودونا ما لم نكن نحسن حتى أظفرنا الله بعد ثم قال أبو بكر كرهت رؤيا رأيتها كراهية شديدة ووقع في نفسي أن خالدًا سيلقى منهم شدة وليت خالدًا لم يصلحهم وأنه حملهم على السيف فما بعد هؤلاء المقتولين يستبقي أهل اليمامة ولن يزالوا من كذاهم في بلية

إلى يوم القيامة إلا أن يعصمهم الله ثم قدم بعد ذلك وفد اليمامة مع خالد على أبي بكر رضي الله عنه قال الواقدي أجمع أصحابنا أن خالد بن الوليد قدم المدينة من اليمامة وقدم بوفد اليمامة سبعة عشر رجلا من بني حنيفة فيهم جماعة بن مرارة وإخوته وأن أبا بكر حبسهم فلم يدخلهم عليه فدخلوا على عمر بن الخطاب يكلمونه في أن يكلم أبا بكر أن يأذن لهم فيدخلهم أو يأذن لهم في الرجوع إلى بلادهم فوجدوه يحلب شاة على رغيف في صحفه ومعه عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وابنه زيد بن الخطاب فهما ينزوان على ظهره قالوا أو من قال منهم فانسبنا فانتسبنا فقرب تلك الصفحة وما فيها وقال أصيبوا شيئا فتحررنا فأصبنا شيئا فسألته من هذان الغلامان فقال هذان ابنا زيد بن الخطاب رحمه الله فوجئنا لأننا قتلنا زيدا فلما رأى وجومنا قال ما لكم قد سكتم هذا أمر قد ذهب حاجتكم قالوا فبسطنا فقلنا احتبسنا ولا نقدر على الدخول على أبي بكر ولا السراح إلى بلادنا فقال عمر عليكم عهد الله وكفالتة أن تناصحوا الإسلام وأهله قلنا نعم قال ارجعوا حتى تأتوا في هذه الساعة من غد فأوصلكم إلى أبي بكر فلما كان ذلك الوقت من الغد جاءوه فخرج معهم حتى أوصلهم إلى أبي بكر

وقال زيد بن أسلم عن أبيه لما دخلوا على أبي بكر الصديق قال ويحكم ما هذا الذي استنزل منكم ما استنزل وخذعكم قالوا يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا

وذكر وثيمة أن الذي كذب أبا بكر منهم رجل من بني سحيم فقال يا خليفة رسول الله كان رجلا مشتموما أصابته فتنة من حديث النفس وأماني الشيطان دعا إليها أقواما مثله فأجابوه فلم يبارك الله له ولا لقومه قال أسلم في حديثه ثم أقبل يعني أبا بكر على جماعة فقال يا جماعة أنت خرجت طليعة لمسيلمة حتى أخذك خالد أخذنا فقال يا خليفة رسول الله والله ما فعلت خرجت في طلب رجل من بني نمر قد أصاب فينا دما فهجمت علينا خيل خالد ولقد كنت قدمت على رسول الله فلما ذكر رسول الله قال أبو بكر قل {صلى الله عليه وسلم} فقال {صلى الله عليه وسلم} ثم رجعت إلى قومي فوالله ما زلت معتزلا أمر مسيلمة حتى كان أوان قدمت عليك مقدمي هذا ثم لم آل لخالد فيما استشارني إلى اليوم وقد جنناك لترضى عنمن أساء وتقبل ممن تاب فإن القوم قد رجعوا وتابوا فقال أبو بكر أما إني قد كتبت إلى خالد كتابا في إثر كتاب أمره أن لا يستبقي من بني حنيفة أحدا مرت عليه الموسيقى قال جماعة الذي صنع الله لك ولخالد خير يفيء الله بهم إلى الإسلام قال أبو بكر أرجو أن يكون ما صنع خالد خيرا يا جماعة أني خدعتم بمسيلمة قال يا خليفة رسول الله لا تدخلني في القوم فإن الله يقول لا تزر وازرة وزر أخرى ١٨ فاطر قال أبو بكر رضي الله عنه فما كان يقول لقومه قال فكره جماعة أن يخبره فقال أبو بكر عزمتم عليكم لتخبرني

وفي غير هذا الحديث أن الرجل السحيمي الذي تقدم ذكره قبل أخبره بأنه كان يقول يا ضفدع بنت ضفدعين لحسن ما تنقنين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين امكثي في الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم لا يعدلون فاسترجع أبو بكر ثم قال سبحان الله ويحكم أي كلام هذا إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين ذهب بكم الحمد لله الذي قتله قالوا يا خليفة رسول الله قد أردنا الرجوع إلى بلادنا قال ارجعوا وكتب لهم كتابا آمنهم فيه

وفي كتاب يعقوب الزهري أن وفد بني حنيفة لما قدموا نادى أبو بكر أن لا يؤويهم أحد ولا يبايعهم ولا ينزلهم ولا يكلمهم فداروا في المدينة لا يكلمون ولا يبايعون فضاقت عليهم فقيل لهم اتوا عمر فجاءوه فوجدوه معتقلا عنزا يجلبها على رغيص فلما رأهم حلب فاشتد حلبه حتى دار الرغيص في القدح من شدة حلبه ثم وضعه فدعاهم فأكلوا معه ومعه صبية صغيرة فقالوا إنا نعوذ بالله أن يرد علينا من إسلامنا ما يقبل من غيرنا وإنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الذي لا إله إلا هو الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية قال الله إن ما تقولون بألسنتكم حق من قلوبكم الذي لا إله إلا هو إن ما نقول بألسنتنا حق من قلوبنا قال الحمد لله الذي جعل لنا من الإسلام ما يعزنا ويردنا إليه قال أفيكم قاتل زيد بن الخطاب قلنا ما تريد بذلك قال أفيكم قاتل زيد فقام أبو مريم فقال أنا قاتل زيد قال وكيف قتلته قال اضطربت أنا وهو بالسيفين حتى انقطعا ثم اطعنا بالرحمين حتى انكسرا ثم اضطرنا فشحطته بالسكين شحطا قال يا بنية هذا قاتل أبيك فوضعت يدها على رأسها وصاحت يا أبتاه قال ثم خرج حتى جاء أبا بكر فاستأذن لنا عليه فدخلنا فقلنا له كما قلنا لعمر وناشدنا كما ناشدنا عمر فحلفنا له فقال الحمد لله الذي جعل لنا من الإسلام ما يعزنا ويردنا إليه قال أفيكم من رهط عامر بن مسلمة أحد قال خالد وما تصنع بعامر وهذا جماعة سيد أهل اليمامة فكررها أبو بكر فقال هل فيكم من رهط ثمامة بن إثال أحد قال خالد وما تصنع بثمامة وهذا جماعة سيد أهل اليمامة قال أبو بكر رضي الله عنه إنهم أهل بيت اصطنعهم النبي {صلى الله عليه وسلم} فأحب أن اصطنعهم فقام مطرف بن النعمان بن سلمة فقال عامر بن سلمة عمي وثمامة بن إثال عمي فاستعمله أبو بكر على اليمامة

وقال أبو بكر لخالد سم لي أهل البلاء فقال يا خليفة رسول الله كان البلاء للبراء بن مالك والناس له تبع

ولما قدم خالد المدينة لم يبق بها دار إلا فيها باك لكثرة من قتل معه من الناس فبكى أبو بكر رضي الله عنه لما رأى ذلك وقال ما أبعد ما رأى من الظفر والله لثابت بن قيس بن شماس أعز على الأنصار من أسماعها وأبصارها وكانت اليمامة في ربيع الأول من سنة اثني عشرة واختلف في عدد من استشهد فيها من المسلمين فأكثر ما في ذلك ما وقع في كتاب أبي بكر إلى خالد أن ببابك دماء ألف ومائتين من المسلمين وقال سالم بن عبد الله بن عمر قتل يوم اليمامة ستمائة من المهاجرين والأنصار وغير ذلك وقال زيد بن طلحة قتل يوم اليمامة من قريش سبعون ومن الأنصار ستون ومن سائر الناس خمسمائة وعن أبي سعيد الخدري قال قتلت الأنصار في مواطن أربعة سبعين يوم أحد سبعين ويوم بئر معونة سبعين ويوم اليمامة سبعين ويوم جسر أبي عبيد سبعين

وقال سعيد بن المسيب قتلت الأنصار في مواطن ثلاثة سبعين سبعين فذكره ما تقدم إلا بئر معونة وذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقعة اليمامة ومن قتل فيها من

المهاجرين والأنصار فقال ألت السيوف على أهل السوايق من المهاجرين والأنصار ولم نجد المعول يومئذ إلا عليهم خافوا على الإسلام أن يكسر بابه فيدخل منه أن ظهر مسيلمة فمنع الله الإسلام بهم حتى قتل عدوه وأظهر كلمته وقدموا يرحمهم الله على ما يسرون به من ثواب جهادهم من كذب على الله وعلى رسوله ورجع عن الإسلام بعد الإقرار به

وفي رواية عنه جعل منادي المسلمين يعني يوم اليمامة ينادي يا أهل القرآن فيجيئون المنادي فرادى ومثنى فاستحروهم القتل فرحم الله تلك الوجوه لولا ما استدرك خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من جمع القرآن لحقت أن لا يلتقي المسلمون وعدوهم في موضع إلا استحرو القتل بأهل القرآن

ولما قتل ثابت بن قيس بن شماس يوم اليمامة ومعه كانت راية الأنصار يومئذ وهو خطيبهم وسيد من ساداتهم أرى رجلاً من المسلمين في منامه ثابت بن قيس يقول له إني موصيك بوصية فيأياك أن تقول هذا حلم فتضييعه إني لما قتلت بالأمس جاء رجل من ضاحية نجد وعلي درع فأخذها فأتى بها منزلة فأكفأ عليها برمة وجعل على البرمة رحلاً وخباؤه في أقصى العسكر إل جنب خبائه فرس يستن في طولته فانت خالد بن الوليد فأخبره فليبعث إلى درعي وليأخذها وإذا قدمت على خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره أن علي من الدين كذا ولي من الدين كذا وسعد ومبارك غلاماي حران وإياك أن تقول هذا حلم فتضييعه فلما أصبح الرجل أتى خالد بن الوليد فأخبره فبعث خالد إلى الدرع فوجدها كما قال وأخبره بوصيته فأجازها ولا نعلم أحداً من المسلمين أجزت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس وقد روي أن بلال بن الحارث كان صاحب الرؤيا رواه الواقدي ثم قال بعقبه فذكرته يعني الحديث لعبد الله بن سعد فقال حدثني عبد الواحد بن أبي عون قال قال بلال رأيت في منامي كأن سالماً مولى أبي حذيفة قال لي ونحن منحدرين من اليمامة إلى المدينة إن درعي مع الرفقة الذين معهم الفرس الأبلق تحت قدرهم فإذا أصبحت فخذها من تحت قدرهم فاذهب بها إلى أهلي وإن علي شيئاً من دين فمرهم يقضونه قال بلال فأقبلت إلى تلك الرفقة وقدرهم على النار فألقيتها وأخذت الدرع وجئت أبا بكر فحدثته الحديث فقال نصدق قولك ونقضي دينه الذي قلت وقتل الله من بني حنيفة يوم اليمامة عدداً كثيراً ففي كتاب يعقوب الزهري أنه قتل منهم أكثر من سبعة آلاف وعن غيره أنه أصيب يومئذ من صليب بني حنيفة سبع مائة مقاتل وكان داؤهم خبيثاً والطارىء منهم على الإسلام عظيماً فاستأصل الله تعالى شأفتهم ورد ألفة الإسلام على ما كانت عليه على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ذكر ردة بني سليم

ذكر الواقدي من حديث سفيان بن أبي العوجاء السلمي قال وكان عالماً بردة قومه مع أنه كان من وعاء العلم ومن يوثق به في الدين قال أهدي ملك من ملوك غسان إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} لطيمة فيها مسك وعنبر وخيل فخرجت بها الرسل حتى إذا كانوا بأرض بني سليم بلغتهم وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} فتشجع بعض بني سليم على أخذها والردة وأبى بعضهم من ذلك وقالوا إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت وكان الذين ارتدوا منهم عصية وبنو عميرة وبنو عوف وبعض بني جارية والذين انتهبوا اللطيمة فتمزقوها بنو الحكم بن مالك بن خالد بن الشريد فلما ولي أبو بكر كتب إلى معن بن حاجر فاستعمله على من أسلم من بني سليم وكان قد قام في ذلك قياماً حسناً ذكر وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} وذكر الناس ما قال الله لنبيه عليه السلام إنك ميت وإنهم ميتون ٣٠ الزمر وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

الآية ١٤٤ آل عمران والتي قبلها مع آي من كتاب الله فاجتمع إليه بشر كثير من بني سليم وانحاز أهل الردة منهم فجعلوا يغيرون على الناس ويقطعون السبيل فلما بدى لأبي بكر أن يوجه خالد بن الوليد إلى الضاحية كتب إلى معن بن حجاز أن يلحق بخالد بن الوليد هو ومن معه من المسلمين ويستعمل على عمله طريفة بن حجاز ففعل وأقام طريفة يكالب من ارتد بمن معه من المسلمين يغير عليهم ويغيرون عليه إذ قدم الفجاءة وهو إياس بن عبد الله بن عبد يا ليل بن عمير بن خفاف على أبي بكر الصديق فقال يا أبا بكر إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار فاجملني وأعني فإنه لو كان عندي قوة لم أقدم عليك ولكني مضعف من الظهر والسلاح فسر أبو بكر بمقدمه فحمله على ثلاثين بعيرا وأعطاه سلاح ثلاثين رجلا فخرج يستعرض المسلم والكافر فيأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم مع قوم من

أهل الردة قد تبعوه على ذلك لقد أغار على قوم بالأرضية مسلمين جاءوا يريدون أبا بكر فسلبهم وقتلهم ومعه رجل من بني الشريد يقال له نجبة بن أبي المثني فلما بلغ أبا بكر خبره وما صنع كتب إلى طريفة بن حجاز بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى طريفة بن حجاز سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد {صلى الله عليه وسلم} أما بعد فإن عدو الله الفجاءة أتاني فزعم أنه مسلم وسألني أن أقويه على قتال من ارتد عن الإسلام فقويته وقد انتهى إلى الخبر اليقين أنه قد استعرض المسلم والمترد يأخذ أموالهم ويقتل من امتنع منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأسره فتأتيني به في وثاق إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله

فقرأ طريفة كتاب أبي بكر على قومه المسلمين فحشدوا وساروا معه إلى الفجاءة فقدم إليهم نجبة بن أبي المثني فناوش المسلمين وقتل نجبة وهرب من كان معه إلى الفجاءة ثم زحف طريفة إلى الفجاءة فتصادما وجعل المسلمون يرمون بالنبل ورمى أصحاب الفجاءة شيئا وهم منكسرون لما يرون من انكسار الفجاءة وندامته فقال يا طريفة والله ما كفرت وإني لمسلم وما أنت بأولى بأبي بكر مني أنت أميره وأنا أميره قال طريفة فإن كنت صادقا فألق السلاح ثم انطلق إلى أبي بكر فأخبره خبرك فوضع الفجاءة السلاح وأوثقه طريفة في جامعة فقال طريفة لا تفعل فإنك إن أقدمتني في وثاق أشعرتني فقال طريفة هذا كتاب أبي بكر إلى أن ابعتك إليه في وثاق فقال الفجاءة سمعا وطاعة فبعث به في جامعة مع عشرة من بني سليم فأرسل به أبو بكر رضي الله عنه إلى بني جشم فحرقه بالنار

وقدم على أبي بكر رضي الله عنه قبيصة أحد بني الضربان من بني خفاف فذكر أنه مسلم وأن قومه لم يرتدوا فأمره أبو بكر أن يقاتل بمن معه

من سليم على الإسلام من ارتد عنه منهم فرجع قبيصة إلى قومه فاجتمع إليه ناس كثير ممن ثبت على الإسلام فخرج يتبع بهم أهل الردة يقتلهم حيث وجدهم حتى مر ببيت خميصة بن الحكم الشريدي فوجده غائبا يجمع أهل الردة ووجد جارا له مرتدا فقتله واستاق ماله ومضى حتى نزل منزلا فذبح أصحابه شاة من غنم جاز خميصة ثم راحوا ويقبل خميصة حتى أتى أهله فيخبروه خبر جاره فخرج في طلب القوم حتى مر بمنزلهم حيث ذبحوا الشاة فيجد رأسها مملولا قد تركه القوم فأخذه فجعل ينهش منه وهو يطلبهم فأدركهم وهو ينهشه والدم يسيل على خيته وكان رجلا أيدا فقال لقبيصة قتلت جاري قال إن جارك ارتد عن الإسلام قال فأردد ماله فرد

قبيصة ماله فقال وفقد الشاة التي ذبحوا فقال أين الشاة التي ذبحت فقال لا سبيل إليها قد أكلها القوم وهم مستحقون لذلك في طلب قوم كفروا بعد إسلامهم فقال يا قبيصة أمن بين من كفر تعدو على جار لجأ إلي لأمنه فقال قبيصة قد كان ذلك فاصنع ما أنت صانع فطعن قبيصة بالرمح فوقع في واسط الرحل فدقته وانثنى سنان الرمح وخر قبيصة عن بعيره فقال خميصة إنك قد أشويتني فأكفف فعدل خميصة سنان رمحه بين حجرين ثم شد على قبيصة وهو يقول أكفف بعد قتل جاري لا والله أبدا فطعنه بالرمح فقتله وكان قبيصة قد فرق أصحابه وبثهم قبل أن يلحقه خميصة

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى خالد بن الوليد

أما بعد فإن أظفرك الله ببني حنيفة فأقل اللبث فيهم حتى تنحدر إلى بني سليم فتطأهم وطأة يعرفون بما ما منعوا فإنه ليس بطن من العرب أنا أعظ عليه مني عليهم قدم قادمهم يذكر إسلاما ويريد أن أعينه فأعنته بالظهر والسلاح ثم جعل يعترض الناس فإن أظفرك الله بهم فلا ألوكم فيهم في أن تحرقهم بالنار وتقول فيهم بالقتل حتى يكون نكالا لهم

قالوا فجعل خالد بن الوليد يبعث الطلائع أمامه وسمعت بنو سليم بمقبل خالد فاجتمع منهم بشر كثير يعرضون لهم وجلهم بنو عصابة واستجلبوا من بقي من العرب مرتدا وكان الذي جمعهم أبو شجرة بن عبد العزي فأنتهى خالد إلى جمعهم بالجواء مع الصبح فصاح خالد في أصحابه وأمرهم بلبس السلاح ثم صفهم و صفت بنو سليم وقد كل المسلمون وعجف كراعهم وخفهم وجعل خالد يلي القتال بنفسه حتى أئخن فيهم القتل ثم حمل عليهم حملة واحدة فهربوا وأسر منهم بشر كثير فجعل يضرب أحدهم على عاتقه فيجز له باثنين ويبدو سحره ويضرب الآخر من وسطه

وفي حديث سفيان بن أبي العوجاء أن خالدًا خطر لهم الخطائر فحرقهم فيها بالنار وأصاب أبو شجرة يومئذ في المسلمين وجرح جراحات كثيرة وقال في ذلك أبياتا يقول في آخرها فرويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمرا الطويل

ولما قدم خالد على أبي بكر كان أول ما سأل عنه خبر بني سليم فأخبره خالد فحمد الله وأثنى عليه ثم قدم على أبي بكر معاوية بن الحكم وأخوه خميصة مسلمين فقال أبو بكر خميصة أنت قتلت قبيصة ورجعت عن الإسلام قال إنه قتل جاري قال وإن قتل جارك على ردة قتلته لن تغفلت مني حتى أقتلك فقال أخوه يا خليفة رسول الله كان يومئذ مرتدا كافرا موتورا وقد تاب اليوم وراجع ولكن نديه قال أبو بكر فأخرج ديبته فقال أفعل يا خليفة رسول الله قال فنعم الرجل كان قبيصة ونعم السبيل مات عليه ثم قال لمعاوية وعمدتم يا بني الشريد إلى لطيمة بعث بها إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانتهموها وقتلتم إن يقيم بهذا الأمر رجل من قريش فلعمرى ليرضى أن تدخلوا في الإسلام مع الناس فكيف يأخذكم بأمن الطريق إلى رجل قد مات فإن طلب ما أخذتم فإنما

يطلبها أهل بيته فما كانوا يطلبون ذلك منكم وأنتم أخوانهم قال معاوية نحن نضمنها حتى نؤديها إليك فحمل
أبو بكر معاوية اللطيمة التي أصابوها ووقت لهم شهرين أو ثلاثة

قال فأداها إلى أبي بكر ثم إن أبا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس فجل يعتذر ويحسد أن يكون قال
البيت المتقدم فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم أبو شجرة وأناخ راحلته بصعيد بني قريظة وجاء من حرة
شوران ثم أتى عمر وهو يقسم بين فقراء العرب فقال يا أمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة فقال من أنت قال أنا
أبو شجرة بن عبد العزي فقال له يا عدو الله أأنت الذي يقول

فرويت رمحي من كتيبة خالد

وإني لأرجو بعدها أن أعمرا

الطويل

عمر الله سوء ما عشت لك يا خبيث ثم جعل يعلوه بالدرة على رأسه حتى سبقه عدوا وعمر في طلبه فرجع أبو
شجرة موليا إلى راحلته فارتحلها ثم شد بها في حرة شوران راجعا إلى أرض بني سليم فما استطاع أبو شجرة أن
يقرب عمر حتى توفي وإن كان إسلامه لا بأس به وكان إذا ذكر عمر ترحم عليه ويقول ما رأيت أحدا أهيب

من عمر بن الخطاب

وقال أبو شجرة فيما كان من ذلك

ضن علينا أبو حفص بنائله

وكل محتبط يوما له ورق

ما زال يرهقني حتى خذيت له

وحال من دون بعض البغية الشفق

لما لقيت أبا حفص وشرطته

والشيخ يقرع أحيانا فينحمق

ثم ارعويت إلى وجناء كاشره

مثل الطريفة لم يثبت لها الأفق

أقبلت الخيل من شوران صادرة

أني لأزري عليها وهي تنطلق

تطير مروا خطاها عن مناسمها

كما ينقر عند الجهبذ الورق

إذا يعارضها خرق تعارضه

ورهاء فيها إذا استعجلتها خرق

ينوء آخرها منها وأولها

سرح اليدين معا فماضة فتق

البسيط

وفي حديث هشام بن عروة عن أبيه أن لقاء أبي شجرة عمر كان علي غير ما تقدم وأن أبا شجرة قدم المدينة فأدخل راحلته بعض دورها ودخل المسجد متنكرا فاضطجع فيه وكان عمر رضي الله عنه قل شيء يظنه إلا كان حقا فبينما عمر جالسا في أصحابه وأبو شجرة مضطجع قال عمر إني لأرى هذا أبا شجرة فقام حتى وقف عليه فقال من أنت قال رجل من بني سليم قال انتسب قال فلان بن عبد العزي قال ما كنتك قال أبو شجرة فعلاه بالدرة

ثم ذكر من تقريره على قوله فرويت رحمي البيت نحو ما تقدم

ردة البحرين

حدث يعقوب الزهري عن إسحق بن يحيى عن عمه عيسى بن طلحة قال لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال صاحب المدائن من يكفيني أمر العرب فقد مات صاحبهم وهم الآن يختلفون بينهم إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعوا على أفضلهم فإن فعلوا صلح أمرهم وبقي ملكهم وأخرجوا العجم من أرضهم قالوا نحن بذلك على أكمل الرجال قال من قالوا مخارق بن النعمان ليس في الناس مثله وهو من أهل بيت قد دوخوا العرب ودانت لهم وهؤلاء جيرانك بكر بن وائل فأرسل منهم ناسا مع مخارق فأرسل معه ستمائة من بكر بن وائل الأشرف فالأشرف وارتد أهل هجر عن الإسلام

وعن الحسن بن أبي الحسن أن الجارود قام في قومه فقال يا قوم أستم تعلمون ما كنت عليه من النصرانية وإني لم آتكم قط إلا بخير وإن الله تعالى بعث نبيه فنعى له نفسه وأنفسكم فقال إنك ميت وإنهم ميتون ٣٠ الزمر وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ١٤٤ آل عمران

وفي حديث آخر أنه قام فيهم فقال ما شهادتكم أيها الناس على موسى قالوا نشهد أنه رسول الله قال فما شهادتكم على عيسى قالوا نشهد أنه رسول الله قال وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله عاش كما

عاشوا ومات كما ماتوا وأتمم شهادة من أبي أن يشهد على ذلك فلم يرتد من عبد القيس أحد وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال حين وفدوا عليه عبد القيس خير أهل المشرق اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثا وبارك لهم في ثمارهم فخرجوا مسرورين بدعوتهم واهدوا له من طرائف ثمارهم وثبتوا على الإسلام حين الردة

وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} استعمل أبان بن سعيد بن العاص على البحرين وعزل العلاء بن الحضرمي فسأل أبان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يحالف عبد القيس فأذن له فحالفهم فلما بلغ أبان بن سعيد مسير من سار إليه مرتدين قال لعبد القيس أبلغوني مأمني فأشهد أمر أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فليس مثلي يغيب عنهم فأحيا بحياتهم وأموت بمماهم فقالوا لا تفعل فأنت أعز الناس علينا وهذا علينا وعليك فيه مقالة يقول قائل فر من القتال فأبى وانطلق معه ثلاثمائة رجل يبلغونه المدينة فقال أبو بكر لأبان ألا ثبت مع قوم لم يبدلوا ولم يرتدوا فقال ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذكر أبان من عبد القيس خيرا فدعا أبو بكر العلاء بن الحضرمي فبعثه إلى البحرين في ستة عشر راكبا وقال

امض فإن أمامك عبد القيس فسار حتى بلغهم ومر بثمامة بن إثال الحنفي فأمدته برجال من قومه بني سحيم
ولحق به ثمامة فخرج العلاء بمن معه حتى نزل بحصن يقال له جواثي وكان مخارق قد نزل بمن معه من بكر بن
وائل المشقر فسار إليهم العلاء فيمن اجتمع إليه من المسلمين فقاتلهم قتالا شديدا حتى كثرت القتلى وأكثرها
في أهل الردة والجارود بالخط يبعث البعوث إلى العلاء وبعث مخارق الخطم بن شريح أحد بني قيس بن ثعلبة إلى
مرزبان الخطم يستمده فأمدته بالأساورة فنزل الخطم ردم الفلاح وكان حلف أن لا يشرب الخمر حتى يرى هجر
فقالوا له هذه هجر وأخذ المرزبان الجارود رهينة عنده وقال عبد الرحمن بن أبي بكرة أخذ
الخطم الجارود فشده في الحديد وسار الخطم وأبجر بن جابر العجلي فيمن معهما حتى حصروا العلاء بن
الحضرمي بجواثي فقال عبد الله بن حذف أحد بني عامر ابن صعصعة

ألا أبلغ أبا بكر رسولا
وسكان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى نفر يسير
مقيم في جواثي محصرينا
كأن دماءهم في كل شمس
شعاع الشمس يغشين العيوننا
توكلنا على الرحمن إنا
وجدنا النصر للمتوكلينا
الوافر

فمكثوا على ذلك محصورين فسمع العلاء وأصحابه ذات ليلة لغطا في عسكر المشركين فقالوا والله لوددنا أن
لو علمنا أمرهم فقال عبد الله بن حذف أنا أعلم لكم علمهم فدلوني بجبل فدلوه فأقبل حتى يدخل على أبجر ابن
جابر العجلي وأم عبد الله امرأة من بني عجل فلما رآه أبجر قال ما جاء بك لا أنعم الله بك عينا قال يا خالي
الضرر والجوع وشدة الحصار وأردت اللحاق بأهلي فزودني قال أبجر أفعل على أي أظنك والله على غير ذلك
بئس ابن الأخت سائر الليلة فزوده وأعطاه نعلين وأخرجه من العسكر وخرج معه حتى برزا فقال له انطلق فإني
والله لأراك بتس ابن الأخت أنت هذه الليلة فمض ابن حذف كأنه لا يريد الحصن حتى أبعده ثم عطف فأخذ
بالحبل فصعد الحصن فقالوا ما وراءك قال ورائي والله أي تركتهم سكارى لا يعقلون قد نزل بهم تجار من تجار
الخمر فاشتروا منهم ثم وقعوا فيها فإن كانت لكم حاجة بهم فالليلة فنزل إليهم المسلمون فيبتوهم ووضعوا فيهم
سلاحهم حيث شاءوا

وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة في حديثه كان العلاء في ثلاثمائة وستة وعشرين من المهاجرين فطرقوهم
فوجدوهم قد ثملوا فقتلوهم فلم يفلت

منهم أحد ووثب الخطم وهو سكران فوضع رجله في ركاب فرسه ثم جعل يقول من يحملي فسمعه عبد الله بن
حذف فأقبل نحوه وهو يقول أبا ضبيعة قال نعم قال أنا أحملك فلما دنا منه ابن حذف ضربه حتى قتله وقطعت
رجل أبجر بن جابر العجلي فمات منها وقد كان قال حين قطعت قاتلك الله يا ابن حذف ما أشأمك وقد قيل

إن عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم هو الذي سمع كلام الخطم حين رام الركوب فلم يستطع فقال ألا رجل من بني قيس بن ثعلبة يعقلني الليلة فقال له عفيف وقد عرف صوته أبا ضبيعة أعطني رجلك فأعطاه إياها يظن أنه يعقله على فرسه فأطنها من الفخذ وتركه فقال أجهز علي فقال إني أحب أن لا تموت حتى أمصك وكان مع عفيف في تلك الليلة عدة من بني أبيه أصيبوا

وقتل ليلتند مسمع بن سنان أبو المسامعة وهزم الباقون حتى صاروا في ناحية من البحرين فعصموا بمفروق الشيباني

قال إسحاق وأصبح ما أفاء الله على المسلمين من خيولهم وما سوى ذلك عند العلاء في حصن جواثي ثم صار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالا شديدا وهزمهم الله حتى لجئوا إلى باب المدينة فضيق عليهم فلما رأى ذلك مخارق ومن معه قالوا إن خلوا عنا رجعنا من حيث جئنا فشاور العلاء أصحابه فأشاروا عليه أن يخلي عنهم فخرجوا فلحقوا ببلادهم وبقي أهل المدينة فطلبوا الصلح والأمان فصالحهم العلاء على ثلث ما في أيديهم بالمدينة من أموالهم وما كان من شيء خارج منها فهو له فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة وفي غير هذا الحديث أن عبد القيس لما أوقعوا تلك الليلة ببكر بن وائل طفقت بكر تنادي يا عبد القيس إياكم مفروق بن عمرو في جماعة بكر بن وائل فقال عبد الله بن حذف في ذلك

لا تواعدونا بمفروق وأسرته

إن يأتنا يلق منا سنة الخطم

النخل ظاهرها خيل وباطنها

خيل تكردس بالفرسان كالنعم

وإن ذا الحي من بكر وإن كثروا

لأمة داخلون النار في أمم

البيسط

ثم سار العلاء بن الحضرمي إلى الخط حتى نزل على الساحل فجاءه نصراني فقال له مالي إن دلتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين قال وما تسألني قال أهل بيت بدارين قال هم لك فخاض به وبالخيل إليهم فظفر عليهم عنوة وسبى أهلها ثم رجع إلى عسكره

وقال إبراهيم بن أبي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوه إليهم وجازه العلاء وأصحابه مشيا على أرجلهم وقد كانت تجري فيه السفن قبل ثم جرت فيه بعد فقاتلهم فأظفروه الله بهم وسلموا له ما كانوا منعوا من الجزية التي صالحهم عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ويروى أنه كان للعلاء بن الحضرمي ومن كان معه جوار إلى الله تعالى في خوض هذا البحر فأجاب الله دعاءهم وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر وكان شاهدا معهم

ألم تر أن الله ذل بحره

وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا

بأعظم من غلق البحار الأوائل

الطويل

وفي حديث غيره قال لما رأى ذلك أهل الردة من أهل البحرين سألوه الصلح على ما صالح عليه أهل هجر
ولما ظهر العلاء بن الحضرمي على أهل الردة واجوس من أهل البحرين أقام عليها أميراً وبعث أربعة عشر رجلاً
من رؤساء عبد القيس وفداً إلى أبي
بكر الصديق رضي الله عنه فنزلوا على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأخبروهما بمسارعتهم إلى الإسلام
وقيامهم في الردة ثم دخل القوم على أبي بكر وحضر الزبير وطلحة رضي الله عنهم فقالوا يا خليفة رسول الله
إننا قوم أهل سلام وليس شيء أحب إلينا من رضاك ونحن نحب أن تعطينا أرضاً من أرض البحرين وطواحين
فأبى أبو بكر فكلّمه في ذلك طلحة والزبير فأذعن وقال اشهدوا أنني قد فعلت وأعطيتهم كل ما سألوني وعرفت
لهم قدر إسلامهم فجزوه خيراً

فلما خرجوا من عنده قال لهم طلحة إن هذا الأمر لا نراه يليه بعد أبي بكر إلا عمر فكلّموا أبا بكر يكتب لكم
كتاباً ويشهد فيه عمر فلا يكون لعمر بعد هذا اليوم كلام فعادوا إلى أبي بكر فذكروا له ذلك فدعا عبد الله ابن
الأرقم فقال كتب لهم بهذا الذي أعطيتهم ففعل وشهد في الكتاب عشرة من قريش والأنصار ولم يكن عمر بن
الخطاب حاضراً فانطلقوا إليه فأقرأوه الكتاب فلما قرأه فض الخاتم ثم نقل فيه ورده عليه فأقبل الوفد على
طلحة فقالوا هذا عملك أنت أمرتنا أن نشهد عمر واتهموه في أمرهم فقال طلحة والله ما أردت إلا الخير
فرجعوا إلى أبي بكر غضاباً فخبروه الخبر ودخل طلحة والزبير فقالا والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر فقال أبو
بكر وما ذاك فأخبروه فقال فما صنع عمر بالكتاب قالوا فض الخاتم وتفل في الكتاب ومحاه فقال أبو بكر لئن
كان عمر كره من ذلك شيئاً فإني لا أفعله فبينما هم كذلك إذ جاء عمر فقال له أبو بكر ما كرهت من هذا
الكتاب فقال كرهت أن تعطي الخاصة دون العامة ولكن اجعل أمر الناس واحداً لا يكون عندك خاصة دون
عامة وإلا فأنت تقسم على الناس فيئهم فتأبى أن تفضل أهل السابقة وأهل بدر وتعطي هؤلاء قيمة عشرين ألفاً
دون الناس فقال أبو بكر وفقك الله وجزاك خيراً فهذا هو الحق

وذكر وثيمة بن موسى أن بكر بن وائل لما خفت عند ردة العرب بعد وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} قالوا
والله لنردن هذا الملك إلى آل النعمان بن المنذر فبلغ ذلك كسرى فبعث في وجوههم فقدموا عليه وعنده يومئذ
المخارق بن النعمان وهو المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى الغرور فقال لهم سيروا مع المنذر ابن النعمان
فإني قد ملكته فخذوا البحرين فساروا وسارت معه الأساورة وهم يومئذ ستة آلاف راكب ثم إن كسرى ندم
على تمليك المنذر وتوجيه من وجهه معه وقال غلام موبق قتلت أباه معه كتيبة النعمان من بكر بن وائل يأتون
إخوتهم من عبد القيس وهو غلام فتي السن لم يختبر هذا خطأ من الرأي فصرفه إليه وانكسر المنذر للذي صنع
به ثم عاود كسرى رأيه فيه لكلام بلغه عنه فأمضاه وسرح معه أبحر بن جابر العجلي ثم ذكر حديثاً طويلاً

تخلله اشعار كثيرة لم أر لذكر شيء منها وجهها واستغيت من حديثهم بما تقدم منه

وذكر أن المنذر لما كان من ظهور الإسلام ما تقدم ذكره هرب إلى الشام فلحق ببني جفنة وندم على ما مضى
منه ثم ألقى الله في قلبه الإسلام فأسلم فكان بعد إسلامه يقول لست بالغرور ولكني المغرور هذا ما ذكره وثيمة

في شأن الغرور

وذكر سيف في فتوحه وحكاه الدارقطني عنه قال الغرور بن سويد أسر يوم البحرين أسره عفيف بن المنذر وأجاره فأتى به العلاء بن الحضرمي فقال إني قد أجرت هذا قال ومن هو قال الغرور قال أنت غررت هؤلاء قلا إني لست بالغرور وكلمي المغرور قال أسلم فأسلم وبقي بهجر وكان اسمه الغرور وليس بلقب

ذكر ردة أهل دبا وأزد عمان

وكان وفد الأزد من أهل دبا قد قدموا على النبي {صلى الله عليه وسلم} مقرين بالإسلام فبعث عليهم مصدقا منهم يقال له حذيفة بن اليمان الأزدى من أهل دبا وكتب له فرائض صدقات أموالهم ورسوم له أخذها من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ففعل حذيفة بن اليمان ذلك وبعث إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بفرائض فضلت من صدقاتهم لم يجد لها موضعا فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} منعوا الصدقة وارتلوا فدعاهم حذيفة إلى التوبة فأبوا وأسمعوه شتم النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال يا قوم اسمعوني الأذى في أبي وفي أمي ولا تسمعوني الأذى في رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأبوا إلا ذلك وجعلوا يرتجزون

لقد أتانا خير ردي

أمست قريش كلها نبي

ظلم لعمر الله عبقرى

رجز

فكتب حذيفة إلى أبي بكر الصديق بما كان منهم فاغتاظ أبو بكر عليهم غيظا شديدا وقال من هؤلاء ويل لهم ثم بعث إليهم عكرمة بن أبي جهل وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} استعمله على سفلى بن عامر بن صعصعة مصدقا فلما بلغته وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} انحاز إلى تبالة في أناس من العرب ثبتوا على الإسلام فكان مقيما بتبالة من أرض كعب بن ربيعة فجاءه كتاب أبي بكر الصديق وكان أول بعث بعثته إلى أهل الردة أن سر فيمن قبلك من المسلمين إلى أهل دبا فسار عكرمة في نحو ألفين من المسلمين ورأس أهل الردة لقيط بن مالك فلما بلغه مسير عكرمة بعث ألف رجل من الأزد يلقونه وبلغ عكرمة أنهم في جموع كثيرة فبعث طليعة وكان لأصحاب لقيط أيضا طليعة فالتقى الطليعتان فتناوشوا

ساعة ثم انكشف أصحاب لقيط وبعث أصحاب عكرمة فارسا نحو عكرمة فلما أتاه الخبر أسرع بأصحابه ومن معه حتى لحق طليعته ثم زحفوا جميعا ميمنة وميسرة وسار على تعبته حتى إذا أدرك القوم والتقوا فاقتتلوا ساعة ثم رزق الله عكرمة عليهم الظفر فهزمهم وأكثر فيهم القتل وخرجوا منهزمين راجعين إلى لقيط بن مالك فأخبروه أن جمع عكرمة مقبل إليهم وأنهم لا طاقة لهم بهم وفقدوا من أصحابهم بشرا كثيرا منهم من قتل ومنهم من أسره عكرمة أسرا فلما انتهوا إلى لقيط مفلولين قوى حذيفة بن اليمان بمن معه من المسلمين فناهضهم وناوشهم وجاء عكرمة في أصحابه فقاتل معهم فأصابوا منهم مائة أو نحوها في المعركة ثم انهزموا حتى دخلوا مدينة دبا فتحصنوا فيها وحصرهم المسلمون في حصنهم شهرا أو نحوه وشق عليهم الحصار إذ لم يكونوا أخذوا له أهبتة فأرسلوا إلى حذيفة رجلا منهم يسألونه الصلح فقال لا إلا أن أخيرهم بين حرب مجلية أو سلم مخزية

قالوا أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما السلم المخزية قال تشهدون أن قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار وأن ما أخذنا منكم فهو لنا وأن ما أخذتموه منا فهو رد علينا وأنا على حق وأنكم على باطل وكفر ونحكم فيكم بما رأينا فأقروا بذلك فقال اخرجوا عن مدينتكم عزلا لا سلاح معكم ففعلوا فدخل المسلمون حصنهم فقال حذيفة إني قد حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسبي ذراريكم فقتل من أشرافهم مائة رجل وسبى ذراريهم وقدم حذيفة بسبيهم إلى المدينة وهم ثلاثمائة من المقاتلة وأربعمائة من الذرية والنساء وأقام عكرمة بدبا عاملا عليها لأبي بكر فلما قدم حذيفة بسبيهم المدينة اختلف فيهم المسلمون فكان زيد بن ثابت يحدث أن أبا بكر أنزلهم دار رملة بنت الحارث وهو يريد أن يقتل من بقي من المقاتلة فكان من كلام عمر له يا خليفة رسول الله قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم والقوم يقولون والله ما رجعنا عن الإسلام ولكن شحنا على أموالنا فيأبى أبو بكر أن يدعهم بهذا

القول ولم يزالوا موقفين في دار رملة بنت الحارث حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه وولى عمر فدعاهم فقال قد كان من رأيي يوم قدم بكم على أبي بكر أن يطلقكم وقد أفضى إلى الأمر فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم فخرجوا حتى نزلوا البصرة وكان فيهم أبو صفرة والد المهلب وهو غلام يومئذ فكان ممن نزل البصرة وروى عن ابن عباس أن رأى المهاجرين فيهم وإذا استأسرهم أبو بكر كان قتلهم أو فداءهم بأغلى الفداء وكان عمر يرى أن لا قتل عليهم ولا فداء لم يزالوا محتسبين حتى ولي عمر فأرسلهم بغير فداء ويروى عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب قضى فيهم بأربعمائة درهم فداء ثم نظر في ذلك فقال لا سبأ في الإسلام وهم أحرار والأول أكثر وعن عروة قال لما قدم أهل غزو دبا قافلين أعطاهم أبو بكر خمسة دنانير خمسة دنانير

ذكر ردة صنعاء

وكان الأسود بن كعب العنسي قد ادعى النبوة في عهد النبي {صلى الله عليه وسلم} واتبع على ذلك فتزوج المرزبانة امرأة باذان الفارسي وكانت من عظماء فارس وقسرهما على ذلك فأبغضته أشد البغض وسمعت به بنو الحارث بن كعب من أهل نجران وهم يومئذ مسلمون فأرسلوا إليه يدعونه أن يأتيهم في بلادهم فجاءهم فاتبعوه وارتدوا عن الإسلام

ويقال دخلها يوم دخلها في آلاف من حمير يدعي النبوة ويشهدون له بما فنزل غمدان فلم يتبعه من النخع ولا من جعفي أحد وتبعه ناس من زبيد ومزحج وعبس وبني الحارث وأود ومسلية وحكم

وأقام الأسود بنجران يسيرا ثم رأى أن صنعاء خير له من نجران فسار إليها في ستمائة راكب من بني الحارث فنزل صنعاء فأبى الأبناء أن يصدقوه فغلب على صنعاء واستذل الأبناء بما وقهرهم وأساء جوارهم لتكذيبهم إياه فبعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رجلا من الأزدي وقيل من خزاعة يقال له وبر بن يحنس إلى الأبناء في أمر الأسود فدخل صنعاء محتفيا فنزل على داذويه الأبنوي فخبأه عنده وتآمرت الأبناء لقتل الأسود فتحرك

في قتله نفر منهم قيس بن عبد يغوث المكشوح و فيروز الديلمي و داؤويه الأبنوي وكانت المرزبانة كما تقدم قد أبغضت الأسود أشد البغض فوعدهم موعدا أتوا ليقاته وقد سقته الخمر حتى سكر فسقط نائما كالميت فدخل عليه فيروز وقيس ونفر معهما فوجدوه على فراش عظيم من ريش قد غاب فيه فأشفق فيروز أن يتعادى عليه السيف إن ضربه به فوضع ركبته على صدر الكذاب ثم قتل عنقه

فحولها حتى حول وجهه من قبل ظهره وأمر فيروز قيسا فاحتز رأسه فرمى به إلى الناس ففض الله الذين اتبعوه وألقى عليهم الخزي والذلة وخطب الناس قيس بن مكشوح وأظهر أن الكذاب قتل بكذبه على الله وأن محمدا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وبلغ الخبر بذلك إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو في مرضه الذي توفي فيه فقال {صلى الله عليه وسلم} و ذكر الأسود قتله الرجل الصالح فيروز الديلمي ورد فيروز وداؤويه الأمر إلى قيس بن المكشوح فكان أمير صنعاء وبها يومئذ جماع من أصحاب الأسود الكذاب فلما بلغتهم وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثبت قيس والأبناء وأهل صنعاء على الإسلام إلا أصحاب الأسود

ثم إن قيسا خاف فيروز وداؤويه أن يغلباه على سلطان صنعاء فأجمع أن يفتك بهما فأرسل إليهما يدعوهما فجاء داؤويه فقتله وأقبل فيروز يريده فأخبر بقتل داؤويه فهرب منه إلى أبي بكر رضي الله عنه وارتد قيس بن المكشوح وأخرج الأبناء من صنعاء فلم يبق بها أحد إلا في جوار فكان الشعبي يقول فيما ذكر عنه باليمن رجلا لو انغى لأحد أن يسجد لشيء دون الله لا نغى لأهل اليمن أن يسجدوا لهما سيف بن ذي يزن في الحبشة وقيس بن مكشوح في الأبناء الذين بصنعاء يعني إخراج سيف الحبشة وإخراج قيس الأبناء ولما بلغ خالد بن سعيد بن العاص ردة صنعاء سار يومها وكان في ناحية أرض مراد حتى دخلها فاستعداه فيروز على قيس في قتل داؤويه فبعث إليه من يأتي به فذهب الرسول فأخذه ثم أقبل به حتى إذا كان قريبا من صنعاء اختدع قيس الرسول حتى انفلت منه فدخل على خالد فقال من جاءكم مسلما قد أصاب الجاهلية أشياء ماذا عليه فقال له خالد هدم الإسلام ما قبله فأسلم قيس ثم خرج مع خالد إلى الصلاة فيجد فيروز في المسجد فقال له يا فيروز هل لك حاجة إلى الأمير فانكسر فيروز ودخل على خالد فاستعداه على قيس

فبعث أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل وهو يومئذ بأرض عمان أن سر في بلاد مهرة حتى تخرج على صنعاء فخذ قيس بن مكشوح المرادي فابعث به إلي في وثاق فسار عكرمة حتى دخل أرض مهرة فقتل فيهم وسبي وسار كذلك لا يظأ قوما إلا قاتلوه وقاتلهم فقتل منهم وسبي حتى رجعوا إلى الإسلام وبعث بسبيهم إلى أبي بكر بالمدينة ثم مضى على وجهه حتى خرج إلى صنعاء فلقية قيس وهو لا يدري بالذي أمر فيه فأمر به عكرمة فجعل في جماعة وبعث به إلى أبي بكر فلما دخل عليه عرفه أبو بكر بقتل داؤويه فحلف له ما يدري من أمره شيئا ولا يدري من قتله ورغب في الجهاد في سبيل الله فخرج إلى قومه من مذحج فاستجلبهم إلى الجهاد ورغبهم فيه فحفوا في ذلك وخرجوا حتى توجهوا إلى من بعث أبو بكر إلى الشام فلذلك أول نزول مذحج الشام ثم إن الأصفر العكي خرج هو وجماعة من قومه ممن ثبت على الإسلام حتى دخل نجران وهو يريد قتال بني الحارث بن كعب فلما دخل عليهم الأصفر رجعوا إلى الإسلام من غير قتال فأقام الأصفر في نجران وضبطها وغلب عليها ثم أمر أبو بكر المهاجر بن أبي أمية أن يستنفر من مر به من مضر ويقويهم ويعطيهم من مال أعطاه

إياه أبو بكر فسار المهاجر يؤم صنعاء معه سرية من المهاجرين والأنصار فيجد المهاجر بنجران الأصفر العكي ثم سار المهاجر إلى صنعاء ومعه بشر كثير فلقى جماعة من أصحاب الأسود منفضين فأخذ عليهم الطريق وأجأهم إلى غيضة فقتل منهم وأسرى ثم أقبل بالأسرى ومضى حتى دخل صنعاء وقد كانت طوائف من زييد ارتدت منهم عمرو بن معدي كرب فاجتمع إلى خالد بن سعيد من ثبت على الإسلام من مراد وسائر مذبح فلقي بهم بني زييد فأنزمو وظفر بهم خالد فسبى منهم نسوة منهن امرأة عمرو ابن معدي كرب جلالة وكانت أحسن النساء وكان عمرو فيما ذكروا غائباً عن ذلك القتال فلما ظفر خالد سألت منه زييد أن يقرهم على الإسلام ويكف عنهم فكف عنهم وأسلموا وبلغ الخبر عمرا فأقبل حتى نزل بجانب

عسكر خالد ثم خرج ليلاً فتلطف حتى لقي جلالة فقال لها يا جلالة ما صنع بك خالد فقالت لم يصنع بي إلا خيراً ولم يعرض علي من أمره إلا كرماً قال هل قربك قالت لا والله وما يحل له ذلك في دينه قال فورب الكعبة إن ديننا منعه منك لدين صدق

فلما أصبح عمرو غداً على خالد فقال ما تريد يا خالد بجلالة قال قد أسلمت فإن تسلم أردتها إليك فأسلم عمرو فردها إليه

وقدم خالد المدينة ثم قدم عمرو بن معدي كرب المدينة فدخل على خالد داره فقال له إني والله ما وجدت شيئاً أكافئك به في جلالة إلا سيفي الصمصامة ثم خلعه من عنقه فناوله إياه وقال عمرو

وهيت لخالد سيفي ثواباً

على الصمصامة السيف السلام

خليل لم أخنه ولم يخني

ولكن التواهب في الكرام

الوافر

ذكر ردة كندة وحضرموت

وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما قدم عليه وفد كندة مسلمين استعمل عليهم زياد بن ليلى الأنصاري البياضي وأمره بالمسير معهم ففعل وأقام معهم في ديارهم يأخذ صدقاتهم حياة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان رجلاً مسلماً فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وولى أبو بكر بعث أبا هند مولى بني بياضة بكتاب فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى زياد بن ليلى سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فإن النبي {صلى الله عليه وسلم} توفي فإنا لله وإنا إليه راجعون فانظر ولا قوة إلا بالله أن تقوم قيام مثلك ويبيع من عندك فمن أبي وطئته بالسيف وتستعين بمن أقبل على من أدبر فإن الله مظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون

فلما قدم أبو هند بكتاب أبي بكر رحمه الله على زياد بن ليلى قدم من الليل وأخبره باجتماع الناس على أبي بكر

وأنه لم يكن بين المسلمين اختلاف فحمد الله زياد على ذلك فلما أصبح زياد غدا يقرئ الناس كما كان يفعل قبل ذلك ثم دخل بيته فلما جاءت الظهر خرج إلى الصلاة وعليه السيف فقال بعض الناس ما شأن أميركم والسيف فصلى الظهر بالناس ثم قال

أيها الناس إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} توفي فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد توفي ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقد اجتمع المسلمون على أفضلهم من أنفسهم ولم يكن بينهم اختلاف في أبي بكر بن أبي قحافة وقد كان

النبي {صلى الله عليه وسلم} يأمره في مرضه أن يصلي بالناس فبايعوا أيها الناس ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فقال الأشعث بن قيس إذا اجتمع الناس فما أنا إلا كأحدهم ونكص عن التقدم إلى البيعة فقال امرؤ القيس بن عابس الكندي أنشدك الله يا أشعث ووفادتك على النبي {صلى الله عليه وسلم} وإسلامك أن تنقضه اليوم والله ليقوم بهذا الأمر من بعده من يقتل من خالفه فإياك إياك ابق على نفسك فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك وإن تأخرت افترقوا واختلّفوا فأبى الأشعث وقال قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد ونحن أقصى العرب دارا من أبي بكر أبعث أبو بكر إلينا الجيوش قال أي والله وأحرى أن لا يدعك عامل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ترجع إلى الكفر قال الأشعث من قال زياد بن لبيد فتضاحك ثم قال أما يرضى زياد أن أجيره فقال امرؤ القيس ستري ثم قام الأشعث فخرج من المسجد إلى منزله وقد أظهر ما أظهره من الكلام القبيح من غير أن يكون نطق بالردة ووقف يتربص وقال نقف أموالنا بأيدينا ولا ندفعها ويكون من آخر الناس وبايع زياد بن لبيد لأبي بكر من بعد الظهر إلى أن قامت العصر فصلى بالناس العصر ثم انصرف إلى بيته ثم غدا على الصدقة من الغد كما كان قبل وهو أقوى ما كان نفسا وأشدّه لسانا فبينما هو يصدق إلى أن أخذ قلوفا في الصدقة من فتى من كندة فلما أمر بها زياد تعقل وتوسم بميسم السلطان وكان الميسم لله أتى الفتى فصاح يا حارثة بن سراقة يا أبا معدى كرب عقلت البكرة فأتى حارثة إلى زياد فقال أطلق للفتى بكرته فأبى زياد فقال قد عقلتها ووسمتها بميسم السلطان فقال حارثة أطلقها أيها الرجل طائعا خيرا من أن تطلقها وأنت كاره قال زياد لا والله لا أطلقها ولا نعمت عين فقام حارثة فحل عقالها وضرب على جنبها فخرجت القلوص تعدو إلى الأهمار وجعل حارثة يقول

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا

فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

أيورثها بكرا إذا مات بعده

فتلك إذا والله قاصمة الظهر (الطويل)

قالوا فكان زياد يقاتلهم النهار إلى الليل فلما كان يوم من تلك الأيام ضاربهم كذلك حتى أمسى ولم يكن فيما مضى يوم أشد منه كانت بينهم فيه قتلى وجراح قال أبو هند برز منهم يومئذ رجل يدعو إلى البراز فبرزت إليه فتشاولنا بالرمحين نهارا طويلا فلم يظفر واحد منا بصاحبه ثم صرنا إلى السيفين فما قدر واحد منا على صاحبه ونحن فارسان إلى أن عشر فرسه فافتحم وصار راجلا ويدرك فرسي فيضرب عرقوبيه فوقعت إلى الأرض وأفضى

أحدنا إلى صاحبه فبدرته فأضربه فأقطع يده من المنكب فوقع السيف من يده وولى منهزما وألحقه فأجهزت عليه
فما خرج أحد يدعو إلى البراز حتى صلح أمرهم
قالوا فلما أمسوا من ذلك اليوم وتفارقوا وزياذ في بيته قد بعث العيون إذ جاءه عين له بعد أن ذهب عامة الليل
فدله على عورة من عدوه وقال هل لك في الظفر فقال ما هو قال ملوكهم الأربعة في محجرهم قد ثملوا من
الشراب فسار من ساعته في مائة رجل من أصحابه حتى انتهوا إلى الحجر فتقدم العين فاستمع الصوت فإذا
القوم قد هدوا وناموا فأغار عليهم فقتل الملوك الأربعة محرس ومشرح وحمد وأبضعة وأختهم العمردة ذبحهم
ذبحا وكانوا ملوك كندة وأشرافهم
ويقال كانت الملوك سبعة الأشعث بن قيس ومحرس وحمد ووديعة وأبضعة ومشرح ووليعة فقتل منهم أربعة ثم
رجع زياد إلى أهله فأصبح القوم قد انكسر حدهم وذلوا
وقالوا إن العمردة لما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضريت بغربال فقطع زياد لذلك يدها وصلبها
فهي كانت أول امرأة قتلت في الردة
وبعث زياد أبا هند إلى أبي بكر وكتب معه

بسم الله الرحمن الرحيم لأبي بكر خليفة رسول الله من زياد بن ليبيد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله
إلا هو أما بعد فإن الناس قبلنا منعوا الصدقة أو عامتهم وأبوا أن يسلموها وقاتلوا دونها أشد القتال وأظهروا
الردة عن الإسلام فبعثت عيوننا في طلب غرقتهم فأتاني آت منهم يخبرني بغرة منهم فزحفت إليهم ليلا فقتلتهم في
محجرهم وكانوا أربعة محرس ومشرح وحمد وأبضعة وأختهم العمردة فأصبحوا وقد ذلوا وانكسروا وإني كتبت
إليك والسيف على عاتقي وبعثت إليك أبا هند بالكتاب وأمرته أن يجد السير وأن يخبرك بما يخبرك بما رأى
وشهد وإن الكتاب موجز وعنده علم ما كنا فيه والسلام
فيروى أن أبا هند قال خرجت من عند زياد بعد أن صليت الغداة على راحلي ومعني رجل من بني قتيبة على
راحلة خفي لي فيبلغ بي صنعاء ثم انصرف فسرت من حضرموت إلى المدينة تسع عشرة فأرخت راحلي وما
مسيت عنها أكثر مما ركبت وانتهيت إلى أبي بكر فأجده حين خرج إلى الصلاة فلما رأي قال أبا هند ما وراءك
قلت خير والذي يسرك قتل الملوك الأربعة وأختهم العمردة قال قد كنت كتبت إلى زياد أنني أن يقتل الملوك
من كندة وبعثت بذلك المغيرة بن شعبة أما لقيته قلت ما لقيته
وقدم المغيرة خلاني وذلك أنه أخطأ الطريق فذلك الذي أبطأ به وجعل أبو بكر يسألني فأخبره عن كل ما يسره
ثم قال ما فعل الأشعث بن قيس قلت يا خليفة رسول الله هو أول من نقض وهو رأس من بقي وقد ضوى
إليه ناس كثير وقد تحصن في النجير بمن معه ممن هو على رأيه والله محزبيهم وقد تركت زياد بن ليبيد يريد
محاصرهم فقال أبو بكر قد كتبت إلى المهاجر ابن أبي أمية أن يمد زيادا ويكون أمرهما واحدا
وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} لما قتل الأسود العنسي بعث المهاجر واليا على صنعاء فتوفي {صلى الله عليه
وسلم} والمهاجر وال عليها فأنحاز إلى زياد بحضرموت كما أمره أبو بكر

وكانت قتيبة من كندة قد ثبتت على الإسلام لم يرجع منها رجل واحد فلما قدم المهاجر على زياد اشتد أمرهما
وكانا يحاصران أهل النجير وكان أهل النجير قد غلقوه فلما قتل الملوك الأربعة دخلوا مع الأشعث بن قيس

وجثم زياد ومهاجر على النجير فحاصروا أهله بالمسلمين لا يفارقونه ليلا ولا نهارا وقذف الله الرعب في أفئدتهم فلما اشتد به الحصار بعثوا إلى زياد بن ليبيد أن تتح عنا حتى نكون نخرج ونخليك والحصن فقال لا أبرح شيئا واحدا حتى نموت من آخرنا أو تنزلوا على حكمنا ورأينا وجعل يكايدهم لما يرى من جزعهم فكتب كتابا ثم بعث به في السرمع رجل من بني قتيبة ليلا مسيرة يوم أو بعض يوم ثم يأتيه بكتابه الذي كتبه فيقرؤه على الناس

من أبي بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى زياد بن ليبيد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني ردة من ارتد قبلك بعد المعرفة بالدين غرة بالله والله مخزيهم إن شاء الله فأحصرهم ولا تقبل منهم إلا ما خرجوا منه أو السيف فقد بعثت إليك عشرة آلاف رجل عليهم فلان ب فلان وخمسة آلاف عليهم فلان بن فلان وقد أمرتهم أن يسمعوا لك ويطيعوا فإذا جاءك كتابي هذا فإن أظفرك الله بهم فإياك والبقيا في أهل النجير حرق حصنهم بالنار واقطع معايشهم واقتل المقاتلة واسب الذرية وبعث بهم إن شاء الله

وإنما هذا كتاب كتبه زياد بيده مكايده لعدوه فكانوا إذ قرئ عليهم هذا الكتاب أيقنوا بالهلكة واشتد عليهم الحصار وندموا على ما صنعوا فبينما هم على ذلك الحصار قد جهدهم قال الأشعث إلى متى هذا الحصر قد غرثنا وغرث عيالنا وهذه البعوث تقدم علينا بما لا قبل لنا به وقد ضعفنا عمن معنا فكيف بمن يأتينا من هذه الأمداد والله للموت بالسيف أحسن من الموت بالجوع أو يؤخذ برقبة الرجل كما يصنع بالذرية قالوا وهل لنا قوة بالقوم فما ترى لنا فأت سيدنا قال أنزل فأخذ لكم الأمان قبل أن تدخل هذه الأمداد بما لا قبل لنا به فجعل أهل الحصن يقولون للأشعث افعل وخذ لنا أمانا فإنه ليس أحد أجرا على ما قبل زياد منك قال فأتنا أنزل فأرسل إلى زياد أنزل فأكلمك وأنا آمن قال نعم فنزل الأشعث من النجير فخلا بزياد فقال يا ابن عم قد كان هذا الأمر ولم يبارك لنا فيه وإن لي قرابة ورحما وإن أوصلتني إلى صاحبك قتلتني يعني المهاجر بن أمية وأن أبا بكر يكره قتل مثلي وقد جاءك كتابه ينهك عن قتل الملوك من كندة فأنا أحدهم وأنا أطلب منك الأمان على أهلي ومالي فقال زياد لا أؤمنك أبدا على دمك وأنت كنت رأس الردة والذي نقض على كندة فقال أيها الرجل دع ما مضى واستقبل الأمور إذا أقبلت قال زياد وماذا قال وأفتح لك النجير فأمنه زياد على أهله وماله على أن يقدم به على أبي بكر فيرى فيه رأيه وفتح له النجير

وقد كان المهاجر لما نزل الأشعث من الحصن ليكلمهم قال لزياد رده إلى الحصن حتى ينزل على حكمنا فنضرب عنقه فنكون قد استأصلنا شأفة الردة فأبى زياد إلا أن يؤمنه وقال أخشى أن يلومني أبو بكر في قتله وقد جاءني كتابه ينهاني عن قتل الملوك الأربعة فأخاف مثل ذلك مع أن أبا بكر إن أراد قتله فله ذلك إنما جعل له الأمان على نفسه وما له إلى أن يبلغ أبا بكر لا أدع من عين ماله شيئا يخف حمله معه إلا سار به وأحول بينه وبين ما هنا مما لا

يطيق حمله حتى يأتي رأي أبي بكر فيه فأمنه زياد على أن يبعث به وبأهله وبماله إلى أبي بكر رضي الله عنه فيحكم فيه بما يرى

وفتحوا له النجير فأخرجوا المقاتلة فعمد زياد إلى أشرافهم وهم سبعمائة فضرب أعناقهم على دم واحد ولام القوم الأشعث فقالوا لزياد غدر بنا فأخذ الأمان لنفسه وأهله ولم يأخذ لنا وإنما نزل على أن يأخذ لنا جميعا

فنزّلنا ونحن آمنون فقتلنا فقال زياد ما أمنتكم فقالوا صدقت خدعنا الأشعث

قال الواقدي وقد ذكروا في فتح النجير وجها آخر عن أبي مغيث قال كنت فيمن حضر أهل النجير فصالح الأشعث زيادا على أن يؤمن من أهل النجير سبعين رجلا ففعل فنزل سبعون رجلا ونزل معهم الأشعث فكانوا أحد وسبعين فقال زياد أقتلك لم يكن لك أمان فقال الأشعث تؤمّني على أن أقدم على أبي بكر فيرى في رأيه فأمنه على ذلك والقول الأول أثبت

وبعث أبو بكر نهيك بن أوس بن حزمة إلى زياد بن لبيد يقول إن ظفرت بأهل النجير فاستبقهم فقدم عليه ليلا وقد قتل منهم في أول النهار سبعمائة في صعيد واحد قال نهيك فما هو إلا أن رأيتهم فشبّهت بهم قتلى بني قريظة يوم قتلهم النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبي زياد أن يوارى جثثهم وتركهم للسباع فكان هذا أشد على من بقي من القتل وهرب أهل الردة في كل وجه وكان لا يؤخذ منهم إنسان إلا قتل ثم بعث زياد بالسبي مع نهيك وبعث معه ثمانين رجلا من قتيبة وبعث بالأشعث معهم في وثاق قال عبد الرحمن بن الحويرث رأيت يوم قدم به المدينة في حديد مجموعة يده إلى عنقه

ونزل نهيك بالسبي في دار رملة بنت الحارث ومعهم الأشعث بن قيس ولما كلمه أبو بكر جعل يقول يا خليفة رسول الله والله ما كفرت بعد إسلامي ولكني شححت على مالي فقال أبو بكر ألسنت الذي يقول قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد وأبو بكر يبعث إلينا الجيوش ونحن أقصى العرب دارا فرد عليك من هو خير منك فقال لا يدعك عامله ترجع إلى الكفر فقلت من قال زياد بن لبيد فتضاحكت فكيف وجدت زيادا أذكرت به أمه قال الأشعث نعم كل الأذكار ثم قال في آخر قوله أيها الرجل اطلق إساري واستبقي لحربك وزوجني أختك أم فروة بنت أبي قحافة فإني قد تبت مما صنعت ورجعت إلى ما خرجت منه من منع الصدقة فأسغفه أبو بكر فوجه فكان الأشعث مقيما بالمدينة حتى كانت ولاية عمر بن الخطاب وثاب الناس إلى فتح العراق فخرج الأشعث مع سعد بن أبي وقاص

قالوا وقدم على أبي بكر رضي الله عنه أربعة عشر رجلا من كندة يطلبون أن يفادوا بينهم وقالوا يا خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما رجعنا عن الإسلام ولكن شححنا على أموالنا وقد رجع من وراءنا إلى ما خرجوا منه وبابيعوك راضين فقال أبو بكر بعد ماذا بعد أن وطئكم السيف فقالوا يا خليفة رسول الله إن الأشعث غدر بنا كنا جميعا في الحصن فكان أجزعنا وكان أول من نقض وأبي أن يدفع الصدقة وأمرنا بذلك ورأسنا فلم يبارك لنا في رياسته فقال أنزل وآخذ لكم الأمان جميعا فإن لم يكن رجعت إليكم فيصيبني ما يصيبكم فنزل فأخذ الأمان لنفسه وأهله ومواليه وقتلنا صبورا بالسيف

فقال أبو بكر رضي الله عنه قد كنت كتبت إلى زياد بن مهاجر كتابا مع نهيك بن أوس إن ظفر تما بأهل النجير فلا تقتلهم وأنزلهم على حكمي

فقال المتكلم قد والله قتل منا سبعمائة على دم واحد وقد رجوناك يا خليفة رسول الله ولما كلمه الوفد في أن يرد عليهم السبي ويقبل منهم الفداء أجاب إلى ذلك وخطب الناس على المنبر فقال

أيها الناس ردوا على هؤلاء القوم نساءهم وذرايبهم لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغيب عنهم أحدا قد جعلنا الفداء على كل رأس منهم أربعمائة درهم

وأمر أبو بكر زيد بن ثابت بقبض الفداء وأمره أيضا بإخراج الخمس
قال الواقدي سألت معاذ بن محمد فقلت أرأيت الأربعة الأحماس حيث أمر أبو بكر أن يقدوا بأربعمائة أربعمائة
ما فعل بها قال جمع أبو بكر ذلك كله فجعله سهمانا لأهل النجير مع ما استخرج زياد بن لبيد والمهاجر مما
وجدوا في الحصن النجير من الرثة والسلاح ومما أصابوا من غير ذلك فجعلوه مغنما
وكان أبو بكر قد أمد زيادا والمهاجر بعكرمة بن أبي جهل وهو يومئذ بدبا فسار إليهم في سبعمائة فارس وقدم
بعد فتح النجير بأربعة أيام فأمر أبو بكر بأن يسهم لهم في ذلك فأسهم لهم
ونظرت عجوز من سبي النجير إلى الأشعث بن قيس فقالت قبحت من وافد قوم ورسولهم أخذت الأمان
لأهلك ومواليك وعرضتنا للسبأ وقتلت رجالنا بغدرك ولم تواسهم بنفسك وأنت شأمتهم رأسوك فلم يبارك
لهم في رياستك

والله ما رجعوا عن الإسلام ولكن شحوا على أموالهم فقتلوا ورجعت أنت عن الإسلام فنجوت ما كان أحد
قط أشأم على قومه منك
ومما يحفظ من شعر الأشعث يذكر الجماعة الذين ضرب زياد أعناقهم من أهل النجير وهم سبعمائة كما تقدم
فلا رزء إلا يوم أفرع بينهم
وما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم
ولم تمش أنثي بعدهم بجنين
فكنت كذات البو ضغت فأقبلت
إلى بوها أو طربت بجنين
لعمري وما عمري على بهين
لقد كنت بالقتلى أحق ضنين
الطويل

ويروى أن الأشعث إنما قال هذا في الملوك الأربعة الذين قتلوا ومن روى هذا أنشد الشعر هكذا
لعمري وما عمري على بهين
لقد كنت بالأملاك حق ضنين
فإن يك هذا الدهر فرق بينهم
فما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم
ولم ييشروني بعدهم بجنين
وكنت كذات البور يعت فأقبلت
على بوها أو طربت بجنين
الطويل

ذكر بدء الغزو إلى الشام وما وقع في نفس أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك وما قوي عزمه عليه

حدث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أهل الردة واستقامت له العرب حدث نفسه بغزو الروم ولم يطلع عليه أحدا فبينما هو كذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة فجلس إليه فقال يا خليفة رسول الله أحدثت نفسك أن تبعث إلى الشام جندا قال نعم قد حدثت نفسي بذلك ولم أطلع عليه أحدا وما سألتني إلا لشيء قال أجل إني رأيت فيما يرى النائم كأنك تمشي في ناس من المسلمين فوق حرشفة من الجبل فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت قلة في أعاليه فأشرفت على الناس ومعك أصحابك أولئك ثم هبطت من تلك القلة إلى أرض سهلة دمتة فيها الزروع والعيون والقرى والحصون فقلت يا للمسلمين شنوا الغارة على المشركين فأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة فشد المسلمون وأنا فيهم ومعهم راية فتوجهت بها إلى قرية فسألوني الأمان فأمنتهم ثم جئت فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ففتح لك وألقوا إليك السلم ووضع لك عريش فجلست عليه ثم قال لك قاتل يفتح عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرأ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ١٤ النصر ثم انتهيت فقال له أبو بكر رضي الله عنه نامت عينك ثم دمعت عينا أبي بكر رضي الله عنه فقال أما الحرشفة التي كنا نمشي عليها حتى صعدنا منها إلى القلة العالية فأشرفنا منها على الناس فإننا نكابد من أمر هذا الجند مشقة ويكابدونها ثم نعلوا بعد

ويعلو أمرنا وأما نزولنا من القلة إلى الأرض السهلة الدمتة وما فيها من الزروع والعيون والقرى والحصون فإننا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه فيه الخصب والمعاش وأما قولي للمسلمين شنوا عليهم الغارة فإنني ضامن لكم بالفتح والغنيمة فإن ذلك توجيهي للمسلمين إلى بلاد المشركين واحتثائي إياهم على الجهاد وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها إلى قرية من قرأهم فدخلتها فاستأمنوك فأمنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك وأما الحصن الذي فتح لنا فهو ذلك الوجه يفتحه الله علي وأما العريش الذي رأيتني عليه جالسا فإن الله يرفعني ويضع المشركين وأما الذي أمرني بالعمل والطاعة وقرأ علي السورة فإنه نعى إلي نفسي إن هذه السورة حين أنزلت على النبي {صلى الله عليه وسلم} علم أن نفسه قد نعت إليه ثم سألت عينا أبي بكر فقال لآمرن بالمعروف ولأنهين عن المنكر ولأجاهدن من ترك أمر الله ولأجهزن الجنود إلى العادلين بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا الله أحد الله أحد أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون أمر الله وسنة رسوله فإذا توفاني الله لم يجديني وانيا ولا في ثواب المجاهدين فيه زاهدا ثم إنه عند ذلك أمر الأمراء وبعث إلى الشام البعوث وعن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي وكانت له صحبة قال لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود إلى الشام دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنا فيهم فقال إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ولا تبلغ جزاءها الأعمال فله الحمد كثيرا على ما اصطنع عندكم قد جمع كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشرکوا بالله ولا أن

تدخلوا إليها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت أن أستنفرهم إلى الروم بالشام فمن هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للأبرار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين هذا رأي الذي رأيت فليشر علي كل امرئ بمبلغ رأيه
فقام عمر رضي الله عنه فقال

الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت غير مرة فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت أصاب الله بك سبيل الرشاد سرب إليهم الخيل في أثر الخيل وبعث الرجال بعد الرجال والجنود يتبعها الجنود فإن الله تعالى ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله ومنجز ما وعده رسوله
ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال

يا خليفة رسول الله إنما الروم بنو الأصفر حد حديد وركن شديد والله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم إقحاما ولكن تبعث الخيل فتغير في أدنى أرضهم وترجع إليك فإذا فعلوا ذلك مرارا أضروا بهم وغنموا من أداني أرضهم فقوموا بذلك على قتالهم ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر فتجمعهم إليك جميعا فإن شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم غيرك
ثم جلس وسكت وسكت الناس فقال لهم أبو بكر ماذا ترون رحمكم الله فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على

رسوله ثم قال
نرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم رشدا وصلاحا فاعزم على إرضائه فإنك غير ضنين عليهم ولا متهم
فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار صدق عثمان ما رأيت من الرأي فامضه فإننا سامعون لك مطيعون لا نخالف أمرك ولا ننتخلف عن دعوتك وإجابتك

فذكروا هذا وأشباهه وعلي رضي الله عنه في القوم لا يتكلم فقال له أبو بكر رضي الله عنهما ماذا ترى يا أبا الحسن فقال

أرى أنك مبارك الأمر ميمون النقيبة وإنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله تعالى قال بشرك الله بخير ومن أين علمت هذا
قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناوأه حتى تقوم الساعة وأهله ظاهرون

فقال أبو بكر سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني به شرك الله في الدنيا والآخرة
ثم إنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه {صلى الله عليه وسلم} ثم قال
أيها الناس إن الله تعالى قد أنعم عليكم بالإسلام وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقدهم عليكم فأطيعوا ربكم ولا تتخلفوا

أمرأكم ولتحسن نيتكم وسريرتكم وطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
فسكت القوم فوالله ما أجابه أحد هيبة لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم

فقام عمر رحمه الله فقال

يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يجيبكم أما لو كان عرضا قريبا وسفرا
قاصدا لا بتدرتموه

فقام إليه عمرو بن سعيد فقال يا ابن الخطاب ألنا تضرب أمثال المنافقين فما يمنعك مما عتبت علينا فيه

فقال الإتكال على أنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني وأغزو لو يغزيني

فقال عمرو ولكن نحن لا نغزولكم إن غزونا فإنما نغزو الله

فقال أبو بكر لعمر واجلس رحمك الله فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه إنما أراد أن يبعث بما
سمعت المتناقلين إلى الأرض عن الجهاد

فقام خالد بن سعيد فقال صدق خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اجلس يا أخي فجلس أخوه فقال
خالد

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون فالله منجز وعده ومعز دينه ومهلك عدوه

ثم أقبل على أبي بكر فقال ونحن أولا غير مخالفين لك ولا متخلفين عنك وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفرد إذا
استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا ونجيبك إذا دعوتنا

ففرح بمقالته أبو بكر رضي الله عنه وقال له جزاك الله خيرا من أخ

وخليل فقد أسلمت مرتغيا وهاجرت محتسبا وهربت بدينك من الكفار لكي يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته
فأنت أمير الناس فتيسر رحمك الله

ثم إنه نزل ورجع خالد بن سعيد فتجهز وأمر أبو بكر رضي الله عنه بلالا فأذن في الناس انفروا أيها الناس إلى
جهاد عدوكم الروم بالشام وأمير الناس خالد بن سعيد فكان الناس لا يشكون أن خالدا أميرهم وكان خالد

ابن سعيد من عمال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على اليمن فلما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

وسلم {جاء المدينة وقد استخلف الناس أبا بكر فاحتبس عن أبي بكر ببيعته أياما وأتى بني هاشم وقال أنتم

الظهر والبطن والشعار دون الدثار فإذا رضيتم رضينا وإذا سخطتم سخطنا حدثوني أبايعتم هذا الرجل قالوا

نعم قال على بر ورضى من جماعتكم قالوا نعم قال فإني أرضى إذا رضيتم وأبايع إذا بايعتم أما أنكم والله يا بني

هاشم فينا لطوال الشجر طيبوا الثمر ثم بايع أبا بكر بعد ذلك

وبلغت مقالته أبا بكر فلم يبال واضطغن ذلك عليه عمر فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام أتى

عمر أبا بكر فقال أتولي خالد بن سعيد وقد حبس عنك بيعته وقال لبني هاشم ما بلغك وقد جاء بورق اليمن

وعبيد له حبشان وبدروع ورماح ما أرى أن توليه وما آمن خلافة وكان أبو بكر لا يخالف عمر ولا يعصيه

فدعا يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة فقال لهم

إني باعثكم في هذا الوجه ومؤمركم على هذا الجند وأنا باعث على كل رجل من الرجال ما قدرت عليه فإذا

قدمتم البلد ولقيتم العدو فاجتمعتم على قتالهم فأمرهم أبو عبيدة وإن أبو عبيدة لم يلقكما وجمعتكما حرب
فيزيد بن أبي سفيان الأمير انطلقوا فتجهزوا

فخرج القوم يتجهزون وبلغ ذلك خالد بن سعيد فتيسر وتهيأ بأحسن هيئة ثم أقبل نحو أبي بكر وعنده
المهاجرون والأنصار أجمع ما كانوا وقد
تيسر الناس وأمروا بالعسكرة مع هؤلاء النفر الثلاثة فسلم على أبي بكر وعلى المسلمين ثم جلس فقال لأبي
بكر

أما إنك كنت وليتني أمر الناس وأنت لي غير متهم ورأيك في حسن حتى خوفت مني أمرا والله لأن آخر من
رأس حائق أو تحظفني الطير في الهواء بين الأرض والسماء أحب إلي من أن يكون ما ظن والله ما أنا في الإمارة
براغب ولا على البقاء في الدنيا بحريص وإني أشهدكم أنني وأخوتي وفتياني ومن أطاعني من أهلي جيش في سبيل
الله نقاتل المشركين أبدا حتى يهلكهم الله أو نموت لا نريد به حمد الناس ولا جزاءهم
فقال له الناس خيرا ودعوا له به وقال أبو بكر رحمه الله أوتيت في نفسي وولدي ما أحب لك ولاخوتك والله
إني لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عبادته وإقامة كتابه وإتباع سنة رسوله
فخرج هو وإخوته وغلمته ومن معه فكان أول خلق الله عسكر ثم خرج الناس إلى معسكرهم من عشرة
وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة في كل يوم حتى اجتمع الناس وكثروا فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه
من الصحابة كثير حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة فلم يرض كثرتها للروم فقال لأصحابه ماذا ترون
في هؤلاء أترون أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة فقال له عمر ما أرضى بهذه العدة لجموع بني الأصفر
فأقبل على أصحابه فقال ماذا ترون فقالوا ونحن أيضا نرى ما رأى عمر فقال أبو بكر أفلا نكتب كتابا إلى أهل
اليمن ندعوهم إلى الجهاد ونرغبهم في ثوابه فرأى ذلك جميع أصحابه فقالوا نعم ما رأيت فافعل
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى من قرئ
عليه كتابي هذا المؤمن من المسلمين من أهل اليمن

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله تبارك وتعالى كتب على المسلمين الجهاد
وأمرهم أن ينفروا فيه خفافا وثقالا فقال جل ثناؤه وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ٩ الصف فالجهاد
فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظيم وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا
إلى ذلك وعسكروا وخرجوا وحسنت نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وسنة نبيكم
وإلى إحدى الحسنين إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة إن الله جل ذكره لم يرض من عباده بالقول دون العمل
ولا بترك الجهاد فيه أهل عدواته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم
وزكى أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين والسلام عليكم
وبعث بالكتاب مع أنس بن مالك

قال أنس

أتيت اليمن فبدأت بهم حيا حيا وقبيلة قبيلة أقرأ عليهم كتاب أبي بكر الصديق فإذا فرغت من قراءته قلت
الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أما بعد فإني رسول خليفة

رسول الله إليكم ورسول المسلمين ألا وإني قد تركتهم معسكرين ليس يمنعهم عن الشخوص إلى عدوهم إلا انتظاركم فاجعلوا إلى إخوانكم بالنفر رحكم الله أيها المسلمون

قال فكان كل من أقرأ عليه ذلك الكتاب ويسمع مني هذا القول يحسن الرد ويقول نحن سائرون وكان قد فعلنا حتى انتهيت إلى ذي الكلاع فلما قرأت عليه الكتاب وقلت له هذا المقال دعا بفرسه وسلاحه ونهض في قومه

وأمره بالعسكرة فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من أهل اليمن وسارعوا فلما اجتمعوا إليه قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال

أيها الناس إن من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم أن بعث فيكم نبيا أنزل عليه الكتاب فأحسن عنه البلاغ فعلمكم ما يرشدكم ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ورغبكم من الخير فيما لم تكونوا فيه ترغبون وقد دعاكم إخوانكم الصالحون إلى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم فليفر من أراد النفر معي الساعة

قال فنفر بعدد من الناس كثير وأقبل بهم إلى أبي بكر رحمه الله فرجعنا نحن فسبقناه بأيام فوجدنا أبا بكر بالمدينة ووجدنا ذلك العسكر على حاله وأبو عبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر

فلما قدمت حمير معها أولادها ونساءها فرح بهم أبو بكر وقام فقال عباد الله ألم تكن نتحدث فنقول إذا مرت حمير معها نساءها تحمل أولادها نصر الله المسلمين وخذل المشركين فأبشروا أيها المسلمون قد جاءكم النصر قال وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي معه جمع كثير حتى أتى أبا بكر فسلم عليه ثم جلس فقال له ما تنتظر بيعته هذه الجنود قال ما كنا ننتظر إلا قدومكم قال فقد قدمنا فابعث الناس الأول فالأول فإن هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع

قال فعند ذلك خرج أبو بكر رضي الله عنه يمشي فدعا يزيد بن أبي سفيان فعقد له ودعا ربيعة بن عامر من بني عامر بن لؤي فعقد له ثم قال له أنت مع يزيد بن أبي سفيان لا تعصه ولا تخالفه ثم قال ليزيد إن رأيت أن توليه مقدمتك فافعل فإنه من فرسان العرب وصلاح قومك وأرجو أن يكون من عباد الله الصالحين فقال يزيد لقد زاده إلي حبا حسن ظنك به ورجاؤك

فيه ثم إنه خرج معه يمشي فقال له يزيد يا خليفة رسول الله إما أن تترك وإما أن تأذن لي فأمشي معك فإني أكره أن أركب وأنت تمشي فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أنا براكب وما أنت بنازل إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ثم أوصاه فقال

يا يزيد إني أوصيك بتقوى الله وطاعته والإيتار له والخوف منه وإذا لقيتم العدو فأظفركم الله به فلا تغل ولا تمثل ولا تغدر ولا تجبن ولا تقتلن وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تقطعن شجرا مشمرا ولا تعقروا بهيمة إلا للمأكل وستمرون بقوم في هذه الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعهم وما حبسوا أنفسهم له وستجدون آخرين فحصى الشيطان أوساط رؤوسهم كأن أوساطها أفاحيص القطا فأضربوا بالسيف ما فحصوا عنه من رؤوسهم حتى ينيبوا إلى الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولينصرون الله من ينصره ورسله بالغيب وأقرأ عليك السلام وأستودعك الله

ثم أخذ بيده فودعه ثم قال

إنك أول امرئ وليته على رجال من المسلمين أشرف غير أوضاع في الناس ولا ضعفاء ولا أدنياء ولا جفافة في الدين فأحسن صحبتهم وألن لهم كنفك واخفض لهم جناحك وشاورهم في الأمر أحسن أحسن الله لك الصحابة وعلينا الخلافة

فخرج يزيد في جيشه قبل الشام

وكان أبو بكر رحمه الله كل غدوة وعشية يدعو في دبر صلاة الغداة

ويدعو بعد صلاة العصر فيقول اللهم إنك خلقتنا ولم نك شيئا ثم بعثت إلينا رسولا رحمة منك وفضلا علينا فهديتنا وكنا ضلالا وحببت إلينا الإيمان وكنا كفارا وكثرتنا وكنا قليلا وجمعتنا وكنا أشتاتا وقويتنا وكنا ضعفاء ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اللهم إنا أصبحنا نطلب رضاك بجهاد من عاداك ثم عدل بك وعبد معك آلهة غيرك لا إله إلا أنت تعاليت عما يقول الظالمون علوا كبيرا اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين اللهم افتح لهم فتحا يسيرا وانصرهم نصرا عزيزا وشجع جنبهم وثبت أقدامهم وزلزل بعدوهم وأدخل الرعب قلوبهم واستأصل شأفتهم واقطع دابرهم وأبد خصراءهم وأورتنا أرضهم وديارهم وأمواهم وآثارهم وكن لنا وليا وبنا حفيا وأصلح لنا شأننا واجعلنا لأنعمك من الشاكرين واغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم

وعن أنس قال لما بعث أبو بكر رحمه الله يزيد بن أبي سفيان إلى الشام لم يسر من المدينة حتى جاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله إني قد رأيت فيما يرى النائم كأنك في جماعة من المسلمين كثيرة وكأنك بالشام ونحن معك إذ استقبلك النصارى بصلبها والبطارقة بكتبها وانخطوا عليك من كل شرف وحدث وكأهم السيل فاعتصمنا بلا إله إلا الله وقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم نظرنا فإذا نحن بالقرى والحصون من ورائهم وعن أيمانهم وشمائلهم فإذا نحن بآت قد أتى فنزل بأعلى شاهقة في الجبل حتى استوى بالحضيض ثم أخرج كفه وأصابه فإذا هي نار ثم إنه أهوى بها إلى ما قابله من القرى والحصون فصارت نارا تأجج ثم إنها خبت فصارت رمادا ثم نظرنا إلى ما استقبلنا من نصاراهم وبطارقتهم وجموعهم فإذا الأرض قد ساخت بهم فرفع الناس رؤوسهم وأيديهم إلى ربهم يحمدهونه ويمجدونه ويشكرونه فهذا ما رأيت ثم انتهت

فقال أبو بكر رضي الله عنه نامت عينك هذه بشرى وهو الفتح إن شاء الله لا شك فيه وأنت أحد أمرائي فإذا سار يزيد بن أبي سفيان فأقم ثلاثا ثم تيسر للسير ففعل فلما مضى اليوم الثالث أتاه من الغد يودعه فقال له يا شرحبيل ألم تسمع وصيتي يزيد بن أبي سفيان قال بلى قال فإني أوصيك بمثلها وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن لابن أبي سفيان أوصيك بالصلاة لوقتها وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة المرضى وحضور الجنائز وبذكر الله كثيرا على كل حال فقال له أبو سفيان إن هذه الخصال كان يزيد بمن مستوصيا وعليهن مواظبا قبل أن يسير إلى الشام فهو الآن لمن أُلزم إن شاء الله تعالى فقال شرحبيل الله المستعان وما شاء الله أن يكون كان ثم ودع أبا بكر وخرج في جيشه قبل الشام وبقي عظم الناس مع أبي عبيدة في العسكر يصلي بهم وأبو عبيدة

ينتظر كل يوم أن يدعو أبو بكر فيسرحه وأبو بكر ينتظر به قدوم العرب عليه من كل مكان يريد أن يشحن أرض الشام من المسلمين ويريد أن زحفت إليهم الروم أن يكونوا مجتمعين فقدمت عليه حمير فيها ذو الكلاع وأسمه أيقع وجاءت مذحج فيها قيس بن هبيرة المرادي معه جمع عظيم من قومه وفيهم الحجاج بن عبد يغوث الزبيدي وجاء حابس بن سعد الطائي في عدد كثير من طيء وجاءت الأزدي فيهم جندب بن عمرو بن حممة الدوسي وفيهم أبو هريرة وجاءت جماعة من قبائل قيس فعقد أبو بكر رضي الله عنه لميسرة بن مسروق العبسي عليهم وجاء قباث ابن أشيم في بني كنانة فأما ربيعة وأسد وتميم فإنهم كانوا بالعراق

وعن سهل بن سعد أن أبا بكر رحمه الله لما أراد أن يبعث أبا عبيدة دعاه فأتاه فسلم عليه ثم جلس فمكث أبو بكر مليا لا يكلمه فظن أبو عبيدة أنه هم بعزله كما عزل خالد بن سعيد وهو يستحي أن يستقبله به فقال يا خليفة رسول الله إن كنا لا نصلح لكم ولا نحبكم ولا ننصحكم إلا بأن تولونا فلسنا ياخوان في الله وإن كنا لا نجاهد في سبيل الله ولا نقاتل أعداء الله إلا أن نكون أمراء رؤساء فلسنا الله نريد بجهادنا وإنما ننوي به إذا الفخر في الدنيا

إني أطلب إليك أن تعزلي عن هذا الجند وتولي عليه من أحببت وأنا أخرج معه فأشير عليه برأبي وأنصح به جهدي وأواسي المسلمين بنفسي فقال أبو بكر سبحان الله يا أبا عبيدة أظننت أنك ممن نتهمه أو ممن نتبغي به بدلا أو ممن نتخوف أن يأتي المسلمين من قبله وهن أو خلاف أو فساد معاذ الله أن نكون من أولئك ثم قال له اسمع سمع من يريد أن يفهم ما قيل له ثم يعمل بما أمر به إنك تخرج في أشراف العرب وبيوتات الناس وصلحاء المسلمين وفرسان الجاهلية كانوا إذ ذاك يقاتلون حمية وهم اليوم يقاتلون على النية الحسنة والحسبة أحسن صحبة من صحبتك وليكونوا عندك في الحق سواء فاستعن بالله وكفى به معينا وتوكل عليه وكفى بالله وكبيرا اخرج من غد إن شاء الله

فخرج من عنده فلما ولي قال يا أبا عبيدة فانصرف إليه فقال له إني أحب أن تعلم كرامتك علي ومنزلتك مني والذي نفسي بيده ما على الأرض من المهاجرين ولا غيرهم من أعدله بك ولا بهذا يعني عمر رحمه الله ولا له عندي في المنزلة إلا دون ما لك فقال أبو عبيدة رحمك ربك يا خليفة رسول الله هذا كان ظني بك قال فانصرف فلما كان من الغد خرج أبو بكر في رجال من المسلمين على رواحلهم حتى أتى أبا عبيدة فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ثم قال حين أراد أن يفارقه

يا أبا عبيدة اعمل صالحا وعش مجاهدا ولتتوف شهيدا وليعطك الله كتابك بيمينك ويقر عينك في دنياك وآخرتك فوالله إني لأرجو أن تكون من التوايين الأوابين الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة إن الله تبارك وتعالى قد صنع بك خيرا وساقه إليك إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين تقاتل به من كفر بالله وعبد غيره فقال أبو عبيدة

رحمك الله يا خليفة رسول الله فتشهد بفضلك في إسلامك ومناصحتك الله ومجاهدتك بعد رسول الله من تولى عن دين الله حتى ردهم الله بك إلى الدين وهم صاغرون ونشهد أنك رحيم بالمؤمنين ذو غلظة على الكافرين فبورك لك فيما عملت وسددت فيما حملت إن أكن صالحا فلربي المنة علي بصلاحي وإن أكن فاسدا فهو ولي

إصلاحه وأما أنت فترى أن نجيبك إذا دعوت وأن نطيعك إذا أمرت

ثم إنه تأخر وتقدم إليه معاذ بن جبل فقال

يا خليفة رسول الله إني أردت أن يكون ما أكلمك به الآن بالمدينة قبل شخوصنا عنها ثم بدا لي أن أؤخر ما

أردت من ذلك حتى يكون عند وداعي فيكون ذلك آخر ما أفارقك عليه

قال هات يا معاذ فو الله إنك ما علمت لسديد القول موفق الرأي رشيد الأمر

فأدنى راحلته ومقود فرسه في يده وهو متنكب القوس ومتقلد السيف فقال

إن الله تعالى بعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} برسائله إلى خلقه فبلغ ما أحب أن يبلغ وكان كما أحب ربه أن يكون فقبضه الله إليه وهو محمود مبرور صلوات الله عليه وبركاته إنه حميد مجيد جزاه الله عن أمته كأحسن ما يجزي النبيين ثم إن الله تعالى استخلفك أيها الصديق عن ملاء من المسلمين ورضي منهم بك فارتد مرتدون وأرجف مرجفون ورجعت راجعة عن هذا الدين فأدهن بعضنا وحرارنا وأحب المهادنة والمهادنة طائفة منا واجتمع رأي الملاء الأكابر منا أن يتمسكوا بدينهم ويعبدوا الله حتى يأتيهم اليقين ويدعوا الناس وما ذهبوا إليه فلم ترض منهم بشيء كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يرده عليهم فنهضت بالمسلمين وشمزت للمجرمين وشددت بالمطيع المقبل على العصي المدير حتى أجاب إلى الحق من كان عند عنه وزجل عن الباطل من كان مرتكسا فلما تمت نعمة الله عليك وعلى المسلمين في ذلك قادت المسلمين إلى هذا الوجه الذي يضاعف الله لهم فيه الأجر ويعظم لهم الفتح والمغنم فأمرك مبارك ورأيك محمود ورشيد ونحن وصالحو المؤمنين نسأل الله لك المغفرة والرحمة الواسعة والقوة في العمل بطاعة الله في عافية وإن هذا الذي تسمع من دعائي وثنائي ومقاتلي لتزداد في فعل الخير وغبته وتحمد الله تعالى على النعمة وأنا معيد هذا على المؤمنين ليحمدوا الله على ما أبلاهم واصطنع عندهم بولايتك عليهم

ثم أخذ كل واحد منهما بيد صاحبه فودعه ودعا له ثم تفرقا وانصرف أبو بكر رحمه الله ومضى ذلك الجيش

وقال رجل من المسلمين لخالد بن سعيد وقد قهياً للخروج مع أبي عبيدة لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان كان أمثل من خروجك مع غيره فقال ابن عمي أحب إلي من هذا في قرابته وهذا أحب إلي من ابن عمي في دينه هذا كان أخي في ديني على عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم} ووليي وناصري على ابن عمي قبل اليوم فأنا به أشد استئناسا وإليه أشد طمأنينة فلما أراد أن يغدو سائرا إلى الشام لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم عمرا وإبانا والحكم وعلقمة ومواليه ثم أقبل إلى أبي بكر رحمه الله عند صلاة الغداة فصلى معه فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته فجلسوا إليه فحمد الله خالد وأثنى عليه وصلى على رسوله {صلى الله عليه وسلم} ثم قال

يا أبا بكر إن الله تبارك وتعالى قد أكرمنا وإياك والمسلمين عامة بهذا الدين فأحق من أقام السنة وأمات البدعة وعدل في السيرة الوالي على الرعية وكل امرئ من أهل هذا الدين محفوف بالإحسان ومعدلة الوالي أعم نفعا فاتق الله يا أبا بكر فيمن ولاك أمره وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف والمظلوم ولا يكن رجل من المسلمين إذا رضيت عنه أثر عندك في الحق منه إذا سخطت عليه ولا تغضب ما قدرت على ذلك فإن الغضب يجر الجور

ولا

تحقد على مسلم وأنت تستطيع فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدوا وإن اطلع على ذلك منك عاداك وإذا عادى الوالي والرعية وعادت الرعية الوالي كان ذلك قمنا أن يكون إلى هلاكهم داعيا ولن للمحسن واشتد على المريب ولا تأخذك في الله لومة لائم
ثم قال هات يدك يا أبا بكر فإني لا أدري أنلتقي في الدنيا أم لا فإن قضى الله لنا في الدنيا البقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه وإن كانت هي الفرقة التي ليس بعدها لقاء فعرفنا الله وإياك وجه النبي {صلى الله عليه وسلم} في جنات النعيم

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فبكى وبكى خالد وبكى المسلمون وظنوا أنه يريد الشهادة وطال بكاءهم ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قال انتظر نمشي معك قال ما أريد أن تفعل قال لكني أريد ذلك ومن أرادته من المسلمين فقام وقام الناس معه حتى خرج من بيوت المدينة فما رأيت مشيعا من المسلمين شيعة أكثر ممن شيع خالد بن سعيد يومئذ واخوته فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر إنك قد أوصيتني برشدي وقد وعيت وأنا موصيك فاسمع وصاتي وعها إنك امرؤ قد جعل الله لك سابقة في الإسلام وفضيلة عظيمة والناس ناظرون إليك ومستمعون منك وقد خرجت في هذا الوجه العظيم الأجر وأنا أرجو أن يكون خروجك فيه بحسبة ونية صادقة إن شاء الله تعالى فثبت العالم وعلم الجاهل وعاتب السفه المسرف وانصح لعامة المسلمين واخصص الوالي على الجهد من نصيحتك ومشورتك بما يحق لله وللمسلمين عليك واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وأعلم أنا عما قليل ميتون ثم مبعوثون ثم مسؤولون ومحاسبون جعلنا الله وإياك لأنعمه من الشاكرين ولنقمه من الخائفين ثم أخذ بيده فودعه وأخذ بأيدي اخوته بعد ذلك فودعهم واحدا واحدا ثم ودعهم المسلمون ثم إنهم دعوا بإبائهم فركبوا وكانوا قبل ذلك يمشون مع أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين ثم قيدت معهم خيلهم فخرجوا بهيئة حسنة فلما أدبروا قال أبو بكر اللهم احفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم واحطط أوزارهم وأعظم أجورهم ثم انصرف أبو بكر ومن معه من المسلمين

وقد قيل إن أبا بكر رحمه الله جعل خالدا رداءا بتيما لما عزله عن الجند وأطاع عمر رحمه الله في بعض أمره وعصاه في بعض وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله

وعن محمد بن خليفة أن ملحان بن زياد الطائي أحا عدي بن حاتم لأمه أتى أبا بكر رحمه الله في جماعة من قومه من طيء نحو ستمائة فقال له إنا أتيناك رغبة في الجهاد وحرصا على الخير ونحن القوم الذين تعرف الذين قاتلنا معكم من ارتد منا حتى أقر بمعرفة ما كان ينكر وقاتلنا معكم من ارتد منكم حتى أسلموا طوعا وكرها فسرحننا في أثر الناس واختر لنا ولينا صالحا نكن معه

وكان قدومهم على أبي بكر بعد مسير الأمراء كلهم إلى الشام فقال أبو بكر قد اخترت لك أفضل أمرائنا أميرا وأقدم المهاجرين هجرة الحق بأبي عبيدة بن الجراح فقد رضيت لك صحبته وحمدت لك أدبه فنعم الرفيق في السفر ونعم الصاحب في الحضر

قال فقلت لأبي بكر فقد رضيت لخيرتك التي اخترت لي فاتبعته حتى لحقته بالشام فشهدت معه مواطنه كلها لم أغب عن يوم منها

وعن أبي سعيد المقبري قال قدم ابن ذي السهم الخثعمي على أبي بكر وجماعة من خثعم فوق تسعمائة ودون ألف فقال لأبي بكر إنا تركنا الديار والأصول والعشائر والأموال وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا ونحن نريد جهاد المشركين فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا أنخلفهم عندك ونمضي فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمناهم علينا أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على الله ربنا فقال أبو بكر سبحان الله يا معشر المسلمين هل سمعتم أحدا ممن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر من الأولاد والنساء مثل ما ذكر أخو خثعم أما إني أقسم لك يا أخا خثعم لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت أن أحبس عيالاً تم عندي وأسرحهم ليس معهم من النساء والأبناء ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم ومعهم ذراريهم ولك بجماعة المسلمين إسوة وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله فسر في حفظ الله وكنفه فإن بالشام أمراء قد وجهناهم إليها فأيهم أحببت أن تصحبه فاصحبه فسار حتى لقي يزيد بن أبي سفيان فصحبه

وعن يحيى بن هانئ بن عروة أن أبا بكر كان أوصى أبا عبيدة بقيس بن مكشوح وقال له إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب لا أظن له عظيم حسبة ولا كبير نية في الجهاد وليس بالمسلمين غني عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب فأذنه وأطفه وأره أنك غير مستغن عنه ولا مستهين بأمره فإنك تستخرج منه بذلك نصيحة لك وجهده وجده على عدوك ودعا أبو بكر قيسا فقال له إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظلم كظم وإذا أسىء إليه غفر وإذا قطع وصل رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين فلا تعصين له أمراً ولا تخالفن له رأياً فإنه لن يأمرك إلا بخير وقد أمرته أن يسمع منك فلا تأمره إلا بتقوى الله فقد كنا نسمع أنك شريف بئس مجرب وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك اليوم في الإسلام على من كفر بالله وعبد غيره فقد جعل الله فيه الأجر العظيم والعز للمسلمين فقال إن بقيت ولقيت فسيبلغك من حيطتي على المسلم وجهدي على الكافر ما يسرك ويرضيك فقال أبو بكر رحمه الله فافعل ذلك فلما بلغته مبارزته البطريقين بالجابية وقتله إياهما قال صدق قيس ووفي وبر

وعن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال لما مضت جنود أبي بكر إلى الشام بلغ ذلك هرقل ملك الروم وهو بفلسطين وقيل له قد أتتك العرب وجمعت لك جموعاً عظيمة وهم يزعمون أن نبيهم الذي بعث إليهم أخبرهم أنهم يظهرن على أهل هذه البلاد وقد جاؤوك وهم لا يشكون أن هذا يكون و جاؤوك بأبنائهم ونسائهم تصديقا لمقالة نبيهم يقولون لو دخلناها وافتتحناها نزلناها بأولادنا ونسائنا فقال هرقل ذلك أشد لشوكتهم إذا قاتل القوم على تصديق ويقين فما أشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصددهم

قال فجمع إليه أهل البلاد وأشرف الروم ومن كان على دينه من العرب فقال يا أهل هذا الدين إن الله قد كان إليكم محسنا وكان لدينكم هذا معزا وله ناصر على الأمم الخالية وعلى كسرى والنجوس وعلى الترك الذين لا يعلمون وعلى من سواهم من الأمم كلها وذلك أنكم كنتم تعملون بكتاب ربكم وسنة نبيكم الذي كان أمره رشداً وفعله هدى فلما بدلتهم وغيرتم أطمع ذلك فيكم قوماً والله ما كنا نعبأ بهم ولا نخاف أن نبتلى بهم وقد ساروا إليكم حفاة عراة جياعا اضطرهم إلى بلادكم قحط المطر وجدوبة الأرض وسوء الحال فسيروا إليهم فقالتوهم عن دينكم وعن بلادكم وعن أبنائكم ونسائكم وأنا شاخص عنكم ومدمكم بالخيول والرجال

وقد أمرت عليكم أمراء فاسمعوا لهم وأطيعوا ثم خرج حتى أتى دمشق فقام فيهم مثل هذا المقام وقال فيها مثل هذا المقال ثم خرج حتى أتى حمص ففعل مثل ذلك ثم أتى أنطاكية فأقام بها وبعث إلى الروم فحشدتهم إليه فجاءه منهم ما لا يحصى عدده ونفر إليه مقاتلتهم وشباههم وأتباعهم وأعظموا دخول العرب عليهم وخافوا أن يسلبوا ملكهم

واقبل أبو عبيدة حتى مروا بوادي القرى ثم أخذ على الحجر أرض صالح النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم على ذات النار ثم على زبرا ثم ساروا إلى مؤب بعمان فخرج إليهم الروم فلم يلبثهم المسلمون أن هزموهم حتى دخلوا مدينتهم فحاصروهم فيها وصالح أهل مؤب عليها فكانت أول مدائن الشام صالح أهلها ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية أتاه آت فخره أن هرقل بأنطاكية وأنه قد جمع لكم من الجموع ما لم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزنا مبينا وأن يفتح لهم فتحا يسيرا فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى بأنطاكية وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشدتهم إليه وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك والسلام عليك ورحمة الله تعالى

فكتب إليه أبو بكر

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم ما كان قوم ليدعوا سلطانهم ولا ليخرجوا من مملكتهم بغير قتال ولقد علمت والحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله في قتالهم الأجر العظيم ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبنكار نسائهم وعقائل أموالهم الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين فالفهم بجدك ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإن الله تعالى ذكره معك وأنا مع ذلك بمدك بالرجال بعد الرجال حتى تكفي ولا تريد أن تزداد والسلام عليك

وبعث بهذا الكتاب مع دارم العيسى

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رحمه الله

أما بعد فإن هرقل ملك الروم لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه فتحمل ونزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على جند الشام وأمرهم بقتالنا وقد تيسروا لنا واستعدوا وقد نبأنا مسالة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته وأنهم جاءوا يجررون الشوك والشجر فمرنا بأمرك وعجل علينا في ذلك برأيك نتبعه نسأل الله النصر والصبر والفتح وعافية المسلمين والسلام عليك

وبعث بهذا الكتاب مع عبد الله بن قرط الشمالي فقال له أبو بكر لما قدم عليه أخبرني خبر الناس قال المسلمون بخير قد دخلوا أديني أرض الشام ورعب أهلها منهم وذكر لنا أن الروم قد جمعت لنا جموعا عظاما ولم نلق عدونا

بعد ونحن في كل يوم نتوكف لقاء العدو أو نتوقعه وإن لم تأتنا جيوش من قبل هرقل فليست الشام بشيء فقال له أبو بكر رحمه الله صدقتني الخبر فقال وما لي لا أصدقك ويحل لي الكذب ويصلح لمثلي أن يكذب مثلك ولو كذبت في هذا لم أحن إلا أمانتي وأحن ربي وأحن المسلمين قال أبو بكر معاذ الله لست من أولئك وكتب حينئذ معه بهذا الكتاب

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم إلى أنطاكية وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين فإن الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالرعب وأيدنا بملائكته الكرام وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم فوربك لا يجعل الله المسلمين كالجرمين ولا من يشهد أنه لا إله غيره كمن يعبد معه آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة شتى فإذا لقيتهم فابذ إليهم بمن معك وقاتلهم فإن الله لن يخذلك وقد نبأنا الله أن الفتنة القليلة منا تغلب الفتنة الكثيرة بإذن الله وأنا مع ما هنالك ممدكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إن شاء الله والسلام

ولما رد أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن قرط بهذا الكتاب إلى يزيد قال له أخبره والمسلمين أن مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة وسعيد بن عامر بن حذيم فخرج عبد الله بكتابه حتى قدم به على يزيد وقرأه على المسلمين فتباشروا به وفرحوا

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه دعا هاشم بن عتبة وسعيد فقال له يا هاشم إن من سعادة جدك ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين ومن يتق الوالي بنصيحته وصحته وعفافه وبأسه وقد بعث إلى المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار فسر إليهم فيمن يتبعك فإني نادب الناس معك فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة

ثم قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

أما بعد فإن إخوانكم من المسلمين معافون مكلوؤون مدفوع عنهم مصنوع لهم قد ألقى الله جل ثناؤه الرعب منهم في قلوب عدوهم فقد استعصموا بحصونهم وأغلقوا أبوابها دونهم وقد جاءني رسلكم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من أقصى قرى الشام وأنه وجه إليهم جندا من مكانه ذلك فرأيت أن أمد إخوانكم بجند منكم يشد الله بهم ظهورهم ويكبت به عدوهم ويلقي به الرعب في قلوبهم فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص واحتسبوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة وإن هلكتم فهي الشهادة والكرامة

ثم انصرف إلى منزله ومال الناس على هاشم حتى كثروا عليه فلما تموا ألفا أمره أبو بكر رحمه الله أن يسير فسلم عليه وودعه وقال له أبو بكر يا هاشم إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره وكنا ننتفع من الشاب بصره وبأسه ونجدته وإن الله تعالى قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن مستقبل الخير فإذا لقيت عدوك فاصبر

وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلا كتب

الله لك بذلك عملا صالحا إن الله لا يضيع أجر المحسنين فقال إن يرد الله بي خيرا يجعلني كذلك وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله أما أنا فأرجو إن لم أقتل ان أقتل ثم أقتل ثم أقتل

فقال له عمه سعد بن أبي وقاص يا ابن أخي لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله واعلم أنك خارج من الدنيا وشيكا وراجع إلى الله قريبا ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدمته وعمل صالح أسفله

فقال يا عم لا تخافن هذه مني إني إذا لمن الخاسرين إن جعلت حلي وارتحالي وغدوي ورواحي وسعيي وإجلالي وطعني برمحي وضربي بسيفي رياء للناس

ثم خرج من عند أبي بكر رضي الله عنه فلزم طريق أبي عبيدة حتى قدم عليه فسر المسلمون بقدمه وتباشروا به وبلغ سعيد بن عامر بن حذيم أن أبا بكر يريد أن يبعثه فلما أبطأ ذلك عليه ومكث أياما لا يذكر له ذلك أتاه فقال يا أبا بكر والله لقد بلغني أنك كنت أردت أن تبعثني في هذا الوجه ثم رأيتك قد سكت فما أدري ما بدا لك في فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثني معه فما أَرْضائي بذلك وإن كنت لا تريد أن تبعث أحدا فإني راغب في الجهاد فأذن لي يرحمك الله كيما ألحق بالمسلمين فقد ذكر لي أن الروم جمعت لهم جمعا عظيما فقال أبو بكر رحمك أرحم الراحمين يا سعيد بن عامر فإنك ما علمت من المتواضعين المتواصلين المخبتين المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيرا فقال له سعيد رحمك الله نعم الله على أفضل وله الطول والمن وأنت والله ما علمت صدوع بالحق قوام بالقسط رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين تحكم بالعدل ولا تستأثر في القسم فقال له حسبك يا سعيد حسبك اخرج

رحمك الله فتجهز فإني مسرح إلى المسلمين جيشا وأومرك عليهم فأمر بلالا فنأدى في الناس أن اتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر إلى الشام فانتدب معه سبعمائة رجل في أيام فلما أراد سعيد الشخصوص جاء بلال فقال يا خليفة رسول الله إن كنت إنما أعتقتني لله تعالى لأملك نفسي وأصطرف فيما ينفعني فخل سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي فإن الجهاد إلى أحب من المقام قال أبو بكر فإن الله يشهد أنني لم أعتقك إلا له وأني لا أريد منك جزاء ولا شكورا فهذه الأرض ذات العرض فاسلك أي فجاجها أحببت فقال كأنك أيها الصديق عتبت علي في مقالي ووجدت في نفسك منها قال لا والله ما وجدت في نفسي من ذلك وإني لأحب أن لا تدع هواك لهوأي ما دعاك هواك إلى طاعة ربك قال فإن شئت أقت معك قال أما إذا كان هواك الجهاد فلم أكن لأمرك بالمقام وإنما أردت لك للأذان ولأجدن لفراقك وحشة يا بلال ولا بد من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث فاعمل صالحا يا بلال وليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله به ما حييت ويحسن لك به الثواب إذا توفيت فقال له بلال جزاك الله من ولي نعمة وأخ في الإسلام خيرا فوالله ما أمرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة بيدع وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم خرج بلال مع سعيد بن عامر

وجاء سعيد على راحلته حتى وقف على أبي بكر والمسلمين فقال له إنا نؤم هذا الوجه فجعله الله وجه بركة اللهم فإن قضيت لنا التقاء فاجمعنا على طاعتك وإن قضيت لنا الفرقة فإلى رحمتك والسلام عليكم ثم ولى

يذهب فقال أبو بكر عباد الله ادعوا الله كيما يصحب صاحبكم ويسلمه ارفعوا أيديكم رحمكم الله فرفع القوم أيديهم إلى ربهم وهم أكثر من خمسين رجلا فقال علي رضي الله عنه ما رفع عدتكم من المسلمين أيديهم إلى ربهم يسألونه شيئا إلا استجاب لهم ما لم يكن معصية أو قطعة رحم فبلغه ذلك بعدما واقع أرض الشام وقاتل العدو فقال رحم الله إخواني ليتهم لم يكونوا دعوا لي قد كنت خرجت وإني على الشهادة لخريص جاهد فما هو إلا أن لقيت العدو

فعضمني الله من الهزيمة والفرار وذهب من نفسي ما كنت أعرف من حب الشهادة فلما خبرت أن أخواني دعوا لي بالسلامة عرفت أنهم استجيب لهم

وكان أبو بكر أمره أن يلحق بيزيد بن أبي سفيان فسار حتى لحق به وشهد معه وقعة العربة والدائنة

وعن حمزة بن مالك الهمداني أنه قدم في جمع عظيم من همدان على أبي بكر رحمه الله قال فقدموا وهم ألفا رجل أو أكثر فلما رأى أبو بكر عددهم وعدتهم سره ذلك فقال الحمد لله على صنيعه للمسلمين ما يزال الله تعالى يرتاح لهم بمدد من أنفسهم يشد به ظهورهم ويقصم به عدوهم قال ثم إن أبا بكر أمرنا فعسكرنا بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي بكر غدوة وعشية وعنده رجال من المهاجرين والأنصار فكان يلفظني ويديني مجلسي ويقول لي تعلم القرآن وأسبغ الوضوء وأحسن الركوع والسجود وصل الصلاة لوقتها وأد الزكاة في حينها وانصح المسلم وفارق المشرك واحضر البأس يوم البأس فقلت والله لأجهدن أن لا أدع شيئا مما أمرتني به إلا عملته إني لأعلم أنك قد اجتهدت لي في النصيحة وأبلغت في الموعظة ثم إنه خرج إلى عسكرنا وأمرنا أن نتيسر ونتجهز ونشتري حوائجنا ثم نعجل على أصحابنا فتحثحثنا لذلك وعجلنا بالجهاز فلما فرغنا وعلم ذلك بعث إلي فقال يا أبا همدان إنك شريف بئس ذو عشيرة فأحضرهم البأس ولا تؤذ بهم الناس

قال وكان معي رجال من أهل القرى من همدان فيهم جهل وجفاء وكانوا قد تأذى منهم أهل المدينة فشكوا ذلك إلى أبي بكر فقال أبو بكر نشدتك الله أمرا مسلما سمع نشدي لما كف عن هؤلاء القوم ومن رأى عليه حقا فليحتمل ذرب ألسنتهم أو عجلة يكرهها منهم ما لم يبلغ ذلك الحد إن الله تعالى مهلك هؤلاء وأشباههم غدا جوع هرقل والروم وإنما هم إخوانكم فلو أن أبا بكر أحذركم في دينه عجل عليه في شيء ألم يكن أصوب في الرأي وخيرا في المعاد أن يحتمل له قال المسلمون بلى قال فهم إخوانكم في

الدين وأنصاركم على الأعداء ولهم عليكم حق فاحتملوا لهم ذلك ثم نظر إلي فقال ارتحل ما تنتظر فارتحلت وقد قلت له قبل أن نرتحل علي أمير دونك قال نعم هناك ثلاثة أمراء قد أمرناهم فأيهم شئت فكن معه فلما لحقت بالمسلمين سألتهم أي الأمراء أفضل وأيهم كان أفضل عند النبي {صلى الله عليه وسلم} صحبة فقيل أبو عبيدة بن الجراح فقلت في نفسي والله لا أعذل بهذا أحدا فجننت حتى أتيت أبا عبيدة ثم قصصت عليه قصة مخرجي ومقدمي على أبي بكر وما كان من أمري وأمر أصحابي بالمدينة ومقدمي عليه واختياري له فقال بارك الله لك في إسلامك وجهادك وقدمك علينا وبارك لنا فيك وفيمن قدمت به علينا من المسلمين

وقال عمرو بن محصن لم يكن أبو بكر رحمه الله يسأم توجيه الجنود إلى الشام وإمداد الأمراء الذين بعث إليهم بالرجال بعد الرجال إرادة إعزاز أهل الإسلام وإذلال أهل الشرك

وعن أبي سعيد المقبري قال لما بلغ أبا بكر رحمه الله جمع الأعاجم لم يكن شيء أعجب إليه من قدوم المجاهدين

عليه من أرض العرب فكانوا كلما قدموا عليه سرح الأول فالأول فقدم عليه فيمن قدم أبو الأعور السلمي فدخل عليه فقال إنا جئناك من غير قحمة ولا عدم فإن شئت أقمنا معك مرابطين وإن شئت وجهتنا إلى عدوك المشركين فقال له أبو بكر لا بل تجاهدون الكافرين وتواسون المسلمين فبعثه فسار حتى قدم على أبي عبيدة ثم قدم على أبي بكر رضي الله عنه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي في رجال من بني سليم نحو من مائة فقال أبو بكر لو كان هؤلاء أكثر مما هم لأمضيئناهم فقال له عمر والله لو كانوا عشرة لرأيت لك أن تمد بهم إخوانهم أي والله وأرى أن تمدهم بالرجل الواحد إذا كان ذا جزاء وغناء فقال حبيب بن مسلمة الفهري عندي نحو من عديم رجال من أبناء القبائل ذوو رغبة في الجهاد فأخرجنا وهؤلاء جميعا يا خليفة رسول الله ثم أبعثنا فقال له أما الآن فأخرج بهم جميعا حتى تقدم بهم على إخوانهم

فخرج فعسكر معهم ثم جمع أصحابه إليهم ثم مضى بهم حتى قدم على يزيد ابن أبي سفيان قال واجتمعت رجال من كعب وأسلم وغفار ومزينة نحو من مائتين فأتوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا ابعث علينا رجلا وسرحنا إلى إخواننا فبعث عليهم الضحاك بن قيس فسار حتى أتى يزيد فنزل معه وعن سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل قال لما رأى أهل مدائن الشام أن العرب قد جاشت عليهم من كل وجه وكثرة جمعهم بعثوا الرسل إلى ملكهم يعلمونه ذلك ويسألونه المدد فكتب إليهم إني قد عجبت لكم حين تستمدوني وحين تكثرون علي عدة من جاءكم وأنا أعلم بكم وبمن جاءكم منهم ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم منهم أضعافا فلقوهم فقاتلوهم ولا تحسبوا أي كتبت إليكم بهذا وأنا لا أريد أن أمدكم لأبعثن إليكم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضلاء وكانت مدائن أهل الشام من الروم قد أرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فأطمعهم أكثرهم في النصر ومنهم من حمى للعرب فكان ظهور العرب أحب إليه وذلك من لم يكن في دينه راسخا منهم وبلغ خبرهم وتراسلهم أبا عبيدة بن الجراح فكتب إلى أبي بكر رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وكرمنا بالإيمان وهدانا لما اختلف فيه المختلفون من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء

إلى صراط مستقيم وإن عيوني من أنباط الشام نبئوني أن أول أمداد ملك الروم قد وقعوا إليه وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه وإنه كتب إليهم أن أهل مدينة من مدائنكم أكثر ممن قدم عليكم من عدوكم فأنهضوا إليهم فقاتلوهم فإن مددي من ورائكم فهذا ما بلغنا عنهم وأنفس المسلمين طيبة بقتالهم وقد خبرنا أنهم تسيروا لقتالنا فأنزل الله على المسلمين نصره وعلى عدوهم رجزه إنه بما يعملون عليم والسلام

قال فجمع أبو بكر رحمه الله أشراف قريش من المهاجرين وغيرهم من أهل مكة ثم دعا بأشراف الأنصار وذوي السابقة منهم فقال عمر لأي شيء دعوت هؤلاء فقال لأستشيرهم في هذا الأمر الذي كتب إلينا فيه أبو عبيدة قال له أما المهاجرون والأنصار فأهل الاستنصاح والمشورة وأما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هي العليا ويقاتلوننا ليظفروا نور الله بأفواههم جاهدين على قتالنا أن قلنا ليس مع الله آلهة قالوا مع الله آلهة أخرى فلما أعز الله دعوتنا وصدق أحلوثتنا ونصرنا عليهم أردنا أن نقدمهم في الأمور ونستشيرهم فيها ونستنصحهم وندنيهم دون من هو خير منهم ما أنصفنا إذا نصحاءنا الذين كانوا يقاتلونهم في الله حين نقدمهم

دوهم ولا نراهم وضعهم عندنا إذا جهادهم إيانا وجهدهم علينا لا والله لا نفعل ذلك أبدا فقال أبو بكر رضي الله عنه قد كنت أردت إدناءهم وإنزالهم منا بالمنازل التي كانوا بها في قومهم من الشرف فأما الآن حيث ذكرت ما ذكرت فو الله ما أرى الرأي في هذا إلا رأيك فبلغ ذلك أشراف قريش أولئك فشق عليهم وقال الحارث بن هشام إن عمر في شدته علينا قبل أن هدانا الله للإسلام مصيبا فأما الآن حيث هدانا الله فلا نراه في شدته علينا إلا قاطعا ثم خرج هو وسهيل بن عمرو مع عكرمة بن أبي جهل في رجال من أشراف قريش حتى أتوا أبا بكر رحمه الله وعنده عمر فقال الحارث يا عمر إنك قد كنت في شدتك علينا قبل الإسلام مصيبا فأما الآن وقد هدانا الله لدينه فما

نراك إلا قاطعا ثم جثا سهيل بن عمرو وعلی ركبته وقال إياك يا عمر نحاطب وعلیک نعتب فأما خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فريء عندنا من الضغن والحقد والقطيعة ألسنا أخوانكم في الإسلام وبني أبيكم في النسب أفإنكم إن كان الله قدم لكم في هذا الأمر قدما صالحا لم نؤت مثله قاطعون قرابتنا ومستهبينون بحقنا ثم قال لهم عكرمة أما إنكم وإن كنتم تجدون في عداوتنا قبل اليوم مقالا فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين ولا أعدى منا

فقال لهم عمر رضي الله عن جميعهم والله ما قلت الذي بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام وتحريا للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم

قال سهيل فإن كنتم إنما فضلتمونا بالجهاد في سبيل الله فوالله لنستكثرن منه أشهدكم أي حبيس في سبيل الله وقال الحارث بن هشام وأنا أشهد أي حبيس في سبيل الله والله لأنفقن مكان كل نفقة على حرب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نفقتين في سبيل الله ولأنفقن مكان كل موقف وقفته على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} موقفين على أعداء الله وقال عكرمة وأنا أشهدكم أي حبيس في سبيل الله فقال أبو بكر رضي الله عنه اللهم أبلغ بهم أفضل ما يأملون واجزههم بأحسن ما يعملون فقد أصبتم فيما صنعتم فأرشدكم الله

فلما خرجوا من عنده أقبل سهيل على أصحابه وكان شريفا عاقلا فقال لهم لا تجزعوا مما ترون فإنهم دعوا ودعينا فأجابوا وأبطأنا ولو ترون فضائل من سبقكم إلى الإسلام عند الله عليكم ما نفعكم عيش وما من أعمال الله عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين وبين عدوهم فتجاهدوهم دوهم حتى تموتوا فلعنا أن نبلغ فضل المجاهدين فخرجوا حينئذ إلى جهاد الروم قال فبلغني أنهم ماتوا مقترنين بين المسلمين وبين الروم رضي الله عنهم

ثم دعا أبو بكر عمرو بن العاص فقال يا عمرو هؤلاء أشراف قومك يخرجون مجاهدين فاخرج فعسكر حتى أندب الناس معك فقال يا خليفة رسول الله ألسنت أنا الوالي على الناس قال نعم أنت الوالي على من أبعثه معك من هاهنا قال لا بل وال على من أقدم عليه من المسلمين قال لا ولكنك أحد الأمراء فإن جمعتم حرب فأبو عبيدة أميركم فسكت عنه ثم خرج فعسكر واجتمع إليه ناس كثير وكان معه أشراف قريش أولئك فلما حضر خروجه جاء إلى عمر فقال يا أبا حفص إنك قد عرفت بصري بالحرب وتيمن نقيبتي في الغزو وقد رأيت منزلتي

عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد علمت أن أبا بكر ليس يعصيك فأشتر عليه أن يوليني أمر هذه الجنود التي بالشام فإني أرجو أن يفتح الله على يدي هذه البلاد وأن يريكم والمسلمين من ذلك ما تسرون به فقال له عمر لا أكذبك ما كنت لأكلمه في ذلك لأنه لا يوافقني أن يبعثك على أبي عبيدة وأبو عبيدة أفضل منزلة عندنا منك قال فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئا من فضله أن ألي عليه فقال له ويحك يا عمرو إنك والله ما تطلب بهذه الرياسة إلا شرف الدنيا فاتق الله ولا تطلب بشيء من سعيك إلا وجه الله واخرج في هذا الجيش فإنك إن يكن عليك أمير في هذه المرة فما أسرع ما تكون إن شاء الله أميراً ليس فوقك أحد فقال قد رضيت فخرج واستتب له المسير فلما أراد الشخصوص خرج معه أبو بكر يشيعه وقال يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة للأمر وبصر بالحرب وقد خرجت في أشرف قومك ورجال من صلحاء المسلمين وأنت قادم على إخوانك فلا تألوهم نصيحة ولا تدخر عنهم صالح مشورة فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور فقال له عمرو ما أخلق أن أصدق ظنك ولأفئك رأيك ثم ودعه وانصرف عنه فقدم الشام فعظم غناؤه وبلاؤه عند المسلمين

وكتب أبو بكر رحمه الله إلى أبي عبيدة

أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم وما كتب به

إليهم ملكهم من عدته إياهم أن يمدهم من الجنود بما تضيق به الأرض الفضاء ولعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه برحبها وأيم الله ما أنا بيأس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء الله تعالى فبث خيلك في القرى والسواد وضيق عليهم بقطع الميرة ولا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمري فإن ناهدوك فأنهض إليهم واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناكم بمثلهم أو ضعفهم وليس بكم والحمد لله قلة ولا ذلة ولأعرفن ما جبنتم عنهم فإن الله فاتح لكم ومظهركم على عدوكم ومعزكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون وعمرو فأوصيك به خيراً فقد أوصيته أن لا يضيع لك حقاً والسلام عليك

وجاء عمرو بالناس حتى نزل بأبي عبيدة وكان عمرو في مسيرة ذلك إلى الشام فيما حدث به عمرو بن شعيب يستنفر من مر بهم من الأعراب قال فتبعه منهم ناس كثير فلما اجتمعوا هم ومن كان قدم بهم معه من المدينة كانوا نحواً من ألفين فلما قدم بهم على أبي عبيدة سر بهم هو والناس الذين معه واستأنس بهم وكان عمرو ذا رأي في الحرب وبصر بالأشياء فقال له أبو عبيدة أبا عبد الله رب يوم شهدته فبورك للمسلمين فيه برأيك ومحضرك إنما أنا رجل منكم لست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمراً دونكم فأحضرني رأيك في كل يوم بما ترى فإنه ليس بي عنكم غنى فقال له أفعل والله يوفقك لما يصلح المسلمين

وقال سهل بن سعد ما زال أبو بكر رحمه الله تعالى يبعث الأمراء إلى الشام أميراً أميراً ويبعث القبائل قبيلة قبيلة حتى ظن أنهم قد اكتفوا وأنهم لا يريدون أن يزدادوا رجلاً

وذكر أبو جعفر الطبري عن محمد بن إسحاق أن تجهيز أبي بكر الجيوش إلى الشام كان بعد قفوله من الحج سنة

اثني عشرة وأنه حينئذ بعث

عمرو بن العاص قبل فلسطين

وذكر في تولية أبي بكر خالد بن سعيد بن العاص جند الشام وتأخيره عن ذلك قبل نفوذه نحو ما تقدم
وذكر أيضا من طريق آخر أن توليته إياه إنما كان على ربع من ذلك الجند

وقيل إن أبا بكر رضي الله عنه جعله رداءً بتيماء وأمره أن لا يرحها وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه وأن لا
يقبل إلا ممن لم يرتد ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره فأقام فاجتمعت إليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم
ذلك العسكر فضربوا على العرب الضاحية بالشام البعوث إليهم فكتب خالد بن سعيد بذلك إلى أبي بكر
فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله فسار إليهم خالد فلما دنا منهم تفرقوا
وأعروا منزلهم فنزله ودخل من كان تجمع له في الإسلام وكتب بذلك إلى أبي بكر فكتب إليه أبو بكر رضي الله
عنه أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتي من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به من طرف
الرميل فسار إليه بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان فهزمه وقل جنده وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده وقد
قدم على أبي بكر أوائل مستنصري اليمن ومن بين مكة واليمن فساروا فقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك
اهتاج أبو بكر للشام وعناه أمره

وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عمالته التي كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولاه إياها من
صدقات سعد وعذره وما كان معها قبل ذهابه إلى عمان فخرج إلى عمان من عند رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} وهو على عدة من عمله إذا هو رجع فأجزم له

ذلك أبو بكر ثم كتب إليه أبو بكر عند اهتياجه للشام إن كنت قد رددت على العمل الذي كان رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} ولاكه مرة وسماه لك أخرى إذ بعثك إلى عمان إنجازا لموعده رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} فقد وليته ثم وليته وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه إلا أن
يكون الذي أنت فيه أحب إليك فكتب إليه عمرو إن سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع
لها فانظر أسرها وأحسنها وأفضلها فارم به شيئا إن جاءك من ناحية من النواحي
وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك فأجابه بإيثار الجهاد

وعن أبي أمامة الباهلي قال كنت ممن سرح أبو بكر رضي الله عنه مع أبي عبيدة وأوصاني به وأوصاه بي فكانت
أول وقعة بالشام يوم العربة ثم يوم الدائنة وليس من الأيام العظام خرج ستة قواد من الروم مع كل قائد
خمسمائة فكانوا ثلاثة آلاف فأقبلوا حتى أنتهوا إلى العربة فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يعلمه فبعثني
إليه في خمسمائة فلما أتيته بعث معي رجلا في خمسمائة فلما رأيناهم يعني الروم وقوادهم أولئك حملنا عليهم
فهزمناهم وقتلنا قائدا من قوادهم ثم مضوا وأتبعناهم فجمعوا لنا بالدائنة فسرنا إليهم فقدمني يزيد وصاحبي في
عدتنا فهزمناهم فعند ذلك فرعوا واجتمعوا وأمدتهم ملكهم

وذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان أن عمرو بن العاص خرج حتى نزل بعمر العربات ونزلت الروم بشية
جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفا عليهم تدارق أخو هرقل لأبيه وأمه فكتب عمرو إلى أبي بكر يستمده وخرج
خالد

ابن سعيد بن العاص وهو بمرج الصفر من أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه فتعادى عليه أعلاج الروم

فقتلوه وقيل أتاهاهم أذريجا في أربعة آلاف وهم غازون فاستشهد خالد بن سعيد وعدة من المسلمين
قال أبو جعفر الطبري قيل إن المقتول في هذه الغزوة ابن لخالد بن سعيد وأن خالدا انحاز حين قتل ابنه

وذكر سيف أن الوليد بن عقبة لما قدم على خالد بن سعيد فسانده وقدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر
أمدته بهم وبلغه عن الأمراء يعني أمراء المسلمين الذين أمدتهم أبو بكر وتوجههم إليه اقتحم على الروم طلب
الخطوة وأعرى ظهره وبادر الأمراء لقتال الروم واستطرد له باهان فأرز هو ومن معه إلى دمشق واقتحم خالد
في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل المرج مرج الصفر ما بين الواقصة ودمشق فانطوت
مسالح باهان عليه وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس
فقتلوه وأتى الخبر خالدا فخرج هاربا في جريدة خيل ولم ينته بخالد الهزيمة عن ذي المروة وأقام عكرمة في
الناس رداء لهم فرد عنهم باهان وجنوده أن يطلبوهم وأقام من الشام على قريب
وذكر ابن إسحاق مسير الأمراء ومنازلهم وأن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن
ويقال بصرى ونزل أبو عبيدة الجابية

وعن غير ابن إسحاق أنه لما نزل أبو عبيدة بالجابية كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه منها
أما بعد فإن الروم وأهل البلد ومن كان على دينهم من العرب قد أجمعوا
على حرب المسلمين ونحن نرجو النصر وانجاز موعود الرب تبارك وتعالى وعادته الحسنى وأحببت إعلامك ذلك
لترينا رأيك

فقال أبو بكر رحمه الله والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد وكان خالد إذ ذاك يلي حرب
العراق فكتب إليه أبو بكر

أما بعد فدع العراق وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامض متخفيا في أهل القوة من أصحابك
الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحوك في الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فنلقى أبا
عبيدة ومن معه من المسلمين فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام

ويروى أنه كان فيما كتب إليه به أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا وإياك أن
تعود لمثل ما فعلت فإنه لم يشج الجموع بعون الله سبحانه أحد من الناس إشجاءك ولم ينزع الشجاء أحد من
الناس نزعك فلتنهثك أبا سليمان النعمة والخطوة فأتم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتحذل وإياك
أن تدل بعمل فإن الله تعالى له المن وهو ولي الجزاء

ووافي خالدا كتاب أبي بكر هذا وهو بالحيرة منصرفا من حجة حجها مكتما بها وذلك أنه لما فرغ من إيقاعه
بالروم ومن انضوى إليهم مغيثا لهم من مسالح فارس بالفراض والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة أقام
بالفراض عشرا ثم أذن بالقفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم وأمر
شجرة بن الأعز أن يسوقهم وأظهر خالد أنه في الساقية

وخرج من الحيرة ومعه عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة
بالسمت فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا ريبال فسار طريقا من طرق الجزيرة لم ير طريقا أعجب منه
فكانت غيبته عن الجند يسيرة ما توافى إلى الحيرة آخروهم حتى وافاهم مع صاحب الساقية الذي وضعه وقدموا معا

وخالد وأصحابه مخلقون ولم يعلم بحجة إلا من أفضى إليه بذلك من الساقية ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلا بعد فهو الذي يعنيه بما تقدم في كتابه إليه من معاتبته إياه
وقدم على خالد بالكتاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحي فقال له خالد قبل أن يقرأ كتابه ما وراءك فقال خير
تسير إلى الشام فشق عليه ذلك وقال هذا عمل عمر نفس علي أن يفتح الله علي العراق
وكانت الفرس قد هابوه هيبة شديدة وكان خالد إذا نزل بقوم من المشركين عذابا من عذاب الله عليهم وليثا
من اللبوث

فلما قرأ كتاب أبي بكر ورأى أنه قد ولاه على أبي عبيدة وعلى الشام كأن ذلك سخا بنفسه وقال أما إذ ولاني
فإن في الشام من العراق خلفا فقام إليه النسير ابن ديسم العجلي وكان من أشرف بني عجل وفرسان بكر بن
وائل ومن رؤوس أصحاب المثنى بن حارثة فقال لخالد أصلحك الله والله ما جعل الله في الشام من العراق خلفا
للعراق أكثر حنطة وشعيرا وديباجا وحريرا وفضة وذهبا وأوسع سعة وأعرض عرضا والله ما الشام كله إلا
كجانب من العراق فكره المثنى مشورته عليه وكان يجب أن يخرج عن العراق ويخليه وإياها
فقال خالد إن بالشام أهل الإسلام وقد تقيأت لهم الروم وتيسرت فإنما أنا مغيث وليس لهم مترك فكونوا أنتم
هاهنا على حالكم التي كنتم عليها فإن

نفرغ مما أشخصنا إليه عاجلا عجلنا إليكم وإن أبطأت رجوت أن لا تعجزوا ولا تهنوا وليس خليفة رسول الله
بتارك أمدادكم بالرجال حتى يفتح الله عليكم هذه البلاد إن شاء الله تعالى
ويروى أن أبا بكر أمر خالدا بالخروج في شطر الناس وأن يخلف على الشطر الثاني المثنى بن حارثة وقال له لا
تأخذ مجدا إلا خلفت لهم مجدا فإذا فتح الله عليكم فارددهم إلى العراق وأنت معهم ثم أنت على عمك

وأحصى خالد أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فاستأثرهم على المثنى وترك للمثنى أعدادهم من أهل
الغناء ممن لم يكن له صحبة ثم نظر فيمن بقي فاختر من كان قدم على النبي {صلى الله عليه وسلم} وافدا أو
غير وافد وترك للمثنى أعدادهم من أهل الغناء ثم قسم الجند نصفين فقال المثنى والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر
أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة وإبقاء النصف أو بعض النصف فوالله ما أرجو النصر إلا بهم فأني
تعريبي منهم فلما رأى ذلك خالد بعدما تلكأ عليه أعاضه منهم حتى رضي وكان فيمن أعاضه منهم فرات بن
حيان العجلي وبشير ابن الخصاصية والحارث بن حسان الذهليان ومعبد بن أم معبد الأسلمي وبلال ابن
الحارث المزني وعاصم بن عمرو التميمي حتى إذا رضي المثنى وأخذ حاجته انحدر خالد فمضى لوجهه وشيعه
المثنى إلى قراقرق فقال له خالد انصرف إلى سلطانك غير مقصر ولا ملوم ولا وان

وذكر الطبري أن خالدا رحمه الله لما أراد المسير إلى الشام دعا بالأدلة فارتحل من الحيرة سائرا إلى دومة ثم طعن
في البر إلى قراقرق ثم قال كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث
المسلمين فكلهم قال لا نعرف إلا طريقا لا تحمل الجيوش فإياك أن تغرر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه إلى ذلك
إلا رافع بن عميرة على تهييب شديد

فقام فيهم فقال لا يختلفن هديكم ولا تضعفن تعبتكم واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية والأجر على قدر
الحسبة وأن المسلم لا ينبغي له أن يكثر لشيء يقع فيه مع معونة الله له فقالوا له أنت رجل قد جمع الله لك

الخير فشأنك فطابقوه ونووا واحتسبوا

وذكر غير الطبري أن خالدا حين أراد المسير إلى الشام قال له محرز بن حريش وكان يتجر بالحيرة ويسافر إلى الشام اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه حتى تصبح فإنك لا تجور فجرب ذلك فوجده كذلك

ثم أخذ في السماوة حتى انتهى إلى قراقر ففوز من قراقر إلى سوى وهما منزلان بينهما خمس ليال فلم يهتدوا للطريق فدل على رافع بن عميرة الطائي فقال خفف الأثقال واسلك هذه المغازة إن كنت فاعلا فكره خالد أن يخلف أحدا فقال قد أتاني أمر لا بد من إنفاذه وأن نكون جميعا قال فوالله إن الراكب المنفرد ليخافها على نفسه ما يسلكها إلا مغررا فكيف أنت بمن معك قال إنه لا بد من ذلك فقد أتتني عزيمة قال فمن استطاع منكم أن يصر أذن راحلته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما وقى الله ثم قال لخالد ابغني عشرين جزورا عظاما سمانا مسان فأتاه بمن فظمأهن حتى إذا أجهدهن عطشا سقاهن حتى أرواهن ثم قطع مشافرهن ثم كعمهن ثم قال لخالد سر بالخيول والأثقال فكلما نزل منزلا نحر من تلك الشرف أربعا فافتض ماءهن فسقاهن الخيول وشرب الناس مما تزودوا حتى إذا كان آخر ذلك قال خالد لرافع ويحك ما عندك يا رافع فقال أدركك الرأي إن شاء الله انظروا هل تجدون شجرة هو شح على ظهر الطريق قالوا لا قال إنا لله إذا والله هلكت وأهلكت لا أبا لكم انظروا فنظروا فوجدوها فكبروا وكبر وقال أحفروا في أصلها فاحتفروا فوجدوا عينا فشربوها وارتووا فقال رافع والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة مع أبي وأنا غلام

وقال راجز من المسلمين

لله در رافع أنى اهتدى

فوز من قراقر إلى سوى

أرضا إذا ما سارها الجيش بكى

ما سارها من قبله إنس أرى

لكن بأسباب متينات الهدى

نكبها الله بنيات الردى

الرجز

وعن عبد الله بن قرط الشمالي قال لما خرج خالد من عين التمر مقبلا إلى الشام كتب إلى المسلمين مع عمرو بن

الطفيل بن عمرو الأزدي وهو ابن ذي النور

أما بعد فإن كتاب خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أتاني فأمرني بالمسير إليكم وقد شمريت وانكمشت

وكان قد أظلت عليكم خيلي ورجالي فأبشروا بإنجاز موعود الله وحسن ثواب الله عصمنا الله وإياكم باليقين

وأثابنا أحسن ثواب المجاهدين والسلام عليكم

وكتب معه إلى أبي عبيدة

أما بعد فإني أسأل الله تعالى لنا ولك الأمن يوم الخوف والعصمة في دار الدنيا من كل سوء وقد أتاني كتاب

خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يأمرني بالمسير إلى الشام وبالقيام على جندها والتولي لأمرها والله ما

طلبت ذلك قط ولا

أردته إذ وليته فأنت على حالتك التي كنت لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع أمرا دونك فإنك سيد المسلمين لا نكر فضلك ولا نستغني عن رأيك تم الله ما بنا وبك من إحسان ورحمنا وإياك من صلى النار والسلام عليك ورحمة الله

قال فلما قدم علينا عمرو بن الطفيل قرأ كتاب خالد على الناس وهم بالجابية ودفع إلى أبي عبيدة كتابه فقرأه فقال بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى وحيي الله خالدا

قال وشق على المسلمين أن ولي خالد على أبي عبيدة ولم أره على أحد أشد منه على بني سعيد بن العاص وإنما كانوا متطوعين حبسوا أنفسهم في سبيل الله حتى يظهر الله الإسلام

فأما أبو عبيدة فأنا لم نتبين في وجهه ولا في شيء من منطقه الكراهة لأمر خالد

وعن سهل بن سعد أن أبا بكر كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما

أما بعد فإني قد وليت خالدا قتال العدو بالشام فلا تحالفه واسمع له وأطع أمره فإني لم أبعثه عليك أن لا تكون

عندي خيرا منه ولكني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك خيرا والسلام

ثم أن خالدا خرج من عين التمر حتى أغار على بني تغلب والنمر بالبسر فقتلهم وهزمهم وأصاب من أموالهم طرفا

قال وأن رجلا منهم ليشرب من شراب له في جفنة وهو يقول

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر

لعل منايانا قريب وما ندرى الطويل

فما هو إلا أن فرغ من قوله شد عليه رجل من المسلمين فضرب عنقه فإذا رأسه في الجفنة

وعن عدي بن حاتم قال غزونا يعني مع خالد على أهل المصيخ وإذا رجل من النمر يدعى حرقوص بن النعمان حوله بنوه وامراته وبينهم جفنة من خمر وهم عليها عكوف يقولون له ومن يشرب هذه الساعة في أعجاز الليل

فقال اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمرا بعدها أبدا هذا خالد بالعين وقد بلغه جمعنا وليس بتاركا

(ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر وقبل انتقاض القوم بالعسكر الدثر

وقبل منايانا المصيبة بالقدر حين لعمرى لا يزيد ولا يجري

الطويل

فسبق إليه وهو في ذلك بعض الخيل فضرب رأسه فإذا هو في جفنته فأخذنا بناته وقتلنا بنيه

وفي كتاب سيف قال ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها وإغارتها على مصيخ بهراء وانتسافها

اجتمعوا بمرج راهط وبلغ ذلك خالدا وقد خلف ثغور الشام وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك

صمد لهم فخرج من سوى بعدما رجع إليها بسبي بهراء فنزل علمين على الطريق ثم نزل الكثيب حتى سار إلى

دمشق ثم مرج الصفر فلقي عليه غسان

وعليهم الحارث بن الأيهم فانتسف عسكرهم ونزل بالمرج أياما وبعث إلى أبي بكر بالأخماس ثم خرج من المرج

حتى نزل مياه بصري فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق وخرج

منها فوافى المسلمين بالواقصة

وعن غير سيف أن خالدا أغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى وخرج على أهل الغوطة حتى أغار عليهم فقتل ما شاء وغنم ثم إن العدو دخلوا دمشق فتحصنوا وأقبل أبو عبيدة وكان بالجابية مقيما حتى نزل معه بالغوطة فحاصر أهل دمشق
وعن قيس بن أبي حازم قال كان خرج مع خالد من بجيلة وعظمهم أحمس نحو من مائتي رجل ومن طيء نحو مائة وخمسين

قال وكان معنا المسيب بن نجبة في نحو مائتي فارس من بني ذبيان وكان يعني خالدا في نحو من ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار فكان أصحابه الذين دخلوا معه الشام ثمانمائة وخمسين رجلا كلهم ذو نية وبصيرة لأنه كان يقحمهم أمورا يعلمون أنه لا يقوى على ذلك إلا كل قوي جلد فأقبل بنا حتى مر بأغار عليها وأخذ الأموال وتحصن منه أهلها فلم يبارحهم حتى صالحهم
قال ومر بتدمر فتحصنوا منه فأحاط بهم من كل جانب وأخذهم من كل مأخذ فلم يقدر عليهم فلما لم يطقهم ترحل عنهم وقال لهم حين أراد أن يرتحل فيما روى عن عبد الله بن قرط والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم وظهرنا عليكم ما جئناكم إلا ونحن نعلم أنكم ستفتحون علينا وإن أنتم لم تصالحوا هذه المرة لأرجعن إليكم لو قد انصرفت من وجهي هذا ثم لا أرحل عنكم حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذراريكم
فلما فصل قال علماءهم واجتمعوا إنا لا نرى هؤلاء القوم إلا الذين كنا نتحدث أنهم يظهرون علينا فافتحوا لهم

فبعثوا إلى خالد فجاء ففتحوا له وصالحوه

وعن سراقبة بن عبد الأعلى بن سراقبة أن خالدا في طريقه ذلك مر على حوران فهابوه فتحرز أكثرهم منه وأغار عليهم فاستاق الأموال وقتل الرجال وأقام عليهم أياما فبعثوا إلى ما حولهم ليمدوهم فأمدوهم من مكانين من بعلبك وهي أرض دمشق ومن قبل بصرى وبصرى مدينة حوران وهي من أرض دمشق أيضا
فلما رأى المددين قد أقبلوا خرج فصف بالمسلمين ثم تجرد في مائتي فارس فحمل على مدد بعلبك وهم أكثر من ألفين فما وقفوا حتى انهزموا فدخلوا المدينة ثم انصرف يوجف في أصحابه وجيفا حتى إذا كان بجذاء بصرى وإهم لأكثر من ألفين حمل عليهم فما ثبتوا له فوفا حتى هزمهم فدخلوا المدينة وخرج أهل المدينة فرموا المسلمين بالنشاب فانصرف عنهم خالد وأصحابه حتى إذا كان من الغد خرجوا إليه ليقاتلوه فعجزوا وأظهر الله عليهم المسلمين فصالحوهم

وقال عمرو بن محصن حدثني عالج من أهل حوران كان يشجع قال والله لخرجنا إليهم بعدما جاءنا مدد أهل بعلبك وأهل بصرى بيوم فلخرجنا وإنا لأكثر من خالد وأصحابه بعشرة أضعافهم وأكثر فما هو إلا أن دنونا منهم فناروا في وجوهنا بالسيوف كأنهم الأسد فانهزمتنا أقبح الهزيمة وقتلونا شر المقتلة فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم ولقد رأيت رجلا منا كنا نعده

بألف رجل قال لئن رأيت أميرهم لأقتلنه فلما رأى خالدا قيل له هذا خالد أمير القوم فحمل عليه وإنا لنرجو لبأسه أن يقتله فما هو إلا أن دنا منه فضرب خالد فرسه فقدمه عليه ثم استعرض وجهه بالسيوف فأطار قحف

رأسه ودخلنا مدينتنا فما كان لنا هم إلا الصلح حتى صالحناهم
وعن قيس بن أبي حازم قال كنت مع خالد حين مر بالشام فأقبل حتى نزل بقناة بصرى من أرض حوران وهي
مدينتها فلما نزلنا واطمأننا خرج إلينا الدرنجار في خمسة آلاف فارس من الروم فأقبل إلينا وما يظن هو وأصحابه
إلا أنا في أكفهم فخرج خالد فصفنا ثم جعل على يمينتنا رافع بن عميرة الطائي وعلى يسرتنا ضرار بن الأزور
وعلى الرجال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي وقسم خيله فجعل على شطرها المسيب بن نجبة وعلى الشطر
الآخر رجلا كان معه من بكر بن وائل ولم يسمه وأمرهما خالد حين قسم الخيل بينهما أن يرتفعا من فوق القوم
عن يمين و شمال ثم ينضبا على القوم ففعلا ذلك وأمرنا خالد أن نرحف إلى القلب فرحفنا إليهم والله ما نحن إلا
ثمانمائة وخمسون رجلا وأربعمائة رجل من مشجعة من قضاة استقبلنا بهم يعبوب رجل منهم فكنا ألفا ومائتين
ونيفا

قال وكنا نظن أن الكثير من المشركين والقليل عند خالد سواء لأنه كان لا يملأ صدره منهم شيء ولا يبالي بمن
لقي منهم لجرأته عليهم فلما دنوا منا شدوا علينا شدتين فلم نبرح ثم إن خالد نادى بصوت له جهوري شديد
عال فقال يا أهل الإسلام الشدة الشدة احموا رحمكم الله عليهم فإنكم إن قاتلتموهم محتسين بذلك وجه الله
فليس لهم أن يوافقوكم ساعة ثم أن خالد شد عليهم فشدنا معه فوالله الذي لا إله إلا هو ما ثبتوا لنا فواقا
حتى انهزموا

فقتلنا منهم في المعركة مقتلة عظيمة ثم أتبعناهم نكردهم ونصيب الطرف منهم ونقطعهم عن أصحابهم ثم نقتلهم
فلم نزل كذلك حتى انتهينا إلى مدينة بصرى فأخرج لنا أهلها الأسواق واستقبلوا المسلمين بكل ما يجون ثم
سألوا الصلح فصالحناهم فخرج خالد من فوره ذلك فأغار على غسان في جانب من مرج راهط في يوم
فصحهم فقتل وسي

وعن أبي الخزرج الغساني قال كانت أمي في ذلك السبي فلما رأته هدى المسلمين وصلاحهم وصلاحهم وقع
الإسلام في قلبها فأسلمت فطلبها أبي في السبي فعرفها فجاء المسلمين فقال يا أهل الإسلام إني رجل مسلم وهذه
امرأتي قد أصبتموها فإن رأيتم أن تصلوني وتحفظوا حقي فتردوا علي أهلي فعلتم فقال لها المسلمون ما تقولين في
زوجك قد جاء يطلبك وهو مسلم قالت إن كان مسلما رجعت إليه وإلا فلا حاجة لي فيه ولست براجعة إليه

وقعة أجنادين

ذكر سعيد بن الفضل وأبو إسماعيل وغيرهما أن خالد بن الوليد لما دخل الغوطة كان قد مر بشيعة فخرعها ومعه
راية له بيضاء تدعى العقاب فسميت بذلك تلك الثنية ثنية العقاب ثم نزل ديرا يقال له دير خالد لنزوله به وهو
مما يلي باب الشرقي يعني من دمشق

وجاء أبو عبيدة من قبل الجابية حتى نزل باب الجابية ثم شن الغارات في الغوطة وغيرها فبينما هما كذلك أتاهما
أن وردان صاحب حمص قد جمع الجموع يريد أن يقتطع شرحبيل بن حسنة وهو بصرى وأن جموعا من الروم
قد نزلت أجنادين وأن أهل البلد ومن مروا به من نصارى العرب قد سارعوا إليهم فأتاهما خبر أفظعهما وهما

مقيمان على عدو يقاتلانه فالتقيا فتشاورا في ذلك فقال أبو عبيدة أرى أن نسير حتى نقدم على شرحبيل قبل أن ينتهي إليه العدو الذي قد صمد صمدا فإذا اجتمعنا سرنا إليه حتى نلقاه فقال له خالد إن جمع الروم هنا بأجنادين وإن نحن سرنا إلى شرحبيل تبعنا هؤلاء من قريب ولكن أرى أن نصمد صمدا عظيما وأن نبعث إلى شرحبيل فنحذره مسير العدو إليه ونأمره فيوافينا بأجنادين ونبعث إلى يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فيوافيانا بأجنادين ثم ناهض عدونا فقال له أبو عبيدة هذا رأي حسن فأمضه على بركة الله وكان خالد مبارك الولاية ميمون النقيبة مجربا بصيرا بالحرب مظفرا فلما أراد الشيوخ من أرض دمشق إلى الروم الذين اجتمعوا بأجنادين كتب نسخة واحدة إلى الأمراء أما بعد فإنه قد نزل بأجنادين جمع من جموع الروم غير ذي قوة ولا عدة والله قاصمهم وقاطع دابهم وجاعل دائرة السوء عليهم وقد شخصت إليهم يوم سرحت رسولي إليكم فإذا قدم عليكم فأنهضوا إلى عدوكم بأحسن عدتكم وأصح نيتكم ضاعف الله أجوركم وحط أوزاركم والسلام ووجه بهذه النسخ مع أنباط كانوا مع المسلمين عيوننا لهم وفيوجا وكان المسلمون يرضخون لهم ودعا خالد الرسول الذي بعثه منهم إلى شرحبيل فقال له كيف علمك بالطريق قال أنا أدل الناس بالطريق قال فادفع إليه هذا الكتاب وحذره الجيش الذي ذكر لنا أنه يريد به وبأصحابه طريقا تعدل به عن طريق العدو الذي شخص إليه وتأتي به حتى تقدمه علينا بأجنادين قال نعم فخرج الرسول إلى شرحبيل ورسول آخر إلى عمرو بن العاص وآخر إلى يزيد بن أبي سفيان

وخرج خالد وأبو عبيدة بالناس إلى أهل أجنادين والمسلمون سراع إليهم جراء عليهم فلما شخصوا لم يرعهم إلا أهل دمشق في آثارهم فلحقوا أبا عبيدة وهو في أخريات الناس فلما رآهم قد لحقوا به نزل وأحاطوا به وهو في نحو من مائتي رجل من أصحابه وأهل دمشق في عدد كثير فقاتلهم أبو عبيدة قتالا شديدا وأتى الخبر خالدا وهو أمام الناس في الفرسان والخيل فعطف راجعا ورجع الناس معه وتعجل خالد في الخيل وأهل القوة وانتهوا إلى أبي عبيدة وأصحابه وهم يقاتلون الروم قتالا حسنا فحمل الخيل على الروم فدق بعضهم على بعض وقتلهم ثلاثة أميال حتى دخلوا دمشق ثم انصرف ومضى

بالناس نحو الجابية وأخذ يلتفت وينتظر قدوم أصحابه عليه ومضى رسول خالد إلى شرحبيل فوافاه وليس بينه وبين الجيش الذي سار إليه من حمص مع وردان إلا ميسرة يوم وهو لا يشعر فدفع إليه الرسول الكتاب وأخبره الخبر واستحثه بالشيوخ فقام شرحبيل في الناس فقال أيها الناس اشخصوا إلى أميركم فإنه قد توجه إلى عدو المسلمين بأجنادين وقد كتب إلي يأمرني بموافاته هنالك ثم خرج بالناس ومضى بهم الدليل وبلغ ذلك الجيش الذي جاء في طلبهم فعجل المسير في آثارهم وجاء وردان كتاب من الروم الذين بأجنادين أن عجل إلينا فإننا مؤمرون علينا ومقاتلون معك العرب حتى تنفيهم من بلادنا فأقبل في آثار هؤلاء رجاء أن يستأصلهم أو يصيب طرفا منهم فيكون قد نكب طائفة من المسلمين فأسرع السير فلم يلحقهم وجاؤوا حتى قدموا على المسلمين وجاء وردان فيمن معه حتى وافى جمع الروم بأجنادين فأمره عليهم واشتد أمرهم

وأقبل يزيد بن أبي سفيان حتى وافى أبا عبيدة وخالدا ثم أنهم ساروا حتى نزلوا بأجنادين وجاء عمرو بن العاص

فيمن معه فاجتمع المسلمون جميعا بأجنادين وتزاحف الناس غداة السبت
فخرج خالد فأنزل أبا عبيدة في الرجال وبعث معاذ بن جبل على الميمنة وسعيد بن عامر بن حذيم على المسيرة
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على الخيل

وأقبل خالد يسير في الناس لا يقر في مكان واحد يجرض الناس وقد أمر النساء المسلمين فاحتزمن وقمن وراء
الناس يدعون الله ويستغثنه وكلما مر بمن رجل من المسلمين رفعن أولادهن إليه وقلن لهم قاتلوا دون أولادكم
ونسائكم

وأقبل خالد يقف على كل قبيلة فيقول اتقوا الله عباد الله وقاتلوا في الله
من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم ولا تهنوا من عدوكم ولكن أقدموا كإقدام الأسد أو ينجلي الرعب
وأنتم أحرار كرام قد أوتيتم الدنيا واستوجبتكم على الله ثواب الآخرة ولا يهولنكم ما ترون من كثرتهم فإن الله
منزل رجزه وعقابه بهم وقال للناس إذا حملت فاحملوا

وقال معاذ بن جبل يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم لله فإنكم إن هزمتهم اليوم كانت لكم دار
السلام أبدا مع رضوان الله والثواب العظيم من الله

وكان من رأي خالد مدافعتهم وأن يؤخر القتال إلى صلاة الظهر عند مهب الأرواح وتلك الساعة التي كان
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يستحب القتال فيها فأعجله الروم فحملوا على المسلمين مرتين من قبل
الميمنة على معاذ بن جبل ومن قبل المسيرة على سعيد بن عامر فلم يتخلخل أحد منهم ورموا المسلمين بالنشاب
فنادى سعيد بن زيد وكان من أشد الناس يا خالد علام تستهدف هؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى
شمست الخيل فقال خالد للمسلمين احموا رحمتكم الله على اسم الله فحمل خالد والناس بأجمعهم فما واقفهم
فواقا وهزمهم الله فقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وأصابوا عسكرهم وما فيه
وأصاب إبان بن سعيد بن العاص نشابة فنزعها وعصبتها بعمامته فحمله إخوته فقال لا تنزعوا عمامتي عن
جرحي فلو قد نزعتموها تبعثها نفسي أما والله ما أحب أنما بحجر من جبل الحمر وهو جبل السماق فمات منها
يرحمه الله

وأبلى يومئذ بلاء حسنا وقاتل قتالا شديدا عظم فيه غناؤه وعرف به مكانه وكان قد تزوج أم أبان بنت عتبة
بن ربيعة وبني عليها فباتت عنده الليلة التي زحفوا للعدو في غدها فأصيب فقالت أم أبان هذه لما مات ما

كان أغنائني عن ليلة أبان

وقتل البعبوب بن عمرو بن ضريس المشجعي يومئذ سبعة من المشركين وكان شديدا جليدا فطعن طعنة كان
يرجى أن يبرأ منها فمكث أربعة أيام أو خمسة ثم انتقضت به فاستأذن أبا عبيدة أن يأذن له إلى أهله فإن يبرأ
رجع إليهم فأذن له فرجع إلى أهله بالعمر عمر المدائن فمات يرجمه الله فدفن هنالك

وقتل مسلمة بن هشام المخزومي ونعيم بن عدي بن صخر العدوي وهشام ابن العاص السهمي أخو عمرو بن
العاص وهبار بن سفيان وعبد الله بن عمرو بن الطفيل الدوسي وهو ابن ذي النور وكان من فرسان المسلمين
فقتلوا يومئذ يرجمهم الله

وقتل المسلمون في المعركة منهم ثلاثة آلاف واتبعوهم بأسروهم ويقتلونهم فخرج فل الروم بإيلياء وقيسارية

ودمشق وحصص فتحصنوا في المدائن العظام

وكتب خالد إلى أبي بكر

لعبد الله أبي بكر الصديق خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من خالد بن الوليد سيف الله المصوب على المشركين سلام عليك فإني أخبرك أيها الصديق أنا التقينا نحن والمشركون وقد جمعوا لنا جموعا جمة بأجنادين وقد رفعوا صلبهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفروا حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله فطاعناهم بالرمح شيئا ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بما مقدار جزر جزور ثم إن الله أنزل نصره وأنجز وعده وهزم الكافرين فقتلناهم في كل فج وشعب وحائط فالحمد لله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنع لأولياته والسلام عليك ورحمة الله

وبعث خالد بكتابه هذا مع عبد الرحمن بن حنبل الجمحي فلما قرئ على أبي بكر وهو مريض مرضه الذي توفاه الله فيه أعجبه ذلك وقال الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقر عيني بذلك

قال سهل بن سعد وكانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام كانت سنة ثلاث عشرة في جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه يوم السبت نصف النهار قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربع وعشرين ليلة

وذكر الطبري عن ابن إسحاق أن الذي كان على الروم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ثم ذكر عنه عن عروة بن الزبير أنه قال كان على الروم رجل منهم يقال له القبقلاق وكان هرقل استخلفه على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية وإليه انصرف تذارق ومن معه من الروم

قال ابن إسحاق فأما علماء أهل الشام فيزعمون أنه إنما كان على الروم تذارق فالله أعلم وعنه قال لما تدانى العسكران بعث القبقلاق رجلا عربيا فقال له ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوما وليلة ثم اتني بجبرهم فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر فأقام فيهم يوما وليلة ثم أتاه فقال له مه ما وراءك قال بالليل رهبان وبالنهار فرسان ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ولو زنى لرجم لإقامة الحق فيهم فقال له القبقلاق لئن صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ولوددت أن حظي من الله أن يجلي بيني وبينهم فلا ينصروني عليهم ولا ينصرهم علي ثم تراحف الناس فاقتتلوا فلما رأى القبقلاق ما رأى من قتالهم قال للروم لغوا رأسي بثوب قالوا له لم قال هذا يوم بئس ما أحب أن أراه ما رأيت من الدنيا يوما أشد من هذا قال فاحتز المسلمون رأسه وإنه للفف

وعن غير ابن إسحاق قال ثم إن خالد بن الوليد أمر الناس أن يسيروا إلى دمشق وأقبل بهم حتى نزلوها وقصد إلى ديره الذي كان ينزل به فنزله وهو من دمشق على ميل مما يلي باب الشرقي وبخالد يعرف ذلك الدير إلى اليوم وجاء أبو عبيدة حتى نزل على باب الجابية ونزل يزيد بن أبي سفيان على سفيان على جانب آخر من دمشق وأحاطوا بها وحاصروا أهلها حصارا شديدا

وقدم عبد الرحمن بن حنبل من عند أبي بكر بكتابه إلى خالد وأتى يزيد ابن أبي سفيان ومعه كان يكون فقال له يزيد هل لقيت أبي قال نعم قال فهل سألك عني قال نعم قال فما قلت له قال قلت له أن يزيد حازم الرأي متواضع في ولايته بئس البأس محبب في الإخوان يذل ما قدر عليه من فضله فقال أبو سفيان كذلك ينبغي لمثله أن يكون وطلب إلي أن أكتب إليه بما يكون من أمرنا وأن أعلمه حالنا فوعده ذلك

قال فخرج خالد بالمسلمين ذات يوم فأحاطوا بمدينة دمشق ودنوا من أبوابها فرماهم أهلها بالحجارة ورشقوهم من فوق السور بالنشاب فقال ابن حنبل وأبلغ أبا سفيان عنا فإننا على خير حال كان جيش يكوها وأنا على بالي دمشق نرتمي وقد حان من بابي دمشق حينها الطويل وقعة مرج الصفير

قال فإن المسلمين كذلك يقاتلونهم ويرجون فتح مدينتهم إذ أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جيش قد جاءكم من قبل ملك الروم فنهض خالد بالناس على تعبئة وهيئته فقدم الأتقال والنساء وخرج معهن يزيد بن أبي سفيان ووقف خالد وأبو عبيدة من وراء الناس ثم أقبلوا نحو ذلك الجيش فإذا هو درنجار بعته ملك الروم في خمسة آلاف رجل من أهل القوة والشدة ليغيث أهل دمشق فصمد المسلمون صمدهم وخرج إليهم أهل القوة من أهل دمشق وناس كثير من أهل حمص فالقوم نحو من خمسة عشر ألفا فلما نظر إليهم خالد عبأ أصحابه كتعبئته يوم أجنادين فجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة وعلى الخيل سعيد بن زيد وأبا عبيدة على الرجال وذهب خالد فوقف في أول الصف يريد أن يجرى الناس ثم نظر إلى الصف من أوله إلى آخره حتى حملت خيل لهم على خالد بن سعيد وكان واقفا في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يدعون الله ويقص عليهم فحملت طائفة منهم عليه فقاتلهم حتى قتل رحمه الله وحمل عليهم معاذ بن جبل من الميمنة فهزمهم وحمل عليهم خالد بن الوليد من الميسرة فهزم من يليه منهم وحمل سعيد بن زيد بالخيال على عظم جمعهم فهزمهم الله وقتلهم واجتثت عسكرهم ورجع الناس وقد ظفروا وقتلوهوم كل قتلة وذهب المشركون على وجوههم فممنهم من دخل مدينة دمشق مع أهلها ومنهم من رجع إلى حمص ومنهم من لحق بقيصر وعن عمرو بن محسن أن قتلهم يومئذ وهو يوم مرج الصفير كانت خمسمائة في المعركة وقد قتلوا وأسروا نحو من خمسمائة أخرى

وقال أبو أمامة فيما رواه عنه يزيد بن يزيد بن جابر كان بين أجنادين وبين يوم مرج الصفير عشرون يوما قال فحسبت ذلك فوجدته يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربعة أيام

ثم إن الناس أقبلوا عودهم على بدئهم حتى نزلوا دمشق فحاصروا أهلها وضيقوا عليهم وعجز أهلها عن قتال المسلمين ونزل خالد منزله الذي كان ينزل به على باب الشرقي ونزل أبو عبيدة منزلة على باب الجابية ونزل يزيد ابن أبي سفيان جانبا آخر فكان المسلمون يغيرون فكلما أصاب رجل نفلا جاء بنفله حتى يلقى في القبض لا يستحل أن يأخذ منه قليلا ولا كثيرا حتى إن الرجل منهم ليحيء بالكبة الغزل أو بالكبة الصوف أو الشعر أو المسلة أو الإبرة فيلقبها في القبض لا يستحل أن يأخذها فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم وسيرتهم فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة ووصفهم بالصلاة بالليل وطول القيام فقال هؤلاء رهبان بالليل أسد

بالنهار لا والله ما لي بمؤلاء طاقة وما لي في قتالهم خير

قال فراود المسلمين على الصلح فأخذ لا يعطيهم ما يرضيهم ولا يبايعونه على ما يسأل وهو في ذلك لا يمنعه من الصلح والفراغ إلا أنه قد بلغه أن قيصر يجمع الجموع للمسلمين يريد غزوهم فكان ذلك مما يمنعه من تعجيل الصلح

وعلى تعبئة ذلك بلغ المسلمين الخبر بوفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلافه عمر رضي الله عنهما وما تبع ذلك من صرف خالد بأبي عبيدة حسبما يأتي تفصيله وبيانه إن شاء الله تعالى

ذكر الخبر عن وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما كان من عهده إلى عمر بن الخطاب جزاهم الله عن دينه الحق أفضل الجزا

قد تقدم في بدء الردة وذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه من هذا الكتاب ما دل على ولاية عمر بعده من حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كالذي يروى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر ونيط برسول ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأماما ذكر من نوط بعضهم ببعض فلهذا هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بينما أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه والله يغفر له ضعف ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن واختلف أهل العلم في السبب الذي توفي منه أبو بكر فذكر الواقدي أنه اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما وقال الزبير بن بكار كان به طرف من السل وقال غيره أن أصل ابتداء ذلك السل به الوجد على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما قبضه الله إليه فما زال ذلك به حتى قضى منه وروى عن سلام بن أبي مطيع أنه رضي الله عنه سم وبعض من ذكر ذلك يقول أن اليهود سمته في أرزة وقيل في حريرة فمات بعد سنة وقيل

له لو أرسلت إلى الطبيب فقال قد رأي قالوا فما قال لك قال قال إني أفعل ما أريد وكذلك اختلفوا في حين وفاته فقال ابن إسحاق توفي يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وقال غيره من السير إنه مات عشي يوم الاثنين وقيل ليلة الثلاثاء وقيل عشي الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة وهذا هو الأكثر في وفاته

وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ودفن ليلا في بيت عائشة مع النبي {صلى الله عليه وسلم} وجعل رأسه عند كنف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وألصقوا لحده بلحده وجعل قبره مسطحا مثل قبر النبي {صلى الله عليه وسلم} ورش عليه بالماء

ولا يختلفون في أنه توفي ابن ثلاث وستين سنة وأنه استوفى بخلافته بعد الرسول صلوات الله عليه سن رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} التي توفاه الله لها
ويروى أنه رضي الله عنه لما احتضر وابنته عائشة حاضرة فأنشدت رضي الله عنهما
لعمرك ما يعني الشراء عن الفتى
إذا حشرت يوما وضاق بها الصدر
الطويل

رفع إليها رأسه وقال لا تقولي هذا يا بنيه أو ليس هكذا يا بنيه ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما
كنت منه تحيد ١٩ ق هكذا قرأها أبو بكر رضي الله عنه
وقالوا كان آخر ما تكلم به رب توفي مسلما وأخفني بالصالحين
وقال أبو بكر رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها وهو مريض في كم كفن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
فقال في ثلاثة أثواب بيض سحولية فقال أبو بكر خنوا هذا الثوب لثوب عليه قد أصابه مشق أو زعفران
فاغسلوه ثم كفنوني فيه مع ثوبين آخرين فقالت عائشة وما هذا فقال أبو بكر الحي أحوج إلى الجديد من الميت
وإنما هذا للمهلة

ولما توفي أبو بكر رحمه الله ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم قبض النبي {صلى الله عليه وسلم} فأقبل
علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعا باكيا مسترجعا حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وقد
سجي بثوب فقال رحمك الله يا أبو بكر كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله عز
وجل وأعظمهم غناء وأحدبهم على الإسلام وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكثرهم
سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا
وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عند الله فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله والمسلمين خيرا صدقت
رسول الله

حين كذبه الناس فسمك الله في كتابه صديقا فقال والذي جاء بالصدق محمد وصدق به أبو بكر وآسيته حين
بخلوا وقمت معه حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة أكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه
السكينة ورفيقة في الهجرة ومواطن الكريهة ثم خلفته في أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس وقمت بدين الله
قياما لم يقم به خليفة نبي قط قويت حين ضعف أصحابك وبلدت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا ولزمت
منهاج رسوله إذ هم أصحابه كنت خليفته حقا لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين وصغر الفاسقين وغيظ
الكافرين وكره الحاسدين فقامت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تنعتوا ومضيت بنور الله إذ وقفوا فاتبعوك
فهدوا وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوقا وأقلهم كلاما وأصوبهم منطلقا وأطولهم صمتا وأبلغهم قولا وكنت
أكبرهم رأيا وأشجعهم قلبا وأحسنهم عملا وأعرفهم بالأمر كنت والله للدين يعسوباً أولاً حين تفرق عنه
الناس وآخرها حين أقبلوا كنت للمؤمنين أبا رحيماً إذ صاروا عليك عيالا فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت
ما ضيعوا ورعيت ما أهملوا وشمرت إذ خنعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ جزعوا فأدرت أوتار ما طلبوا
ونالوا بك ما لم يحتسبوا كنت على الكافرين عذاباً صاباً وكنت للمسلمين غيثاً وخصباً فطرت والله بغنائها

وفزت بجباها وذهبت بفضائلها وأحرزت سوابقها لم تغفل حجتك ولم يزغ قلبك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم تخن كنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} آمن الناس عليه في صحبتك وذات يدك وكما قال ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله تعالى متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لأحد فيك مهمز ولا لقائل فيك معزم ولا لأحد فيك مطمع ولا عندك هوادة لأحد الضعيف الدليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك في ذلك سواء شأنك الحق والصدق والرفق

وقولك حكم وحتم ورأيك علم وعرف فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير واطفئت النيران واعتدل بك الدين وقوي الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون فسبقت والله سيقا بعيدا وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا وفزت بالحق فوزا مبينا فجلبت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام فإنما لله وإنا إليه راجعون رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره ولن يصاب المسلمون بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمتلك أبدا كنت للدين عزرا وكهفا وللمؤمنين حصنا وفتة وأنسا وعلى المنافقين غلظة وغيظا وكظما فأحقتك الله بميتة نبيك {صلى الله عليه وسلم} ولا حرمننا أجرك ولا أضلنا بعدك فإنما لله وإنا إليه راجعون

وأنصت الناس حتى قضى كلامه ثم بكى وبكوا وقالوا صدقت يا بن عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} استخلاف عمر بن الخطاب

وتقلد أمر الأمة وخلافة المسلمين بعد أبي بكر صاحبه ورفيقه وظهره ووزيره عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعهد أبي بكر إليه بذلك واستخلافه إياه عليه نظرا للدين ونصيحة لله وللأمة وذلك لما استعز بأبي بكر رضي الله عنه وجعه وثقل أرسل إلى عثمان وعلي ورجال من أهل السابقة والفضل من المهاجرين والأنصار فقال قد حضر ما ترون ولا بد من قائم بأمركم يجمع فنتكم ويمنع ظالمكم من الظلم ويرد على الضعيف حقه فإن شئتم اخترتم لأنفسكم وإن شئتم جعلتم ذلك إلي فوالله لا آلوكم ونفسي خيرا قالوا قد رضينا من اخترت لنا قال فقد اخترت عمر وقال لعثمان أكتب

هذا ما عهد أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حين يتوب الفاجر ويؤمن الكافر ويصدق الكاذب عهد أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن وعد الله حق وصدق المرسلون وأن محمدا رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى أنبيائه ورسوله وقد استخلفت

ولما انتهى أبو بكر إلى هذا الموضع ضعف ورهفته غشية فكتب عثمان وقد استخلف عمر بن الخطاب وأمسك حتى أفاق أبو بكر فقال أكتب شيئا قال نعم كتبت عمر بن الخطاب فقال رحمك الله أما لو كتبت نفسك لكنت لها أهلا فأكتب

قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدي عليكم ورضيته لكم فإن عدل فذلك ظني به ورأيي فيه وذلك أردت وما توفيقى إلا بالله وإن بدل فلكل

نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

والنوى عمر رضي الله عنه على أبي بكر رحمه الله في قبول عهده وقال لا أطيق القيام بأمر الناس فقال أبو بكر لأبنة عبد الرحمن إرفعي وناولني السيف فقال عمر أو تعفني قال لا فعند ذلك قبل

ذكر هذا كله أبو الحسن المدائني وذكر بإسناد له عن أبي هريرة وغيره أنه لما عهد أبو بكر إلى عمر عهده قال له يا عمر إن الله حقا في الليل لا يقبله في النهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل ولا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة وإنه يا عمر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا وإنه يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه يوم القيامة إلى الباطل أن يكون خفيفًا أم تر أنه نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبًا رهابًا فلا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيده إلى التهلكة ألم تر يا عمر أن الله ذكر أهل النار بسوء أعمالهم لأنه در عليهم ما كان لهم من حسن فإذا ذكركم قلت إني لأخشى أن أكون منهم وفي رواية عوضا من هذا فيقول قائل أنا خير منهم فيطمع وذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء فإذا ذكركم قلت إني مقصر أين عملي من أعمالهم وفي رواية عوضا من هذا فيقول قائل من أين أدرك درجاتهم ليجتهد فإن حفظت وصيتي يا عمر فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت وهو نازل بك وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب أكره لك من الموت ولست بمعجزه

وعن أسماء بنت عميس قالت لما أحس أبو بكر بنفسه أرسل إلى عمر فقال له يا عمر إني قد وليتك ما وليتك وقد صحبت رسول الله ورأيت

عمله وأثرته أنفسكم على نفسه وأهلكم على أهله حتى إن كنا لننظر نهددي إليه من فضل ما يأتينا من قبله وصحبتني ورأيتني وإنما اتبعت أثر من كان قبلي والله ما نمت فحملت ولا شبهت فتوهمت وإني لعلى السبيل ما زغت وإن أول ما أحذرك نفسك فإن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها شهوتها تمادت فيها ورغبت في غيرها

وفي حديث غير هذا وخذ هذه اللقحة فإنها من إبل الصدقة احتبسها للرسول إذا قدموا يصيبون من رسلها وخذ هذا البرد فإنني كنت أتجمل به للوفود وخذ هذا السقاء وهذه العلبة فإنها من متاع إبل الصدقة وعلي ثمانية آلاف درهم ويقال قال ستة آلاف أخذتها للرسول ولمن كان يغشانا فأدها من مالي فخرج عمر متأبطا البرد وقد حمل السقاء والعلبة يقود اللقحة بيكي ويقول يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده

ومات أبو بكر رحمه الله ودفن ليلا فلما أصبح عمر بعثت إليه عائشة بناضح وعبد حبشي كان يسقي لآل أبي بكر على ذلك الناضح وقطيفة فقبض عمر ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبي بكر ناضحا وعبدا أسود كان ينفعههم وقطيفة قيمتها خمسة دراهم قال فما ترى قال ترده عليهم قال لا ورب الكعبة لا يكون ذلك وأنا حي يخرج منه أبو بكر وأرده أنا على عياله

عمله وأثرته أنفسكم على نفسه وأهلكم على أهله حتى إن كنا لننظر نهددي إليه من فضل ما يأتينا من قبله وصحبتني ورأيتني وإنما اتبعت أثر من كان قبلي والله ما نمت فحملت ولا شبهت فتوهمت وإني لعلى السبيل ما زغت وإن أول ما أحذرك نفسك فإن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها شهوتها تمادت فيها ورغبت في غيرها

وفي حديث غير هذا وخذ هذه اللقحة فإنها من إبل الصدقة احتبستها للرسول إذ قدموا يصيبون من رسلها وخذ هذا البرد فإني كنت أتجمل به للوفود وخذ هذا السقاء وهذه العلبة فإنها من متاع إبل الصدقة وعلي ثمانية آلاف درهم ويقال قال ستة آلاف أخذتها للرسول ولمن كان يغشانا فأدها من مالي فخرج عمر متأبطا البرد وقد حمل السقاء والعلبة يقود اللقحة يبكي ويقول يرحم الله أبا بكر لقد اتعب من بعده

ومات أبو بكر رحمه الله ودفن ليلا فلما أصبح عمر بعثت إليه عائشة بناضح وعبد حبشي كان يسقي لآل أبي بكر على ذلك الناضح وقطيفة فقبض عمر ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبي بكر ناضحا وعبدا أسود كان ينفعهم وقطيفة قيمتها خمسة دراهم قال فما ترى قال ترده عليهم قال لا ورب الكعبة لا يكون ذلك وأنا حي يخرج منه أبو بكر وأرده أنا على عياله

وعن المسور بن مخرمة أو علقمة بن أبي الفغواء الخزاعي قال أرسل أبو بكر إلى عمر وهو مريض فأتاه فقال يا عمر إني كنت أرى الرأي فتشير علي بخلافه فأقم نفسي لك ألا إني قد عصيتك في استعمال شرحبيل بن حسنة وقلت أخاف ضعفه فقلت لك قد كان له في الإسلام نصيب وقد أحببت أن أبلوه فإن رأيت ما أحب أثبته وإن بلغني عنه ضعف استبدلت به فلا عليك أن تقره على عمله وكنت تنهاني عن يزيد بن أبي سفيان فقلت لك إن له موضعا في قريش ونشأ بخير وكان فيه وقد أحببت أن أقيم له شرفه فلا عليك أن تقره على عمله ورجل لم أوصك بمثله ولا أراك فاعلا قال تريد خالدا قال أريده فقال عمر أما شرحبيل بن حسنة فقد كنت أشير عليك أن لا تبعته وخفت ضعفه وأمرت أن تبتع مكانه عمار بن ياسر ولم يبلغنا عنه إلا خير ولست أعزله إلا أن يبلغني عنه ما لا أستحل معه تركه وأما يزيد فقلت لك غلام حديث السن لا سابقة له ابعت مكانه سعد بن أبي وقاص فلم يكن في أمره إلا خير ولا أعزله إلا أن يبلغني عنه ما لا أستحل معه تركه وأما خالد فوالله ما أعدك في أمره بما لا أفعل ولا أبدأ بأول من عزله وما كنت أرى لك أن تجعل مع أبي عبيدة ضدا وقد عرفت فضل أبي عبيدة فقال أبو بكر أما أي قد رأيت أبا عبيدة في مرضي هذا آخذنا بثوب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يتبعه ولنعم المتبع ورأيتني آخذنا بثوب أبي عبيدة ولنعم المتقدم ثم سمعت خسفا ورائي فالتفت فإذا أنت وإذا الظلمة فاستلحقتك وما أبالي إذا لحقت بمن تخلف فكأنني أسمع وقع نعليك حتى أخذت بثوبي والتفت فإذا نفر يخرجون من الظلمة يزدحمون فالنجاء النجاء يا عمر

وكانت من جماعة من المهاجرين موافقة لأبي بكر في استخلاف عمر ليس إلا لما كانوا يعرفون من غلظته فيقول أبو بكر هو والله إن شاء الله خيركم وقال لبعضهم إني أرى ما ترون ولو قد أفضي إليه أمركم لترك كثيرا مما ترون إني رمقته فإذا أغلظت في أمر أرائي التسهيل وإذا لنت في أمر تشدد فيه

وقال له طلحة والزبير ما أنت قائل لربك إذ وليته مع غلظته قال ساندوني فأجلسوه فقال أباالله تخوفوني أقول استعملت عليهم خير أهلك وحلفت ما تركت أحدا أشد حبا له من عمر ستعلمون إذا فارقتموه وتنافستموها ودخل عثمان وعلي فأخبرهما أبو بكر فقال عثمان علمي به أنه يخاف الله فوله فما فينا مثله وقال علي يا خليفة

رسول الله امض لرأيك فما نعلم إلا خيرا وخرجا ودخل عمر فقال أبو بكر كرهك كاره وأحبك محب قال لا حاجة لي بما قال اسكت إني ميت من مرضي هذا إني رأيت بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أني فقت ثلاث فوقات فدسعت في الآخرة طعاما فمرضت به مرضتين وهذه الثالثة فأنا ميت وإياك والأثرة على الناس وإياك والذخيرة فإن ذخيرة الإمام تملك دينه

ولما توفي أبو بكر رحمه الله كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة أما بعد فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} توفي فإننا لله وإنا إليه راجعون ورحمة الله على أبي بكر القائل بالحق والآمر بالقسط والآخذ بالعرف البر الشيم السهل القريب وأنا أرغب إلى الله في العصمة برحمته والعمل بطاعته والحلول في جنته إنه على كل شيء قدير والسلام عليك ورحمة الله وجاء بالكتاب يرفأ حتى أتى أبا عبيدة فقرأه فلم يسمع من أبي عبيدة حين قرأه شيء ينتفع به مقيم ولا طاعن ودعا أبو عبيدة معاذ بن جبل فأقرأه الكتاب فالتفت معاذ إلى الرسول فقال رحمة الله على أبي بكر ويح غيرك ما فعل المسلمون قال استخلف أبو بكر عمر فقال معاذ الحمد لله وفقوا وأصابوا فقال أبو عبيدة ما منعي من مسألته منذ قرأت الكتاب حتى دعوتك لقرائه إلا مخافة أن يستقبلني فيخبرني أن الوالي غير عمر فقال له الرسول يا أبا عبيدة إن عمر يقول لك أخبرني عن حال الناس وأخبرني عن خالد

ابن الوليد أي رجل هو وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص كيف هما في حالهما ونصيحتهما للمسلمين فقال أبو عبيدة أما خالد فخير أمير أنصح له لأهل الإسلام وأحسنه نظرا لهم وأشداه على عدوهم من الكفار ويزيد وعمرو في نصيحتهما وجاههما كما يجب عمر ونحب قال فأخبرني عن أخويك سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل قال قل له هما كما عهدت إلا أن تكون السن زادتهما في الدنيا زهادة وفي الآخرة رغبة قال ثم إن الرسول وثب لينصرف فقالا له سبحان الله انتظر نكتب معك فكتب

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يديك الشريف والوضيع والعدو والصديق والضعيف والشديد ولكل حصته من العدل فانظر كيف تكون عند ذلك يا عمر إنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر وتكشف فيه العورات وانقطع فيه الحجج وتزاح فيه العلل وتجب فيه القلوب وتعنو فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته فالناس له داخرون ينتظرون قضاءه ويخافون عقابه ويرجون رحمته

وإنا كنا نتحدث على عهد نبينا {صلى الله عليه وسلم} أنه سيكون في آخر الزمان ويروى في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا منك بغير المنزلة التي هو بها من أنفسنا والسلام

فمضى الرسول بهذا الكتاب وقال أبو عبيدة لمعاذ والله ما أمرنا عمر أن يظهر وفاة أبي بكر للناس ولا ننعاه إليهم فما أرى أن نذكر من ذلك شيئا دون أن يكون هو يذكره فقال له معاذ فإنك نعم ما رأيت فسكتا فلم يذكرنا للناس شيئا ولم يلبثا إلا مقدار ما قدم رسول عمر إليه حتى بعث إليهما بجواب كتابهما وبعهد أبي عبيدة وأمره بعظة الناس وكان جوابه عن كتابهما

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليكما فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أوصيكمما بتقوى الله فإنه رضاء ربكما وحفظ أنفسكما وغنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفریط العجزة وقد بلغني كتابكما تذكرا أنكما عهدتماي وأمر نفسي إلي مهم وما يدريكما وكتبتما تذكرا أني وليت أمر هذه الأمة يقعد بين يدي العدو والصدیق والقوي والضعيف ولكل علي حصته من العدل وتسألاني كيف بي عند ذلك وإنه لا حول ولا قوة إلا بالله وكتبتما تخوفاني بيوم هو آت يوم تجب فيه القلوب وتعنو فيه الوجوه وتنقطع فيه الحجج وتزيح فيه العلل لعزة ملك قهرهم بجبروته فالخلق له داخرون ينتظرون قضاءه ويخافون عقابه وكان ذلك قد كان هذا الليل والنهار يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود حتى يكون الناس بأعمالهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير وكتبتما تذكرا أنكما كنتما تحدثان على عهد رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أنه سيكون في آخر الزمان أخوان العلانية أعداء السريرة وأن هذا ليس بزمان ذلك ولا أنتم أولئك وإنما ذلكم إذا ظهرت الرغبة والرغبة وإذا كانت رغبة الناس بعضهم إلى بعض ورهبة بعضهم من بعض في صلاح دنياهم وكتبتما تعوذان بالله من أن أنزل كتابكما من قلبي سوى المكان الذي تنزلانه من قلوبكما فإنكما كتبتما لي نظرا لي وقد صدقتما ولا غنى بي عن كتابكما فتعاهداني بكتبكما والسلام

وذكر المدائني وغيره عن صالح بن كيسان قال أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد بن الوليد

أوصيك بتقوى الله الذي يبقي ويفني ما سواه الذي هدانا من الضلالة

وأخرجنا من الظلمات إلى النور وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق لله عليك لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ولا تبعث سرية إلا في كنف من الناس وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة وقد أبلاك الله وأبلى بك فغمض بصرك عن الدنيا وأله قلبك عنها وإياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وعن عباس بن سهل بن سعد قال قدم شداد بن أوس بعهد أبي عبيدة فدفعه إليه وشداد شك فنزل مع أبي عبيدة ومعاذ بن جبل في منزلهما وأمرهما واحد فكانا يقومان إليه حتى تماثل فمكث أبو عبيدة خمس عشرة ليلة يصلي خالد بالناس ويأمر بالأمر وما يعلم أن أبا عبيدة الأمير حتى جاء كتاب من عمر إلى أبي عبيدة فكره أن يخفيه وكان في كتابه إليه

أما بعد فإنك في كنف من المسلمين وعدد يكفي حصار دمشق فابعث سراياك في أرض حمص ودمشق وما سواهما من الشام ولا يبعثك قولي هذا على أن تعري عسكري فيطمع فيك عدوك ولكن انظر برأيك فما استغنيت عنه منهم فسيرهم وما احتجت إليه منهم فاحتبسهم عندك وليكن فيمن تحتبس عندك خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه والسلام

فلما قرأ أبو عبيدة كتابه على الناس قال خالد يرحم الله أبا بكر لو كان حيا ما عزلني وولي عمر فولى أبا عبيدة فعافى الله أبا عبيدة كيف لم يعلمني بولايته علي ثم أتى أبا عبيدة فقال له رحمك الله أنت الأمير والوالي علي ولا تعلمني وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك فقال له أبو عبيدة ما كنت لأعلمك به أبدا حتى تعلمه من عند

غيري وما سلطان الدنيا وإمارتها فإن كل ما ترى يصير إلى زوال وإنما نحن إخوان فإننا أمة أخوة أو أمر عليه لم يضره ذلك في دينه ولا دنياه بل لعل الوالي أن يكون أقربهما إلى الفتنة وأوقعهما بالخطيئة إلا من عصم الله وقليل ما هم

ذكر الخبر عما صار إليه أمر دمشق من الفتح والصلح بعد طول الحصار في خلافة عمر بن الخطاب

على نحو ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام

فتح دمشق

قالوا وتولى أبا عبيدة حصار دمشق وولى خالد القتال على الباب الذي كان عليه وهو باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال فحاصروا دمشق بعد مهلك أبي بكر رحمه الله وولايته حولا كاملا وأياما

وكان أهلها قد بعثوا إلى قيصر وهو بأنطاكية أن العرب قد حاصرتنا وضيقت علينا وليس لنا بهم طاقة وقد قاتلناهم مرارا فعجزنا عنهم فإن كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة فأمددنا وأغشنا وعجل علينا فإننا في ضيق وجهد وإلا فقد أعذرنا والقوم قد أعطونا الأمان ورضوا منا من الجزية باليسير

فأرسل إليهم أن تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم فإنكم إن صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم وأجبروكم على ترك دينكم واقتسموكم بينهم وأنا مسرح إليكم الجيوش في أثر رسولي

فانتظروا مدده و جيشه فلما أبطأ عليهم وأخ عليهم المسلمون بالتضييق وشدة الحصار ورأوا أن المسلمين لا يزدادون كل يوم إلا قوة وكثرة بعثوا إلى أبي عبيدة يسألونه الصلح وكان أبو عبيدة أحب إلى الروم وسكان الشام من خالد ابن الوليد وكان أن يكون كتاب الصلح من أبي عبيدة أحب إليهم لأنه كان أليهما

وأشدهما منهم استماعا وأقربهما منهم قربا وكان قد بلغهم أنه أقدمهما هجرة وإسلاما فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة وخالد ملح على الباب الذي يليه فأرسل صاحب دمشق إلى أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وأخ خالد على باب الشرقي ففتحته عنوة فقال لأبي عبيدة اقتلهم وأسبهم فإني قد فتحته عنوة فقال أبو عبيدة لا إني قد أمنتهم

ودخل المسلمون دمشق وتم الصلح وجاء الجيش من قبل أنطاكية مددا لأهل دمشق فلما قدموا بعلبك أتاهم الخبر بأن دمشق قد افتتحت وكان عليهم درنجاران عظيمان كل درنجار على خمسة آلاف فكانوا عشرة آلاف فأقاموا وبعثوا إلى ملكهم يخبرونه بالمكان الذي هم فيه وبالخبر الذي بلغهم عن دمشق

وذكر أبو جعفر الطبري أن شداد بن أوس هو الذي قدم الشام بوفاة أبي بكر ومعه محمية بن جزء ويرفأ فوجدوا المسلمين بالواقفة يقاتلون عدوهم فكتبوا الخبر حتى ظفر المسلمون فعند ذلك أخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وبولايته حرب الشام وعزل خالد

وعن محمد بن إسحاق أن المسلمين لما فرغوا من أجنادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمعت به رافضة الروم والمسلمون على أمرائهم فاقتتلوا فهزمت الروم ودخل المسلمون فحل ولحقت رافضة الروم بدمشق فسار المسلمون إلى دمشق وعلى مقدمة الناس خالد بن الوليد وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال

له باهان فالتقى المسلمون والروم حول دمشق فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزم الله الروم فدخلوا دمشق وجثم المسلمون عليها فربطوها حتى فتحت وقد كان الكتاب قدم على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد فاستحيا أبو عبيدة أن يعلم خالدا حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يدي خالد وكتب الكتاب باسمه فبعد ذلك أظهر أبو عبيدة إمارته فلما صالحت دمشق لحق باهان صاحب الروم بمركب وخالف سيف بن عمرو ما تقدم من المساق والتاريخ في أمر دمشق فذكر على ما سيأتي أن وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة وأن المسلمين ورد عليهم بالبريد بوفاة أبي بكر باليرموك في اليوم الذي هزمت الروم في آخره وأن عمر رحمه الله أمرهم بعد الفراغ من اليرموك بالمسير إلى دمشق وزعم أن فحلا كانت بعد دمشق خلافا لما ذكره ابن إسحاق من أنها كانت قبلها وأن رافضة فحل هم الذين صاروا إلى دمشق

وأما الواقدي فزعم أن فتح دمشق كان سنة أربع عشرة وكذا قال ابن إسحاق وزعم أن حصار المسلمون لها كان ستة أشهر وأن وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة وبعدها في تلك السنة بعينها جلا هرقل عن أنطاكية إلى قسطنطينية وأنه لم يكن بعد اليرموك وقعة وسنورد إن شاء الله مما أورده على اختلافه ما نبليغ به المقصود من الإمتاع وتذكير الناس بأيام الله فأما خبر دمشق من رواية سيف فذكر أنه لما هزم الله جند اليرموك وقمات أهل الواقصة وفرغ من المقاسم والأطفال وبعث بالأحماس وسرحت الوفود استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري كيلا تغتال برودة ولا تقطع الروم مواده وخرج أبو عبيدة حتى نزل بالصفيرين وهو يريد اتباع الفل ولا يدري أيجتمعون أو يفترقون فأتاه الخبر بأنهم أروا إلى فحل وبأن المدد قد أتى على دمشق من حصص فهو لا يدري أيدمشق يبدأ أم بفحل من بلاد الأردن فكتب في ذلك إلى عمر وأقام بالصفيرين ينتظر جوابه وكان عمر لما جاءه فتح اليرموك أقر الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فإنه ضم خالد إلى أبي عبيدة وأمر عمرا بمعونة الناس حتى تصير الحرب إلى فلسطين ثم يتولى حربها فلما جاء عمر كتاب أبي عبيدة كتب إليه أما بعد فابدعوا بدمشق واهلوا فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنهم أهل فحل بخيل تكون يازائهم في نخورهم ونخور أهل فلسطين وأهل حمص فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل دمشق من تمسك بها ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ودع شرحبيل وعمرا وأخلهما بالأردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته

فسرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة فيهم أبو الأعور وعمار بن مخش وهو قائد الناس وكانت الرؤساء تكون من الصحابة فساروا من الصفيرين حتى نزلوا قريبا من فحل فلما رأت الروم أن الجنود تريدهم بثقوا المياه حول فحل فأدرغت الأرض ثم وحلت واغتتم المسلمون ذلك فحبسوا عن المسلمين ثمانين ألف فارس وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحصص رداء وبعث علقمة بن حكيم ومسروق فكانا بين دمشق وفلسطين

والأمير يزيد وقدم خالد وأبو عبيدة وعمرو وشرحبيل على دمشق فنزلوا حواليتها وحاصروا أهلها حصارا شديدا نحو من سبعين ليلة وقتلواهم قتلا عظيما بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالديانة يرجون الغياث وهرقل منهم قريب بحمص ومدينة حمص بينه وبين المسلمين وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص

وجاءت جنود هرقل مغيثة لأهل دمشق فأشجتها لخيول التي مع ذي

الكلاع وشغلته فلما أيقن أهل دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا وألبسوا وازاد المسلمون طمعا فيهم وكانوا قبل يرون أنها كالعارات وأنه إذا جاء البرد قفل الناس فسقط النجم والمسلمون مقيمون فعند ذلك انقطع رجاء الروم وندموا على دخول دمشق واتفق أن ولد للبطريق الذي دخل على أهل دمشق مولود فصنع عليه طعاما فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمرهم شيء عيونه ذاكية وهو معني بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة السلام وأوهاقا فلما أمسى من ذلك اليوم نهد هو ومن معه من جنوده الذين قدم بهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومدعور بن عدي وأمثالهما وقالوا إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وأنهدوا للباب وأنتوا من الباب الذي كان خالد يليه فقطعوا الخندق سبحا على ظهورهم القرب ثم رموا بالحبال الشرف فلما ثبت لهم وهقان تسلق القعقاع ومدعور ثم لم يدعأ أحبولة إلا أثبتها والأوهاق بالشرف وكان المكان الذي اقتحموا منه خندقهم أحصن مكان يحيط بدمشق أكثره ماء وأشده مدخلا وتوافوا لذلك فلم يبق ممن دخل معه أحد إلا رقي أو دنا من الباب حتى إذا استوتوا على السور حذر عامة أصحابه وانحدر معهم فكبر الذين على رأس السور فنهده المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أول من يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار

أهل المدينة وفرغ سائر الناس فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل أهل كل ناحية مما يليهم وقطع خالد ومن معه إغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة أرز من أفلت إلى أهل الأبواب التي كان يليها غير خالد وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا فلم يفجأهم إلا وهم يبوحن لهم بالصلح فأجابهم المسلمون وقبلوا منهم ففتحوا لهم الأبواب وقالوا ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقي خالد والقواد في أواسطها هذا استعراضا وانتهابا وهذا صلحا وتسكينا فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار كل ذلك صلحا وكان صلح دمشق على مقاسمة الديار والعقار ودينار على كل رأس وعلى جريب من كل حرث أرض واقتسموا الأسلاب فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد ووقف ما كان للملوك ومن صوب معهم فينا وقسموا الذي الكلاع ومن معه ولأبي الأعور ومن معه وبعثوا بالبشارة إلى عمر وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر أن اصرف جند العراق إلى العراق وأمرهم بالحث إلى سعد ابن مالك فأمر عليهم أبو عبيدة هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبيه عمرو بن مالك الزهري وربيعي بن عامر وخرج هاشم نحو العراق في جند العراق وكانوا عشرة آلاف إلى من أصيب منهم فأموهم بأناس ممن لم يكن منهم كقيس والأشطر وخرج القواد نحو فحل وخرج علقمة

ومسروق إلى إيلياء فنزلا على طريقها وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قواد أهل اليمن عدد وبعث يزيد
دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد فتح دمشق إلى تدمر وأبا الزهراء القشيري إلى البشبية وحواران فصالحوهما
على صلح دمشق ووليا القيام على فتح ما بعثنا إليه
وكان الذي سار على الناس نحو فحل شرحبيل بن حسنة على ما ذكره

سيف عن أشياخه قالوا وبعث خالدنا على المقدمة وأبا عبيدة وعمرا على مجنبتيه وعلى الخيل ضرار بن الأزور
وعلى الرجال عياض وكرهوا أن يصمدوا لهرقل وخلفهم من الروم ثمانون ألفا بإزاء فحل ينظرون إليهم فلما
انتهوا إلى أبي الأعور قدموه إلى طبرية فحاصرها ونزلوا هم على فحل من أرض من الأردن وقد كان أهلها حين
نزل بهم أبو الأعور تركوها وأرزوا إلى بيسان وجعلوا بينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال وكتب
المسلمون إلى عمر بالخبر وأقاموا بفحل لا يريدون أن يرموها حتى يرجع جواب عمر ولا يستطيعون الإقدام
على العدو من مكائهم لما دونهم من الأوحال وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون مادتهم
متواصلة وخصبهم رغد ورجاء الروم أن يكون المسلمون على غرة فقصدوهم ليلا والمسلمون على حذر لا
يأمنون مجيئهم وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة فلما هجموا على المسلمين غافصوهم ولم
ينظروهم فافتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوا قط ليلتهم ويومهم إلى الليل فأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزموا
وقد أصيب رئيسهم سقلار بن مخراق والذي يليه فيهم نسطورس وظفر المسلمون بهم كأحسن الظفر وأهناه
وركيوهم وهم يرون أنهم على قصد فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم فاسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى
الوحد فركبوه ولحق بهم أوائل المسلمين وقد حلوا فيه فوخزوهم بالرمح وهم لا يمنعون يد لأمس وقتلوا في
الرداغ فما أفلت من أولئك الثمانين ألفا إلا الشريد وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البشوق
فكانت عوننا لهم على عدوهم وآية من الله ليزدادوا بصيرة وجدا واقتسموا ما أفاء الله عليهم وانصرف أبو
عبيدة بخالد من فحل إلى حمص وصرفوا بشير بن كعب معهم ومضوا بذى الكلاع ومن معه وخلوا شرحبيل بن
حسنة ومن معه

ذكر بيسان

ولما فرغ شرحبيل من وقعة فحل فهد بالناس إلى بيسان ومعه عمرو وبنزلوا عليها وأبو الأعور والقواد معه على
طبرية وقد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقيت دمشق وما لقي سقلار والروم بفحل وفي الردغة ومسير شرحبيل
إليهم فتحصنوا بكل مكان وحصر شرحبيل أهل بيسان أياما ثم خرجوا يقاتلون فقتل المسلمون من خرج إليهم
منهم وصالح بقية أهلها

ذكر طبرية

وبلغ أهل طبرية فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل ففعل وصالحهم شرحبيل وأهل بيسان على صلح
دمشق على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها فيدعوا لهم نصفًا ويأخذوا نصفًا
وعلى كل رأس دينار كل سنة ومن كل حرث أرض جريب بر أو شعير اي ذلك حرث وأشياء صالحوهم عليها

ونزلت القواد وحيولهم فيها
وتم صلح الأردن وتفرقت الأمداد في مدائنهم وقراها وكتب إلى عمر بالفتح
حديث مرج الروم من رواية سيف أيضا

قال خرج أبو عبيدة بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص وبمن تضيف إليهم من اليرموك فنزلوا جميعا على ذي
الكلاع وقد بلغ الخبر هرقل فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم
وجمعهم هذا به وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل
عليه شنس الرومي في مثل خيل ت وذرا إمدادا لتوذرا وردءا لأهل حمص فنزل في عسكره على حدة فلما كان
من الليل فر توذرا فأصبحت الأرض منه بلاقع وكان خالد يازائه وأبو عبيدة يازاء شنس وأتى خالد الخبر
برحيل توذرا إلى جهة دمشق فأجمع رأيه ورأي أبي عبيدة أن يتبعه خالد فأتبعه من ليلته في جريدة وبلغ يزيد بن
أبي سفيان ما فعل توذرا فاستقبله فاقبئلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فأخذهم من خلفهم فقتلوا من بين
أيديهم ومن خلفهم فلم يفلت منهم إلا الشريد وقتل يزيد توذرا وأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهر وأداة
وثياب وقسم ذلك يزيد على أصحابه وأصحاب خالد ثم انصرف يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة
وبعد خروج خالد في أثر توذرا ناهد أبو عبيدة شنس فاقبئلوا بمرج الروم فقتلهم أبو عبيدة مقتلة عظيمة حتى
امتأل المرج من قتلاهم وأنتنت منهم

الأرض وقتل أبو عبيدة شنس وهرب من هرب منهم فلم يقلهم وركب أقاءهم إلى حمص
فهذا ما ذكر سيف من حديث دمشق وفحل ومرج الروم وسائر ما ذكر معها أوردناه مهذبا مقربا ثم نعود إلى
تمة ما وقع في كتب فتوح الشام مما يخالف ما ذكره سيف من بعض الوجوه ليوقف على كل ما ذكره مما
اتفقوا عليه واختلفوا فيه

قالوا إن أبا عبيدة لما ظهر على دمشق أمر عمرو بن العاص بالمسير إلى أرض الأردن وفلسطين فيكون فيما
بينهما ولا يقدم على المدينتين وجمع الروم بهما ولكن ينزل أطراف الرساتيق ويغير بالخيال عليهم من كل جانب
ويصالح من صالحه

فخرج عمرو حتى واقع أرض الأردن فلما بلغ أهل الأردن وفلسطين فتح دمشق وتوجه الجيش إليهم هالمهم
ذلك ورعبهم وأشفقوا على مدائنهم أن تفتح فاجتمع من كان بها من الروم ونزلوا من حصونهم ووافاهم أهل
البلد وكثير من نصارى العرب فكثرت جمعهم وكتبوا إلى قيصر يستمدونه وهو بأنطاكية فبعث إلى أولئك الذين
كان وجههم مددا لأهل دمشق فأقاموا ببعليك لما بلغهم خبر فتحها أن يسيروا إليهم
وكتب عمرو إلى أبي عبيدة

أما بعد فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق فاجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين فعسكروا وقد تعاقبوا
وتواتقوا وتحالفوا بالله لا يرجعون إلى النساء والأولاد أو يخرجون العرب من بلادهم والله مكذب أملهم ومبطل
قولهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فاكتب إلي برأيك في هذا الحديث أرشد
الله رأيك وسددك وأدام رشدك والسلام

وقدم بهذا الكتاب رسول عمرو وقد استشار أبو عبيدة أصحابه في المسير بهم إلى حمص وقال وان الله تعالى قد

فتح هذه المدينة يعني دمشق وهي من أعظم مدائن الشام وقد رأيت أن أسير إلى حمص لعل الله يفتحها علينا وهذا عمرو بن العاص من ورائنا فلسنا نتخوف أن نؤتى من هناك فقال له خالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان ومعاذ بن جبل ورؤوس المسلمين فإنك قد أصبت ووقفت فسر بنا إليهم

فإنهم لكذلك في هذا الرأي إذ قدم عليهم كتاب عمرو الذي تقدم فلما قرأه أبو عبيدة ألقاه إلى خالد وقال قد حدث أمر غير ما كنا فيه ثم قرأوا الكتاب على من حضرهم فقال يزيد أمدد عمرا ومره بمواقعة القوم وأقم أنت بمكانك فقال أبو عبيدة ماذا ترى أنت يا خالد قال أرى أن تنظر ما يصنع هذا الجيش الذي ببعلبك فإن هم ساروا منها إلى إخوانهم سرت إلى إخوانك فلقيتهم بجماعة المسلمين وإن هم أقاموا أمددت عمرا وبعثت إلى هؤلاء من يقاتلهم وأقمت أنت بمكانك فقال له نعم ما رأيت فسير أبو عبيدة شرحبيل ابن حسنة إلى عمرو وقال له لا تخالفه فخرج شرحبيل في ألفين وثمانمائة فقدم على عمرو وعمرو في ألفين وخمسمائة وقال أبو عبيدة لخالد ما لهذا الجيش النازل ببعلبك إلا أنا وأنت أو يزيد فقال له خالد لا بل أنا أسير إليهم فقال أنت لهم

فبعثه أبو عبيدة في خمسة آلاف فارس وخرج معه يشيعه فسار معه قليلا فقال له خالد ارجع رحمك الله إلى عسكريك فقال له يا خالد أوصيك بتقوى الله وإذا أنت لقيت القوم فلا تناظرهم ولا تطاولهم في حصونهم ولا تذرهم يأكلون ويشربون وينتظرون أن تأتيهم أمدادهم وإذا لقيتهم فقاتلهم فإنك إن هزمتهم انقطع رجاؤهم وإن احتجت إلى مدد فأعلمني حتى يأتيك من المدد حاجتك وإن احتجت أن آتيك بنفسي أتيك إن شاء الله ثم أخذ

بيده فودعه ثم انصرف عنه

ويجيء رسول قيصر إلى الذين ببعلبك فأمرهم باللحاق بأولئك الذين اجتمعوا ببيسان فخرجوا إليهم وأخرجوا معهم ناسا كثيرا من أهل بعلبك وأتاهم ناس كثير من أهل حمص غضبا لدينهم وشفقا من أن تفتح مدينتهم كما فتحت دمشق فخرجوا وهم أكثر من عشرين ألفا متوجهين إلى الجمع الذي ببيسان منهم وجاء خالد حتى انتهى إلى بعلبك فأخبر الخبر فأغار على نواحي بعلبك فقتل وسبى واستاق من المغانم شيئا كثيرا وأقبل راجعا إلى أبي عبيدة فأخبره واجتمع رأيهم على أن يسير أبو عبيدة بجماعة الناس إلى ذلك الجمع من الروم فقدم خالد في ألف وخمسمائة فارس أمامهم وأمره بالإسراع إلى عمرو وأصحابه ليشد الله بهم ظهورهم وليرى الروم أن المسلمين قد أتوهم فأقبل خالد مسرعا في آثار الروم فلحقهم وقد دخل أوائلهم عسكريهم فحمل على أخرياتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب كثيرا من أثقالهم وأفلت من أفلت منهم منهزمين حتى دخلوا عسكريهم وجاء خالد في خيله حتى نزل قريبا من عمرو وفرح المسلمون بهم وكان عمرو يصلي بأصحابه الذين كانوا معه وخالد يصلي بأصحاب الخيل التي أقبل فيها

وقعة فحل حسيما في كتب فتوح الشام

قالوا فلما بلغ الروم أن أبا عبيدة قد أقبل إليهم تحولوا إلى فحل فنزلوا بها وجاء المسلمون بأجمعهم حتى نزلوا بهم وخرج علقمة بن الأرت فجمع من أطاعه من بني القين وجاءت لحم وجدام وعاملة وغسان وقبائل من قضاة فدخلوا مع المسلمين وأخذ أهل البلد من النصراري يرسلون المسلمين فيقدمون رجلا ويؤخرون أخرى ويقولون أنتم أحب إلينا من الروم وإن كنتم على غير ديننا أنتم أوفى لنا وأراف بنا وأكف عن ظلمنا ولكنهم غلبونا على أمرنا فيقول لهم المسلمون إن هذا ليس بنا فعمكم عندنا ما لم تعتقدوا منا الذمة وإنا إن ظهرنا عليكم كان لنا أن نسيبكم ونستعبدكم وإن اعتقدتم منا الذمة سلمتم من ذلك فكانوا يتربصون وينتظرون ما يكون من أمر قيصر وقد بلغهم أنه بعث إلى أقاصي بلاده وإلى كل من كان على دينه ممن حوله وأهم في كل يوم يقدمون عليه ويسقطون إليه فهم ينتظرون ما يكون منه وهم مع ذلك بموضعهم بين الثلاثين ألفا والأربعين ألفا وكان المسلمون حيث نزلوا بهم ليس شيء أحب إليهم من معاجلتهم وكانوا هم ليس شيء أحب إليهم من مطاولة المسلمين رجاء المدد من صاحبهم ولأن المسلمين ليسوا في مثل ما الروم فيه من الخصب والكفاية وأقبلت الروم يبتقون المياه بينهم وبين المسلمين ليطاولوهم وأقبل المسلمون يخوضون إليهم الماء ويمشوا في الوحل فلما رأى ذلك الروم وأنه لا يمنعهم منهم شيء خرجوا فعمسكروا وتيسروا للقتال ووطنوا أنفسهم عليه وكانوا كل يوم

في زيادة من الأمداد الواصلة إليهم

فأمر أبو عبيدة المسلمين حيث بلغه ذلك أن يغيروا عليهم وعلى ما حولهم من القرى والسواد والرساتيق ففعلوا وقطعوا عنهم بذلك المادة والميرة

فلما رأى ذلك ابن الجعد أتى أبا عبيدة فصالحه على سواد الأردن وكتب له كتابا

وكان صفوان بن المعطل ومعن بن يزيد بن الأحنس السلميان قد خرجا في خيل لهما فأغارا فغنما فلما انصرفا عرضت لهم الروم فقاتلوهم وإنما كان المسلمون في نحو من مائة رجل والروم في خمسة آلاف مع درنجار عظيم منهم فطاردوهم وصبروا لهم واحتسبوا في قتالهم ثم إن الروم غلبوهم على غنيمتهم وجاء حابس بن سعد الطائي في نحو من مائة رجل فحمل عليهم فزالوا غير بعيد ثم حملوا عليه فردوه وأصحابه حتى ألقوهم بالمسلمين ثم انصرفوا وقد بغوا وهم يعدون هذا ظفرا ولم يقتلوا أحدا ولم يهزموا جمعا فلما انصرفوا إلى عسكرهم أرسلوا إلى أبي عبيدة أن اخرج أنت ومن معك من بلادنا التي تنبت الحنطة والشعير والفواكه والأعناب فلستم لها بأهل وارجعوا إلى بلادكم بلاد البؤس والشقاء وإلا أتيناكم فيما لا قبل لكم به ثم لم ننصرف عنكم وفيكم عين تطرف

فرد عليهم أبو عبيدة أما قولكم أخرجوا من بلادنا فلستم لها بأهل فلعمري ما كنا لنخرج عنها وقد أورثناها الله ونزعها من أيديكم وإنما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله والله ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء وأما قولكم في بلادنا أنها بلاد البؤس والشقاء فصدقتم إنما كذلك وقد أبدلنا الله بها بلادكم بلاد العيش الرفيع والسعر الرخيص والجناب الخصب فلا تحسبونا تاركها ولا منصرفين عنها حتى نفيكم أو نخرجكم منها ولكن أقيموا فوالله لا نجشمكم أن تأتونا ولنا تينكم إن أنتم أقمتم لنا فلا نبرح حتى نبعد خضراءكم ونستأصل شأفتكم إن شاء الله تعالى

فلما جاءهم ذلك عنهم أيقنوا بجد القوم فأرسلوا إليهم أن ابعتوا إلينا رجلا من صلحائكم نسأله عما تريدون وما تسألون وما تدعون إليه ونخبره بذات أنفسنا وندعوكم إلى حظكم إن قبلتم

فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل فأتاهم على فرس له فلما دنا منهم نزل عن فرسه ثم أخذ بلجامه وأقبل إليهم يقوده فقالوا لبعض غلمانهم انطلق إليه فأمسك له فرسه فجاء الغلام ليفعل فقال له معاذ أنا أمسك فرسي لا أريد أن يمسه أحد غيري وأقبل يمشي إليهم فإذا هم هلى فرش وبسط ومارق تكاد الأبصار تغشى منها فلما دنا من تلك الشيا ب قام قائما فقال له رجل منهم أعطني هذه الدابة أمسكها لك وادن أنت فاجلس مع هذه الملوك مجالسهم فإنه ليس كل أحد يقدر أن يجلس معهم وقد بلغهم عنك صلاح وفضل فيمن أنت منه فهم يكرهون أن يكلموك جلوسا وأنت قائم فقال لهم معاذ والترجمان يفسر لهم ما يقول إن نبينا {صلى الله عليه وسلم} أمرنا أن لا نقوم لأحد من خلق الله ولا يكون قيامنا إلا لله في الصلاة والعبادة والرغبة إليه فليس قيامي هذا لكم ولكن قمت إعظاما للمشي على هذه البسط والجلوس على هذه النمارق التي استأثرت بها على ضعفائكم وإنما هي من زينة الدنيا وغرورها وقد زهد الله في الدنيا وذمها ونهى عن البغي والسرف فيها فأنا أجلس هاهنا على الأرض وكلموني أنتم بمحبتكم من ثم وأقيموا الترجمان بيني وبينكم يفهمني ما تقولون ويفهمكم ما أقول ثم أمسك برأس فرسه وجلس على الأرض عند طرف البساط فقالوا له لو دنوت فجلست معنا كان أكرم لك إن جلوسك مع هذه الملوك على هذه المجالس مكرمة لك وإن جلوسك على الأرض متنتحيا صنيع العبد بنفسه فلا نراك إلا قد أزريت بنفسك فلما أخبره الترجمان بمقاتلتهم جثا على ركبتيه واستقبل القوم بوجهه وقال للترجمان قل لهم إن كانت هذه المكرمة التي تدعونني إليها استأثرت بها على من هو مثلكم إنما هي للدنيا فلا حاجة لنا في شرف الدنيا ولا في فخرها وإن زعمتم أن هذه المجالس والدنيا التي في أيدي عظمائكم وهم مستأثرون بها على ضعفائكم مكرمة لمن كانت في يده منكم

عند الله فهذا خطأ من قولكم وجور من فعلكم ولا يدرك ما عند الله بالخطأ ولا بخلاف ما جاء به الأنبياء عن الله من الزهادة في الدنيا وأما قولكم إن جلوسي على الأرض متنتحيا صنيع العبد بنفسه ألا فصنيع العبد بنفسه صنعت أنا عبد من عبيد الله جلست على بساط الله ولا استأثرت من مال الله بشيء على إخواني من أولياء الله وأما قولكم أزريت بنفسي في مجلسي فإن كان ذلك إنما هو عندهم وليس كذلك عند الله فلست أبالي كيف كانت منزلي عندكم إذا كنت عند الله على غير ذلك وإن قلت أن ذلك عند الله فقد أخطأتم خطأ بينا لأن أحب عباد الله إلى الله المتواضعون لله القريبون من عباد الله الذين لا يشغلون أنفسهم بالدنيا ولا يدعون التماس نصيبهم من الآخرة

فلما فسر لهم الترجمان هذا الكلام نظر بعضهم إلى بعض وتعجبوا مما سمعوا منه وقالوا لترجمائهم قل له أنت افضل أصحابك فلما قال له قال معاذ الله أن أقول ذلك وليتني لا أكون شرهم فسكتوا عنه ساعة لا يكلمونه وتكلموا فيما بينهم فلما رأى ذلك قال لترجمائهم إن كانت لهم حاجة في كلامي وإلا انصرفت عنهم فلما أخبرهم قالوا قل له أخبرونا ما تطلبون وإلام تدعون ولماذا دخلتم بلادنا وتركتكم أرض الحبشة وليسوا منكم بعيد وأهل فارس وقد هلك ملكهم وهلك ابنه وإنما يملكهم اليوم النساء ونحن ملكنا حي وجنودنا عظيمة وإن أنتم افتتحتم من مدائننا مدينة أو من قرانا قرية أو من حصوننا حصنا أو هزمتم لنا جندا أظننتم أنكم ظفرتم

بجماعتنا أو قطعتم عنكم حربنا وفرغتم مما وراءنا ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض وأخبرونا بما تستحلون قتالنا وأنتم تؤمنون بنبينا وكتابنا

فلما قالوا هذا القول وفسره الترجمان لمعاذ سكتوا فقال معاذ للترجمان أقد فرغوا قال نعم قال فأفهم عني إن أول ما أنا ذاكر حمدا لله الذي لا إله إلا هو والصلاة على محمد {صلى الله عليه وسلم} وأول ما أدعوكم إليه أن تؤمنوا بالله وحده وبمحمد {صلى الله عليه وسلم} وأن تصلوا صلاتنا وتستقبلوا قبلتنا وأن تستسنوا بسنة نبينا

وتكسروا الصليب وتجتنبوا شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم أنتم منا ونحن منكم وأنتم إخواننا في ديننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فأدوا الجزية في كل عام إلينا عن يد وأنتم صاغرون فإن أنتم أبيتم هاتين الخصلتين فليس شيء مما خلق الله نحن قابلوه منكم فابروا إلينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فهذا ما نأمركم به وما ندعوكم إليه

وأما قولكم ما أدخلكم بلادنا وتركتم أرض الحبشة وليسوا منكم بيعيد وأهل فارس وقد هلك ملكهم فإني أخبركم عن ذلك ما بدأنا بقتالكم أن يكونوا أثر عندنا منكم إنكم جميعا لسواء وما حابيناهم بالكف عنهم إذ بدأنا بكم ولكن الله تبارك وتعالى أنزل في كتابه على نبينا {صلى الله عليه وسلم} يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ١٢٢ التوبة فكنتم أقرب إلينا منهم فبدأنا بكم لذلك ثم لقد أنتمهم طائفة منا بعدنا فإنهم اليوم ليقاتلوهم وإنا لنرجو أن يعزهم الله ويفتح عليهم وأما قولكم إن ملكنا حي وإن جنودنا عظيمة وإنا عدد نجوم السماء وحصى الأرض وتؤيسونا من الظهور عليكم فإن الأمر في ذلك ليس إليكم وإن الأمور كلها لله وكل شيء في قبضته وقدرته وإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون فإن يكن ملككم هرقل فإنما ملكنا نحن الله تبارك وتعالى وأميرنا رجل منا إن عمل فينا بكتاب ربنا وسنة نبينا أقرناه وإن غير عزلناه ولا يحتجب منا ولا يتكبر علينا ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاء الله عز وجل علينا وهو فيه كرجل منا وأما جنودنا فإنها وإن عظمت وكثرت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض فإننا لا ننق بها ولا نتكل عليها ولكننا نتبرأ من الحول والقوة ونتوكل على الله ونتق به وكم من فئة قليلة قد أعزها الله ونصرها وأعانها وكم من فئة كثيرة قد أذها الله سبحانه وأهانها قال الله تبارك وتعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ٢٤٩ البقرة

وأما قولكم كيف تستحلون قتالنا وأنتم مؤمنون بنبينا وكتابنا فأنا أخبركم

عن ذلك نحن نؤمن بنبينا ونشهد أنه عبد من عباد الله ورسول من رسل الله وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ولا نقول إنه الله ولا إنه ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا أن الله عز وجل ولدا ولا صاحبة ولا أن مع الله آلهة أخرى لا إله إلا هو تعالى عما تقولون علوا كبيرا وأنتم تقولون في عيسى قولا عظيما ولو أنكم قلتم في عيسى كما نقول وآمنتم بنبوة نبينا {صلى الله عليه وسلم} كما تجدونه في كتابكم وكما تؤمن نحن بنبينا وأقررتم بما جاء به من عند الله ووحدهم الله ما قاتلناكم بل سالناكم وواليناكم وقاتلنا عدوكم معكم

فلما فرغ معاذ من مخاطبتهم قالوا له ما نرى ما بيننا وبينكم إلا متباعدة وقد بقيت خصله ونحن عارضوها عليكم فإن قبلتموها منا فهو خير لكم وإن أبيتم فهو شر لكم نعطيكم اللقاء وما إلى أرضكم من سواد الأردن وتتحولون عن بقية أرضنا وعن مدائننا ونكتب عليكم كتابا نسمة فيه خياركم وصلحاءكم ونأخذ فيه عهدكم ومواثيقكم أن لا تطلبوا من أرضنا غير ما صالحناكم عليه وعليكم بأهل فارس فقاتلوهم ونحن نعينكم عليهم حتى تقتلوهم أو تظهروا عليهم

فقال لهم معاذ هذا الذي تعطوننا هو كله في أيدينا ولو أعطيتونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاث التي وصفت لكم ما فعلنا

فغضبوا وقالوا أنتقرب منك وتتباعد منا اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لنرجو أن نقرنكم غدا في الحبال فقال معاذ أما في الحبال فلا ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا أو لنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ثم انصرف إلى أبي عبيدة فأخبره بما قالوا وما رد عليهم فإنهم لكذلك إذ بعثوا إلى أبي عبيدة

إنك بعثت إلينا رجلا لا يقبل النصف ولا يريد الصلح فلا ندري أعن رأيك ذلك أم لا وإنا نريد أن نبعث إليك رجلا منا يعرض عليك النصف

ويدعوك إلى الصلح فإن قبلت ذلك منه فلعله يكون خيرا لنا ولك وإن أبيت فلا نراه إلا شرا لك

فقال له أبو عبيدة ابعتوا من شئتم فبعثوا إليه رجلا منهم طويلا أحمر أزرق فلما جاء المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من القوم ولم يدر أفيهم هو أم لا ولم ير هيبه مكان أمير فقال يا معشر العرب أين أميركم قالوا له هو ذا فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالسا على الأرض عليه الدرع وهو متنكب القوس وفي يده أسهم يقبلها فقال له أنت أمير هؤلاء الناس قال نعم قال فما جلوسك على الأرض رأيت لو كنت جالسا على وسادة أو كان تحتك بساط أكان ذلك واضعك عند الله أو مباعذك من الإحسان فقال أبو عبيدة إن الله لا يستحيي من الحق لأصدقك عما قلت ما أصبحت أملك دينارا ولا درهما وما أملك إلا فرسي وسلاحي ولقد احتجت أمس إلى نفقة فلم تكن عندي حتى استقرضت أخي هذا يعني معاذ نفقة كانت عنده فأقرضنيها ولو كان عندي أيضا بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون أصحابي وإخواني وأجلس على الأرض أخي المسلم الذي لا أدري لعله عند الله خير مني ونحن عباد الله نمشي على الأرض ونأكل على الأرض ونجلس عليها ونضطجع عليها وليس بناقصنا ذلك عند الله شيئا بل يعظم الله به أجورنا ويرفع به درجاتنا هات حاجتك التي جئت لها

فقال الرومي إنه ليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض إليه من البغي والفساد وإنكم قد دخلتم بلادنا فظهر منكم فيها الفساد والبغي وقل ما بغى قوم وأفسدوا في الأرض إلا عمهم الله بهلاك وإنا نعرض عليكم أمرا فيه حظ إن قبلتموه إن شئتم أعطيناكم دينارين دينارين وثوبا ثوبا وأعطيناك أنت ألف دينار ونعطي الأمير الذي فوقك يعنون عمر بن الخطاب ألفي دينار وتنصرفون عنا وإن شئتم أعطيناكم اللقاء وما إلى أرضكم من سواد الأردن

وخرجتم من مدائننا وأرضنا وكتبنا فيما بيننا وبينكم كتابا يستوثق فيه بعضنا من بعض بالأيمان المغلظة لتقومن بما فيه ولنفيين بما عاهدنا الله عليه

فقال أبو عبيدة إن الله تعالى بعث فينا رسولا تنبأه وأنزل عليه كتابا حكيمًا وأمره أن يدعو الناس إلى عبادته رحمة منه للعالمين فقال لهم إن الله إله واحد عزيز حكيم علي مجيد وهو خالق كل شيء وليس كمثلته شيء فوحدوا الله الذي لا إله إلا هو ولا تتخذوا معه إلهًا آخر فإن كل شيء يعبده الناس دونه فهو خلقه وإذا أتيتهم المشركين فأدعوهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإقرار بما جاء به من ربه فمن آمن وصدق فهو أخوكم في دينكم له ما لكم وعليه ما عليكم ومن أبي فاعرضوا عليهم أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فإن أبوا أن يؤمنوا أو يؤدوا الجزية فقاتلوهم فإن قتلتمكم المحتسب بنفسه شهيد عند الله في جنات النعيم وقتيل عدوكم في النار فإن قتلتم ما سمعتم فذاكم وإن أبيتم فأبرزنا إلینا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الرومي فقد أبيتم إلا هذا فقال أبو عبيدة نعم فقال أما والله على ذلك إني لأراكم ستتمنون أنكم قتلتم منا دون ما عرضنا عليكم فقال أبو عبيدة لا والله لا نقبل هذا منك ولا من غيرك أبدا فانصرف الرومي رافعا يديه إلى السماء يقول اللهم إنا قد أنصفناهم فأبوا اللهم فانصرنا عليهم

ووثب أبو عبيدة مكانه فسار في الناس وقال أصبحوا أيها الناس وأنتم تحت راياتكم وعلى مصافكم فأصبح الناس وخرجوا على تعبتهم ومصافهم وكتب أبو عبيدة إلى عمر

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الروم قد أقبلت فنزلت طائفة منهم فحلا مع أهلها وقد سارع إليهم أهل البلد ومن كان على دينهم من العرب وقد أرسلوا إلي أن اخرجوا من بلادنا فإنكم لستم هذه البلاد التي تنبت الحنطة والشعير والفواكه والأعناب أهلا والحقوا ببلادكم بلاد الشقاء والبؤس فإن أنتم لم تفعلوا سرنا إليكم بما لا قبل لكم به ثم أعطينا الله عهدا أن لا ننصرف عنكم وفيكم عين تطرف فأرسلت إليهم

أما قولكم أخرجوا من بلادنا فلستم لما تنبت أهلا فلعمري ما كنا لنخرج عنها وقد أورثناها الله تعالى ونزعها من أيديكم وإنما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله وهو سبحانه ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء

وأما ما ذكرتم من بلادنا وزعمتم أنها بلاد البؤس والشقاء فقد صدقتم وقد أبدلنا الله بها بلادكم بلاد العيش الرفيع والسعر الرخيص والجناب الخصب فلا تحسبونا تاركها ولا منصرفين عنها ولكن أقيموا لنا فوالله لا نجشمكم إتياننا ولنا تينكم إن أقمتم لنا

وكتبت إليك حين هضت إليهم متوكلا على الله راضيا بقضاء الله واثقا بنصر الله فكفانا الله وإياك كيد كل كائد وحسد كل حاسد ونصر الله أهل دينه نصرا عزيزا وفتح لهم فتحا يسيرا وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا والسلام عليك

ودفع أبو عبيدة هذا الكتاب إلى نبطي من أنباط الشام وقال له أتت به أمير المؤمنين ثم هض هو إلى الروم بجماعة المسلمين فدنا منهم وتعرضت خيل المسلمين لهم فلم يخرجوا يومئذ فانصرف المسلمون عنهم من غير قتال وتأخر النبطي عن المسير حتى انصرف المسلمون فذهب عند ذلك بالكتاب وقد كان أبو عبيدة بعثه أول

النهار فلما قدم على عمر رحمه الله وقرأ كتابه قال له ويحك هل علمت أو بلغت ما كان من أمر المسلمين فإن أبا عبيدة كتب إلي يخبرني أنه كتب إلي حين نهض إلى المشركين فقال له أصلحك الله فياني لم أبرح يومئذ حتى رجع المسلمون عنهم وكانوا زحفوا إليهم وتعرضت خيلهم لهم فلم يخرج النصارى إليهم فانصرف المسلمون إلى عسكريهم وهم أطيب شيء أنفسا وأحسن شيء حالا قال فأنت ما حبسك يومئذ إلى العشي لم

تقبل بالكتاب وقد دفعه إليك أبو عبيدة أول النهار قال ظننت أنك ستسألني عما سألتني عنه الساعة فأحببت أن يكون عندي علم ما تسألني عنه قال له عمر ويحك ما دينك قال نصراني قال ويحك أفما يدلك عقلك هذا الذي أرى على أن تسلم ويحك أسلم فهو خير لك قال فقد أسلمت فقال عمر الحمد لله الذي يهدي من يشاء إذا يشاء ثم كتب معه إلى أبي عبيدة بن الجراح

سلام عليك فياني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتابك جاءني بنفير الروم إليك ومنزلهم الذي نزلوا به ورسالتهم التي أرسلوها وبالذي رجعت إليهم فيما سألوك وقد سددت بحجتك وأوتيت رشداً فإن أتاكم كتابي هذا وأنتم الغالبون فكثيراً ما يكون من ربنا الإحسان وإن أتاكم وقد أصابكم نكب أو قرح فلا تقنوا ولا تحزنوا ولا تستكبنوا وأنتم الأعلون وإنما دار الله وهو فاتحها عليكم فاصبروا إن الله مع الصابرين وأعلم أنك متى لقيت عدوك فاستعنت بالله عليهم وعلم منك الصدق نصرك عليهم فقل إذا أنت لقيتهم اللهم أنت الناصر لدينك المعز لأوليائك الناصر لهم قديماً وحديثاً اللهم فتول نصرهم وأظهر فلجهم ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها وكن أنت الصانع لهم والمدافع عنهم برحمتك إنك أنت الولي الحميد

فأقبل الرسول بهذا إلى أبي عبيدة وكان أبو عبيدة بعد ذلك اليوم الذي زحف فيه إلى الروم فلم يخرجوا إليه سرح إليهم من الغد خالد في الخيل ولم يخرج أبو عبيدة يومئذ في الرحالة فخرجت إلى خالد خيل لهم عظيمة فأقبلت نحوه فقال لقيس بن هبيرة وكان من أشد الناس بأساً واشده نكاية في العدو ومباشرة لهم بعد خالد يا قيس أخرج إلى هذا الخيل فخرج إليهم قيس فحمل عليهم مراراً وحملوا عليه فقاتلهم قتالاً شديداً ثم أقبلت خيل أخرى عظيمة للروم فقال خالد لميسرة بن مسروق أخرج إليهم فخرج ميسرة فقاتلهم قتالاً شديداً ثم خرجت إليهم من الروم خيل أخرى عظيمة هي أعظم من الخيلين جميعاً عليها بطريق عظيم من بطارقتهم فجاء حتى إذا دنا من خالد أمر بشطر خيله فحملت على خالد وأصحابه فلم يتخلخل أحد منهم

ثم إنه جمعهم جميعاً فحمل بهم فلم يبرح أحد من المسلمين فلما رأى ذلك الرومي انصرف فقال خالد لأصحابه إنه لم يبق من جد القوم ولأحدهم ولا قوتهم إلا ما قد رأيتم فأحملوا معي يا أهل الإسلام حملة واحدة وأتبعوهم ولا تغلوا عنهم رحمكم الله ثم حمل عليهم خالد بمن معه فكشف من يليه منهم وحمل قيس بن هبيرة على الذين كانوا يلونه فهزمهم وكشفهم وحمل ميسرة على الذين كانوا يلونه فهزمهم وأتبعهم المسلمون يقتلونهم و يقصفون بعضهم على بعض حتى اضطروهم إلى عسكريهم وقد رأوا ما أصابهم فانكسروا ووهنوا وهابوا المسلمين هيبة شديدة وانصرف المسلمون إلى عسكريهم وقد قرت أعينهم واجتمعوا إلى أبي عبيدة وهم مسرورون بما أراهم الله في عدوهم من عونه لهم عليهم فقال له خالد إن هزيمتنا خيل المشركين قد دخل رعبها قلوب جماعتهم فكلهم قلبه مرعوب متخوف لمثلها منا مرة أخرى فناهض القوم غداً بالغداة ما دام رعب هذه

الهزيمة في قلوبهم فإنك إن أحرقت قتلهم أياما ذهب رعبها من قلوبهم واجترؤوا علينا
قال أبو عبيدة فأهضوا على بركة الله غدا بالغداة

قال عمرو بن مالك القيسي ولم يكن شيء أحب إلى الروم من التطويل ودفع الحرب انتظارا لمدد ولا شيء
أحب إلى المسلمين من المناجزة وتعجيل الفراغ

وقال عبد الله بن قرط لما كانت الليلة التي خرجنا في صبيحتها إلى أهل فحل خرج إلينا أبو عبيدة في الثلث
الباقي من الليل فلم يزل يعيى الناس ويحرضهم حتى إذا أصبح صلى بالناس فكان إلى التغليس أقرب منه إلى
التنوير ثم إنه جعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته هاشم بن عتبة وعلى الرجالة سعيد بن زيد وعلى
الخيال خالد بن الوليد ثم زحف أبو عبيدة بالناس وأخذوا يزفون زفا رويدا على رسلهم
وركب أبو عبيدة فاستعرض الصف من أوله إلى آخره يقف على كل راية وكل قبيلة ويقول عباد الله استوجبوا
من الله النصر بالصبر فإن الله مع الصابرين عباد الله ليبشر من قتل منكم بالشهادة ومن بقي بالنصر والغنيمة
ولكن وطنوا أنفسكم على القتال والطعن بالرمح والضرب بالسيوف والرمي بالنبل ومعاينة الأقران فإنه والله
ما يدرك ما عند الله إلا بطاعته والصبر في المواطن المكروهه التماس رضوانه

وتقدم خالد في الخيل حتى أطل على الروم فلما خرجوا إليه في الخيل والرجل جميعا وقالوا إن العرب أفرس على
الخيال منا وخيلنا لا تكاد تثبت خيلهم فأخرجوا إليهم في الخيل والرجال وكان خالد قد هزم خيلهم بالأمس
فكان ذلك أيضا مما حملهم على الخروج على هذه التبعئة خرجوا وهم خمسة صفوف فأول صف من صفوفهم
جعلوا فيه الفارس بين راجلين رامح وناشب وجعلوا صفا من الخيل وراء هذا الصف وجعلوا له مجنبتين ثم صفوا
ثلاثة صفوف أحر رجالا كلهم ثم أقبلوا نحو المسلمين وهم نحو خمسين ألفا فكان أول من لقيهم خالد بن الوليد
في الخيل فأخذ لا يجد عليهم مقدهما وأخذوا يزحفون إليه ويرشقونه بالنشاب وجعل ينكص هو وأصحابه
وراءهم وأخذت الروم تقدم عليهم وهم يتأخرون حتى انتهوا إلى صفوفهم ودافعت أعجاز كثير من خيلهم
صدور رجالهم ثم إن خالد بعث إلى قيس بن هبيرة أن أخرج في خيلك حتى تأتي ميسرهم فتحمل عليها وقال
لميسرة بن مسروق قف قبالة صفوفهم في خيلك وضمها إليك كنيبة واحدة فإذا رأيتنا قد حملنا وانتقض صفوفهم
فأحمل على من يليك منهم

وكان خالد قسم خيله أثلاثا فجعل للمراذي قيس بن هبيرة ثلثها ولميسرة بن مسروق العبسي ثلثها وكان هو
في ثلثها فخرج خالد في ثلث الخيل التي معه حتى انتهى إلى ميمنتهم فعلاها حتى إذا ارتفع عليهم أخرجوا إليه
خيلا لهم كيما تشغله وأصحابه فلما دنت منه قال الله أكبر الله أخرجهم

لكم من رجالتهم شلوا عليهم ثم استعرضهم فشد عليهم وشد معه أصحابه بجماعة خيلهم فهزمهم الله ووضعوا
السلح والسيوف فيهم حيث شاءوا فصرعوا منهم أكثر من سبعين قبل أن ينتهوا إلى ميمنتهم وارتفع قيس بن
هبيرة إلى ميسرهم فأخرجوا إليه خيلا كما صنعوا بخالد فحمل عليهم قيس فهزمهم وضربهم حتى انتهى إلى
ميسرهم وقتل منهم بشر كثير وقتلى عظيمة وكان وائلة بن الأسقع في خيل قيس بن هبيرة فخرج له بطريق من
كبارهم فبرز له وائلة وهو يقول في حملته

ليث وليث في مجال صنك

كلاهما ذو أنف ومعك
أجول جول صارم في العرك
أو يكشف الله قناع الشك
مع ظفري بحاجتي ودركي
الرجز

ثم حمل على البطريق فضربه ضربة قتله بها وحملوا بأجمعهم حتى اضطروا الروم إلى عسكرهم ووقفوا بإزائهم
قال هاشم بن عتبة رحمه الله والله لقد كنا أشفقنا يومئذ على خيلنا أول النهار ثم أحسن الله فما هو إلا أن رأينا
خيلنا قد نصرنا الله على خيلهم فدعوت الناس إلي وأمرتهم بتقوى الله ثم نزلت فهزرت رأيتي ثم قلت والله لا
أردّها حتى أركزها في صفهم فمن شاء فليتبني ومن شاء فليتخلف عني قال فو الذي لا إله غيره ما أعلم أن
أحدا من أصحاب رأيتي تخلف عني حتى انتهيت إلى صفهم فنضحونا بالنشاب فحجثونا على الركب واتقيناهم
بالدرك ثم ثرت بلوائني وقلت لأصحابي شدوا عليهم أنا فداؤكم فإنها غنيمة الدنيا
والآخرة فشدت وشدوا معي فأستقبل عظيمًا منهم قد أقبل نحوي فأوجزه الرمح فخر ميتا وضار بناهم
بالسيوف ساعة في صفهم وحمل عليهم خالد من قبل ميسرهم فقتلهم قتلا ذريعا وانتقضت صفوفهم من قبل
خالد ومن قبلي ونهد إليهم أبو عبيدة بالناس وأمر الخيل التي كانت تليه من خيل خالد فحملت عليهم فكانت
هنزيمتهم

وقال عمرو بن مالك القيني عن أبيه كان منا رجل له فينا منزلة وحال حسنة قال فقلت في نفسي قد بلغني أن
صاحب العرب هذا يعني أبا عبيدة رجل صدق فو الله لآتينه فالأصحبه ولأتعلمن منه قال فكنت آتبه وأخرج
معه إذا خرج إلى عسكره فلما كان ذلك اليوم أقبل حتى كان إلى جنب أبي عبيدة فألظ به لا يفارقه قال فو الله
لرأيتيه يقص علينا ويقول كونوا عباد الله أولياء الله وارغبوا فيما عند الله أشد من رغبتكم في الدنيا ولا تواكلوا
فتخاذلوا وليغن كل رجل منكم قرنه وأقدموا إقدام من يريد بإقدامه ثواب الله ولا يكن من لقيكم من عدوكم
أصبر على باطلهم منكم على حقكم ثم فمض يمشي إليهم وفمض المسلمون معه تحت راياتهم ببصيرة وسكينة
ودعة وحسن رعة وحمل قيس بن هبيرة على الروم من قبل ميسرهم فقصف بعضهم على بعض
وعن يحيى بن هانيء المرادي أن قيسا قطع يومئذ ثلاثة أسياف وكسر بضعة عشر رمحا وكان يقاتل ويقول
لا يبعدن كل فتى كرار

ماضي الجنان شاحب صبار
حين تم الخيل بالإدبار
يقدم إقدام الشجاع الضاري
الرجز

وقال سالم بن ربيعة حمل ميسرة بن مسروق يومئذ ونحن معه في الخيل فحملنا على القلب وقد أخذ صف الروم
ينتقض من قبل ميسرهم وميمنتهم ولم ينته الإنتقاض إلى القلب بعد فثبتوا لنا وقاتلونا قتالا شديدا فصرع ميسرة
عن فرسه وصرعت معه وجرح فرسي فعار ويعتق ميسرة رجلا من الروم فاعتركا ساعة فقتلهم ميسرة ثم شد

عليه آخر وقد أعى ميسرة فاعتزكا ساعة فصصرعه الرومي وجلس على صدره وأشد عليه فأضرب وجه الرومي بالسيف فأطرت قحفة فوق مينا ووثب ميسرة وانبرى إلي رجل منهم فضربني ضربة دبر بي منها ويضربه ميسرة فيصرعه وركبنا منهم عدد كثير فأحاطوا بنا وظننا والله أنه الهلاك إذ نظرنا فإذا نحن نسمع نداء المسلمين وتكبيرهم وإذا صفوفهم قد انتهت إلينا وراياتهم قد غشيتنا فكبرنا واشتدت ظهورنا فانقشع الروم عنا وحمل عليهم خالد من قبل ميمنتهم فدق بعضهم على بعض حتى دخلوا عسكرهم

وعن نوفل بن مساحق عن أبيه أن خالدًا قاتل يومئذ قتالا شديدًا ما قاتل مثله أحد من المسلمين وما كان إلا حديثًا ومثلاً لمن حضره ولقد كان يستعرض صفوفهم وجماعتهم فيحمل عليهم حتى يخاطبهم ثم يجالدهم حتى يفرقهم ويهزمهم ويكثر القتل فيهم

قال ولقد سمعت من يزعم أنه قتل في ذلك اليوم أحد عشر رجلاً من الروم من بطارتهم وأشدائهم وأهل الشجاعة منهم وكان يقاتلهم ويقول

أضربهم بصارم مهتد

ضرب صليب الدين هاد مهتد

(لا واهن الحول ولا مفند) الراجز

وعن سهل بن سعد قال كان معاذ بن جبل يومئذ من أشد الناس بأساً وكان يقول يا أهل الإسلام إن هذا اليوم لما بعده من الأيام غضوا أبصاركم رحمكم الله وأقدموا إقدام الأسد على عدوكم ولا تفارقوا راياتكم ولا تزولوا عن مصافكم وسوقوهم سوقاً عنيفاً ولا تشاغلوا عنهم بغنائمهم ولا بما في عسكرهم فإني أخاف أن يكون لهم عليكم عطفة فلا تقوم لكم بعدها قائمة إن تفرقتم وشغلتكم من غنائمهم فاطلبوهم حتى لا تروا لهم جمعاً ولا صفاً

فمضى المسلمون كما وصف لهم على راياتهم و صفوفهم يقدمون عليهم وجعلت صفوف الروم تنتقض وتدبر وخيل المسلمين تكردهم وتقتلهم وتحمل عليهم ولا تقلع عنهم فقتلوا منهم في المعركة نحواً من خمسة آلاف وقتلوا في عسكرهم حيث دخلوا نحواً من ألفين وخرجوا عباديد منهزمين وخيل المسلمين تتبعهم وتقتلهم حتى اقتحموا في فحل وفحل مطلة على أهوية تحتها الماء فتحصنوا فيها وأصاب المسلمون منهم نحواً من ألفي أسير فقتلهم المسلمون وأقبل أبو عبيدة حتى دخل عسكرهم وحوى ما فيه

وقال عبد الله بن قرط الثمالي مررت يومئذ بعمر بن سعيد بن العاص قبل هزيمة المشركين ومعه رجال من المسلمين سبعة أو ثمانية وإنه لأمامهم نحو العدو وإنه ليقول يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ١٥ - ١٦ الأنفال ثم يقول لكن الجنة والله نعم المصير ولن هي هي والله لمن شرى نفسه اليوم لله وقاتل في سبيل الله ثم يقول إلي يا أهل الإسلام أنا عمرو بن سعيد بن العاص لا تفروا فإن الله يراكم ومن يره الله يفر عن نصر دينه يمقته فاستحيوا من الله ربكم أن يراكم تطيعون أبغض خلقه إليه وهو الشيطان الرجيم وتعصونه

وهو الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن قرط وقد كان العدو حمل علينا حملة منكرة فرقت بيني وبين أصحابي فانتهيت إلى عمرو وهو يقول هذا القول فقلت في نفسي والله ما أنا بواجد اليوم في هذا العسكر رجلا أقدم صحة ولا أقرب قرابة من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من هذا الرجل فدنوت منه ومعني الرمح وقد أحاطت به من الروم جماعة فحملت عليهم فأصرع أحدهم ثم أقبلت إليه فوقففت معه ثم قلت يا ابن أبي أحيحة أتعرفني فقال لي نعم يا أخوا ثقيف فقلت له لم تبعدهم الإخوان والجيران والحلفاء ولكني أخو ثمالة عبد الله بن قرط فقال لي مرحبا بك أنت أخي في الإسلام وهو أقرب النسب أما والله لئن استشهدت وكفى بالله شهيدا لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك قال فنظرت إلى وجهه فإذا هو مضروب على حاجبه بالسيف وإذا الدم قد ملاً عينيه وإذا هو لا يستطيع أن يطرف ولا يفتح عينيه من الدم فقلت له أبشر بخير فإن الله معافيك من هذه الضربة ومنزل النصر على الإسلام قال أما النصر لأهل الإسلام فأنزل الله فعجل وأما أنا فجعل الله لي هذه الضربة شهادة وأهدي إلي أخرى مثلها فو الله ما أحب أنها بعرض أبي قبيس ووالله لولا أن يقتل بعض من حولي لأقدمت على هذا العدو حتى ألحق بربي يا أخي إن ثواب الشهادة عظيم وإن الدنيا قل ما يسلم منها أهلها قال فما كان بأسرع من أن شد علينا منهم جماعة فمشى إليهم بسيفه فصار بهم ساعة وهو أمام الناس وثار بينهم الغبار فشددنا عليهم فصرعنا منهم عدة وإذا نحن بعمرو بن سعيد صريعا وإذا هو قد بضع وبه أكثر من ثلاثين ضربة وكانوا حنقوا عليه وحرودوا لما رأوا من شدة قتاله فقطعوه بأسيافهم يرحمه الله وقتل أيضا هناك من قريش من بني سهم سعيد بن عمرو وسعيد بن الحارث بن قيس والحارث بن الحارث وغلب المسلمون على الأرض

واحتوتوها وصار من بقي من العدو في الحصن وقد قتل الله منهم مقتلة عظيمة فأقام المسلمون على الحصن وقد غلبوا على سواد الأردن وأرضها وكل ما فيها وطلبوهم بالنزول إليهم على أن يؤمنوهم فأبوا وذلك أنه بلغهم أن ملك الروم بعث إليهم رجلا من غسان يقال له المنذر بن عمرو فجاء في جمع عظيم من الروم يمد أهل فحل فلم يبلغهم حتى هزمهم الله وأذلهم فكان أراد أن يجيء حتى يدخل معهم حصنهم وكانت طائفة قد جاءوا بعد وقعة فحل بيوم فقال خالد ما أظن هؤلاء ينبغي لنا أن نعطيهم أنصباء قوم قاتلوا على هذا الفياء وغلبوا عليه فقال علقمة ابن الأرت القيسي لم أصلحك الله لا تجعلهم شركاءنا وقد جاءوا بعيانهم يسرون ويغدون ويروحون لينصروا الإسلام ويجاهدوا في سبيل الله أفإن المسلمون سبقوهم بساعة من النهار لا يشركوهم وهم أخوانهم وأنصارهم فقال خالد ننظر قال أبو عبيدة ما نرى إلا أن نشركهم

فلما بلغ قضاة أن المنذر بن عمرو قد دخل بطن الأردن جاء علقمة بن الأرت إلى أبي عبيدة فقال إن المنذر بن عمرو قد نزل بطن الأردن أفلا تبعث إليه المسلمين فقال دعه حتى يدنو فقال أصلحك الله ابعت معي خيلا فأنا أكفيك فقال لا لا تقربنه لست آذن لك دعه حتى يدنو فخرج إلى أصحابه فقال لمن لم يشهد الوقعة منهم ولمن شهدها ولهم خيل وقوة اخرجوا بنا حتى نلقي المنذر بن عمرو فإني أرجو أن نصادمه مغترا فنقتله فنذهب إن شاء الله بأجرها وشرف ذكرها فتابعوه فأقبل حتى إذا دنا من عسكر المنذر ابن عمرو حمل الخيل عليهم من جانب العسكر وهم غازون فهزمهم وأتبعهم الخيل تفتنهم وتقتلهم في كل جانب وأغارت رجالته في العسكر رفاتحتوا ما فيه ولحق علقمة بالمنذر فجاراه ساعة حتى دنا منه فطعنه وقتله وأخذ فرسه ورجع إلى أبي عبيدة

وقد جاءه خبره فقال له أبو عبيدة إني لأكره أن لا أومك وقد عصيتني وإني لأكره أن أومك وقد فتح الله عليك ورأى أبو عبيدة إني لأكره أن أومك وقد فتح الله عليك ورأى أبو عبيدة أن يسهم لهم مع المسلمين فقاسموهم ما كان في عسكر المنذر فلم يصيبوا منها إلا اليسير وكتب أبو عبيدة إلى عمر رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله الذي أنزل على المسلمين نصره وعلى الكافرين رجزه أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أنا لقينا الروم وقد جمعوا لنا الجموع العظام فجاءونا من رءوس الجبال وأسياف البحار يرون أن لا غالب لهم من الناس فبرزوا إلينا وبغوا علينا وتوكلنا على الله تعالى ورفعنا رغبتنا إلى الله وقلنا حسينا الله ونعم الوكيل فهضنا إليهم بخيلنا ورجلنا وكان القتال بين الفريقين مليا من النهار أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين رحمهم الله منهم عمرو بن سعيد بن العاص وضرب الله وجوه المشركين وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسروهم حتى اعتصموا بمحصنهم وانتهب المسلمون عسكرهم وغلبوا على بلادهم وأنزلم الله من صياصبيهم وقذف الرعب في قلوبهم فاحمد الله يا أمير المؤمنين أنت ومن قبلك من المسلمين على إعزاز الدين وإظهار الفلج على المشركين وادع الله لنا بتمام النعمة والسلام عليك

ولما رأى أهل فحل أن أرض الأردن قد غلب عليها المسلمون سألوا الصلح على أن يعفي لهم عن أنفسهم وأن يؤدوا الجزية ومن كان فيهم من الروم إن أحب لحق بالروم وخلي بلاد الأردن وإن أحب أن يقيم ويؤدي الجزية أقام فصالحهم المسلمون وكتبوا لهم كتابا وخرج منهم من كان أقبل من الروم في تلك السنة وتبقى معهم من كان تبنك قبل ذلك بالبلد واتخذ الضياع وتزوج بها وولد له فيها فأقاموا على أن يؤدوا الجزية هم وسائر من كان معهم في الحصن وأما من عداهم من أهل الأردن أهل الأرض والقرى فاختلف فيهم

المسلمون لأخذهم ذلك عنوة وغلبتهم عليه بغير صلح فقالت طائفة نقتسمهم وقالت طائفة نتركهم فكتب أبو عبيدة إلى عمر

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذا المن والفضل والنعم العظام فتح على المسلمين أرض الأردن فرأت طائفة من المسلمين أن يقرروا أهلها على أن يؤدوا الجزية إليهم ويكونوا عمار الأرض ورأت طائفة أن يقتسموهم فاكتب إلينا يا أمير المؤمنين برأيك في ذلك أدام الله لك التوفيق في جميع الأمور والسلام فكتب إليه عمر

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر إعزاز الله أهل دينه وحذلائه أهل عدوانه وكفائته إيانا مؤنة من عادانا فالحمد لله على إحسانه فيما مضى وحسن صنيعه فيما غير الذي عانى جماعة المسلمين وأكرم بالشهادة فريقا من المؤمنين فهنيئا لهم رضا ربهم وكرامته إياهم ونسأل الله أن لا يجرمنا أجرهم ولا يفتنا بعدهم فقد نصحوا الله وقضوا ما عليهم ولربهم كانوا يحفدون ولأنفسهم كانوا يمهدون وقد فهمت ما ذكرت من أمر الأرض التي ظهر عليها وعلى أهلها المسلمون فقالت طائفة نقر أهلها على أن يؤدوا الجزية للمسلمين ويكونوا

للأرض عمارا ورأت طائفة أن يقتسموهم وإن نظرت فيما كتبت فيه ففرق لي من الرأي فيما سألتني عنه أني رأيت أن تقرهم وتجعل الجزية عليهم وتقسمها بين المسلمين ويكونوا للأرض عمارا فهم أعلم بما وأقوى عليها رأيتم لو أنا أخذنا أهلها فاققسمناهم من كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين والله ما كانوا ليجدوا إنسانا يكلمونه ولا ينتفعون بشيء من ذات يده وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء فإذا هلكتنا وهلكوا أكل أبناءنا أبناءهم أبدا ما بقوا وكانوا عبيدا لأهل الإسلام ما دام دين الإسلام ظاهرا فضع عليهم الجزية وكف عنهم السبأ وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحقها والسلام عليك

فلما جاء أبا عبيدة هذا الرأي من عمر عمل به وكان رأيه ورأي عمر في ذلك واحدا

فقال علقمة بن الأثر القيني في يوم فحل

ونحن قتلنا كل واف سباله

من الروم معروف النجار منطلق

نطلق بالبيض الرقاق نساءهم

وأبنا إلى أزواجنا لم تطلق

نصرعهم في كل فح وغائط

كأنهم بالقاع معزى الملق

فكم من قتيل أوهطته سيوفنا

كفاحا وكف قد أطارت وأسوق

الطويل

فتح حمص فيما حكاه أصحاب فتوح الشام

عن محرز بن أسد الباهلي قال دعا أبو عبيدة رؤوس المسلمين وفرسان العرب الذين معه فجمعنا بعدما ظهرنا على فحل وفرغنا من الأردن وأرضها وقد تحصن منا أهل إيلياء واجتمعت بقيسارية جموع عظام مع أهلها وأهلها لم يزلوا كثيرا فقال أبو عبيدة يا أهل الإسلام إن الله قد أحسن إليكم وألبسكم عافية مجللة وأمنا واسعا وأظهركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع والقرى والمدائن وجعلكم هذه الدار دار الملوك أربابا وجعلها لكم منزلا وقد كنت أردت النهوض بكم إلى أهل إيلياء وأهل قيسارية فكرهت أن آتيهم وهم في جوف مدينتهم متحزون متحصنون ولم آمن أن يأتيهم مدد من جندهم وأنا نازل عليهم قد حبست نفسي لهم عن افتتاح الأرض ولم أدر لعل من في طاعتي إذا رأوني قد شغلت نفسي بهم أن يرجعوا إليهم وأن ينقضوا العهد الذي بيني وبينهم فرأيت أن أسير إلى دمشق ثم أسير في أرضها إلى من لم يدخل طاعتي منهم ثم أسير إلى حمص فإن قدرنا عليها وإلا تركناها ولا نقيم عليها أكثر من يوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم ندنو من ملك الروم وننظر ما يريد بمكانه الذي هو به فإن الله نفاه عن مكانه ذلك لم تبق بالشام قرية ولا مدينة إلا سالمت وصالحت وأعطت الجزية ودخلت في الطاعة

فقال المسلمون جميعا فنعم الرأي رأيك فأمضه وسر بنا إذا بدا لك
فدعا خالدا وكان لكل ملمة ولكل شدة فقال له سر رحمك الله في الخيل فخرج فيها وخلف عمرو بن العاص
في أرض الأردن وفي طائفة من أرض فلسطين مما يلي أرض العرب وجاء خالد حتى تولى أرض دمشق فاستقبله
الذين كانوا صالحوا المسلمين

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

ثم إن أبا عبيدة جاء من الغد فخرجوا أيضا فاستقبلوه بما يجب فلبث يومين أو ثلاثة ثم أمر خالدًا فسار حتى بلغ بعلبك وأرض البقاع فغلب على أرض البقاع وأقبل قبل بعلبك حتى نزل عليها فخرج إليه منها رجل فأرسل إليهم فرسانا من المسلمين نحوًا من خمسين فيهم ملحان بن زياد الطائي وقنان ابن دارم العبسي فحملوا عليهم حتى أقحموهم الحصن فلما رأوا ذلك بعثوا في طلب الصلح فأعطاهم ذلك أبو عبيدة وكتب لهم كتابا ثم إنه خرج نحو حمص فجمع له أهلها جمعا عظيما ثم استقبلوه بجوسية فرماهم بخالد بن الوليد فلما نظر إليهم خالد قال يا أهل الإسلام الشدة الشدة ثم حمل عليهم خالد وحمل المسلمون معه فولوا منهزمين حتى دخلوا مدينتهم وبعث خالد ميسرة بن مسروق فاستقبل خيلا لهم عظيمة عند نهر قريب من حمص فطاردهم قليلا ثم حمل عليهم فهزمهم وأقبل رجل من المسلمين من حمير يقال له شرحبيل فعرض له منهم فوارس فحمل عليهم وحده فقتل منهم سبعة ثم جاء إلى نهر دون حمص مما يلي دير مسحل فنزل عن فرسه فسقاه وجاء نحو من ثلاثين فارسا من أهل حمص فنظروا إلى رجل واحد فأقبلوا نحوه فلما رأى ذلك أقحم فرسه وعبر الماء إليهم ثم ضرب فرسه فحمل عليهم فقتل أول فارس ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس ثم

انهزموا وتبعهم وحده فلم يزل يقتل واحدا واحدا حتى انتهوا إلى دير مسحل وقد صرع منهم أحد عشر رجلا فاقتحموا جوف الدير واقتحم معهم فرماه أهل الدير بالحجارة حتى قتلوه رحمه الله

وجاء ملحان بن زياد وعبد الله بن قرط وصفوان بن المعطل إلى المدينة فأخذوا يطيفون بها يريدون أن يخرج إليهم أهلها فلم يخرجوا وجاء المسلمون حتى نزلوا على باب الرستن بالناس وبث الخيل في نواحي أرضهم فأصابوا غنائم كثيرة وقطعوا عنهم كان أول من دخل مدينة حمص وذلك أنه حمل من جهة باب الشرقي فلم يرد وجهه شيء فإذا هو في جوف المدينة فلما رأى ذلك ضرب فرسه فخرج كما هو على وجهه ولا يرى إلا أنه قد هلك حتى خرج من باب الرستن فإذا هو في عسكر المسلمين

وحاصر المسلمون أهل حمص حصارا شديدا فأخذوا يقولون للمسلمين اذهبوا نحو الملك فإن ظفرت به فنحن كلنا لكم عبيد فأقام أبو عبيدة على باب الرستن بالناس وبث الخيل في نواحي أرضهم فأصابوا غنائم كثيرة وقطعوا عنهم المادة والميرة واشتد عليهم الحصار وخشوا السباء فأرسلوا إلى المسلمين يطلبون الصلح فصالحهم المسلمون وكتبوا لهم كتابا بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وعلى أن يضيفوا للمسلمين يوما وليلة وعلى أن على أرض حمص مائة ألف دينار وسبعين ألف دينار وفرغوا من الصلح وفتحوا باب المدينة للمسلمين فدخلوها وأمن بعضهم بعضا وكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فأحمد الله الذي أفاء علينا وعليك يا أمير المؤمنين أفضل كورة بالشام أكثرها أهلا وقلاعا وجمعا وخراجا وأكبتهم للمشركين كتبنا وأيسره على المسلمين فتحنا أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله أنا فلمنا بلاد حمص وبها من المشركين عدد كثير والمسلمون يزفون إليهم بأس شديد فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب في قلوبهم ووهن

كيدهم وقلم أظفارهم فسألونا الصلح وأذعنوا بأداء الخراج فقبلنا منهم وكفنا عنهم ففتحوا لنا الحصون واكتبوا منا الأمان وقد وجهنا الخيول إلى الناحية التي بها ملكهم وجنوده

نسأل الله ملك الملوك وناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره وأن يسلم المشرك الخاطيء بذنبه والسلام عليك فكتب إليه عمر

أما بعد فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء علينا من الأرض وفتح علينا من القلاع ويمكن لنا في البلاد وصنع لنا ولكم وأبلانا وإياكم من حسن البلاء فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا ليس له نفاذ ولا يحصى له تعداد وذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجموعهم فلا تفعل ابعث إلى خيلك فأضممها إليك وأقم حتى يمضي هذا الحول ونرى من رأينا ونستعين الله ذا الجلال والإكرام على جميع أمرنا والسلام عليك فلما أتى أبا عبيدة الكتاب دعا رءوس المسلمين فقال لهم إني قد كنت قدمت ميسرة بن مسروق إلى ناحية حلب وأنا أريد الإقدام والغارة على ما دون الدرب من أرض الروم وكتبت بذلك إلى أمير المؤمنين فكتب إلي أن أصرف إلى خيلي وأن أتربص بهم الحول حتى يرى من رأيه فقالوا لم يالك أمير المؤمنين والمسلمين نظرا وخيرا فصرح إلى ميسرة وقد كان أشرف على حلب ودنا منها فيجاءه كتاب إلى ميسرة

أما بعد فإذا لقيت رسولي فأقبل معه ودع ما كنت وجهتك إليه حتى نرى من رأينا وننظر ما يأمرنا به خليفتنا والسلام

فأقبل ميسرة في أصحابه حتى انتهى إلى أبي عبيدة بجمص فنزل معه وخرج أبو عبيدة فعسكر بالناس ودعا خالد بن الوليد فقال له اخرج إلى دمشق فأنزلها في ألف رجل من المسلمين وأقيم أنا هاهنا ويقيم عمرو بن العاص في مكانه الذي هو فيه فيكون بكل جانب من الشام طائفة من المسلمين فهو أقوى لنا عليها وأحرى أن نضبطها فخرج خالد في ألف رجل حتى أتى دمشق وبها سويد بن كلثوم بن قيس القرشي من بني محارب بن فهر وكان أبو عبيدة خلفه بها في خمسمائة رجل فقدم خالد فعسكر على باب من أبوابها ونزل سويد في جوفها

وعن أدهم بن محرز بن أسد الباهلي قال أول راية دخلت أرض حمص ودارت حول مدينتها راية ميسرة بن مسروق ولقد كانت لأبي أمامة راية ولأبي راية وإن أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين لأبي إلا أن يكون رجل من حمير فإنه حل هو وأي جميعا فكل واحد منهما قتل في حملته رجلا فكان أبي يقول أنا أول رجل من المسلمين قتل رجلا من المشركين بجمص لا أدري ما الحميري فإني حملت أنا وهو فقتل كل رجل منا في حملته رجلا ولا أخال إلا أني قتلت قتيلي قبل قتيله

وقال أدهم إني لأول مولود بجمص وأول مولود فرض له بما وأول من رثى فيها بيده كتف يختلف إلى الكتاب ولقد شهدت صفين وقاتلت

وقال عبد الله بن قرط عسكر أبو عبيدة ونحن معه حول حمص نحو من ثمان عشرة ليلة وبث عماله في نواحي أرضها واطمأن في عسكره وذهبت منهزمة الروم من فحل حتى قلمت على ملك الروم بأنطاكية وخرجت فرسان من فرسان الروم ورجال من عظمائهم وذوي الأموال والغنى والقوة منهم ممن كان

أوطن بالشام فدخلوا قيسارية وتحصن أهل فلسطين بإيلياء

ولما قدمت المنهزمة على هرقل دعا رجلا منهم فقال لهم أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تلقوهم أليسوا بشرا مثلكم قالوا بلى قال فأنتم أكثر أم هم قالوا نحن أكثر منهم أضعافا وما لقيناهم في موطن إلا ونحن أكثر منهم قال ويلكم فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم فسكوا فقام شيخ منهم فقال أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون قال فأخبرني قال إنهم إذا حمل عليهم صبروا وإذا حملوا لم يكذبوا ونحن نحمل فنكذب ويحمل علينا فلا نصر قال وما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون قال الشيخ ما أراي إلا قد علمت من أين هذا قال له ومن أين هذا قال من أجل أن لقوم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأنا نشرب الخمر ونرتكب المحارم وننقض العهد ونأمر بما يستخط الله وننهي عما يرضيه ونفسد في الأرض قال صدقتي لأخرجن من هذه القرية ولأدعن هذه البلدة وما لي في صحبتكم من خير وأنتم هكذا قال نشدتك الله أيها الملك أن تفعل تدع سورية جنة الدنيا للعرب وتخرج منها ولما تقاتل وتجهد قال قد قاتلتموهم غير مرة بأجنادين وفحل ودمشق والأردن وفلسطين وحمص وفي غير موطن كل ذلك تنهزمون وتفرون وتغلبون قال الشيخ حولك من الروم عدد الحصى والثرى والذر لم يلقهم منهم إنسان ثم تريد أن تخرج منها وترجع هؤلاء جميعا من قبل أن يقاتلوا فإن هذا الشيخ ليكلمه إذ قدم عليه وقد قيسارية وإيلياء وسيأتي خبرهم بعد إن شاء الله وذكر الطبري عن سيف أن هرقل لما بلغه الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالمضي إليها وقال له إنه بلغني يعني عن المسلمين أن طعامهم حوم الإبل وشرابهم ألبانها وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم إلا في كل يوم بارد فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد هذا جل طعامه وشرابه وارتحل في عسكره ذلك حتى أتى الرها

وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها فكان أهلها يغادون المسلمين ويراهو حوهم في كل يوم بارد ولقي المسلمون بها بردا شديدا والروم حصارا طويلا فأما المسلمون فصبروا وربطوا وأفرغ الله عليهم الصبر وأعقبهم النصر حتى انصرم الشتاء وإنما تمسك الروم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء فكانوا يتواصون فيما بينهم ويقولون تمسكوا فإنهم جفاة فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون فكانت الروم ترجع وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم وإن المسلمين لفي النعال ما أصيب أحد منهم حتى إذا انخس الشتاء قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين قالوا كيف والمملك في عزه ومملكه ليس بيننا وبينهم شيء فتركهم وقام فيهم آخر وقال ذهب الشتاء وانقطع الرجاء فما تنتظرون قالوا البرسام فإنما يسكن في الشتاء ويتور في الصيف قال إن هؤلاء قوم يعانون ولأن تأتوهم بعهد وميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة أجيوبوني محمودين قبل أن تجيئوني مذمومين فقالوا شيخ خرف ولا علم له بالحرب وأتاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص فيما حكى عن بعض أشياخ من غسان وبلقين أن زلزل بأهل حمص وذلك أن المسلمين ناهدوهم فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة وتصدعت الحيطان ففزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك ثم كبروا الثانية فتهافتت دور كثيرة وحيطان وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم فقالوا ألا ترون إلى عذاب الله فأجابوهم لا يطلب الصلح غيركم فأشرفوا ينادون الصلح الصلح ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وقلوا منهم على أنصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال ملوك الروم وبنياتهم لا يتزلونهم عليهم فتركوه لهم فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب أبدا

أيسروا أو أعسروا وصالح بعضهم على قدر طاقته إن زاد ماله زيد عليه وإن نقص نقص وعلى هذين الوجهين كان صلح دمشق والأردن وولوا معاملة ما جلا ملوكهم عنه

حديث حمص آخر

قالوا وغزى هرقل أهل حمص في البحر واستمد أهل الجزيرة واستشار أهل حمص فأرسلوا إليه بأننا قد عاهدنا فنحاف أن لا نصر

واستمد أبو عبيدة خالد فأمده بمن معه جميعا لم يخلف أحدا فكفر أهل قنسرين بعده وتابعوا هرقل وكان أكثر من هنالك تنوخ الحاضر

ودنا هرقل من حمص وعسكر وبعث البعوث إلى حمص فأجمع المسلمون على الخندق والكتاب إلى عمر إلا ما كان من خالد فإن المناجزة كانت رأيه فنخندقوا على حمص وكتبوا إلى عمر واستصرخوه

وجاء الروم ومن أملمهم حتى نزلوا عليهم فحصرهم وبلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفا سوى أمداد قنسرين من تنوخ وغيرهم فبلغوا من المسلمين كل مبلغ

وجاء الكتاب إلى عمر وهو موجه إلى مكة للحج فمضى لحجة وكتب إلى سعد بن أبي وقاص إن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه فبث المسلمين بالجزيرة واشغلهم بالخيول عن أهل حمص وأمد أبا عبيدة بالقعقاع بن عمرو

فخرج القعقاع ممدًا لأبي عبيدة وخرجت الخيول نحو الرقة ونصيبين وحران فلما وصلوا الجزيرة وبلغ ذلك الروم الذين كانوا منها وهم بمحمص تقوضوا إلى مدائنهم وبادروا المسلمين إليها فححصنوا ونزل عليهم المسلمون فيها ولما

دنا القعقاع من حمص راسلت طائفة من تنوخ خالدًا ودلوه وأخبروه بما عندهم من الخبر فأرسل إليهم خالد والله لولا أي في سلطان غيري ما

بليت قلتهم أم كثرتم أو أقمتم أو ذهبتم فإن كنتم صادقين فانفضوا كما انفض أهل الجزيرة فساموا سائر تنوخ ذلك فأجابوهم وراسلوا خالدًا إن ذلك إليك فإن شئت فعلنا وإن شئت أن تخرج علينا فننهزم بالروم وأوتقوا له فقال بل أقيموا فإذا خرجنا فانهزموا بهم

فقال المسلمون لأبي عبيدة قد أنفض أهل الجزيرة وقد ندم أهل قنسرين وواعلوا من أنفسهم وهم العرب فاخرج بنا وخالد ساكت فقال يا خالد ما لك لا تتكلم فقال قد عرفت الذي كان من رأيي فلم تسمع من كلامي قال

فتكلم فإني أسمع منك وأطيعك قال فاخرج بالمسلمين فإن الله تعالى قد نقص من عدتهم وبالعدد يقاتلون ونحن إنما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تحفلك كثرتهم

قالوا فجمع أبو عبيدة الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال

أيها الناس إن هذا يوم له ما بعده أما من حي منكم فإنه يصفوا له ملكه وقراره وأما من مات منكم فإنها الشهادة فأحسنوا بالله الظن ولا يكرهن إليكم الموت أمر اقره أحدكم دون الشرك توبوا إلى الله وتعرضوا للشهادة فإني

أشهد وليس أو أن الكذب أي سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة

فكأنما كانت بالناس عقل تشطت فخرج بهم وخالد على الميمنة وقيس على الميسرة وأبو عبيدة في القلب وعلى باب المدينة معاذ بن جبل فاجتلدوا بها فأنهم كذلك إذ قدم القعقاع معجلا في مائة فانهزم أهل قنسرين بالروم

فاجتمع القلب والميمنة على قلبهم وقد انكسر أحد جناحيه فما أفلت منهم مخبر وذهبت الميسرة على وجهها وآخر من أصيب منهم بمرج الديباج انتهوا إليه فكسروا سلاحهم وألقوا بلامهم تخففا فأصيبوا وتغنموا

ولما ظفر المسلمون جمعهم أبو عبيدة فخطبهم وقال لهم لا تتكلموا ولا تزهدوا في الدرجات

فتح قنسرين

وبعث بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين فلما نزل بالحاضر زحف إليه الروم وعليهم ميناوس وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناوس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد وأما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب وأنهم إنما حشدوا ولم يكن من رأيهم حربته فقبل منهم وتركهم

ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم الرجال مني وكان قد عزله والمثنى بن حارثة عند قيامه بالأمر وقال إني لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما

ويروى أنه قال حين ولي والله لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ليعلما أن الله إنما ينصر دينه لا إياهما فلما كان من أمر خالد في قنسرين ما كان رجوع عن رأيه

وسار خالد حتى نزل على قنسرين فحصنوا منه فقال إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا فنظروا في أمرهم وذكروا ما بقي أهل حمص وقنسرين فسألوه الصلح على مثل صلحها فأبى إلا على إخراج المدينة فأخرها

واتطأت حمص وقنسرين فعند ذلك خنس هرقل وخرج نحو القسطنطينية وأفلت رجل من الروم كأن أسيرا في أيدي المسلمين فلحق بهرقل فقال له أخبرني عن هؤلاء القوم فقال أحدثك كأنك تنظر إليهم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه فقال لن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين

وكان هرقل كلما حج بيت المقدس فخلف سورية وطمع في أرض الروم الثفت فقال السلام عليك يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره وهو عائد فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرها فلم يزل بها حتى إذا فححت قنسرين وقتل ميناوس خنس عند ذلك إلى شمشاط حتى إذا فصل منها نحو أرض الروم على شرف فالتفت نحو سورية وقال عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا حتى يولد المولود المشؤوم ويا ليتته لا يولد ما أحلى فعله وما أمر عاقبته على الروم ثم مضى حتى نزل قسطنطينية وهذا مقتضب من أحاديث متفرقة ذكرها سيف في كتابه

جمع الروم للمسلمين

ثم نعود إلى صلة ما قطعنا قبل من الحديث عن وفد أهل إلبياء وقيسارية القادم على هرقل إذ قد وعدنا بذكره حسب ما ذكره من ذلك أصحاب فتوح الشام في كتبهم

وذلك أن أهل قيسارية وأهل إلبياء تواطؤوا بعد يوم فحل وتأمروا أن يبعثوا وفدا منهم إلى هرقل بأنطاكية فيخبروه بتمسكهم بأمره وإقامتهم على طاعته وخلافهم العرب ويسألونه المدد والنصر فلما جاءه وفدهم هذا رأى أن يبعث الجنود ويقوم هو بأنطاكية فأرسل إلى رومية والقسطنطينية وإلى من كان من جنوده وعلى دينه من أهل الجزيرة وأرمينية وكتب إلى عماله أن يحشروا إليه كل من أدرك اللحم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلى الشيخ القاني فأقبلوا إليه وجاء منهم ما لا تحمله الأرض وجاءه جرجير صاحب أرمينية في ثلاثين ألفا وآتاه أهل الجزيرة ونزع إليه أهل

دينه وجميع من كان في طاعته فدعا باهان وكان من عظمائهم وأشرفهم فعقد له على مائة ألف ودعا ابن قماطر فعقد له على مائة ألف فيهم جرجير ومن معه من أهل أرمينية ودعا الدرنجار فعقد له على مائة ألف ثم أعطى الأمراء مائة ألف مائة ألف وأعطى باهان مائتي ألف وقال لهم إذا اجتمعتم فأمركم باهان ثم قال يا معشر الروم إن العرب قد ظهوروا على سورية ولم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن والبر والشعير والذهب والفضة حتى يسبوا الأمهات والبنات والأخوات والأزواج ويتخذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيدا فامنعوا حرمتكم وسلطانكم ودار ملككم

قال عبد الله بن قرط والحديث له ثم وجههم إلينا فقدمت عيوننا من قبلهم فخبرونا بمقالة ملكهم وبمسيرهم إلينا وجمعهم لنا ومن أجلب معهم م غيرهم علينا ممن كان على دينهم وفي طاعتهم فلما جاء أبا عبيدة الخبر عن عددهم وكثرتهم رأى أن لا يكتم ذلك المسلمين وأن يستشيرهم فيه لينظر ما يؤول إليه رأى جماعتهم فدعا رجوس المسلمين وأهل الصلاح منهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله عز وجل قد أبلاكم أيها المؤمنون فأحسن البلاء وصلبكم الوعد وأعزكم بالنصر وأراكم في كل موطن ما تسرون به وقد سار إليكم عدوكم من المشركين بعدد كثير ونفروا إليكم فيما حدثني عيوني نفيروا الروم الأعظم فجاؤوكم برا وبحرا حتى خرجوا إلى صاحبهم بأنطاكية ثم قد وجه إليكم ثلاثة عساكر في كل عسكر منها ما لا يحصيه إلا الله من البشر وقد أحببت أن ألا أغركم من أنفسكم ولا أطوي عنكم خبر عدوكم ثم تشيرون علي برأيكم وأشير عليكم برأيي فإنما أما كأحدكم فقام يزيد بن أبي سفيان فقال

نعم ما رأيت رحمك الله إذ لم تكتم عنا ما أتاك من عدونا وأنا مشير عليكم فإن كان صوابا فذاك ما نويت وإن يكن الرأي غير ما أشير به فإني لا أتعمد غير ما يصلح للمسلمين أرى أن نعسكر على باب مدينة حمص بجماعة المسلمين وندخل النساء والأبناء داخل المدينة ثم نجعل المدينة في ظهورنا ثم نبعث إلى خالد فيقدم عليك من دمشق وإلى عمرو بن العاص فيقدم عليك من الأردن فتلقاهم بجماعة من معك من المسلمين وقام شرحبيل بن حسنة فقال

إن هذا مقام لا بد فيه من النصيحة للمسلمين وإن خالف الرجل منا أخاه وإنما على كل رجل منا أن يجتهد رأيه وأنا الآن فقد رأيت غير ما رأى يزيد وهو والله عندي من الناصحين لجماعة المسلمين ولكن لا أجد بدا من أن أشير عليكم بما أظنه خيرا للمسلمين

إني لا أرى أن ندخل ذراري المسلمين مع أهل حمص وهم على دين عدونا هذا الذي قد أقبل إلينا ولا آمن إن وقع بيننا وبينهم من الحرب ما نتشاغل به أن ينقضوا عهدنا وأن يشبوا على ذرارينا فيتقربوا بهم إلى عدونا فقال له أبو عبيدة إن الله قد أذلم لكم وسلطانكم أحب إليهم من سلطان عدوكم وأما إذ ذكرت ما ذكرت وخوفتنا ما خوفت فإني أخرج أهل المدينة منها وأنزلها عيالنا وأدخل رجالا من المسلمين يقومون على سورها وأبوها ونقيم نحن بمكاننا هذا حتى يقدم علينا أخواننا

فقال له شرحبيل إنه ليس لك ولا لنا معك أن نخرجهم من ديارهم وقد صالحناهم على ألا نخرجهم منها فأقبل أبو عبيدة على جماعة من عنده فقال ماذا ترون رحمكم الله

فقالوا نرى أن نقيم ونكتب إلى أمير المؤمنين فنعلمه نفيروا الروم إلينا وتبعث إلى من بالشام من أخوانك المسلمين فيقدموا عليك

فقال أبو عبيدة إن الأمر أجل وأعظم مما تحسبون ولا أحسب القوم إلا سيعاجلونكم قبل وصول خبركم إلى أمير المؤمنين

فقام إليه ميسرة بن مسروق فقال

أصلحك الله إنا لسنا بأصحاب القلاع ولا الحصون ولا المدائن وإنما نحن أصحاب البر والبلد والقفرة فأخرجنا من بلاد الروم ومدائننا إلى بلادنا أو إلى بلاد من بلادهم تشبه بلادنا إن كانوا قد جاشوا علينا كما ذكرت ثم انضم إليك قواصيك وابعث إلى أمير المؤمنين فليمددك

فقال كل من حضر ذلك المجلس الرأي ما رأى ميسرة فقال لهم أبو عبيدة فتهيأوا وتيسروا حتى أرى من رأي وكان رأي أبي عبيدة أن يقيموا ولا يبرحوا ولكنه كره خلافهم ورجا أن يكون في اجتماع رأيهم الخير والبركة

ثم بعث إلى حبيب بن مسلمة وكان استعمله على الخراج فقال انظر ما كنت جيت من حمص فاحتفظ به حتى آمرك فيه ولا تجيب أحدا ممن بقي حتى أحدث إليك في ذلك ففعل فلما أراد أبو عبيدة أن يشخص دعا حبيبا فقال له اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم وقل لهم نحن على ما كان بيننا وبينكم من الصلح لا نرجع عنه إلا أن ترجعوا وإنما رددنا عليكم أموالكم كراهية أن نأخذها ولا نمنع بلادكم ولكننا نتحى إلى بعض الأرض ونبعث إلى أخواننا فيقدموا علينا ثم نلقى عدونا فإن أظفروا الله بهم وفينا لكم بعهدكم إلا ألا تطلبوا ذلك ثم أخذ الناس في الرحيل إلى دمشق ورد حبيب بن مسلمة إلى أهل البلد ما كان أخذ منهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة فقالوا ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم لكنهم والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا

وأعلم أبو عبيدة عمر بن الخطاب بكل ما قبله قال سفيان بن عوف بن معقل بعثني أبو عبيدة ليلة غدا من حمص إلى دمشق فقال انت أمير المؤمنين فأبلغه مني السلام وأخبره بما قد رأيت وعانيت وبما جاءتنا به العيون وبما استقر من كثرة العدو وبالذي رأى المسلمون من التحي عنهم وكتب إليه معه

أما بعد فإن عيوني قدمت علي من أرض قنسرين ومن القرية التي فيها ملك الروم فحدثوني بأن الروم قد توجهوا إلينا وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه قط لأمة كانت قبلنا وقد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر واستشرتهم في الرأي

فاجتمع رأيهم على أن يتحوا عنهم حتى يأتينا رأيك وقد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك فإنه بذلك عليهم وهو عندنا أمين ونستعين الله العزيز الحكيم وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام عليك

قال سفيان فلما قدمت على أمير المؤمنين سلمت عليه فقال أخبرني عن الناس فأخبرته بصلاحتهم ودفاع الله عنهم ثم أخذ الكتاب فقرأه فقال لي ويحك ما فعل المسلمون فقلت أصلحك الله خرجت من عندهم ليلا من حمص وتركتهم يقولون نصلّي الغداة ثم نرحل إلى دمشق قال فكأنه ه حتى عرفت الكراهة في وجهه ثم قال لله أبوك ما رجوعهم عن عدوهم وقد أظفروا الله بهم في غير موطن وما تركهم أرضا قد فتحتها الله عليهم وصارت في أيديهم إني لأخاف أن يكونوا قد أساءوا الرأي وجأوا بالعجز وجرأوا عدوهم عليهم فقلت أصلحك الله إن الشاهد يرى ما لا يرى

الغائب إن صاحب الروم قد جمع لنا جموعا لم يجمعها هو ولا أحد كان قبله لأحد كان قبلنا ولقد أخبرنا بعض عيوننا أن عسكرا واحدا من عساكرهم أمر بالعسكرة في اصل جبل فهبطوا من الثنية نصف النهار إلى معسكرهم فما تكاملوا فيه حتى أمسوا ثم ما تكاملوا فيه إلى نصف الليل فهذا عسكر واحد من عساكرهم فما ظنك أصلحك الله

بما بقي فقال لولا أني ربما كرهت الشيء من أمرهم يضيعونه فأرى الله تعالى يخبر لهم في عواقبه لكان هذا رأيا أنا له
كاره أخرني اجتمع رأي جميعهم على التحول قلت نعم قال فالحمد لله إني لأرجو إن شاء الله أن لا يكون جمع الله
رأيهم إلا على ما هو خير لهم فقلت يا أمير المؤمنين اشدد أعضاء المسلمين بمدد يأتيهم من قبلك قبل الواقعة فإن هذه
الواقعة هي الفصيل فيما بيننا وبينهم فقال لي أبشر بما يسرك ويسر المسلمين و احمِل كتابي هذا إلى أبي عبيدة وإلى
المسلمين وأعلمهم أن سعيد بن عامر ابن حذيم قادم عليهم بالمدد وكتب
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن
الجراح وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان والجاهدين في سبيل الله سلام عليكم فإني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فإنه قد بلغني توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق وترككم بلادا فتحها الله عليكم وخليتموها
لعدوكم وخرجتم منها طائعين فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم ثم إني سألت رسولكم عن رأي من جميعكم كان
ذلك فزعم أن ذلك كان رأيا من أمثالكم وأولي النهي منكم فعلتم أن الله لم يكن يجمع رأيكم إلا على توفيق
وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة فهون ذلك علي ما كان داخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم وقد سألتني
رسولكم المدد وأنا مددكم لن يقرأ عليكم كتابي حتى يشخص إليكم المدد من قبلي إن شاء الله واعلموا أنه ليس
بالجمع الكثير تهم الجموع وينزل الله النصر ولربما خذل الله الجموع الكثيرة فوهنت وقلت وفشلت ولم تغن عنهم
فتهم شيئا ولربما نصر الله العصاة القليل عددها على الكثير من أعداء الله
فأنزل الله عليكم نصره وبعثوا المسلمين بأسه ورجزه والسلام عليكم
فجاء سفيان بالكتاب إلى أبي عبيدة فقرأه على الناس وسروا به

وعن عبد الله بن قرط في حديثه المتقدم عما اجتمع عليه رأي المسلمين مع أبي عبيدة من الرحيل عن حمص قال فلما
صلينا صلاة العداة بحمص خرجنا مع أبي عبيدة نسير حتى قدمنا دمشق وبها خالد بن الوليد وتركنا أرض حمص
ليس فيها منا ديار بعدما كنا قد افتتحناها وأما أهلها وصالحناهم عليها وخلا أبو عبيدة بخالد بن الوليد فأخبره الخبر
وذكر له مشورة الناس عليه بالرحلة ومقالة العبيسي في ذلك فقال له خالد أما أنه لم يكن الرأي إلا الإقامة بحمص
حتى نناجزهم فأما إذ اجتمع رأيكم على أمر واحد فوالله إني لأرجو أن لا يكون الله قد جمع رأيكم إلا على ما هو
خير

فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كلثوم أن يرد على أهل دمشق الذين كانوا أمنوا ووصلوا ما كان
جبي منهم ففعل وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم

ثم إن أبا عبيدة جمع أصحابه فقال لهم ماذا ترون أشيروا علي فقال يزيد بن أبي سفیان أرى أن تخرج حتى تنزل
الجابية ثم تبعث إلي عمرو بن العاص فيقدم عليك بمن معه من المسلمين ثم نقيم للقوم حتى يقدموا علينا فنقاتلهم
ونستعين الله عليهم

فقال شرحبيل بن حسنة لكني أرى إذ خيلنا لهم ما خيلنا من أرضهم أن ندعها كلها في أيديهم ونزل النخوم بين
أرضنا وأرضهم فدونو من خليفتنا ومن مددنا فإذا أتانا من المدد ما نرجو أن نكون لهم به مقرنين قاتلناهم إن أتونا
وإلا أقلمنا عليهم إن هم أقاموا عنا

فقال رجل من المسلمين لأبي عبيدة هذا أصلحك الله رأي حسن فاقبله واعمل به

فقال معاذ بن جبل وهل يلتمس هؤلاء القوم من عدوهم أمرا اضرم ولا أشد عليهم مما تريدون أنتم بأنفسكم
تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله عليكم وقتل فيها صناديدهم وأهلك جنودهم فإذا خرج المسلمون منها وتركوها
لهم فكانوا فيها على مثل حالهم الأول فما اشد على المسلمين دخولها بعد الخروج منها وهل يصلح لكم أن تدعوها
وتدعوا البلقاء والأردن وقد جبيتهم خراجهم لتدفعوا عنهم أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لتكابدن من
ذلك مشقة

فقاوبو عبيدة صدق والله وبر ما ينبغي أن تترك قوما قد جبيتنا خراجهم وعقدنا العهد لهم حتى نعذر إلى الله في الدفع
عنهم فإن شتمت نزلنا وبعثنا إلى عمرو بن العاص يقدم علينا ثم أقمنا للقوم حتى نلقاهم بها
فقال له خالد كأنك إذا كنت بالجابية كنت على أكثر مما أنت عليه في مكانك الذي أنت فيه
فإنهم لكذلك يجيلون الرأي إذ قدم على أبي عبيدة عبد الله بن عمرو بن العاص بكتاب من أبيه يقول فيه

أما بعد فإن أهل إلبياء وكثيرا ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم وذكروا أن
الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها وأنكم قد خليتم لهم عن الأرض وأقبانتم منصرفين عنها وقد جرائهم
ذلك علي وعلى من قبلي من المسلمين وقد ترأسوا وتواثقوا وتعاهدوا ليسيروا إلي فاكتب إلي برأيك فإن كنت
تريد القدوم علي أقمت لك حتى تقدم علي وإن كنت تريد أن تنزل منزلا من الشام أو من غيرها وأن أقدم عليك
فأعلمني برأيك أو أفك فيه فإني صائر إليك أينما كنت وإلا فابعث إلي مددا أقوى به على عدوي وعلى ضبط ما
قبلي فإنهم قد أرجفوا بنا واغتمزوا فينا واستعلوا لنا ولو يجدون فينا ضعفا أو يرون فينا فرصة ما ناظرونا والسلام
عليك

فكتب إليه أبو عبيدة أما بعد فقد قدم علينا عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين واستعدادهم لك
وجرائهم عليك للذي بلغهم من انصرافنا عن الروم وما خليا لهم من الأرض وأن ذلك والحمد لله لم يكن من
المسلمين عن ضعف من بصائرهم ولا وهن عن عدوهم ولكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم ليخرجوهم
من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم وليجتمع بعض المسلمين إلى بعض وينتظروا قدوم أمدادهم ثم يناهضوهم إن شاء
الله وقد اجتمعت خيلهم وتنامت فرسانهم فعند ذلك فارتقب نصر الله أوليائه وإنجاز موعوده وإعزاز دينه وإذلاله
المشركين حتى لا ينجح أحد منهم أمه ولا حليلته ولا نفسه حتى يتوقلوا في شغف الجبال ويعجزوا عن منع الحصون
ويجنحوا للسلم ويلتمسوا الصلح سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ٦٢ الأحزاب
ثم أعلم من قبلك من المسلمين أي قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله فليحسنوا بالله الظن ولا يجدن
عدوكم فيكم ضعفا ولا وهنا ولا توبسوا منكم رعبا فيطعموا فيكم ويجتروا عليكم أعزنا الله وإياكم بنصره وعمنا
بعافيته وعفوه والسلام عليك

وقال لعبد الله بن عمرو اقرأ على أهلك السلام وأخبره أي في أثرك وأعلم بذلك المسلمين وكن يا عبد الله بن عمرو
ممن يشد الله به ظهور المسلمين ويستأنسون به فإنك رجل من الصحابة وقد جعل الله للصحابة فضلا على غيرهم
من المسلمين بصحبته رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولا تتكل على أهلك وكن أنت في جانب تحرض المسلمين
وتمنيهم النصر وتأمريهم بالصبر ويكون أبوك يفعل ذلك في جانب آخر

فقال إني أرجو أن يبلغك عني إن شاء الله من ذلك ما تسر به
ثم خرج حتى قدم على أبيه بكتاب أبي عبيدة فقراه أبوه على الناس ثم قال

أما بعد فقد برئت ذمة الله من رجل من أهل عهدنا من أهل الأردن تقف رجلا من أهل إيلياء فلم يأتنا به ألا ولا ييقن رجل من أهل عهدنا إلا تمياً واستعد ليسير معي إلى أهل إيلياء فإني أريد السير إليهم والنزول بساحتهم ثم لا أزيلاهم حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ثم نادى في المسلمين أن ارتحلوا إلى إيلياء فسار نحواً من ميلين قبل أرض إيلياء ثم نزل وعسكر وقال لأهل الأردن أخرجوا إلينا الأسواق ونادى مناديه برئت الذمة من رجل من أهل الصلح لم يخرج بسلاحه حتى يحضر معنا معسكرنا وينتظر ما نأمر به من أمرنا فاجتمع أهل الصلح كلهم إليه وخرجوا بعدتهم وسلاحهم فقدمهم مع ابنه عبد الله في خمسمائة من المسلمين وأمره أن يعسكر بهم ففعل وإنما أراد أن يشغل أهل الأردن عن الإرجاف وأن يبلغ أهل إيلياء أنه يريد للسير إليهم والنزول بهم فيرعب قلوبهم ويشغلهم في أنفسهم وحصونهم عن الغارة عليهم
فخرج التجار من أهل الأردن ومن كان فيها من أهل إيلياء عند حميم أو ذوي قرابة فلاحقوا بإيلياء فقالوا لهم هذا عمرو بن العاص قد أقبل نحوكم بالناس فاجتمعوا من كل مكان وتراسلوا وجعلوا لا يجيئهم أحد من قبل الأردن إلا أخبرهم بمعسكره فأيقنوا أنه يريدكم فكانوا من ذلك في هول شديد وزادهم خوفاً ووجلاً كتاب كنبه إليهم عمرو بن العاص مضمونه

بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص إلى بطارقة أهل إيلياء سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله الذي لا إله إلا هو وبنوة محمد {صلى الله عليه وسلم} أما بعد
فإنا ننثي على ربنا خيراً ونحمده همداً كثيراً كما رحمتنا بنبيه وشرفنا برسالته وأكرمنا بدينه وأعزنا بطاعته وأيدنا بتوحيده فلسنا والحمد لله نجعل له نداً ولا نتخذ من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً والحمد لله الذي جعلكم شيعاً وجعلكم في دينكم أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون فمنكم من يزعم أن الله ولداً ومنكم من يزعم أن الله ثاني اثنين ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة فبعداً لمن أشرك بالله وسحقاً وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً والحمد لله الذي قتل بطارقكم وسلب عركم وطرد من هذه البلاد ملوككم وأورثنا أرضكم ودياركم وأمواكم وأذلكم بكفركم بالله وشرككم به وترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله وبرسوله فأعقبكم الله لباس الخوف والجوع ونقصاً في الأموال والأنفس وما الله بظلام للعبيد
فإذا بلغكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا وإلا فأقبلوا إلي حتى أكتب لكم
أماناً على دماءكم وأمواكم وأعقد لكم عقداً على أن تؤدوا إلي الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيول وبالرجال بعد الرجال ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة وأسبي الذرية وحتى تكونوا كامئة كانت فأصبحت كأنها لم تكن

وأرسل بالكتاب إليهم مع فيح نصراني على دينهم وقال له عجل علي فإني إنما أنتظر كلفاً قدم عليهم قالوا له ويحك ما وراءك قال لا أدري إلا أن هذا الرجل يعني إليكم بهذا الكتاب وقد وجه عسكره نحوكم وقال لي ما يمنعني من المسير إليهم إلا انتظار رجوعك فقالوا انتظرنا ساعة من النهار فإنا ننتظر عيناً لنا يقدم علينا من قبل أمير العرب الذي بدمشق ومن قبل جند الملك الذي أقبل إلينا فننظر ما يأتينا به فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم وإن خشينا ألا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيرهم فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام فأقام العليج حتى أمسى ثم إن رسول أهل إيلياء الذي بعثوه علينا هم أتاهم فأخبرهم أن باهنا قد أقبل من عند ملك الروم في ثلاثة

عساكر في كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل وأن العرب لما بلغهم ما سار إليهم م تلك الجموع علموا أنه لا قبل لهم بما جاءهم فأنصرفوا راجعين وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض قنسرين فأخرجوهم منها ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها ثم أقبلت العرب الآن نحو الأردن نحو صاحبهم هذا الذي كتب إليكم والروم يسوقوهم سوقا عنيفا فتباشروا بذلك وسروا به ودعوا العليج الذي بعث به إليهم عمرو بن العاص وقالوا اذهب بكتابتنا هذا إلى صاحبك وكتبوا معه

أما بعد فإنك كتبت إلينا تزكي نفسك وتعيينا وقول الباطل لا ينفع قائله نفسه ولا يضر عدوه وقد فهمنا ما دعوتنا إليه وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاؤوكم فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا في التقديم وإن ابتلانا بظهوركم فلعمري لنقرن لكم بالصغار وما نحن إلا كمن ظهرتم عليه من إخواننا ثم دانوا لكم وأعطوكم ما سألتهم فقدم الرسول بهذا الكتاب على عمرو فقال له ما حبسك فأخبره الخبر فلم يكن إلا يومه ذلك حتى قدم خالد بن الوليد في مقدمة أبي عبيدة فجاء حتى نزل اليرموك وأقبل عمرو حتى نزل معه وقعة اليرموك على نحو ما حكاه أصحاب كتب فتوح الشام

قالوا ولما اجتمع جمع المسلمين باليرموك استشار أبو عبيدة أهل الرأي من المسلمين أين ترون أن نعسكر حتى يقدم مددنا فقال يزيد بن أبي سفيان أرى أن نسير بمن معنا إلى أيلة فنقيم بها حتى يقدم علينا المدد فقال عمرو ما أيلة إلا كبعض الشام ولكن سر بنا حتى ننزل الحجر فننظر المدد فقال قيس ابن هيرة لا ردنا الله إذا إليها إن خرجنا لهم عن الشام أكثر مما خرجنا لهم عنه أتدعون هذه العيون المفجرة والأثمار المطردة والزروع والأعشاب والذهب والفضة والحريير وترجعون إلى أكل الضياء ولبس العباء والبؤس والشقاء وأنتم تعلمون أن من قتل منكم صار إلى الجنة وأصاب نعيما لا يشاكلة نعيم فأين تدعون الجنة وقمر بون منها وتزهدون فيها وتأتون الحجر لا صاحب الله من سار إلى الحجر ولا حفظه فقال له خالد بن الوليد جزاك الله خيرا يا قيس فإن رأيك موافق لرأيي وفي حديث عن أبي معشر أن الروم حين جاشت على المسلمين ودنوا منهم دعا أبو عبيدة رجوس المسلمين واستشارهم فذكر من مشورة يزيد بن أبي سفيان عليه وعمرو بن العاص نحو ما تقدم قال وخالد بن الوليد ساكت يسمع ما يقولون وكان يرحمه الله إذا كانت شدة فإليه وإلى رأيه يفزعون إذ كان لا يهوله من أمر الروم شيء ولا يزداد بما يبلغه عنهم إلا جرأة عليهم فقال له أبو

عبيدة ماذا ترى يا خالد فقال أرى والله أنا إن كنا إنما نقاتل بالكثرة والقوة فهم أكثر منا وأقوى علينا وإن كنا إنما نقاتلهم بالله والله فما أرى أن جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعا تغني عنهم شيئا ثم غضب فقال لأبي عبيدة أتطيعني أنت فيما أمرك به قال نعم قال فولني ما وراء بابك وخليني والقوم فإني والله لأرجو أن ينصرنا الله عليهم قال قد فعلت فولاه ذلك فكان خالد من أعظم الناس بلاء وأحسنه غناء وأعظمه بركة وأيمنه نقيبة وكانوا أهون عليه من الكلاب

وعن مالك بن قسامة بن زهير عن رجل من الروم يدعى جرجة كان قد أسلم فحسن إسلامه قال كنت في ذلك الجيش الذي بعث قيصر من أنطاكية مع باهان فأقبلنا ونحن لا يحصي عددنا إلا الله ولا نرى أن لنا غالبا من الناس فأخرجنا أوائل العرب من أرض قنسرين ثم أقبلنا في آثارهم حتى أخرجناهم من حصص ثم أقبلنا في آثارهم حتى أخرجناهم من دمشق قال ولحق بنا كل من كان على ديننا من النصارى حتى إن كان الراهب ليتزل عن صومعته

وقد كان فيها دهرا طويلا من دهره فيتركها وينزل إلينا ليقاتل معنا غضبا لدينه ومحاماة عليه وكان من كان من العرب بالشام ممن كان على طاعة قيصر ثلاثة أصناف فأما صنف فكانوا على دين العرب وكانوا معهم وأما صنف فكانوا نصارى وكانت لهم في النصرانية نية فكانوا معنا وأما صنف فكانوا نصارى ليس لهم في النصرانية تلك النية فقالوا نكره أن نقاتل أهل ديننا ونكره أن ننصر العجم على قومنا وأقبلت الروم تتبع أهل الإسلام وقد كانوا هائنين لهم مرعوبين منهم ولكنهم لما رأوهم قد حلوا لهم البلاد وتركوا لهم ما كانوا افتتحوا جرأهم ذلك عليهم مع عددهم الذي لم يجتمع قط لأحد من قبلهم وعن عبد الله بن قرط قال لما أقبلت الروم من عند ملكهم أخذوا لا

يمرون بأرض قد كنا افتتحناها ثم أجلبنا لهم عنها إلا أوقفوا بهم ولا موهم وشتموهم وخوفوهم فيقولون لهم أنتم أولى باللائمة منا أنتم وهتتم وعجزتم وتركنتمونا وذهبتم وأتانا قوم لم تكن لنا بهم طاقة فكانوا يعرفون صدقهم فيكفون عنهم وأقبلوا يتبعون آثار المسلمين حتى نزلوا بمكان من اليرموك يدعى دير الجبل مما يلي المسلمين والمسلمون قد جعلوا نساءهم وأولادهم على جبل خلف ظهورهم فمر قيس بن هبيرة بنسوة من نساء المسلمين مجتمعات فلما رأيته قامت إليه أميمة بنت أبي بشر بن زيد بن الأطول الأزديّة وكانت تحت عبد الله بن قرط وكان أشبه خلق الله به في الحرب فرسه يشبه فرسه وباده يشبه باده وكل شيء منه كذلك فظنت أنه زوجها فقالت له اسمع بنفسي أنت فعلم قيس أنها شبهته بزوجها فقال أظنك شبهتني بزوجك فقالت واسوأته وانصرفت فأقبل قيس عليها وعلى من كان معها من النساء فقال هن قبيح الله امرأة منكن تضطجع لزوجها وهذا عدوه قد نزل بساحته إن لم يقاتل عنها وإذا أراد ذلك منها فلتمتنع عليه ولتحت في وجهه التراب ثم لقل له أخرج قاتل عني فلست لك بامرأة حتى تمنعني فلعمري ما تقرب النساء على مثل هذه الحال إلا أهل الفسولة والنذالة ثم مضى فقالت المرأة واسوأته منه إنما ظننت أنه ابن قرط فإنه لم يعيش البارحة إلا عشاء خفيفا أثر بعشائه رجلين من إخوانه تعشيا عنده فكنت هيأت له غدائه فأردت أن ينزل فيغدئ

قال ابن قرط ولما نزل الروم منزلهم الذي نزلوا فيه دسنا إليهم رجالا من أهل البلد كانوا نصارى قد أسلموا فأمرناهم أن يدخلوا عسكرهم فيكتموا إسلامهم ويأتونا بأخبارهم فكانوا يفعلون ذلك قال فلبثوا أياما مقابلينا ثلاثا أو أربعا لا يسألوننا عن شيء ولا نسألهم ولا يتعرضون لنا ولا نتعرض لهم فبينما نحن كذلك إذ سمعنا جلبة شديدة وأصواتا عالية فظننا أن القوم يريدون

النهوض إلينا فتهيأنا وتيسرنا ثم دسنا إليهم عيوننا ليأتونا بالخبر فما لبثنا إلا قليلا حتى رجعوا إلينا فأخبرونا أن يريدوا جاءهم من قبل ملك الروم فيشرهم بمال يقسم بينهم ويمد يأتهم ففرحوا بذلك ورفعوا له أصواتهم واجتمعوا إلى باهان النائب فيهم عن ملكهم فقام فيهم فقال إن الله لم يزل لدينكم هذا معزا وناصرنا وقد جاءكم قوم يريدون أن يفسلوا عليكم دينكم ويغلبوكم على دنياكم وأنتم عدد الحصى والثرى والذر والله إن في هذا الوادي منكم لنحو من أربعمئة ألف مقاتل سوى اتباعكم وأعانكم ومن اجتمع إليكم من سكان بلادكم ومن هو معكم على دينكم فلا يهولنكم أمر هؤلاء القوم فإن عددهم قليل وهم أهل الشقاء والبؤس وجلهم حاسر جائع وأنتم الملوك وأهل الحصون والقلاع والعدة والقوة فلا تبرحوا العرصة حتى تملكوهم أو تملكوا أنتم فقام إليه بطارقتهم فقالوا له مرنا بأمرك ثم انظر ما نصنع قال فتيسروا حتى آمركم

وعن أبي بشر رجل من تنوخ كان مع باهان قال كنت نصرانيا فنصرت النصارى على العرب فأقبلت مع الروم فإذا

من نمر به من أهل البلد أحسن شيء ثناء على العرب في سيرتهم وفي كل شيء من أمرهم وأقبلت الروم فجعلوا يفسدون في الأرض ويسبغون السيرة ويعصون الأوامر حتى ضج منهم الناس وشكاهم أهل القرى فلا تزال جماعة تجيء معها بالجارية قد افنضت وجماعة يشكون أن أغنامهم ذبحت وآخرون أنهم خربوا وسلبوا فلما رأى ذلك باهان قام فيهم خطيبا فقال يا معشر أهل هذا الدين إن حجة الله عليكم عظيمة إذ بعث إليكم رسولا وأنزل عليه كتابا وكان رسولكم لا يريد الدنيا ويهديكم فيها وأمركم أن لا تظلموا أحدا فإن الله لا يحب الظالمين وأنتم الآن تظلمون فما عذرکم غدا عند خالقكم وقد تركتم أمره وأمر نبيكم

وما أتاكم به من كتاب ربكم وهذا عدوكم قد نزل بكم يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم وأنتم تعملون بالمعاصي ولا ترعون منها خشية العقاب فإن نزع الله سلطانكم من أيديكم وأظهر عليكم عدوكم فمن الظالم إلا أنتم فاتقوا الله وانزعوا عن ظلم الناس

فقام إليه رجل من أهل البلد من أهل الذمة يشكو مظلمة فتكلم بلسانهم وأنا أفقه كلامهم فقال أيها الملك عشت الدهر ووقيناك بأنفسنا مكروه الأحداث إني امرؤ من أهل البلد من أهل الذمة وكانت لي غنم أظنها مائة شاة أو تنقص قليلا وكان فيها ابن لي يرعاها فمر به عظيم من عظماء أصحابك فضرب بناءه إلى جنبها وأخذ حاجته منها وانتهب بقيتها أصحابه فجاءته امرأتي تشكو إليه انتهاب أصحابه غنمي وتقول له أما ما أخذت أنت لنفسك فهو لك ولكن ابعث إلى أصحابك يردوا علينا غنمنا فلما رآها أمر بها فأدخلت بناءه وطال مكنتها عنده فلما رأى ذلك ابنها دنا من باب البناء فاطلع فيه فإذا هو بصاحبكم ينكح أمه وهي تبكي فصاح الغلام فأمر به فقتل فأخبروني ذلك فأقبلت إلى ابني فأمر بعض أصحابه فشد علي بالسيف ليضربني فأتقته بيدي فقطعها فقال له باهان فهل تعرفه قال نعم قال وأين هو قال هو ذا لعظيم حاضر عنده من عظمائهم قال فغضب ذلك العظيم وغضب له ناس من أصحابه وكان فيهم ذا شارة وشرف فأقبل ناس من أصحابه أكثر من مائة فشدوا على المستعدي فضربوه بأسيا فهم حتى مات ثم رجعوا وباهان ينظر إلى ما صنعوا فقال بلسانه العجب كل العجب كيف لا تهتد الجبال وتنفجر البحار وتترزل الأرض وترعد السماء هذه الخطيئة التي عملتموها وأنا أنظر ولأعمالكم العظام التي تعملونها وأنا أرى وأسمع إن كنتم تؤمنون أن هؤلاء المستضعفين المظلومين لها ينصف المظلوم من الظالم فأيقنوا بالقصاص ومن الآن يعجل لكم الهلاك وإن كنتم لا تؤمنون بذلك فأنتم والله عندي شر

من الكلاب والحمر ولعمري إنكم لتعملون أعمال قوم لا يؤمنون ولقد سخط الله أعمالكم وليكنكم إلى أنفسكم فأما أنا فأشهد الله أبي بريء من أعمالكم وسترون عاقبة الظلم إلى ما تؤيدكم وإلى أي مصير تصيركم ثم نزل

قال التنوخي وكنا نزلنا بالمسلمين ونحن لهم هائبون وقد كان بلغنا أن نبيهم {صلى الله عليه وسلم} قال لهم إنكم ستظهرون على الروم وقد كانوا واقفونا غير مرة كل ذلك يكون لهم الظفر علينا غير أنا إذا نظرنا إلى عددنا وجموعنا طابت أنفسنا وظننا أن مثل جمعنا لا يفيل فأقام باهان أياما يرأسل من حوله من الروم ويأمرهم أن يجمعوا إلى أصحابه الأسواق فكانوا يفعلون ولم يكن ذلك يضر المسلمين لأن الأردن في أيديهم فهم مخصبون بخير فلما رأى باهان أن ذلك لا يضرهم وأنهم مكتفون بالأردن بعث خيلا عظيمة لتأنيهم من وراءهم وعليها بطريق من بطارتهم يريد أن يكبتهم بجنوده من كل جانب فعلم المسلمون ما يريد فدعا أبو عبيدة خالد بن الوليد فبعثه في ألقى فارس وألقى راجل فخرج حتى اعترض العليج فلما استقبله نزل خالد في الرجالة وبعث قيس بن هبيرة في الخيل فحمل

عليهم قيس فاقتلوا قتالا شديدا حتى هزمهم الله ومشى خالد في الرجالة حتى إذا دنا شد برايته وشد معه المسلمون فصار بهم بالسيوف حتى تبددوا وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقال قيس لرجل من بني نمر وقد مر به البطريق يركض يا أبا بني نمر لا يفوتك البطريق فإني والله لقد كدت فرسي على هذا العدو اليوم حتى ما عنده جري فحمل عليه النميري فركض في أثره ساعة ثم أدركه فلما رآه البطريق قد غشيه وأحرجه عطف عليه فاضطربا بسيفيهما فلم يصنع السيفان شيئا واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا إلى الأرض فاعترا ساعة ثم صرعه النميري فوقع على صدر البطريق في ساقيه فضمه البطريق إليه وكان مثل الأسد فلم يستطع النميري يتحرك وجاء قيس حتى وقف عليهما فقال يا أبا بني نمر قتلت الرجل إن شاء الله قال لا والله ما أستطيع أن أتحرك ولا أضربه بشيء ولقد ضمني بفخذي وأمسك يدي بيديه فنزل إليه قيس فضربه فقطع إحدى يديه ثم تركه وانطلق وقال للنميري شأنك به وقام النميري فضربه بسيفه حتى قتله ومر به خالد بن الوليد فقال من قتل هذا فقال له قيس هذا النميري قتله ولم يخبره هو بما صنع

وفي حديث عبد الله بن قرط أن معاذ بن جبل ورجالا معه من المسلمين قالوا لأبي عبيدة حين سار من دمشق إلى اليرموك ألا تكتب إلى أمير المؤمنين تعلمه علم هذه الجيوش التي جاءتنا وتسألنا المدد قال بلى فكتب إليه أما بعد فإن الروم نفرت إلينا برا وبحرا ولم يخلفوا وراءهم أحدا يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به علينا وخرجوا معهم بالقسيسين والأساقفة ونزلت إليهم الرهبان من الصوامع فاستجاشوا أهل أرمينية والجزيرة وجاؤونا وهم نحو من أربعمئة ألف رجل وإنه لما بلغني ذلك من أمرهم كرهت أن أغر المسلمين من أنفسهم فكشفت لهم عن الخبر وصرحت لهم عن الأمر وسألتهم عن الرأي فرأى المسلمون أن يتنحوا إلى جانب من أرض الشام ثم انضم إلينا قواصينا وننظر المدد فالعجل العجل علينا يا أمير المؤمنين بالمدد بعد المدد والرجال بعد الرجال وإلا فاحسب نفوس المسلمين إن هم أقاموا أو دينهم إن هم هربوا فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته أو يأتيهم بغياث من عنده والسلام عليك

قال عبد الله بن قرط وبعثني بكتابه فلما قدمت على عمر دعا المهاجرين والأنصار فقرا عليهم كتاب أبي عبيدة فبكى المسلمون بكاء شديدا ورفعوا أيديهم ورغبتهم إلى الله عز وجل أن ينصرهم وأن يعافهم ويدفع عنهم واشتدت شفقتهم عليهم وقالوا يا أمير المؤمنين ابعثنا إلى إخواننا وأمر علينا أميرنا ترضاه لنا أو سر أنت بنا إليهم فوالله إن أصيبوا فما في العيش خير

بعدهم قال ولم أر منهم أحدا كان أظهر جزعا ولا أكثر شفقة من عبد الرحمن ابن عوف ولا أكثر قولاً لعمر سر بنا يا أمير المؤمنين فإنك لو قدمت الشام شد الله قلوب المسلمين ورعب قلوب الكافرين قال واجتمع رأي أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أن يقيم عمر ويبعث المدد ويكون ردها للمسلمين قال فقال لي عمر رحمه الله كم كان بين الروم وبين المسلمين يوم خرجت فقلت نحو من ثلاث ليال فقال عمر هيهات متى يأتي هؤلاء غياثنا ثم كتب معي إلى أبي عبيدة

أما بعد فقد قدم علينا أخو ثماله بكتابك تخبر فيه بنفير الروم إلى المسلمين برا وبحرا وربما جاشوا به عليكم من أساقفتهم ورهبانهم وأن ربنا الحمود ذا الصنع العظيم والمن الدائم قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حين بعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} بالحق فنصره بالرعب وأعزه بالنصر وقال وهو لا يخلف الميعاد هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ٩ الصف فلا يهولنك كثرة من جاءك منهم

فإن الله منهم بريء ومن برئ الله منه كان قمنا أن لا تنفعه كثرتة وأن يكلمه الله إلى نفسه ويخذه ولا يوحشك قلة المسلمين في المشركين فإن الله معك وليس قليلا من كان الله معه فأقم بمكانك الذي أنت فيه حتى تلقى عدوك وتناجزهم إن شاء الله وستظهر بالله عليهم وكفى بالله ظهيرا ووليا وناصرا وقد فهمت مقاتلتك احتسب أنفس المسلمين إن أقاموا أو دينهم إن هم هربوا فقد جاءهم ما لا قبل لهم به إلا أن يملهم الله بملائكته أو يأتيهم بغياث من قبله وأيم الله لولا استنناؤك هذا لقد كنت أسأت لعمري لئن أقام المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خيرا للأبرار ولقد قال الله تعالى فيهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ٢٣ الأحزاب فطوبى للشهداء ولمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين أسوة

بالمصرعين حول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في مواطنه فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ولا هابوا لقاء الموت في جنب الله ولا وهن الذين بقوا من بعلمهم ولا استكانوا لمصيبتهم ولكن تأسوا بهم وجاهدوا في سبيل الله من خالفهم وفارق دينهم ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يجب الأخسنيين ١٤٦ - ١٤٨ آل عمران فأما ثواب الدنيا فالفتح والغنيمة وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة واقرأ كتابي هذا على الناس ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة

وأما قولك إنه قد جاءهم ما لا قبل لهم به فإلا يكن لهم به قبل فإن الله تعالى بهم قبلا ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا ولو كنا إنما نقاتل عدونا بجولنا وقوتنا وكثرتنا لهيئات ما قد بدنا وهلكنا ولكننا نتوكل على الله ربنا ونفوض إليه أمرنا ونبرأ إليه من الحول والقوة ونسأله النصر والرحمة وإنكم منصورون إن شاء الله على كل حال فأخلصوا الله نياتكم وارفعوا إليه رغبتكم واصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام قال عبد الله بن قرط فدفع إلي عمر الكتاب وأمرني أن أعجل السير وقال لي إذا قدمت على المسلمين فسر في صفهم وقف على كل صاحب راية منهم وأخبرهم أنك رسولي إليهم وقل لهم إن عمر يقرتكم السلام ويقول يا أهل الإسلام اصدقوا وشلوا على أعدائكم شد الليوث وأعضوا هامهم السيوف وليكونوا أهون عليكم من الذر ولا تهللكم كثرتهم ولا تستوحشوا لمن لم يلحق بكم منكم قال فركبت راحلتي وأقبلت مسرعا أتخوف ألا آتي الناس حتى تكون

الوقعة فانتهيت إلى أبي عبيدة يوم قدم عليه سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي في ألف رجل مددا من قبل عمر رضي الله عنه فسر بمقدمه المسلمون وشجعهم ذلك على عدوهم ودفعت إلى أبي عبيدة كتاب عمر فقرأه على الناس فاشتد سرورهم برأيه لهم وبما أمرهم به من الصبر وما رجا لهم في ذلك من الأجر وكان أبو عبيدة بعث سفيان بن عوف من حمص إلى عمر يستمده حين بلغه أن الروم قد جاشوا واختلفوا في الاجتماع للمسلمين فعند ذلك بعث عمر رحمه الله سعيد بن عامر بالمدد وقد كان أبو بكر رضي الله عنه وجه سعيدا هذا إلى الشام في جيش فكان مع أبي عبيدة حتى شهد معه وقعة فحل ثم أرسله أبو عبيدة إلى عمر بالفتح فقدم به عليه ثم حج بعد ورجع إلى المدينة فلم يزل مقيما بها حتى بعثه عمر بهذا المدد قال حسان بن عطية لما عقد له عمر على من وجهه معه قال له يا سعيد إني قد وليت على هذا الجيش ولست بخير

رجل منهم إلا أن تكون أتقى الله منه فلا تشتم أعراضهم ولا تضر أبشارهم ولا تحقر ضعيفهم ولا تؤثر قلوبهم وكن للحق تابعاً ولا تتبع هواك سادراً فإنه إن بلغني عنك ما أحب لم يعدمك مني ما تحب فقال له سعيد يا أمير المؤمنين إنك قد أوصيتني فاستمعت منك فاستمع مني أوصك قال هات فقد آتاك الله علماً يا سعيد قال يا أمير المؤمنين خف الله في الناس ولا تخف الناس في الله واحبب لقرىب الناس وبعيدهم تحب لنفسك وأهل بيتك واکره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك وألزم الأمر ذا الحجة يكفك الله ما أهمك ويعنك على ما أمرك وما ولاك ولا تقضين في أمر واحد بقضائين فيختلف قولك وفعلك ويلتبس الحق بالباطل ويشتهبه عليك الأمر فتزيغ عن الحق وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته ولا يأخذك في الله لومة لائم

قال فأكب عمر طويلاً وفي يده عصا له وهو واضح جبهته عليها ثم رفع رأسه ودموعه تسيل فقال لله أبوك يا سعيد ومن يستطيع هذا الذي تذكر قال من طوق ما طوقت وحمل ما حملت من هذا الأمر وإنما عليك أن تأمر فتطاع أو تعصي فتبوء بالحجة ويبوء القوم بالمعصية

عن الحارث بن عبد الله الأزدي قال لما نزل أبو عبيدة اليرموك وضم إليه قواصيه وجاءتنا جموع الروم يجرون الشوك والشجر ومعهم القسيسون والرهبان والأساقفة يقصون عليهم ويحرضونهم خافهم المسلمون فما كان شيء أحب إليهم من أن يخرجوا لهم ويتحوا عن بلادهم حتى يأتيهم مدد يرون أنهم يقوون به على من جاءهم من الروم فاستشار أبو عبيدة الناس فكلهم أشار عليه بالخروج من الشام إلا خالد بن الوليد فإنه أشار عليه بالمقام وقال له خلني والناس ودعني والأمر وولني ما وراء بابك فأنا أكفيك ياذن الله أمر هذا العدو فقال له أبو عبيدة شأنك بالناس فخلاه وإياهم قال وكان قيس بن هبيرة على مثل رأي خالد ولم يكن في المسلمين أحد يعدلها في الحرب وشدة البأس قال فخرج خالد في الناس وهم أحسن شيء دعة ورعة وهيئة وأشلمهم في لقاء عدوهم بصيرة وأطيهم أنفساً فصنفهم خالد ثلاثة صفوف وجعل الميمنة وميسرة ثم أتى أبا عبيدة قال من كنت تجعل على ميمنتك قال معاذ بن جبل قال أهل ذلك هو الرضي الثقة فولها إياه فأمر أبو عبيدة معاذاً فوقف في الميمنة ثم قال من كنت تول الميسرة قال غير واحد قال فولها إن رأيت قباث بن أشيم فأمره أبو عبيدة فوقف في الميسرة وكان فيها كنانة وقيس وكان قباث كنانياً وكان شجاعاً بنسأ قال خالد وأنا على الخيل وول على الرجالة من شئت قال أوليها إن شاء الله من لا يخاف نكوله ولا صدوده عند البأس أوليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال أصبت ووقفقت ورشدت قال أبو عبيدة انزل يا هاشم فأنت على الرجالة وأنا معك

وقال خالد لأبي عبيدة أرسل إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعوني فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس فأمره بذلك فخرج الضحاك يسير في الناس ويقول لهم إن أميركم أبا عبيدة يأمركم بطاعة خالد بن الوليد فيما أمركم به فقال الناس سمعنا وأطعنا وقال ذلك أيضاً معاذ بن جبل لما أتى إليه الضحاك أمر أبي عبيدة ثم نظر معاذ إلى الناس فقال أما إنكم إن أطعتموه لتطيعن مبارك الأمر ميمون النقيب عظيم الغناء حسن الحسبة والنية قال الضحاك فحدثت خالداً بذلك فقال رحم الله أخي معاذاً أما والله إن أحبني إني لأحبه في الله لقد سبقت له ولأصحابه سوابق لا ندرکها فهنيئاً ما خصهم الله به من ذلك قال الضحاك فأخبرت معاذاً بما رد علي خالد فقال إني لأرجو أن يكون الله قد أعطاه بصيرة على جهاد المشركين وشدة عليهم مع بصيرته وحسن نيته في إعزاز دينه أحسن الثواب وأن يكون من أفضلنا بذلك عملاً فقال خالد وقد لقيته بذلك ما شيء على الله بعزير

قال ثم إن خالد سار في الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول يا أهل الإسلام إن الصبر عز وإن الفشل عجز

وإن مع الصبر تصبرون والصابرون هم الأعلون وما زال يقف على أهل كل راية يعظهم ويحضهم ويرغبهم حتى مر
بجماعة الناس ثم إنه جمع إليه خيل المسلمين ودعا قيس بن هبيرة وكان يساعده ويوافقه ويشبهه في جلدته وشدته
وشجاعته وإقدامه على المشركين فقال له خالد أنت فارس العرب ولقل من حضر اليوم يعدلك عندي فأخرج معي
في هذه الخيل وبعث إلى ميسرة بن مسروق العبسي وكان من أشرف العرب وفرسانهم وإلى عمرو بن الطفيل ذي
النور بن عمرو اللوسي فخرجوا معه ثم قسموا الخيل أرباعا فبعث كل رجل منهم على ربيع وخرج خالد في ربيع
منها حتى دنوا من عسكر الروم الأعظم الذي فيه باهان فلما رأهم الروم فزعوا نخيئهم وقد كانوا أخبروا أن العرب
تريد الانصراف عن أرض الشام ويخلونهم وإياها فكان ذلك قد وقع في نفوسهم

وطمعوا به ورجوا أن لا يكون بينهم قتال وصدق ذلك عندهم خروجهم من بين أيديهم يسوقونهم وهم يدعون لهم
الأرض والمدائن التي كانوا قد غلبوا عليها فلما رأوا خالدا قد أقبل إليهم في الخيل فزعهم ذلك وخرجوا على
راياتهم بصلبهم والقسيسون والرهبان والبطارقة معهم فصفوا عشرين صفا لا ترى أطرافها ثم أخرجوا إلى المسلمين
خيلا عظيمة تكون أضعاف المسلمين مضاعفة فلما دنت خيلهم من خيل المسلمين خرج بطريق من بطارتهم يسأل
المبارزة ويعرض لخيل المسلمين فقال خالد أما لهذا رجل يخرج إليه ليخرجن إليه بعضكم أو لأخرجن إليه فنقلت
إليه عدة من المسلمين ليخرجوا إليه وأراد ميسرة بن مسروق ذلك فقال له خالد أنت شيخ كبير وهذا الرومي
شاب ولا أحب أن تخرج إليه فإنه لا يكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السن فقف لنا يرحمك الله في
كتيبتك فإنك ما علمت حسن البلاء عظيم الغناء وأراد عمرو بن الطفيل الخروج إليه فقال له خالد يا ابن أخي
أنت غلام حدث وأخاف أن لا تقوى عليه قال الحارث بن عبد الله وكنت في خيل خالد التي خرجت معه فقلت أنا
أخرج إليه فقال ما شئت فلما ذهبت لأخرج قال لي هل بارزت رجلا قط قبله قلت لا قال فلا تخرج إليه فقال
قيس ابن هبيرة كأنك يا خالد علي تحوم قال أجل وإني أرجو إن خرجت إليه أن تقتله وإن أنت لم تخرج إليه
لأخرجن إليه أنا قال قيس بل أنا أخرج إليه فخرج وهو يقول

سائل نساء الحي في حجالها

ألست يوم الحرب من أبطالها

ومقعص الأقران من رجالها

الرجز

فخرج إليه فلما دنا منه ضرب فرسه ثم حمل عليه فما هلك أن ضربه

بالسيف على هامته فقطع ما عليها من السلاح وفاق هامته فإذا الرومي بين يدي فرسه قتيلا وكبر المسلمون فقال
خالد ما بعد ما ترون إلا الفتح حمل عليهم يا قيس ثم أقبل خالد على أصحابه فقال حملوا عليهم فوالله لا يفلحون
وأولهم فارسا متعفرا في التراب قال فحملنا عليهم وعلى من يلينا منهم ومن خيلهم وهي مستقدمة أمام صفوفهم
وصفوفهم كأنها أعراض الجبال فكشفنا خيلهم حتى لحقت بالصفوف وحمل خالد وأصحابه على من يليه منهم
فكشفهم حتى ألحقهم بالصفوف وحمل عمرو بن الطفيل وميسرة بن مسروق في أصحابهما حتى ألحقهم
بالصفوف ثم إن خالدا أمر خيله فانصرفت عنهم ثم أقبل بما حتى لحق بجماعة المسلمين وقد أراهم الله السرور في
المشركين

قال وتلاومت بطارقة الروم وقال بعضهم لبعض جاءتكم خيل لعدوكم ليست بالكثيرة فكشفت خيولكم من كل جانب فأقبلت منهم كتائب في أثر كتائب فطيفوا الأرض مثل الليل والسيل كأنها الجراد السود وظن المسلمون أنهم يخالطونهم والمسلمون جراء عليهم سراع إليهم فأقبلوا حتى إذا دنوا من جماعة المسلمين وقفوا ساعة وقد هابوا المسلمين وامتألت صدورهم خوفا منهم فقال خالد للناس قد رجعنا عنهم ولنا الظفر عليهم فاثبتوا لهم ساعة فإن أقدموا علينا قاتلناهم وإن رجعوا عنا كان لنا الظفر والفضل عليهم فأخذوا يقتربون ثم يرجعون والمسلمون في مصافهم وتحت راياتهم سكوت لا يتكلم رجل منهم كلمة إلا أن يدعوا الله في نفسه ويستصره على عدوه فلما نظرت الروم إلى خيل المسلمين ورجالهم ومصافهم وحلهم وجدهم وصبرهم وسكونهم ألقى الله عز وجل الرعب في قلوبهم منهم فواقفهم ساعة ثم انصرفوا راجعين عنهم إلى عسكرهم فاجتمعت بطارقتهم وعظماؤهم إلى باهان وهو أصبر جماعتهم فقال لهم باهان إني قد رأيت رأيا وأنا ذاكره لكم إن هؤلاء القوم قد نزلوا بلادكم وركبوا من مراكبكم وطعموا من طعامكم ولبسوا من ثيابكم فعدل الموت عندهم أن يفارقوا ما تطعموه من عيشكم الرفيع ودنياكم التي لم يروا مثلها قط

وقد رأيت أن أسألكم إن رأيتم ذلك أن يبعثوا إلينا رجلا منهم له عقل فننطقه ونشافه ونطمعهم في شيء يرجعون به إلى أهاليهم لعل ذلك يسخى بأفسهم عن بلادنا فإن هم فعلوا ذلك كان الذي يريدون منا قليلا فيما نخاف وندفع به خطر الواقعة التي لا ندري أعليتنا تكون أم لنا فقالوا له قد أصبت وأحسنست النظر لجماعتنا فاعمل برأيك فبعث رجلا من خيارهم وعظماؤهم يقال له جرجة إلى أبي عبيدة فقال له إني رسول باهان عامل ملك الروم على الشام وعلى هذه الجنود وهو يقول لك أرسل إلي الرجل الذي كان قبلك أميراً فإنه ذكر لي أنه رجل ذو عقل وله فيكم حسب وقد سمعنا أن عقول ذوي الأحساب أفضل من عقول غيرهم فنخبره بما نريد ونسأله عما تريدون فإن وقع فيما بيننا وبينكم أمر لنا ولكم فيه صلاح أو رضى أخذنا به وحمدنا الله عليه وإن لم يتفق ذلك كان القتال من ورائنا هنالك

فدعا أبو عبيدة خالدا فأخبره بالذي جاء فيه الرومي وقال لخالد القهم فادعهم إلى الإسلام فإن قبلوا فهو حظهم وكانوا قوما لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإن أبوا فاعرض عليهم الجزية أن يؤدوها عن يد وهم صاغرون فإن أبوا فأعلمهم أنا نناجزهم ونستعين الله عليهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال وجاء رسولهم هذا الرومي عند غروب الشمس فلم يمكث إلا يسيرا حتى حضرت الصلاة فقام المسلمون يصلون صلاتهم فلما قضوها قال ذلك الرومي هذا الليل قد غشينا ولكن إذا أصبحت غدوت إلى صاحبنا إن شاء الله وجعل ينظر إلى رجال من المسلمين يصلون وهم يدعون الله ويتضرعون إليه وجعل ما يفيق وما يصرف بصره عنهم فقال عمرو إن رسولكم الذي أرسل إليكم لجنون فقال أبو عبيدة كلا والله إني لأرجو أن يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان وحببه إليه وعرفه فضله أو ما تنظر إلى نظره إلى المصلين ولبث الرومي بذلك قليلا ثم أقبل على أبي عبيدة فقال أيها الرجل

أخبرني متى دخلتم في هذا الدين ومتى دعوتكم الناس إليه فقال أبو عبيدة دعينا إليه منذ بضع وعشرين سنة فمننا من أسلم حين أتاه الرسول ومننا من أسلم بعد ذلك فقال هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول قال لا ولكنه أخبرنا أنه لا نبي بعده وأخبرنا أن عيسى بن مريم قد بشر به قومه قال الرومي وأنا على ذلك من الشهداء إن عيسى بن مريم قد بشرنا براكب الجمل وما أظنه إلا صاحبكم ثم قال أخبرني عن قول صاحبكم في عيسى فقال

له أبو عبيدة قول صاحبنا فيه قول الله تعالى فيه وهو أصدق القائلين وأبرهم قال الله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٥٩ آل عمران وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه إلى قوله لن يستكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا للملائكة المقربون ١٧١ - ١٧٢ النساء فلما فسر له الترجمان ذلك وبلغ هذا المكان قال أشهد أن هبذه صفة عيسى وأشهد أن نبيكم صادق وأنه الذي بشر به عيسى وأنكم قوم صدق وقال لأبي عبيدة ادع لي رجلين من أول أصحابك إسلاما وهما فيما ترى أفضل من معك فدعا أبو عبيدة معاذ بن جبل وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال له هذان من أفضل المسلمين فضلا ومن أولهم إسلاما فقال لهما الرومي ولأبي عبيدة أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم فقالوا له نعم إن أنت أسلمت واستقمت ولم تغير حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة قال فإني أشهدكم أي من المسلمين فأسلم وفرح المسلمون بإسلامه وصفحوه ودعوا له بخير وقالوا له إنا إن أرسلنا رسولنا إلى صاحبكم وأنت عندنا ظنوا أنا حبسناك عنهم فتتخوف أن يجبسوا صاحبنا فإن شئت أن تأتيهم الليلة وتكتم إسلامك حتى نبعث إليهم رسولنا غدا وننظر علام ينصرم الأمر بيننا وبينهم فإذا رجع رسولنا إلينا أتيتنا عند ذلك فما أعزك علينا وأرغبنا فيك وأكرمك

علينا وما أنت الآن عند كل امرئ منا إلا بمنزلة أخيه لأبي وأمه

قال فإنكم نعم ما رأيتم فخرج فبات في أصحابه وقال لباهان غدا يجيئكم رسول القوم الذي سألتهم وانصرف إلى المسلمين لما رجع إليهم خالد فأسلم وحسن إسلامه ولما أصبح المسلمون من تلك الليلة بعث خالد بن الوليد بقبة له حمراء من آدم كان اشتراها بثلاثمائة دينار فضربت له في عسكر الروم ثم خرج حتى أتاهم فأقام فيها ساعة وكان خالد رجلا طويلا جميلا جليدا مهيبا لا ينظر إليه رجل إلا ملاً صدره وعرف أنه من جلداء الرجال وشجعانهم وأشدائهم وبعث باهان إلى خالد وهو في قبته أن ألقني وصف له في طريقه عشرة صفوف عن يمينه وعشرة صفوف عن شماله مقنعين في الحديد عليهم الدروع والبيض والسواعد والجواشن والسيوف لا يرى منهم إلا الحدق وصف من وراء تلك الصفوف خيلا عظيمة وإنما أراد أن يريه عدد الروم وعلتهم ليرعبه بذلك وليكون أسرع له إلى ما يريد أن يعرض عليه فأقبل خالد غير مكترث لما رأى من هيأتهم وجماعتهم وكانوا أهون عليه من الكلاب فلما دنا من باهان رحب به ثم قال بلسانه ها هنا عندي اجلس معي فإنك من ذوي أحساب العرب فيما ذكر لي ومن شجعانهم ونحن نحب الشجاع ذا الحسب وقد ذكر لي أن لك عقلا ووفاء والعامل ينفعك كلامه والوفي يصدق قوله ويوثق بعهدته وأجلس فيما بينه وبين خالد ترجمانا له يفسر لخالد ما يقول وخالد جالس إلى جنبه

قال الحارث بن عبد الله الأزدي قال لي خالد يوم غدا إلى عسكر الروم اخرج معي وكنت صديقا له قل ما أفارقه وكان يستشيرني في الأمر إذا نزل به فكنت أشير عليه بمبلغ رأيي فكان يقول لي إنك ما علمت لميمون الرأي ولقل ما أشرت علي بمشورة إلا وجدت عاقبتها تؤدي إلى سلامة فخرجت يومئذ معه حتى إذا دخلنا عسكرهم وضربت قبته وبعث إليه باهان

لبلقاه قال لي انطلق معي فقلت له إن القوم إنما أرادوك ولا أراهم يدعونني أدنو إليهم معك فقال لي امضه فمضيت معه فلما دنونا من باهان وعلى رأسه ألوف رجال بعضهم خلف بعض وحوله لا يرى منهم إلا أعينهم وفي أيديهم العمود جاءنا الترجمان فقال أيكما خالد أنا فقال أقبل أنت وليرجع هذا فقام خالد وقال هذا رجل من أصحابي

ولست أستغني عن رأيه فرجع إلى باهان فأخبره فقال دعوه فليأت معه فأقبلنا نحوه فلم يمش إلا خطا خمسا أو ستا حتى جاء نحو من عشرة فقالوا لي ضع سيفك ولم يقولوا لخالد شيئا فنظرت ما يقول لي خالد فقال لهم ما كان ليضع عزه من عنقه أبدا وقد بعثتم إلينا فأتيناكم فإن تكرمونا جلسنا إليكم وسمعنا منكم وإن أبيتم فخلوا سبيلنا فتصرف عنكم فرجع الترجمان إلى باهان فقال دعوهما فأقبلنا إليه فرحب بخالد وأجلسه معه وجلست أنا على غمارق مطروحة للناس قريبا منهما وحيث أسمع كلامهما فقال باهان لخالد إنك من ذوي أحساب العرب فيما ذكر لي ومن شجعائهم وقد ذكر لي أن لك عقلا ووفاء والعقل ينفك كلامه والو في يصدق قوله ويوثق بعهده فلما فسر له الترجمان ذلك قال خالد إن نبينا {صلى الله عليه وسلم} قال لنا إن حسب المرء دينه ومن لم يكن له دين فلا حسب له وقال لنا إن أفضل الشجاعة وخيرها في العاجلة والعاقبة ما كان منها في طاعة الله وأما ما ذكرت أي أوتيت عقلا ووفاء فإن أكن أوتيت ذلك فله المن والفضل علينا وهو الحمود عندنا وقد قال لنا نبينا {صلى الله عليه وسلم} إن الله لما خلق العقل وفرغ من خلقه قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي ما خلقت من خلقي شيئا هو أحب إلي منك بك أحمد وبك أعبد وبك أعرف وبك تنال طاعتي وبك تدخل جنتي ثم قال خالد والوفاء لا يكون إلا من العقل فمن لم يكن له عقل فلا وفاء له ومن لا وفاء له لا عقل له فقال له باهان أنت أعقل أهل الأرض ما يتكلم بكلامك ولا يصبره ولا يفطن له إلا الفائق من الرجال ثم قال لخالد أخبرني عنك وأنت هكذا تحتاج إلى

مشورة هذا الرجل فقال له خالد وأعجب من ذلك أن في عسكرنا أكثر من ألف رجل كلهم لا يستغني عن رأيه ولا عن مشورته فقال باهان ما كنا نظن ذلك عندكم ولا نراكم به فقال له خالد ما كل ما تظنون ونظن يكون صوابا فقال باهان صدقت ثم قال له إن أول ما أكلمك به إني أدعوك إلى خلتي ومصافاتي فقال له خالد كيف لي ولك أن يتم هذا فيما بيني وبينك وقد جمعتني وإياك بلدة لا أريد أنا ولا تريد أنت أن نفرق حتى تصير البلدة لأحدنا فقال له باهان فلعن الله أن يصلح بيننا وبينك فلا يهراق دم ولا يقتل قتيل قال خالد إن شاء الله فعل قال باهان فإني أريد أن ألهي الحشمة فما بيني وبينك وأكلمك كلام الأخ أخاه إن قبلك هذه الحمراء قد أعجبتني فأنا أحب أن تمها لي فإني لم أرقبة من القباب أحسن منها فخذ ما بدا لك فيها وسلي ما أحببت فهو في يدك فقال له خالد خذها فهي لك ولست أريد من متاعك شيئا قال والله ما ظننته سألها إلا لينظر إليها فإذا هو قد أخذها ثم قال لخالد إن شئت بدأتك فتكلمت وإن شئت أنت فتكلم فقال له خالد ما أبالي أي ذلك كان أما أنا فلا أخالك إلا وقد بلغك وعلمت ما أسأل واطلب وما أدعو إليه وقد جاءك بذلك أصحابك ومن لقينا منهم بأجنادين ومرج الصفر وفحل ومدائكم وحصونكم وأما أنت فلست أدري ما تريد أن تقول فإن شئت فتكلم وإن شئت بدأتك فتكلمت فقال باهان

الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء وملكننا أفضل الملوك وأمتنا أفضل الأمم فلما بلغ هذا المكان قال خالد وقطع على باهان منطقته والحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونييكم وبجميع الأنبياء وجعل الأمير الذي وليناه أمورنا رجلا كبعضنا فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلا إلا أن يكون أبقى منه عند الله وأبر والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئا قل الآن ما بدا لك

فاصفر وجه باهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا فأغنانا من الفقر ونصرنا على الأمم وأعزنا فلا ندل ومنعنا من

الضيم فلا تباح حرمتنا ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا ببطرين ولا مريحين ولا باغين على الناس وقد كانت لنا منكم يا معشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم ونعظم ردهم ونفضل عليهم ونفي لهم بالعهد وخيرناهم بلادنا ينزلون منها حيث شاءوا فينزلون آمنين ويرحلون آمنين وكنا نرى أن جميع العرب ممن لا يجاورنا سيشكرون لنا ذلك الذي آتينا إلى إخوانهم وما اصطنعنا عندهم فلم يرعنا منهم إلا وقد فاجأتمونا بالخييل والرجال تقاتلوننا على حصوننا وتريدون أن تغلبونا على بلادنا وقد طلب هذا منا قبلكم من كان أكثر منكم عددا وأعظم مكيدة وأقوى جدا فلم يرجعوا عنا إلا وهم بين أسير وقتيل وأرادت ذلك منا فارس فقد بلغكم كيف صنع الله بهم وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد مما لقينا به فارس وأرادنا غيرهم من أهل المشرق والمغرب من ذوي المنعة والعز والجنود العظيمة فكلهم أظفروا الله بهم وصنع لنا عليهم ولم تكن أمة من الأمم بأدق عندنا منكم شأننا ولا اصغر أخطارا إنما جلكم رعاء الشاء والإبل وأهل الصحراء والحجر والبؤس والشقاء أفأنتم تطمعون أن نتخلى لكم عن بلادنا بنس ما طمعتم فيه منا وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا ونحن ننفي كل من حولنا من الأمم العظيمة الشأن الكثيرة العدد إلا جهد نزل بكم من جدوبة الأرض وقحط المطر فعتتم في بلادنا وأفسدتم كل الفساد وقد ركبتكم مراكبنا وليست كمرابكم وليست ثيابنا وليست كثيابكم وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم وأصبتكم منا وملأتم أيديكم من الذهب الأحمر والفضة البيضاء والمتاع الفاخر ولقد لقيناكم الآن وذلك كله لنا وهو في أيديكم فحن نسلمه لكم فأخرجوا به وانصرفوا عن بلادنا فإن أبت أنفسكم إلا أن تخرجوا وتشرهوا وأردتم أن تزيدكم من بيوت أموالنا ما نقوي به الضعيف منكم ويرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير فعلنا ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار ونأمر لك بمثلها ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ألف دينار ونأمر

لجميع أصحابك لكل واحد منهم بمائة دينار على أن تحلفوا لنا بالإيمان المغلظة أن لا تعودوا إلى بلادنا ثم سكت

فقال خالد الحمد لله الذي لا إله إلا هو فلما فسر ذلك الترجمان رفع باهان يديه إلى السماء ثم أشار إليه بيده وقال لخالد نعم ما قلت قال خالد وأشهد أن محمدا رسول الله فلما فسرهما الترجمان قال باهان الله أعلم ما أدري لعله كما تقول ثم قال خالد أما بعد فإن كل ما ذكرت به قومك من الغنى والعز ومنع الحریم والظفر على الأعداء والتمكن في البلاد نحن به عارفون وكل ما ذكرت من إنعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم فكان زيادة في ملككم وعزا لكم ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم قد دخلوا في دينكم وهم يقاتلوننا معكم وأما ما ذكرتنا به من رعي الإبل والغنم فما أقل ما رأيت واحدا منا يكرهه وما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله وأما قولك إنا أهل الصحراء والحجر والبؤس والشقاء فحالفنا والله كما وصفته وما ننتفى من ذلك ولا نتبرأ منه وكنا على أسوأ وأشد مما ذكرت وسأقص عليك قصتنا وأعرض عليك أمرنا وأدعوك إلى حظك إن قبلت ألا إنا كنا معشر العرب أمة من هذه الأمم أنزلنا الله وله الحمد منزلا من الأرض ليست به أثمار جارية ولا يكون فيه من الزرع إلا القليل وجل أرضنا المهامة والقفار وكنا أهل حجر ومدبر وشاة ويعبر وعيش شديد وبلاء دائم لازم نقطع أرحامنا وقتل خشية الإملاق أولادنا ويأكل قوينا ضعيفا وكثيرنا قليلنا ولا تأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة نعبد من دون الله أوثانا وأصناما نحتتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا وهي لا تنفع ونحن عليها مكبون فبيننا نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات مشركا وسار إلى النار ومن بقي منا بقي مشركا كافرا بربه قاطعا لرحمه إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا وخيارنا دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولا

نشرك به شيئا وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون وقال لنا لا تتخذوا من دون ربكم إلها ولا وليا ولا نصيرا
ولا تجعلوا معه صاحبة ولا ولدا ولا

تعبدوا من دونه نارا ولا حجرا ولا شمسا ولا قمرا

واكتفوا به ربا وإلها من كل شيء دونه وكونوا أوليائه وإليه فارغبوا وإياه فادعوا وقال لنا قاتلوا من اتخذ مع الله
آهة أخرى وكل من زعم أن لله ولدا وأنه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ويدخلوا في الإسلام فإن فعلوا حرمت عليكم دماءهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها وهم إخوانكم في الدين لهم ما
لكم وعليهم ما عليكم فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم وأقاموا على دينهم فاعرضوا عليهم الجزية أن يؤدوها عن
يد وهم صاغرون فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم فإن أبوا فقاتلوهم فإنه من قتل منكم كان شهيدا حيا عند الله
مرزوقا وأدخله الله الجنة ومن قتل من عدوكم قتل كافرا وصار إلى النار مخلدا فيها أبدا ثم قال خالد وهذا والله
الذي لا إله إلا هو هو الذي أمر الله به نبيه {صلى الله عليه وسلم} فعلمناه وأمرنا به وأمرنا أن ندعو الناس إليه
ونحن ندعوكم إلى الإسلام وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإلى أن
تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقرؤا بما جاء به من عند الله فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الدين لكم ما لنا وعليكم ما
علينا فإن أبيتم فإننا نعرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فإن فعلتم قبلنا منكم وكفنا عنكم وإن
أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة فاخرجوا بنا على اسم الله حتى
نحاكمكم إلى الله فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم سكت خالد فقال باهان إما أن ندخل
في دينكم فما أبعد من ترى من الناس أن يترك دينه ويدخل في دينكم وإما أن تؤدي الجزية ثم تنفس الصعداء
وتقلت عليه وعظمت عنده فسيموت من ترى جميعا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس وهم يأخذون الجزية
ولا يعطونها وأما قولك فاخرجوا حتى يحكم الله بيننا فلعمري ما جاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك إلى
الله وأما قولك إن الأرض لله يورثها من يشاء من

عباده فصدقت والله ما كانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها فقاتلناهم
عليها فأخرجناهم منها وقد كانت قبل ذلك

لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم عليها فابرزوا على اسم الله فإننا خارجون إليكم
قال الحارث فلما فرغ باهان من كلامه وثب خالد فقام وقمت معه فمر بقبته فتركها وبعث معنا صاحب الروم
رجالا حتى أخرجونا من عسكرهم وأمنا فرجعنا إلى أبي عبيدة فقص عليهم خالد الخبر وأخبرهم بأن القتال سيقع
بينهم وقال للناس استعملوا أيها الناس استعداد قوم يرون أنهم عن ساعة مقاتلون
وحدث أبو جهضم الأزدي عن رجل من الروم كان مع باهان في عسكرهم ذلك وأسلم بعد فحسن إسلامه قال
كتب باهان إلى قيصر كتابا يخبره فيه بخالد وحال أصحابه وحال المسلمين وكان قد جمع أصحابه يوم انصرف عنهم
خالد فقال أشيروا علي برأيكم في أمر هؤلاء القوم فإنني قد هيبتهم فما أراهم يهابون وأطمعتهم فليس يطمعون
وأردتهم على الرجوع والخروج عن بلادنا بكل وجه فليسوا براجعين والقوم ليس يريدون إلا هلاككم
واستئصالكم وسلب سلطانكم وأكل بلادكم وسبي أولادكم ونسائكم وأخذ أموالكم فإن كنتم أحرارا فقاتلوا عن
سلطانكم وامنعوا حريمكم ونساءكم وأموالكم وبلادكم وأولادكم فقامت البطارقة رجلا بعد رجل فكلهم يخبره أنه

طيب النفس بالموت دون بلاده وسلطانه وقالوا له إذا شئت فانهض بنا فقال لهم فكيف ترون نقاتلهم فإننا أكثر من عشرة أضعافهم نحن نحو من أربعمئة ألف وهم نحو من ثلاثين ألفا أو أقل أو أكثر فقال بعضهم أخرج إليهم في كل يوم مائة ألف يقاتلوهم وتستريح البقية وتسرح عيالنا وأتقنا إلى البحر فلا يكون معنا شيء يهمننا ولا يشغلنا ويقاتلهم كل يوم منا مائة ألف فهم في كل يوم في قتل

وجراحة وعناء ومشقة وشدة ونحن لا نقاتل إلا في كل أربعة أيام يوما فإن هم هزموا منا في كل يوم مائة ألف بقي لهم أكثر من مائتي ألف لم ينهزموا فقال آخرون لا ولكننا نرى إذا هم خرجوا إلينا أن نبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابك فلا والله لا يجتمع عشرة على واحد إلا غلبوه فقال باهان هذا ما لا يكون وكيف أقدر على عددهم حتى أبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابي وكيف أقدر أن ينفرد الرجل منهم عن صاحبه حتى أبعث إليه عشرة من قبلي هذا ما لا يكون

قال فأجمعوا رأيهم جميعا على أن يخرجوا بأجمعهم خرجة واحدة فيناجزوهم فيها ولا يرجعوا عنهم حتى يحكم الله بينهم

وكتب باهان إلى قيصر أما بعد نسأل الله لك أيها الملك ولجندك وأهل مملكتك النصر ولدينك وسلطانك العز فإنك بعثتني فيما لا يحصيه من العدد إلا الله فقدمت على القوم فأرسلت إليهم فتهيئتهم فلم يهابوا وأطمعتهم فلم يطمعوا وخوفتهم فلم يخافوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت له الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا وقد دعر منهم جند الملك ذعرا شديدا وخشيت أن يكون القشل قد عمهم والرعب قد دخل قلوبهم إلا أن منهم رجالا قد عرفتهم ليسوا بفرارين عن عدوهم ولا شكاك في دينهم ولو قد لقوهم لم يفروا حتى يظهروا أو يقتلوا وقد جمعت أهل الرأي من أصحابي وأهل النصيحة لملكنا وديننا فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم جميعا في يوم واحد ولا نزاييلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم

قال وكان باهان قد رأى رؤيا فذكرها لملك الروم في كتابه هذا فقال له وقد أتاني آت في منامي فقال لي لا تقاتل هؤلاء القوم فإنهم يهلكونك ويهزمونك فلما انتبهت عبرت أنه من الشيطان أراد أن يحزنني فخسأته فإن يكن الشيطان فقد خسأته وإن لم يكن فقد بين لي الأمر فابعث أنت أيها

الملك بتقلك وحرملك ومالك فألحقهم بأقصى بلادك وانتظر وقعتنا هذه فإن أظهرنا الله عليهم حمدت الله الذي أعز دينك ومنع سلطانك وإن هم ظفروا علينا فأرض بقضاء الله واعلم أن الدنيا زائلة عنك كما زالت عن من كان قبلك فلا تأسف منها على ما فاتك ولا تغتبط منها بشيء مما في يديك والحق بمعقلك ودار مملكتك وأحسن إلى رعيتك وإلى الناس يحسن الله إليك وارحم الضعفاء والمساكين ترحم وتواضع لله يرفعك فإن الله لا يحب المتكبرين والسلام

قال ثم إن باهان خرج إلى المسلمين في يوم ذي صباب ورذاذ وصف لهم عشرين صفا لا ترى أطرافها ثم جعل على ميمنته ابن قماطر ومعه جرجير في أهل أرمينية وجعل الدرنجار في ميسرته وكان من خيارهم ونسأكلهم فأقبلوا نحو المسلمين كأنهم أعراض الجبال وقد ملأوا الأرض فلما نظر إليهم المسلمون وقد أقبلوا كلهم نهضوا إلى راياتهم وجاء خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وهم الأمراء الذين كان أبو بكر رضي الله عنه أمرهم إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعه معاذ بن جبل لا يفارقه فقالوا له إن هؤلاء قد زحفوا لنا هذا اليوم المطير وإننا لا نرى أن نخرج إليهم فيه حتى يلبطوا بعسكرنا ويضطرونا إلى ذلك قال أصبتم ثم خرج هو ومعاذ فصفوا

الناس وهيتوهم ووقفوهم على مراكزهم وأقبلت الروم في المطر فوقفوا ساعة وتصبروا عليه فلما رأوا أن المطر لا يقلع انصرفوا إلى عسكرهم ودعا الدرنجار رجلا من العرب ممن كان على دين النصرانية فقال له ادخل في عسكر هؤلاء القوم فانظر ما حالهم وما هديهم وما يصنعون وكيف سيرتهم ثم القني بها فخرج ذلك الرجل حتى دخل عسكر المسلمين فلم يستكروه لأنه كان رجلا من العرب لسانه ووجهه فمكث في عسكرهم ليلة حتى أصبح فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم في النهار ثم أصبح فأقام عامة يومه ثم خرج إليه فقال جئتك من عند قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان بالليل وأسد بالنهار لو

سرق ملكهم فيهم لقطعوه ولو زنى لرجموه لا يثأرهم الحق واتباعهم إياه على الهوى فقال لئن كان هؤلاء القوم هكذا لبطن الأرض خير من ظهرها لمن يريد قتالهم فلما كان من الغد خرجوا أيضا في يوم ذي صباب وأتى المسلمين رجال من العرب كانوا نصارى فأسلموا فقال لهم أبو عبيدة وخالد ادخلوا في عسكر الروم واكنموهم إسلامكم والقونا بأخبارهم فإن لكم في هذه أجرا والله حاسبه لكم جهادا فإنكم تدفعون بذلك عن حرمة الإسلام وتدلون على عورة أهل الشرك فانطلقوا فدخلوا عسكر الروم ثم جاءوا بعدما مضى من الليل نصفه فأتوا أبا عبيدة فقالوا له إن القوم قد أوقفوا النيران وهم يتعبون لكم ويتهاون للقتال وهم مصبحوكم بالغداة فما كنتم صانعين فاصنعوه الآن فخرج أبو عبيدة ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص فعبأوا الناس وصفوهم فلم يزالوا في ذلك حتى أصبحوا

وعن راشد بن عبد الرحمن الأزدي قال صلى بنا أبو عبيدة يومئذ صلاة الغداة في عسكره في الغداة التي التقينا فيها الروم باليرموك فقرا في أول ركعة بالفجر وليال عشر فلما مر بقول الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمصاد ٤ - ١٤ الفجر قلت في نفسي ظهرنا والله على القوم للذي أجرى الله على لسانه وسررت بذلك سرورا شديدا وقلت عدونا هذا والله نظير لهذه الأمم في الكفر والكثرة والمعاصي قال ثم قرأ في الركعة الثانية والشمس وضحاها فلما مر بقول الله تعالى كذبت ثمود بطغواها إلى آخر السورة قلت في نفسي هذه والله أخرى إن صدق الفأل ليصن الله عليهم سوط عذاب وليد مدمن الله عليهم كما دمدم على هذه القرون من قبلهم فلما قضى أبو عبيدة صلاته أقبل على الناس بوجهه وقال

أيها الناس أبشروا إياي رأيت في ليلتي هذه فيما يرى النائم كأن رجلا أتوني فحفوا بي وعليهم ثياب بيض ثم دعوا إلي رجلا منكم أعرفهم ثم قالوا لنا أقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فإنكم الأعلون وكأنا مضيئا إلى عسكر عدونا فلما رأونا قاصدين إليهم انفرجوا لنا وجئنا حتى دخلنا عسكرهم وولوا مديرين فقال له الناس أصلحك الله نامت عينيك هذه بشرى من الله بشرك الله بخير

وقال أبو مرثد الخولاني وأنا أصلحك الله قد رأيت رؤيا إنهما بشرى من الله رأيت في هذه الليلة كأننا خرجنا إلى عدونا فلما توقعنا صب الله عليهم من السماء طيرا بيضا عظاما لها مخالب كمخالب الأسد وهي تنقض من السماء انقضاض العقبان فإذا حاذت بالرجل من المشركين ضربته ضربة يخر منها متقطعا

وكان الناس يقولون أبشروا معاشر المسلمين فقد أيدكم الله عليهم بالملائكة قال فبناشر الناس بهذه الرؤيا وسروا بها فقال أبو عبيدة وهذه والله بشرى من الله فحدثوا بهذه الرؤيا الناس فإن مثلها من الرؤيا ما يشجع المسلم ويحسن

ظنه وينشطه للقاء عدوه

قال وانتشرت هذه الرؤيا ورؤيا أبي عبيدة في المسلمين واستبشروا بهما وعن أبي جهضم أيضا أن رجلا من الروم حدثه في خلافة عبد الملك بن مروان أن رجلا من عظمائهم أتى باهان في صبيحة الليلة التي خرج إلى المسلمين

باليرموك فقال له إني رأيت رؤيا أريد أن أحدثك بما قال ها هنا قال رأيت كأن رجلا نزلوا من السماء طول أحدهم أبعد من مد بصره فنزعوا سيوفنا من أعمادها وأسنة رماحنا من أطرافها ثم لم يدعوا منا رجلا إلا كتفوه ثم قالوا لنا اهربوا وأكثركم هالك فأخذنا نهرب فمنا من يسقط على وجهه ومنا من يتبلد لا يستطيع أن يبرح من مكانه ومنا من يحل كتافه ثم يسعى حتى لا نراه فقال له باهان أما من رأيت يسقط على وجهه ومن رأيت يتبلد لا يطيق أن يسعى ولا يتحى من مكانه فهم الذين يهلكون وأما الذين رأيت يحملون كتافهم ويسعون حتى لا نراهم فأولئك الذين ينجون ثم قال له باهان أما أنت فوالله لا تسلم مني أبدا فوجهك الذي بشر بالبشر وقط من الخير ألت الذي كنت أشد الناس علي في أمر الرجل الذي قتل رجلا من أهل الذمة فأردت أن أقتله فكنت أنت من أشد الناس علي في أمره حتى عطلت حدا من حدود الله وتركته وكان علي من الحق أن أقيمه فحلت بيني وبينه في جماعة من السفهاء وتركته كراهية أن أفرق جماعتكم أو أن يضرب بعضكم بعضا فأما الآن فقد حدثت نفسي بالموت وإنما ألقى القوم عن ساعة فإن شئتم الآن فتفرقوا وإن شئتم فاجتمعوا وأأتوب إلى الله من ترك ذلك الحد يومئذ فإنه لم يك يسعني ولا ينبغي لي إلا قتله ولو قتلتموني معه ثم أمر به فضربت عنقه قال وطلب الرومي الذي كان قتل الذمي فهرب منه فلم يقدر عليه وقد تقدمت قصة هذا الرومي المقول تعديا فيما أخرجناه قبل من الحديث عن أبي بشر التوخي فأغنى ذلك عن إعادتها

وعن راشد بن عبد الرحمن الأزدي أن باهان زحف يوم اليرموك إلى المسلمين في عشرين صفا تضم نحو من أربعمائة ألف مقاتل وأصبح المسلمون طيبة أنفسهم لقتال المشركين قد شرح الله صلورهم وشجع قلوبهم على لقاء عدوهم فأخرجهم أبو عبيدة وجعل على ميمنته معاذ بن جبل وعلى ميسرته

قباث بن أشيم وعلى الرجالة هاشم بن عتبة وعلى الخيل خالد بن الوليد وخرج الناس على راياتهم وفيهم أشراف العرب وفرسانهم من رجلاهم وقبائلهم وفيهم الأزد وهم ثلث الناس وحمير وهم عظم الناس وفيهم همدان وخولان ومدحج وخنعم وقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغسان وكندة وحضرموت ومعهم جماعة من كنانة ولكن عظم الناس أهل اليمن ولم يحضرها يومئذ أسد ولا تميم ولا ربيعة ولم تكن دارهم هنالك إنما كانت دارهم عراقية فقاتلوا أهل فارس بالعراق فلما برز المسلمون إلى عدوهم سار أبو عبيدة فيهم ثم قال يا عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار فلا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم بخطوة ولا تبدأوهم بقتال واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزوما الصمت إلا من ذكر الله حتى آمركم إن شاء الله وخرج معاذ يقص على الناس ويقول يا قراء القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق إن رحمة الله لا تنال بالتواني وجنته لا تدخل بالأمان ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله ألم تسمعوا لقول الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ٥٥ النور إلى رأس الآية أنتم إن شاء الله منصورون فأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

وتذهب ربحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ٤٦ الأنفال واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته وليس لأحد منكم ملجأ ولا منجى من دونه ولا معزز بغير الله وجعل يمشي في الصفوف يجر ضهم ويقص عليهم ثم انصرف إلى موضعه

قال سهل بن سعد ومر عمرو بن العاص يومئذ على الناس فجعل يعظهم

ويجر ضهم ويقول أيها الناس غضوا أبصاركم واجتروا على الركب وأشرعوا الرماح والزموا مراكزكم ومصافكم فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجوههم وثوب الأسد فولاذي يرضي الصدق ويثيب عليه ويمت الكذب ويعاقب عليه ويجزي بالإحسان لقد بلغني أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا وقصرا قصرا فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فلو قد صدقتموهم الشدة لقد ابذعروا ابذعروا أولاد الحجل

قال وكان أبو سفيان بن حرب استأذن عمر بن الخطاب في جهاد الروم بالشام فقال له إني أحب أن تأذن لي فأخرج إلى الشام متطوعا بمالي فأنصر المسلمين وأقاتل المشركين وأحضر جماعة من هناك من المسلمين سيفتحونها فلا آلوهم نصيحة ولا خيرا فقال له عمر قد أذنت لك يا أبا سفيان تقبل الله جهادك وبارك لك في رأيك وأعظم أجرك فيما نويت من ذلك فتجهز أبو سفيان بأحسن الجهاز وفي أحسن هيئة ثم خرج وصحبته أناس من المسلمين كثير خرجوا متطوعين فأحسن أبو سفيان صحبتهم حتى قدموا على جماعة المسلمين ولما خرج المسلمون إلى عدوهم باليرموك كان أبو سفيان يومئذ يسير في الناس ويقف على أهل كل راية وعلى كل جماعة فيحضر الناس ويعظهم ويقول إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين وقد والله أصبحتم يزاء عدو كثير عددهم شديد عليكم حنقهم وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وبلادهم وأموالهم فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم ولا تبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء والصبر في مواطن المكروه فتنقروا إلى خالقكم وامتنعوا بسيوفكم ولتكن هي الحصون التي إليها تلجئون وبها تمنتعون

وقاتل أبو سفيان يومئذ قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا

قال وزحف الروم إلى المسلمين وهم يزفون زفا ومعهم الصليان وأقبلوا بالأساقفة والقسيسين والرهبان والبطارقة والفرسان ولهم دوي كدوي الرعد

وقد تابع عظيمهم على الموت ودخل منهم ثلاثون ألفا في السلاسل كل عشرة في سلسلة لئلا يفروا فلما نظر إليهم خالد بن الوليد مقبلين أقبل على نساء المسلمين وهن على تل مرتفع في العسكر فقال يا نساء المسلمين أيما رجل أدركته منهزما فاقتلنه فأخذن العناهر وهي عمد البيوت ثم أقبلن نحو المسلمين فقلن لستم بعولتنا إن لم تمنعونا اليوم وأقبل خالد إلى أبي عبيدة فقال إن هؤلاء قد أقبلوا في عدد وحد وجد وإن لهم الشدة لا يرد لها شيء وليست خيل المسلمين بكثيرة ولا والله لأقامت خيلي لشدة حملتهم وخيلهم ورجالهم أبدا وخيل خالد يومئذ أمام صفوف المسلمين والمسلمون ثلاثة صفوف قال خالد فقد رأيت أن أفرق خيلي فأكون أنا في إحدى الخيلين ويكون قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى ثم تقف خيلنا من وراء اليمنة والميسرة فإذا حملوا على الناس فإن ثبت المسلمون فإله ثبتهم وثبت أقدامهم وإن كانت الأخرى حملت عليهم خيولنا وهي جامعة على ميمنتهم وميسرتهم وقد انتهت شدة خيلهم وقوتها وتفرقت جماعتهم وتقضوا صفوفهم وصاروا نشرا ثم تحمل عليهم وهي بلك الحال فأرجو عندها أن يظفر الله بهم ويجعل دائرة السوء عليهم وقال لأبي عبيدة قد رأيت لك أن توقف سعيد بن زيد موقفك هذا وتقف أنت بجذاته من ورائه في جماعة حسنة فتكون رداء للمسلمين فقبل أبو عبيدة مشورته وقال أفعل ما أراك الله وأنا فاعل ما

ذكرت فأمر أبو عبيدة سعيد بن زيد فوقف في مكانه وركب هو فسار في الناس فحرضهم وأوصاهم بتقوى الله والصبر ثم انصرف فوقف من وراء الناس ردءاً لهم وأقبلت الروم كقطع الليل حتى إذا حافوا الميمنة نادى معاذ بن جبل الناس فقال يا عباد الله المسلمين إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء ثم نزل عن فرسه وقال من أراد

أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن معاذ وهو غلام حين احتلم فقال يا أبة إني لأرجو أن أكون فارساً أعظم غناء عن المسلمين مني راجلاً وأنت يا أبة راجلاً أعظم غناء منك فارساً وعظم المسلمين رجالة وإذا رأوك صابراً محتسباً محافظاً صبروا إن شاء الله وحافظوا فقال له معاذ وفقني الله وإياك يا بني لما يجب ويرضى فقاتل معاذ وابنه قتالا شديداً ما قاتل مثله كثير من المسلمين ثم إن الروم تحاضوا وتداعوا وقصت عليهم الأساقفة والرهبان وقد دنوا من المسلمين فإذا سمع ذلك معاذ منهم قال اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وحبب إلينا اللقاء ورضنا بالقضاء قال وخرج باهان صاحب الروم فجعل في أصحابه وأمرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم وأموالهم وسلطانهم وبلادهم ثم بعث إلى صاحب الميسرة أن يحمل عليهم وكان على الميسرة الدرنجار وكان متنسكاً فقال البطارقة والروم الذين معه قد أمركم أميركم أن تحملوا وتحميات البطارقة ثم شلوا على الميمنة وفيها الأزدي ومذحج وحمير وحضرموت وخولان فثبتوا حين صدموا واقتتلوا قتالاً شديداً ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فأزالوا المسلمين عن الميمنة إلى ناحية القلب وانكشفت طائفة من المسلمين إلى العسكر وثبت عظم الناس فلم يزولوا وقاتلوا تحت راياتهم فلم ينكشفوا ولم تنكشف زييد يومئذ وهي في الميمنة وفيهم الحجاج بن عبد يغوث والد عمرو بن الحجاج فنأدى يا خيفان يا خيفان فاجتمعوا إليه ثم شلوا على الروم وهم في نحو خمسمائة رجل شدة فلم يتنههوا حتى خالطوا الروم فقاتلوهم قتالاً شديداً وشغلوهم عن اتباع من انكشف من المسلمين وشدت عليهم حضرموت وحمير وخولان بعدما كانوا زالوا ثم رجعوا إلى مواقعهم حتى وقفوا في الصف حيث كانوا واستقبل النساء

منهزمة المسلمين بالعناهر يضربن بها وجوههم وثبت الأزدي وقاتلت قتالاً لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها من قبيلة من القبائل وقتل يومئذ عمرو بن الطقييل ذو النور وهو يقول يا معشر الأزدي لا يؤتين المسلمون من قبلكم وقاتل قتالاً شديداً قتل من أشدائهم تسعة ثم قتل هو يرحمه الله وقال جندب بن عمرو بن حمزة ورفع رايته يا معشر الأزدي إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الإثم والعار إلا من قاتل ألا وإن المقول شهيد والخائب من هرب اليوم وقاتل حتى قتل رحمه الله ونادى أبو هريرة يا مبرور يا مبرور فأطافت به الأزدي قال عبد الله بن سراقبة انتهيت إلى أبي هريرة يومئذ وهو يقول ترينوا للحوار العين وارغبوا في حوار ربكم في جنات النعيم فما أنتم في موطن من موطن الخير أحب فيه منكم في هذا الموطن ألا وإن للصابرين فضلهم قال فأطافت به الأزدي ثم اضطربوا هم والروم فوالذي لا إله إلا هو لرأيت الروم وإنما لتدور بهم الأرض وهم في مجال واحد كما تدور الرحاء وما برحوا يعني المسلمين ولا زالوا وركبهم من الروم أمثال الجبال فما رأيت موطناً قط أكثر قحفاً ساقطاً ومعصماً نادراً وكفاً طائحة من ذلك الموطن وقد والله أو حلناهم شراً وأوحلونا وكان جل القتال في الميمنة وأن القلب ليلقون مثل ما تلقى ولكن حمّة القوم وجددهم وحردهم وحنقهم علينا وكنا في آخر الميمنة فلقد لقينا من قناهم ما لم يلق أحد مثله فوالله إنا لكذلك نقاتلهم وقد دخل عسكرنا منهم نحو من

عشرين ألفا من ورائنا فعصمنا الله من أن نزول حمل عليهم خالد بن الوليد فقصف بعضهم على بعض وشدخ منهم في العسكر نحواً من عشرة آلاف ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجرحين وغير مجرحين ثم

خرج خالد يكرد ويقتل كل من كان قريبا منا من الروم حتى إذا حاذانا ألف خيله بعضها إلى بعض ثم قال يا أهل الإسلام إنه لم يبق عند القوم من الجد والقتال إلا ما قد رأيتم فالشدة الشدة فولدني نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر الساعة عليهم فجعل لا يسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمين إلا شجعه عليهم ثم إن خالد اعترض الروم وإلى جنبه منهم أكثر من مائة ألف فحمل عليهم وما هو إلا في نحو من ألف فارس فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم

قال وشددنا على من يلينا من رجالهم فانكشفوا وأتبعناهم نقتلهم كيف شئنا ما يمتنعون من قتل ميمنتنا ليسرتم قال ثم إن خالد انتهى إلى الدرنجار وقد قال لأصحابه لقوني بالثياب فليت أني لم أقاتل هؤلاء القوم اليوم فلفوه بالثياب وقال لوددت أن الله عافاني من حرب هؤلاء القوم فلم أرهم ولم يروني ولم أنصر عليهم ولم ينصروا علي وهذا يوم سوء فما شعر حتى غشية المسلمون فقتلوه

وقال ابن قماطر وهو في ميمنة الروم لجرير صاحب أرمينية حمل عليهم فقال له أنت تأمرني أن أحمل عليهم وأنا أمير مثلك فقال له ابن قماطر أنت أمير وأنا أمير فوقك وقد أمرت بطاعتي فاختلفا ثم إن ابن قماطر حمل على المسلمين حملة شديدة على الميسرة وفيها كنانة وقيس وخم وجدام وعاملة وغسان وختعم وقضاعة فانكشف المسلمون وزالت الميسرة عن مصافها وثبت أهل الرايات وأهل الحفاظ فقاتلوا قتالا شديدا وركبت الروم أكتاف من انهمز من المسلمين حتى دخلوا معهم العسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بالعناهر يضربن بها وجوههم وعن حنظلة بن جويه قال والله إني لفي الميسرة إذ مر بنا رجال من الروم على خيل من خيل العرب لا يشبهون الروم وهم أشبه شيء بنا فلا أنسى قول قاتل منهم يا معشر العرب الحقوا بوادي القرى ويثرب وهو يقول

في كل يوم خيلنا تغير

نحن لنا البلقاء والسدير

هيهات يأبى ذلك الأمير

والملك المتوج الخبور

الرجز

قال فحملت عليه وحمل علي فاضطر بنا بسيفينا فلم يغنينا شيئا ثم اعتنقنا فخرنا جميعا فاعتركنا ساعة ثم إننا تحاجرنا فنظرت إلى عنقه وقد بدا منها مثل شراك النعل فمشيت إليه فاعتمدت ذلك الموضع بسيفي فوالله ما أخطأته فقطعته فصرع فضربته حتى قتلتته وأقبلت إلى فرسي وقد كان عاروا وإذا فرسي قد حبسوه علي فأقبلت حتى ركبته قال وقاتل قباث بن أشيم يومئذ قتالا شديدا وأخذ يقول

إن تفقدوني تفقدوا خير فارس

لدى الغمرات والرئيس الحاميا

وذا فخر لا يملاً الهول صدره

ضروبا بنصل السيف أروع ماضيا

الطويل

وكسر في الروم يومئذ ثلاثة أرماح وقطع سيفين ويقول كلما قطع سيفاً أو كسر رمحاً من يعين بسيف أو برمح في سبيل الله رجلاً قد حبس نفسه مع أولياء الله وقد عاهد الله ألا يفر ولا يرح يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت وكان من أحسن الناس بلاء يومئذ
ونزل أبو الأعور السلمي فقال يا معشر قريش خذوا بحظكم من الصبر والأجر فإن الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا

وعن حبيب بن مسلمة قال اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد فلله سعيد ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد جثا والله على ركبته حتى إذا دنوا وثب في وجوههم مثل الليث فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله وأخذ والله يقاتل راجلاً فقاتل الرجل البئيس الشجاع فارساً قال وكان يزيد بن أبي سفيان من أعظم الناس غناء وأحسنه بلاء هو وأبوه جميعاً وقد كان أبوه مر به وهو يجرض الناس ويعظهم فقال يا بني إنك تلي من أمر المسلمين طرفاً ويزيد يومئذ على ربع الناس وإنه ليس بهذا الوادي رجل من المسلمين إلا وهو محقوق بالقتال فكيف بأشباهك الذين ولو أمور المسلمين أولئك أحق الناس بالجهاد والصبر والنصيحة فاتق الله يا بني واكرم في أمرك ولا يكون أحد من أصحابك أرغب في الآخرة ولا في الصبر في الحرب ولا أشد نكابة في المشركين ولا أجهد على عدو الإسلام ولا أحسن بلاء منك فقال يزيد أفعل والله يا أبة فقاتل في الجانب الذي كان فيه قتالاً شديداً

قال وشد على عمرو بن العاص جماعة من الروم فانكشف عنه أصحابه وثبت عمرو فجاللهم طويلاً وقاتل قتالاً شديداً ثم تراجع إليه أصحابه قال فسمعت أم حبيبة بنت العاص تقول قبح الله رجلاً يفر عن حليلته وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته وسمعت نسوة من المسلمين يقلن قاتلوا أيها المسلمون فليستم بعولتنا إن لم تمنعونا وأخذن العناهر فكلما مر بهن منهزم من المسلمين حملن عليه حتى يضرين وجهه ويرددنه إلى جماعة المسلمين وقاتل شرحبيل بن حسنة في ربه الذي كان فيه قتالاً شديداً وكان إلى جنبه سعيد بن زيد وسطاً من الناس وجعل ينادي إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في الثوراة والإنجيل والقرآن إلى آخر الآية ١١١ التوبة ثم

جعل يقول أين الشارون أنفسهم من الله يا ابتغاء مرضات الله أين المشاؤون إلى جوار الله غداً في داره فاجتمع إليه ناس كثير وبقي القلب لم ينكشف وفيه أهله الذين كانوا مع سعيد بن زيد وكان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين رداء لهم فلما رأى قيس بن هيرة أن خيل المسلمين مما يلي الميسرة قد شد عليهم الروم اعترض الروم بخيله وهي الشطر من خيل خالد فقصف بعضهم على بعض وحمل خالد من ميمنة المسلمين على ما يليه من الروم حتى اضطرهم إلى صفوفهم فقصف بعضهم على بعض وزحف إليه المسلمون جماعتهم رويداً رويداً حتى إذا دنوا منهم حملوا عليهم فجعلت الروم يتقضون صفوفهم وينهزمون وبعث أبو عبيدة إلى سعيد بن زيد أن أحمل عليهم فحمل عليهم وشد المسلمون بأجمعهم فضرب الله وجوه الروم ومنح المسلمين أكتافهم يقتلونهم كيف شاءوا لا يمتنعون من أحد من المسلمين وانتهى خالد بن الوليد إلى الدر نجار وكان كارها لقتال المسلمين لما كان يجد من صفتهم في الكتب وكان يقرأها فقال خالد إن كنت لأحب أن أراه فضر به المسلمون حتى قتلوه وإنه لللف رأسه بكساء وأتبعهم المسلمون يقتلونهم كل قتلة وركب بعضهم بعضاً حتى انتهوا إلى مكان مشرف على أهوية تحتهم فجعلوا يتساقطون فيها ولا يبصرون وهو يوم ذو ضباب وهم يرتكسون فيها لا يعلم آخرهم ما يلقي أولهم حتى سقط فيها

نحو من مائة ألف رجل ما أحصوا إلا بالقبص

وبعث أبو عبيدة شداد بن أوس بن ثابت فعددهم بما من الغد فوجد من سقط أكثر من ثمانين ألفا فسميت تلك الأهوية الواقعة حتى اليوم لأهم وقصوا فيها وما فطنوا لتساقطهم حتى انكشف الصباب فأخذوا في وجه آخر وقتل المسلمون منهم في المعركة بعدما أدبروا نحواً من خمسين ألفاً وأتبعهم خالد في الخيل فلم يزل يقتلهم في كل واد وكل شعب وفي كل

جبل حتى انتهى إلى دمشق فخرج إليه أهلها وقالوا له نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم فقال لهم خالد نعم ومضى في اتباعهم يقتلهم في القرى والأودية والجبال حتى انتهى إلى حمص فخرج إليه أهلها فقالوا له مثل ما قال أهل دمشق في العهد فقال لهم نعم

وأقبل أبو عبيدة على قتلى المسلمين رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام وأهله خيراً فدفنهم فلما فرغ من ذلك جاءه النعمان بن محمدية ذو الأنف الخنعمي يسأله أن يعقد له على قومه فعقد له عليهم وكانت خنعم قد رأست رجلاً آخر منهم من بني عمرو يدعى ابن ذي السهم فاختصم هو وذو الأنف إلى أبي عبيدة في الرياسة قبل الواقعة فأخبرهم أبو عبيدة إلى أن يفرغوا من حربهم ويناجزوا عدوهم ثم ينظر في أمرهم فلما التقى الناس استشهد هنالك ابن ذي السهم الخنعمي فعقد أبو عبيدة للنعمان ذي الأنف على خنعم

قال وجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي فقال لأبي عبيدة اعقد لي على قومي فعقد له وكانت قصته مثل قصة الخنعمي وذلك أنه أتى قومه وعليهم رجل منهم فخاصمهم الأشتر في الرياسة إلى أبي عبيدة فدعا أبو عبيدة النخعي فقال أي هذين أرضى فيكم وأعجب إليكم أن يرأس عليكم فقالوا كلاهما شريف وفينا رضي وعندنا ثقة فقال أبو عبيدة كيف اصنع بكما ثم قال للأشتر أين كنت حين عقدت لهذا الراية قال كنت عند أمير المدينة ثم أقبلت إليكم قال فقدمت على هذا وهو رأس أصحابك قال نعم قال فإنه لا ينبغي لك أن تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم قال الأشتر فإنه رضي شريف وأهل ذلك هو وأنا أهل الرياسة فلتعقبني من رياسة قومي فأليهم كما وليهم هذا فقال أبو عبيدة تأخروا ذلك حتى تكون هذه الواقعة فإن استشهدتما جميعاً فما عند الله خير لكما وإن هلك أحدهما وبقي الآخر كان الباقي منكما الرأس على قومه وإن تبقى جميعاً أعقبناك منه إن شاء الله قال الأشتر فقد رضيت فلما كانت الواقعة استشهد فيها رأس النخعي الأول فعقد أبو عبيدة للأشتر عند ذلك

وفي حديث آخر أن الأشتر كان من جلداء الرجال وأشدائهم وأهل القوة والنجدة منهم وأنه قتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلاً من بطارقهم وقتل منهم ثلاثة مبارزة وتوجه مع خالد في طلب الروم حين انهزموا فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق وعليها جماعة من الروم عظيمة أقبلوا يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر فتقدم إليهم الأشتر في رجال من المسلمين وإذا أمام الروم رجل جسيم من عظمائهم وأشدائهم فوثب إليه الأشتر لما دنا منه فاستويا على صخرة مسوية فاضطربا بسيفيهما فضرب الأشتر كتف الرومي فأطارها وضربه الرومي بسيفه فلم يضره شيئاً واعتنق كل واحد منهما صاحبه ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقها منها ثم تدرجوا والأشتر يقول وهما يتدرجان إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين

١٦٢ - ١٦٣ الأنعام فلم يزل يقول هذا وهو في ذلك ملازم الطلح لا يتركة حتى انتهيا إلى موضع مستو من الجبل فلما استقرا فيه وثب الأشتر على الرومي فقتله ثم صاح في الناس أن جوزوا فلما رأته الروم أن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس ثم انهزموا

وأقبل أبو عبيدة في أثر خالد حتى انتهى إلى حصص فأمر خالد أن يقدم إلى قنسرين ولما انتهت الهزيمة إلى ملك الروم وهو بأنطاكية قال قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم فقال له بعض جلسائه ومن أين علمت ذلك أيها الملك قال من حيث أنهم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة ويرغبون في الآخرة أشد من رغبتكم في الدنيا ولا يزالون ظاهرين ما كانوا هكذا وليغيرن كما غيرتم وليتقضن كما نقضتم

وفي حديث عن عبد الله بن قرط إن أول من جاء ملكهم بالهزيمة رجل منهم فقال له ما وراءك قال خير أيها الملك هزمهم الله وأهلكهم يعني

المسلمين قال ففرح بذلك من حوله وسروا ورفعوا أصواتهم فقال لهم ملكهم وبحكم هذا كاذب وهل ترون هيئة هذا إلا هيئة منهزم سلوه ما جاء به فلعمري ما هو بريد ولو لم يكن هذا منهزما ما كان ينبغي له أن يكون إلا مع أميره مقيما فما كان بأسرع من أن جاء آخر فقال له ويحك ما وراءك فقال هزم الله العدو وأهلكهم قال له هرقل فإن كان الله أهلكهم فما جاء بك وفرح أصحابه وقالوا صدقت أيها الملك فقال لهم ويحكم اتحادون أنفسكم إن هؤلاء والله لو كانوا ظهوروا أو ظفروا ما جاؤوكم على متون خيولهم يركضون ولسبقهم البريد والبشرى قال فإنهم كذلك إذ طلع عليهم رجل من العرب من تنوخ على فرس له عربية يقال له حذيفة بن عمرو وكان نصرانيا فقال قيصر ما أظن خير السؤال إلا عند هذا فلما دنا منه قال له ما عندك قال الشر قال وجهك الذي بشرنا بالشر ثم نظر إلى أصحابه فقال خبر سوء جاء به رجل سوء من قوم سوء فإنهم كذلك إذ جاءه رجل من عظماء الروم فقال له الملك ما وراءك قال الشر هزمنا قال فما فعل أميركم باهان قال قتل قال فما فعل فلان وفلان يسمى له عددا من أمرائه وبطارقته وفرسانه فقال قتلوا فقال له لكنك والله أنت أحيث وألم وأخبر من أن تذب عن دين أو تقاتل على دنيا ثم قال لشرطه أنزلوه فأنزله فجاءوا به فقال له ألسنت كنت أشد الناس علي في أمر محمد نبي العرب حين جاءني كتابه ورسوله وكتبت قد أردت أن أجيبه إلى ما دعاني إليه وأدخل في دينه فكنت أنت من أشد الناس علي حتى تركت ما أردت من ذلك فهلا قاتلت الآن قوم محمد وأصحابه دون سلطاني وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه اضربوا عنقه فقدموه فضربوا عنقه ثم نادى في أصحابه بالرحيل راجعا إلى القسطنطينية فلما خرج من الشام واشرف على أرض الروم استقبال الشام فقال السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أنه يرجع إليك أبدا ثم قال ويحك أرضا ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب والخير

وعن عمرو بن عبد الرحمن أن هرقل حين خرج من أنطاكية أقبل حتى نزل الرها ثم منها كان خروجه إلى القسطنطينية وأقبل خالد في طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين فلما انتهى إلى حلب تحصن منه أهلها وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم فطلبوا الصلح والأمان فقبل أبو عبيدة فصالحهم وكتب لهم أمانا

وعن الحسن بن عبد الله أن الأشتر قال لأبي عبيدة ابعت معي خيلا أتبع آثار القوم فإن عندي جزاء وغناء فقال له أبو عبيدة والله إنك لخليق بكل خير فبعته في ثلاثمائة فارس وقال له لا تتباعد في الطلب وكن مني قريبا فكان يغير على مسيرة اليوم منه واليومين ونحو ذلك

ثم أن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه في ألفي فارس فمضى في آثار الروم حتى قطع الدروب وبلغ ذلك الأشتر فمضى حتى لحقه فإذا ميسرة مواقف جمعا من الروم أكثر من ثلاثين ألفا وكان ميسرة قد أشفق على من معه وخاف على نفسه وعلى أصحابه فإنهم كذلك إذ طلع عليه الأشتر في ثلاثمائة فارس من النخع فلما رأهم أصحاب ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه وحمل عليهم من مكانه ذلك وحمل ميسرة فهزم موهم وركبوا رؤوسهم وأتبعتهم

خييل المسلمين يقتلونها حتى انتهوا إلى موضع مرتفع من الأرض فعلوا فرقه وأقبل عظيم من عظمائهم معه رجالة كثيرة من رجالتهم فجعلوا يرمون خييل المسلمين من مكائهم المشرف فإن خييل المسلمين لمواقفتهم إذ نزل رجل من الروم أحمر عظيم جسيم فعرض للمسلمين ليخرج إليه أحدهم قال فوالله ما خرج إليه رجل منهم فقال لهم الأشر أما منكم من أحد يخرج لهذا العالج فلم يتكلم أحد قال فنزل الأشر ثم خرج إليه فمشى كل واحد منهما إلى صاحبه وعلى الأشر الدرع والمغفر وعلى الرومي مثل ذلك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه شد الأشر عليه فاضطربا بسيفيهما فوق

سيف الرومي على هامة الأشر فقطع المغفر وأسرع السيف في رأسه حتى كاد ينشب في العظم ووقعت ضربة الأشر على عاتق الرومي فلم تقطع شيئا من الرومي إلا أنه ضربه ضربة شديدة أوهنت الرومي وأثقلت عاتقه ثم تحاجزا فلما رأى الأشر أن سيفه لم يصنع شيئا انصرف فمشى على هيئته حتى أتى الصف وقد سال الدم على لحيته ووجهه فقال أخزى الله هذا سيفا وجاءه أصحابه فقال علي بشيء من حناء فأتوه به من ساعته فوضعه على جرحه ثم عصبه بالخرق ثم حرك لحيته وضرب أضراسه بعضها ببعض ثم قال ما اشد لحيتي ورأسي وأضراسي وقال لابن عم له امسك سيفي هذا واعطني سيفك فقال دع لي سيفي رحمك الله فإني لا أدري لعلي أحتاج إليه فقال أعطينه ولك أم النعمان يعني ابنته فأعطاه إياه فذهب ليعود إلى الرومي فقال له قومه ننشدك الله ألا تتعرض لهذا العالج فقال والله لأخرجن إليه فليقتلني أو لأقتلنه فتركوه فخرج إليه فلما دنا منه شد عليه وهو شديد الحنق فاضطربا بسيفيهما فضربه الأشر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رثته ووقعت ضربة الرومي على عاتق الأشر فقطعت الدرع ثم انتهت ولم تضره شيئا ووقع الرومي ميتا وكبر المسلمون ثم حملوا على صف رجالة الروم فجعلوا يتنقضون ويرمون المسلمين وهم من فوق فما زالوا كذلك حتى أمسوا وحال بينهم الليل وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا أصبحت الأرض من الروم بلاقع فارتحل الأشر منصرفا بأصحابه ومضى ميسرة في أثر القوم حتى بلغ مرج القباتل بناحية أنطاكية والمصيصة ثم انصرف راجعا وكان أبو عبيدة حين بلغه أنهم قد أدربوا أشفق عليهم وجزع وندم على إرساله إليهم قال فإنه لجالس في أصحابه مستبظنا لقدومهم متأسفا على تسريحهم إذ أتى فبشر بقدم الأشر وجاء فحدته بما كان من أمرهم ولقائهم ذلك الجيش وهزيمتهم إياه وما صنع الله لهم ولم يذكر مبارزة الرومي وقتله إياه حتى أخبره غيره وسأله عن ميسرة وأصحابه فأخبره بالوجه الذي توجه فيه وأخبره أنه لم

يمنعه من التوجه معه إلا الشفقة على أصحابه وألا يصابوا بعدما ظفروا فقال

قد أحسنت وما أحب الآن أنك معهم ولوددت أنهم كانوا معكم

قال فدعا ناسا من أهل حلب فقال اطلبوا إلي إنسانا دليلا عالما بالطريق أجعل له جعلاً على أن يتبع آثار هذه الخيل التي بعثتها في طلب الروم حتى يلحقها ثم يأمرها بالانصراف إلى ساعة يلقاها فجاؤوه بثلاثة رجال فقالوا هؤلاء علماء بالطريق جراء عليها أدلاء بها وهم يخرجون في آثار خيلك حتى يأتوها بأمرك فكتب أبو عبيدة إلى ميسرة أما بعد فإذا أتاك رسولي هذا فأقبل إلي حين تنظر في كتابي ولا تعرجن على شيء فإن سلامة رجل واحد من المسلمين أحب إلي من جميع أموال المشركين والسلام عليك

فأخذوا كتابه ثم خرجوا به فاستقبلوا ميسرة حين هبط من الدروب راجعا وقد عافاه الله وأصحابه وغنمهم وسلمهم فدفعوا إليه كتاب أبي عبيدة فلما قرأه قال جزاه الله من وال على المسلمين خيرا ما أشفقه وأنصحه ثم أقبل الرسل فبشروا أبا عبيدة بسلامتهم وانصرافهم فحمد الله على ذلك وأقام حتى قدم عليه ميسرة وكتب أمانا على

الناس من أهل قنسرين ثم أمر مناديه فنأدى بالرحيل إلى إيلياء وقدم خالدًا على مقدمته بين يديه وبعث علي حمص حين انتهى إليها حبيب بن سلمة وأرض قنسرين إذ ذاك مجموعة إلى صاحب حمص وإنما فتحت قنسرين بعد ذلك في خلافة يزيد بن معاوية ثم خرج من حمص ومر بدمشق فولأها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ثم خرج حتى مر بالأردن فنزلها فمسكر بها وبعث الرسل إلى أهل إيلياء وقال اخرجوا إلي أكتب لكم أمانًا على أنفسكم وأموالكم ونفي لكم كما وفينا لغيركم فتأقلوا فأبوا فكتب إليهم

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله العظيم ورسله أما بعد فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده

ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماءكم وأموالكم وكنتم إخواننا في ديننا وإن أبيتم فأقروا لنا بإعطاء الجزية وأنتم صاغرون فإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد للموت حبا منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم وأسبي ذراريكم

قال وكتبت إلى عمر بن الخطاب حين أظهره الله على أهل اليرموك وخرج يطلبهم

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو والحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين وقديما تولى الله نصرهم وأظهر فلجهم وأعز دعوتهم فتبارك الله رب العالمين

أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنا لقينا الروم في جموع لم تلق العرب جموعا قط مثلها فأتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ورزق الله المؤمنين الصبر وأنزل عليهم النصر فقتلوه في كل قرية وكل شعب وواد وسهل وجبل وغنم المسلمون عسكرهم وما كان فيه من أموالهم ومتاعهم ثم إنني أتبعتهم بالمسلمين حتى بلغنا أقصى بلادهم وقد بعثت إلى أهل الشام عمالا وبعثت إلى أهل إيلياء أدعوهم إلى الإسلام فإن قبلوا وإلا فليؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فإن أبوا سيرت إليهم حتى أنزل بهم ثم لا أزالهم حتى يفتح الله على المسلمين إن شاء الله والسلام عليك

فكتب إليه عمر رضي الله عنه

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إهلاك الله للمشركين ونصره المؤمنين وما صنع لأوليائه وأهل

طاعته فالحمد لله على صنيعه إلينا ونستتم من الله بشكره ثم اعلموا أنكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا عدة ولا حول ولا قوة ولكنه بعون الله ونصره ومنه تعالى وفضله فله المن والطول والفضل العظيم فتبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

فهذه الأحاديث التي أوردها أصحاب فتوح الشام في كتبهم عن وقعة اليرموك وقد أوردها غيرهم على صفة تخالف أكثر ما تقدم مساقا وتاريخا حسب ما يظهر لمن يقف على جميعها واختلاف الأخبار من جهة النقل أمر مألوف وإعادة أمثال هذه الآثار التي هي كيف ما وقعت من آيات الإسلام شيء غير مملول ونحن نذكر من ذلك ما يحسن في هذا المجموع ذكره ويليق بالمقصود إيراد إن شاء الله تعالى

فمن ذلك أن ابن إسحاق ذكر أن التقاء المسلمين مع الروم باليرموك كان في رجب سنة خمس عشرة وأن الذي

لقيهم من الروم هو الصقلار خصي لهرقل بعته في مائة ألف مقاتل أكثرهم من الروم وسائرهم من أهل أرمينية ومن المستعربة من غسان وقضاة والمسلمون مع أبي عبيدة أربعة وعشرون ألفا فاقتتل الناس اقتتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من قريش بالسيف حين دخل العسكر حتى سابقن الرجال وقد كان انضم إلى المسلمين ناس من لحم وجذام فلما رأوا جد القتال فروا وخذلوا المسلمين فقال قاتل من المسلمين حين رأى ذلك منهم

القوم لحم وجذام في الهرب
ونحن والروم بمرج نضطرب
وإن يعودوا بعدها لا نصطحب
الرجز

ثم إن الله أنزل نصره فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع فأصيب منهم سبعون ألفا وقتل الله الصقلار وباهان وكان هرقل قدمه مع الصقلار حين لحق به

وفيما حكاه الطبري بسنده عن سيف عن شيوخه قالوا أوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة رداء لهم وبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل فخرج حتى نزل بممص فأعد لهم الجنود وعبا العسكر وأراد أن يشغل بعضهم ببعض لكثرة جنده وفضول رجاله فأرسل أخاه تذارق إلى عمرو بن العاص في تسعين ألفا وبعث جرجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة وبعث القيقار بن نسطوس في ستين ألفا نحو أبي عبيدة فهابهم المسلمون وجميع فرق المسلمين أحد وعشرون ألفا سوى ستة آلاف مع عكرمة ففزعوا جميعا بالكتب والرسول إلى عمر بن الخطاب يستدعون رأيه فراسلهم أن الرأي الاجتماع وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة وإذا نحن تفرقنا لم يكن الرجل منا في عدد يقرب به لأحد ممن استقبله فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا فيه وقد كتبوا إلى أبي بكر بمثل ما كتبوا به عمر فطلع عليهم كتابه بمثل ما كتبهم به عمر سواء بأن اجتمعوا والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله والله ناصر من نصره وخاذل من كفره ولن يؤتي مثلكم من قلة وإنما يؤتي العشرة آلاف والزيادة عليها إذا أتوا من قبل الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليتصل كل رجل منكم بأصحابه

وبلغ ذلك هرقل فكتب إلى بطارفته أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجبتيه باهان والدراقص وعلى الحرب القيقار وأبشروا فإن باهان في الأثر مدد لكم ففعلوا فنزلوا الواقوسة وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم وهو هب لا يدرك وإنما أراد باهان أن يستبقي الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع إليهم أقتدتم وانقل المسلمون من معسكرهم

الذي اجتمعوا به فنزلوا عليهم بخدائهم على طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم فقال عمرو أيها الناس ألا أبشروا حصرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ومخرجهم لا يقدر من الروم على شيء ولا يخلصون إليهم اللهب وهو الواقوسة من ورائهم والخندق من أمامهم ولا يخرجون خرجة إلا أذيل المسلمون منهم وقد استملوا أبا بكر رحمه الله وأعلموه الشأن في صفر يريد من سنة ثلاث عشرة

وفي حديث آخر لسيف عن أشياخه أنهم لما استمدوه قال أبو بكر خالد لها وبعث إليه وهو بالعراق فعزم عليه واستحثه في السير فنفذ خالد لذلك وطلع عليهم ففرح به المسلمون وطلع باهان على الروم فتيمنوا به ووافق قدوم

أحدهما قدوم الآخر فولى خالد قتاله وقاتل الأمراء من يزازتهم فهزم خالد باهان وتتابع الروم على الهزيمة فاقتحموا خندقهم وقال راجز من المسلمين في ذلك دعوا هرقلا ودعونا الرحمن والله قد أخزى جنود باهان) بخالد اللج أبي سليمان الرجز

وحدد المسلمون وحرد المشركون وهم أربعون ومائتا ألف منهم ثمانون ألف مقيد ومنهم أربعون ألفا مسلسلون للموت وأربعون ألفا مربوطون بالعمائم وثمانون ألف فارس والمسلمون سبعة وعشرون ألفا ممن كان مقيما إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا وكان قتالهم على تساند كل جند وأميره لا يجمعهم أحد حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق وكان عسكر أبي عبيدة باليرموك مجاورا لعسكر عمرو بن العاص وعسكر شرحبيل بن حسنة مجاورا لعسكر يزيد بن أبي سفيان فكان أبو عبيدة ربما صلى مع عمرو وشرحبيل مع يزيد وأما عمرو ويزيد فكانا لا يصليان مع أبي عبيدة وشرحبيل وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم هذه فعسكر على حدة فصلى بأهل العراق

ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضاربون بمدد الروم وعليهم باهان ووافق الروم وفيهم نشاط بمددهم فالتقوا فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادهم إلى الخندق والواقصة أحد حدوده فلزموا خندقهم عامة شهر يحضضهم القسيسون والشمامسة والرهبان وينعون لهم النصرانية حتى استنصروا فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال فلما أحس المسلمون خروجهم وأرادوا الخروج متساندين سار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه وقال إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه العجز ولا البغي أخلصوا جهادكم وأريدوا بعملكم الله فإن هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فأعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه يوافق رأيي واليكم قالوا فما الرأي قال إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيتهم وأنفع للمشركين من أمدادهم ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم فالله الله قد افرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينقصه منه ان دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه أن دانوا له وأن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله تقيأوا فإن هؤلاء

قوم قد تقيأوا وهذا يوم له ما بعده فإن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليكم اليوم

فأمروه وهم يرون أنها كخر جلقم وأن الأمر أطول مما ساروا إليه فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك خرج في نحو ستة وثلاثين كردوسا وقال إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وأقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان وكان خالد على كردوس والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وعياض بن غنم وهاشم بن عتبة وزبيد بن حنظلة وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وعبد الرحمن بن خالد وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة وحبیب بن مسلمة

وآخرون غيرهم من جلة الصحابة وأشرف الناس وفرسان العرب كل واحد منهم على كردوس كردوس
وفي حديث آخر أنه شهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيهم نحو من مائة
رجل من أهل بدر وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام
وإنهم ذادة الروم وأنصار المشركين اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك
وعن عبد الرحمن بن غنم وكان شهدها قال كان أبو سفيان وأشياخ المسلمين محامية لا يجولون ولا يقاتلون يفيء
إليهم الناس فإذا كانت على الروم قال وقالوا هلك بنو الأصفر اللهم اجعله وجههم وإذا كانت على المسلمين قال
وقالوا يا بني الإخوان أين أين اللهم اردد لهم الكرة فإذا كروا قالوا إيه يا بني الإخوان وإذا حملوا قالوا اللهم أعنهم
وانصرهم
وفي غير حديث عبد الرحمن أن رجلا قال يومئذ لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر
المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر بريء من توجيه وإنهم
أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفى في مسيره وجعل خالد يوم اليرموك على الطلائع قبات بن أشيم وكان
القارئ يومئذ المقداد

قالوا ومن السنة التي سن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهي سورة
الأنفال ولم يزل الناس بعد على ذلك

ولما فرغ خالد من تعبتهم وزحف إليه المشركون أمر عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبي القلب فأنشبا القتال
فشبب والنحم الناس وتطارد الفرسان فإنهم لعلى ذلك إذ قدم البريد من المدينة وهو محمية بن زيم فأخذته الخيول
وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامه وأخبرهم عن أمداد تأتيهم وإنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة فأبلغوا
خالدا فأسر إليه الخبر وأخبره بما قال للجند فقال له أحسنت فقف وأخذ الكتاب فجعله في كنانته وخاف إن هو
أظهر ذلك أن يتشتر أمر الجند فوقف الرسول مع خالد وخرج جرجة أحد أمراء الروم يومئذ حتى إذا كان بين
الصفين نادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق

دايتهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال له جرجة يا خالد اصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن
الكريم لا يخادع بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمته قال لا قال
فبم سميت سيف الله قال إن الله بعث فينا نبيه {صلى الله عليه وسلم} فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا
صدقة وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم أخذ الله تعالى بقلوبنا ونواصينا فهدانا به
وتابعناه فقال أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعالي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من
أشد الناس على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجة يا خالد أخبرني إلام تدعون قال إلى شهادة أن لا إله إلا
الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يجيبكم قال الجزية ونمئذ قال فإن لم يعطها
قال تؤذنه بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي يدخل في دينكم ويحييكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما
افترض الله علينا شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم
من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف يساويكم وقد سبقتموه قال إنا دخلنا في هذا الأمر وتابعنا نبينا
{صلى الله عليه وسلم} وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالغيب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا
وسمع ما سمعنا أن يسلم ويتابع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في

هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرحة صدقتني بالله ولم تخادعني ولم تألني قال بالله لقد صدقتك وما لي إليك ولا إلى أحد منكم حاجة وإن الله لولي ما سألت عنه قال صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أهما حيلة أزالوا المسلمين عن مواقفهم فركب خالد ومعه

جرحة

والروم خلال المسلمين فنادى المسلمون فثابوا وتراخت الروم إلى مواقفهم فرحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرحة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرحة ولم يصل صلاة يسجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى مع الناس الأولى والعصر إيماء وتضعض الروم ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان مقاتلهم واسع المطرد ضيق المهرب فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركوا رحلهم في مصافهم وخرجت خيلهم تشتد بهم في الصحراء وأخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب أفرجوا لها ولم يجرجوها فهبت ففرقت في البلاد وأقبل خالد والمسلمون على الرحل فقضوهم فكأنما هدم بهم حائط فاقتحموا في خندقهم فاقحموه عليهم فعمدوا إلى الواقرة فهوى فيها المقترون وغيرهم ومن صبر من المقترين هوى به من جشأت نفسه فهوى الواحد بال عشرة لا يطيقونه كلما هوى اثنان كان البقية أضعف حتى تمأفت في الواقرة عشرون ومائة ألف من المقترين ثمانون ألفا ومن المطلقين أربعون ألفا سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل وتجلل القيقار وأشرف من أشرف الروم برانسهم ثم جلسوا وقالوا لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية فأصيبوا في تزلهم

ولما دخل خالد الخندق نزله وأحاطت به خيله وقاتل الناس حتى أصبحوا قال بعضهم وأصبح خالد من تلك الليلة وهو في رواق تدارق

وقال عكرمة بن أبي جهل يومئذ قاتلت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في كل

موطن وأقر منكم اليوم ثم نادى من يبائع على الموت فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا وماتوا إلا من برأ منهم ضرار بن الأزور وأتى خالد بعلما أصبحوا بعكرمة جريحا فوضع رأسه على فخذه ويعمر بن عكرمة فوضع رأسه على ساقيه وجعل يمسخ عن وجوههما ويقطر الماء في حلوقهما ويقول كلا زعم ابن حنتمة أنا لا نستشهد

وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان بن حرب وكان الأشر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية فخرج يومئذ رجل من الروم فقال من يبارز فخرج إليه الأشر فاختلفا ضربتين فقال للرومي خلها وأنا الغلام النخعي فقال الرومي أكثر الله في قومي مثلك أما والله لولا أنك من قومي لذدت عن الروم فأما الآن فلا أعينهم

وفي حديث عبد الرحمن بن غنم وذكر قتال المسلمين تلك الليلة قال حتى إذا فتح الله على المسلمين من آخر الليل وقتلوهم حتى الصباح أصبحوا فاقتمسوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وبلغوا ثلاثة آلاف وصلى كل أمير على قتلى أصحابه ودفن خالد بن الوليد العهد إلى أبي عبيدة بعلم فرغ من القسم ودفن الشهداء وتراجع الطلب فولى أبو عبيدة رحمه الله النفل من الأحماس فنفل وأكثر وكتب بالفتح

قالوا وكان في الثلاثة آلاف الذين أصيبوا عكرمة وابنه عمرو وسلمة ابن هشام وعمرو بن سعيد وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعد وقد تقدم

ذكر موت خالد في غير هذه الواقعة

وهذا مما يقع بين الناقلين من الاختلاف الذي تقدم التنبيه عليه فالله تعالى أعلم

وعن عمرو بن ميمون وغيره ذكروا أن هرقل كان حج بيت المقدس قال فيينا هو يقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال أرى من الرأي أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم وأن تصالحوهم فوالله لئن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام وتأخذوا نصفنا وقرر لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم فينخر أخوه وختنه وتصدع عنه من كان حوله فلما رأهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه وأمر الأمراء ووجه إلى كل حيز جندا فلما اجتمع المسلمون أمرهم يعني الروم بمنزل جامع حصين فنزلوا الواقصة وخرج هو فنزل حصص فلما بلغه أن خالدا قد طلع على سوي وانتسف أهله وأموالهم وعمد إلى بصرى وافتتحها قال جلسائه ألم أقل لكم لا تقاتلوهم فإنه لا يقوم لهم أحد فقاتلوا قاتل عن دينك واقض الذي عليك ولا تجبن الناس قال وأي شيء أطلب إلا توفير دينكم

ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعثوا إلى الروم إنا نريد كلام أميركم وملاقاته فدعة نأته ونكلمه فأبلغوه فأذن لهم فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كارسل والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل ومع أخيه هرقل يومئذ ثلاثون سرادقا كلها من ديباج فلما انتهوا إليها ممهدة وبلغ ذلك هرقل فقال ألم أقل لكم هذا أول الذل أما الشام فلا شام ويل للروم من الولد المشؤوم ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح فرجع أبو عبيدة وأصحابه واعدوا فكان القتال حتى جاء الفتح قصة صلح إيلياء وقدم عمر رضي الله عنه الشام

وكان أبو عبيدة رحمه الله بعد اقتضاء اليرموك على ما وقع في كتب فتوح الشام من ذلك قد بعث الرسل إلى أهل إيلياء يطلبهم بالخروج إليه ليكتب لهم أمانا على أنفسهم وأموالهم فتناقلوا عليه فكتب إليهم يعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو ينزل بهم حتى يحكم الله له عليهم وقد أوردنا هذا الكتاب بنصه قبل فلما أبوا أن يأتوه وأن يصالحوه أقبل إليهم حتى نزل بهم فحاصروهم حصارا شديدا وضيق عليهم من كل جانب فخرجوا إليه ذات يوم فقاتلوهم ساعة ثم شد عليهم المسلمون فانهزموا ودخلوا حصنهم وكان الذي ولي قتلهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان كل واحد منهما في جانب فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على دمشق فكتب إلى أبي عبيدة أما بعد فإني لعمرى ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد في سبيل الله على نفسي وعلى ما يقربني من مرضاة ربي فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عمالك من هو أرغب فيه مني فليعمل لك عليه ما بدا لك فإني قادم عليك وشيكا إن شاء الله والسلام عليك

فلما وصل كتابه إلى أبي عبيدة قال أشهد ليفعلنها فقال ليزيد بن أبي سفيان اكفني دمشق فسار إليها يزيد فولبها

وكان في المسلمين رجل من بني غير يقال له نخيمس بن حابس بن معاوية وكان شجاعا وكان الناس يذكرون منه صلاحا فقداه أصحابه أياما فكانوا يطلبونه ويسألون عنه فلا يجربون عنه بشيء فلما يتسوا منه ظنوا أن قد هلك وأنه

اغتيال فيينا هم جلوس ذات يوم إذ طلع عليهم مقبلا في يده ورقتان لم ينظر الناس إلى مثلها قط أنضر ولا أعرض عرضا ولا أطول طولا ولا أحسن منظرا ولا أطيب رائحة ففرح به أصحابه فرحا شديدا وقالوا له أين كنت قال وقعت في جب فمضيت فيه حتى انتهيت إلى جنة معروشة فيها من كل شيء ولم تر عيني مثل ما فيها قط في مكان ولم أظن أن الله خلق مثلها فلبثت فيها هذه الأيام التي فقدتموني في نعيم ليس مثله نعيم وفي منظر ليس مثله منظر وفي رائحة لم يجد أحد من الناس قط أطيب منها فيينا أنا كذلك أتاني آت فأخذ بيدي فأخرجني منها إليكم وقد كنت أخذت هاتين الورقتين من شجرة كنت تحتها جالسا فبقيتا في يدي فأخذ الناس يشموئهما فيجدون لهما ريحا لم يجدوا لشيء قط أطيب منها فأهل الشام يزعمون أنه أدخل الجنة وأن تينك الورقتين من ورقها ويقولون إن الخلفاء رفعتهما في الخزانة

ولما رأى أهل إيلياء أن أبا عبيدة غير مقلع عنهم وظنوا أن لا طاقة لهم بحربه قالوا نحن نصلحك قال فإني أقبل منكم الصلح قالوا فأرسل إلى خليفتك عمر فيكون هو الذي يعطينا العهد ويكتب لنا الأمان فقبل ذلك أبو عبيدة وهم بالكتاب وكان لا يقطع أمرا دون رأي معاذ وكان معاذ لا يكاد يفارقه لرغبته في الجهاد فأرسل إليه أبو عبيدة وكان بعثه إلى الأردن فلما قدم عليه أخبره فقال له معاذ تكتب إلى أمير المؤمنين فتسأله القدوم عليك فلعلة أن يستقدم ثم يأتي هؤلاء الصلح فيكون سيره عناء

وفضلا فلا تكتب إليه حتى تستحلهم بأيمانهم المغلظة لئن أنت سألته القدوم فقدم عليهم فأعطاهم الأمان وكتب لهم الصلح ليقبلن ذلك وليصالحن عليه فأخذ عليهم أبو عبيدة الأيمان الغلظة لئن عمر قدم فأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكتب لهم على ذلك كتابا ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام فلما فعلوا ذلك كتب إليه أبو عبيدة

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا أقمنا على أيلياء وظنوا أن لهم في المطولة فرجا ورجاء فلم يزداهم الله بما إلا ضيقا ونقصا وهزلا وأزلا فلما رأوا ذلك سألونا أن نعطيهم ما كانوا قبل منه ممنوعين وله كارهين وسألونا الصلح على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو المؤمن لهم والكتاب لهم وكتابتنا وإنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين ثم يغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك أصلحك الله عناء وفضلا فأخذنا عليهم الموائيق المغلظة بأيمانهم لئن أنت قدمت عليهم فآمنتهم على أنفسهم وأموالهم ليقبلن ذلك وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل فإن في مسيرك أجرا وصلاحا وعافية للمسلمين آتاك الله رشدا ويسر أمرك والسلام عليك

فلما أتى عمر رحمه الله كتاب أبي عبيدة جمع رعوس المسلمين فقرأه عليهم واستشارهم فقال له عثمان إن الله قد أذلم وحصرهم وضيق عليهم وأراهم ما صنع بجموعهم وملوكهم وما قتل من صناديدهم وفتح على المسلمين من بلادهم فهم في كل يوم يزدادون هزلا وأزلا ونقصا وضيقا ورغما فإن أنت أقمتم ولم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم مستخف ولشأنهم محتقر فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وإلا حاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم حتى يعطوا بأيديهم فقال عمر ماذا ترون هل عند أحد منكم غير هذا الرأي

فقال علي بن أبي طالب نعم يا أمير المؤمنين عندي غير هذا

فقال ما هو

قال إنهم يا أمير المؤمنين قد سألوكم المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار هي على المسلمين فتح وهم عز وهم يعطونكها الآن عاجلا في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ولك يا أمير المؤمنين في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ وكل مخمصة وفي قطع كل واد وفي كل فج وشعب وفي كل نفقة تنفقها حتى تقدم عليهم فإن قدمت عليهم كان في قدومك عليهم الأمن والعافية والصلح والفتح ولست آمن لو أنهم ينسوا من قبلك الصلح ومن قدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم ولعلمهم أن يأتيهم من عدونا مدد لهم فيدخلوا معهم في حصنهم فيدخل على المسلمين من حربهم وجهادهم بلاء ومشقة ويطول بهم الحصار ويقم المسلمون عليهم فيصيب المسلمين من الجهد والجوع نحو ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرمونهم بالنشاب ويقذفونهم بالحجارة فإن قتل رجل من المسلمين تمنيت أنكم فديتموه بمسيركم إلى منقطع التراب ولكان المسلم بذلك من إخوانه أهلا

فقال عمر قد أحسن عثمان في مكيدة العدو وقد أحسن علي النظر لأهل الإسلام ثم قال سيروا على إسم الله فأني معسكر وسائر

ثم خرج ومعه أشرف الناس وبيوتات العرب والمهاجرون والأنصار وأخرج معه العباس بن عبد المطلب وعن أبي سعيد المقبري أن عمر رحمه الله كان في مسيرة ذلك يجلس لأصحابه إذا صلى الغداة فيقبل عليهم بوجهه ثم يقول الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام والإيمان وأكرمنا بمحمد {صلى الله عليه وسلم} فهدانا به من الضلالة وجمعنا من الفرقة وألف بين قلوبنا ونصرنا به على الأعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا به إخوانا متحابين فأحمدوا الله على هذه النعم وسلوه المزيد فيها والشكر عليها وتمام ما أصبحتم تتقلبون فيه منها فإن الله عز وجل يريد الرغبة إليه ويتم نعمته على الشاكرين

قال فكان عمر رضي الله عنه لا يدع هذا القول كل غداة في مبتدئه ومرجه

وعن أبي سعيد الخدري أن عمر رحمه الله مضى في وجهه ذلك حتى انتهى إلى الجابية فقام في الناس فقال الحمد لله الحميد المستحمد الدفاع الجيد الغفور الودود الذي من أراد أن يهديه من عباده اهتدى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ١٧ الكهف

قال وإذا رجل من القسيسين من النصارى عندهم وعليه جبة صوف فلما قال عمر رضي الله عنه (من يهد الله فهو المهتد) قال النصراني وأنا أشهد فقال عمر (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) فنفض النصراني جيبه عن صدره ثم قال معاذ الله لا يضلل الله أحدا يريد الهدى فقال عمر ماذا يقول عدو الله هذا النصراني فأخبروه فرفع عمر صوته وعاد في خطبته بمثل مقالته الأولى ففعل النصراني كفعله الأول فغضب عمر رضي الله عنه وقال والله لئن أعادها لأضربن عنقه ففهمها العلي فسكت إذ عاد عمر في خطبته وقال من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ثم قال

أما بعد فأني سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول إن خيار أمتي الذين يلونكم ثم الذين تلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة ولم يستشهد عليها وحتى يحلف على اليمين ولم يسألها فمن أراد بحجوة الجنة فليزِم الجماعة ولا يبالي بشذوذ من شذ وذكر بقية الحديث

قال ثم خرج عمر رحمه الله من الجابية إلى إيلياء فخرج إليه المسلمون

يستقبلونه وخرج أبو عبيدة بالناس أجمعين وأقبل هو على جمل له وعليه رحله وعليه صفة من جلد كبش حولي فانتهى إلى مخاضة فأقبلوا يتدرونه فقال للمسلمين مكانكم ثم نزل عن بعيره فأخذ بزمامه وهو من ليف ثم دخل الماء بين يدي جملة حتى جاز الماء إلى أصحاب أبي عبيدة فإذا معهم برذون يجبون ففقال له يا أمير المؤمنين إركب هذا البرذون فإنه أجمل بك وأهون عليك في ركوبك ولا نحب أن يراك أهل الذمة في مثل هذه الهيئة التي نراك فيها واستقبلوه بثياب بيض فنزل عمر عن جملة وركب البرذون وترك الثياب فلما هملج به البرذون نزل عنه وقال خذوا هذا عني فإنه شيطان وأخاف أن يغير على قلبي فقالوا يا أمير المؤمنين لو لبست هذه الثياب البيض وركبت هذا البرذون لكان أجمل في المروءة وأحسن في الذكر وخيرا في الجهاد فقال عمر رضي الله عنه ويحكم لا تعتروا بغير ما أعزكم الله به فتدلوا ثم مضى ومضى المسلمون معه حتى أتى إيلياء فنزل بها فأتاه رجال من المسلمين فيهم أبو الأعور السلمي وقد لبسوا لباس الروم وتشبهوا بهم في هيتهم فقال عمر احثوا في وجوههم التراب حتى يرجعوا إلى هيئتنا وستننا ولباسنا وكانوا قد أظهروا شينا من الديباج فأمر بهم فحرق عليهم وفي غير هذا الحديث مما ذكره سيف أن خالد بن الوليد لقي عمر عند مقدمة الجابية في الخيل عليهم الديباج والحريز فنزل واخذ الحجارة فرماهم بها وقال سرعان ما لفتنم عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزري وإنما شعبتم منذ سنتين سرعان ما نزلت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنما يلامقة وإن علينا السلاح قال فنعم إذا

وفي حديث أبي سعيد الخدري فقال يزيد بن أبي سفيان يا أمير المؤمنين إن الثياب والدواب عندنا كثيرة والعيش عندنا رفيع والسعر رخيص وحال المسلمين كما تحب فلو أنك لبست من هذه الثياب البيض وركبت من هذه الدواب الفرة وأطعمت المسلمين من هذا الطعام الكثير كان أبعده في الصوت وأزين لك في هذا الأمر وأعظم لك في الأعاجم فقال له يا يزيد لا والله لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبي ولا أترين للناس بما أخاف أن يشينني عند ربي ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله فلم يزل عمر رحمه الله على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحياة أبي بكر رضي الله عنه حتى خرج من الدنيا

قال فلما نزل عمر بإيلياء واطمأن الناس بعث أبو عبيدة إلى أهل إيلياء أن انزلوا إلى أمير المؤمنين واستوثقوا لأنفسكم فنزل إليه ابن الجعيد في ناس من عظمائهم فكذب لهم عمر كتاب الأمان والصلح فلما قبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض ولم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزار عمر فيصنع له ويسأله أن يزوره في رحله فيفعل ذلك عمر إكراما لهم غير أبي عبيدة فإنه لم يستزره فقال له عمر إنه لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارني غيرك فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين إني أخاف إن استزرتك أن تعصر عينيك فأتاه عمر في بيته فإذا ليس في بيته إلا لبد فرسه وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته وإذا كسر يابسة في كوة بيته فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه وأتى بملح جريش وكوز خزف فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه وقال أنت أخي وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك فقال له أبو عبيدة ألم أخبرك أنك ستعصر في بيتي عينيك

قال ثم إن عمر قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم قال يا أهل الإسلام إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على العداة وأورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكن جزاء

ربكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقل ما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرغوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم
ثم نزل وحضرت الصلاة فقال عمر رضي الله عنه يا بلال ألا تؤذن لنا رحمة الله فقال بلال يا أمير المؤمنين أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولكن سأطيعك اليوم إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم {صلى الله عليه وسلم} فبكوا بكاء شديدا ولم يكن يومئذ أحد أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله فلما قضى عمر صلاته قام إليه بلال فقال يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخيزب النقي وما يجد ذلك عامة المسلمين فقال لهم عمر ما يقول بلال فقال يزيد ابن أبي سفيان يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإننا نصيب هذا الذي ذكر بلال هاهنا بمثل ما كنا نقوت به عيالنا بالحجاز فقال عمر والله لا أبرح العرصة أبدا حتى تضمونوا لي أرزاق المسلمين في كل شهر ثم قال انظروا كم يكفي الرجل ويسعه في كل يوم فقالوا كذا وكذا فقال كم يكون ذلك في الشهر قالوا جريين من قمح مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمونوا له ذلك ثم قال يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفا لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضته لكم وأعطوكموه في كل شهر فذلك ما أحب وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزهم عنكم وأولي أمركم غيرهم فلم يزل ذلك جاريا دهرًا حتى قطع بعد ذلك
وعن شهر بن حوشب أن إسلام كعب الخبر وهو من اليمن من حمير كان في قدوم عمر الشام وأن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك

قال وكان أبوه من مؤمني أهل النجدة برسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكان من عظمائهم وخيارهم
قال كعب وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم فلما حضرته الوفاة دعاني فقال يا بني قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث وقد أظلم زمانه فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاقي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتبعه وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما زمانك هذا وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما فإن الله يزيدك بذلك خيرا

فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن يقضيني المأتم حتى أنظر في الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتذلل ألسنتهم بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه يغسلون فروجهم بالماء ويأترون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها وتراحهم بينهم تراحم بني الأم والأب وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم وهم السابقون المقربون المشفعون المشفع لهم فلما قرأت هذا قلت في نفسي والله ما علمني أبي شيئا هو خير لي من هذا فمكثت بذلك ما شاء الله حتى بعث النبي

صلى الله عليه وسلم وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه وبلغني أنه خرج في مكة وهو يظهر مرة ويستخفي مرة فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدي حذري وخوفي من الكذابين وجعلت أحب أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه قد أتى المدينة فقلت في نفسي إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه فلم يقدر لي حتى بلغني أنه قد توفي صلوات الله عليه وسلامه فقلت في نفسي لعله لم يكن الذي كنت أظن ثم بلغني أن خليفته قام مقامه ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءنا جنوده فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأوخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر ابن الخطاب فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا رجل من المسلمين ينلو كتاب الله تعالى حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ٤٧ النساء

قال فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفائي فما كان شيء أحب إلي من الصباح فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت

وقال كعب لعمر عند انصرافه عن الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وكانوا أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره وقوله لا يخالف فعله والقريب والبعيد عنده في الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار متراحمون متواصلون متبادلون

فقال له عمر ثكلتك أمك أحق ما تقول قال أي والذي أنزل التوراة على موسى والذي يسمع ما نقول إنه لحق

فقال عمر رضي الله عنه فالحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا فرحمنا

بمحمد {صلى الله عليه وسلم} وبرحمته التي وسعت كل شيء

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع أناس من قريش في تجارة إلى الشام قال فإني لفي سوق من أسواقها إذا بطريق قد قبض على عنقي فذهبت أنازعه فقليل لي لا تفعل فإنه لا نصف لك منه فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءني بزنبيل ومجرقة فقال انقل ما هاهنا فجعلت أنظر كيف أصنع فلما كان في الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه فقال أترك على ما أرى ما نقلت شيئا ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي فقلت وا ثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى الجحرفة فضربت بها هامته فشرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير فسرت بقية يومي وليلي ومن الغد إلى الهاجرة فاتتهيت إلى دير فاستظلت بفنائه فخرج إلي منه رجل فقال لي يا عبد الله ما يقعدك هنا فقلت اضللت أصحابي فقال لي ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعيني خائف فادخل واصب من الطعام واسترح فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطفني ثم سعد في النظر وصوبه فقال قد علم أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب أو الكتب مني وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه فقلت له يا هذا لقد ذهبت في غير مذهب فقال لي ما اسمك فقلت عمر بن الخطاب قال أنت والله صاحبنا فاكتب لي على ديري هذا وما فيه فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلي صنيعا فلا تكدها فقال إنما هو كتاب في رق فإن كنت صاحبنا

فذاك وإلا لم يضرك شيء فكتبت له على ديره وما فيه فأتاني بشياب ودرهم فدفعتها إلي ثم أو كف أانا فقال أتراها قلت نعم قال سر عليها فإن لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فإذا بلغت مأمناك فاضرب وجهها مدبرة فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي قال فركتها فكان كما قال حتى لحقت أصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز فضربتها مدبرة

وانطلقت معهم فلما وافى عمر الشام في خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العدس فلما رآه عرفه ثم قال قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضي الله عنه وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبد الله قال لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك فاروق أنت صاحب إيلياء والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء وعند سيف في أمر إيلياء أحاديث ربما خالفت بعض ما تقدم ونحن نورد منها ما يطيل الإمتاع مضمونا إلى ذلك ما ذكره من أمر قيسارية وغيره فمن ذلك أن عمر رحمه الله كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بعد مصالحة أهل الأردن واجتماع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة أن يسرح معاوية إلى قيسارية وكتب عمر إلى معاوية

أما بعد فإني قد وليت قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير فسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية فهزموهم وحصرهم ثم إنهم جعلوا يراحفونه فلا يراحفونه في مرة إلا هزمهم وردهم إلى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك وخرجوا من صياصيمهم فاقتتلوا في حفيظة واستماتة فبلغت قتالهم في المعركة ثمانين ألفا وكملها في هزيمتهم مائة ألف وبعث بالفتح مع رجلين من بني الضبيب ثم خاف منهما الضعف فبعث آخرين بعدهما فلحقهما فطوياهما وهما نائمان وانتهى يريد معاوية إلى عمر بالخبر ليلا فجمع الناس وأبأهم على الفرح وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يجلس الأسرى عنده ويقول ما صنعوا بأسرانا صنعنا بأسرهم مثله فممنع بذلك من العبث بأسرى المسلمين حتى افتتح قيسارية

وكان عمر لما أمر معاوية بالتوجه إلى قيسارية أمر عمرو بن العاص بصدم الأربطون وكان على جمع الروم بأجنادين وأمر علقمة بن مجزز بصدم القيقار وكان على الروم بغزة فلما توجه معاوية إلى قيسارية صدم عمرو بن العاص إلى الأربطون ومن يازائه وخرج معه شر حبييل بن حسنة على مقدمته وولى مجنبتيه ابنه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم من بني مالك بن كنانة واستخلف أبا الأعور على الأردن وخرج حتى نزل على الروم بأجنادين وهم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأربطون وكان أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكاها فعلا وكان وضع بالرملة جندا عظيما ويإيلياء جندا عظيما وكتب عمرو بالخبر إلى عمر فلما جاءه كتابه قال قد رمينا أربطون الروم بأربطون العرب فانظروا عم تنفرج وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأربطون على سقطة ولا تشفيه الرسل فولى ذلك بنفسه وتوجه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه حتى عرف ما أراد وتأمل حصونه فقال أربطون في نفسه والله إن هذا لعمر أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسيا فساره فقال اخرج فقم بمكان كذا فإذا مر بك فاقتله ووطن له عمرو فقال له قد سمعت مني وسمعت منك وقد وقع

ما قلت مني موقعا وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكافئه ويشهدنا أموره فأرجع فأتيتك بهم الآن فإن

رأوا مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر ورآه الأمير وإن لم يروه رددهم إلى مأمئهم وكنت على رأس أمرك قال نعم ودعا فساره وقال اذهب إلى فلان يعني ذلك الحرسى فردده إلى فرجع إليه الرجل وقال لعمر و انطلق فجيء بأصحابك فخرج عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم الرومى أنه خدعه فقال هذا أدهى الخلق وبلغت عمر فقال غلبه عمرو و

ثم ناهده عمرو وقد عرف مأخذه فالتقوا بأجنادين فافتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ثم انهزم أرتبون في الناس فأوى إلى إيلياء ونزل عمرو أجنادين وانطلق علقمة بن مجزر فحصر القيقار بغزة وجعل يرأسله فلم يشفه أحد مما يريد فأناه كأنه رسول علقمة فأمر القيقار رجلا أن يقعد له بالطريق فإذا مر قتله ففطن علقمة فقال إن معى نفرا شركائى في الرأي فانطلق فأتيتك بهم فبعث إلى ذلك الرجل أن لا يعرض لعلقمة فخرج من عنده ولم يعد كما فعل عمرو بالأرتبون

ولما أتى أرتبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ثم أزالهم إلى أجنادين وكتب إلى عمرو بأنك صديقى ونظيرى أنت في قومك مثلى في قومى والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين فارجع فلا تغر فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فأرسله إلى أرتبون وأمره أن يتنكر ويقرب ويستمع ما يقول حتى يخبره به إذا رجع وكتب إلى أرتبون

جاءني كتابك وأنت نظيرى ومثلى في قومك لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد وأستعدي عليك فلانا وفلانا وفلانا لوزرائه فأقرتهم كتابى ولينظروا فيما بينى وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرتبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من أولئك النفر فاقتراه فضحكوا وتعجبوا وأقبلوا على أرتبون فقالوا من

أين علمت أنه ليس بصاحبها قال صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف فرجع الرسول إلى عمرو ورفعه أنه عمر وكتب إلى عمر يستمده ويقول إنى أعالج حربا كنودا وبلادا ادخرت لك فرأيتك فلما جاء عمر الكتاب علم أن عمرا لم يقل إلا بعلم فنادى في الناس ثم خرج بهم حتى نزل الجابية

وعن عدي بن سهل قال لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين استخلف عليا وخرج ممداهم فقال علي أين تخرج بنفسك إنك تريد عدوا كلبا فقال إنى أبادر بجهاد العدو موت العباس إنكم لو فقدتم العباس لا نتقض لكم الشر انتقاض الجبل

قالوا وجميع ما خرج عمر إلى الشام أربع مرات أما الأولى فعلى فرس وأما الثانية فعلى بعير وأما الثالثة فقصر به عنها استعار الطاعون وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج وفتحت إيلياء وأرضها كلها في ربيع الآخر سنة ست عشرة على يدي عمر بن الخطاب ما خلا أجنادين على يدي عمرو وقيسارية على يدي معاوية وعن سالم بن عبد الله أن أهل إيلياء أشجوا عمر وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة قال فبينما عمر معسكرا بالجابية فرع الناس إلى السلاح فقال ما شأنكم فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر مستأمنة فلا تراعوا وأمنوهم وإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له إيلياء واكتبوا منه عليها وعلى حيزها و الرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين نصفًا مع أهل إيلياء ونصفًا مع أهل الرملة وفلسطين تعدل

الشام كله وهي عشر كور من غير هذا الحديث المتقدم وهو مما ذكره سيف أيضا أن عمر رضي الله عنه فرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة وعلقمة بن مجزر على نصفها وأنزله إيلياء ونزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي كانت معه وكان سالم بن عبد الله في الجنود التي كانت مع عمرو وضم عمرا وشرحيل إليه بالجابية فلما انتهيا إليها وافقا عمر رضي الله عنه راكبا فقبلا ركبته وضم عمر ركل واحد منهما واحتضنه

وعن غير سالم أن عمر رضي الله عنه لما بعث بأمان أهل إيلياء وأسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فهزه فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال قبح الله من علمك هذا ثم دعا بفرسه بعدما أجهه أياما يوقحه فركب ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس وفي رواية أنه قال للبرذون لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده

وعن أبي مريم مولى سلامة قال شهدت فتح إيلياء مع عمر رضي الله عنه فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم إيلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه وقال يزيد بن حنظلة يذكر بعض ما تقدم

تذكرت حرب الروم لما تطاولت

وإذ نحن في عام كثير نوازه

وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا

مسيرة شهر بينهن بلبله

وإذ أرتبون الروم بحمي بلاده

يحاوله قرم هناك يساجله

فلما رأى الفاروق أزمان فتحها

سما بجنود الله كيما يصاله

فلما أحسوه وخافوا صياله

أتوه وقالوا أنت ممن نواصله

وألقت إليه الشأم أفلاذ بطنها

وعيشا خصيبا ما تعد مأكله

أباح لنا ما بين شرق ومغرب

مواريث أعقاب بنتها قرامله

وكم مثقل لم يضطلع باحتماله

تحمل عبنا حين شالت شوائله

الطويل

وقال أيضا

وقد عضلت بالشأم أرض بأهلها

تريد من الأقوام ما كان أحدا

سما عمر لما أتته رسائل
كأصيد بحمي صرمة الحي أغيدا
فلما أتاه ما أتاه أجابهم
بجيش ترى منه السنابك سجدا
وأقبلت الشام العريضة بالذي
أراد أبو حفص وأزكى وأزيدا
فقط فيما بينهم كل جزية
وكل رقاد كان أهني وأحدا
الطويل

قال صاحب فتوح الشام ثم إن عمر رضي الله عنه خرج من الشام مقبلا إلى المدينة فلما دنا منها استقبله الناس
يهنئونه بالنصر والفتح فحاء حتى دخل مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى ركعتين عند المنبر ثم صعد
المنبر واجتمع الناس إليه فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد {صلى الله عليه وسلم} وقال
يا أيها الناس إن الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن يحمده ويشكروه وقد أعز دعوتها وجمع كلمتها وأظهر فلجها
ونصرها على الأعداء وشرفها ومكن لها في الأرض وأورثها بلاد المشركين وديارهم وأمواهم فأحدثوا الله عز وجل
شكرا يزدكم وحمدوه على نعمه عليكم يدمها لكم جعلنا الله وإياكم من الشاكرين
ثم نزل

قال فمكث المسلمون بالشام عليها أبو عبيدة بن الجراح ومكث فيها بعد خروج عمر منها ثلاث سنين ثم توفي رحمه
الله في طاعون عمواس وكان طاعونا عم أهل الشام ومات فيه بشر كثير وكانت وفاة أبي عبيدة بالأردن وبها قبره
ولما طعن رحمه الله دعا المسلمين فدخلوا عليه فقال لهم إني موصيكم بوصية فإن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم
وبعدما تملكون أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا وتصدقوا وحجوا واعتصموا وتواصلوا وتحابوا واصدقوا
أمرأكم ولا تعشوه ولا تلهكم الدنيا فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا
الذي ترون إن الله قد كتب الموت على بني آدم فهو ميتون فأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم ليوم معاده
ثم قال لمعاد بن جبل يا معاذ صل بالناس فصلى معاذ بهم ومات أبو عبيدة رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه فقام معاذ
في الناس فقال

يا أيها الناس توبوا إلى الله توبة نصوحا فإن عبدا إن يلق الله تائباً من ذنبه كان حقا على الله أن يغفر له ذنوبه ومن
كان عليه دين فليقضه فإن العبد مرتفن بدينه ومن أصبح منكم مصارما مسلما فليلقه فيصالحه إذا لقيه وليصافحه
فإنه لا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام والذنب في ذلك عظيم عند الله وإنكم أيها المسلمون قد
فجعتنم برجل والله ما أزعم أي رأيت منكم عبدا من عباد الله قط أقل غمرا ولا أبرأ صدرا ولا أبعد من الغائلة ولا
أنصح للعامة ولا أشد عليهم تحننا وشفقة منه فترحموا عليه ثم احضروا الصلاة عليه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر والله لا يلي
عليكم مثله أبدا

فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة فتقدم معاذ فصلى عليه حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس فلما سفوا عليه التراب قال معاذ رحمك الله أبا عبيدة فوالله لأثنين عليه بما علمت والله لا أقولها باطلا وأخاف أن يلحقني من الله مقت كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيرا ومن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ومن الذين يبیتون لرهبهم سجدا وقياما ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وكنت والله ما علمت من المخبتين المواضعين ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويغضون الجفأة المتكبرين

ولم يكن أحد من الناس أشد جزعا على فقد أبي عبيدة من معاذ ولا أطول حزنا عليه من معاذ قال ثم صلى معاذ بالناس أياما واشتد الطاعون وكثر الموت في الناس فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال يا أيها الناس إن هذا الطاعون هو الرجز الذي عذب الله به بني إسرائيل مع الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأمر الناس بالفرار منه

فأخبر معاذ بقول عمرو فقال ما أراد إلى أن يقول ما لا علم له به ثم جاء معاذ حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم ذكر الوباء فقال ليس كما قال عمرو ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم اللهم أعط معاذا وآل معاذ منه النصيب الأوفر ثم صلى ورجع إلى منزله فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طعن فلما رآه قال يا أبت الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قال يا بني ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلم يلبث إلا قليلا حتى مات يرحمه الله وصلى عليه معاذ ودفنه فلما رجع معاذ إلى منزله طعن فاشتد به وجعه وجعل أصحابه يختلفون إليه

فإذا أتوه أقبل عليهم فقال لهم اعملوا وأنتم في مهلة وحياة وفي بقية من آجالكم من قبل أن تموتوا العمل فلا تجلوا إليه سيلا وأنفقوا مما عندكم من قبل أن تملكوا وتدعوا ذلك ميراثا لمن بعدكم واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم ولبستم وأنفقتم فأعطيتم فأمضيتهم وما سوى ذلك فللوارثين فلما اشتد به وجعه جعل يقول رب اخنقني خنقك فأشهد أنك تعلم أبي أحبك

قال وأتاه رجل في مرضه فقال له يا معاذ علمني شيئا ينفعني الله به قبل أن أفارقك فلا أراك ولا تراني ولا أجد منك خلفا ثم لعلي أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعني بعدك فلا أجد فيهم مثلك فقال له يا معاذ كلا إن صلحاء المسلمين والحمد لله كثير ولن يضيع الله أهل هذا الدين ثم قال له خذ عني ما أمرك به كن من الصائمين بالنهار ومن المصلين في جوف الليل ومن المستغفرين بالأسحار ومن الذاكرين الله كثيرا على كل حال ولا تشرب الخمر ولا تزني ولا تعق والدريك ولا تأكل مال اليتيم ولا تفر من الزحف ولا تأكل الربا ولا تدع الصلاة المكتوبة ولا تضع الزكاة المفروضة وصل رحمك وكن بالمؤمنين رحيما ولا تظلم مسلما وحج واعتمر وجاهد ثم أنا لك زعيم بالجنة ولما حضر معاذ الموت قال لجاريتته ويحك انظري هل أصبحنا فنظرت فقالت لا ثم تركها ساعة ثم قال لها انظري فنظرت فقالت نعم فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحبا بالموت مرحبا بزائر جاء على فاقة لا أفlech من ندم اللهم إنك تعلم أي لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأعمار ولا لغرس الأشجار ولكنني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل وطول الساعات في النهار ولظما الهواجر في الحر الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر

فلما اقترب أمره جاء عبد الله بن الديلمى فقال له يرحمك الله يا معاذ لعلنا لا نلتقي نحن ولا أنت ابدا فقال معاذ أجلسوني فأجلسوه وجلس رجل خلف ظهره ووضع معاذ ظهره في صدر الرجل ثم قال بس ساعة الكذب هذه حدثني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حديثا فكنت أكتمكموه مخافة أن تتكلموا فأما الآن فإني لا أكتمكموه سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول إنه لا يموت عبد من عباد الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور ويؤمن بالرسول وما جاءت به أنه حق ويؤمن بالجنة والنار إلا أدخله الله الجنة وحرمه على النار

ثم مات معاذ من ساعته يرحمه الله واستخلف عمرو بن العاص فصلى عليه عمرو ودخل قبره فوضعه في لحده ودخل معه رجال من المسلمين فلما خرج عمرو من قبره قال رحمك الله يا معاذ فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين ومن خيارهم وكت مؤدبا للجاهل شديدا على الفاجر رحيفا بالمؤمنين وأيم الله لا يستخلف من بعدك مثلك عمرو بن العاص

وكان مهلكه ومهلك أبي عبيدة رحمهما الله سنة ثمان عشرة وقد كان معاذ لما هلك أبو عبيدة كتب إلى عمر ينعاه أما بعد فاحتسب امرأ كان لله أمينا وكان الله في نفسه عظيما وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإننا لله وإنا إليه راجعون وعند الله نحسبه وباللغة نتق له كتبت إليك وقد فشا الموت وهذا الوباء في الناس ولن يخطئ أحد أجله ومن لم يمت فسيموت جعل الله ما عنده خيرا لنا من الدنيا وإن أبقانا أو هلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته والسلام عليك ورحمة الله

قال فو الله ما هو إلا أن أتى عمر الكتاب فقرأه حتى بكى بكاء شديدا ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه فما رأيت جماعة المسلمين جزعوا على رجل منهم جزعهم على أبي عبيدة ثم ما مضى لذلك إلا أيام حتى جاء كتاب عمرو بن العاص ينعي فيه معاذ بن جبل يرحمه الله فلما أتت عمر وفاة هذا على أثر أبي عبيدة جزع عليه جزعا شديدا وبكى عمر والمسلمون وحزنوا عليه حزنا عظيما وقال عمر رضي الله عنه رحم الله معاذا والله لقد رفع الله بهلاكه من هذه الأمة علما جما ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه ورأيناها أدت إلى خير وبركة ورب علم أفادناه وخير دلنا عليه جزاه الله جزاء الصالحين

وفرق عمر عند ذلك كور الشام فبعث عبد الله بن قرط الثمالي على حمص وعزل عنها حبيب بن مسلمة واستعمل على دمشق أبا الدرداء الأنصاري واستعمل يزيد بن أبي سفيان على الجنود التي كانت بالشام ثم وجد عمر على عبد الله بن قرط بعد ان عمل له على حمص سنة فعزله عنها وبعث حين عزله عبادة بن الصامت أميرا عليها وقد كان بدريا عقيبا نقيبا ثم رضي بعد ذلك عن عبد الله بن قرط فردده على حمص ولما قدم عبادة بن الصامت على أهل حمص قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم قال

أما بعد ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ألا وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ألا وإنكم معروضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٧٥ الزلزلة ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها بنوها يوم القيامة ثم قال لشداد بن أوس قم يا شداد فعظ الناس وكان شداد مفوها قد أعطي لسانا وحكمة وفضلا بيانا فقام شداد

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

أما بعد أيها الناس راجعوا كتاب الله وإن تركه كثير من الناس فإنكم لم

تروا من الخير إلا أسبابه ولا من الشر إلا أسبابه وإن الله جمع الخير كله بخذافيره فجعله في الجنة وجمع الشر كله بخذافيره فجعله في النار ألا وإن الجنة حفت بالكره والصبر ألا وإن النار حفت باهوى والشهوة ألا فمن كشف حجاب الكره والصبر أشفى على الجنة ومن أشفى على الجنة كان من أهلها ألا ومن كشف حجاب الهوى والشهوة أشفى على النار ومن أشفى على النار كان من أهلها ألا فاعملوا بالحق تنزلوا منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق

وقام أبو الدرداء في أهل دمشق خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه {صلى الله عليه وسلم} ثم قال أما بعد يا أهل دمشق فاسمعوا مقالة أخ لكم ناصح ما بالكم تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وقد كان من قبلكم جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا وماتوا قريبا فأصبحت أموالهم بورا ومساكنهم قيورا وآمالهم غرورا ألا وإن عادا وثمود وقد كانوا ملأوا ما بين بصري وعدن أموالا وأولادا ونعما فمن يشترى مني ما تركوا بدرهمين

ذكر ما وعدنا به قبل من سيافة فتح قيسارية حيث ذكرها اصحاب فتوح الشام خلافا لما أوردناه قبل ذلك عن سيف بن عمر مما لا يوافق هذا مساقا ولا زمانا حسب ما يوقف عليه في الموضوعين إن شاء الله تعالى ذكروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بعد مهلك أبي عبيدة ومعاذ بن جبل رحمهما الله

أما بعد فقد وليتك أجناد الشام كله وكتبت إليهم أن يسمعوا لك ويطيعوا وأن لا يخالفوا لك أمرا فخرج فعسكر بالمسلمين ثم سر بهم إلى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فإنه لا ينفعني افتتاح ما افتحتم من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها وهم عدو لكم إلى جانبكم وإنه لا يزال قيصر طامعا في الشام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته ممنعا ولو قد افتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام والله فاعل ذلك وصانع به للمسلمين إن شاء الله تعالى

فخرج يزيد فعسكر بالمسلمين وجاءه كتاب من عمر بنسخة واحدة إلى أمراء الأجناد أما بعد فقد وليت يزيد بن أبي سفيان أجناد الشام كله وأمرته أن يسير إلى قيسارية فلا تعصوا له أمرا ولا تخالفوا له رأيا والسلام

وكتب يزيد إلى أمراء الأجناد نسخة واحدة

أما بعد فإني قد ضربت على الناس بعثا أريد أن أسير بهم إلى قيسارية فاجتمعوا عنده قام يزيد فحمد الله وأثنى عليه ثم إيشخاصهم إلي إن شاء الله والسلام

فلم يمكث إلا قليلا حتى توافقت عنده عساكر الأجناد كلها فلما اجتمعوا عنده قام يزيد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

أما بعد فإن كتاب أمير المؤمنين عمر المبارك الفاروق أتاني يحثني على المسير إلى قيسارية وأن أدعوهم إلى الإسلام أو يدخلوا فيما دخل فيه أهل الكور من أهل الشام فيؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون فإن أبوا نزلت عليهم فلم أزيلهم حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم فسيروا رحمكم الله إليهم فإني أرجو أن يجمع الله لكم الغنيمة في الدنيا

والأجر في الآخرة

ثم قال للناس ارتحلوا ووجه إلى حبيب بن مسلمة أن سر في المقدمة فقد جعلتك عليها ثم امض حتى تنزل بأهل قيسارية فإني أسرع شيء في أثرك لحاقا بك

فمضى حبيب في جماعة عظيمة من المسلمين إلى قيسارية وبها جموع من بطارقة الروم وفرسانهم وأشدائهم وكل من كان كره الدخول في دين الإسلام من النصارى ومن كان كره الجزية ومن بقي من أهل تلك المواطن التي كانوا يقاتلون المسلمين من الروم فكانت بها جموع كثيرة وحد وجد شديد فلما أقبل حبيب في المقدمة ودنا من الحصن خرج إليه من قيسارية فرسان ورجال فنضحوهم بالنشاب وحملت خيلهم على المسلمين فأنحاز حبيب وخيله حتى انتهى إلى يزيد فنزل يزيد وجعل على ميمنته عبادة بن الصامت وعلى اليسرة الضحاك بن قيس ورد حبيبا على الخيل ومشى يزيد في الرجال فحمل عليهم فاقتتلوا طويلا قتالا شديدا ثم بعث إلى الضحاك أن أحمل على ميمنتهم فحمل عليهم فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وبعث إلى عبادة بن الصامت أن أحمل على ميسرتهم فحمل عليهم فقتلوا له فقاتلهم طويلا

وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم تحجزوا وانصرف عبادة إلى موقفه فحرض أصحابه ووعظهم ثم قال يا أهل الإسلام إني كنت أحدث النقباء سنا وأبعدهم أجلا وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم وإني أسأل الله أن يريني وإياكم أحسن ثواب المجاهدين والله الذي نفسي بيده ما حملت قط في عصابة من المؤمنين على جماعة من المشركين إلا خلوا لنا العرصة وأعطانا الله عليهم الظفر غيركم فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تریلوهم

وإن عمر لما بلغه شدة قتال أهل اليرموك لكم قال سبحان الله أو قد واقفوهم ما أظن المسلمين إلا قد غلوا ولو لم يغلوا ما واقفوهم ولظفروا بغير معونة والله إني خائف عليكم خصلتين أن تكونوا قد غلتم أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم فشدوا عليهم يرحمكم الله معي إذا شددت فلا والله لا أرجع إلى موقفي هذا إن شاء الله ولا أزيأهم حتى يهزمهم الله أو أموت دونهم ثم حمل عليهم وحملت معه الميمنة على ميسرة الروم فصبروا لهم حتى تطاعوا بالرمح واضطربوا بالسيوف واختلقت أعناق الخيل فلما رأى ذلك عبادة ترجل ثم نادى عمير بن سعد الأنصاري في المسلمين يا أهل الإسلام إن عبادة بن الصامت سيد المسلمين وصاحب راية رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد نزل وترجل فالكرة الكرة إلى رحمة الله والجنة واتقوا عواقب الفرار فإنها تقود إلى النار وأقبل المسلمون إلى عبادة وهو يجالدهم وقد كانوا أحاطوا به فحمل عليهم فقصف بعضهم على بعض فأزالوهم عن موقفهم ثم شدوا عليهم وحمل حبيب بن مسلمة على من يليه منهم ثم حمل يزيد بن أبي سفيان بجماعة المسلمين عليهم فأنهزوا أنهزما شديدا ووضع المسلمون سلاحهم وسيوفهم حيث أحبوا منهم واتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا حتى حجزوهم في حصنهم وقد قتلوا من رؤسائهم وبطارقتهم وفرسانهم مقتلة عظيمة ثم أقاموا عليهم فحجزوهم وقطعوا عنهم المادة وضيقوا عليهم وحاصروهم أشد الحصار فلما

طال عليهم البلاء تلاوموا وقال بعضهم لبعض اخرجوا بنا إليهم نقاتلهم حتى نظفر بهم أو نموت كراما فاستعدوا في مدينتهم وخرجوا على تعبتهم والمسلمون غارون لا يشعرون ولا يعلمون أنهم يخرجون إليهم وقد كانوا أذلواهم وأجحروهم وضيقوا عليهم حتى جهلوا وظنوا أنهم أو هن أمرا وأضعف من أن يخرجوا عليهم فما راع المسلمين إلا وأهل قيسارية يضاربونهم بالسيوف بأجمعهم إلى جانب عسكرهم فجال المسلمون جولة منكرا ثم إن يزيد خرج

مسرعاً يمشي إليهم حتى إذا دنا منهم جالدهم طويلاً وتنامت إليه خيل المسلمين ورجلهم وخرج المسلمون على راياتهم وصفوفهم فلما كثروا عنده أمر الخيل فحملت عليهم ونهض بالرجال في وجوههم ثم حمل هو عليهم فأنهزموا انهزماً قبيحاً شديداً وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً وركب بعضهم بعضاً فبعض دخل المدينة وبعض ذهبوا على وجوههم فلم يدخلوها وقتل الله منهم في المعركة نحواً من خمسة آلاف فلما رأى يزيد ما أنزل الله بهم من الخزي والقتل وما صيرهم إليه من الذل قال لمعاوية أقم عليها حتى يفتحها الله وانصرف يزيد عنها فلم يلبث معاوية عليها إلا يسيراً حتى فتحها الله على يديه وذلك سنة تسع عشرة وكانت هي وجولاء في سنة واحدة وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً لأنه لم يبق بالشام في أقصاها وأدناها عدو حينئذ وقد نفى الله المشركين عنها وصار الشام كله في أيدي المسلمين

وكتب يزيد إلى عمر

أما بعد فإن رأي أمير المؤمنين لأهل الشام كان رأياً أرشده الله وأرشد به من أخذ به وبارك له ولأهل طاعته فيه وإني أخبر أمير المؤمنين أنا التقينا نحن وأهل قيسارية غير مرة وكل ذلك يجعل الله جلهم الأسفل وكدهم الأخرس ويجعل لنا عليهم الظفر فلما رأوا أن الله قد أذهب ريجهم وأذهبهم وأنزل عليهم الصغار والهوان وقتل صناديدهم وفرسانهم وملوكهم لزموا حصنهم وانجزوا

في مدينتهم فأطلنا حصارهم وقطعنا موادهم وميرتهم وضيقتنا أشد التضيق عليهم فلما جهلوا هزلاً وأزلاً فتحها الله علينا والحمد لله رب العالمين
فكتب إليه عمر رحمه الله

أما بعد فقد أتاني كتابك وسمعت ما ذكرت فيه من الفتح على المسلمين والحمد لله رب العالمين فاشكروا الله بيزدكم ويتم نعمته عليكم وإن الله قد كفاكم مؤنة عدوكم وبسط لكم في الرزق ومكن لكم في البلاد وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار والسلام عليك

فلما أتى يزيد هذا الكتاب قرأه على المسلمين فحمدوا الله على ما أنعم عليهم واصطنع عندهم وأقبل يزيد حتى نزل دمشق فلم يلبث إلا سنة حتى هلك رضي الله عنه وذلك في سنة تسع عشرة والشام كله مستقيم أمره ليس به عدو للمسلمين

وكان يزيد رحمه الله شريفاً فاضلاً حليماً عاقلاً رقيقاً حسن السيرة محبباً في المسلمين ولما ثقل رحمه الله وأشرف على الموت استخلف أخاه معاوية على الشام وكتب إلى عمر رضي الله عنه

أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا وإني أظن أني في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا فجزاك الله عنا وعن جميع المسلمين خيراً وجعل جناته لنا ولك مآباً ومصيراً فابعث إلى عمك بالشام من أحببت فأما أنا فقد استخلفت عليهم معاوية بن أبي سفيان

فلما أتى عمر كتابه مع خبر موته جزع عليه جزعاً شديداً وكتب إلى معاوية بولايته على الشام ويقال إنه لما ورد البريد بموت يزيد على عمر كان أبوه أبو سفيان عنده فقال له عمر لما قرأ الكتاب بموت يزيد أحسن الله عزاءك في يزيد ورحمه فقال له أبو سفيان من وليت مكانه يا أمير المؤمنين

قال أخاه معاوية قال وصلتك رحم يا أمير المؤمنين

فأقام معاوية على الشام أربع سنين ببقية خلافة عمر ثم أقره عليها عثمان اثنتي عشرة سنة مدة خلافته ثم كان منه بعد وفاة عثمان رضي الله عنه ما هو معلوم

ذكر فتح مصر

ذكر ابن عبد الحكم عن سمي من شيوخه أنه لما قدم عمر رضي الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص فاستأذنه في المسير إلى مصر وكان عمرو قد دخلها في الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة من فيها وكان سبب دخوله إياها أنه كان قدم بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش وكانت رعية إبلهم نوبا بينهم فيينا عمرو يربعاها في نوبته إذ مر به شماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية كان قدم للصلاة في بيت المقدس وللسياحة في جبالها فوقف على عمرو فاستسقاها وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فسقاها عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت إلى جنبه حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس ونظر إلى الحية سأل عمرا عنها فأخبره أنه رماها فقتلها فأقبل الشماس فقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجوا أن تصيب في تجارتك قال رجائي أن أصيب ما اشتري به بعيرا فإني لا أملك إلا بعيرين فألمي أن أصيب بعيرا ثالثا فقال له الشماس كم الدية فيكم قال مائة من الإبل قال الشماس لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب

دنانير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس إني رجل غريب في هذه البلاد وإنما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وأسبح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادتي فهل لك أن تتبعني إلى بلادي ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن الله عز وجل أحياني بك مرتين فقال له عمرو وأين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها فقال عمرو وتفي لي بما تقول فقال له الشماس نعم لك علي العهد والميثاق أن أفي لك وأن أردك إلى أصحابك فقال عمرو كم يكون مكثي في ذلك قال شهرا ننطلق معي ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علي أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرني حتى أشاور أصحابي

فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم أقيموا علي حتى أراجع إليكم ولكم علي العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال ما أعجبه ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فإزداد عجا ووافق دخول الإسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرفهم ولهم أكرة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم ويتلقونها بأكمامهم وفيما اختبروا منها على ما وضعها من مضى منهم أنه من وقعت في كفه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم

وأكرم الشماس عمرا الإكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه وجلس معه في ذلك المجلس مع الناس حيث يتراهمون بالأكرة وهم يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تموي حتى وقعت في كفه عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة أترى هذا الأعرابي يملكنا هذا ما لا يكون أبدا وإن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية وأعلمهم بأن عمرا أحياه مرتين وأنه ضمن له ألفي دينار وسأهم أن

يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها إلى عمرو فانطلق هو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجعا إلى أصحابهما فدفعا إليهم عمرو فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال فكان أول مال اعتقدته وتأثله

فبذلك ما عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى فيها ما علم به أنها أفضل البلاد وأكثره مالا فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية خلا به عمرو وقال يا أمير المؤمنين إيذن لي فأسير إلى أرض مصر فإنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر الأراضين أموالا وأعجزه عن القتال فتخوف عمر وكره ذلك فلم يزل عمرو بن العاص يعظم أمرها في نفسه ويجتره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك وقال سيروا وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعا فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف فانصرف وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابي ثم جاءك فامض لوجهتك واستعن بالله فاستنصره

فمضى عمرو من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر

ربه فكأنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك فكتب إلى عمرو بن العاص أن انصرف بمن معك من المسلمين إن أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر فأدرك الكتاب عمرا وهو برفح فتخوف إن هو أخذه فقرأه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول وسار كما هو حتى مر بقرية صغيرة فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل إنها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه فإذا فيه أن انصرف بمن معك من المسلمين فقال لمن حوله أستم تعلمون أن هذه من مصر قالوا بلى قال فإن أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم ادخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلت أرض مصر فسيروا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بن العاص بفلسطين فتقدم في أصحابه إلى مصر بغير إذن فكتب إليه عمر ينكر ذلك عليه فجاءه كتابه وهو دون العريش عريش مصر فلم يقرأ الكتاب حتى بلغ العريش فقرأه فإذا فيه من عمر بن الخطاب إلى عمر بن العاص أما بعد فإنك سرت إلى مصر بمن معك وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ولعمري لو كانوا تكل أمك ما سرت بهم فإن لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية أرض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو

ويقال بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع كل من كان بها من أجناد المسلمين وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية فكتب سرا واستأذن إلى مصر وأمر أصحابه فتسحوا كالقوم الذين يريدون أن يتجولوا من منزل إلى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقدته أمراء الأجناد استكروا الذي فعل ورأوا إنه قد غرر فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه عمر

أما بعد فإنك قد غررت بمن معك فإن أدرك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وإن أدرك كتابي وقد دخلت فامضي وأعلم أي ممدك

ويقال إن عمر كتب إلى عمرو بعدما فتح الشام أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبكم عمرو فأسرعوا إلى الخروج معه ثم أن عثمان بن عفان دخل على عمر فذكر له عمر ما كتب به إلى عمرو فقال عثمان يا أمير المؤمنين إن عمرا له جرأة وفيه إقدام وحب للإمارة فأحشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري أن تكون أم لا فندم عمر على كتابه إشفافا مما

قال عثمان فكتب إلى عمرو يأمره بنحو ما تقدم من الرجوع إن لم يكن دخل مصر والمضي لوجهه إن كان دخلها فسار عمرو في طريقه قاصدا مصر فلما بلغ المقوقس ذلك توجه نحو القسطنطينية بجهز الجيوش على عمرو وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبال الحلال نمرت معه راشدة وقبائل من لحم وأدركة النحر وهو بالعريش فضحى يومئذ عن أصحابه بكبش

وكان رجل ممن خرج معه قد أصيب بجملته فأتاه الرجل يستحمله فقال له عمرو تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر فلما بلغوا العريش جاءه فأمر له بجملين ثم قال لن تزالوا بخير ما رحمتكم أنتمكم فإذا لم يرحمكم هلكنم وهلكوا

فتقدم عمرو فكان أول موضع قوتل فيه القرما قاتلته الروم قتالا شديدا نحو من شهر ثم فتح الله على يديه وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم انه لا تكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا

ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر ثم تقدم لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بليس فقاتلوه بما نحو من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين فقاتلوه بما قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده فأمدته بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم

وجاء رجل من لحم إلى عمرو بن العاص فقال اندب معي خيلا حتى آتي من ورائهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح ويقال كان على هذا البعث خارجة بن حذافة فلما كان في وجه الصبح نهض القوم فصلوا الصبح ثم ركبوا خيلهم وغدا عمرو بن العاص على القتال فقاتلوه من وجههم وهملت الخيل التي كان وجه من ورائهم واقتحمت عليهم فانهمزوا وكانوا قد خندقوا حول الحصن وجعلوا للخندق أبوابا فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصره حتى سأله أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك وفرض عليهم لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين

فجاء نفر من القبط يستأذنونهم إلى قراهم وأهليهم وقد كان نفر منهم تحدثوا قبل ذلك ورجل من لحم يسمعونهم فقال بعضهم لبعض ألا تعجبوا من هؤلاء القوم يعنون المسلمين يقدمون على جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس فجاءهم رجل منهم فقال إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم فأنكر عليه اللخمي قوله وأراد حمله إلى عمرو فرغب إليه أصحابه وغيرهم حتى خلصوه فلما استأذن أولئك نفر عمرا قال لهم كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نر إلا حسنا فقال ذلك الرجل لعمرو مثل مقاتله تلك إنكم لن تزالوا تظهرون على كل من لاقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب إليه أصحابه وأخبروه أنه لا يدري ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب عجب من قول ذلك القبطي وأرسل في طلبه فوجدوه قد هلك وفي حديث غيره قال عمرو بن العاص فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطي فلما حدثت انه انما قتله رجل نصراني قلت لم يعن هذا إنما عني من قتله المسلمون فلما قتل عثمان رضي الله عنه عرفت أن ما قال الرجل حق

قال ابن عبد الحكم وقد سمعت في فتح القصر وجها غير هذا ثم ذكر عن نفر سمي منهم قال وبعضهم يزيد على بعض في الحديث أن عمرو بن العاص حصرهم في القصر الذي يقال له باب اليون حينما قاتلهم قتالا شديدا يصحبهم ويمسيهم فلما أبطأ عليه الفتح كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام ألف الزبير ابن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة مكان مسلمة وقال عمر بن الخطاب اعلم أن معك اثني عشر ألفا ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة وذكر الليث عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر رحمه الله إنما أمد عمرا حين استمده بالزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وبخارجة بن حذافة

قال الليث بن سعد وبلغني عن كسرى أنه كان له رجال إذا بعث أحدهم في جيش وضع من عدة الجيش الذي كان سما ألفا مكانه وإذا احتاج إلى أحدهم وكان في جيش فجيئته زادهم ألف رجل فأنزلت الذي صنع عمر بن الخطاب حين أمد عمرا بالزبير والمقداد وخارجة نحو الذي صنع كسرى وقيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشفق على عمرو حين بعثه

فأرسل الزبير في أثره في اثني عشر ألفا فشهد معه الفتح وكان عمرو قدم من الشام في عدة قليلة وكانت الروم قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق أبوابا ورموا في أفنيئتها حسك الحديد فكان عمرو يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم فلما انتهى إلى الخندق نادوه أن قد رأينا ما قد صنعت وإنما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فبينما هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير فلما قدم المدد مع الزبير على عمرو بن العاص ألح على القصر ووضع عليه المنجنيق وقد كان عمرو دخل إلى صاحب القصر فتناظرا في شيء مما هم فيه فقال له عمرو أخرج وأستشير أصحابي فدرس صاحب الحصن الوصية إلى الذي على الباب إذا مر به عمرو أن يلقي عليه صخرة فيقتله فأشعر بذلك عمرا رجل من العرب وهو يريد الخروج فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له إني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العالج في نفسه قتل جماعة أحب إلي من قتل واحد فأرسل إلى الذي كان على الباب يأمره بالكف عن عمرو رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو ولم يعد وفي حصار المسلمين هذا الحصن كان عبادة بن الصامت يوما في ناحية يصلي وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه غير مكذب عنهم ولو راجعين وأتبعهم فجعلوا يلقون مناطهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ولا يلبث إليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يعرض لشيء مما كانوا طرحوا من متاعهم حتى أتى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه

ولما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما إلى جانب الحصن ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيئوه جميعا فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن

ينكسر ولما اقتحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحمه المسلمون فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين

على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك

وكان مكنتهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر فيما روي عن الليث

قال ابن عبد الحكم وقد سمعت في فتح القصر وجها آخر مخالفا للحديثين المتقدمين فالله أعلم

ثم أورد يأسناد يرفعه إلى جماعة من التابعين يزيد بعضهم على بعض أن المسلمين لما حاصروا باب البون وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهما شهرا فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهر عليهم فتحتى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودوهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل

وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الأعرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وهو رجل من الروم كان واليا على الحصن تحت يدي المقوقس وكانت سفنهم ملصقة بالحصن فلما خاف الأعرج فتح الحصن ركبها هو وأهل القوة والشرف ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة

قال أصحاب الحديث من التابعين فأرسل المقوقس إلى عمرو إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألحتم على قتالنا وطال مكثكم في أرضنا وإنما أنتم عصابة يسيرة وقد أظنتكم الروم معهم العدة والسلاح وأحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى في أيدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعده أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن تدموا إن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس بهذا حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه أترون أنهم يقتلون الرسل ويجسوفهم ويستحلون ذلك في دينهم وإنما أراد عمرو أن يروا حال المسلمين ثم رد عمرو إلى المقوقس رسله وقال لهم إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال إما دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا وإما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين

فلما جاءوا إلى المقوقس قال لهم كيف رأيتم قالوا رأينا قوما الموت أحب إلى أحلهم من الحياة والتواضع أحب إليه من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا همة وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضعهم ولا السيد فيهم من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم يغسلون بالماء أطرافهم ويخشعون في صلاتهم

فقال عند ذلك المقوقس والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيئوننا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم

فرد إليهم المقوقس رسله أن ابعثوا إلينا رسلا منكم نعاملهم وتنادى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وأمره عمرو أن يكون مكلم القوم وأن لا يجيهم إلى شيء يدعو إليه إلا إلى إحدى هذه الخصال الثلاث

وكان عبادة أسود طويلا يقول ابن عفير أدرك الإسلام من العرب عشرة طول كل رجل منهم عشرة أشبار أحلهم عبادة بن الصامت فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فها به المقوقس لسواده فقال نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا جميعا إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به وامرنا أن لا نخالفه قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون دونكم قالوا كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال له المقوقس تقدم يا أسود وكلمني برفق فيني أهاب سوادك وإن اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة

فتقدم إليه عبادة فقال قد سمعت مقاتلك وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم أشد سوادا مني وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي ولو استقبلوني جميعا وكذلك أصحابي وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلبا للاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا منه حلالا وما يبالي أحدنا آكان له قنطار من الذهب أم كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره وشملة يلتحفها فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى وأقصر على هذا الذي يتبلغ به ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء وإنما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستتر عورته وتكون همته وشغله في رضى ربه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس كلامه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندي من منظره وإن هذا وأصحابه أخرجهم الله خراب الأرض ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها ثم أقبل على عبادة فقال

أيها الرجل قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا بحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم يعرفون بالنجدة والشدة لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل وأنا لنعلم أنكم لن تقروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتلكم وقلة ما بأيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتم ألف دينار فتقبضوها وتنصرفوا إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قبل لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي يخوفنا ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالكم وأشد لحرصنا عليكم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك وإنما منكم حينئذ على إحدى الحسينيين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا وإنما لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

٢٤٩ البقرة) وما منا من رجل إلا وهو يدعوا ربه صباحا ومساء أن يرزقه الله الشهادة وألا يردده إلى بلاده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه في

أهله وولده وإنما همنا ما أماننا وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فيبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك بالباطل بذلك أمرني الأمير وبه أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله { صلى الله عليه وسلم } من قبل إلينا إما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فإن فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقينا وبقيتهم ونقاتل عنكم من ناوكم وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا الحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينكم غيره فانظروا لأنفسكم

فقال له المقوقس هذا ما لا يكون أبدا ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا

فقال له عبادة هو ذلك فاختر ما شئت

فقال له المقوقس أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث فرفع عبادة يديه فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض وربنا ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاخترنا لأنفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال قد فرغ القوم فماذا ترون فقالوا أو يرضى أحد بهذا الذل أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا

ما لا يكون أبدا أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه وأما ما أرادوا أن يسيبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا

فقال المقوقس لعبادة قد أتى القوم فما ترى فراجع أصحابك على أن نعطيكم في مرتكم هذه ما تمنيتم وتصرفوا فقام عبادة وأصحابه فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين

فقالوا وأي خصلة نجيبهم إليها

قال أنا أخبركم أما دخولكم في غير دينكم فلا أمركم به وأما قتالكم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة

قالوا فنكون لهم عبيدا أبدا

قال نعم إن تكونوا عبيدا منبسطين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذرائعكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم أو تكونوا عبيدا تباعون وتمزقون في البلاد مستعبدين أبدا أنتم وأهلكم وذرائعكم

قالوا فالموت أهون علينا وأمروا بقطع الجسر من القساط والجزيرة وبالقصر من القبط والروم جمع كثير

فأح المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى ظفروا وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسروا من أسر والحازات السفن كلها إلى الجزيرة وصار المسلمون قد أحرق بهم الماء من كل جهة لا يقدر على أن

يتقدموا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى والمقوقس يقول لأصحابه ألم أعلمكم هذا وأخفه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبن إلى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كرها فأطيعوني من قبل أن تدموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بها على صلح يكون بينهم يعرفونه

فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص أي لم أزل حريصا على إجابتك إلى خصلة من الخصال التي أرسلت إلي بها فأبي ذلك علي من حضرتي من الروم والقبط فلم يكن لي أن أفئات عليهم في أمواهم وقد عرفوا نصحي لهم وحي صلاحهم فرجعوا إلى قولي فأعطني أمانا أجتمع أنا وأنت أنا في نفر من أصحابي وأنت في نفر من أصحابك فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا جميعا وإن لم يتم رجعا إلى ما كنا عليه فاستشار عمرو أصحابه في ذلك فقالوا لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها لنا فينا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه

فقال عمرو قد علمتم ما عهد إلي أمير المؤمنين في عهده فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلي فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطالحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ووضعهم ومن بلغ الحلم منهم وليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم وأن لهم أرضهم وأمواهم لا يعرض لهم في شيء منها فشرط هذا كله على القبط خاصة

وأحصوا عدد القبط من بلغ منهم الجزية ومن فرض عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط أكثر من ستة آلاف ألف فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف دينار في كل سنة

وعن يحيى بن ميمون الحضرمي قال لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع ما فيها من رجال القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف

وفي الحديث المقدم الطويل أن المقوقس شرط للروم أن يخبروا فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام لازما له ذلك مفترضا عليه ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه

وكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بالأمر على وجهه فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول في كتابه

إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من عدد القبط ما لا يحصى فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم وبالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم أدلاء في حال القبط ألا قاتلتهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظفر عليهم فإنهم فيكم على قدر

كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكن لك رأي غير ذلك
وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم

فقال المقوقس لما أتاه كتابه والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا إن الرجل الواحد منهم
ليعدل مائة رجل منا وذلك أنهم قوم الموت أحب إليهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل يتمنى أن لا يرجع
إلى أهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون إنهم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم
رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف
نستقيم وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم أي والله لا أخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه
وأي لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولي ورأيي وتتمنون أن لو كنتم أطعموني وذلك أي قد عانيت ورأيت وعرفت
ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين
في السنة

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له إن الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب إلي وإلى جماعة الروم أن لا
نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقبتك عليه وإنما
سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على
نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتكم وأما الروم فأنا منهم بريء وأنا أطلب إليك
أن تعطيني ثلاث خصال

قال عمرو وما هن

قال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم وألزمي ما لزمهم فقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه وهم
متمون لك على ما تحب وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحتهم فلا تصالحتهم حتى تجعلهم فينا وعبيدا
فإنهم أهل لذلك لأني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني وأما الثالثة أطلب إليك أن إذا مت أن تأمرهم
يدفوني في أبي يحنس بالإسكندرية

فانعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه إلى ما طلب على أن يضموا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الأنزال والضيافة
والأسواق والجسور ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية ففعلوا

ويقال إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الإسكندرية وبعد أن حصر أهلها ثلاثة أشهر
وألح عليهم وخافوه فسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأي الملك وعلى أن يسير
من الروم من أراد المسير ويقر من أراد الإقامة فأنكر ذلك هرقل لما بلغه أشد الإنكار وتسخط أشد التسخط وبعث
الجيش فأغلقوا الإسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب فخرج إليه المقوقس فقال سألك ثلاثا وذكر نحو ما
تقدم وزاد أن عمرا قال له في الثالثة التي هي أن يدفن في أبي يحنس هذه أهوئنا علينا

ثم رجع إلى الحديث الأول قال فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء
القبط قد أصلحوا لهم الطريق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال
الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم
كثير بالعدة والسلاح فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجها نحو الإسكندرية فلم يلق منهم أحدا حتى
بلغ ترنوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم

بكم شريك فاقتلوا به ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين وولي الروم أكتافهم
ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في آثارهم فأدركهم
عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فقاتلهم شريك فهزمهم

ويقال بل لقيهم فأجأوه إلى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك أمر أبا ناعمة الصديقي وهو
صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى فأخط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه
حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو نحوه وسمعت به الروم فانصرفت وبهذا الفرس سميت خوخة الأشقر التي بمصر
وذلك أنه نفق فدفنه صاحبه هناك فسمي المكان به

قال ثم التقوا بسلطيس فاقتلوا بها قتالا شديدا فهزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتلوا بها بضعة عشر يوما
وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو على
المقدمة جراحات كثيرة فقال يا وردان لو تهقرت قليلا لنصيب الروح فقال وردان الروح أملك وليس هو
خلفك فتقدم عبد الله وجاء رسول أبيه يسأله عن جراحه فأنشأ يقول

أقول إذا ما النفس جاشت ألا أصبري
عليك قليلا أن تحمدي أو تلامي

الطويل

فرجع الرسول فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا

وصلى يومئذ عمرو صلاة الخوف فحدث شيخ صلاها معه بالإسكندرية أنه صلى بكل طائفة ركعة وسجدتين
قال ثم فتح الله على المسلمين وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة وأتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية فحاصروا بها وكانت
عليهم حصون لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلك ومعهم
رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية في المراكب
بمادة الروم

ويروى أن عمرا أقام بحلوة شهرين ثم تحول إلى القس فخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة حيث كانت مستترة
بالحصن فواقوه فقتل من المسلمين يومئذ بكنيسة الذهب اثنا عشر رجلا ولم يكن للروم كنائس أعظم من كنائس
الإسكندرية وإنما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالإسكندرية فكان ملك الروم يعظم ظهور العرب
عليها ويقول لمن غلبوا على الإسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها وتجهز للخروج إليها ليباشر قتلها بنفسه
إعظاما لها وأمر أن لا يتخلف عنه أحد من الروم وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية فلما فرغ من جهازه صرعه
الله فأماته وكفى المسلمين مؤنته وكان موته في سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين فكسر الله بموته شوكة الروم

ورجع جمع كبير ممن كان قد توجه إلى الإسكندرية واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على أهل
الإسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصنها فحملوا على الناس وقتلوا رجلا من
مهرة فاحتزوا رأسه وانطلقوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لا ندفنه أبدا إلا برأسه فقال عمرو بن العاص
تغضبون كأنكم تغضبون على من يبالي بغضبكم حملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا رجلا منهم وارموا برأسه
يرموا برأس صاحبكم فخرجت الروم عليهم فاقتلوا فقتل رجل من بطارقة الروم فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم
فرمت الروم برأس المهري إليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم وكان عمرو بن العاص يقول ثلاث قبائل في

مصر أما مهرة فقوم يقتلون

ولا يقتلون وأما غافق فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأفضلها فارسا

وقاتل عمرو بن العاص الروم بالإسكندرية يوما من الأيام قتالا شديدا فلما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه وأهوى إليه بسيفه ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه وكان مسلمة لا يقام بسبيله ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على المسلمين وغضب عمرو بن العاص فقال وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن ما بال الرجل المسبه الذي يشبه النساء يتعرض فيداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر فيهم عمرو بن العاص ومسلمة بن مخلد أغلق الروم عليهم باب الحصن وحاولوا بينهم وبين أصحابهم ولا يدرون من هم فلما رأى ذلك عمرو وأصحابه لجأوا إلى ديماس من حماة فتم فتحروا به فأمرت الروم روميا فكلهمم بالعربية فقال لهم إنكم قد صرتم بأيدينا أساري فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا ثم قال لهم إن في أيدي أصحابكم منا رجلا أسروهم ونحن نعطيكم العهود أن نفاذي بكم أصحابنا ولا نقتلكم فأبوا عليهم فلما رأى الرومي ذلك منهم قال لهم هل لكم إلى خصلة وهي نصف فيما بيننا وبينكم أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على ان يبرز منكم رجل ومنا رجل فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمکنتمونا من أنفسكم وإن غلب صاحبكم صاحبنا خيلنا سييلكم إلى أصحابكم فرفضوا بذلك وتعاهدوا عليه فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا لعمرو وأصحابه وهم في الديماس ليبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال يا هذا تحطىء مرتين تشذ من أصحابك وأنت أميرهم وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما

أمرك ثم لا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله قال عمرو دونك فرجها الله بك فبرز مسلمة والرومي فتجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة وأصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا تدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم ذلك فأسفوا وأكلوا أيديهم تغيطا على ما فاتهم فلما خرجوا استحيي عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب وسأله أن يستغفر له ففعل مسلمة وقال عمرو والله ما أفحشت قط إلا ثلاث مرات مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منها مرة إلا وقد ندمت واستحييت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك والله إني لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت

قال ابن هبة وأخبرني بعض أشياخنا أن عبد العزيز بن مروان لما قدم الإسكندرية سنة ثمانين سأل هل بقي بالإسكندرية أحد ممن أدرك فتحها فأتوه بشيخ من الروم من أكابر أهل الإسكندرية يومئذ فأعلموه أنه أدرك فتحها وهو رجل فسأله عن أعجب ما رأى يومئذ من المسلمين فقال أخبرك أيها الأمير أنه كان لي صديق من أبناء بطارقة الروم يومئذ منقطع إلي وأنه أتاني فسألني أن أركب معه حتى ننظر إلى المسلمين وإلى حالهم وهيئتهم وهم إذ ذاك محاصرون الإسكندرية فخرجت معه وهو على بردون له كثير اللحم وأنا على بردون خفيف فلما خرجنا من الحصن الثالث وقفنا على كوم مشرف ننظر إلى العرب وإذا هم في خيام لهم وعلى باب كل خيمة فرس واقف ورمح مركز ورأينا قوما ضعفاء فعجبنا من ضعفهم وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا فبينما نحن وقوف ننظر

إليهم ونعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام فلما نظر إلينا اختلع رحمه ووثب على ظهر فرسه ثم أقبل نحونا فقلت لصاحبي والله إنه ليريدنا فلما رأيناه مقبلاً إلينا لا يريد غيرنا ولينا

هارين فما كان بأوشك من أن أدرك صاحبي فطعنه بالرمح فصرعه ثم تركه صريعاً وأقبل في إثري وأنا خائف أن لا أفلت منه حتى دخلت الحصن الأول فنجوت منه ثم سعدت الحصن لأبصر ما يفعل فرجع وهو يتكلم بكلام يرفع به صوته فظننت أنه يقرأ ثم مضى حتى اعترض بردون صاحبي فأخذه ورجع إلى صاحبي وهو صريع فأخذ سيفه وترك سلبه فلم يأخذه فمأونا به وكانت ثيابه ديباجا كلها فلم يأخذها ولم ينزعها عنه فقال عبد العزيز بن مروان للشيخ الرومي صف لي ذلك الرجل وشبهه ببعض من عندي فأشار إلى رجل مخفف كوسج فقال هو يشبه هذا قال عبد العزيز نخبرك أنه يمان

وأقام عمرو ويحاصر الإسكندرية أشهراً فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه ذلك ما أبطأوا بفتحها إلا لما أحدثوا

وقال أسلم مولى عمر لما أبطأ على عمر فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر أنكم تقاتلونها منذ سنين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله تبارك وتعالى لا يبصر قوماً إلا بصدق نيقتهم وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت اعرف إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فإذا أتاك كتابي هذا فاحطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورجبهم في الصبر والنية وقدم أولئك النفر الأربعة في صدور الناس ومر الناس جميعاً أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليضح الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم

فلما أتى عمراً الكتاب جمع الناس وقرأه عليهم ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم

ويقال إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد فقال له أشتر علي في قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكه قال عمرو ومن ذلك قال عبادة بن الصامت فدعا عمرو عبادة فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزم عليك أن لا تنزل ناولني سنام رحك فناوله إياه فترع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه القتال فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومه ذلك

ويروى عمرو بن العاص قال وقد أبطأ عليه الفتح فاستلقى على ظهره ثم جلس فقال إني فكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله الإسكندرية على يديه من يومه ذلك

وقال جنادة بن أبي أمية دعاني عبادة بن الصامت يوم الإسكندرية وكان على قناتها فأغار العدو على طائفة من الناس ولم يأذن بقتالهم فبعثني أحجز بينهم فأتيتهم فحجزت بينهم ثم رجعت إليه فقال أقتل أحد من الناس قلت لا

قال الحمد لله الذي لم يقتل أحد منهم عاصيا
قالوا وكان فتح الإسكندرية يوم الجمعة مستهل شهر المحرم من سنة عشرين
ولما هزم الله الروم وفتحت الإسكندرية وهرب الروم في البحر والبر خلف عمرو بن العاص بالإسكندرية من
أصحابه ألف رجل ومضى في طلب من
هرب في البر من الروم فرجع من كان هرب منهم في البحر إلى الإسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من
هرب

وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها وأقام بها وكتب إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن الله قد فتح
علينا الإسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد فكتب إليه عمر يقبح رأيه ويأمره ألا يجاوزها وقال ابن لهيعة وهذا هو
فتح الإسكندرية الثاني وكان سبب فتحها أن يوبا يقول له ابن بسامة سألت عمرا الأمان على نفسه وأرضه وأهل
بيته ويفتح له الباب فأجابهم عمرو إلى ذلك وفتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو من ناحية قنطرة سليمان وكان
مدخله الأول من الباب الذي من ناحية كنيسة الذهب

وقد روى ابن لهيعة أيضا عن يزيد بن أبي حبيب أن فتحها الأول كان سنة احدى وعشرين ثم انقضوا سنة خمس
وعشرين

وجاءت الروم عليهم منويل الخصي بعنه هرقل في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية فأجابهم من بها من الروم فخرج
إليهم عمرو بن العاص في البر والبحر فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم الله وقتل منويل ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت
ويقال إن هذا انتقاض ثان للإسكندرية بعد انتقاضها الذي ذكره ابن لهيعة أولا وكان ذلك في زمان عمر وهذا
الذي ذكر يزيد بن أبي حبيب في خلافة عثمان رضي الله عنهما وسيأتي ذكره في موضعه مستوفى إن شاء الله
وقيل إن جميع من قتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلا
وبعث عمرو بن العاص معاوية بن حديج وافدا إلى عمر بن الخطاب يبشره بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي
فقال له عمرو ما أصنع بالكتاب ألسنت رجلا عريا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرته
فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله

ويروى عن معاوية بن حديج انه قال قدمت المدينة في الظهرية فألحقت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد فينا
أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأتني شاحبا علي ثياب السفر فأتتني فقالت من أنت
فقلت أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم أقبلت تشتد فقالت ثم قم فأجب أمير المؤمنين
فتبعتها فلما دخلت إذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه فقال ما عندك فقلت خير يأمر أمير المؤمنين فتح الله الإسكندرية
فخرج معي إلى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فأخبر أصحابك
فقمت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز
وزيت فقال كل فأكلت على حياء ثم قال كل فإن المسافر يجب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك فأصبت على
حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأتت بتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين
أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية ولئن
نمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أما بعد فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف منيه بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر وعن غيره انه كان فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماسا أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس منها يسع جماعة نفر

قال وترحل من الإسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص أو الليلة التي خافوا دخوله سبعون ألف يهودي وكان عدة من بالإسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار يحمل فيها ثلاثون ألفا بما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقي من بقي ممن يؤدي الخراج فأحصوا يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان واختلف الناس على عمرو في قسمهم وكان أكثرهم يريدون القسم فقال عمرو لا أقدر على ذلك حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إليه في ذلك فكتب إليه عمر رضي الله عنه لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فينا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم

فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه على دينارين غير أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الإسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لأن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة ويقال إن مصر كلها فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد

قال سفيان بن وهب الخولاني لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال أقسمها يا عمرو فقال لا أقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خير فقال عمرو والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إليه فأجابته أقرها حتى يغدو منها جبل الحيلة وفي حديث آخر أن الزبير صولح على شيء أرضى به وحدث أبو قنن عن أبيه انه سمع عمرو بن العاص يقول يعني بمصر لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبض مصر علي عهد ولا عقد إن شئت قتلت وإن شئت حبست وإن شئت بعث ويروى عن ربيعة نحو ما تقدم من فتح مصر بغير عهد وأن عمر بن الخطاب حبس درها وصرها أن يخرج منه شيء نظيرا للإسلام وأهله

وقال زيد بن أسلم كان لممر بن الخطاب رضي الله عنه تابوت فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهدته فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد

ويروى أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط إن من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته فذكر لعمرو أن قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس عنده كنز فأرسل إليه فسأله فأنكر فحبسه عمرو وسأل هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا سمعناه يسأل عن راهب بالطور فأخذ خاتم بطرس وكتب على لسانه بالرومية إلى ذلك الراهب أن ابعث إلي بما عندك وختم بخاتمه فجاء الرسول من عند الراهب بقلعة شامية مختومة بالرصاص فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها يا بني إن أردتم مالكم فافتحوا تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء وقلع

البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهباً مضروبة فضرب عمرو رأس القبطي عند باب المسجد فأخرج القبط كنوزهم خشية أن يقتلوا وروى يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي كان يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب إليهم بذلك فاستخرج منه بضعة وخمسين أردبا دنائير وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعل عمر بن الخطاب جميعها ذمة وحملهم على ذلك فجرى ذلك فيهم إلى اليوم

وفي كتاب سيف عمن سمي من أشياخه في فتح مصر مساق آخر غير ما تقدم وذلك أن عمرو بن العاص خرج إلى مصر بعلما رجع عمر إلى المدينة يعني رجوعه من الشام فأنهى عمرو إلى باب مصر واتبعه الزبير فاجتمعوا فلقبهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف في أهل النيات بعثهم المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم عمرو لا تعجلونا لنعذر إليكم وتروا رأيكم بعد فكفوا أصحابهم فأرسل إليهم عمرو إني بارز فليبرز لي أبو مريم وأبو مريم فأجابوه إلى ذلك وآمن بعضهم بعضاً فقال لهما عمرو أنتما راهبا أهل هذه البلدة فاسمعا إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به وأمرنا به محمد وأدى إلينا كل الذي أمر به ثم مضى {صلى الله عليه وسلم} وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به الإغذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه قبلنا منه وكان مثلنا ومن لم يجنا إليه عرضنا عليه الجزية وبدلنا له المنعة وقد أعلمنا أنا مفتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمتنا فيكم وإن لكم إن أجبتونا إلى ذلك ذمة إلى ذمة ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أوصى بالقبطيين خيراً لأن لهم رحماً وذمة يعني بالرحم أن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم فقالا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء واتباع الأنبياء وذكرنا أن هاجر معروفة عندهم شريفة

قالا كانت ابنة ملكنا وكان من أهل منف والملك فيهم فأذيل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحبا بكم وأهلاً أمناً حتى نرجع إليك فقال عمرو إن مثلي لا يخدع ولكنني أأجلكما ثلاثاً ولنناظرا قومكما وإلا ناجرناكم

قالا زدنا فزادهم يوماً فقالا زدنا فزادهم يوماً فرجعوا إلى المقوقس فهم يعني بالإجابة إلى الجزية فأبى أربطون أن يجيبهما وأمر بمناهلهم فقالا لأهل مصر أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم لا نرجع إليهم وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان فلم يفجأ عمرا والزبير إلا البيات من فرقب وعمرو والزبير بعين شمس وبما جمعهم وبعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح فنزل عليها وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية فنزل عليها فقال كل واحد منهما لأهل مدينته إن شئتم أن تنزلوا فلكم الأمان فقالوا نعم فراسلوهم وتربصوا بهم أهل عين شمس وسبي المسلمون من بين ذلك

وقال عوف بن مالك ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية فقالوا إن الإسكندر قال إني أبني مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية فبقيت بمجتها وقال أبرهة لأهل الفرما ما أحلق مدينتكم يا أهل الفرما قالوا إن الفرما قال إني أبني مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة فذهبت بمجتها

قال الكلبي كان الإسكندر والفرما أخوين ثم حدث بمثل ذلك قال فنسبتا إليهما فالفرما يتهدم كل يوم فيها شيء وأخلقت مرآتها وقيت جدة الإسكندرية

قالوا ولما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب ونزل معه الزبير عليها قال أهل مصر لملكهم ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرضنا لهم وذلك في اليوم الرابع فأبى وناهدهم فقاتلوهم وارتنى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فاعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما اخنوا عنوة مجرى ما صالحوا عليه فصاروا ذمة وكان صلحهم

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبحرهم وبرهم لا يدخل عليهم في شيء من ذلك ولا ينتقض ولا يساكنهم النوب

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة فخرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جني لصوصهم فإن أبي أحد أن يجيب رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبي فاختار النهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث يريد من السنة جباية ثلث ما عليهم لهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله {صلى الله عليه وسلم} وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين وذمة المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا معونة على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنا عمرو وكتب وردان وحضر فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح فمصر عمرو والفسطاط ونزله المسلمون وظهر أبو مريم وأبو مريم فكلموا عمرا في السبايا التي أصيبت بعد المعركة فقال عمرو أولهم عهد وعقد ألم تحالفكما ويغير علينا من يومكما فطردهما فرجعا وهما يقولان كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم ففي ذمة فقال لهما عمرو يغيرون علينا وهم في ذمة قالوا نعم وقسم عمرو ذلك السبي على الناس وتوزعوه ووقع في بلاد العرب وقدم البشير إلى عمر بعد بالأخماس وقدم الوفود فسألهم عمر فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه فقال عمر ألا أراهما يبصران وأنتم تجاهلون ولا تبصرون من قاتلكم فلا أمان له ومن لم يقاتلكم وأصابه منكم سبي من أهل القرى في الأيام الخمسة فله الأمان وكتب بذلك إلى عمرو بن العاص فجعل يجاء بهم من اليمن ومكة حتى ردوا

وعن عمرو بن شعيب قال لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس واقتتلت خيلاهما جعل المسلمون يجولون بعد الجعد فزمرهم عمرو فقال رجل من أهل اليمن إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد فأسكتته عمرو ثم لما تمادى ذلك نادى عمرو أين أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحضر من شهدها منهم فقال تقدموا فيكم ينصر المسلمون فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برزة وناهلهم الناس يتبعون الصحابة ففتح الله على المسلمين وظفروا أحسن الظفر وافتتحت مصر وقام فيها ملك الإسلام على رجل وجعل يفيض على الأمم والملوك

وعن محمد بن إسحاق عن رجل من أهل مصر اسمه القاسم بن قزمان أن زياد بن جزء الزبيدي حدثه وكان في جند

عمرو بن العاص قال افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر فلما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية قرية حتى انتهينا إلى بلهيت وقد بلغت سبائنا مكة والمدينة واليمن فلما انتهينا إلى بلهيت أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو ابن العاص إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم يا معشر العرب لفارس والروم فإن أحبيت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبائنا أرضي فعلت فبعث إليه عمرو إن ورائي أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي فإن قبل ذلك منك قبلت وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره قال فقال نعم فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية قال وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به ثم وقفنا ببلهيب وفي أيدينا بقايا من سبيهم وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءه وقرأه علينا عمرو وفيه

أما بعد فإنه جاء في كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض عليك ان يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصبت من سبائنا أرضه ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم ثم كأنه لم يكن فاعرض علي صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل ذمته فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب وبلغ مكة والمدينة واليمن فإننا لا نقدر على ردهم ولا نحب أن نصالحه على أمر لانفي له به

قال فبعث عمرو بن العاص إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين فقال قد فعلت فجمعنا ما في أيدينا من السبائا واجتمعت النصارى فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخبره بين الإسلام وبين النصرانية فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرتنا حين تقفتم القرية ثم نجوزه إلينا وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى وحازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية وجزعنا من ذلك جزعا شديدا حتى كأنه رجل خرج منا إليهم فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم

وفيمن أتينا به أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن قال القاسم وقد أدركته وهو عريف بني زيد قال ابن جزء الزبيدي فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية وأبوه وأمه وأخوته في النصارى فاختر الإسلام فحزناه إلينا ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا عليه حتى شققوا ثيابه ثم هو اليوم عريفنا كما ترى

ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها فمن زعم غير ذلك أن الإسكندرية وما حولها من القرى لم تكن لها جزية ولا لأهلها عهد فقد كذب

قال القاسم إنما أهاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أنها دخلت عنوة وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ما شئنا وقد تقدم بعض ما وقع في هذا المعنى من الاختلاف

وكذلك اختلفوا في وقت فتح مصر فذكر ابن إسحاق أنها فتحت سنة عشرين وكذلك قال أبو معشر والواقدي وقد روى عن أبي معشر أن الإسكندرية فتحت سنة خمس وعشرين ولعل ذلك فتحها الأخير إذ قد تقدم ذكر انتقاضها مرتين

وأما سيف فرعم أن مصر والإسكندرية فتحتا في سنة ست عشرة قال ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رحمه الله مسالخ مصر على السواحل وغيرها وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في

وقال سعيد بن عفير وغيره لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل إلى القرى التي حول القسطنطينية وأقامت الفيوم سنة لم يعلم للمسلمون مكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدي فلما سلخوا في المجابة لم يروا شيئا فهموا بالإنصراف فقالوا لا تعجلوا سيروا فإن كان كذبا فما أقدركم على ما أردتم فلم يسيروا إلا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدي وهو صاحب الأشقر يفيض المجابة على فرسه ولا علم له بما خلفها من الفيوم فهجم على الفيوم فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره وقيل غير ذلك في وجه الإنتهاء إلى الفيوم مما لا كبير فائدة في ذكره والله تعالى اعلم وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم بسكنائها وقال مساكن قد كفيها بناءها فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم إذا جرى النيل فكتب إلى عمرو إنني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بيني وبينهم لا في شتاء ولا في صيف فتحول عمرو من الإسكندرية إلى القسطنطينية وإن ناسا من المسلمين حين

افتتحوا مصر مع عمرو بن العاص اختطوا بالجيزة وسكنوا بها فكتب عمرو بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر يقول ما كنت أحب أن ينزلوا منزلا يكون الماء دونهم فإذا فعلوا فابن عليهم حصنا فبني الحصن الذي خلف الجسرين وبني عمرو بن العاص المسجد وكان ما حوله حدائق وأعنابا فنصوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة وضعها هو ومن حضر معه من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واتخذ فيه منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب أما بعد فإنه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أو ما بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لما كسرتة ولما اختط الناس المنازل بالقسطنطينية كتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع فكتب إليه عمر

أني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين وذكر الطبري أن القبط حضروا باب عمرو فبلغه أنهم يقولون ما أرت العرب وأهون أنفسهم وما رأينا مثلنا دان لهم فخاف أن يستثيرهم ذلك فأمر بجزر فنحرت فبطحت في الماء والملح وأمر أمراء الأجناد أن يحضرواهم وأصحابهم وجلس وأذن لأهل مصر وجميء بالحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلا عربيا انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعا وجرأة وتقدم إلى أمراء الأجناد في الحضور بأصحابهم من الغد وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا غير ما رأوا بالأمس وقام عليهم القوم بألوان مصر فأكلوا أهل مصر ونحوا نحوهم

فافترقوا وقد ارتابوا وبعث إليهم أن يتسلحوا غدا للعرض وغدا على العرض وأذن لأهل مصر فعرضهم عليهم ثم قال اني قد علمت أنكم أريتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت أن تملكوا فأحبيت أن أريكم حالهم كيف كانت في أرضهم ثم حالهم في أرضكم ثم حالهم في الحرب فظفروا بكم وذلك

عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع إلى عيش اليوم الأول فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم وبلغ عمر رحمه الله ذلك فقال جلسائه يعني عمرا والله إن حربته للينة ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره إن عمرا لعض ثم أمره عليها وأقام بها

وذكر ابن عبد الحكم أن عمر رضي الله عنه كتب أن يحتتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف عرضا ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين في لبوسهم

قال ثم إن عمر بن الخطاب أمر أمراء الأجناد أن يتقدموا إلى الرعية بان عطاءهم قائم وأرزاق عيالهم جارية فلا يزرعون يعني الأجناد ولا يزارعون

فأتى شريك بن سمي الغطيفي إلى عمرو بن العاص فقال إنكم لا تعطوننا ما يحسبنا أفئذن لي بالزرع فقال له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك بغير إذنه فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب فأمره أن يبعث إليه

شريكا فأقرأ عمرو شريكا الكتاب فقال له شريك قتلتني يا عمرو قال ما أنا قتلتك قال أنت صنعت هذا بنفسك قال فإذا كان هذا من رأيك فأذن لي في الخروج إليه من غير كتاب ولك علي عهد الله أن أجعل يدي في يده فأذن له فلما وقف على عمر قال تؤمنني يا أمير المؤمنين قال ومن أي الأجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمي الغطيفي قال نعم يا أمير المؤمنين قال لأجعلنك نكالا لمن خلفك قال أو تقبل مني ما قبل الله من العباد قال وتفعل قال نعم فكتب إلى عمرو بن العاص إن شريك بن سمي جاءني تائبا فقبلت منه

وعن الليث بن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب في ذلك أمير المؤمنين فأجابه عمر عن كتابه إليه في ذلك سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا ترزع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله عمرو فقال إنا لنجد صفتها في الكتب إن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر فأجابه إنا لانعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فأقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان أول من دفن فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقبيل عمرت

قالوا ولما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين فرض عمرو بن العاص لرباط الإسكندرية ربع الناس يقيمون ستة أشهر ثم يعقب بعلمهم ربعا آخر ستة أشهر وربعاً في السواحل والنصف الثاني مقيمون معه

وقيل كان عمر بن الخطاب يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية وكانت الولاة لا تغفلها ويكتفون رابطنها ولا يأمنون الروم عليها

وكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو خليفة إلى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح بعد أن استعمله على مصر قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية وقد نقضت مرتين فألزم الإسكندرية رابطنها واجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر

وكان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة وقال نيل مصر سيد الأئمار سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب فإذا أراد الله أن يجريه أمر الأئمار فأمدته بمائها وفجر له الأرض عيوننا فإذا انتهت جريته إلى ما أراد سبحانه أوحى إلى كل ماء ان يرجع إلى عنصره

ولما فتح عمرو مصر أتاه أهلها حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير إن لنا هذا سنة لا يجري إلا

بها فقال وما ذاك قالوا إنه إذا كان لا تنفي عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عهدنا إلى جارية بكر بين أبيها فأرضينا أبيها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النهر فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا ذلك الشهر والشهرين اللذين بعده لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب به إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر رضي الله عنه قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في داخل النيل فلما قدم الكتاب على عمرو وفتح البطاقة فإذا فيها من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تقيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله عز وجل ستة عشر ذراعا في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر

ذكر فتح أنطابلس

قال ابن عبد الحكم كان البربر بفلسطين يعني زمان داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين إلى الغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا يناهما النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زناته ومغيلة إلى الغرب وسكنوا الجبال وتقدمت لواته فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة وتفرقت في هذا الغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلا من كان فيها من الروم من أجل ذلك وأقام الأفارق وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم وهم بنو أفارق بن قيصر بن حام

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج وإنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها ووجه عمرو بن العاص عقبه بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبري فافتتحها بصلح وسار ما بين برقة وزويلة سلما للمسلمين وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لأهل أنطابلس عهد يوفي لهم به

ذكر فتح أنطابلس

قال ابن عبد الحكم كان البربر بفلسطين يعني زمان داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين إلى الغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا يناهما النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زناته ومغيلة إلى الغرب وسكنوا الجبال وتقدمت لواته فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة وتفرقت في هذا الغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة وجلا من كان فيها من الروم من أجل ذلك وأقام الأفارق وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم وهم بنو أفارق بن قيصر بن حام

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أبنائهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج وإنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها

ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبري فافتتحها بصلح وسار ما بين برقة وزويلة سلما للمسلمين وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لأهل أنطا بلس عهد يوفي لهم به

فتح أطرابلس

قال ابن عبد الحكم ثم سار عمرو حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين فنزل القبة التي على الشرف من شرقها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من بني مدج ذات يوم من عسكر عمرو متصيذا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فاخذوا على ضفة البحر وكان البحر لا صقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا إليها من الموضع الذي حسر عنه البحر فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم وأبصر عمرو وأصحابه السلامة في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة

وكان من بصيرة متحصنين وهي المدينة العظمى وسوقها السوق القديم فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابلس وانه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم أمنوا فلما ظفر عمرو بمدينة أطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة صبرة وهم غافلون وقد فتحو أبوابها لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا إلى عمرو

قال ثم أراد عمرو أن يوجه إلى المغرب فكتب إلى عمر بن الخطاب إن الله عز وجل قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين أفريقيا إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن تغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب إليه عمر

لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت قال وأتى عمرو بن العاص كتاب المقوقس يذكر له أن الروم يريدون نكث العهد ونقض ما كان بينهم وبينه وكان عمرو قد عاهد المقوقس على أن لا يكتمه أمرا يحدث فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاه قال وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون يعني من أطراف إفريقية

ذكر انتفاض الإسكندرية في خلافة عثمان رضي الله عنه

قال عبد الرحمن بن عبد الحكم وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولى عبد الله بن سعد وقد كانت الإسكندرية انقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصي في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية فأجابه من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث فلما نزلت الروم بالإسكندرية سأل أهل مصر عثمان رضي الله عنه أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فإن له معرفة في الحرب وهيبة في العدو ففعل

فخرج إليهم عمرو في البر والبحر وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط فأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجه بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل أن يكثرو مددهم ولا آمن أن تنتقض مصر كلها قال عمرو لا ولكن دعهم حتى يسيروا إلي فإنهم يصيبون من مروا به فيجزي الله بعضهم ببعض فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم والقبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا حتى أصاب النشاب يومئذ فرس عمرو في لبتة وهو في البر فعقر فنزل عنه ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمين عنهم شيئا وحملوا حملة ولى

المسلمون منها وانهمز شريك بن سمي في خيله

وكانت الروم قد جعلت صفوفها خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زبيد يقال له حومل ويكنى أبا مذحج فاقتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف وألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة وجعل عمرو يصيح أبا مذحج فيجيبه لييك والناس على شاطيء النيل في البر على تعبثهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيفين ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا ويحترط حومل خنجرا كان في منطقتة أو في ذراعاه فيضرب به نحر العليج أو ترقوته فأثبتته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمة الله عليه فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم

قال ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم وطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ففتح الله عليه وقتل منويل الخصي

قال الهيثم بن زياد وقتلهم عمرو بن العاص حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع مسجد وهو الذي يقال له بالإسكندرية مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هنالك وكان عمرو حلف لئن أظفروه الله عليهم ليهدم من سورها حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فلما أظفروه الله هدم سورها كله

وجمع عمرو ما أصاب منهم فجاءه من أهل تلك القرى من لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا ومر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه

اليئنة

وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا وكان لنا عليك أن تقاتل عنا لأننا في ذمتك ولم نقض فأما من نقض فأبعده الله فندم عمرو وقال

ياليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية

وكان سبب نقض الإسكندرية فيما ذكر ابن عبد الحكم أن صاحب اخناء قدم على عمرو بن العاص فقال أخبرنا ما علينا من الجزية فنصبر لها فقال له عمرو وهو يشير إلى ركن كنيسة لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك إنما أنتم خزاة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخناء فخرج إلى الروم فقدم بهم فهزمهم الله وأسر ذلك النبطي فأتى به إلى عمرو فقال له الناس أقتله فقال لا بل انطلق فجتنا بجيش آخر وقيل إنه لما أتى به سوره وتوجه وكساه برنسين أرجوان وقال له ايتنا بمثل هؤلاء فرضي بأداء الجزية

فقبل له لو أتيت ملك الروم فقال لو أتيت لقتلني وقال قتلت أصحابي

وذكر ابن عبد الحكم أيضا أن الروم مشيت إلى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلاثين فقالوا تترك الإسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم وما تقدرون أن تتماسكوا ساعة إذا لقيتم العرب قالوا فاخرج على أن نموت فنباعوا على ذلك وخرج في ألف مركب يريد الإسكندرية فبعث الله عليهم ريحا عاتية فأغرقتهم إلا قسطنطين نجا بمركبه فألقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شأمت النصرانية وأفنيت رجالها فلو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم ثم صنعوا له الحمام ودخلوا عليه ليقتلوه فقال ويلكم تذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب

ذكر غزو أفريقية وفتحها

قال ابن عبد الحكم ولما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في إمرة عمرو بن العاص فيصيبون من أطراف أفريقية ويغنمون فكتب عبد الله بن سعد في ذلك إلى عثمان وأخبره بقرعها من حوز المسلمين واستأذنه في غزوها فندب عثمان الناس إلى ذلك بعد المشورة فيه فلما اجتمع الناس أمر عليهم الحارث بن الحكم إلى أن يقدموا مصر على عبد الله بن سعد فيكون إليه الأمر فخرج عبد الله إليها وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل استخلفه فخلعه وكان سلطانه ما بين اطرابلس إلى طنجة ومستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة فلقي عبد الله جرجير فقاتله فقتله الله وولي قتله عبد الله بن الزبير فيما يزعمون وهرب جيش جرجير فبعث عبد الله السرايا وفرقها فأصابوا غنائم كثيرة فلما رأى ذلك رؤساء أهل أفريقية سألوه أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم فقبل منهم ذلك ورجع إلى مصر ولم يول على أفريقية أحدا ولا اتخذ بها قبر وانا

ويروى أن جرجيرا لما نازله المسلمون القتال أبرز ابنته وكانت من أجمل النساء فقال من يقتل عبد الله بن سعد وله نصف ملكي وأزوجه ابنتي فبلغ ذلك عبد الله فقال أنا أصدق من العليج وأوفي بالعهد من يقتل جرجيرا فله ابنته فقتله عبد الله بن الزبير فدفع إليه عبد الله ابنته وذكر ابن عبد الحكم عن أبيه وابن عفير أن ابنة جرجير صارت لرجل من الأنصار في سهمه فأقبل بها منصورا قد حملها على بعير له فجعل يرتجز

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك

إن عليك بالحجاز ربك

لتحملن من قباء قربتك

الرجز

فقال ما تقول وسبته فأخبرت بذلك فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فاندقت عنقها فماتت فالله أعلم أي ذلك كان

وكانت غنائم المسلمين يومئذ أنه بلغ سهم الفارس بعد إخراج الخمس ثلاثة آلاف دينار للفرس ألفا دينار ولفارسه ألف دينار وللراجل ألف وقسم لرجل من الجيش توفي بذات الحمام فدفع إلى أهله بعد موته ألف دينار

وكان جيش عبد الله بن سعد ذلك الذي وقع له القسمة عشرين ألفا

وبعث عبد الله بالفتح إلى عثمان رضي الله عنه عقبه بن نافع ويقال بل عبد الله بن الزبير وهو أصح

وسار زعموا عبد الله بن الزبير على راحلته من أفریقیة إلى المدينة عشرين ليلة ولما دخل على عثمان أخبره بلقاتهم العدو وبما كان في تلك الغزوة فاعجب عثمان فقال له هل تستطيع أن تخبر الناس بهذا قال نعم فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ثم قال اقصص عليهم ما أخبرتني به فتلكأ عبد الله بدأ ثم تكلم بكلام أعجبهم ويروى عن ابن شهاب أن عثمان لما قال لابن الزبير أتكلم الناس بهذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أهيب لك مني لهم فأمر عثمان فجمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وكان أكره شيء إليه الخطب وأحب الأشياء إليه ما كفي ثم قال أيها الناس إن الله قد فتح عليكم أفریقیة وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم بخبرها إن شاء الله ثم جلس على المنبر

وقام ابن الزبير إلى جانب المنبر وكان أول من قام إلى جانبه فقال الحمد لله الذي ألف بيننا بعد الفرقة وجعلنا متحابين بعد البغضة والحمد لله الذي لا تجحد نعمائوه ولا يزول ملكه له الحمد كما حمد نفسه وكما هو أهله ابتعث محمدا {صلى الله عليه وسلم} فاختاره بعلمه واتمنه على وحيه فاختار له من الناس أعوانا قذف في قلوبهم تصديقه فآمنوا به وعزروه ووقروه ونصروه وجاهدوا في الله حق جهاده فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح والبيع الرابع وبقي منهم من بقي لا يأخذهم في الله لومة لائم أيها الناس رحمكم الله إنا خرجنا للوجه الذي قد علمتم فكنا مع خير وال ولي فحمد وقسم فعدل لم يفقد من بر أمير المؤمنين شيئا كان يسير بنا البردين يخفض بنا في الظهائر ويتخذ الليل حملا يعجل الترحل من المنزل الفقير ويطيل اللبث في المنزل المنخصب الرحب فلم نزل على أحسن حالة يتعرفها قوم من ربهم حتى انتهى إلى أفریقیة فنزل منها بحيث يسمع صهيل الخيل ورغاء الإبل وقعقة السلاح فأقام أياما يجم كراعه ويصلح سلاحه ثم دعاهم إلى الإسلام والدخول فيه فبعدوا منه وسألهم الجزية عن صغار والصلح فكانت هذه أبعد فأقام فيها ثلاث عشرة ليلة يتأذى بهم وتختلف رسله إليهم فلما يتس منهم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر النبي {صلى الله عليه وسلم} وأكثر الصلاة عليه ثم ذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ثم نهد لعدوه فقاتلهم أشد القتال يومه ذلك وصبر الفريقان جميعا وكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة واستشهد الله رجالا من المسلمين فبتنا وباتوا للمسلمين بالقرآن دوي كدوي النحل وبات المشركون في ملاهيهم وخورهم فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس وزحف بعضنا إلى بعض فأفرغ

الله علينا الصبر ثم أنزل علينا النصر ففتحناها من آخر النهار فأصبنا غنائم كثيرة فبلغ فيها الخمس خمسمائة ألف دينار وتركت المسلمين قد قرت أعينهم وقد أغناهم النفل ووسعهم الحق وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين وإلى المسلمين أبشره وإياهم بما فتح الله من البلاد وأذل من المشركين فأحمد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين

ثم صمت ونهض إليه الزبير فقبل بين عينيه وقال يا بني إذا نكحت المرأة فانكحها على شبه أيها أو أحيها تأتك بأحدهما والله ما زلت تنطق بلسان أبي بكر الصديق حتى صمت ويروى عن الزبير لما أمر عثمان رحمه الله ابنه عبد الله بالقيام ليخبر الناس بما شهد من فتح أفریقیة أنه قال وجدت في نفسي على عثمان وقلت يقيم غلاما من الغلمان لا يبلغ الذي يحق عليه والذي يجمل به فقام فتكلم فأبلغ وأصاب فما فرغ حتى ملأهم عجا

وفي كتاب سيف أن عثمان لما وجه عبد الله بن سعد إلى أفریقیة قال له إن فتح الله عليك أفریقیة فلك مما أفاء الله

عليك خمس الخمس فلما انتهى إلى أفريقية فيمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم فقتله الله قتله عبد الله بن سعد وفتح الله أفريقية سهلها وجبلها واجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم بعد أن أخرج الخمس فعزل منه لنفسه خمسة وبعث بأربعة أحماسه إلى عثمان وضرب فسطاطا في موضع القيروان ووفد وفد إلى عثمان فشكوه فيما أخذ من الخمس فقال عثمان أنا نفلته

وإنما الفل تبصرة وتدريب للرجال ثم كتب إلى عبد الله بن سعد باستصلاحهم قال وكان عثمان قد أرسل معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله ابن نافع بن الحصين القهريين وأمرهما بالمسير إلى الأندلس فيمن ندبه معهما من الرجال وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب أفريقية وبعد ذلك يسيران إلى الأندلس فلما كان الاستيلاء على صاحب أفريقية سارا من فورهما إلى الأندلس وأتياها من قبل البحر

وكان عثمان رحمه الله تعالى قد كتب إلى من انتدب إلى الأندلس أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام وقال كعب يعبر البحر إلى الأندلس أقوام يفتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة

ذكر صلح التوبة

قال ابن عبد الحكم ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الأسود وهم التوبة سنة إحدى وثلاثين فقاتلته التوبة قتالا شديدا وأصيب يومئذ عين معاوية بن حديج وأبي ثمر بن أبرهة وحويل بن ناشرة فيومئذ سموا رماة الحدق فهادهم عبد الله بن سعد إذ لم يطقهم وفي ذلك اليوم يقول بعض من حضره

لم تر عيني مثل يوم دمقله

والخيل تغدو بالدروع مثقلة

الرجز

قال وكان الذي صولح عليه التوبة فيما ذكر بعض مشايخ المصريين ثلاثمائة رأس وستين رأسا في كل سنة ويقال بل على أربعمائة في كل سنة منها لفيء المسلمين ثلاثمائة وستون ولوالي البلد أربعون منها فيما زعم بعض المشايخ سبعة عشر مرضا

ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم

قال وذكر بعض المتقدمين أنه وقف بالقسطاط في بعض الدواوين يعني على عهد لهم قرأه قبل أن يحرق فإذا هو يحفظ منه

إنا عاهدناكم وعاهدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأسا وتدخولون بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذلك ندخل بلادكم على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلا فقد برئت منكم الهدنة وإن آوئتم للمسلمين عبدا فقد برئت منكم الهدنة وعليكم رد أباق المسلمين ومن لجأ إليكم من أهل الذمة

وقال يزيد بن أبي حبيب وليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق وإنما هي هدنة أمان بعضنا من بعض

قال ابن لهيعة وأبو حبيب والد يزيد واسمه سويد منهم

وقال الليث بن سعد وذكر له قول مالك بن أنس لا يشتري رقيق التوبة ولا يباعون فقال الليث لا علم لمالك بهذا نحن أعلم به منه إنما صلحوا على أن نكف عنهم حربنا فقط وعلى أنهم يعطونا منهم رقيقا في كل سنة وعلى أنا لا نمنع غزو غيرنا فبذلك نشترهم إنما علينا الوفاء بأن لا نحاربهم فقط
قال ابن عبد الحكم ولم أر أحدا من أصحاب مالك يقول بقوله في التوبة وكلهم كان يشتريهم
قال واجتمعت لعبد الله بن سعد البجة في انصرافه من بلاد التوبة على شاطيء النيل فسأل عنهم فأخبر بشأنهم فهان عليه أمرهم فنفذ وتركهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح وأول من صالحهم عبيد الله بن أبي الحجاب

ذكر البحر والغزو فيه

ذكر الطبري عن سيف عن أشياخه قالوا ألح معاوية على عمر بن الخطاب في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى إذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر أحب أن يزود عنه فكتب إلى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وإني أشتهي خلافها فكتب إليه عمرو بن العاص إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير إن سكن خوف القلوب وإن تحرك راع العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كلود على عود إن مال غرق وإن نجا فرق
فلما جاءه كتاب عمرو كتب إلى معاوية

لا والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا لا أحمل فيه مسلما أبدا
وفي رواية أنه كتب إليه

إنا قد سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء في الأرض يستأذن الله في كل يوم وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستصعب والله لمسلم واحد أحب إلي مما حوت الروم فإياك أن تتعرض لي وقد تقدمت إليك

فلما ولي عثمان بن عفان لم يزل به معاوية حتى عزم على ذلك وقال له لا تتخبط الناس ولا تفرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه

ففعل ذلك معاوية واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة من بين صائفة وشاتية في البر والبحر ولم يغرق معه أحد في البحر ولانكب وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده ولا يتليه بمصاب أحد منهم ففعل الله ذلك له حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في قارب طليعة فانهى إلى البر من أرض الروم وعليه سؤال يعبرون ذلك المكان فتصدق عليهم فرجعت امرأة من السؤال إلى قريبتها فقالت للرجال هل لكم في عبد الله بن قيس قالوا وأين هو قالت في المرفأ قالوا أي عدوة الله ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس فوجنتهم وقالت أتم أعجز مني أو يخفى عبد الله على أحد فبادروا فهجموا عليه فقاتلوه وقاتلهم فأصيب وحده وأقلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرفوا والخليفة فيهم سفيان بن عوف الأودي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعيث بأصحابه ويشتمهم فقالت جارية عبد الله واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان وكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلين فجعل سفيان يقول ذلك وترك ما كان يقول وأصيب في المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بأي شيء عرفته فقالت بصدفته أعطى كما يعطي الملوك ولم يقبض قبض التجار
غزو معاوية بن أبي سفيان قبرس

وغزا معاوية بن أبي سفيان قبرس سنة ثمان وعشرين فيما ذكر الواقدي
قال وهو أول من غزا الروم وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد ابن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على
الناس

قال ابن عفير ومع معاوية امرأته فاخنته بنت قرظله وكان معه أيضا في غزاته أبو الدرداء وشداد بن أوس وأبو ذر
وعبد الله بن عمرو بن العاص في عدة من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأم حرام الأنصارية فتوفيت
هناك فقبرها يستسقي به أهل قبرس ويسمونه قبر المرأة الصالحة

وأم حرام هذه هي خالة أنس بن مالك رضي الله عنه وحديثها مشهور في نوم النبي ص في بيتها ثم استيقظ وهو
يضحك فسأله ما يضحك فقال ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على
الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة فقالت يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم
استيقظ يضحك فسأله فقال ناس من أمي عرضوا علي مثل مقالته الأولى فقالت يارسول الله ادع الله ان يجعلني
منهم قال أنت من الأولين فكانت هذه الغزوة هي التي عرضت على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أولا
وخرجت أم حرام فيها فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت
قال ابن عمير وذلك العام بالشام عام قبرس الأول

وقيل إن معاوية توجه إليها من حصن عكا في مائتي مركب قال وظفر معاوية في هذه الغزاة وأخذ من الأموال
والحلي ما لا يحصى

وقال جبير بن نغير لما سبناهم يعني أهل قبرس نظرت إلى أبي الدرداء يبكي فقلت ما يبكيك في يوم أعز الله فيه
الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب بيده على منكبي وقال ثكلتك أمك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا
تركوا أمره بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى فسلط عليهم السبأ
وإذا سلط السبأ على قوم فليس لله عز وجل بهم حاجة

وذكر الطبري أن معاوية لما غزا قبرس صالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة
ويؤدون إلى الروم مثلها ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على أن لا يغزوهم المسلمون ولا يقاتلوا هم من
غزا من خلفهم يريد الخروج إلى أرض المسلمين وعليهم أن يؤذوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن
ييطرق إمام المسلمين عليهم منهم

وذكر الواقدي أيضا مصالحة معاوية أهل قبرس في ولاية عثمان رحمه الله وإن في العهد الذي بيننا وبينهم ألا
يتزوجوا في عدونا من الروم إلا بإذنا

قال وفي هذه السنة يعني سنة ثمان وعشرين غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم

غزوة ذات الصواري

ذكر الواقدي أن أهل الشام خرجوا وعليهم معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح
وخرج عامند قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بأفريقية فخرجوا في جمع لم ير الروم مثله قط منذ كان
الإسلام فخرجوا في خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضا حتى قرتوا بين سفن المسلمين
وأهل الشرك

قال مالك بن أوس بن الحدثان كنت معهم فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط وكانت الريح علينا فأرسيها ساعة وأرسوا قريبا منا وسكنت الريح عنا فقلنا الأمن بيننا وبينكم قالوا ذلك لكم منا ولنا منكم قلنا إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل وإن شتتم فالبحر فنحروا نحرة واحدة وقالوا الماء فدونا منهم فربطنا السفن بعضها ببعض حتى كنا بحيث يضرب بعضنا بعضا فقاتلنا أشد القتال ووثب الرجال على الرجال يضطربون بالسيف ويتواجنون بالخنجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما

وقال بعض من حضر ذلك اليوم أيضا رأيت الساحل وإن عليه لمثل الطرب العظيم من جثث الرجال وإن الدم للغالب على الماء

ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير وقتل من الكفار ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على أهل الإسلام وهزم القسطنطين مدبرا وأصابته يومئذ جراحات مكث فيها حينما جريحا

وعن حنش الصنعاني قال ركب الناس البحر سنة إحدى وثلاثين مع عبد الله بن سعد فلما بلغوا ذات الصواري لقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل فقال أشيروا علي قالوا انتظر الليلة فباتوا يضربون بالنواقيس وبات المسلمون يصلون ويدعون الله ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين فقبروا سفنهم وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض وصف عبد الله المسلمين على نواحي السفن وأمرهم بقراءة القرآن وبالصبر ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى تقضوها واقتتلوا على غير صفوف قتالا شديدا ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد وأقام عبد الله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم ثم أقبل راجعا

وذكر ابن عبد الحكم أن عبد الله بن سعد لما نزل ذات الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن أبي أرطاه سرية في البر فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة قال وإنما مراكب المسلمين مائتا مركب ونيف فقام فقال أشيروا علي فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع إليهم أفلتقتم ثم استشارهم فما كلمه أحد ثم فقال الثالثة إنه لم يبق شيء فأشيروا علي فقال رجل من أهل المدينة كان متطوعا أيها الأمير إن الله تعالى يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٢٤٩ البقرة)

فقال عبد الله اركبوا باسم الله فركبوا وإنما في كل مركب نصف شحنته قد خرج النصف الآخر مع بسر في البر فلقوهم فاقتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجعل تختلف القوارب إليه بالأخبار فقال ما فعلوا

قالوا اقتتلوا بالنبل والنشاب قال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت النبل والنشاب فهم يرتمون بالحجارة قال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيف قال غلبت الروم

قال يزيد بن أبي حبيب وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو فكاد مركب العدو يجير مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد العظيفي وكان في

المركب مع عبد الله فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله بعد ذلك امرأته بسيسة ابنة حمزة بن ليشرح بن عبد كلال وكانت معه يومئذ وكان الناس فيما خلا يغزون بنسائهم من رأيت أشد الناس قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله حين خطبها إلى أبيها قال له إن علقمة قد خطبها وله علي فيها رأي فإن يتركها أفعل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله ثم هلك عنها فتزوجها بعده علقمة ثم هلك عنها فتزوجها كريب بن أبرهة وقال محمد بن الربيع إنما سميت غزوة ذات الصواري لكثرة المراكب التي اجتمعت فيها ابن هرقل في ألف مركب والمسلمون في مائتي مركب ونيف فكثرت الصواري في البحر فسميت ذات الصواري وفي بعض ما تقدم من الأخبار ما يقتضي أن ذات الصواري موضع يسمى هكذا فالله تعالى أعلم

ذكر فتح العراق وما والاها على ما ذكره سيف بن عمرو وأورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عنه وعن غيره

ذكروا عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قتالا حض الله للمسلمين على عهد نبيه {صلى الله عليه وسلم} على الاستقامة على الدين ولنجم إلى فارس ووعدهم فتقدم إليهم في ذلك من قبل غزوهم ليحثهم وليدرهم فبدأ بالردة فقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤ آل عمران) فسمي من ثبت على دينه بعد موت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الشاكرين ثم عاد في وصف من ناهض منهم أهل الردة والمنافقون حشر في المؤمنين وإنما يكلم الله عز وجل المؤمنين بما يعني به المنافقين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤ المائدة) فسماهم أحماء وأتابهم حيث كانوا أذلة أركة على المؤمنين أعززة أشدة على الكافرين يجاهدون يعني جهادا بعد جهادهم أهل الردة يقاتلون من بعدهم أهل فارس ولا يخافون تخويف من يخوفهم هذا فضل الله يخص به من يشاء والله واسع عليم عالم بهم فهم الشاكرون وهم الفاضلون وهم المقربون وهم أحبباء الله

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم الآيتين إلى قوله وكان الله على كل شيء قديرا (٢٠ - ٢١ الفتح) مغنم فتوحا من لدن خير تلونها وتضمون ما فيها فعجل لكم هذه أي عجل لكم من ذلك خير وكف أيدي الناس عنكم أيدي قريش بالصلح يوم الحديبية ولتكون آية للمؤمنين شاهدا على ما بعدها ودليلا على إنجازها وأخرى لم تقدروا عليها أي على علم وقتها أفيئها عليكم فارس والروم قد أحاط الله بما قضى الله بها إنما لكم منها الأيام والقوادس والواقصة والمدائن الحمر بالشام ومصر والضواحي فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر الأعاجم ذلك الزمان

ذكر سيف

قال كان أول ملوك فارس قاتله المسلمون شيري بن كسرى وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حيث فرغ من أهل الردة وأقامت جنود المسلمين في بلدان من ارتد كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن ائذن للمسلمين في القفل إلا من أحب المقام معك ولا تكرهن أحدا على القيام ولا تستعن في شيء من حربك بمبتكاره وادع من يليك من تميم وقيس وبكر إلى موتان اليمامة فإن موات ما أفاء الله على رسوله لله ولرسوله فمن أحيا شيئا من ذلك فهو

له لا يدخل ذلك في شيء من موات كل بلد أسلم عليه أهله ففعل خالد فأنزل اليمامة من هؤلاء الأحياء من أقرن
ببني حنيفة ولما أذن خالد في القفل قفل الناس أهل المدينة ومن حولها وسائر من كان معه من أهل القبائل وبقي خالد
في ألفين من القبائل التي حول المدينة من مزينة وجهينة وأسلم غفار وضمرة وأناس من غوث طيء ونبد من عبد
القيس

ولما قفل من قفل وجه المثنى بن حارثة الشيباني ومذعور بن عدى العجلي

وحرملة بن مريطة وسلمى بن القين الحنظليين وهما من المهاجرين والمثنى ومذعور ممن وفد على النبي {صلى الله عليه
وسلم} فقدموا على أبي بكر رحمه الله فقال له حرملة وسلمى إنا معاشر بني تميم وبكر بن وائل قد دربنا بقتال
فارس وأشجيناهم حتى اتخذوا الخنادق وغبقوا المياه واتخذوا المسالخ في القصور المشيدة وتحصنوا بها منا فأذن لنا في
حربهم فأذن لهما فولاهما على من تابعهما واستعملهما على ما غلبا عليه وكانا أول من قدم أرض فارس لقتال أهل
فارس وكانا من المهاجرين ومن صالحى الصحابة فنزلا أطلد ونعمان والجعرانة في أربعة آلاف من تميم والرباب وكان
بإزائهما التوشجان والفيرمان بالوركاء فزحفوا إليهما فغلبوهما على الوركاء وغلبا على هرمزجرد إلى فرات بادقني
وذكر سيف من طريق آخر أن المثنى ومذعورا لما قدما على أبي بكر أستأذناه في غزو أهل فارس وقالوا إنا وإخواننا
من بني تميم قد دربنا بقتالهم وأخذنا النصف من أحد وثني كل موسم فأذن لهما وولاهما على من تابعهما
واستعملهما على ما غلبا عليه فساروا فجمعا جموعهما ثم سارا بهم حتى قدما بلاد فارس وكانا أول من قدمها لقتالهم
هما وحرملة وسلمى وقدم المثنى ومذعور في أربعة آلاف من بكر بن وائل وعنزة وضيعة فنزل أحدهما بخفان ونزل
الآخر بالمهراق وعلى فرج القرس مما يليهما شهربراز بن بندا فنفاياه وغلبا على فرات بادقني إلى السيلحين واتصل
ما غلبا عليه وما غلب عليه سلمى وحرملة وفي ذلك يقول مذعور بن عدى

غلبنا على خفان بندا وشيخة

إلى النخلات السحق فوق المهراق)

وإنا لنرجوا ان تجول خيولنا بشاطي الفرات بالسيف البوارق

الطويل

وقال المثنى في ذلك

ألا أبلغا شهرا وشهر مهاجر بأنا سنلقاه على الحدتان

فحن سللنا شيخة يوم بارق إلى شر دار تتوي ومكان

الطويل

ويروي أن أبا بكر رحمه الله لما بلغه ما كان من فتح حرملة وسلمى ومثنى ومذعور ما بين السيلحين إلى أسفل

الفرات تمثل بقول الآخر

ومتى تسلف في قبيل خطة تلق المنال مضاعفا أو موعبا

وإذا عقدت بجبل قوم مرة ذربوا عليك فلم تجد لك مقصبا

حيان لا خطما بجبل هزيمة أنفا الزمام فلم يقرأ مركبا

الكامل

وحكى عمر بن شبة عن شيوخه من أهل الأخبار أن المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد فبلغ أبا بكر

والمسلمين خبره فقال عمر من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه فقال له قيس بن عاصم أما أنه غير حامل الذكر ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ولا ذليل العمارة ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ثم أن المثنى قدم على أبي بكر فقال له يا خليفة رسول الله ابعتني في قومي فإن فيهم إسلاماً أقاتل بهم أهل فارس وأكفك أهل ناحيتي من العدو ففعل ذلك أبو بكر فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد حولاً مجرماً ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ويقول إنك إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلي وأذل الله المشركين مع أبي أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتتقينا فقال له عمر يا خليفة رسول الله أبعث خالد بن الوليد مدداً للمثنى بن حارثة يكون قريباً من أهل الشام فإن استغنى عنه أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه قال فهذا الذي هاج أباً بكر رحمه الله على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق وفي حديث آخر أنه ولاه حرب العراق لما قضى ما أراد قضاءه من اليمامة وكتب إلى المثنى ومدعور وسلمى وحرمله بأن يسمعوا له ويطيعوا أخبار الأيام في زمان خالد بن الوليد رضي الله عنه وكانت لمن وليها الفضيلة والسابقة والقدمه لأنهم شركوا أهل القادسية والبويب وفضلوهم بولايتهم هذه

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

وهذا كما اجتمعت للمهاجرين النصره مع الهجرة وفضلوا الأنصار بالمجرة فروى الشعبي وهشام بن عروة قال لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة كتب إليه أبو بكر إني قد وليتك حرب العراق فاحشد من ثبت على الإسلام وقاتل أهل الردة ممن بينك وبين العراق من تميم وقيس وأسد وبكر ابن وائل وعبد القيس ثم سر نحو فارس واستنصر الله عز وجل وادخل العراق من أسفل العراق فابداً بفرج الهند وهو يومئذ الأبله وكان صاحبها يساجل أهل الهند والسند في البحر ويساجل العرب في البر

وقال له تألف أهل فارس ومن كان في مملكتهم من الأمم وأنصفوا من أنفسكم فإنكم كتتم خير أمة أخرجت للناس لنسأل الله أن يجعل من ألقه بنا وصيره منا خير متبع بإحسان وإن فتح الله عليك فعارق حتى تلقى عياضاً وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين الحجاز والنباج أن سر حتى تأتي المصيح فاحشد من بينك وبينها ممن ثبت على إسلامه وقاتل أهل الردة فابداً بهم ثم ادخل العراق من أعلاها فعارق حتى تلقى خالداً

فاستمد خالد أبا بكر قبل خروجه من اليمامة فأمده بالقعقاع بن عمرو التميمي واستمده عياض قبل تحركه فأمده أبو بكر بعبد بن عوف الحميري وقيل لأبي بكر أمد خالداً برجل قد أرفض عنه الناس فقال لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع وسيحشر من بينه وبين أهل العراق وكتب خالد إلى حرملة وسلمى والمثنى ومذعور ليلحقوا به وأمرهم أن يغزوا جنودهم الأبله ليوم سماه ثم حشد من بينه وبين العراق فحشد ثمانية آلاف من مضر وربيعه إلى ألفين كانا معه فقدم في عشرة آلاف إلى ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة فلقى هرمرز في ثمانية عشرة ألفاً

وفيما ذكره سيف من مسير خالد وعياض إلى العراق أن أبا بكر أمرهما أن يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه وقال فإذا اجتمعتما بالحيرة وفضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحكما رداء لصاحبه وللمسلمين بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم بالمدائن

وكتب إليهما استعينوا بالله واتقوه وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجمع الله لكم بطاعته الدنيا إلى الآخرة ولا تؤثروا الدنيا فتعجزكم ويسلبكم الله بمعصيته الدنيا والآخرة فما أهون العباد على الله إذا عصوه قال ولما عزم خالد على المسير من اليمامة إلى العراق سأل عن الأدلة فأتى بنفر فسأل عن أسمائهم فتفعل منهم إلى ثلاثة بأسمائهم ظفر بن عمرو السعدي ورافع بن عميرة الطائي ومالك بن عباد الأسدي وجدد خالد التعبئة فعبأ الناس تعبئة مستأنفة غير التي دخل بها اليمامة ونصب لجنده أعلاماً غير الذين كانوا أعلامهم وذلك أن أعلامهم الذين دخل

بهم اليمامة قفلوا فوضع رجالاً مكافهم وتوخى الصحابة ثم توخى منهم الكمامة فاستعمل على مضر القعقاع بن عمرو وعلى ربيعة فرات بن حيان وعلى قضاة وضم إليهم أهل اليمن جرير بن عبد الله الحميري أخا الأقرع بن عبد الله رسول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى اليمن وجعل على القبائل دون ذلك على نصف خندق فارس

أطال بكبير بن عبد الله الليثي وعلى النصف الآخر معقل بن مقرن المزني وعلى قيس عيلان وعلى غطفان ومن يلاقهم إلى سعد بن قيس سعد بن عمارة التغلبي وعلى هوازن ومن يلاقهم إلى خصفة أبا حنش بن ذي الحية العامري وضم جديلة إليهم وهم عمرو بن قيس بن عيلان وعلي اللهازم من بكر بن وائل عتيبة بن الهاس والهازم عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة وعلى الدعائم وهم شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة وضبيعة بن ربيعة ويشكر بن ربيعة يشكر بن بكر بن مطر بن عامر الشيباني وعلى قضاة الحارث بن مرة الجهني وعلى اليمن مالك بن مرة الرهاوي وابن زيد الخيل بن مهلهل وهؤلاء تحت أيدي أولئك الثلاثة واستعمل على المقدمات المثني بن حارثة وعلى الجنبات عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو وأخا القعقاع وعلى الساقية بسر بن أبي رهم الجهني صاحب جبانة بسر واستخلف على اليمامة وهوافي قيس وقيم سبرة بن عمرو العنزي وكل من أمر له صحبة وقدمه وخرج قاصدا الهرمز والأبلة وقال المغيرة بن عتبة قاضي الكوفة فرق خالد مخرجه من اليمامة جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريقة واحدة فسرح المثني قبله بيومين ودليله ظفر وسرح عدبا وعاصما ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر أحدهما قبل صاحبه بيوم وخرج خالد ودليله رافع فواعدهم جميعا الحفير ليجتمعوا فيه وليصادموا به عدوهم وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنا وأشد شوكا وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر وعن الشعبي قال كتب خالد إلى هرمز قبل خروجه وهرمز صاحب النغر يومئذ

أما بعد أسلم تسلم أو اعقد لنفسك وقومك الذمة وأقر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة

ولما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيري بن كسرى وإلى أزدشير بن شيري وجمع جموعه ثم تعجل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقى خالدًا وسبق حلبته فلم يجد طريق خالد وبلغه أنهم تواعدوا الحفير فجاج يبادر خالدًا إليه فنزله فعبأ به وجعل على مجنبيه أخوين يلاقيان أزدشير وشيري آل أزدشير الأكبر يقال لهما قباذ وأنو شجان فاقتروا في السلاسل فقال من لم ير ذلك لمن رآه قيدتم أنفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء فأجابوهم أما أنتم فتحدثونا أنكم تريدون الهرب فلما أتى الخبر خالدًا بمنزل هرمز آمال الناس إلى كاظمة وبلغ ذلك هرمز فبادره إليها فنزلها وهو حسير

وكان من أسوء أمراء ذلك الفرج جوارا للعرب فكل العرب عليه مغيط وقد كانوا يضربونه مثلا في الخبث والمكر حتى قالوا أخبث من هرمز وأمكر من هرمز وتعبأ هو وأصحابه والماء في أيديهم وقدم خالد فنزل على غير ماء فقالوا له في ذلك فأمر مناديه فنادى ألا أنزلوا وخطوا أئقالكم ثم جالدوهم على الماء فلمعري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين فحطت الأثقال والخيل وقوف وتقدم الرجل ثم زحف إليهم حتى لاقاهم فاقتلوا وأرسل الله سبحانه سحابة فأغدرت ماء وراء صف المسلمين فقواهم بها وما ارتفع النهار وفي الغائط مقترن

وأرسل هرمز أصحابه ليغدروا بخالد ثم خرج فنادى رجل أين خالد وقد عهد إلى فرسانه عهده فلما برز خالد نزل هرمز ودعاه إلى البراز فبرز خالد يمشي إليه فالتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد وحملت حامية هرمز وغدرت فاستلحموا خالدًا فما شغله ذلك عن قتله

وحمل القعقاع بن عمرو واستلحم حماة هرمز فأتاهم وخالد يماصعهم فانهم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل وجمع خالد الرثا والسلاسل فكان وقر يعير ألف رطل فسميت ذات السلاسل

قال وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائهم فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف وتمام شرف أحدهم أن يكون من البيوتات السبعة فكان هرمن من تم شرفه فكانت قيمة قلنسوته مائة ألف فنفلها أبو بكر رحمه الله خالدا وكانت مفصلة بالجواهر

وقال حنظلة بن زياد بن حنظلة لما تراجع الطلب من ذلك اليوم نادى منادي خالد بالرحيل وسار بالناس وأتبعته الأثقال حتى نزل موضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم وقد أفلت قباذ وأنو شجان وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأحاس وبالقبيل وقرىء الفتح على الناس فلما قرىء فيه خرجت من اليمامة في ألفين وحشرت من ربيعة ومضر ثمانية آلاف فقدمت في عشرة آلاف على ثمانية آلاف مع الأمراء الأربعة المثني ومدعور وحرملة وسلمى تمثل أبو بكر رضي الله عنه

تمننا ليلقانا بقوم

تحال بياض لامهم السرابا

فقد لاقيتنا فأريت يوما

عماسا يمنع الشيخ الشرابا

تبدل علقما منا بجلو

ينسيك الغنيمة والإيابا

إذا خرجت سوافهن زورا

كأن على حوار كهن غابا

عليها كل متصل بمجد

من الجهتين يلتهب التهابا

الوافر

ولما قدم زر بن كليب بالقبيل مع الأحاس فطيف به في المدينة ليراه الناس

جعلت ضعيفات النساء يقلن أمن خلق الله ما نرى ورأينه مصنوعا فردده أبو بكر رضي الله عنه مع زر

وعن زياد بن حنظلة قال إني لبالمدينة وقد قدمتها وافدا من البحرين إذ أرسل إلي أبو بكر وقد قدم عليه الخبر بوقعة

ذات السلاسل فقال لي ألم تعلم أنه كان من الشأن ذيت وذيت وأن خالدا ألقى هرمن فاستلحم وأن القعقاع

استلحم فقتلهم وتنفل

قال زياد فأقبلت على نفسي أحدثها فقلت الخليفة وفراسته وذكرت قوله ولا يهزم جيش فيهم مثل هذا فما راعني

إلا وأبو بكر يقول أين أنت يا زياد أما أن خالدا سيتغير له ويتنكر ثم يراجع ويعرف الحق فاستكره القعقاع بعد

ذلك ووقع بينهما ما يقع بين الناس حتى قال القعقاع يعاتبه ولم يكن إلا ذلك

منعتك من قرني قباذ وليتني

تركتك فاستذكت عليك المعاتب

عطفت عليك المهر حتى تفرجت

وملت من الطعن الدراك الرواجب

أجالهم والخييل تحط في القنا

وأنت وحيد قد حوتك الكتاب

وكائن هزمنا من كتيبة قاهر
وكم عجمتنا في الحروب العجائب
الطويل

ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة بعث المثني بن حارثة في آثار القوم فمضى حتى انتهى إلى نهر
المرأة وإلى الحصن الذي فيه المرأة فخلف المثني بن حارثة عليها من حاصرها في قصرها ومضى المثني واسلمت
فتزوجها المثني ولم يحرك خالد وأمرؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر فيهم وسي أولاد المقاتلة الذين
كانوا يقومون بأموار الأعاجم وأقر من لم ينهض من الفلاحين وجعل لهم الذمة
وبلغ سهم الفارس يوم ذات السلاسل والثني ألف درهم والراجل على الثلث من ذلك
حديث الثني والمدار

وكانت وقعة المدار في صفر سنة اثنتي عشرة ويومئذ قال الناس صفر الأصفار فيه يقتل كل جبار على مجمع الأثمار

ولما كتب هرمز إلى ملكهم بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه أمده بقارن بن قربانس فخرج من المدائن ممدا
لهرمز حتى إذا انتهى إلى المدار بلغته الهزيمة وانتهى إليه القلال فنذامروا قال فلان الأهواز وفارس لفلان السواد
والجبل إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبدا فاجتمعوا على العدو مرة واحدة فهذا مدد الملك وهذا قارن لعل الله يدينا
ويشفينا من عدونا ونذكر بعض ما أصابوا منا ففعلوا وعسكروا بالمدار واستعمل قارن على مجنبيه قباذ وأنوشجان
فأرسل المثني إلى خالد بالخبر فعند ذلك قسم خالد القبيء على من أفاء الله عليه ونفل من الخمس ما شاء الله وبعث
مع الوليد بن عقبة ببقيته وبالفتح إلى أبي بكر وبالخبر عن القوم وباجتماع المغيث منهم والمغاث إلى الثني وهو النهر
وخرج خالد سائرا إليهم حتى ينزل المدار فالتقوا وخالد على تعبته فاقتتلوا على حنق وحفيظة وخرج قارن يدعوا
للبراز فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش فابتداره فسبقه إليه معقل
فقتله وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قباذ وكان شرف قارن قد انتهى ثم لم يقاتل المسلمون بعده أحدا انتهى
شرفه في الأعاجم

وقتل فارس مقتلة عظيمة فضموا السفن ومنعت المياه للمسلمين من طلبهم وأقام خالد بالمدار وسلم الأسلاب لمن
سلبها بالغة ما بلغت وقسم القبيء ونفل من الأحماس ما نفل في أهل البلاء وبعث ببقيتها إلى أبي بكر رضي الله عنه
وعن الشعبي قال دفع خالد إلى أبيض الركبان سلب قارن وقيمته مائة ألف وإلى عاصم وعدي سلب أنوشجان
وقباذ وقيمة سلب كل واحد منهما ثلاثة أرباع الشرف
وعن أبي عثمان قال قتل ليلة المدار ثلاثون ألفا سوى من غرق ولولا المياه لأتي على آخرهم ولم يفلت منهم من
أقلت إلا عرارة أو أشباه العرارة

قال الشعبي لم يلق خالد أحدا بعد هرمز إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التي قبلها

وأقام خالد بالثني يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم وأقر الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعدما دعوا
وكل ذلك أخذ عنوة ولكن دعوا إلى الجزاء فأجابوا وتراجعوا وصاروا ذمة صارت أرضهم خراجا وكذلك جرى
ما لم يقسم فإذا اقتسم فلا ومن ذلك السبي كان حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانيا
وقال عزيز بن مكنف لم يدع خالد بعد هرمز أحدا من الأعاجم حتى هلك أزدشير إلا أن يدعوا قوما بعدما يغلبهم
على أرضهم ويغلبهم عنها إلى الجزاء والذمة فيرد عليهم أرضهم فيصيروا ذمة مالم تقسم وبذلك جرت السنة

وأمر خالد على الجزاء سويد بن مقرن المزني وأمره بنزول الحفير وأمره

ببث عماله ووضع يديه في الجباية وأقام لعدوه يتحسس الأخبار

وقال عاصم بن عمرو في ذلك من أبيات

فلم أر مثل يوم السيب حتى

رأيت النخي تخضبه الدماء

وألوت خيلنا لما التقينا

بقارن والأمور لها انتهاء

الوافر

حديث الوجلة وهي مما يلي كسكر من البر

وكانت في صفر سنة اثنتي عشرة

قالوا لما وقع الخبر إلى أردشير بمصاب قارن وأهل المذار أرسل الأندزرع وكان فارسياً من مولدي السواد وتناهم

ولم يكن ممن ولد في المدائن ولا نشأ بها وأرسل بهممن جاذوية في أثره وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم وذلك

أهم بنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً فكان لأهل فارس في كل يوم رافد نصب لذلك يرفدهم عند الملك

فكان بهممن أحدهم فخرج الأندزرع سائراً من المدائن حتى أتى كسكر ثم جازها إلى الوجلة وخرج بهممن جاذوية في

أثره فأخذ غير طريقة فسلك أوسط السواد وقد حشد الأندزرع من بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية

والدهاقين فعمسكروا إلى جنب عسكره بالوجلة فلما اجتمع له ما أراد واستتم له

أعجبه ما هو فيه وأجمع السير إلى خالد

ولما بلغ خالد خبره ونزوله الوجلة نادى بالرحيل وخلف سويد بن مقرن وأمره بلزوم الحفير وتقديم إلى من خلف

بأسفل دجلة وأمرهم بالخذر وقلة الغفلة وترك الاغترار وخرج سائراً في الجنود نحو الوجلة حتى نزل على الأندزرع

وجنوده ومن تأشب إليه فاقتتلوا قتالاً شديداً هو أعظم من قتال النبي حتى ظن القريقان أن الصبر قد فرغ واستبطاً

خالد كمينه وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين عليهم بسر بن أبي رهم وسعيد بن مرة العجلي فخرج الكمين من

وجهين فانزمت صفوف الأعاجم وولوا وأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم فلم ير رجل منهم مقتل

صاحبه ومضى الأندزرع في هزيمته فمات عطشا وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم ويهديهم في

بلاد العرب وقال ألا ترون إلى الطعام كالتراب والله لو لم يلزنا الجهاد في الله والدعاء إليه ولم يكن إلا المعاش لكان

الرأي أن تقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن تنقل عما أنتم عليه

وسار خالد في الفلاحين سيرته فلم يقتلهم وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم ودعا أهل الأرض إلى الجزاء والذمة

فتراجعوا

وبارز خالد يوم الوجلة رجلاً من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغذاته

وقال خالد يذكر ذلك اليوم

فمكناهم بما حتى استجاروا

ولولا الله لم يرزوا قبالا

فولوا الله نعمته وقولوا

ألا بالله نحتضر القتالا

الوافر

وقال القعقاع في ذلك وأثنى على المسلمين

ولم أر قوما مثل قوم رأيتهم

على ولجات البر أحمى وأنجيا

وأقتل للرواس في كل مجمع

إذا صعصع الدهر الجموع وكبكبيا

فنحن حبسنا بالزمازم بعدما

أقاموا لنا في عرصة الدار ترقبا

قتلناهم ما بين قلع مطلق

إلى القيعة الغبراء يوما مطنبا

الطويل

حديث أليس وهي على صلب القرات

ولما أصاب خالد من أصاب يوم الوجلة من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الأعاجم وكتابتهم الأعجمفاجتمعوا إلى أليس وعليهم عبد الأسود العجلي وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلموا بني عجل عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات ابن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي

وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه أن سر حتى تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فقدم بهمن أمامه جابان وأمره بالحث وقال له كفكف نفسك وجندك عن قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك فسار جابان نحو أليس وانطلق بهمن إلى أردشير ليحدث به عهدا ويستأمره فيما يريد أن يشير به فوجده مريضا فعرج عليه وأخلى جابان بذلك الوجه ومضى جابان حتى انتهى إلى أليس فنزل بها واجتمعت إليه المسالخ التي كانت يازاء العرب وعبد الأسود في نصارى بني عجل وتيم اللات وضيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة وكان أبحر بن بجير نصرانيا فساند عبد الأسود وكان خالد بلغه بجمع عبد الأسود وأبحر وزهير فيمن تأشب إليهم فنهد إليهم ولا يشعر بدنو جابان وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم

ولما طلع خالد على أليس قالت الأعاجم لجابان أنعاجهم أو نغدي الناس ولا نريهم أنا نخفل بهم ثم نقاتلهم بعد الفراغ فقال جابان إن تركوكم والتهاون بهم فتهاونوا ولكن ظني أن سيعاجلوكم ويعجلوكم عن طعامكم فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة وتداعوا إليها وتوافوا عليها فلما انتهى خالد إليهم أمر بحط الأثقال فلما وضعت توجه إليهم ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره ثم برز أمام الصف فنادى أين أبحر أين عبد الأسود أين مالك بن قيس رجل من خدره فنكلوا عنه جميعا إلا مالكا فبرز له فقال له خالد يا ابن الخبيثة ما جرأك علي من بينهم وليس فيك وفاء

وقال

أنا ابن ذات الحسب الممنوق

إنك في ضيق أشد الضيق

الرجز

وضربه فقتله وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوه فقال لهم جابان ألم أقل لكم يا قوم لا والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم فقالوا تجلدا حيث لم يقدرُوا على الأكل ندعها حتى نفرغ منهم ثم نعود إليها فقال جابان وأيضا أظنكم والله لهم وضعتموها وأنتم لا تشعرون فالآن فأطيعوني وسموها فإن كانت لنا فأهون هالك وإن كانت علينا كنا قد صنعنا شيئا وأبلينا عذرا فقالوا لا إلا اقتدارا عليهم

وجعل جابان على مجنبيه عبد الأسود وأبجر وخالد على تعبته في الأيام التي قبلها فاقتتلوا قتالا شديدا والمشركون يزيدهم كلبا وشدة ما يتوقعون من قدوم بهم فصابروا المسلمون للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه وحرب المسلمون عليهم وقال خالد اللهم لك علي إن منحتنا أكتافهم أن لا استبقي منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بلمائهم ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ومنحهم أكتافهم فأمر خالد منادية فنادى في الناس الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون

سوقا وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر ففعل ذلك بهم يوما وليلة وطلبوهم الغد وبعد الغد حتى انتهوا إلى النهرين ومقدار ذلك من كل جوانب أليس فضرب أعناقهم وكانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثلاثة أيام وهم ثمانية عشر ألفا أو يزيدون

ولما رجع المسلمون من طلبهم ودخلوا عسكرهم وقف خالد على الطعام الذي كان المشركون قدموه لغدائهم فأعجلوا عنه فقال للمسلمين قد نفلتكموه فهو لكم وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا أتى على طعام مصنوع نفله فقعد الناس على ذلك لعشائهم بالليل وجعل من لا يرد الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول ما هذا الرقاق البيض وجعل من قد عرفها يجيبهم ويقول لهم ما زحاهل سمعتم برقيق العيش فيقولون نعم فيقول هو هذا فسمي الرقاق

وعن خالد بن الوليد أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نفل الناس يوم خيبر الخبز والطيبخ والشواء وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه

وبعث خالد بالخير مع رجل يدعى جندلا من بني عجل وكان دليلا صارما فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بالخير وافتح أليس ويقدر الفيء وبعدة السبي وبما حصل من الأحماس وبأهل البلاء من الناس فلما رأى أبو بكر صرامته وثبات خبره قال ما اسمك قال جندل فقال أبو بكر وبها جندل نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والإقداما

الرجز

وأمر له بجارية من السبي فولدت له

وكان خالد وجنده هم جند المسلمين وكتيبة الإسلام بهم فض الله أهل فارس ورعهم وما زالت بعدها مرعوبة

منتشرة لم يأتوا في وقعة بمثل ذلك الجد والصبر إلى أن فارقهم خالد إلى الشام

وبلغت قتلاهم يوم أليس سبعين ألفا جلهم من أمغيشيا وفي ذلك يقول الأسود بن قطبة

قتلنا منهم سبعين ألفا

بقية حربهم غب الإسار

سوى من ليس يحصى من قتيل

ومن قد غال جولان الغبار

الوافر

وقال خالد بن الوليد لما افتتح الحيرة لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس وما لقيت من أهل فارس قوما كأهل أليس حديث أمغيشيا وكيف أفاءها الله بغير قتال

ولما فرغ خالد من وقعة أليس هُض فأتى على أمغيشيا وقد أعجلهم عما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد فأمر خالد بدمها وهدم كل شيء كان في حيزها وكانت مصرا كالحيرة وكان فرات بادلقي ينتهي إليها وكان أليس من مسالحها فأصابوا فيها ما لم يصيبوا قط قبله مثله

وبلغ سهم الفارس ألف وخمسمائة سوى الأنفال التي نفلها أهل البلاء ولما بلغ ذلك أبا بكر قال يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله أعجز النساء أن ينسأن بمثل خالد

حديث يوم المقر وفم فرات بادلقي مع ما يتصل به من حديث الحيرة

ذكر أن الآزادبة كان مرزبان الحيرة من زمان كسرى إلى ذلك اليوم

وكانوا لا يمد بعضهم بعضا إلا بإذن الملك فلما أحرَب خالد أمغشيا علم أنه غير متروك فتهيأ لحرب خالد وقدم ابنه ثم خرج في أثره فعمسك خارجا من الحيرة وأمر ابنه بسد القرات

ولما استقبل خالد من أمر أمغيشيا وهمل الرجل في السفن مع الأتقال والأنفال لم يفجأ خالد إلا والسفن جوانح فارتاعوا لذلك فقال الملاحون إن أهل فارس فجروا الأتمار فسلك الماء على غير طريقه فلا يأتينا الماء إلا بسد الأتمار فتعجل خالد في الخيل نحو الآزادبة فلقي على فم العتيق خيلا من خيلهم فجاهم وهم آمنون غارته تلك الساعة فأنا مهم بالمقر ثم سار من فورهِ وسبق الأخبار إلى ابن الآزادبة حتى يلقاه وجنوده بقم فرات بادلقي فاقتتلوا فأنامهم خالد وفجر القرات وسد الأتمار فسلك الماء سبيله

ثم قصد خالد للحيرة واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف فقدم خالد الخورنق وقد قطع الآزادبة القرات هربا من غير قتال وإنما جراه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير وبمصاب ابنه وكان عسكره بين الغريين والقصر الأبيض ولما تنام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج منه حتى يعسكر في موضع عسكر الآزادبة بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره وأمر بكل قصر رجلا من قواده وأهله ويقاتهم فكان ضرار بن الأزور محاصرا للقصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي وكان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغريين وفيه عدي بن عدي المقتول وكان ضرار بن مقرن المزني عشرين عشرة إخوة له محاصرا قصر بني مازن وفيه ابن أكال وكان المثنى محاصرا قصر بني ببيعة وفيه عمرو بن عبد المسيح فدعواهم جميعا وأجلوهم يوما فأبى أهل الحيرة ولجوا فناوشهم المسلمون

وعهد خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدعاء فإن قبلوا قبلوا منهم وإن أبوا أجلوهم يوما وقال لا تمكنوا عدوكم من أذانكم فيتربصوا بكم الدوائر ولكن ناجزوهم ولا ترددوا المسلمين عن قتال عدوهم فكان أول القواد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور وكان على قتال القصر الأبيض فأصبحوا وهم مشرفون فدعاهم إلى إحدى ثلاث الإسلام أو الجزاء أو المنابذة فاختاروا المنابذة فقال ضرار ارشقوهم فدعوا منهم

فرشقوهم بالنبل فأعروا رعوس الحيطان ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم وصبح أمير كل قوم أصحابه بمنزل ذلك فافتتحوا الدور والديران وأكثروا القتل فتنادى القسيسون والرهبان بأهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور يا معشر العرب قد قبلنا واحدة من ثلاث فدعونا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث وهو بقبيلة وإنما سمي بقبيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا يا حار ما أنت إلا بقبيلة خضراء ثم تابعوا على ذلك فخرج

وجوه كل قصر إلى من كان عليه من أمراء خالد فأرسلوهم إليه مع كل رجل منهم ثقة من قبل مرسله فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين وبدأ بأصحاب عدي بن عدي وقال ويحكم ما أنتم أعرب فما تنقمون من العرب أو عجم فما تنقمون من الإنصاف والعدل فقال له عدي بل عرب عاربة وأخرى متعربة فقال لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا فقال له عدي ليدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية فقال صدقت اختاروا واحدة من ثلاث إما أن تدخلوا في ديننا فلکم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم أو أقمتم في دياركم أو الجزية أو المنابذة والمناجزة فقد والله أتيتكم بقوم هم أحرى على الموت منكم على الحياة فقال بل نعطيكم الجزية فقال خالد تبا لكم ويحكم إن الكفر فلاة مضلة فأحقق العرب من سلكها فلقبه ديلان أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي فصاحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً وتابعوا على ذلك وأهدوا له الهدايا وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر الصديق فقبلها أبو بكر رضي الله عنه من الجزاء وكتب إلى خالد أن حسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء وخذ بقية ما عليهم من فقهو بها أصحابك وفي حديث مثله أو نحوه عن رجل من كنانة وغيره إن أهل الحيرة لما انتهوا إلى خالد كانوا يختلفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح فقال له خالد كم أتت عليك قال مؤسنين قال فما أعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفا فتبسم خالد وقال هل لك من شيخك إلا عقله خرفت والله يا عمرو

الرجز

ثم أقبل على أهل الحيرة وقال ألم يبلغني أنكم خبئة خدعة مكررة فما لكم

تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء فتجاهل له عمرو وأحب أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله ويستدل به على صحة ما حدثه به فقال وحقك أيها الأمير إني لأعرف من أين جئت قال فمن أين جئت قال أقرب أم أباعد قال ما شئت قال من بطن أمي قال فأين تريد قال ما أمامي قال وما هو قال الآخرة قال فمن أين أقصى أترك قال صلب أبي قال فميم أنت قال في ثيابي فقال خالد إنه ليعقل قال أي والله وأفند فوجده حين فره عضا وكان أهل قريته أعلم به

وقال خالد قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها القوم أعلم بما فيهم فقال عمرو والنملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة

قالوا وكان مع ابن بقبيلة منصف له متعلقا كيسا في حقوه فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه في راحته وقال ما هذا يا عمرو قال هذا وأمانة الله سم ساعة قال ولم تحتقبه قال خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت وقد أتيت على أجلي والموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي فقال خالد إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها وقال بسم الله

خير الأسماء ورب الأرض والسماء الذي ليس يضر مع اسمه داء فأهروا إليه ليمنعوه فبادرهم وابتلع السم فقال عمرو والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن وأقبل على أهل الحيرة وقال لم أر كاليوم أمرا أوضح إقبالا وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد ذكر الحيرة وأنه أريها ورفعت له وكان شرف قصورها أضراس الكلاب وأما ستفتح على المسلمين فسأله رجل يقال له شويل كرامة بنت عبد المسيح فقال له هي لك إذا فتحت عنوة يعني الحيرة فلما راوض أهل الحيرة خالدا على الصلح وأداء الجزية قام إليه شويل فذكر له ذلك وشهد له به فأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة إلى شويل فنقل ذلك عليهم فقالت هونوا عليكم وأسلموني فإني سأفتدي ففعلوا وكتب خالد بينه وبينهم كتابا

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيري بن آكال وهم نقباء أهل الحيرة ورضي بذلك أهل الحيرة وأمروهم به و عاهدوهم على تسعين ومائة ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهباقتهم وقسيسيتهم وجماعتهم إلا من كان غير ذي يد حيسا عن الدنيا تاركا لها وسائحاتاركا للدنيا وعلى المنعة فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم وإن غدروا بقول أو فعل فالذمة منهم بريئة وكتب في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة فاستخف أهل الحيرة بهذا الكتاب وضيعوه فلما نقض أهل السواد بعد موت أبي بكر وكفروا فيمن كفر وغلب عليهم أهل فارس ثم افتتحها المثني بن حارثة ثانية أدلوا بمقتضى ذلك الكتاب فلم يجبههم إليه ودعا بشرط آخر فلما غلب المثني على البلاد كفروا فيمن كفر وأعانوا واستخفوا وأضاعوا الكتاب فلما افتتحها سعد أدلوا بذلك فسألهم واحدا من الشرطين فلم يجيبوا به فوضع عليهم وتحوى ما يرى أنهم يطبقون فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الخرزة وهو رسم كان عليهم لكسرى في كل سنة أربعة دراهم على كل رأس وفيما حكاها ابن الكلبي من حديث الحيرة أن الذي خرج منهم إلى خالد هو عبد المسيح بن عمرو بن بقبيلة وهانيء بن قبيصة الطائي مع من خرج إليه من أشرافهم وأن خالدا سأل عبد المسيح فذكر نحوه مما تقدم عن عمرو بن عبد المسيح إلى أن قال له ويحك تعقل قال نعم وأفيد قال خالد وأنا أسألك قال عبد المسيح وأنا أجيبك قال قال أسلم أنت أم حرب قال بل سلم قال فما هذه الحصون التي أرى قال بنيناها للسففيه تمنعه حتى يأتي الخليم فينهاه ثم ذكر من مصالحته إياهم على الجزية نحوه مما تقدم

قال فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق ثم نزل على بانقيا فصالحهم بصهير بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان وكتب لهم كتابا

وعن ابن اسحاق أن اول شيء صالح عليه خالد حين سار يريد العراق قريات من السواد يقال لها بانقيا وباروسما وأليس نزل عليها خالد فصالحه عليها ابن صلوبا فقبل منهم خالد الجزية وكتب لهم كتابا قال ثم أقبل خالد بمن معه حتى نزل الحيرة فجعل ابن إسحاق شأن تلك القريات مقدا على أمر الحيرة والأكثرين يقولون إنما كانت بعدها وإن أهلها وسائر دهاقين الملطاطين إنما كانوا يتربصون وينظرون ما يصنع أهل الحيرة فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد على الصلح طلب جميعهم الصلح وسمحوا بالجزية واكتبوا بها من خالد كتابا وبين الرواة خلاف كثير في أسماء الرجال والأماكن ومقادير الجزاء فرأيت اختصار ذلك أولى

وعن الشعبي في حديث كرامة بنت عبد المسيح لم اشتد على قومها دفعها إلى شويل وأعظم الخطر قالت لهم لا
تخطروه ولكن اصبروا ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة إنما هذا رجل أحق رأني في شيبتي فظن أن الشباب
يدوم فدفعوها إلى خالد فدفعها خالد إليه فقالت ما أربك إلى عجوز كما قد ترى فأدني قال لا إلا على حكمي
قالت فلك حكمك مرسلا فقال لست لأم شويل إن نقصتك من ألف درهم فاستكثرت ذلك لتخذه ثم أتته بها
فرجعت إلى أهلها فسماع الناس بذلك فعنفوه فقال ما كنت أرى أن عددا يزيد على ألف وخاصمهم إلى خالد
وقال كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف فقال خالد أردت أمرا وأراد الله غيره وتأخذ بما
ظهر وندعك ونيك كاذبا كنت أو صادقا

ومما يروى من شعر ابن ببيعة

أبعد المنذرين أرى سواما

تروح بالخورنق والسدير

وبعد فوارس النعمان أرعى قلو صا بين مرة والحفير

فصرنا بعد ملك أبي قيس كجرب المعز في اليوم المطير

تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور

وكنا لا يرام لنا حريم فنحن كضرة الضرع الفجور

نودي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير

كذاك الدهر دولته سجال فيوم في مساءة أو سرور

الوافر

وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة وأخرى بأثباح النجاف الكوانف

فنحن وطننا بالكواظم هرما

وبالثنى قرني قارن بالجوارف

ويوم أحطنا بالقصور تتابعت

على الحيرة الروحاء إحدى المصارف

حططناهم منها وقد كاد عرشهم

يميل به فعل الجبان المخالف

مننا عليهم بالقبول وقد رأوا

عيون المنايا حول تلك الخارف

صيحة قالوا نحن قوم تنزلوا

إلى الريف من أرض العريب النفاف

الطويل

وقال أخوه عاصم بن عمرو في ذلك

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا

ورجلا فوق أثباح الركاب

حصرنا في نواحيها قصورا
مشرفة كأضراس الكلاب
فبادوا بالعريب ولم يحاموا
فقلنا دونكم فعل العراب
فقالوا بل تؤدي الخرج حتى
تزل الراسيات من الضراب
صدفنا عنهم لما اتقونا
وأبنا حيث أبنا بالنهاب
الوافر

وبعث خالد بن الوليد عماله ومساحله لجاية الخراج وحماية البلاد وأمر أمراءه على الثغور بالغاارة والإلحاح فنزلوا
على السيب في عرض سلطانه وهناك كانت الثغور في زمانه فمهلوا له ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة وليس لأهل
فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر وليس لأحدهم ذمة إلا اللذين كاتبوا خالدوا واكتتبوا منه وسائر أهل السواد جلاء
ومتحصنون ومحاربون وجني الخراج إلى خالد في خمسين ليلة وكان الذين ضمنوه وهم رعوس الرساتيق رهنا في يديه
فأعطى ذلك كله المسلمين فقبوا به على أمرهم
وقال أبو مفرز الأسود بن قطبة فيما فتح بعد الحيرة
ألا أبلغا عنا الخليفة أنا

غلبنا على نصف السواد الأكاسرا

غلبنا على ماء الفرات وأرضه عشية حزنا بالسيوف الأكابرا
فدرت علينا جزية القوم بعدما ضربناهم ضرب يقط البواترا
الطويل

ولما غلب خالد على أحد جانبي السواد دعا برجلين أحدهما حيري والآخر نبطي وكتب معهما كتابين إلى أهل
فارس أحدهما إلى الخاصة والآخر إلى العامة وهذا أحدهما

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس أما بعد فالحمد لله الذي حك نظامكم ووهن كيدكم
وفرق كلمتكم ولو لم يفعل ذلك بكم لكان شرا لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجركم إلى غيركم وإلا
كان ذلك على غلب وأنتم كارهون على أيدي قوم يجبون الموت كحبيكم الحياة
والكتاب الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس أما بعد فالحمد لله الذي فض حرمتكم وفرق كلمتكم
وفل حدكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا وإلا فاعتقلوا مني الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جتتكم بقوم يجبون
المت كما تحبون الحياة

ودعا خالد الرجل الحيري فقال له ما اسمك قال مرة قال خذ الكتاب لأحد الكتابين فأت به أهل فارس لعل الله يمر
عليهم عيشهم أو يسلموا وينبوا وقال للنبطي ما اسمك قال هز قيل قال خذ الكتاب اللهم ازهق نفوسهم
وكان أهل فارس إذ ذاك لموت أردشير مختلفين في الملك مجتمعين على قتال خالد متساندين إلا أنهم قد أنزلوا بهم
جاذويه ببهر سير ومعه الآزاديه في أشباه له

ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كسرى فولى الفرخزاد ابن البنلوان إلى ان يجتمع آل كسرى على رجل إن وجوه وأقام خالد في عمله سنة ومنزله الحيرة يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام وأهل فارس يخلعون ويملكون ليس إلا للدفع عن بهر سير وكان شيري بن كسرى قد قتل كل من يناسب إلى كسرى بن قباذ ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه وقتلوا كل من بين كسرى قباذ وبين بهرام جور فبقوا لا يقدررون على من يملكونه ممن يجتمعون عليه

وعن الشعبي قال أقام خالد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثر من سنة يعالج عمل عياض الذي سمي له فقال خالد للمسلمين لولا ما عهد إلي الخليفة ما كان دون فتح فارس شيء وكان عهد إليه وإلى عياض إذ وجههما أن يستبقا إلى الحيرة فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه وقال فإذا اجتمعتما بالحيرة وفضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم

فليكن أحدكما رداء للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن حسب ما تقدم من كتاب أبي بكر إليهما بذلك قبل هذا فكان خالد لا يستطيع أن يفارق مكانه للاقتحام على فارس ولا لإغاثة عياض وكان بدومة قد شجى وأشجى لأجل ما عهد إليه أبو بكر أن لا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر والفراض آخر ثم إن خالد لما استقام له ما بين القلاييج إلى أسفل السواد فرق سواد الحيرة على رجال ممن كان معه وفعل في سواد الأبله مثل ذلك وأقر أمر المسالخ على ثغورهم واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه وإغاثة فسار حتى نزل بكر بلا وأقام عليها أياما وشكا إليه عبد الله بن وثيمة الذباب فقال له اصبر فإني إنما أريد أن أستفرغ المسالخ التي أمر بها عياض فتسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم وتجيئنا العرب آمنة وغير متعنتة وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجدة الأمة وقال رجل من أشجع في مثل ما شكاه ابن وثيمة النصري من أمر الذباب

لقد حبست بكر بلاء مطيبي

وبالعين حتى عاد غنا سمينها

إذا رحلت من منزل رجعت له

لعمر أيها إنني لا أهينها

ويمنعها من ماء كل شريعة

رفاق من الذبان زرق عيوئها

الطويل

حديث الأنبار وهي ذات العيون

وخرج خالد في تعبته التي خرج فيها من الحيرة على مقدمته الأقرع بن حابس فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه إلى الأنبار نتج قوم من المسلمين إبلهم فلم يستطيعوا العرجة ولم يجلوأ بدا من الإقدام ومعهم بنات فخاض تبعهم فلما نودي بالرحيل صرخوا الأمهات واحتقبوا المنتوجات لأنهما لم تنطق السير فانتهوا ركبانا إلى الأنبار وقد تحصن أهلها وخذقوا عليهم فأشرفوا من حصنهم وعلى الجنود التي قبلهم شيرزاد صاحب ساباط وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده فتصايح عرب الأنبار وقالوا صبح الأنبار شر جهل يحمل جميلة وجهل تربه عوذ فقال شيرزاد وقد سأل

عن ما يقولون فأخبر به أما هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم والله لن لم يكن خالد مجتازا للأصالحنه فبينما هم كذلك قدم خالد على المقدمة فأطاف بالخندق وأنشب القتال وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به وتقدم إلى رماته فأوصاهم

وقال إني أرى أقواما لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا توحوا غيرها فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا ففقت ألف عين يومئذ فسميت تلك الوقعة ذات العيون وتصايح القوم ذهبت عيون أهل الأنبار فراسل شيرزاد خالدا في الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسله وأتى خالد أضيح مكان في الخندق فنحز رذايا الجيش ثم رمى بها فيه فأفعمه ثم اقتحموا الخندق والرذايا جسورهم فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق وأرز القوم إلى حصنهم وراسل شيرزاد في الصلح على مراد خالد فقبل منه خالد على أن يخيله ويلحقه بمأمنه في جريدة خيل ليس معهم من المتاع والمال شيء فخرج شيرزاد فلما قدم على بمن جاذويه وأخبره الخبر لأمه فقال له شيرزاد إني كنت في قوم ليست لهم عقول وأصلهم من العرب فسمعهم مقلمهم علينا يقضون على أنفسهم وقلما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم ثم قاتلهم الجند ففقتوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين فعرفت أن المسألة أسلم وأن قرة العين لهم وأن العيون لا تقر منهم بشيء

ولما اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون وامن أهل الأنبار وظهروا رأيهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها فسألهم ما أنتم فقالوا قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب كانت أوائلهم أيام مختصر حين أباح العرب فلم نزل عنها فقال ممن تعلمتم الكتابة فقالوا تعلمنا الخط من إياد وأنشوا قول الشاعر

قوم إياد لو أنهم أمم

أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا

ساروا جميعا والخط والقلم

المنسرح

فصالح خالد من حولهم وبدأ بأهل البوازيج فبعث إليه أهل كلواذة ليعقد لهم وكاتبهم فكانوا عيبته من وراء دجلة ثم أن الأنبار وما حولها نفضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدول ما خلا أهل البوازيج فإنهم ثبوا كما ثبت أهل باقيا

حديث عين التمر

ولما فرغ خالد من الأنبار واستحكمت له استخلف عليها الزبرقان بن بدر وقصد لعين التمر وبها يومئذ مهران بن سوسن في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد ومن لا قاهم فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا قال صدقت لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم فخدعه واتقى به وقال دونكموهم وإن احتجتم إلينا جنناكم فلما مضى عقة نحو خالد قالت الأعاجم لمهران ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب فقال دعوني فإني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشر له إنه قد جاءكم من قتل ملوكم وفل حدكم ما اتقيته بهم فإن كانت لهم على خالد فهي لكم وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهتوا فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم ضعفاء فاعترفوا له بفضل الرأي فلزم مهران العين ونزل عقة لخالد على الطريق وبينه وبين مهران روحة أو غدوة فقدم عليه خالد وهو في تعبنة جنده فعبا خالد جنده وقال

لجنتيه اكنونا ما عندكم فإني حامل ووكل بنفسه حوامي ثم حمل وعقة يقيم صفوفه فاحتضنه فأخذه أسيرا وانهمز صفه من غير قتال فأتبعهم

المسلمون وأكثروا فيهم القتل والأسر ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن فلما انتهى فلان عقة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به وأقبل خالد في الناس حتى نزل عليه ومعه عقة أسيرا وعمرو بن الصعق وهم يرون أن يكون خالد كمن كان يغير عليهم من العرب فلما رأوه يحاولهم سأله الأمان فأبى إلا حكمه فسكنوا إليه فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين أسارى وأمر بعقة فضربت عنقه ليؤس الأسرى من الحياة فلما رأوه مطروحا على الجسر يتسوا ثم دعا بعمر بن الصعق فضربت عنقه وضرب أعناق أهل الحصن أجمعين وسبي كل من حوى حصنهم وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقال ما انتم قالوا رهن فقسمهم في أهل البلاء فمن أولئك الغلمان أبو زياد مولى تقيف وحران مولى عثمان ونصير أبو موسى بن نصير وسيرين والد محمد بن سيرين وأبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر

وقال عاصم بن عمرو في ذلك يعير عقه

ألا أبلغا الوركاء أن عميدها

رهينة جيش من جيوش الزعافر

فبهلا لمن غرت كفالة عتقه

بني عامر أخرى الليالي الغواير

أتيح له ضرغامة لا يفله

قراع الكماة والليوث المساعر

أتيحت له نار تسيح وتلوي

وترمي بأمثال النجوم العناهر

الطويل

حديث دومة الجندل وما بعدها من الأيام بحصيد والخنفس ومصيخ والبشر والقراض

قالوا ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد إلى أبي بكر رضي الله عنه بما بعته به إليه من الأحماس وجهه أبو بكر إلى

عياض وأمد به فقدم عليه الوليد وهو يحاصر أهل دومة وهم محاصروه وقد أخذوا عليه الطريق فقال له الوليد

الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ابعث إلى خالد واستمده ففعل فقدم رسوله على خالد غب وقعة العين

مستغيثا فعجل به خالد إلى عياض وكتب إليه معه إياك أريد

لبث قليلا تأنك الجلائب

يحملن آسادا عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب

رجز

ولما فرغ خالد من عين التمر خلف فيها عويمر بن الكاهل الأسلمي وخرج في تعبته التي دخل فيها العين يريد

عياضا ولما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتوخ والضجاعم وقبل ما

أنتهم منهم طوائف فيهم وديعة الكلبي وابن الأيهم التتوخي وابن الحدرجان فأشجوا عياضا وأشجوا به فلما بلغهم

دنو خالد وهم رئيسين أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة اختلفوا فقال أكيدر أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أمين طائرا منه ولا أحد في حرب ولا يرى وجه خالد قوم قلوبا أو كثروا إلا انهزموا عنه فأطبعوني وصالحوا القوم فأبوا عليه فقال لن أمانتكم على حرب خالد فشأنكم

فخرج لطيبته وبلغ ذلك خالدا فبعث عاصم بن عمرو معاضا له فأخذه وقال إنما تلقيت الأمير خالدا فلما أتى به خالدا أمر به فضربت عنقه وأخذ ما كان معه من شيء ومضى خالد حتى ينزل على أهل دومة وعليهم الجودي ابن ربيعة فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن فلما اطمأن خالد خرج الجودي فنهض بوديعة فرحفا لخالد وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض فاقتتلوا فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد وهزم عياض من يليه وركبهم المسلمون فأما خالد فإنه أخذ الجودي أحذا وأخذ الأقرع بن حابس وديعة وأرز بقية الناس إلى الحصن فلم يحملهم فلما امتلأ الحصن أغلق من في الحصن الحصن دون أصحابهم فبقوا حوله وقال عاصم ابن عمرو يا بني تميم حلفاؤكم كلب آسوهوم وأجبروهم فإنكم لا تقدرتون لهم على مثلها ففعلوا وكان سبب نجاحهم يومئذ وصية عاصم بهم وأقبل خالد إلى الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن ودعا بالجودي فضرب عنقه وضرب أعناق الأسرى إلا أسير كلب فإن عاصما والأقرع وبني تميم قالوا قد أمناهم فأطلقهم لهم خالد وقال مالي ولكم أتخوون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام فقال له عاصم لا تحسدكم العافية ولا تحزهم الشيطان ثم أطاف خالد بباب الحصن فلم يزل عنه حتى اقتلعه واقتحموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسوا الشرخ فأقاموهم فيمن يزيد فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة بالجمال ثم أن خالدا رد الأقرع إلى الأنبار وثبت بدومة قليلا ثم ارتحل منها إلى الحيرة فلما كان قريبا منها حيث يصبحها

أخذ القعقاع أهلها بالتغليس فخرجوا يتلقونه وهم مغلسون وجعل بعضهم يقول لبعض مروا بنا فهذا فرج الشر

قالوا وقد كان خالد عندما أقام بدومة كاتب عرب الجزيرة الأعاجم غضبا لعقبة فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزبه يريدان الأنبار واطعدا حصيدا والخنافس فكتب بذلك الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة فبعث القعقاع أبا ليلى بن فدكي السعدي وأمره بحصيد وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس وقال لهما إن رأيتما مقدما فاقدا فخرجوا فحالا بينهما وبين الريف وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين اجتمع من كاتبيهما من ربيعة وقد كانوا تكاتبوا واتعدوا فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن كره خلاف أبي بكر وأن يتعلق عليه بشيء فبعث القعقاع وابن عمرو وأبا ليلى بن فدكي إلى روزبه وزرمهر فسبقاه إلى عين التمر وقدم على خالد كتاب امرىء القيس الكلبي أن الهديل بن عمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالشئ في عسكر غضبا لعقبة يريدان زرمهر وروزبه فخرج خالد وعلى مقدمته الأقرع بن حابس واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ خالد طريق القعقاع وأبي ليلى حتى قدم عليهما بالعين فبعث القعقاع إلى حصيد وأمره على الناس وبعث أبا ليلى إلى الخنافس وأمره على الناس وقال زجياهم ليجتمعوا ومن استشارهم وإلا فواقعاهم فأبى روزبه وزرمهر إلا المقام فلما رأهما القعقاع لا ايتحركان سار نحو حصيد وعلى من به من العرب والعجم روزبه ولما رأى روزبه أن القعقاع قد قصد له استمد زرمهر فأمده بنفسه واستخلف على عسكره المهودان فالتقوا حينئذ فاقتتلوا فقتل الله العجم مقتلة عظيمة وقتل القعقاع زرمهر وقتل أيضا روزبه قتله عصمة

ابن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف من بني ضبة وكان عصمة من البررة وكل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة فكان المسلمون خيرة بررة وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة وأرز فلان حصي إلى الخنافس فاجتمعوا بها

وقال القعقاع في ذلك اليوم
ألم بينه عنا غي فارس أنا
منعناهم من ريفهم بالصوارم
وأنا أناس قد تعود خيلنا
لقاء الأعادي بالحتوف القواصم
وروزا قتلنا حيث أرهف حده
وكل رئيس زاريا بالعظائم
تركنا حصيدا لأنيس بجوه
وقد شقيت أربابه بالأعاجم
وإني لراج أن تلاقى جموعهم
غديا باحدى المنكرات الصوادم
ألا أبلغا أسماء أن خليلها
قضى وطرا من روزمهر الأعاجم
الطويل

وسار أبو ليلى ابن فدكي بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس وبها المهبودان فلما أحسن بهم هرب هو ومن معه إلى المصيخ وبه الهذيل بن عمران فلما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع وأبي ليلى وعروة وواعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها على المصيخ وهو بين حوران والقلت وخرج خالد من العين قاصدا للمصيخ على الإبل يجنب الخيل فلما كان في تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا معه بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه ومن أوي إليهم وهم نائمون أتوهم بالغارة من ثلاثة أوجه فقتلواهم وامتأل القضاء قتلى فما شبهوا إلا غنما مصرعة وأفلت الهذيل في أناس قليل وقد كان حرقوص بن النعمان بن النمر ابن قاسط محضهم النصح وأجاد الرأي فلم ينتفعوا بتحذيره وذلك أن حرقوصا قال قبل الغارة

ألا فاسقياني قبل خيل أبي بكر
لعل منا يانا قريب ولاندرى
ألا فاسقياني في بالزجاج وكررا
علينا كميت اللون صافية تجري
أظن خيول المسلمين وخالدا
ستطرفكم عند الصباح إلى البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم
وقبل خروج المعصرات من الخلد
أريني سلاحي يا أميمة إنني

أخاف بيات القوم مطلع الفجر الطويل

وكان حرقوص معرسا بامرأة من بني هلال تدعى أم تغلب فقتلت تلك الليلة وقد تقدم من حديث عدي بن حاتم فيما مضى من هذا الكتاب قال أغرنا على المصيخ وإذا رجل يدعى حرقوص بن النعمان بن النمر وإذا حوله بنوه وامراته وبينهم جفنة من خمر وهم عليها عكوف فقال اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها خالد بالعين وجنوده بحصيد وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر

بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر

وقبل منا يانا المصيبة بالقدر

لحين لعمرى لا يزيد ولا يحرى

الطويل

فسبق إليه وهو في ذلك بعض الخيل فضرب رأسه فإذا هو في جفنته
وأخذنا بناته وقتلنا بنيه

وأصاب جرير بن عبد الله بالمصيخ عبد العزى بن أبي رهم من النمر وإنما حضر جرير مما كان بالعراق ما كان بعد الحيرة وذلك أنه كان ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام فاستأذن جرير في القدوم على أبي بكر ليكلمه في قومه بجيلة وكانوا أوزاعا في العرب ليجمعهم ويتخلصهم فأذن له فقدم على أبي بكر فذكر له عدة من النبي {صلى الله عليه وسلم} وأتاه عليها بشهود وسأله إنجازها فغضب أبو بكر وقال ترى شغلنا وما نحن فيه من بعوث المسلمين لمن يباينهم من الأشددين فارس والروم ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عني عما هو أرضى الله ولرسوله دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين فسار جرير حتى قدم على خالد وهو بالحيرة فشهد معه ما كان بعدها من الأيام وأصاب يوم المصيخ كما ذكرنا عبد العزى بن أبي رهم وكان معه ومع رجل آخر من قومه يقال له لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر رضي الله عنه بإسلامهما وسمي عبد العزى عبد الله وبلغ أبا بكر مع ذلك أن عبد العزى قال ليلة الغارة

وأقول إذا طرق الصباح بغارة

سبحانك اللهم رب محمد

سبحان ربي لا إله غيره رب العباد ورب من يتودد

الكامل

فوداه أبو بكر لما بلغه هذا وودى لبيدا وقال أما إن ذلك ليس علي إذ نازلا أهل حرب وأوصى بأولادهما

وكان عمر رضي الله عنه يعبد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك بن نويرة فيقول أبو بكر رضي الله عنه كذلك يلتقى من ساكن أهل الحرب

وقد كان ربيعة بن بجير التغلبي نزل الثني والبشر غضبا لعقبة وواعد لذلك روزبه وزمهر والهذيل قبل أن يصيبهم ما

أصابهم بالمصيخ فلما أصاب خالد أهل المصيخ بما أصابهم به تقدم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى بأن يرتحلا أمامه

وواعدهما ليلة ليفترقا فيها للغارة على ربيعة ومن معه من ثلاثة أوجه كما فعل بأهل المصيخ ثم خرج خالد من

المسيح فنزل حوران ثم الرق ثم الحماة ثم الزميل وهو البشر والثني معه وهما شرقي الرصافة فبدأ بالثني واجتمع هو وأصحابه فبيت من ثلاثة أوجه ربيعة بن بجير ومن اجتمع له وإليه ومن ناشب لذلك من الشبان فجرد خالد فيهم السيوف بياتا فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر واستبقى الشيوخ وبعث بخمس الله عز وجل إلى أبي بكر رضي الله عنه مع النعمان بن عوف الشيباني وقسم النهب والسبايا فاشترى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ذلك السي ابنة ربيعة التغلبي فاتخذها فولدت له عمر ورقية

وقال أبو مقرر في ذلك

لعمري بني بجير حيث صاروا

ومن آذاهم يوم الثني

لقد لاقى سراقهم فضاحا

وفينا بالنساء على المطي

الوافر

وكان الهذيل حيث نجا من المسيح أوى إلى الزميل إلى عتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم خالد بمنلها غارة شعواء من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة وكانت على خالد يمين ليبيعت تغلب في دارها فقتل فيهم مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها وأصابوا منهم ما شاءوا وقسم خالد في الناس فينتهم وبعث الأحماس إلى أبي بكر رضي الله عنه مع الصباح بن فلان المزني ثم عطف خالد من البشر إلى الرضاب وبها هلال بن عقة وقد أرفض عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد فانقشع عنها هلال ولم يلق كيدا ثم قصد خالد بعدها إلى الفراض والقراض تخوم الشام والعراق والجزيرة فأفطر فيها في رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها هذه الغزوات والأيام ونظمن نظما إلى ما كان قبل ذلك منه

قالوا ولما اجتمع المسلمون بالقراض حميت الروم واغتاضت واستعانوا ب من يليهم من مسالح أهل فارس وقد حموا واغتاضوا واستمدوا تغلب وإياد والنمر فأمدوهم بأجمعهم واجتمعوا كلهم على كلمة واحدة ثم ناهدوا خالدا حتى إذا صار الفرات بينه وبينهم قالوا إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم قال خالد اعبروا إلينا قالوا ففتحوا حتى نعبر قال خالد لا نفعل ولكن أعبروا أسفل منا فقاتلت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم هذا رجل يقاتل عن دين وله عقل وعلم ووالله لينصرون ولنخذلن ثم لم ينتفعوا بذلك فعبروا أسفل من خالد فلما تناهوا قالت الروم امتازوا حتى يعرف اليوم ما كان من حسن أو قبح من أينما يجيء ففعلوا ثم اقتتلوا قتالا شديدا طويلا ثم هزمهم الله تعالى

وقال خالد للمسلمين أخوا عليهم فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برماح أصحابه فإذا جمعوهم قتلوهم فقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب

مائة ألف وأقام خالد على الفراض بعد الواقعة عشرا ثم أذن في القفل إلى الحيرة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم

وأظهر خالد أنه في الساقية وخرج من الفراض حاجا لخمس بقين من ذي القعدة مكتنبا بحجه ومعه عدة ومن أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت فقضى حجه ثم أتى الحيرة فوافاه بها كتاب أبي بكر رضي الله عنه يأمره فيه بالسير إلى الشام ويعاتبه على ما فعل إذ لم يعلم أبو بكر بحجته هذه إلا بعد انصرافه إلى الحيرة

وقد تقدم هذا كله فيما رسم قبل من فتوح الشام مستوفى في بيانه وكيف كان مسيره إلى الشام وتركه المثنى بن حارثة بعده على العراق ومشاطرته إياه في الناس كل ذلك بأمر أبي بكر رضي الله عنه حسب ما تقدم ذكره حديث المثنى بعد خالد

ولما انفصل خالد رحمه الله إلى الشام شيعه المثنى إلى قراقر ورجع من تشييعه إلى الحيرة فأقام بها في سلطانه ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه وسد أماكن كل من خرج مع خالد من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء ووضع مذعور بن عدي في بعض تلك الأماكن

واستقام أهل فارس على رأس سنة من مقدم خالد على الحيرة بعد خروجه إلى الشام بقليل وذلك سنة ثلاث عشرة على شهربراز بن اردشير بن شهريار ممن يناسب إلى كسرى ثم إلى سابور فوجه إلى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه في عشرة آلاف ومعه فيل وكتب المسالخ إلى المثنى بإقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم إليه أصحاب المسالخ وجعل على مجنبيه أخويه المعنى ومسعودا وأقام له ببابل وأقبل هرمز جاذويه وقد كتب شهربراز إلى المثنى بن حارثة

من شهربراز إلى المثنى إني قد بعثت إليك جندا من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم فكتب إليه المثنى

من المثنى إلى شهربراز إنما أنت أحد رجلين إما صادق فذلك شر لك وخير لنا وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم فالحمد لله الذي رد كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير

فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا إنما أتى شهربراز من شؤم مولده ولؤم منشئه وكان يسكن ميسان وأن بعض البلدان شين على من يسكنه وقالوا له جرأت عدونا بالذي كتبت إليهم فإذا كتبت أحدا فاستشر ثم التقوا ببابل فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديدا

ثم إن المثنى وفرسان من المسلمين اعتمدوا الفيل وكان يفرق بين الصفوف والكراديس فأصابوا مقتله فقتلوه وهزموا أهل فارس وأتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا به مسالحهم فأقاموا فيها وتبع الطلب الفالة حتى انتهوا إلى المدائن ومات شهربراز منهزم هرمز جاذويه واختلف أهل فارس وبقي مادون دجلة وبرز من السواد في يد المثنى وأيدي المسلمين

ثم أن أهل فارس اجتمعوا بعد شهربراز على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت وملك سابور بن شهربراز وقام بأمره الفرخزاد بن البنلوان فقتلا جميعا وملكت آزر ميدخت وتشاغلوا بذلك وأبطأ خبر أبي بكر رضي الله عنه على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالخ سعيد بن مرة العجلي وخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ولكي يستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبته من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو وليخبره أنه لم يخلف أحدا أنشط إلى

قتال فارس وحرهما ومعونة المهاجرين منهم إذ كان أبو بكر رضي الله عنه قد منع من الاستعانة بهم رأسا وقال لأمرائه لاتستعينوا في حربكم بأحد ممن ارتد فإني لم أكن لأستصبر بجيش فيهم أحد ممن ارتد وبالجزء إن فعلت أن لا تنصروا

وقال عروة بن الزبير أمران يعرف بهما حال من شهد القنوح من ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه استعان في حربه بأحد ممن ارتد فقد كذب وذكر من قول أبي بكر في ذلك ما بدأنا به

قال ومن زعم أن عمر رضي الله عنه حين أذن لمن ارتد في الجهاد أمر أحدا منهم فقد كذب وإنما تألف من تألف بالإمارة منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه رجاء ما رجاه منهم عمر حين استعان بهم فمن قبلهم ابتدأت الفتنة وعلق عثمان رضي الله عنه عند الذي بدا منهم يتمثل بقول الأول
وكننت وعمرا كالمسمن كلبه
فخدشه أيا به وأظافره

الطويل

فقدم المثني بن حارثة المدينة وأبو بكر مريض مرضه الذي توفاه الله تعالى منه وذلك بعد مخرج خالد إلى الشام وقد تقدم ذكر وفاة أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما في أول موضع احتيج إلى ذكر ذلك فيه من فتح الشام وتوفي أبو بكر وأحد شقي السواد في سلطانه والجمهور من جند أهل العراق بالحريرة والمسالح بالسبب والغارات تنتهي بهم إلى شاطيء دجلة ودجلة حجاز بين العرب والعجم

فهذا حديث العراق في خلافة أبي بكر رضي الله عنه من مبتدئه إلى منتهاه
ذكر ما كان من خبر العراق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما كان من أمر المثني بن حارثة معه وذكر أبي عبيد بن مسعود على ما في ذلك كله من الاختلاف بين رواة الآثار

ذكر سيف عن شيوخه قالوا أول ما عمل به عمر رحمه الله أن ندب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبل صلاة الصبح من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ثم أصبح فباع الناس وعاد فدب الناس إلى فارس وتتابع الناس على البيعة ففزعوا في ثلاث كل يوم يندبهم فلا يتدب أحد وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم
قالوا فلما كان في اليوم الرابع عاد يتدب الناس إلى العراق فكان أول متدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد القاري حليف الأنصار وتتابع الناس

قال القاسم بن محمد وتكلم المثني بن حارثة فقال يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإننا قد تبيحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاظرناهم ولننا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بعدها وقام عمر رضي الله عنه في الناس وقال إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك أين المهاجرون عن موعود الله عز وجل سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب بأن يورثكموها فإنه قال ليظهره على الدين كله والله مظهر دينه ومعز ناصرهم ومولى أهله مواريث الأمم أين عباد الله الصالحون

فلما اجتمع ذلك البعث وكان أولهم كما تقدم أبو عبيد ثم ثني سعد بن عبيد أو سليط بن قيس قيل لعمر رحمه الله أمر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار فقال لا والله لا أفعل إن الله تعالى إنما رفعكم بسببكم وسرعتكم إلى العدو فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولو الرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب الدعاء لا والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدبا ثم دعا أبا عبيد ودعا سليطا وسعدا فقال لهما أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدرتكما بما إلى مالكما من القدمة فأمر أبا عبيد على الجيش وقال له اسمع من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} وأشركهم في الأمر ولا تحيين مسرعا حتى تتبين فإنما الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف ثم قال له إنه لم يعني أن أؤمر سليطا إلا تسرعه إلى الحرب وفي التسرع إليها إلا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لأمرته ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث

ويروى أن عمر انتخب من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل أمر عليهم أبا عبيد فقبل له استعمل من أصحاب

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال لاها الله ذا يا أصحاب النبي لا أندبكم فتبطنون وينتدب غيركم فأؤمركم عليهم إنما فضلتهم بتسرعكم فإن نكلتم فضلوكم وعجل عمر رضي الله عنه المثني وقال الرجاء حتى يقدم عليك أصحابك فخرج المثني وقدم الحيرة في عشر ولحقه أبو عبيد بعد شهر

وفي كتاب المدائني أن تحرك عمر لهذا البعث إنما كان بكتاب المثني إليه يستمده ويحرضه على أرض فارس فذكر باسناد له إلى جماعة من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الله لأخرن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ليعلما أن الله إنما ينصر دينه وليس ينصر اياهما فكتب إليه المثني وهو بالحيرة أنا بأرض فارس وقد عرفناهم وغازيناهم وغلبناهم على بعض ما في أيديهم ومعهم رجال من قومي لهم صلاح ونجدة وصدق بلاء عند الناس وجرأة على البلاد فإن رميتا بجماعة من قبلك رجوت أن يفتح الله عليهم قالوا ولم تكن لعمر رحمة الله همة حين قام بأمر المسلمين إلا الروم وفارس فلما أتاه كتاب المثني بن حارثة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وحثهم على الجهاد ورجبهم فيه وأنبأهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله وقال أنتم بين فتح عاجل وذخر آجل وقد أصبحتم بالحجاز بغير دار مقام وقد وعدكم الله كنوز كسرى وقيصر وأنزل على نبيه {صلى الله عليه وسلم} هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٢٨ الفتح) وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم (٣٣ التوبة) فأنهضوا لجهاد عدوكم من أهل فارس فإن لكم بها اخوانا ليسوا مثلكم في السابقة وقد لقوهم وقاتلوهم فاستعدوا للمسير إليهم رحمكم الله وأعدو لهم ما استطعتم من قوة (٦٠ الأنفال) ولا تركوا إلى الدنيا واستعينوا بالله واصبروا

فتناقل الناس حين ذكر فارس فقال عمر ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض (٣٨ التوبة) فقام أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة الثقفي فقال أنا أول من انتدب ثم قام سليط ابن قيس بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين أنا ثان ثم قام رهط من الأنصار فسمي

منهم نفرًا قال ثم تتابع الناس وكثروا وقالوا يا أمير المؤمنين أمر علينا رجلا فقال أوامر عليكم أول من انتدب فاستعمل عليهم أبا عبيد وقال لم يمنعني من استعمال سليط بن قيس وهو من أهل بدر إلا عجلة فيه فخشيت أن يلقي المسلمين ملقى يهلكون فيه وكان فيمن انتدب سعد بن عبيد القاري ففر يوم الجسر فكان بعد ذلك يقول إن الله اعتد علي بغرة في أرض فارس فعسى أن يعيد لي فيها كرة وفي حديث غير المدائني فكانت الوجوه تعرض عليه بعد ذلك فيأبي إلا العراق ويقول إن الله اعتد علي فيها بغرة وذكر نحو ما تقدم

واختلف ما ذكره سيف فيمن كان إليه أمر فارس عند قدوم أبي عبيد بحسب اختلاف أهل الأخبار عليه في ذلك فمما ذكره أن بوران بنت كسرى كانت كلما أختلف الناس بالمداين عدلا بينهم حتى يصطلحوا فلما قتل الفرخزاد وقدم رستم فقتل أرميدخت كانت بوران عدلا إلى أن استخرجوا يزدجرد قال فقدم أبو عبيد والعدل بوران وصاحب الحرب رستم

وذكر من طريق آخر أن بوران هي التي استحثت رستم في السير وكان على فرج خراسان لما قتل الفرخزاد فأقبل رستم في الناس حتى نزل المدائن لا يلقي جيشا لأرميدخت إلا هزمه واقتتلوا بالمداين فهزمهم سيواخش وهو قاتل

الفرخزاد وحصر أرزميدخت ثم افتتح المدائن فقتل سيخاوخش وفقاً عين أرزميدخت ونصب بوران فدعته إلى القيام بأمر فارس وشكت إليه تضعضهم وإدبار أمرهم على أن تملكه عشر حجج ثم يكون الملك في آل كسرى إن وجلوا من غلمانهم أحداً وإلا ففي نساءهم فقال رستم أما أنا فسامع مطيع غير طالب عوضاً ولا ثواباً فإن شرفتموني وصنعتم إلي شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم إنما أنا سهمكم وطوع أيديكم فقالت بوران أعده علي فعدا عليها ودعت مرازية فارس فكتبت له بأنك على حرب فارس ليس عليك إلا الله عن رضا منا وتسليم لحكمك وحكمك جاتز فيهم ما كان حكمك في منع أرضهم وجمعهم عن فرقتهم وتوجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا ودانت له فارس بعد قدوم أبي عبيد

فهذا ما ذكره سيف في شأن مملكة فارس إذ ذاك

قال وكتب رستم إلى دهاقنة السواد أن يثروا بالمسلمين ودس إلى كل رستاق رجلاً ليثور بأهله فبعث جابان إلى البهقباد الأسفل وبعث نرسي إلى كسكر وبعث المصادمة إلى وبلغ ذلك فضم إليه مساحله وحذر وعجل جابان فنزل النمارق وتوالوا على الخروج فخرج نرسي فنزل زندورد وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله وخرج المثني بن حارثة في جماعة حتى ينزل خفان لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه فأقام حتى قدم عليه أبو عبيد وأما المدائني فلم يعرض لما عرض له سيف في شأن مملكة فارس بل بنى على أن يزدجرد هو كان الملك عليهم حينئذ فإنه قال بعقب ما نسب إليه قبل وبلغ يزدجرد أن ملك العرب يسير إليه فشاور أهل بيته ومرازبته فقالوا له وجه إلى أطرافك فحاصنها وأخرج من فيها من العرب فوجه جاليوس ورستم وليس بالادزي ومرادن شاه ونرسي ابن خال ابرويز وكل واحد في خمسة آلاف وأمرهم أن ينزلوا متفرقين ويكون بعضهم قريباً من بعض كل رجل في أصحابه ويمد بعضهم بعضاً إن احتاجوا إلى ذلك وأمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب فخرجوا والمثني بالحيرة فبلغه مسيرهم فخرج لينزل على البلاد فلقى على قنطرة النهريين خرزاذبه فقتله ومضى المثني فنزل من وراء أليس ونزل العجم متفرقين فنزل نرسي كسكر ونزل مردان شاه فيما بين سوار وقبين ونزل رستم ببابل ونزل جاليوس بارسمي ووجه جاليوس جابان في ألف إلى أليس ووجه أزاذه إلى الحيرة في ألف وفصل أبو عبيد بن مسعود من المدينة في ألف وثمانمائة من المهاجرين والأنصار وغيرهم فيهم من تقيف

أربعمائة معهم أبو محجن كان مع خالد بن الوليد بالشام فلما أتتهم وفاة أبي بكر رجع إلى المدينة فخرج مع أبي عبيد وانضم إلى أبي عبيد في الطريق مائة من بني أسد ومائتان من طيء ومائة من بني ذبيان بن بغيض ومائة من بني عيس معهم خمسة وعشرون فرساً وخرج المثني بن حارثة في ثلاثمائة وسبعين من بكر بن وائل وثلاثمائة من بني تميم حنظلة وعمرو وسعد والرباب فتلقي أبا عبيد ثم أقبل معه حتى نزل عسكره الذي كان فيه ووضع عيوناً على المسلحة التي بأليس فأتوه فأعلموه فأخبر أبا عبيد فقال له إن أذنت لي سرت إليهم فأذن له وضم إليه ابنه جبر ابن أبي عبيد وقال لابنه جبر لا تخالفه فسار المثني فصبح أليس وهم آمنون فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزموا فأصاب المسلمون سلاحاً ومتاعاً ليس بالكثير ورجع إلى أبو عبيد ونزل جابان فيما بين الحيرة والقادسية وكتب أبو عبيد إلى عمر رضي الله عنه بخبر أليس فسر المسلمون ونشطوا وخرج قوم من المدينة إلى أبي عبيد وتقدم أبو عبيد فلقى جابان فيما بين الحيرة والقادسية وجابان في ألفين معه أزاذه فلم يطل القتال بينهم حتى انهزم المشركون

وفيما ذكره سيف من الأحاديث أن أبا عبيد لما نزل خفان مع المثنى أقام بما أياما ليستجم أصحابه وقد اجتمع إلى جابان بشر كثير وخرج أبو عبيد بعلماء جم الناس وطهرهم وجعل المثنى على الخيل فنزلوا على جابان بالتمارق فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم الله أهل فارس وأسرو جابان أسره مطر بن فضة أحد بني تميم الله وأسرو مردان شاه أسره أكتل بن شماخ العكلي فأما أكتل فإنه ضرب عنق مردان شاه وذلك أنه سأله ما اسمك فيما ذكره المدائني فقال له مردان شاه قال وما مردان شاه قال ملك الرجال قال لاجرم والله لأقتلنك فقتله وأما مطر بن فضة فإن جابان خدعه وهو لا يعرفه وكان جابان شيخا كبيرا فقال لمطر إنكم معشر العرب أهل وفاء فهل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيين في عملك وكذا وكذا قال نعم قال فأدخلني على ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه فأدخله على أبي عبيد فتم له

على ذلك وأجاز ذلك أبو عبيد فعرفه ناس فقالوا لأبي عبيد هذا الملك جابان وهو الذي لقينا بهذا الجمع فقال أبو عبيد فما تأمروني أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا معاذ الله من ذلك وفي رواية إني أخاف الله إن قتلته وقد أمنه رجل من المسلمين في الذمة والتواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم لزم كلهم فقالوا إنه الملك قال وإن كان لا اعذر به فتركه وقال له اذهب حيث شئت وهرب أصحاب جابان حين أسرو إلي كسكر ونرسي بأسفلها وكانت كسكر قطعة له وكان الترسيان له يحميه لا يأكله بشر إلا ملك فارس أو من أكرموه فيه بشيء ولا يعرسه غيرهم فكان ذلك مذكورا من فعلهم في الناس وأن ثمرهم هذا حمي فقال رستم وبوران لنرسي اشخص إلى قطيعتيك فاحمها من عدوك وعدونا وكونن رجلا فلما انهزم الناس يوم التمارق ووجهت الغالة نحو نرسي ونرسي في عسكره نادى أبو عبيد بالرحيل وقال للمجردة اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي أو تبيدوهم فيما بين التمارق إلى بارق دورني

ومضى أبو عبيد حين ارتحل من التمارق حتى ينزل على نرسي بكسكر والمثنى في تعبته التي قاتل فيها جابان وقد أتى الخبر رستم وبوران بهزيمة جابان فبعثوا إليه الجالينوس وبلغ ذلك نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبر والزوايي فرجوا أن يلحق قبل الوقعة وعالجهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فاقتتلوا في صحار ملس هناك قتالا شديدا ثم إن الله عز وجل هزم فارس وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وأخذ أبو عبيد ما حوى معسكرهم وجمع الغنائم فرأى من الأطلعمة شيئا عظيما فبعث فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا لا يؤثرون فيه وأخذت خزائن نرسي فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالترسيان لأنه كان يحميه وبمائلته عليه ملوكهم فاقتسمه المسلمون فجعوا يطعمونه القلاحين

قال المدائني وسار أبو عبيد إلى الجالينوس فلقية باروسما فهزمه فلحق بالمداين وبلغ الذين كانوا ببابل هزيمة نرسي وجالينوس فرجعوا إلى المدائن ودخل أبو عبيد باروسما فصالحه ابن الأندرزعر عن كل رأس بأربعة دراهم وهيتوا له طعاما فأتوه به فقال لا أكل إلا ما يأكل مثله المسلمون فقالوا فكل أصحابك يأكل مثل ما تؤتون به فأكل فلما راح المسلمون سألهم عن طعامهم فأخبروه فإذا الذي أكلوا مثل طعامه

وفي بعض ما أورده سيف من الأخبار أن ابن الأندرزعر لما أعلم أبا عبيد بالطعام الذي صنعوا له وأتوا به قال لهم هل أكرمتم الجند بمثله وقريتموهم قالوا لا قال فردوه فلا حاجة لنا فيه بنس المرء أبو عبيد أن صحب قوما من بلادهم اهراقوا دماغهم دونه أولم يهريقوها فاستأثر عليهم بشيء يصيبه لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أو ساطهم

قال المدائني وبعث أبو عبيد من باروسما المثني بن حارثة إلى زلورد وعاصم بن عمرو الأسدي إلى فوجوير وعروة بن زيد الخيل إلى الزوابي فأما المثني فإن أهل زلورد حاربوه فظفر بهم فقتل وسبي وأما أهل الزوابي وفجر جوير فصالحوا على باروسما فبعث أبو عبيد بخمس ما أصاب من أليس وخفان وكسكر وزلورد وما صالح عليه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزل أبو عبيد والمسلمون الحيرة وذكر سيف أيضا أنهم بعثوا بخمس ما أصابوا من النرسيان إلى عمر رحمه الله وكتبوا إليه إن الله عز وجل أطعمنا مطاعم كانت

الأكاسرة يجمونها الناس فأحبينا أن تروها لتذكروا أنعم الله وأفضاله

وقال في ذلك عاصم بن عمرو

ضربنا هامة النرسيان بكسكر

عذاة لقيناهم بيض بواتر

وفزنا على الأيام والحرب لاقح

بجرد حسان أو برود غرائر

وظلت فلال النرسيان وقره

مباحا لمن بين الدبا والأصافر

أبنا حمى قوم وكان حماهم

حراما على من رامه بالعساكر

الطويل

وقال أيضا يذكر ملتقى القوم بالنمارق

لعمري وما عمري علي بهين

لقد صبحت بالخزي أهل النمارق

نحوسهم ما بين أليس غدوة

وبين قديس في طريق البرارق

بأيدي رجال هاجروا نحو رهم

يجوسوهم ما بين درتا وبارق

الطويل وبين الرواة فيما تقدم من الأخبار اختلاف في أسماء الأعاجم والأماكن وفي التقديم والتأخير لم أر لذكر أكثر ذلك وجهًا إلا ما كان منه زائدا في الإمتاع ومحسنا انتظام الحديث

ومما ذكروا أن عمر رضي الله عنه تقدم به إلى أبي عبيد حين بعثه في هذا الوجه وأوصاه بجده أن قال له إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية وتقدم على قوم جرءوا على الشر فعملوه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا يفشون لك سر فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيعه كان بمضيعة

حديث وقعة الجسر

ويقال لها وقعة القس قس الناطف ويقال لها المروحة

وقد جمعت الذي اوردت هنا من الحديث عن هذه الواقعة من احاديث متفرقة أوردها الخطيب أبو القاسم رحمه الله في كتابه عن سيف بن عمرو وغيره يزيد بعضها على بعض ومما وقع إلي أيضا عن أبي الحسن المدائني في فتوح العراق وحديثه أطول افضاضا وأشد اتصالا وقد جعلت هذه الأحاديث كلها على اختلافها حديثا واحدا إلا أن يعرض فيها ما يتناقض فإما أن أسقط حيثنأ أحد النقيضين بعد الإجتهد فيه وفي الذي أوثر إثباته منهما وإما أن أذكرهما معا وأبين ذلك وأنسبه إلى من وقع ذكره في حديثه

وكثيرا ما مضى عملي في هذا الكتاب على هذا النحو وعليه يستمر إن شاء الله قصدا للتهذيب وحرصا على الجمع بين الإمتاع والإيجاز بحول الله سبحانه

وأفتتح بما افتتح به المدائني هذه القصة للذي ذكرته من حسن اتصال حديثه

قال ولما فتح أبو عبيد ما فتح وهزم تلك الجنود ونزل الحيرة ورجعت المرازبة إلى يزدجرد منهزمين شتمهم وأقصاهم ودعا بهم من ذا الحاجب فعقد

له على اثني عشر ألفا وقال له قدم هؤلاء الذين انهزموا فإن انهزموا فاضرب اعناقهم ودفع إليه درفش كايان راية كانت لكسرى فكانوا يتيمينون بها وكانت من جلود النمرور عرضها ثمانية اذرع في طول اثني عشر ذراعا واعطاه سلاحا كثيرا وحمل معه من أداة القتال وآلة الحرب أوقارا من الإبل ودفع إليه الفيل الأبيض فخرج في عدة لم يرمثلها

وفي كتاب سيف أن رستم هو صاحب ذلك وأنه الذي رجع إليه الجالينوس ومن أقلت من جنده بناء على ما قدمنا من الإختلاف في ملك فارس إلى من كان حيثنأ قال فقال رستم إي العجم أشد على العرب فيما ترون قالوا بهم من جاذويه وهو ذو الحاجب فوجهه ومعه الفيلة ورد جالينوس معه وذكر بعض ما تقدم

وبلغ المسلمون مسيرهم فقال المثنى لأبي عبيد إنك لم تلق مثل هذا الجمع ولا مثل هذه العدة ولمثل ما أتوك به روعة لا تثبت لها القلوب فارتحل من منزلك هذا حتى نعب الفرات ونقطع الجسر وتصير الفرات بينك وبينهم فتراهم فإن عبروا إليك قاتلتهم واستعنت الله قال إني لأرى هذا وهنا ثم أخذ برأي المثنى فعبر الفرات ونزل المروحة وقطع الجسر وأقبل بهم من فنزل قس الناطف بينه وبين أبي عبيد الفرات وأرسل إلى أبي عبيد إما أن تعبر إلينا وإما أن نعبر إليك فقال أبو عبيد نعبر إليكم فقال المثنى أذكرك الله والإسلام أن تعبر إليهم فحلف ليعبرون إليهم ودعا ابن صلوبا فعقد له الجسر فقال سليط بن قيس الأنصاري يا أبا عبيد أذكرك الله ألا تركت للمسلمين محالا فإن العرب من شأنها أن تفر ثم تكرر فاقطع هذا الجسر وتحول عن منزلك وانزل ادنى منزل من البر وتكتب إلى أمير المؤمنين فتعلمه ما قد أجلبوا به علينا ونقيم فإذا كثر عدونا وجاء مددنا رجعنا إليهم وبنا قوة وأرجو أن يظهرنا الله عليهم قال

جئنا والله يا سليط قال والله إني لأشد منك بأسا

وأشجع منك قلبا ثم تقدم فعبر فقال المثنى لأبي عبيد والله ما جئنا ولكن أشار بالرأي وأنا أعلم بقتال هؤلاء منك لنن عبرت إليهم في ضيق هذا المطرد ليجزرن المسلمين هذا العدو وقال والله لأعبرن إليهم وكان رسول بهم من قد قال إن أهل فارس قد عبروهم يعني المسلمين بالجبن عن العبور إليهم فازداد أبو عبيد محكا فقال المثنى للناس اجعلوا جنبها بي ولا تعبروا فقالوا كيف نصنع وقد عبر أميرنا وسليط في الأنصار وعبر الناس فقال المثنى إني لأرى ما تصنعون ولولا أن خذلاكم يقبح ولا أراه يحل ما صحبتكم ثم عبر فالتقى الناس في موضع ضيق المطرد

قال وكانت دومة امرأة أبي عبيد رأت وهي بالطائف كأن رجلا نزل من السماء معه إناء فيه شراب فشرب منه أبو عبيد ورجال من أهل بيته يأتي ذكرهم فقصتها على أبي عبيد فقال هذه الشهادة إن شاء الله فلما التقوا قال أبو عبيد إن قتلت فأمركم عبد الله بن مسعود بن عمرو يعني أخاه فإن قتل فأمركم جبر بن أبي عبيد يعني ولده فن قتل فأمركم حبيب بن ربيعة بن عمرو بن عمير فإن قتل فأمركم أبو قيس بن حبيب وهؤلاء الإخوة الثلاثة بنو عمه حتى عد كل من شرب الإناء ثم قال فإن قتل فأمركم المثني بن حارثة وسير على ميمنته سليط بن قيس وعلى ميسرته المثني وقدم ذو الحجاب جاليتوس معه القيل الأبيض وراية كسرى وقد أطافت به حماة المشركين معلمين أمامهم رجال يمشون على العمد فكانت بين الناس مشاورة يخرج العشرة والعشرون فيقتتلون مليا في النهار ثم حمل المشركون على المسلمين فنضحوهم بالنبل وجنت رجايم فاستقبلوا بالرمح ولم يقدرُوا من المسلمين على شيء فانصرفوا عنهم ثم حملوا عليهم الثانية ففعلوا مثلها ثم انصرفوا وحملوا عليهم الثالثة فصبروا فلما رأوا أنهم لا يقدرُونَ على ما يريدون

من المسلمين جاءوا بالنشاب فوضعوه كأنه آكام وتفرقوا ثلاث فرق فقصدت فرقة لأبي عبيد في القلب وفرقة لسليط في الميمنة وفرقة للمثني في الميسرة ثم صاروا كراديس فجعل الكردوس يمر بهم معرضا بالمسلمين ويرميهم حتى كثرت الجراحات فيهم وعضلت الأرض بأهلها وأقبلت القبيلة عليها النخل والخيول عليها التجافيف والفرسان عليهم الشعر فلما نظرت إلى ذلك خيول المسلمين رأت شيئا منكرًا لم تكن ترى مثله فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم وإذا حملوا على المسلمين بالقبيلة والجلاجل فرقت بين كراديسهم لا تقوى لهم الخيل على نفار وخزقهم الفرس بالنشاب وعض المسلمين الألم وجعلوا لا يصلون إليهم فنادى سليط بن قيس يا أبا عبيد رأيي أم رأيك أما والله لتعلمن أنك قد أضرت برأيك نفسك والمسلمين ثم قال يا معشر المسلمين علام نستهدف هؤلاء المشركين من أراد الجنة فليحمل معي فحمل في جماعة أكثرهم من الأنصار فقتل وقتلوا وترجل أبو عبيد وترجل الناس ومشوا إليهم فتكفحوا وصافحوهم بالسيوف وحى البأس حتى كثرت القتلى من الطائفتين جميعا وجعلت القبيلة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم فنادى أبو عبيد احتوشوا القبيلة فقطعوا بطنها وأقبلوا عنها أهلها وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلًا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه وقال أبو عبيد ما لهذه الدابة من مقتل قالوا بلى مشفرها إن قطع فضر مشفره فقطعه وبرك عليه فاستدبره أبو محجن فضر عرقوبيه فاستدار وسقط جنبه وتعاور أبا عبيد المشركون فقتلوه وقيل بل اتقاه الفيل بيده لم تفح مشفره بالسيف

فأصابه بيده فوق فخبطه الفيل وقام عليه فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم وأخذ اللواء الذي كان أمره من بعده فقاتل القيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاجتره إلى المسلمين وأخذوا شلوه ثم تجرثم القيل فاتقاه الفيل بيده دأب أبي عبيد وخبطه الفيل وقام عليه وتتابع أمراء أبي عبيد الذين عهد إليهم بأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت وصبر الناس حتى قتلوا وصارت الراية إلى المثني بن حارثة فجاش بها ساعة ثم أهرم الناس وركبهم المشركون واقتطعوا زر بن خطم أو ابن حصن بن جوين الطائي في جماعة من المسلمين فنادى زري يا معشر المسلمين أنا زر إنه ليس بعار أن يقتل الرجل وهو مقبل على عدوه ومعه سيف يضرب به سباهم وأنفهم وإنما العار أن يقتل الرجل وهو غير مقبل على عدوه فاتبتوا قرب قوم قد فروا ثم كروا ففتح الله عليهم فتاب إليه ناس من أهل الحفاظ حتى صاروا نحوًا من ثلاثمائة وأحاط بهم المشركون حتى خافوا الهلاك ونظر إليهم المثني بن حارثة فقال لناس من بكر

بن وائل أرى إخوانكم قد أحسنوا القتال وصبروا لعدوهم فإن أمسكنم عنهم هلكوا وإن كررتم رجوت أن تفرجوا عنهم وأن يكشف الله لهم السبيل إلى الجسر فحمل على المشركين في سبعين من بكر بن وائل أصحاب خيل مقدحة كان يعدها للطلب والغارة في بلاد العدو فقاتلهم حتى ارتفع عنهم المشركون وانضموا إلى أخوانهم من المسلمين ونظر عروة بن زيد الخيل وقد أحيط به وهو في عشرين فرسا إلى خيل المسلمين تطارد المشركين فقال لمن معه أرى في المسلمين بقية فاحملوا على من بيننا وبين أصحابنا فحملوا وأفرجوا لهم حتى وصلوا إلى المسلمين وكان عروة يومئذ على فرس كمييت أغر ذنوب فأبلى أحسن بلاء وكان يشد عليه المنسر من مناسر العجم وهو وحده فإذا غشوه كر عليهم فيصدعون حتى عرف مكانه وتعجب الناس يومئذ من عروة لما رأوا من بلائه فقال المثنى إن البأس ليس بمستكر ومضى الناس

نحو الجسر وحمهم المثنى وعروة بن زيد الخيل والكلح الضبي وعاصم بن عمرو الأسدي وعامر بن الصلت السلمى ونادى المثنى أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هيتكم ولا تلهشوا فإننا لن نزل حتى نراكم من ذلك الجانب ولا تفرقوا أنفسكم فانتهى الناس إلى الجسر وقد سبق إليه عبد الله بن مرثد الثقفي أو غيره فقطعه وقال قاتلوا عن دينكم فخشع الناس واقحموا الفرات فغرق من لم يصبروا وأسرع المشركون فيمن صبروا وأتاهم المثنى بن حارثة فأمر بالسفينة التي قطعت فوصلت بالجسر وعبر الناس وقال المثنى للرجل الذي قطع الجسر ما حملك على ما صنعت قال أردت أن يصبر الناس ويقال إن سليط ابن قيس كان من آخر من قتل عند الجسر وأصيب يومئذ من المسلمين ألف وثمانمائة منهم ثلاثمائة من ثقيف فيهم ثمانون خاضبا واستحرق القتل يومئذ ببني عوف بن عقدة رهط أبي عبيد فابيد منهم أبو عبيد وأمرأوه الذين أمر وغيرهم ويقال قتل يومئذ معه اثنان وعشرون رجلا مما هاجر وقتل من المشركين ألفان

وقتل أكثر من ذلك فيما ذكره سيف قال خبط الفيل أبا عبيد وقد أسرعت السيوف في أهل فارس وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ولم يبق إلا الهزيمة فلما خبط أبو عبيد وقام عليه الفيل جال المسلمون جولة ثم تموا عليها وركبهم أهل فارس

وقال أبو عثمان النهدي هلك يومئذ يعني من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف ولما فرغ الناس بالعبور عبر المثنى وحمل جانبه واضطرب عسكره ورماهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم وقطع المسلمون الجسر بعد عبورهم فعبه المشركون

قالوا وخرج جابان ومردانشاه في ألف من الأساورة متخيين ليسبقوا

المسلمين إلى الطريق وبلغ ذلك المثنى فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج يريد هما في جريدة خيل فاعترضاه يظنانه هاربا فأخذهما أسيرين فضرب أعناقهما وقال أنتما كذبتما أميرنا واستفزتماه

وخرج أهل أليس على أصحابها فأخذوهم فجأوا بهم إلى المثنى فضرب أعناقهم وعقد بذلك لأهل أليس ذمة ثم رجع إلى عسكره

وقيل بل لقيهم المثنى فقتل مردانشاه في المعركة وأسر جابان فضرب المثنى رقبتة وقد تقدم في ذكر ملتقى أبي عبيد بجابان بين الحيرة والقادسية أن أكتل ابن شماس العكلي أسر مردانشاه ثم ضرب عنقه وأسر مطربن فضة جابان فخذعه وافتدي منه وأحد الأمرين هو الصحيح في قتل مردانشاه فالله أعلم

واهزم المشركون ومضى المثنى إلى أليس وتفرق بنو تميم إلى بواديهم ومضى أهل المدينة وأسد وغطفان فنزلوا

التعلبية وكان لعروة بن زيد الخيل من حسن الغناء في يوم الجسر ما تقدم ذكره فقال له المثني يا عروة أما والله لو أن معي مثلك ألف فارس من العرب ما تقيت أن أصبح ابن كسرى في مدائنه وما كنت أكره أن ألقى مثل هذا الجمع الذي فل المسلمين مصحرا ولرجوت أن يظفري الله بهم فهل لك في المقام معي لا أوتر عليك نفسي ولا أحدا من قومي قال لا إني كنت مع هذا الرجل يعني أبا عبيد وقد أصيب فارجع إلى عمر فيرى رأيه فلما نزل الناس التعلبية سألوا عروة أن يأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابهم فكتبوا إليه إنا لقينا عدو الإسلام من أهل فارس بمكان يقال له قس الناطف فقتل أميرنا أبو عبيد وأمراء أمرهم أبو عبيد وسليط ابن قيس ورجال من المسلمين منهم من تعرف ومنهم من تنكر وتولى أمر الناس المثني بن حارثة أخو بني شيبان فحماهم في فوارس جزاهم الله عن الإسلام خيرا فكتبنا إليك وقد نزلنا التعلبية فرارا من الزحف لا نرى إلا أنا قد هلكنا وقد بعثنا إليك فارس المسلمين عروة يخبرك عنا ويأتينا بأمرك فلما قرأ عمر الكتاب فأنتهى إلى قوله منهم من تعرف ومنهم من تنكر بكى وقال

ما ضر قوما عرفهم الله أن ينكرهم عمر لكن الله لا يخفى عليه من عباده الخسنون يا عروة ارجع إليهم فأعلمهم أنهم ليسوا بفرار وإنما الخازوا إلي وأنا لهم فئة وسيفتح الله عليهم تلك البلاد أن شاء الله يرحم الله أبا عبيد لو انحاز إلينا واعتصم بالحيف لكنا له فئة

وكتب عمر مع عروة إلى المثني بن حارثة أما بعد فإن الله كتب القتل على قوم فلم يكن مما تم ليكون إلا قتلا وكتب على قوم الموت فهم يموتون موتا فطوبى لمن قتل في سبيل الله محتسبا نفسه صابرا وقد بلغني عنك ما كت أحب أن تكون عليه فالزم مكانك الذي أنت به وادع من حولك من العرب ولا تعجل إلى قتال إلا أن تقابل أو ترى فرصة حتى تأتيتك أمداد المسلمين وكأن قد أتتك على الصعبة والذلول فقدم عروة بن زيد على المثني بكتاب عمر ورجع أهل الحجاز وأسد وغطفان إلى بلادهم وأقام المثني حتى قدمت الأمداد

ويقال إن أول خبر تحدث به عن أهل الجسر بالمدينة أن رجلا قدمها من الطائف فجلس إلى حذاء فقال مالي لا أسمع أهل المدينة بيبكون قتلاهم فقال له الحذاء ومن قتل قال قتل أبو عبيد بن مسعود وسليط بن قيس فأخذ الحذاء بتلابيبه حتى أتى به عمر فأخبره بما قال فقال له عمر ما تقول ويلك قال يا أمير المؤمنين إنا منذ ليال بفناء من أفنية الطائف إذ سمعنا أصوات نساء من ناحية باب شهر يقرن يا أبا عبيداه ويا سليطاه وسمعنا قاتلا يقول

إن بالجسر فتية سعداء

صبرا صادقين يوم اللقاء

كم تقي مجاهد كان فيهم

خاشع القلب مستجاب الدعاء

يجار الليل كله بعويل

ونحيب وزفرة وبكاء

الخفيف

قال فما انقضى حديثه حتى قدم عبد الله بن زيد الخطمي وكان أول من قدم بخبر الجسر ممن شهدته فمر بباب حجر عائشة ويقال أتى عمر وهو على المنبر فلما دخل المسجد ورآه عمر قال ما عندك يا ابن زيد قال أتاك الخبر يا أمير

المؤمنين ثم صعد إليه فأخبره فقالت عائشة ما رأينا رجلا حضر أمرا فحدث عنه كان أثبت حديثا من عبد الله بن زيد ولا أخفي فرعا

ولما قدم أهل المدينة المدينة وأخبروا عمن سار منهم إلى البادية استحياء من الهزيمة اشتد ذلك على عمر رحمه الله فرق للناس ورحمهم وقال اللهم إن كل مسلم في حل مني أنا فئة كل مسلم من لقي العدو ففطع بشيء من أمره فأنا له فئة يرحم الله أبا عبيد لو كان إنحاز إلي لكنت له فئة وكان معاذ القاريء ممن شهدها وفر يومئذ وكان يصلي بالناس في شهر رمضان على عهد عمر فكان بعد إذا قرأ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله (١٦ الأنفال) خنقته العبرة وبكى فكان عمر يقول أنا لكم فئة

وكان عمر رضي الله عنه قد رأى في النوم أن أبا عبيد وأصحابه انتهوا إلى ضرس من الخيرة فتحيروا ولم يجدوا مخرجا فرجعوا فلم يجدوا طريقا فرفعوا إلى السماء فقال عمر هذه شهادة فليت شعري ما فعل عدوهم فكان يتوقع الخبر حتى قدم عبد الله بن زيد الخطمي فأخبره فبكى وقال ما وجهت أحدا وجهها أكره إلي من الوجه الذي توجه إليه أبو عبيد

وقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عبيد يرثي أبا عبيد ومن أصيب معه وهو ابن عم أبي عبيد وأخو بني حبيب

الثلاثة المقتولين معه من أمرائه

(أني تهدت نحونا أم يوسف

ومن دون مسراها فياف مجاهل)

(إلى فتية بالطف نيلت سراهم وغري أفراس بما ورواحل)

(وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم إلى جانب الأبيات حزم ونابل)

وأضحى أبو جبر خلا ببيوته

بما كان تعلوه الضعاف الأرامل

الاقصد علت قلبي الهموم الشواغل

وراجعت النفس الأمور القواتل

سيعلم أهل الغي كيف عزيمتي

ويعلم ودادي الذين أواكل

غناي وأخذي بالذي أنا أهله

إذا نزلت بي العضلات العضائل

فما رمت حتى خرقتوا برماهم

ثيابي وجادت بالدماء الأباجل

وما رمت حتى كنت آخر راجع

وصرع حولي الصالحون الأمائل

وقد غادروني في مكر جيادهم

كأني غادتنني من الراح شامل

وأمسى على سيفي نزيق ومهرتي

لدى الفيل تدمى نحرها والشواكل
فما لت نفسي غير أنما
إلى أجل لم يأنها وهو عاجل

مررت على الأنصار وسط رحاهم
فقلت لهم هل منكم اليوم قافل
ألا لعن الله الذين يسرهم
رداي وما يدرون ما الله فاعل
الطويل

وقال أبو محجن أيضا
يا عين جوذي على جبر ووالده
إذا تحطمت الرايات والحلق
يوم بيوم أتى جبر وإخوته
والنفس نفسان منها الهول والشفق
يا خل سل المنايا ما تركن لنا
عزا نوء به ما هلهد الورق
البسيط

وقال حسان بن ثابت يرثي سليط بن قيس ومن أصيب من قومه
لقد عظمت فينا الرزية أنا
جلاد على ريب الحوادث والدهر
لدى الجسر يوم الجسر هفي عليهم
غداة إذا ما قد لقينا على الجسر
يقول رجال ما لحسان باكيا
وحق لي التبكاء بالنحب والغزر
أبعد أبي قيس سليط تلومني
سفاها أبي الأيتام في العسر واليسر
فقل للآلى أمسوا أسروا شماتة
به كنتم يوم التزال على بدر
الطويل

وقالت امرأة من ثقيف
أضححت منازل آل عمرو قفرة
بعد الجزيل ونائل مبذول
وكأنما كانوا لموقف ساعة
قردا زفته الريح كل سبيل

الكامل

حديث البويب ووقعة مهرا

ولما بلغ عمر رضي الله عنه أمر الجسر وأتاه كتاب المسلمين بالخبر استخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج فنزل بصرار يريد أرض فارس وقدم طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص فدخل عليه العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف فأشاروا عليه بالمقام وقالوا شاور الناس فكتب إلى علي وطلحة فقدموا عليه فجمع الناس فقال إني نزلت منزلي هذا وأنا أريد العراق فصرفني عن ذلك قوم من ذوي الرأي منكم وقد أحضرت هذا الأمر من خلفت ومن قدمت فأشيروا علي فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرى أن ترجع إلى المدينة وتكتب إلى من هناك من المسلمين أن يدعوا من حولهم ويحذروا على أنفسهم وقد قدم قوم من العرب يريدون الهجرة فوجههم إليهم فتكون دار هجرة حتى إذا كثروا وليت أمرهم رجلا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أهل السابقة والقدم في الإسلام فانصرف عمر إلى المدينة وكتب إلى المثني بأن يدعو من حوله ولا يقتل أحدا حتى يأتيه المدد وقدم من الأسد وبارق وغامد وكنانة سبعمائة أهل بيت فقال لهم عمر أين تريدون فقالوا سلفنا بالشام قال أو غير ذلك أرضا تبتذونها إن شاء الله ويغنمكم الله كنوزها أخوار فارس فقال مخنف بن سليم الغامدي مرنا بأحب الوجهين إليك قال العراق قال فامضوا على بركة الله فأمر عمر على الأزدي رجلا منهم وعلى كنانة غالب بن عبد الله الليثي فشحصوا إلى أرض الكوفة فقدموا على المثني بن حارثة فأقبل بهم حتى نزلوا العذيب

وفيما ذكره سيف أن الأزدي وكنانة لما سألوا الشام قال لهم عمر ذلك وجهه قد كفيتموه العراق العراق إذروا بلدة قد فل الله شوكتها وعدوها واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش لعل الله أن يرث بكم قسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس فقال غالب الليثي وعرفجة البارقي كل واحد منهما لقومه يا عشيرتاه أجيوا أمير المؤمنين إلى ما أراد فقال كل فريق لصاحبهم انا قد اطعنك واجبنا أمير المؤمنين إلى ما أراد فدعا لهم عمر بخير وأمر على كنانة غالبا وسرحه فيهم وأمر على الأزدي عرفجة بن هرثة البارقي وعامتهم من بارق وفرحوا برجوع عرفجة إليهم فخرج هذا في قومه وهذا في قومه حتى قدما على المثني وكان عرفجة هذا حليفا في بجيلة لأمر عرض له في قومه أخرجه عنهم ومن قدمته هذه رجع إلى قومه ونسبه حسب ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى

وقدم بعدهم أربعمائة أهل بيت من كندة والسكون فيهم الأشعث بن قيس ومعاوية بن حديج وشرحيل بن السمط فقالوا يا أمير المؤمنين قدمنا نريد سلفنا بالشام فنظر إليهم وعليهم الحلل فأعرض عنهم فكلموه أيضا فلم يأمرهم بشيء فقبل له ما يمتك قال إني لمتردد فيهم منقبض عنهم لا ينزل هؤلاء بلدا إلا فتتوا أهلهم وما قدم أحد المدينة أكره إلي منهم فأمضي نصفهم إلى الشام عليهم معاوية بن حديج ونصفهم إلى العراق عليهم شرحيل بن السمط وقدم من مذحج المدينة ألف بيت فيهم ثلاثمائة أهل بيت من النخع فقال عمر سيروا إلى أرض فارس قالوا لا ولكننا نسير إلى الشام فقال يزيد بن كعب النخعي أنا أخرج فيمن أطاعني فخرج في ثلاثمائة أهل بيت من النخع وقال هند الجملي أنا أخرج فيمن أطاعني فخرج في

خمسة أهل بيت من مراد فكان عمر يقول بعد ذلك سيد أهل الكوفة سمي المرأة هند الجملي ثم قدم المدينة أهل ألف بيت من همدان فقالوا لعمر خر لنا قال أرض العراق قالوا بل الشام قال بل العراق فصرفوا ركبهم إلى العراق

وقد كانت قدمت بجيلة فيهم جرير بن عبد الله وسيدهم عرفجة بن هرثة البارقي حليف لهم فقال عمر اخرجوا إلى العراق وأمر عليهم عرفجة فقال جرير لبجيلة أخبروا عمر أنه ولي عليكم رجلا ليس منكم وكانت بجيلة وقد غضبت على عرفجة في أمر عرض بينهم وبينه فكلموا عمر في ذلك واستعفوه منه فقال لأعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاما وأعظمكم بلاء وإحسانا فلما أعلموه أنه ليس منهم قال لعرفجة إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم فما عندك قال صدقوا لست منهم وما يسرني أنني منهم أنا أمرؤ من الأزد من بارق في كتف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب فقال عمر نعم الحي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر وقال عرفجة إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة وأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضا فاعتزلتهم لما خفتهم فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم فحفظوا علي لأمر دار بيني وبين دهاقتهم فحسدوني وكفروني فقال لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك

وقيل إن عمر قال اثبت على منزلتك ودافعهم قال لست فاعلا ولا ساترا فأمر عليهم جرير بن عبد الله وقيل إن جريرا كان إليه من بجيلة بعضها فجمعها إليه عمر وقال له جرير يا أمير المؤمنين إن قومي متفرون في العرب فأخرجهم وأنا أغزو بهم أرض فارس وكانوا متفريقين في هوازن وغطفان وتيم وفي أزد شنوءة والطائف وجرش فكتب عمر إلى القبائل التي فيها

بجيلة أي نسب تواصل عليه الناس قبل الإسلام فهو النسب ليس لأحد أن يدعه وليس له أن ينتقل إلى غير ما كان يعرف به فمن كان من بجيلة لم ينتسب إلى غيرهم حتى جاء الإسلام فلا تحولوا بينهم وبين الرجوع إلى قومهم فخرج قيس كبة وشحمة وعرينة من هوازن وغيرها من القبائل وخرج العجيل والفتيان من بني الحارث وخرج علي وذبيان من الأزد بالسراة ولما أعطى عمر رضي الله عنه جريرا حاجته في استخراج بجيلة من الناس فأخرجهم أمرهم بالموعد بين مكة والمدينة ولما تناموا قال لجرير اخرج حتى تلحق بالمشي فكره ذلك جرير ومال إلى الشام فقال له عمر قد علمتم ما لقي إخوانكم بأرض فارس فاخرجوا فإني أرجو أن يورثكم الله أرضهم وديارهم ولك الربع من كل شيء بعد الخمس وقيل بل جعل له ولقومه ربع الخمس مما أفاء الله عليه في غزائهم هذه له ولمن اجتمع إليه ومن أخرج له من القبائل استصلحهم عمر رضي الله عنه بذلك إذ كان هواهم الشام فأبى هو عليهم إلا العراق وقال لهم اتخنونا طريقا فقدموا المدينة وهم أربعة آلاف وقيل ألفان ثم فصلوا منها إلى العراق ممدنين للمثنى فقال عمر لو ضمنت إلى هؤلاء من الجبين من ابني نزار يعني تيمما وبكرا فوجه معهم قوما منهم ثم تتابعت الأمداد

وكان أول من نزل العذيب بالعيل من قبائل اليمن والحجاز الأزد ثم حضرموت وكندة ثم النخع ومراد ثم همدان ثم بجيلة ثم جاءت قبائل الحجاز وأهل البوادي من تيمم وبكر وجاءت طيء عليها عدي بن حاتم وجاءت أسد وجاءت قيس عليهم عبد الله بن المعتم العبسي وجاءت الرباب وعلى تيمم وعدي هلال بن علفة وعلى ضبة المنذر بن حسان وجاءت حنظلة وعمرو وطوائف من سعد وجاءت النمر بن قاسط عليهم أنس بن هلال بن عقة وبعث عمر أيضا عصمة بن عبد الله الضبي فيمن تبعه من بني ضبة وكان قد كتب إلى أهل الردة يأذن لهم في الجهاد ويستغفرهم إليه فلم يوافقهم أحد منهم إلا رمى به المثنى

وذكر المدائني أن يزيدجرد وجه مهران بعد واقعة الجسر وأمره أن يبيت المسالخ إلى أداني أرض العرب ويقتل كل عربي قدر عليه

وفيما ذكره الطبري عن سيف أن رستم والفيروزان هما اللذان رأيا انفاذ مهران بعد أن طالعا برأيهما في ذلك بوران

ابنة كسرى وذلك عندما علما بتوافي امداد العرب إلى المثنى فخرج مهرا ن في الخيول وجاء يريد الحيرة وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السباخ ما بين القادسية و خفان فاستبطن فرات بادقلي وأرسل إلى جرير ومن معه أنه جاءنا أمر لن نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب وكتب إلى عصمة وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك وقال خذوا على الجوف فسلخوا القادسية وسلك المثنى وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورتق وطلع عصمة ومن سلك معه طريقه على النجف وطلع جرير ومن سلك معه على الجوف فانتهاوا إلى المثنى وهو على البويب ومهران من وراء الفرات يازائه فاجتمع عسكر المسلمين على البويب مما يلي موضع الكوفة اليوم وعليهم المثنى وهم يازاء مهرا ن وعسكره فقال المثنى لرجل من أهل السواد ما يقال لهذه الرقعة التي فيها مهرا ن وعسكره فقال بسوسا فقال أكدي مهرا ن وهلك ونزل منزلا هو البسوس وأقام بمكانه حتى كاتبه مهرا ن إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم فقال المثنى اعبروا فعبر مهرا ن فنزل على شاطىء الفرات معهم في المطاط فقال المثنى لذلك السوادي ما يقال لهذه الرقعة التي نزلها مهرا ن وعسكره فقال شوميا وذلك في رمضان فنأدى المثنى في الناس أهملوا لعدوكم فتنهالوا ومهرا ن في ثلاثة عشر ألفا معه ثلاثة فيلة فقدموا فيلتهم واستعدوا للحرب فأقبلوا إلى المسلمين في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم وجاءوا ولهم زجل فقال المثنى للمسلمين إن الذي تسمعون فمثل فالزموا الصمت واتمروا همسا والمسلمون أربعة آلاف ألغان وثمانمائة من اليمن وألف ومائتان من سائر الناس ويقال كانوا ستة آلاف ألف

ومائتان من تميم وقيس بكر وسائرهم من اليمن

وتنازع جرير والمثنى الإمارة يومئذ فقال له المثنى إنما بعثك أمير المؤمنين مددا لي وقال جرير بل استعملني فقبل صار الأمر بينهما إلى ما قال المثنى فكان هو الأمير وقبل صار جرير أميرا على من قدم معه والمثنى أميرا على من قدم قبل ذلك ومن قال هذا زعم ان المثنى قال لجرير عندما أهملوا للعدو خلني وتعبت الناس ففعل جرير وعبا ففعل جرير وعبا المثنى الجيش فصير مضر وربيعة في القلب وصير اليمن ميمنة وميسرة وقال المثنى يا معشر المسلمين إني قد قاتلت العرب والعجم فمائة من العرب كانوا أشد علي من ألف من العجم ويقال إنه قال لهم قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام والله مائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب ومائة من العرب اليوم أشد علي من ألف من العجم إن الله قد أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم فلا يهولنكم سوادهم إن للعجم قسيما لحا وسهاما طوالا هي أغنى سلاحهم عندهم فلو قد لقوكم رموكم بما وإذا أعجلوا عنها أو فقدوها فهم كالبهائم أينما وجهتموها توجهت فترسوا والزموا مصافكم واصبروا لشدة أو شدتين ثم أنتم الظاهرون إن شاء الله تعالى

وركب يومئذ فرسا ذنوبا أدهم يدعى الشموس للين عريكته وطهارته وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعه ما لم يكن قتال ومر على الرابات يحض القبائل فقال له شرحبيل بن السمط ما أنصفتنا يا مثنى جعلت معدك وسطا وجعلتنا ميمنة وميسرة قال إذا أنصفتكم الله ما أريد لهم شيئا من الخير إلا وأنا أريد لكم مثله وما عهدي بمعد يدري بالناس من البأس ثم صير تميما مع الأزدي في الميمنة وصير ربيعة مع كندة في الميسرة وصفوا صفوفهم وقال الزموا الصمت فإني مكبر ثلاث تكبيرات فإذا كبرت الثالثة فاحملوا فنظر إلى سعد بن عبيد الأنصاري قد نصل من الصف فقال من أنت قال سعد بن عبيد فررت يوم الجسر من الزحف فأردت أن أجعل توبتي من فرقي أن أشري نفسي لله فقال له إن خيرا مما تريد أن تقف مع المسلمين فتناضل عن دينك

وقال جرير يا معشر بجيلة إن لكم في هذه البلاد إن فتحها الله لكم حظا ليس لغيركم فاصبروا التماس إحدى

الحسنين الشهادة فتواهما الجنة أو النصر ففيه الغنى من العيلة ولا تقاتلوا رياء ولا سمعة بحسب امرىء من خساسته
حظا أن يريد بجهاده وعدوه حمد أحد من الخلق

ومر المثنى على الرايات راية راية يجرضهم ويهزمهم بأحسن ما فيهم ولكلهم يقول إني لأرجو أن لا توتى العرب
اليوم من قبلكم والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم فيجيئونه بمثل ذلك وأنصفهم المثنى في
القول والفعل وخالط الناس في المكروه واخوب فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولا ولا عملا ووقف على أهل
الميمنة فنظر إلى رجل من العبر على فرس عتيق رائع فقال يا أبا بني العبر إنك لمن قوم صدق في اللقاء أما والله يا
بني تميم إنكم ليامين في الحرب صبر عند البأس إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه وقال للأزد اللهم صبحهم برضوانك
وادفع عنهم عين الحاسد أتمم والله الأتجاد الأجماد الحسان الوجوه وإني لأرجو أن يأتي العرب اليوم منكم ما أعينهم
ونظر إلى فراس من قيس في القلب فقال نعم فتیان الصباح أتمم اللهم جليلهم عافيتك وافرغ عليهم الصبر يوما
كبعض أيامكم ونظر إلى ناس من طيء في القلب فقال جزاكم الله خيرا فنعم الحي أنتم في اللقاء وعند العطاء فإنه
ليحضهم إذ شدت كتيبة من العجم على المسيرة وفيها بكر وكندة فقال المثنى إن الخيل تنكشف ثم تكر يا معشر
طيء الزموا مصافكم وأغنوا ما يليكم واعترض الكتيبة التي كشفتهم بخيل كانت معه فمنعهم من اتباعهم وقتلهم
فنارت عجاجة بينهم ورجع أهل المسيرة وأقبلت الميمنة نحو المثنى وقد انكشف العدو عنه وسيفه بيده وقد جرح
جراحات وهو يقول اللهم عليك تمام النصر هذا منك فلك الحمد فقال له مخنف بن سليم الغامدي الحمد لله الذي
عافاك فقد كنت

أشفقت عليك قال كم من كربة قد فرجها الله هل منعم عليه يكافيء ربه بنعمة من نعمه

وكانت هزيمة المشركين فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا إلى نهر بني سليم ثم كروا على المسلمين وركدت الحرب بينهم
مليا فلا يسمع إلا هدير الرجال وقد كان انس بن هلال النمري قدم ممدا للمثنى في أناس من النمر نصارى وابن
مردى القهري الثعلبي في ناس من قومه كذلك وقالوا حين رأوا نزول العجم بالعرب نقاتل مع قومنا فلما طال
القتال يومئذ واشتد عمد المثنى إلى أنس بن هلال فقال يا أنس إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا رأيتني قد
حملت على مهران فاحمل معي وقال لابن مردى القهري مثل ذلك فأجاباه فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل
في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار وانجبات تقتتل لا يستطيعون أن يفزعوا لنصر أميرهم لا
المسلمون ولا المشركون وقد كان المثنى قال لهم إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه فإن الجيش ينكشف ثم
ينصرف فالزموا مصافكم وأغنوا عنا من يليكم وأوجع قلب المسلمين قلب المشركين ووقف المثنى حتى أسفر الغبار
وقد فني قلب المشركين وانجبات قد هز بعضها بعضا فلما رآه المسلمون وقد أزال القلب وأفنى أهله قويت مجنبات
المسلمين على المشركين وجعلوا يردون الأعاجم على أديبارهم وجعل للمسلمون والمثنى في القلب يدعون لهم بالنصر
ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم إن المثنى يقول لكم عادتكم في أمثالهم انصروا الله ينصركم حتى هزم القوم
وكانت راية الأزد مع عبد الله بن سليم فجعل يتقدم بها فقال له رجل لو تأخرت قليلا فقال
أقسمت بالرحمن أن لا أبرحا
أو يصنع الله لنا فيفتحنا
الرجز

وقاتل حتى قتل وتقدم أبو أمية عبد الله بن كعب الأزدي وهو يقول اللهم إليك أسعى لترضى وإياك أرجو فاغفر
ذني ثم تقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله

فحمل أبو رملة بن عبد الله بن سليم وكانت عنده الرباب ابنة عبد الله بن كعب فقتل قاتل عبد الله بن كعب واحتر
رأسه فأتى به ابنه وهو غلام مراهق فقال دونك رأس قاتل أبيك فعرض الفتى بأنفه ومر به رجل من بكر بن وائل
يقال له عجل فقال يا فتى ما أشجعك على الأموات فحمى الفتى واعترض العدو فأبعه عمه جندب وهو يقول يا
عجل قتلت ابن أخي فلحقه وقد قتل رجلا فرده وقتل حصين بن القعقاع بن معبد بن زرارة فأخذ الراية مولي لهم
أو مولي للأزد يقال له خصفة فقاتل حتى قتل ودارت بينهم رحى الحرب وأخذت جرير الرماح فنادى واقوماه أنا
جرير فقاتلت عنه جماعة من قيس ليس معهم غيرهم حتى خلص وشدت جماعة على مسعود بن حارثة وهو معلم
بعصابة خضراء وهو يفري فريا فطعن رجلا فقتله وطعن آخر فانكسر رحمه فاختلفا بسيفيهما ضربتين فقتل كل
واحد منهما صاحبه فوقف عليه أخوه المثني فقال هكذا مصارع خياركم وقيل إنه ارتث يومئذ فمات بعد في أناس
من الجرحي من أعلام المسلمين ماتوا كذلك منهم خالد بن هلال فصلى عليهم المثني وقدمهم على الأسنان والقرآن
وقال والله إنه ليهون علي وجدي أن شهدوا البويب أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم يتكلموا وإن كان في الشهادة
لكفارة لبحور الذنوب ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ فتضعض من معه رأى ذلك وهو دنف فقال يا معشر
كعب بن وائل ارفعوا رايكم رفعكم الله لا يهولنكم مصرعي وقتل جرير وغالب بن عبد الله الليثي وحنظلة بن
ربيعة الأسدي وعروة بن زيد الخيل كل واحد منهم عشرة

وقال ربي بن عامر وشهدها يومئذ مع أبيه احصي مائة رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة في المعركة
وذكر أن غالبا وعروة وعرفجة في الأزد كانوا من أصحاب التسعة فالله أعلم
وقال يومئذ لعروة رجل من قومه وراه يقدم أهلكت قومك يا عروة فقال
يا قوم لا تعنفوني قومي

لا تكتروا عدلي ولا من لومي

(لا تعدوني النصر بعد اليوم) الرجز

وسمع رجل يومئذ من مهران يرتجز وهو يقول

(إن تسألوا عني فإني مهران

أنا لمن أنكرني ابن باذان) السريع

فعجب من أن يتكلم بالعربية فليل له إنه ولد باليمن ويقال إنه عربي نشأ مع أبيه باليمن وكان أبوه عاملا لكسرى
وأبصر جرير بن عبد الله مهران يقاتل فحمل عليه جرير والمنذر بن حسان فقتلاه طعنه المنذر فأداره عن دابته وقد
وقده فنزل إليه جرير فاحتز رأسه وتنازعا سلبه ثم أخذ جرير سلاحه وأخذ المنذر حليته وثيابه وبرذونه وقيل في قتله
غير هذا وهو مما حدثت به أم ولد لزيد بن صوحان أن زيدا أخرجها معه إلى العسكر حتى لقوا مهران صاحب
كسرى فجعل الناس يجيدون عن مهران فقال زيد ما شأن الناس يجيدون عن هذا قيل كرهوه فنزل زيد فمشى إليه
فاختلفا ضربتين فأطن مهران يده فرجع فأخذ عماتي فشقها ثم لفها على يده ثم عاوده فسف ساقيه بالسيف فقتله
فابتدر المسلمون سلبه فلم يأخذ زيد من سلبه إلا السيف نغله إياه الأمير فكان زيد يقول من يشتري سيفا وهذا
أثره ويخرج يده الجذماء فيريها وقد قيل إن غلاما نصرانيا من بني تغلب هو الذي قتل مهران فالله أعلم

وهزم المشركون فأتوا الفرات وأتبعهم المسلمون فانتهوا إلى الجسر وقد عبرت طائفة من المشركين الجسر فحاولوا بين
الباقين وبينه فأخذوا يمينا وشمالا فقاتلهم المسلمون حتى أمسوا واقتحم طائفة الفرات ففرق بعضهم ونجا بعض ورجع
المسلمون عنهم حين أمسوا فعبر من بقي منهم الجسر ثم قطعه فأصبح المسلمون فعقدوه واتبعوهم حتى بلغوا بيوت
ساباط ثم انصرفوا وصلبوا مهرا على الجسر

ويقال إن المثنى قطع الجسر أولا ليمنع أهل فارس العبور ثم ندم على ذلك وقال لقد عجزت عجزة وقى الله شرها
بمسابقي إياهم إلى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم فإني غير عائد فلا تعودوا ولا تعدوا بي أيها الناس فإنما كانت زلة لا
ينبغي إخراج أحد إلا من لا يقوى على الامتاع

ولما افترق الأعاجم على شاطئ الفرات مصمدين ومصوبين واعتورتم خيول المسلمين أكثروا القتل فيهم حتى
جعلوهم جثاء فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أقوى رمة منها
حدث أبو روق قال والله إن كنا لنأتي البويب يعني بعد ذلك بزمان فبرى ما بين السكون وبنى سليم عظاما بيضاء
تلولا تلوح من هامهم وأوصالهم نعتير بها قال وحدثني بعض من شهدها أنهم كانوا يجرزونها مائة ألف
واقتم المسلمون ما أفاء الله عليهم ونقلت بجيلة وجريير ما جعل لهم عمر بن الخطاب وحمل الخمس أو باقي الخمس
وجلس المثنى للناس يحدثهم ويحدثونه لما فرغوا وكلما جاء رجل فحدث قال له المثنى أخبرني عنك فقال قرط بن
جماح العبدي قتل رجلا فوجدت منه رائحة المسك فقلت مهرا ورجوت أن يكون إياه فإذا هو شهرير
صاحب الخيل فوالله ما رأيته إذ لم يكن مهرا شيئا وكان قرط قد قاتل يومئذ حتى دق قنى وقطع أسيفا
وقال ربي وهو يحدث المثنى لما رأيت ركود الحرب واحداها قلت تترسوا بالجان فإنهم شادون عليكم فاصبروا
لشدتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة فأجابوني فولي الله كفالي
وقال ابن ذي السهمين محدثا قلت لأصحابي إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الزحف فما ذكره إلا لفضل فيه
فاقتدوا برايتكم ولتحمي خيلكم رجلكم وازحفوا فما لقول الله من خلف فأنجز الله لهم وعده كما رجوت
وقال عرفجة محدثا حزنا كتيبة منهم إلى الفرات ورجوت أن يكون الله قد
أذن في غرقهم وأن يسلينا بها عن مصيبة الجسر فلما حصلوا في حد الإحراج كروا علينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى
قال بعض قومي لو أخذت رايتك فقلت علي اقدمها وحملت بها على حاميتهم فقتلته فولوا نحو الفرات فما بلغوه
ومنهم أحد فيه الروح

وقد كان المثنى قال يومئذ من يتبع آثار المهزومة حتى يبلغ السيب فقام جريير في قومه فقال يا معشر بجيلة إنكم
وجميع المسلمين ممن شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة سواء وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النقل مثل
الذي لكم منه فغلا من أمير المؤمنين فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه إلى ما
ترجون وإنما تنظرون إحدى الحسينيين الشهادة والجنة أو الظفر والغنيمة والجنة
ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستنلوا بالأمس من مهزومة يوم الجسر فقال أين المستنل بالأمس وأصحابه اتدبوا
في آثار هؤلاء القوم إلى السيب وبلغوا من عدوكم ما تغيظوهم به فهو خير لكم وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله
غفور رحيم

وكان هذا المستنل أو هو إن شاء الله سعد بن عبيد الأنصاري قد أراد الخروج بالأمس من صف المسلمين إلى العدو
فقبل للمثنى ألا ترى إلى هذا الرجل الذي يريد أن يستنل فركض إليه فقال يا أبا عبد الله ما تريد ان تصنع قال

فررت يوم أبي عبيد فأردت أن تكون توبتي وانتصاري أن أمشي إليهم فأقاتل حتى أقتل قال إذن لا تضرب عدوك ولا تنفع وليك ولكن أدلك على ما هو خير لك تثبت على صفك وتجزى قرنك وتواسي أخاك بنفسك وتنصره وينصرك فتكون قد نفعت المسلم وضررت العدو فأطاعة وثبت مكانه فكان يومئذ أول منتدب فأمر المثنى أن يعقد لهم الجسر ثم أخرجهم في أثر القوم واتبعتهم بجيلة وخيول المسلمين بعد من كل فارس ولم يبق في العسكر جسري إلا خرج في الخيل فانطلقوا في طلب العدو حتى بلغوا السيب فأصابوا من البقر والسبي

وسائر الغنائم شيئا كثيرا فقسمه المثنى عليهم وفضل أهل البلاء من جميع القبائل ونفل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية وبعث بثلاثة أرباعه إلى عمر رضي الله عنه وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى وكتب إليه عاصم وعصمة وجريير إن الله قد كفى رستم ووجه لنا ما رأيت وليس دون القوم شيء فأذن لنا في الإقدام فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط وتحصن أهلها منهم واستباحوا القرى دونها ورماهم أهل الحصن عن حصنهم بساباط ثم انكفوا راجعين إلى المثنى قالوا وكان المثنى وعصمة وجريير أصابوا في أيام الوباء على الظهر نزل مهران غنما ودقيقا وبقرا فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم وهن بالحيرة وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات اللواتي بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة فلما رفعوا للنسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبها غارة فقم من دون الصبيان بالحجارة والعمد فقال عمرو هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش وبشروهن بالفتح ولما أهلك الله عز وجل مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة فمخروها لا يخافون كيدا ولا يلقون فيها مانعا وانفضت مسالخ العجم فرجعت إليهم واعتصموا بالساباط وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة ونزل جريير والمثنى الحيرة وبنا المسالخ فيما بين الأنبار وعين التمر إلى الطف فمن كان أقام على صلحه قبلوا ذلك منه ومن نقض أغاروا عليه فكان أهل الحيرة وبنانقيا وغيرهم على صلحهم وكانت وقعة الوباء في رمضان من سنة ثلاث عشرة وتنازع أيضا المثنى وجريير الإمارة وكان المثنى أحب إلى نزار وجريير أحب إلى اليمانية فكتب إلى عمر رحمه الله في ذلك فكان من مشورته فيه وعمله ما سيأتي بعد ذكره

وشخص المثنى عند ذلك فنزل أليس ويقال شراف وهو وجع من جراحات به وارتحل معه عامة النزارية فلما رأى ذلك جريير تحول فنزل العذيب مع العيال ومعه أخلاط الناس وهو الأمير عليهم في قول بعضهم وفي هذه الإمارات كلها اضطراب من نقلة الأخبار واختلاف بين القبائل فبنو شيبان تقول كان جريير الأمير يوم قتل مهران المثنى وبجيلة تقول كان الأمير يوم ذلك وقبل وبعد والأظهر مما تقدم من الأخبار أن المثنى كان الأمير في تلك الحرب إلا أن يكون جريير على من معه كما قد قيل فالله تعالى أعلم وقد قال العور الشني فلم يذكر لغير المثنى يومئذ إمارة حاجت عليك ديار الحرب أحرانا واستبدلت بعد عبد القيس همذانا وقد أرانا بها والشمل مجتمع أدنى النخيلة قتلى جند مهرانا

كأن الأمير المثنى يوم راجفة
مهراش أشجع من ليث بحفانا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم
فقتل الزحف من رجلى وركبانا
سما لمهران والجيش الذي معه
حتى أبادهم مثنى ووحداننا
إذ لا أمير أراه بالعراق لنا
مثل المثنى الذي من آل شيبانا
البيسط

حديث غارة المثنى على سوقى الخنافس وبغداد

ذكر سيف عن شيوخه أن المثنى لما نزل أليس قرية من قرى الأنبار وهذه الغزاة تدعى غزاة الأنبار الآخرة وغزاة
أليس الآخرة وقد مخر السواد وخلف بالحيرة بشير بن الحصاصية وأرسل جريرا إلى ميسان وهلال بن علقمة إلى
دست ميسان وأذكى المسالخ بعصمة بن فلان الضبي وبالكلمح الضبي وبعرفجة البارقي وأمثالهم من قواد المسلمين
ألزبه رجلا أحدهما أنباري والآخر حيري يدلله كل واحد منهما على سوق فأما الأنباري فدلله على سوق الخنافس
وأما الحيري فدلله على بغداد فقال المثنى أيتها قبل صاحبها فقالوا بينهما أيام فقال أيهما أعجل قالوا سوق
الخنافس يتوافى إليها الناس ويجتمع إليها ربيعة وقضاعة يخفرونهم فاستعد لها المثنى حتى إذا ظن أنه يوافيهم يوم سوقها
ركب نحوهم فأغار على الخنافس يوم سوقها وبما خيلان من ربيعة وقضاعة وهم الخفراء فانتسف السوق وما فيها
وسلب الخفراء ثم رجع عوده على بدئه حتى تطرق دهاقين الأنبار طروقا في أول يومه فتحصنوا منه فلما عرفوه
نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد وأتوا بالأدلاء على بغداد وكان وجهه إلى سوق بغداد فصباحهم
وقال المثنى في غارته على خنافس

صبحنا في الخنافس جمع بكر
وحيا من قضاعة غير ميل
بفتيان الوغى من كل حي
تباري في الحوادث كل جيل
نسفنا سوقهم والخيل زور
من التطواف والشد البجيل
الوافر

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي في تاريخه أن بغداد كانت في أيام مملكة العجم قرية يجتمع فيها رأس كل
سنة التجار ويقوم بها للفرس سوق عظيمة فلما توجه المسلمون إلى العراق وفتحوا أول السواد ذكر للمثنى بن
حارثة أمر سوق بغداد ثم أورد بإسناد له عن ابن إسحق أن أهل الحيرة قالوا للمثنى وذكره سيف من طريق آخر أن
رجلا من أهل الحيرة قال للمثنى واللفظ في الحديثين متقارب وقد دخل حديث أحدهما في حديث الآخر قالوا ألا
ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ويجتمع بها في كل سنة من الناس مثل خراج العراق وهذه

أيام سوقهم التي يجتمعون فيها فإن أنت قدرت على أن تعبر إليهم وهم لا يشعرون أصبت بما مالا يكون غناء للمسلمين وقوة على عدوهم وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم فقال لهم فكيف لي بما قالوا إن أردتُما فخذ طريق البر حتى تنتهي إلى الأنبار ثم تأخذ رءوس الدهاقين فيبعثون معك الأدلاء فتسير سواد ليلة من الأنبار حتى تأتيهم ضحى

قال فخرج من النخيلة ومعه أدلاء الحيرة حتى دخل الأنبار فنزل بصاحبها فتحصن منه فأرسل إليه ما يمنعك من النزول فأرسل إليه إني أخاف فأرسل إليه أنزل فإنك آمن على دمك وقربتك وترجع سالما إلى حصنك فتوثق عليه ثم نزل فأطعمه المثنى وخوفه واستكتمه وقال إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد حتى أغير منها إلى المدائن قال أنا أجيء معك قال المثنى لا أريد أن تجيء معي ولكن ابعث معي من يعرف الطريق ففعل وأمر لهم بزيادة وطعام وعلف وبعث معهم دليلا فأقبل حتى إذا

بلغ المنصف قال له المثنى كم بيننا وبين هذه القرية قال أربعة فراسخ أو خمسة وقد بقي عليك ليل فقال لأصحابه من ينتدب للحرس فانتدب له قوم فقال لهم اذكروا حرسكم ثم نزل وقال للناس أنزلوا فاقضوا واطعموا وتوضأوا وتهيأوا وابتعثوا الطلائع فلا يلقون أحدا إلا حبسوه ثم سار بهم فصبحهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف فقتل وأخذ الأموال وقال لأصحابه لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته وهرب الناس وتركوا أمتعتهم وأموالهم ومال المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء ثم كر راجعا ثم نزل بنهر السليحيين من الأنبار فقال للمسلمين أحمداؤا الله الذي سلمكم وغنمكم وانزلوا فاعلفوا خيلكم من هذا القصب وعلقوا عليها وأصيبوا من أزوادكم فسمع القوم يهمس بعضهم إلى بعض أن القوم سراع الآن في طلبنا فقال تناجوا بالبر والتقوى ولا تناجوا بالإثم والعدوان قبح الله من يتناجون به انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا تحسبونهم الآن في طلبكم فوالله لو كان الصريخ قد بلغهم الآن إنه لكبير ولو كان الصريخ عندهم لبلغهم من رعب غارتنا عليهم إلى جنب مدائنهم ما يشغلهم عن طلبنا حتى نلحق معسكرنا وجماعتنا إن للغارات روعات تنتشر عليها يوما إلى الليل ولو كان بهم من القوة ما يحملهم على طلبنا ثم جهدوا وجههم ما أدركونا نحن على الجياد العراب وهم على المقارف البطاء ولو أنهم طلبونا فأدركونا لم نقاتلهم إلا التماس الثواب ورجاء النصر فتحقوا بالله وأحسنوا به الظن فقد نصركم الله عليهم وهم أكثر منكم وأعز وسأخبركم عني وعن انكماشني والذي أريد من ذلك أن خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أبا بكر أوصانا أن نقل العرجة ونسرع الكرة في الغارات ونسرع في غير ذلك الأوبة فأقبلوا ومعهم دليلهم حتى انتهوا إلى الأنبار فاستقبلهم صاحبها بالكرامة فوعده المثنى بالإحسان إليه لو استقام أمرهم ورجع المثنى إلى عسكره

حديث السرايا من الأنبار

قالوا لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار سرح المضارب العجلي وزيدا إلى الكياف ثم خرج في أثرهم فقدم الرجلان الكياف وقد ارفض عنه أهله وأخلاه وكانوا كلهم من بني تغلب وكان عليهم فارس العناب التغلبي يجمعهم فركب المسلمون آثارهم يتبعونهم فأدركوا أخرياقهم فحماهم فارس العناب ساعة ثم هرب وقتلوا في أخرياقهم فأكثرنا ورجع المثنى إلى عسكره بالأنبار فسرح فرات بن حيان وكان خلفه في عسكره وسرح معه عتبية بن النهاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين ثم أتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبي الهيثمي فلما دنوا من صفين فر أهلها فعبروا الفرات إلى الجزيرة وتحصنوا وفارق المثنى فراتا وعتبية فأرمل المثنى وأصحابه من الزاد حتى نحروا

رحلهم إلا ما لا بد لهم منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها ثم ادركوا عيرا من أهل ديارف و حوران فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء فأخذوا العير وكان ظهرا فاضلا وقال لهم دلوني فقال له أحدهم أمنوني على أهلي ومالي وأدلكم على حي من بني تغلب غدوت من عندهم اليوم فأمنه المثنى وسار معه يومه حتى إذا كان العشي هجم عليهم فإذا النعم صادرة عن الماء والقوم جلوس بأفنية البيوت فبعث غارته فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وانتسفوا الأموال وإذا هم بنو ذي الرويحة فاشترى من كان من ربيعة السبايا بنصبيهم من القبي فاعتقوا سيهم وكانت ربيعة لا تسمى إذ العرب يتسابون في جاهليتهم

وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجعوا شاطىء دجلة فسرحت في آثارهم حذيفة بن محصن وكان على مقدمته في غزواته كلها بعد البويب ثم أتبعه فأدركهم دون تكريت يخوضون الماء فأصابوا ما شاءوا من النعم حتى أصاب الرجل خمسا من السبي وخمسا من النعم وجاء المثنى بذلك حتى نزل على الناس بالأنبار ومضى فرات وعتيبة في وجههما حتى أغارا على صفين وبما النمر وتغلب متساندين فأغاروا عليهم ونقبوهم فرموا بطائفة منهم في الماء فنادوهم وجعلوا ينادون الفرق الفرق فلم يقلعوا عنهم وجعل عتيبة والفرات يذمرون الناس وينادوهم تغريق بتحريق يذكروهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل في غيضة من الغياض ثم انطلق المسلمون راجعين إلى المثنى وقد غرقوهم

فلما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافت بها البعوث والسرايا انحدر بهم المثنى إلى الحيرة فنزل بها وكانت لعمر ربه الله في كل جيش عيون يتعرفون الأخبار من قبلهم فكتب إليه بما كان في تلك الغزاة وأبلغ الذي قال عتيبة والفرات يوم بني تغلب والماء فبعث إليهما فسألهما فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه المثل وأنهما لم يفعلوا ذلك على وجه طلب بدحل في الجاهلية فاستحلفهما فحلفا ما أراد بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام فصدقهما وردهما إلى المثنى

ذكر ما هيج حرب القادسية على ما ذكره سيف عن أشياخه

قالوا قال أهل فارس لرستم والقيريزان وهما عميدا أهل فارس أين يذهب بكما لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعنا فيهم عدوهم وإن لم يبلغ من خطركما أن تقركما فارس على هذا الرأي وأن تعرضاها للهلكة ما تنتظرون والله ما تنتظرون إلا أن ينزل بنا ونهلك ما بعد ساباط وبغداد وتكرت إلا المدائن والله ما جراً علينا هذا غيركم ولولا أن في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ولئن لم تنتهوا لنهلككم ثم هلك وقد اشتفينا منكم

قالوا فقال القيريزان ورستم لبوران ابنة كسرى اكنبي لنا نساء كسرى وسرايه ونساء آل كسرى وسرايهم ففعلت وأخرجت ذلك إليهم في كتاب فأرسلوا في طلبهن فلم تبق امرأة منهن إلا أتوا بها فوضعوا عليهن العذاب يستدلونهم على ذكر من آل كسرى فلم يوجد عند واحدة منهن أحد منهم وقلن أو من قال منهن لم يبق منهم إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل داريا فأرسلوا إليها فأخذوها به فدلتهم عليه وكانت قد دفعته إلى أخواله في أيام شيري حين جمعهن في القصر الأبيض فقتل الذكور واعلمتم ثم دلته إليهم في زيل فأرسلوا إليه

فجاءوا به وهو ابن إحدى وعشرين فملكوه واجتمعوا عليه واطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته

ومناصحته ومعونته فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزدجرد المثنى والمسلمين فكتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله بما ينتظرون ممن بين ظهرانيهم فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له منهم عهد ومن لم يكن له فخرج المثنى على حاميته حتى ينزل بذي قار وينزل الناس بذي الطف في عسكر واحد فكتب إليهم عمر

أما بعد فاخرجوا من بين ظهراني الأعاجم وشرقوا في المياه التي تليهم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة ومضر أحدا من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجلبتموه فإن جاء طائعا وإلا حشدتموه احموا العرب على الجذ إذا جد العجم لتلقوا جملهم بجدكم

فنزل المثنى بذي قار ونزل الناس بالجل وشراف إلى غضي وغضي جبال البصرة وكان جرير بن عبد الله بغضي وسيرة بن عمرو العنبري ومن أخذ أخذهم فيمن معهم إلى سلمى فكانوا في أمواه العراق من أولها إلى آخرها مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضا وإن كان كون وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة

وعادت مسالح كسرى وثغوره وهم في ملك فارس هائبون مشفقون والمسلمون يتدفقون قد ضروا بهم كالأسد يثار عن فريسته ثم يعاود الكر وأمرؤهم يكفكفونهم لأن عمر رحمه الله كان أمرهم أن لا يقاتلوا إلا أن يقاتلوا حتى يأتهم أمره وتصلهم أمداد المسلمين تأمير عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص على العراق وذكر الخبر عن حرب القادسية

ذكر المدائني بإسناده إلى رجال من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض

أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يخير من قدم عليه من العرب بين الشام وبين العراق فكانت مضر تختار العراق وتختار أهل اليمن الشام فقال عمر اليمن أشد تعاطفا يحنون إلى سفلهم وزار كلهم سلف نفسه ومضر لا تكن إلى سلفها ولم يكن أحد من العرب أشد إقداما على أرض فارس من ربيعة فبلغ عمر اختلاف المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله في الإمارة فاستشار الناس فقال المغيرة بن شعبه يا أمير المؤمنين تداركهم برجل من المهاجرين واجعله بدريا فقال أشيروا علي برجل فقال عبد الرحمن بن عوف قد وجدته قال من هو قال سعد بن أبي وقاص قال هو لها فكتب عمر إلى المثنى لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وكتب إلى جرير والمثنى إني موجه سعدا إليكما فاسمعا له وأطيعا

وذكر الطبري وغيره في هذا الموضع من تحرك عمر رضي الله عنه للخروج إلى العراق بنفسه واستدعائه وجوه المهاجرين والأنصار للمشورة عليه فيه بعد أن خرج بذلك الرسم فنزل صرارا وقدم بين يديه طلحة بن عبيد الله فنزل الأعوص وخلف بالمدينة علي بن أبي طالب واليا عليها وإشارة أولى الرأي عليه بالرجوع إلى المدينة والاستخلاف على ذلك الوجه واستنفار العرب له ما قد فرغنا من ذكره في صدر وقعة البويب من خبر الجسر حيث ذكره المدائني ولعل ذلك الموضع أولى به فإن يكن كذلك فقد ذكرناه حيث ينبغي وإن يكن موضعه هذا فقد نهنا عليه ليعرف ما وقع فيه من الاختلاف بين المؤلفين في هذا الشأن بحسب ما تأدي إليهم من جهة النقل والأمر في ذلك قريب والاختلاف في المنقولات غير مستنكر والله تعالى أعلم

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه استعمل سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن بنجد فأقره عمر عليها فلما أتاه اجتماع فارس وقيام يزدجرد في قول من جعل قيامه بعد وقعة البويب خلافا لما ذكره المدائني وآخرون معه

من قيامه قبل ذلك حسب ما قدمناه كتب عمر إلى المسلمين بما عملوا به قبل انتهاء كتابه إليهم من الوقوف على حدود أرضهم وأن يستخرجوا كل دبي سلاح وفرس ممن له رأي ونجدة فيضموه إليهم حتى يأتيهم أمره وكتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحج يأمرهم أيضا بانتخاب الناس أولى الخيل والسلاح والنجدة والرأي ويستعجلهم في توجيههم إليه وكتب بمثل ذلك إلى سعد بن أبي وقاص فجاءه كتاب سعد

إني قد انتخيت لك ألف فارس مرد كلهم له نجدة ورأي يحوط حريم قومه ويمنع زمارهم إليهم انتهت أحسابهم وآراؤهم فشأنك بهم

فوافق وصول كتاب سعد بهذا مشاورة عمر الناس في رجل يوجهه إلى العراق فقالوا قد وجدته قال من قالوا الأسد عاديًا سعد بن مالك فأنتهى إلى رأيهم وأرسل إليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق وأوصاه فقال يا سعد سعد بني وهيب عليك بتقوى الله فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ولا يغرنك أن يقال صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإن الله عز وجل ليس بينه وبين أحد سبب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله خير منها (٨٤ القصص) و من جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار (٩٠ النمل) وقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مذ بعثه الله حتى قبضه إليه فالزم ما رأيت عليه وإني موجهك إلى أرض فارس فسر على بركة الله فقد استعملتك على من مررت به من القبائل ممن سقط إليكم من العرب فاندبكم إلى الجهاد ورجعهم فيه واعلمهم ما أعد الله لأهلهم فمن تبعك منهم فأحسن إليه وارفق بهم واجعل كل قبيلة على منزلها ومن لم يبلغ أن تستنفره بمن معه من قبيلة فاجعله مع من أحب وانزل فيدا حتى يأتيك أمري

وفي رواية أنه قال لما أراد أن يسرحه

إني قد ولت لك حرب العراق فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم أن لكل عادة عتادا وعتاد الخير الصبر فالصبر الصبر تجتمع لك به خشية الله تجتمع لك في أمرين في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه بحب الآخرة وبغض الدنيا وعصاه من عصاه بحب الدنيا

وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله عز وجل انشاء منها السر والعلانية فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ومحبة الناس إليه فلا تزهد في التحيب فإن النبيين قد سألوا محبتهم وإن الله تعالى إذا أحب عبدا حبه إلى خلقه وإذا أبغض عبدا بغضه إليهم فاعتبر منزلتك عند الله عز وجل بمنزلتك عند الناس ممن يسرع معك في أمرك

وذكر المدائني أن عمر رضي الله عنه كتب لسعد مع ما أوصاه به عهدا يقول له فيه أوصيك بتقوى الله والرغبة فيما عنده فادع الناس إلى الله فمن أجابك فهو أولى بماله وأهله وولده وليس لك منه إلا زاد بلاغ إن احتجت وعظ نفسك وأصحابك ولا تكثر عليهم فيملوا واجعلهم رفقاء أخوانا وأن لهم جناحك وخطهم بنفسك كنفسك واعلم أن للمسلمين في جوار الله وأن المسلم أعظم الخلق عند الله حرمة ولا يطلبك الله بخفرتة في أحد منهم واحذر عليهم واحفظ قاصيتهم وعد مريضهم وانصف مظلومهم وخذ لضعيفهم من قلوبهم

واصلح بينهم وألزمهم القرآن وخوفهم بالله وآمنهم من ذكر الجاهلية وما كان فيها فإنها تورث الضغينة وتذكرهم الدخول واعلم أن الله قد توكل من هذا الأمر بما لا خلف فيه فاحذر أن يصرف الله ذلك عنك بذنب ويستبدل بكم غيركم واحذر من الله ما حذركم من نفسه فإنك تجد ما قدمت يداك من خير محضاً وما علمت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً

ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفي المسلمين فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً للعراق في أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن والسراة وألف من سائر الناس قالوا وشيعهم عمر رحمه الله من صرار إلى الأعواص ثم قام في الناس خطيباً فقال

إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال وصرف لكم القول ليحيي بذلك القلوب فإن القلوب ميتة في صلورها حتى يحييها الله تعالى من علم شيئا فلينتفع به وإن للعدل أمارات وتبشير فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهيئ واللين وأما التبشير فالرحمة وقد جعل الله لكل أمر باب بابا ويسر لكل باب مفتاحاً فمتاحل فباب العدل الإعتبار ومفتاحه الزهد والإعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات والاستعداد له بتقديم الأعمال والزهد أخذ الحق إلى كل أحد له حق ولا يصانع في ذلك أحداً ويكفي بما يكفيه من الكفاف فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء إني بينكم وبين الله وليس بيني وبين الله أحد وإن الله عز وجل قد ألزمني دفع الدعاء عنه فأثموا شكاتكم إلينا فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعنت

فسار سعد في عام غيذاق خصيب حتى نزل فيدا فأقام بها أشهراً وجعل عمر لا يأتيه أحد من العرب إلا وجهه إليه ثم كتب إليه أن يرتفع بالناس إلى زرود فاتاها وأقام بها واثاه من حولها من بني تميم من حنظلة وأنته سعد والرباب وعمرو فكان ممن أتاه عطارد ولييد بن عطارد والبرقان ابن بدر وحنظلة بن ربيعة الأسدي وربعي أبو شبيب بن ربعي الرياحي وهلال ابن علقمة التميمي والمندر بن حسان الصبي فقالت رؤساء حنظلة يا بني تميم قد نزل بكم الناس وهم قبائل الحجاز واليمن وأهل العالية وقد لزمكم قراهم فشاظروهم الرسل ففعلوا فمن كان له منحتان قصر إحداهما عليهم ومن كان له أكثر فعلى حساب ذلك فقروهم شوة بزورود

وكان عمر أمد سعداً بعد خروجه فيما ذكر سيف عن أشياخه بألفي يماني وألفي نجدية مرد من غطفان وسائر الناس فنزلوا معه زرود في أول الشتاء وتفرقوا فيما حولها وأقام سعد ينتظر اجتماع الناس وأمر عمر وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف منهم ألف من الرباب وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثني بن حارثة والمثنى بذي قار ويقال بأليس وقال بعضهم بشراف وجريير ومن معه من أخلاط الناس متفرقون فيما بين العذيب إلى خصي ويقال غصي وكان المثني في ثمانية آلاف من ربيعة منهم ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة منهم أربعة آلاف ممن كان المثني انتخبه بعد فصول خالد عنه إلى الشام وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاة وطيء ممن انتخب إلى ما كان قبل ذلك على طيء عدي بن حاتم وعلى قضاة عمرو بن وبرة وعلى بجيلة جريير بن عبد الله فبينما الناس كذلك سعد يرجوا أن يقدم عليه المثني والمثنى يرجوا أن يقدم عليه سعد انتقضت بالمثنى جراحاته التي كان أصيب بها يوم الجسر فمات رحمه الله ولما أحس بالموت استخلف على الناس بشير بن الحصاصية وكتب إلى سعد

كتبت إليك وأنا لا أراي إلا لما بي فإن اهلك أو أسلم فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله {صلى الله

عليه وسلم { وان الجنة مأوى المتقين وأن النار مثوى الكافرين ولا أحال العجم إلا سيجمعون على حربك فهم لا قوكم بجمع لم يلقونا بمثله وقد أراى الله إن كان قضى بينك وبينهم حربا أن تقااتلهم على أدنى حجر من بلادك على حد أرضهم فإن ظفرتم فلكم ما وراءهم وإن كانت الأخرى ولا أراها الله المسلمين كنتم أعلم بسيلكم وأجراً على طريقكم وأجراً على أرضكم والمنزتم إلى فتتكم إلى أن يرد الله لكم الكرة عليهم

وكان مع بشير بن الخصاصية عندما استخلفه المثنى وجوه أهل العراق ومع سعد وجوه أهل العراق الذين قدموا على عمر رحمه الله فيهم فرات بن حيان العجلي وعتيبة بن النهاس فردهم مع سعد فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسية فمن قال هم أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ومن قال ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزروود ومن قال تسعة آلاف فللحاق القيسيين ومن قال اثنا عشر ألفا فلدفوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف وقدم عليه بعد ذلك ناس كثير مع الأشعث بن قيس وغيره قالوا فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفا وكتب سعد إلى عمر رحمه الله بموت المثنى فكتب إليه أن سر حتى تنزل بشراف وأحذر على من معك من المسلمين وعليك بالإصلاح ما استطعت

فارتحل سعد عن زروود ومعهم تميم وقيس واليمن وغيرهم وفيهم رجالة فحمل بنو تميم ضعفاءهم حتى قدموا شراف فنزلها فاتاهم بشير بن الخصاصية وجريير ومن كان معه بفروع الحزن وقدم عليه المعنى بن حارثة أخو المثنى وقدمت معه زوج المثنى سلمى بنت خصفة من بني تميم اللات بوصيته إلى سعد وكان قد أوصى بها وأمرهم أن يعجلوها عليه بزروود فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر إلى أن انقضى ذلك كما نذكره بعد عند ذكر مقتل قابوس على ما ذكره المدائني فقدم حينئذ المعنى وسلمى على سعد بوصية المثنى ورأيه فترحم عليه سعد عندما تانتهى ذلك إليه وأمر أخاه المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيرا وخطب سلمى فتزوجها وبني بها وبني مسجدا بشراف فقال بعض التميميين يذكر نغيرهم إلى سعد وقراهم له وحملهم

فنفرنا إليهم باحتساب
لم نخرج ولم نذق تغميضا
وقريناهم ريبعا من الرسل
حقينا مشملا وغريضا
وحملنا رجاهم من زروود
إذ تعايوا فلم يطيقوا النهوضا
الخفيف

وكتب سعد إلى عمر حين نزل شراف يخبره بمكانه فقال لأرمين فارس وابناها بالمهاجرين وأبناء المهاجرين فوجه ألفا ومائة منهم ممن شهد بدرا نيف وأربعون رجلا وسائرهم ممن شهد بيعة الرضوان إلى الفتح وحضهم عمر رحمه الله فقال إن أحب عباد الله إلى الله وأعظمهم عنده منزلة أقاتهم له وأشدهم منه رجلا فعليكم بتقوى الله والإصلاح ما استطعتم وما التوفيق إلا بالله الزموا الطاعة بجمع الله لكم ما تحبون من دينكم وديناكم وافرأ بالعهد لمن عاهدتم وإياكم والغدر والغلول فإنه من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ومن غدر أدا الله منه علوه ووهن كيده فافهموا ما

توعظون به واعقلوا على الله أمره ولا تكونوا كالجفاة الجاهلية

وعن سيف أن عمر رحمه الله قال والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذرا رأيا ولا ذا شرف ولا ذا سلطة ولا خطيبا ولا شاعرا إلا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغرهم وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة وهو بالشام أن يمد سعدا بمن كان عنده من أهل العراق وكانوا ستة آلاف ومن انتهى أن يلحق بهم وكتب إلى المغيرة بن شعبة أن يسير إلى سعد من البصرة وكتب إلى سعد بمثل رأي المثني الذي أشار به على سعد

أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على

الله واستعن به على أمرك كله واعلم أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد وإن كان سهلا كثود لبحوره وفيوضه ودآدته فإذا لقيتم القوم أو أحد منهم فابدءوهم الضرب والشدة وإياكم والمناظرة لجمعهم ولا يخذعنكم فإنهم خدعة مكرة أمركم غير أمرهم إلا أن تجادوهم فإذا انتهيت إلى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لما تريد ويريدون وهو منزل رحيب خصيب حصين دونه قناطر وأمار ممتعة فتكون مسالحك على أفتابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على أقصى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ثم ألزم مكانك فلا ترحه فإنهم إذا أحسوك أقضتكم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحلهم وجدهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم بقتلهم رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدياركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرا وبها أعلم وكانوا عنها اجبن وبها أجهل حتى يأتيكم الله بالفتح ويرد لكم الكرة وليكن منزل الذي تنزله رحيبا خصيبا وإذا نزلت منزلا فلا تستأخر عنه فإن ذلك وهن عليك وجرأة لعدوك وأذك العيون واتبع الغرض ولا تأمن قريبا ولا بعيدا وصف لي منزل الذي تنزله وكم بينك وبين أول عدوك وآخره وكيف مأتاهم وسم لي المنزل فإنه قد ألقى في روعي أنكم سفتتحون فارس وأنكم الأعلون وفي رواية أنه كتب إليه باليوم الذي يرتحل فيه من شراف وأين ينزل بالناس فيما بين عذيب والمجاننات وعذيب والقوادس وأن يشرق بالناس ويغرب بهم فارتحل سعد عن شراف يريد أن ينزل منزلا على ما كتب به إليه عمر فأنتهى إلى المغينة فأقام وبني مسجدا بين الفرعاء والمغينة وقدم بين

يديه زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الجوية يرتاد له منزلا فأقبل زهرة حتى انتهى إلى العذيب وكتب إلى سعد فأقبل في أثره فنزل المسلمون ما بين العذيب إلى القادسية وهي أحساء فقال في ذلك النعمان بن مقرن المزني وتروى لغيره

نزلنا بأحساء العذيب ولم تكن

لنا همة إلا إختيار المنازل

لنحوي أرضا أو نناهب غارة

يضح لها ما بين بصرى وبابل

الطويل

ونزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس وهي يومئذ أسفل منها بميل وكتب سعد إلى عمر إنا نزلنا من القادسية والعذيب منزلا خصيبا رحيبا على أقصى حجر من أرضنا وأدنى مدرة من أرض علونا فأما عن يسار القادسية فبحر أخضر لاج إلى الحيرة بين طرفين أما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئه ثم يطلع

بمن سلكه على ما بين الخورنق والخيرة وأما عن يمين القادسية ففيض من فيوض مياههم وبيننا وبين أدنى عدونا منا خمسة عشر ميلا ولم يبلغني من الذي أسندوا إليه أمرهم إلى أن كتبت إليك ومتى يبلغني ذلك أكذب به إليك إن شاء الله ونحن متوكلون على الله راجعون له

ولما بلغ أهل فارس اجتماع العرب لهم وكثرة من انثال على سعد من رؤسائهم ووجههم عظم ذلك عليهم ورعبهم وزادهم نزولهم القادسية رعبا وضيقا فعج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهريار وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب وأن فعلهم منذ نزلوها لا يبقى عليه شيء وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات فليس هنالك أنيس إلا في الحصون وقد ذهبت الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف وأعانوهم عليه

ولما كثرت الإستغاثة من أهل السواد على يزدجرد خشعت نفسه واتقى

الحرب برستم فأرسل إليه فدخل عليه فقال إني أريد أن أوجهك في هذا الوجه وإنما يعد للأمر على قدرها وأنت رجل أهل فارس اليوم وأنت لها وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتم من ذى آل أردشير فأراه رستم أن قد قبل منه وأثنى عليه فقال له الملك قد أحببت أن أنظر فيما لديك لأعلم ما عندك فصفت لي العرب وفعلهم وصف لي العجم وما يلقون منهم فقال رستم صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت فقال ليس كذلك إنما سألتك رجاء أن تعرف صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب فافهم عني إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفت على مرقب عند جبل تأوي في ذرارة الطير تبيت في أوكارها فإذا أصبحت الطير تجلت فأبصرت العقاب ترقبها فخافتها فلم تنهض وطمعت العقاب فلم ترم وجعلت كلما شذ منها طائر اقتضت عليه فاختمتقتها حتى أفنتها فلو نهضت بأجمعها نهضة واحدة لنجت وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجوا كلها إلا واحدا فهذا مثلهم ومثل الأعاجم فاعمل على قدر ذلك فإني أريد أن أوجه إلى هؤلاء القوم جمعا أستأصلهم به فسجد له رستم وقال الملك أفضل رأيا وأمين أمرا وأسعد جدا وإن أذن لي تكلمت

قال قل قال هزيمة جيش بعد جيش أمثل وأبقى من هزيمة الجماعة التي ليس بعدها مثلها فأبى عليه يزدجرد إلا أن يجمع له الناس ويوجهه بهم إلى العرب فقال له رستم أيها الملك دعني فإن العرب لا تزال تماب العجم ما لم تضربهم بي ولعل دولة تكون فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبناه للمكيدة ورأي الحرب فإن الرأي فيها والمكيدة انفع من بعض الظفر فألح يزدجرد وترك الرأي وكان ضيقا لجوجا وقال لرستم امض حتى يأتبك أمرى فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ووجه إليه الملك المرازبة والقواد والأسورة واستحثته

في المسير فأعاد عليه رستم كلامه وقال أيها الملك إن هزيمتي لهم دونها ما بعدها وعليكم دونها ما بعدها ولقد اضطرني تضييع الرأي إلى اعظام نفسي وتركيتها ولو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به فأنشدهك الله في أهلك ونفسك وملكتك دعني أقم بعسكري وأسرج الجاليبوس فإن تكن لنا فذاك وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم نجد بدا ولا حيلة صبرنا لهم وقد وهناهم وحسرتناهم ونحن جامون موفورون فأبى إلا ان يسير

ولما نزل رستم بساباط وجمع أداة الحرب وآلاتها بعث على مقدمته الجاليبوس في أربعين ألفا وخرج هو في ستين ألفا وساقته في عشرين ألفا وعليها الفيرزان وعلى ميمنته الهرمزان وعلى الميسرة مهران بن بهرام الرازي وقال رستم ليشرح الملك إن فسخ الله علينا هؤلاء القوم فهو وجهنا إلى ملكهم في داره حتى نشغلهم في أهلهم وبلادهم إلا أن

يقبلوا المسالمة ويرضوا بما كانوا يرضون به

وقال سيف عن أشياخه خرج رستم في عشرين ومائة ألف كلهم متبوع فكانوا بأتباعهم أكثر من مائتي ألف ثم أن رستم رأى رؤيا فكرهها وأحس لها الشر وكره لها الخروج ولقاء القوم واختلف عليه رأيه واضطرب وسأل الملك أن يمضي الجالينوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون وقال إن غناء الجالينوس كغنائي وإن كان اسمي أشد عليهم من اسمه فإن ظفر فهو الذي نريد وإن تكن الأخرى وجهنا مثله ودافعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما فإني لا أزال مرجوا في أهل فارس ما لم أهزم ولا أزال مهيبا في صدور العرب ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أباشرهم وإن باشركم اجترءوا آخر دهرهم وانكسر أهل فارس آخر دهرهم

قالوا ولما أبى الملك إلا مسير رستم كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤوس بلاده من رستم بن البنلوان إلى مرزبان الباب وسهم أهل فارس الذي كان يعد لكل عزيمة فيفيض الله به الجموع ويفتح به الحصون ومن قبله من عظماء أهل

فارس والمرزية والأساورة فرموا حصونكم واعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب هذه الأمة الذليلة كانت عندكم الخسيسية المنزلة الضيقة المعيشة قد وردوا بلادكم وقارعوكم على أرضكم وأبنائكم وانتزعوا ما في أيديكم وكان من رأبي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود نجومنا فأبى الملك ويقال إن رستم عندما أمره يزدجرد بالنهوض إلى ساباط كتب إلى أخيه بنحو الكتاب الأول وزاد فيه أن السمكة قد كدرت الماء وان النعائم قد حبست وحسنت الزهرة واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ويستولون على ما قبلنا وأن أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم بنفسي وأنا سائر إليهم

وكان الذي جرى يزدجرد على إرسال رستم غلام جابان منجم كسرى وكان من أهل فرات بادقلي فأرسل إليه وقال ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم فخافه على الصدق فكذبه وكان رستم يعلم نحو ما علمه فنقل عليه مسيره لأجل ذلك وخف على الملك لما غره منه وقال الملك للغلام إني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن به إلى قولك فقال الغلام لزرنا الهندي أخبره فقال سلني فسأله فقال أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه هاهنا وخط دائرة فقال الغلام صدق والطائر غراب والذي في فيه درهم فيقع منه على هذا المكان وبلغ جابان ان الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه فحسب فقال صدق ولم يصب إنما الطائر عقق والذي في فيه درهم فيقع منه على هذا المكان وكذب زرنا ينذر الدرهم من هاهنا فيستقر هاهنا ودور دائرة أخرى فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقق فسقط منه درهم في الخط الأول فنزا فسقط في الخط الآخر ونافر الهندي جابان حيث

خطاه فأتيا ببقرة نتوج فقال الهندي سخلتها غراء سوداء فقال جابان كذبت بل سوداء صبغاء فنحرت البقرة فاستخرجت سخلتها فإذا ذنبها أبيض وهو بين عينيها فقال جابان من هاهنا أتى وشجعاه على إخراج رستم فامضاه

ولما فصل رستم من ساباط لقيه جابان على القنطرة فشكا إليه فقال ألا ترى ما أرى فقال رستم أما أنا فأقاد بخشاش وزمام ولا بد من الإتياد وأمر الجالينوس بالتقدم إلى الحيرة فمضى نحوها حتى اضطرب عسكره بالنجف وخرج رستم بعده حيث ينزل بكوثي وأمر الجالينوس عندما قدمه أن يصيب له رجلا من العرب من جند سعد فخرج هو والآزافرود مرزبان الحيرة في سرية حتى انتهيا إلى القادسية فأصابا دون قنطرة رجلا فاخططاه ونفر الناس فاعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم وهو بكوثي فقال له رستم

ما جاء بكم وماذا تطلبون قال جتنا نطلب موعود الله عز وجل قال وما موعود الله عز وجل قال أرضكم وأبناؤكم ودماءكم إن أنتم أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن قتلتم قبل ذلك قال في موعود الله عز وجل من قتل منا قبل ذلك أدخله الله الجنة وانجز لمن بقي منا ما قلت لك فنحن من ذلك على اليقين فقال له رستم قد وضعنا إذا في أيديكم فقال ويحك يا رستم إن أعمالكم وضعتكم فاسلمكم الله بما فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تحاول الإنس إنما تحاول القضاء والقدر فاستشيط فأمر به فضربت عنقه رحمه الله وارتحل رستم من كوثي وكأنه يقاد بزمام حتى إذا كان يبرس أفسد أصحابه وغضبوا الناس أمواهم ووقعوا على نسائهم فضح العلوج إلى رستم وشكوا إليه

ما يلقون من أصحابه فجمع المرازبة والرؤساء فقام فيهم فقال يا معشر أهل فارس والله لقد صدق العربي والله ما أسلمتنا إلا أعمالنا والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم إن الله عز وجل إنما كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بالعدل وحسن السيرة فأما إذ تحولتم عن ذلك فأظهرتم البغي وسارعتم في الفساد فلا أرى الله عز وجل إلا مغيرا ما بكم وما أنا بآمن أن يتزع الله سلطانه منكم فإنه لم يفعل هذا قوم إلا نزع عنهم النصر وسلط عليهم العدو

ثم بعث الرجال فلقطوا بعض الذين شكوا فضربت اعناقهم ثم نادى في الناس بالرحيل فسار حتى نزل بجبال دير الأعرور ودعا أهل الحيرة وسراذقه إلى جنب الدير فأوعدهم وهم بهم وقال يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكتتم عيوننا لهم علينا واعتموهم بالأموال فاتقوا بآبن بقبيلة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه فتقدم إليه ابن بقبيلة فقال له لا تجمع علينا أمرين العجز عن نصرنا واللائمة لنا في الدفع عن أنفسنا وبلادنا أما قولك أنا فرحنا بمجيئهم وبأي ذلك من أمرهم نفرح إنهم يزعمون أنا عبيد لهم وما هم على ديننا وأنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار وأما قولك أنا كنا لهم عيوننا فما احتاجوا إلى العيون لقد ترك أصحابك البلاد حتى كانت خيولهم تذهب حيث شاءت وأما أعاتهم بالأموال فإننا صانعناهم بما إذ لم تمنعونا مخافة أن نسي ونخرب وتقتل مقاتلتنا وقد عجز عنهم من لقيهم منكم فكنا نحن اعجز منهم ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم فامنعونا نكن لكم فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلبنا فقال لهم رستم صدقكم الرجل

قال الرقيل ورأى رستم بالدير أن ملكا هبط من السماء حتى دخل عسكر فارس فأخذ سلاحهم فختم عليها ثم رفعها فأصبح كنييا وقد أيقن أن ملكهم قد ذهب ثم ارتحل حتى نزل النجف فعادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك ومعه النبي {صلى الله عليه وسلم} وعمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فدفعه النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى عمر فأصبح رستم وقد ازداد جزعا فلما رأى الرقيل ذلك رغبه في الإسلام فأسلم وما كان داعيته إليه إلا ذلك

وكان رستم قد أرسل إلى قابوس بن المنذر وقال بعضهم ابن النعمان بن المنذر اكفنا ما كانت آباؤك تكفينا من العرب وعقد له على أربعة آلاف وقدمه إلى العذيب فلما قدم سعد بن أبي وقاص بين يديه زهرة بن الجوية يرتاد له منزلا قدم زهرة أمامه بكر بن عبد الله الكناني وقال بعضهم عبد الله بن بكر فانتهى إلى العذيب ووافاه زهرة هنالك فطرقوا قابوس بيانا في حصن العذيب فقتلوه وتفرق أصحابه منهزمين حتى وصلوا إلى رستم هكذا ذكر المدائني وفي كتاب سيف أن الآزدمرد بن الأزابذة هو الذي بعث قابوس إلى القادسية وقال له ادع العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان آباؤك فلما نزل القادسية كاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعدا

فلما انتهى خبره إلى المعنى بن حارثة أسرى من ذي قار حتى بيته فأنامه ومن معه ثم رجع فخرج إلى سعد بن أبي وقاص بزوجة المنى ووصيته وهذا الوجه الذي خرج إليه هو الذي شغله عن تعجيل القدوم على سعد بوصية أخيه حسب ما ذكرناه قبل

وعن كريب بن أبي كرب العكلي وكان في المقدمات أيام القادسية قال قدمنا سعد من شراف فنزلنا في عذيب الهجانات ثم ارتحل فلما نزل علينا وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الجوية في المقدمات فلما رفع لنا العذيب وكانت من مسالحهم استبنا على بروجهم ناسا فما نشاء أن نرى على برج من بروجهم رجلا أو بين شرفتين إلا رأيناه وكنا في سرعان الخيل فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف ونحن نرى أن فيها خيلا ثم أقدمنا على

العذيب فلما دنونا منه خرج منه رجل يركض نحو القادسية فانتهينا إليه فدخلنا فإذا ليس فيه أحد وإذا ذلك الرجل هو الذي تراءى لنا على البروج وبين الشرف مكيدة ثم انطلق بخبرنا فطلبناه فاعجزنا وسمع بذلك زهرة فلحق بنا وخلفنا وأتبعه وقال إن أفلت الذي أتاهم الخبر فلحق بالخذق فطعنه فجد له فيه وكان أهل القادسية يعجبون من شجاعة ذلك الرجل وعلمه بالحرب ولم تر عين قط اثبت منه ولا أربط جأشا لولا بعد غايته لم يلحق به زهرة ووجد المسلمون رماحا ونشابا وأسفاط من جلود وغيرها انتفع المسلمون بها

ولما أمسى زهرة بن الجوية بعث سرية في جوف الليل وأمر عليهم بكير بن عبد الله الليثي وكانوا ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس وفيهم الشماخ القيسي الشاعر وأمرهم بالغارة على الحيرة فساروا حتى جازوا السيلحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جلبة فأحجموا عن الإقدام وأقاموا كميننا حتى يتبينوا فما زالوا كذلك حتى جازت بهم خيول تقدم تلك الغوغاء فتركوها فنفذت لطريق الصين وإذا هم لم يشعروا بهم وإنما ينتظرون ذلك العين الذي قتله زهرة وإذا أخت الأزاد مرد مرزبان الحيرة تزف إلى صاحب الصين وكان من أشراف العجم وتلك الخيل تبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمين كمين في النخل وحاذت بهم الأتقال حمل بكير على شيراز بن الأزاذبة أخي الأزاد مرد وهو بين أخته وبين الخيل فقصم بكير صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الأتقال وابنة الأزاذبة في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة امرأة من التوابع ومعهم ما لا يدري قيمته ثم عاج واستاق ذلك كله فصبح سعدا

بعذيب الهجانات بما أفاء الله عز وجل على المسلمين فكبروا تكبيرة شديدة فقال سعد أقسم بالله لقد كبروا تكبيرة عرفت فيها العز فقسم ذلك سعد على المسلمين ونقل من الخمس وأعطى المجاهدين بقية فوقع منهم موقعا ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحرم وانضم إليها حاطة كل حريم وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثي ونزل سعد القادسية فنزل في قديس ونزل زهرة بجبال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم وكتب سعد إلى عمر رحمه الله يعلمه بقتل الأزاذبة على يدي بكير بن عبد الله وقال فيما كتب به إليه وأنا مقيم بالقادسية على أمرك ومنزلنا خصيب الجناب ونحن ننتصف فيه من عدوان نزل بنا في الخصب نال من ذلك أفضل الذي نريد وهو يوم كتبت لك مباح لنا لا يذفوننا عنه إلا بالاعتصام بمعاقلمهم ولن يزال عندك منا كتاب بما يحدث إن شاء الله

فأقام سعد شهرا ثم كتب بمثلها إلى عمر رحمه الله ونحن وعدونا على ما كتبت إليك لم يوجهوا إلينا أحدا ولا أسندوا حربا إلى أحد علمناه ومتى يبلغنا ذلك نكتب به فاستنصروا الله لنا فإننا بمنحة دينا عريضة دونها بأس شديد وقد تقدم الله إلينا في الدعاء إليهم فقال تعالى ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد (١٦ الفتح)

فكتب إليه عمر أما بعد فإن أبا بكر رحمه الله كان رشيدا موقفا محفوظا معانا أكرمه الله وأعانه حتى قبضه إليه راضيا مرضيا عنه وقد ابتلينا بالذي ولينا مما لاطاقة لنا بحفظه والقيام عليه إلا بتحنن القوى ذي العزة والعظمة وقد علمت ان فارس ستقبل إليك بمرازبتها وبأسها وعددها فأياك والمناظرة لجموعهم والقادسية على ما وصفت لي منزل جامع والجد الجد على الذي أنت عليه واكتب إلي بجمعهم الذي زحفوا إليك به ومن رأسهم الذي يسندون إليه أمرهم وكم بين ادنى عدوك منك وبين ملكهم واجلني من أمرهم

على الجليلة فإنك بحمد الله على أمر الله وليه وناصره والله ناصر من نصره وقد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له والله متم أمره ومن يرد الله به صلاحا يلهمه رشده فيما أعطاه ويبصره الشكر لنعمته والعمل بطاعته والعرفان لأداء حقوقه ومن يكن بتلك المنزلة يعنه الله على حسن نيته ويعطه أفضل رغبته وإنما يستوجب كرامة الله بتمام نعمته من عصم له دينه وإنما يصلح الله النية لمن رغب فيما عنده وأذعن لطاعة ربه وإن منازل عباد الله عنده على نياتهم فأكثر ذكر الله وكن منه على الذي رغبك إليه وفيه فإن في ذلك رواحا للمستريح ونجاحا تجد فيه غدا نفع ما قدمت فإنك ممن أرغب له في الخير ويعيني أمره للمكان الذي أنت فيه من عدو الإسلام نسأل الله لنا ولك إيمانا صادقا وعملا زاكيا

فكتب إليه سعد وقد علم بأن رستم هو الذي تعين لحرب العرب وقود جيوش فارس وانه قد زحف إلى المسلمين ودنا منهم إذ كان سعد وجه عيوننا إلى الحيرة فرجعوا إليه بالخبر فكتب به فيما أجاب به عمر رضي الله عنهما أتاني كتابك بما ذكرت من أبي بكر رحمة الله عليه ولم يكن أحد يذكر من أبي بكر شيئا إلا وقد كان أفضل من ذلك فبواه الله غرف الجنة وعرف بيننا وبينه وإنك عامل من عمال الله فاستعن بالله وشره وليس شيء أهم عندي ولا أنا أكثر ذكرا لما نحب أن نكون عليه من الذي أمرتنا به والله ولي العون على ذلك وقد قدم علينا عظيم من عظمائهم يقال له رستم بالخيال والفيول والعدد والعدة والقوة فيما يرى الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله وبيننا وبينه خمسة عشر ميلا وبينه وبين ابن كسرى بأبيض المدائن نيف على ثلاثين فرسخا ولنا من عدونا النصف إن شاء الله ولن يزال منا عندك كتاب يخبرنا إن شاء الله فاستنصروا الله لنا بالدعاء والتضرع خفية وجهرا فإن الله يعطي من سعة ويأخذ بقدره ويفعل ما يشاء

وكان عمر رحمه الله قد أمر بموالاتة الكتب إليه بكل شيء فكان سعد

يكتب إليه في كل يوم

وكتب إليه عمر

أتاني كتابك تذكر مكان عدوك ونزولك حيث نزلت ومسافة ما بينك وبين ابن كسرى وانه من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فأرسل إلى ابن كسرى من يدعو إلى الإيمان أو إعطاء الجزية أو الحرب فإن أسلم عليه ما عليكم وإن اختار إعطاء الجزية ولم يسلم فله ما كسب وعليه ما اكتسب وقد حقن دمه وأحرز أرضه ولا سبيل عليه إلا في حق عليه فإن أبي الإسلام واعطاء الجزية فلا يعظم عندك حربه ولا يكرهك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به فاستعن بالله واستنصره وتوكل عليه وإذا لقيت عدوك فقدم أهل البأس والنجدة في غير إهانة لهم ولا تغرير بهم وعليكم بالصبر فإنه ينزل النصر فإذا ظهرت فأكثر القتل في دبر المشركين واقتل المقاتلة واستبق النساء والصبيان ثم لا تتركن أحدا من العدو ورائك وإن اعطوك الصلح فلا تصالح إلا على الجلاء إلا أن تترك فيها من لا كيد له ولا نكاية وأحط بأمرى وخذ بعهدي

وفي رواية انه قال له فيما كتب به إليه وابتعث أليهم رجالا من أهل المنظر والرأي والجلد يدعونهم فإن الله عز وجل جاعل دعاءهم توهينا لهم وقلجا عليهم
ولما انتهى إلى سعد أمر عمر رضي الله عنه بالتوجه إلى يزدجرد جمع نفرا لهم نجار وهم آراء ونفرا لهم منظر وعليهم مهابة

فأما الذين لهم نجار وهم آراء واجتهاد فالنعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وجيلة بن جوية الكناني وحنظلة بن الربيع الأسدي وفرات بن حيان العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب
وأما الذين لهم منظر لأجسامهم وعليهم مهابة وهم آراء فعطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو
ابن معدي كرب وغيرهم ممن سماه سيف في كتابه
وخالفه المدائني في بعضهم فلم يذكرهم وذكر معهم ممن لم يذكره سيف طليحة بن خويلد وزهرة بن جوية وليد بن عطارد وشرحيل بن السمط
قال المدائني فاتوا الخيرة فأرسل إليهم رستم أين تريدون قالوا نريد ابن كسرى فأرسل معهم أساورة فجزؤهم إلى المدائن فوقفوا ببابه

وقال سيف إنهم طورا رستم حتى انتهوا إلى باب يزدجرد فوقفوا على خيول عراب معهم جنائب وكلها صهال فاستأذنوا فحبسوا وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه ليستشيرهم فيما يصنع بهم ويقول لهم وسمع بهم الناس فحضرهم وهم ينظرون إليهم وعليهم المقطعات والبرود وفي أيديهم سياط رفاق وفي أرجلهم النعال فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فدخلوا عليه
قال بعض من حضر هذا اليوم ممن سبي في القادسية ثم حسن إسلامه لما كان هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب على يزدجرد تاب إليهم الناس ينظرون إليهم فلم أر عشرة قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم وخيلهم تحبط ويوغر بعضها بعضا وجعل أهل فارس يسؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس وكان سيء الأدب فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن قال لترجمانه سلهم ما يسمون هذه الأردية فسأل النعمان بن مقرن وكان على الوفد ما تسمى رداءك قال البرد قال فتطير لموافقة هذا الاسم اسم شيء متطير به عندهم وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم ثم قال سلهم عن أحذيتهم فسأله فقال النعال فتطير أيضا لمثل ذلك ثم سأله عن الذي في يده فقال سوط والسوط بالفارسية الحريق فقال احرقوا فارس أحرقهم الله وكان تطيره على أهل فارس ثم قال لترجمانه سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل انا أجهنمناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال لهم النعمان بن مقرن إن شئتم أجيبت

عنكم ومن شاء آثرته قالوا بل تكلم وقالوا للملك كلام هذا الرجل كلامنا فنكلم النعمان فقال إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع لذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص فمكت بذلك ما شاء الله أن يمكت ثم أمر أن يبذ إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم ففعل فدخلوا معه جميعا على وجهين مكره عليه فاغتبط وطاع أتاها فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاءنا به على ما كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبدا بمن يلينا من الأمم فنذعوهم إلى الإنصاف فحن ندعوهم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فإن أبيتم فأمر من الشر

هو أهون ما آخر شر منه الجزاء فإن أيتتم فالمناجزة فإن أحبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه وعلى أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم فإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا منكم ومعناكم وإلا قاتلناكم قال فتكلمم يزدجرد فقال إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم لا نغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فأسكت القوم فقام المغيرة بن زرارة النباش الأسدي فقال أيها الملك إن هؤلاء رعوس العرب ووجوههم وهم أشرف يستحيون من الأشرف وإنما يكرم الأشرف الأشرف ويعظم حقوق الأشرف الأشرف وتفخم الأشرف الأشرف وليس كل ما أرسلوا به جمعه لك ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه وقد احسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك فجاوبني لأكون الذي

أبلغك ويشهدون على ذلك انك قد وصفتنا فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أحد أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعاما وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من اوبار الإبل وأشعار الغنم ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض فإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك وبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضنا وحسبه خير احسابنا وبيته اعظم بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا واجملنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب له كان الخليفة من بعده فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئا إلا كان فقدف الله في قلوبنا اتباعه والتصدق له فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فهو قول الله وما امرنا به فهو أمر الله فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي مصير كل شيء وإن رحمتي أدرتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحللكم داري دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الله وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوهم مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبي فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته الجنة ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وأن شئت فالسيف أو تسلم فتسجوا بنفسك فقال أتستقبلني بمثل هذا فقال ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به فقال لولا أن الرسل لا تقتل لقاتلتكم لا شيء لكم عندي وقال اتتوني بوقر

من تراب واحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن ارجعوا إلى صاحبكم واعلموه أي مرسل إليهم رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية ومنكل به وبكم من بعده ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور

ثم قال من أشرفكم فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو أراد لناخذ التراب أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحملنيه قال أكدلك قالوا نعم فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها فقال له أصحابه حملت ترابا قال نعم الفأل قد أمكنكم الله من أرضهم فلم يزل معه حتى قدم به على سعد فاخبره الخبر فقال سعد أبشروا فقد والله اعطانا الله أقاليد ملكهم وجعل المسلمون يزدادون في كل يوم قوة ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا واشتد على جلساء الملك ما صنع وما صنع المسلمون من قبول التراب وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما

كان من أمره وأمرهم وكيف رأيهم فقال الملك ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي والله ما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا واخبره بكلام متكلمهم وقال لقد صدقني القوم لقد وعدوا أمرا ليدركه أو ليموتن عليه علي أي وجدت أفضلهم أحقهم لما ذكروا الجزية اعطيته ترابا يحمله علي رأسه فخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم

قال أيها الملك اخذ التراب أعقلهم وما أخذه إلا تطيرا وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عنده كئيبا غضبان فبعث في أثر الوفد وقال لبعثه أن ادركتموهم تلا فينا أرضنا وإن اعجزوكم سلبكم الله أرضكم فرجع إليه من كان وجه أثرهم من الحيرة فأعلمه بفواتهم فقال ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك ما كان من شأن ابن الحجابة الملك ذهب القوم بمفاتيح أرضنا فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا وغاز بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد إلى أن جاءوا سيادين قد اصطادوا سمكا وسار سواد بن مالك التميمي إلى

النجاد والفراض إلى جنبها فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور فاوقروها سمكا واستاقوها فصبحوا بها العسكر فقسم سعد السمك بين الناس وقسم الدواب ونفل الخمس إلا ما رد منه على المجاهدين وأسهم على السبي وهذا يوم الحيتان وكان الآزدمرد الأزابدة قد خرج في الطلب فعطف عليه سواد وفوارس معه فقاتلهم على قنطرة السيلحين حتى عرفوا أن قد نجت الغنيمة ثم أتبعوها حتى أبلغوها المسلمين وكانوا إنما يقرمون إلى اللحم وأما الخنطة والشعير والتمر فكانوا قد اكتسبوا منه ما اكتفوا به لو أقاموا زمانا فكانت السرايا إنما تسري للحموم ويسمون أيامها بها كيوم الأباقر ويوم الحيتان وخرج أيضا مالك بن ربيعة بن خالد من تيمم الرباب ومعه المسافر بن النعمان التميمي في سرية أخرى فأغاروا على الفيوم فأصابوا أبلابا لبني تغلب والنمر فشلوها ومن فيها فغدوا بها على سعد فنحرت الإبل في الناس واخصبوا

ولما كتب سعد إلى عمر رحمه الله يخبره بأمر ابن كسرى واعداده للمصادمة وان من كان صالح المسلمين من أهل السواد قد صاروا إلبا عليهم لأهل فارس قال وأمر الله بعد ما مض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية كتب إليه عند ذلك عمر رحمه الله قد جاءني كتابك وفهمته فاقم مكانك حتى ينقض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أديارهم فلا ينزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وللمسلمين عامة ويدعون له معهم وفيما ذكر سيف عن رجاله قالوا كان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه عنها إلى أن لقي سعدا أربعة أشهر لا يقدم ولا يقاوم رجاء أن يضجروا بمكافهم وان يجهلوا فينصرفوا وكان يكره القتال مخافة أن يلقي ما لقي من قبله ويجب المطاولة له لولا أن الملك جعل يستعجله وينهضه ويقدمه حتى أقحمه وكتب عمر رضي الله عنه إلى سعد

إنه قد ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو وهزمتهم فاطرحوا الشك وآثروا عليه اليقين فمن لاحن منكم أحدا من العجم بامان بإشارة أو بلسان ولا يدري الأعجمي ما كلمتموه به وكان عندهم أمانا فاجروا ذلك مجرى الأمان وآثروا اليقين والنية على الشك وإياكم والحق وعليكم بالوفاء فإن الخطأ مع الوفاء له بقية والخطأ بالغدر هلكته وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ربحكم وإقبال ربحهم وإياكم أن تكونوا شينا على المسلمين وسببا لتوهينهم وكتب إليه سعد يستمده فكتب إليه عمر

أتستمدني وأنت في عشرة آلاف ومعك مالك بن عوف وحنظلة بن ربيعة وطليحة بن خويلد وعمرو بن معدى كرب في أمثالهم من فرسان العرب ومن معك من أهل الحسبة والرغبة في الجهاد فتوكل على الله واستعنه وناهض عدوك ولا تهيّب الناس واستفتحوا بحسن النية والحسبة والزهد في الدنيا والإنصاف والصبر الصبر والصدق الصدق فإن النصر ينزل مع الصبر

والأجر على قدر الحسبة واحذر على المسلمين وتحرز من البيات وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله وانذب على الناس إلى القتال ونفل أهل البلاء ومن قتل قتيلا فنقله سلبه ونكل على المعصية واجعل الناس أسبعا واستعمل على كل سبع رجلا وقال بعضهم أعشارا وقد كتبت إلى المغيرة بن شعبة أن يشخص إليك في طائفة ممن قبله بالبصرة وكتبت إلى أبي عبيدة أن يمدك بجمع من الشام فإذا قدموا عليك فناهض عدوك وإن رأيت فرصة قبل ذلك فاغتنمها ولا تؤخر ذلك إن شاء الله ولا تسو حشن لقلّة من معك ولا تمّن لكثرة عدوك فكثيرا ما ينصر القليل ويخذل الكثير وقبلك طليحة بن خويلد وعمرو بن معدى كرب وحنظلة بن ربيعة وأوس بن معدان وابن زيد الخيل فلا تؤمّن أحدا منهم على أكثر من مائة وشاور عمرا وطليحة في الحرب ولا تولهما جمعا

فانتهى سعد رحمه الله إلى كل ما أمره به عمر رضي الله عنه من تهيئة الناس أسبعا أو أعشارا وقدم عليه المغيرة في ثمانمائة ويقال في ألف وخمسمائة والمسلمون في ضيق فقال المغيرة رحمه الله من آسى أخوانه بطعامه وزاده وبنافته وجمله فنحروا لهم واخرجوا أطعماتهم فأصابوا منها ووقوا وأشار المغيرة على سعد أن يوجه السرايا فيصيبوا الطعام والعلف فقبل سعد مشورته وبث السرايا فأصابوا من الأطعمة ما كانوا يكتفون به زمانا وقد روي عن الشعبي أن عمر رحمه الله كتب إلى سعد مرتحله من زرود أن ابعث إلى فرج الهند رجلا ترضاه يكون بحيماله ردا لك من شيء إن اتاك من تلك التخوم فبعث إليه المغيرة بن شعبة في خمسمائة فكان بحيمال الأبله من أرض العرب فاتى غضبا ونزل على جرير وهو يومئذ هنالك فلما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله ومنزل الناس فكتب إليه عمر

إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم وأمر على أجنادهم وعبئهم ومر رؤساء المسلمين أن يشهدوا وقدرهم وهم شهود ثم وجههم

إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم إليك المغيرة في خيله واكتب إلي بالذي يستقر عليه أمرهم فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فاتوه فقدر الناس وعبأهم بشراف فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات أزمان النبي {صلى الله عليه وسلم} وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمر على الرايات رجلا من أهل النباهة وأمر على الأعشار رجلا من الناس لهم وسائل في الإسلام وولى الحرب رجلا فولى على مقدماتها ومجنباها وساقبتها ومجرداتها وركبانها وطلانعتها فلم يخرج من شراف إلا عن تعبئة ولا فصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه

قالوا فيما ذكر سيف عن رجاله وبعث عمر رحمه الله الألبية وبعث على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وجعل إليه الأقباض وقسمة القبيء وجعل داعيهم ورائلهم سلمان القارسي فكان أمراء التعبئة يلون الأمير والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤساء القبائل فلما فرغ سعد من تعبئته وأعد لكل شيء من أمره جماعات ورؤساء كتب بذلك إلى عمر رحمه الله ولا خفاء بما بين مقتضى هذا الحديث وبين ما قبله من الاختلاف بالتأخر أو التقدم والله تعالى أعلم

وبعث سعد في مقامه بالقادسية إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى ميسان فطلب بقرا وغنما فلم يقدر عليها وتحصنوا منه في الأفدان وأوغلوا في الآجام فضرب حتى أصاب رجلا على طف أجمة فسأله واستدله على البقر والغنم فحلف له وقال ما أعلم وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياما وهذا اليوم هو يوم الأباقر وذكر المدائني أن حنظلة بن الربيع الأسيدي هو صاحب هذه الغارة وأنه أتى أسفل الفرات فلم يصب مغنما ولم يلق كيدا فرجع فلقوا رجلا فقالوا له هل تعلم مكان أحد من عدونا بمحضرتك قال لا قد رغبتهم فدخلوا عن مساكنهم قالوا فنعلم مكان طعام أو شاة أو بقر قال لا وسمعوا خوار ثور من غيضة فدخلوها فأصابوا بقرا وغنما

قال وقال الحجاج لرجل من بني أسد أشهدت القادسية قال نعم قرمنا إلى اللحم فخرجت في رجال من المسلمين نلتمس اللحم فأخفنا فلما أنصرفنا إذا بصوت عن إيماننا ادخلوا الغيضة فإن فيها غنيمة وأجرا فدخلنا غيضة قريبا منا فإذا عشرة من الأعاجم وإذا طعام وبقر وغنم فقاتلونا عما في أيديهم فاستشهد منا رجلان وقتلنا منهم ثمانية وأسروا رجلين فقتلناهما صبورا وحملنا الطعام واستقنا الشاة والبقر فقسم سعد ذلك بين المسلمين ونقل كل رجل منا قتل رجلا سلبه فقال الحجاج هذه بشرى من الله لأولياته لا يكون ذلك حتى يكون الجمع برا تقيا فكيف كانوا قال لا تسأل عن صدق قول ووفاء بالعهد وأداء للأمانة وصبر عند البأس والله أعلم ما يسرون فأما الظاهر فإننا لم نر قوما قط أزهدي في دنيا ولا أشد لها بغضا ما اعتد على رجل منهم في يوم بواحدة من ثلاث لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول أشداء على الكفار رحماء بينهم قال الحجاج هذه صفة الأبرار

وكتب عمر إلى سعد رضي الله عنهما أخبرني عن الناس وبلاتهم أتفاضلت القبائل فيه أو خرجوا على السواء فكتب إليه إن القبائل لم تزل إلى أن كتبت إليك متساوية في كل غارة ومنهابة في جميع ما أعدوا وقسم ما ناهوا ولم يفترقوا إلا في ثلاث لما نزلنا بلاد القوم وعسكرنا بالقادسية قرمت العرب إلى طعامهم وعماموا إلى شرابهم فانتدب لهم من مضر عاصم بن عمرو وسواد بن مالك ومالك بن ربيعة والمساور بن النعمان وغالب بن عبد الله وعبيد الله بن وهب وعبيد الله بن عمير الأشجعي وعمرو بن الهذيل الأسدي وعمرو بن ربيعة والحارث بن ذي البردين فألحموا الناس

وألبنوهم حتى تغرغوا حربهم وانتدب من ربيعة عبد الله بن عامر بن حجية وأبجر بن جابر وخالد بن المعمر وعائذ بن أبي مرضية ويزيد بن مسهر وسمى آخرين فانكحوا الناس واخدموهم بنات فارس وبنينهم فرغوا في حربهم وانتدب من أهل اليمن خولى بن عمرو والحارث بن الحارث وعمرو بن خوثةمة والقاسم بن عقيل وخميصة بن النعمان وسمى غيرهم فحملوا الناس على خيول وبغال وحمير ودعوا الخيل العرب

وأقام سعد بالمسلمين في منزله من القادسية ورستم بالحيرة وكف رستم عن القتال وطمع أن يضجر المسلمون بمكائهم وكف سعد عنهم والمسلمون وصبروا رجاء ان يصالحوا عن بلادهم ويعطوا الجزية ويسلموا وكان عمر رحمه الله قد عرف أن القوم سيطر لوهم فلذلك ما عهد إلى سعد والمسلمين أن ينزلوا على حدود أرضهم وأن يطاولوهم أبدا حتى ينقضوهم فحينئذ نزلوا القادسية وقد وطنوا أنفسهم على الصبر وأبى الله إلا أن يتم نوره وإذا أراد الله أمرا أصابه فأقاموا واطمأنوا فكانوا يغيرون على السواد فانتسفوا ما يليهم فحووه وأعلوا للمطولة أو يفتح عليهم

وكان عمر رضي الله عنه بمدهم بالأسواق إلى ما يصيبون فلما رأى ذلك يزدجرد من أمرهم وعلم أنهم غير منتهين

وأنه إن أقام لم يتركه وشكا إليه عظماء أهل فارس من نزولهم القادسية وإخراهم البلاد بالغات ورستم كاف عنهم مقيم بإزائهم أمر رستم بالشخص لنا جزقهم ورأى رستم أن ينزل بينهم وبين العتيق ثم يطاؤهم مع المنازلة ورأى أن ذلك أمثل ما هم عاملون حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم وتلور لهم سعود وعن سيف عن رجاله قالوا وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين وذو الحجاب بين رستم والجالينوس وقال الناس لسعد قد ضاق بنا المكان فأقدم فزجر من كلمه بذلك وقال إذا كفيتم الرأي فلا تكلفوا فإننا لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي فاسكوا ما سكتنا عنكم

وعن أبي عثمان النهدي أن سعدا رحمه الله لما نزل رستم النجف بعث الطلائع وأمرهم أن يصيبوا رجلا يسأله عن أهل فارس فأخرج طليحة في خمسة وعمرو بن معدي كرب في خمسة وذلك صيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحجاب وهم لا يشعرون بفصولهم من النجف فلم يسبروا إلا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الصفوف قد ملؤها فقال بعضهم ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم وهو يرى أن القوم بالنجف فأخبروه الخبر وقال بعضهم ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم فقال عمرو لأصحابه صدقتم وقال طليحة لأصحابه كذبتهم ما بعثتم لتخبروا عن السرح أو ما بعثتم إلا للخبر قالوا فما تريد قال أريد أن أخالط عسكر القوم أو أهلك قالوا أنت رجل في نفسك غرر ولن تغلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى وأتى سعد الخبر برحيل فارس فبعث قيس بن هبيرة وأمره على مائة وعليهم أن لقيهم فانهي إليهم وقد افترقوا وفارقهم طليحة فرجع بهم قيس فأخبروا سعدا بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم فلما أدير الليل أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر فإذا فرس لم ير في خيل القوم مثله وفسطاط أبيض لم ير مثله فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ثم ضمه إلى مقود فرسه وحرك فرسه فخرج يعدو به ونذر به القوم فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول فخرجوا في طلبه فلحقه وقد أصبح فارس من الجند فلما غشيه وبوأ له الرمح ليطنه عدل طليحة فرسه فبدر الفارسي بين يديه فكر عليه طليحة فقسم ظهره بالرمح ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلك ولحق به آخر وقد رأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقا ففعل معه طليحة كما فعل معهما ثم كر عليه ودعاه إلى الإسار فعرف الفارسي أنه قاتله

فاستأسر وأمره طليحة ان يركض بين يديه ففعل ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلوا وأسروا الثالث وقد شارف طليحة عسكر المسلمين فأحجموا ونكصوا وأقبل طليحة حتى غشى العسكر وهم على تعبئة فأفرغ الناس وجوزوه إلى سعد فلما انتهى إليه قال ويحك ما وراءك قال دخلت عساكرهم وجستها وقد أخذت أفضلهم توسما وما أدري أصبت أو أخطأت وها هو ذا فاستخبره فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي فقال الفارسي أتؤمنني على دمي إن صدقتك قال نعم والصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن قبلي باشرت الحرب وغشيتها وسمعت بالأبطال ولقيتها مذ أنا غلام إلى ان بلغت ما ترى فلم أرى ولم أسمع بمثل هذا أن رجلا قطع عسكرين لا يجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفا يجدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون ذلك فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته وطلبناه فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل بألف فارس فقتله ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله ثم أدركته ولا أظني خلفت بعدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي فرأيت الموت فاستأسرت ثم أخبره عن أهل فارس أن الجند عشرون ومائة ألف وان الأتباع مثلهم خدام لهم وأسلم الرجل وسماه سعد مسلما وعاد إلى طليحة فقال لا والله ما تمزومون مادمتم

على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمواساة لا حاجة لي في صحبة فارس فكان من أهل البلاء يومئذ
وعن موسى بن طريف أن سعدا بعث طليحة وعمرو بن معدي كرب فأمر طليحة بعسكر رستم وأمر عمرا بعسكر
الجالينوس فخرج في عدة وخرج طليحة وحده فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما وقال إن لقيت قتالا فأنت عليهم
فخرج حتى تلقى عمرا فسأله عن طليحة فقال لا علم لي به

فلما انتهى إلى النجف قال له قيس ما تريد قال ان أغير على أدنى عسكرهم قال في هؤلاء قال نعم قال لا أدعك
والله وذاك أتعرض المسلمين لما لا يطيقون قال وما أنت وذاك قال إني أمرت عليك ولو لم أكن أميراً لم أدعك فقال
عمرو بعد ان شهد لقيس نفر باستعمال سعد إياه عليه وعلى طليحة والله يا قيس إن زمانا تكون علي فيه أميراً
لزمان سوء لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلي من أن تؤمر علي
ثانية ولن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقته قال ذلك إليك بعد مرتك هذه فرده فرجع إلى سعد بالخبر
وبأعلاج وأفراس وشكا كل واحد منهما صاحبه اما قيس فشكا عصيان عمرو وأما عمرو فشكا طاعة قيس فقال
سعد يا عمرو والخير وسلامة مائة أحب إلي من مصاب مائة تقتل ألقا أتعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة إن كنت
لأراك أعلم بالحرب مما أرى فقال له عمرو إن الأمر لكلمات قلت وخرج طليحة حتى أتى النجف فدخل عسكر
رستم في ليلة مقمرة فتوسم فيه فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحاجب
فهتك على آخر بيته وحل فرسه ثم دخل على الجالينوس عسكره فهتك عن آخر بيته وحل فرسه ثم خرج حتى أتى
الحرار وأبعده هؤلاء فكان أولهم لحاقاً به الجالينوس ثم الحاجبي ثم النخعي فأصاب الأولين وأسر الآخر وأتى به سعدا
فأخبره وأسلم فسماه سعد مسلماً ولزم طليحة فكان معه في تلك المغازي كلها

وعن موسى بن طريف أيضاً قال قال سعد لقيس بن هبيرة أخرج يا عاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تخنوا
عليه حتى تأتيني بخبر القوم فخرج وسرح معه عمرو بن معدي كرب وطليحة فلما جاز القنطرة لم يسر إلا يسيراً
حتى انتهى إلى خيل عظيمة منهم بجيها ترد عن عسكرهم وإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب
وارتحل الجالينوس فنزل ذو الحاجب منزله

ونزل الجالينوس بطيز ناباذ وقدم تلك الخيل فقال قيس قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين فأنشب القتال وطاردهم
ساعة ثم حمل عليهم فكانت هزيمتهم وأصاب منهم اثني عشر رجلاً وأسر ثلاثة وأصاب أسلاباً فأثروا سعداً بالغنيمة
وأخبروه الخبر فقال هذه بشرى إن شاء الله إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدهم فلهم أمثالها ودعا عمرا وطليحة فقال
كيف رأيتما قيساً فقال طليحة رأيناه أكيس منا وقال عمرو الأمير أعلم بالرجال منا فقال سعد إن الله أحيا بالإسلام
قلوباً كانت ميتة وأمات به قلوباً كانت حية وإني أحذر كما أن تؤثر أمر الجاهلية على أمر الإسلام فتموت قلوبكم
وأنتما حيان الزموا السمع والطاعة والإعتراف بالحقوق فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالإسلام
قالوا ولما انتهى رستم إلى العتيق وقف عليه بجيال عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون ويتزهم فينزلون حتى
اعتموا من كثرتهم

وقال المدائني مكثوا ليلتهم كلها يتحدرون ومن غد إلى قريب من نصف النهار بعده تجب منها القلوب
وقال قيس بن أبي حازم وكان شهد القادسية كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً ومع الجالينوس خمسة عشر فيلاً
وقال غيره كان في جملتها فيل سابور الأبيض وكانت الفيلة تألفه وكان أعظمها وأفلمها

وقال الرفيل كانت ثلاثة وثلاثون في القلب ثمانية عشر وفي الجنبتين خمسة عشر
قال ولما نزل رستم العتيق وبات به أصبح غاديا على التصفح والحرز

فساير العتيق نحو خفان حتى أتى على مقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة فتأمل القوم حتى أتى
على تل يشرف عليهم فلما وقف على القنطرة أرسل زهرة بن جوية وكان هناك مسلحة لسعد فخرج إليه حتى
واقفه فأراده على أن يصلحهم ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول فيما يقول إنكم جيراننا وقد كانت
طائفة منكم في سلطاننا فكنا نحسن جواركم ونكف الأذى لا عنكم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل
باديتهم ففرعيتهم مراعيينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم التجارة في شيء من أرضنا فقد كان لهم في ذلك معاش
يعرض له بالصلح ولا يصرح فقال له زهرة صدقت قد كان ما تذكر وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم إنما لم
نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة كنا كما ذكرت يدين لكم من قدم عليكم منا ويضرع إليكم يطلب ما
في أيديكم ثم بعث الله عز وجل إلينا رسولا فدعانا إلى دينه فأجبناه فقال لنبيه {صلى الله عليه وسلم} إني قد
سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني فانا منتقم بهم منه وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا
يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد إلا عز قال رستم وما هو قال عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به
فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى قال ما أحسن هذا وأي شيء
أيضا

قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى

قال حسن وأي شيء أيضا

قال والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم

فقال ما أحسن هذا ثم قال له رستم أرأيت لو أني رضيت هذا الأمر وأجبتكم إليه ومعى قومي كيف يكون أمركم
أترجعون

قال أي والله ثم لا تقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة

قال صدقتني والله أما أن أهل فارس منذ ولي أردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون إذا
خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم

فقال له زهرة نحن خير الناس للناس ولا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله
فيينا

فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا منه وأنفوا فقال أبعدكم الله وأسحقكم أجزى الله أجزعنا
وأجبننا

وعن سيف عن رجاله قالوا أرسل سعد إلى المغيرة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثة وحذيفة بن محسن وربيع بن
عامر وقرقة بن أبي زاهر التيمي الوائلي ومدعور بن عدي العجلي والمضارب بن يزيد وسعيد بن مرة وهما من بني
عجل أيضا وكان سعيد من دهاة العرب فقال لهم سعد إني مرسلكم إلى هؤلاء فما عندكم

قالوا تتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به

قال سعد هذا فعل الخزمية اذهبوا فتهيئوا

فقال ربيع بن عامر إن الأعاجم لهم آراء وأدب ومتى نأتمم جميعا يرون أنا قد احتفلنا لهم فلا تزدهم على رجل

فمالتوه جميعا على ذلك فقال فسرحني فسرحه فخرج ربعي بن عامر ليدخل على رستم عسكره فاحتسبه الذي على القنطرة وأرسل إلى رستم بمجيئه فاستشار عظماء أهل فارس فقال ما ترون أنباهي أم نتهاون فاجتمع ملؤهم على المباهاة فأظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئا ووضعوا لرستم سرير الذهب وألبس زينتته من

الأحاط والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعي يسير على فرس له زباء قصيرة معه سيف له مشوف وغمده لفافة ثوب خلق ورحمه معلوب بقدم معه حجفة من جلود البقر على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ومعه فرسه ونبله فلما انتهى إلى أدنى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها فلما استوت على البسط نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم ادخل الجبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا فأراد استحراجهم وعليه درع له كأنه أضاة ويلمقة عباءة بعيره قد جابها وتدرعها وشدها على وسطه بسلب ولرأسه أربع ضفائر قد قمن قيما كأنهن قرون الوعول وكان أكثر العرب شعره فقالوا له ضع سلاحك فقال إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتوني فإن أحببتم أن آتيكم كما أريد وإلا رجعت فأخبروا رستما فقال أنذنوا له هل هو إلا رجل فأقبل يتوكأ على رحمة وزجه نصل يقارب الخطو ويزج النمارق والبسط فما ترك لهم نمرقة ولا بساطا إلا أفسده وتركها متهتكة محرقة فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الأرض وركز رحمة في البساط فقالوا ما حملك على هذا قال أنا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له رستم ما جاء بكم فقال الله ابعتنا وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبله قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها

دوننا ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله قال وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقي قال رستم قد سمعنا مقاتلكم فهل لكم أن تخرجوا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتظنوا قال نعم كم أحب إليك أيوم أم يومان قال لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا فقال إن مما سن لنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعمل به أنمتنا ألا نمكن الأعداء من بداتنا ولا نؤجلهم عند الإلتقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل اختر الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع ولسنا نبذلوك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كفيل لك بذلك على جميع من ترى قال أسيلهم أنت قال لا ولكن المسلمين فيما بينهم كالجسد بعضهم من بعض يجير أديانهم على اعلاهم فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال ما ترون هل سمعتم كلاما قط أوضح نصرا ولا أعز من كلام هذا الرجل قالوا معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب أما ترى إلى ثيابه فقال وبحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة إن العرب تستخف باللباس والمأكول ويصنونون الأحساب ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ويهدونه فيه فقال لهم هل لكم أن تروني فأريكهم فأخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار ثم رمى ترسا ورموا حجفته فحرق ترسهم وسلمت حجفته فقال يا أهل فارس إنكم عظمتم الطعام والشراب وأنا صغرناهما ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل فلما كان الغد بعثوا أن ابعت إلينا ذلك الرجل فبعث إليهم سعد حذيفة بن محسن فأقبل في نحو ذلك الذي حتى إذا كان على أدنى البساط قيل له أنزل قال ذلك لو جئتكم في

حاجتي فقولوا لملككم أله حاجة أم لي فإن قال لي فقد كذب ورجعت عنه وتركتكم وإن قال له لم آته إلا على ما أحب فقال

دعوه فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريريه

فقال له انزل قال لا أفعل فلما أبى سأله ما بالك جئت ولم يجيئ صاحبنا بالأمس قال إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي قال ما جاء بكم قال الله عز وجل من علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث فأبوا إليه قبلناه الإسلام وبنصرنا عنكم أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك أو المنابذة فقال أو المودعة إلى يوم فقال نعم ثلاثا من أمس فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه فقال ويلكم ألا ترون ما أرى جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به فهو في يمن الطائر ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو في يمن الطائر سيقوم على أرضنا دوننا فراده أصحابه الكلام حتى أغضبوه وأغضبهم فلما كان من الغد أرسل ابعتوا إلينا رجلا فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة

قالوا فلما جاء إلى القنطرة يعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستما في إجازته فأذن في ذلك فأقبل المغيرة والقوم في زيهم في الأمس لم يغيرا شيئا من شارقتهم تقوية لتهانهم عليهم التيجان والثياب المسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليها غلوة وجاء المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريريه وشارته فوثبوا إليه فنتروه وأنزلوه ومغثوه فقال إنه كانت تبلغنا عنكم أحلام ولا أرى قوما أسفه منكم إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ولم آتكم ولكنكم دعوتوني زاد المدائني وليس ينبغي لكم إذا أرسلتم إلي

أن تمنعوني من الجلوس حيث أردت وما أكلمكم إلا وأنا جالس معه اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول

فقاتلت السفلة صدق والله العربي وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا يزال خولنا والضعفاء منا ينزعون إليه قاتل الله أولينا ما كان أحقهم حين يصغرون أمر هذه الأمة فمأزجه رستم ليمحو ما صنع به فقال له يا عربي إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فيتراخى عنها مخافة أن يكسرهما عما ينبغي من ذلك والأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق وليس ما صنعوا بضائك ولا ناقصك عندنا فاجلس حيث شئت فأجلسه معه ثم قال ما هذه المغازل التي معك يعني السهام قال ما ضر الجمرة أن لا تكون طويلة ثم رماهم ثم قال له رستم تكلم أو أتكلم فقال المغيرة أنت الذي بعثت إلينا فتكلم فأقام الترجمان بينهما وتكلم رستم فحمد قومه وعظم الملك والمملكة وقال لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرفا في الأمم ليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا نصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم أو اليومين أو الشهر أو الشهرين لأجل الذنوب فإذا انقم الله منا فرضي رد إلينا عزنا ثم إنه لم تكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم كتتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا ولا نعدكم وكتتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة استعتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم فأنا أمر لأمركم بكسوة وبغل وألف درهم وأمر لكل واحد منكم بوقر من تمر وبغوبين وتصرفون عنا فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا أسركم

فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله سبحانه خالق كل شيء ورازقه يرفع من يشاء ويضع من يشاء فمن صنع شيئا فإن الله تبارك اسمه وتعالى هو يصنعه والذي صنعه وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل

بلادك من الظهور على الأعداء والتمكين في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فحن نعرفه ولا نكره والله صنعه لكم ووضعه فيكم وهو له دونكم وأما ما ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب فحن نعرفه والله ابتلانا بذلك وصيرنا إليه والدنيا دول ولم يزل أهل شدائدنا يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه وأهل رخائنا يتوقعون الشدة حتى تنزل بهم ويصيروا إليها ولو كنتم فيما آتاكم الله دوننا أهل شكر لكان شكركم يقصر عما أوتيتم ولأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه إن الله تعالى بعث فينا رسولا فكذبه مكذبون وصدقه منا آخرون وأظهر الله دعوته وأعز دينه على كرهه ممن كذبه وحاده حتى دخلوا في الإسلام طوعا وكرها فأمرنا أن ندعوا من خالفنا إلى ديننا فمن أباه قاتلناه

وذكر نحو ما تقدم من الكلام في الأحاديث المتقدمة من دعائه إلى الإسلام وقال له فإن أبيت فكن لنا عبدا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر وإلا السيف إن أبيت

فنخر رستم عند ذلك نخرة واستشاط غضبا ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الضحى غدا حتى أقتلكم أجمعين فانصرف المغيرة وخلص رستم بأشراف فارس فقال أين هؤلاء منكم ما بعد هذا ألم يأتكم الأولان فجسراكم واستخرجاكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحدا ولزموا أمرا واحدا هؤلاء والله الرجال صادقين أو كاذبين والله لئن كان بلغ من رأيهم وصونهم أمرهم أن لا يختلفوا ما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم وإن كانوا صادقين ما يقوم هؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فقال والله إني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم وإن هذا منكم رياء فازدادوا الجاجا

وفي بعض الروايات أن مما قال المغيرة لرستم وقد توعد المسلمين بأنهم مقتولون قال هو الذي نتمنى أن المقتول منا صائر في الجنة والمهارب في النار وللباقي الصابر الظفر بحديث صادق ووعد لا خلف له وقد أصبنا في بلادكم حبة كأنما قطع الأوتار فأكلنا منها وأطعمنا أهاليها فقالوا لا صبر لنا حتى تنزلونا هذه البلاد

قال رستم أما لنقرننكم في الجبال

قال المغيرة أما وينا حياة فلا

قال رستم ارجع إلى أصحابك واستعملوا للحرب فليس بيننا وبينكم صلح ولنفقان عينك غدا فقال المغيرة وأنت ستقتل غدا إن شاء الله وإن ما قلت لي ليسرني لولا أن أجهدكم بعد اليوم لسرني أن تذهبنا جميعا ورجع المغيرة فنعجوا من قوله فقال رستم ما أظن هذا الملك إلا قد اقضى وأن أجمل بنا ألا يكون هؤلاء أصبر منا ولقد وعدوا ليموتن أو ليدركنه ولقد حذروا وخوفوا من الفرار خوفا لا يأتونه وقد رأيت ليلتي هذه كأن القوس التي في السماء خرت وكأن الحيتان خرجن من البحر وأن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فهل لكم أن تقبلوا بعض ما عرضوا عليكم قالوا لا

قال فأنار رجل منكم وكتب إلى يزيد جرد بما كلمه به المغيرة فقال شاهين الأزدي لو لم يكن إلا ساسة دوابنا لأخذناهم بهم فكتب إليه يأمره بقتلهم وقال إذا لقيتهم فضع الرجال فيما بيني وبينك على كل ربوة رجلا فكلما حدث أمر

نادى به بعضهم بعضا حتى يفضي الخبر إلي
وحدث سيف عن رجاله قالوا أرسل إليهم سعد بقية ذوي الرأي

جميعا وحبس الثلاثة فخرجوا حتى أتوه فقالوا له إن أميرنا يقول لك إن الحرب تحفظ الولاية وإني أدعوك إلى ما هو
خير لنا ولك وهي العاقبة بأن تقبل منا ما دعاك الله عز وجل إليه ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك وبعضنا من
بعض إلا أن داركم لكم وأمركم فيكم وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا وكنا لكم عوناً على أحد إن
أرادكم أو قوي عليكم واتق الله يا رستم ولا يكونن هلاك قومك على يديك فإنه ليس بينك وبين أن تتعبط إلا أن
تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك

فقال رستم إني قد كلمت منكم نفرا ولو أنهم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم وإن الأمثال أوضح من كثير
من الكلام وسأضرب لكم مثلكم إنكم كتتم أهل جهد في المعيشة وقشف في الهيئة لا تمنعون ولا تنتصفون فلم
نسيء جواركم ولم ندع مواساتكم تقتحمون المرة بعد المرة فتميركم ثم نردكم وتأتوننا أجراء وتجارا فحسن إليكم
فلما تطعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وأظلمكم ظلنا وصبغتم ذلك لقومكم ثم دعوتهم فأتيتونا بهم وإنما مثلكم في
ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعبان فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعلب إلى ذلك الكرم
فلما اجتمعت عليه سد عليها صاحب الكرم مدخلها فقتلها وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والطمع
مع الجهد فارجعوا عنا علمكم هذا وامتاروا حاجتكم ولكم العود كلما احتجتم فإني لا أشتي أن أقتلكم وقد
أصاب أناس كثير منكم ما أرادوا من أرضنا ثم كان مصيرهم القتل والمهرب ومن سن هذا لكم خير منكم وأقوى
وقد رأيتم أنتم كلما أصابوا شيئا أصيب بعضهم ونجا بعضهم وخرج مما كان أصاب ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل
جرذان ألقت جرة فيها حب وفي الجرة ثقب فدخل الأول فأقام فيها وجعلت الأخر ينقلن منها ويرجعون ويكلمنه
في الرجوع فيأبى فانتهي سمن الذي في الجرة فاشتاق إلى أهله ليربهم حسن حاله فضاقت عليه الجحر ولم يطق الخروج
فشكى القلق إلى أصحابه وسأهم للخروج فقالوا ما أنت بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل
أن تدخل فكف وجوع نفسه وبقي في الجرة حتى إذا عاد كما كان أتى عليه صاحب الجرة فقتله فاخرجوا أو
ليكونن هذا لكم مثالا

وقال لهم أيضا فيما قال لم يخلق الله خلقا أولع من ذباب ما خلاكم يا معشر العرب ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع
ومثلكم في هذا مثل الذباب إذ رأى العسل طار وقال من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله لا ينهاه أحد إلا
عصاه فإذا دخله غرق ونشب وقال من يخرجني وله أربعة دراهم وضرب للقوم أمثالا غير هذه نحو منها

قالوا فتكلم القوم فقالوا أما ما ذكرت من سوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا فلم نبليغ كنهه يموت الميت منا إلى
النار ويبقى الباقي منا في بؤس فبينما نحن في أسوء ذلك بعث الله عز وجل فينا رسولا من أنفسنا إلى الأنس والجن
رحمة رحم بها من أراد رحمته ونقمه ينتقم بها ممن رد كرامته فبدأنا قبيلة قبيلة فلم يكن أحد أشد عليه ولا أشد
إنكارا لما جاء به ولا أجهد على قتله ورد ما جاء به من قومه ثم الذين يلونهم حتى طابقناه على ذلك كلنا فنصبتنا له
جميعا وهو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطى الظفر علينا فدخل بعضنا طوعا وبعضنا كرها ثم عرفنا جميعا
الحق والصدق لما أتى به من الآيات المعجزة وكان مما أتى به من عند ربنا عز وجل جهاد الأدينى فالأدينى فصرنا في
ذلك فيما بيننا نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا نخرج عنه ولا نقص منه حتى اجتمعت العرب على هذا وكانوا من

الاختلاف فيما لا يطبق الخلائق بالنفهم معه ثم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وننفذ لأمره ونستجيز موعوده
وندعوكم إلى الإسلام وأحكامه فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله عز وجل وإن أبيتم لم يحل لنا
إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزء فإن فعلتم وإلا فإن الله عز وجل قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم
فقبلوا نصيحتنا فو الله لإسلامكم أحب إلينا

من غنائمكم ولقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم وأما ما ذكرت من رثائنا وقتلنا فإن إرادتنا الطاعة وقتلنا الصبر
وأما ما ضربتم لنا من الأمثال فإنكم ضربتم للرجال وللأمور الجسام وللجد الهزل ولكنا سنضرب لكم مثالا إن
مثلكم مثل رجل غرس أرضا واختار لها الشجر والحب وأجرى لها الأنهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين
يسكنون قصورها ويقومون على جناحها فخلفه الفلاحون في القصور بما لا يجب وفي الجنان بمثل ذلك فأطال نظرتهم
فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم استعنتهم فكابروه فدعا إليهم غيرهم فأخرجهم منها فإن ذهبوا عنها تحطفهم
الناس وإن أقاموا صاروا خولا لهم يملكونهم ويسومونهم الخسف أبدا ووالله لو لم يكن ما نقول لكم حقا ولم تكن إلا
الدنيا لما كان لنا عما ضربنا به من لذيذ عشيقكم ورأينا من زبرجكم من صبر ولقارناكم أو نغلبكم عليه
فقال رستم أتعبرون إلينا أو نعبر إليكم فقالوا بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده عشيا فأرسل سعد إلى الناس أن
يقفوا موافقهم وأرسل إليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم لا ولا كرامة أما شيء قد غلبناكم عليه
فلن نرده عليكم تكلفوا معبرا غير القناطر فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم
وذكر المدائني أن رستم وجه الجاليوس ليعبر القنطرة فوقف بجبال زهرة بن جوية وكان عليها وقال ليخرجن إلي
الموكل بهذا الموضع فخرج زهرة على فرس كميته أغر ذنوب معه رمح معلوب وسيف رث الجفن فقال له الفارسي
إنك لم توضع هذا الموضع إلا وأنت ركن من أركان أصحابك وأرى سيفك رث الجفن قال إن يكن رث المنظر فإنه
حديد الضربة وقرب إليه الفارسي بالصلح ولم يصرح ومناه وقال نحسن جواركم ونرفقكم في معاشكم فقال زهرة
إنما لم نأتكم نطلب الدنيا بغير آخرة إنما أتيناكم ندعوكم إلى ديننا فإن أبيتموه فديناكم التي تعرضون علينا لنا إن شاء
الله فقال له الفارسي فخلوا لنا الطريق فنعبر إليكم ففناجزكم قال لا قال ولم وأنتم تمنون

لقاءنا قال نكره أن نرد عليكم شيئا قد غلبناكم عليه فرجع إلى رستم فأخبره فأعظم ذلك فانصرف الجاليوس
فجلس رستم يفكر فيما أخبره وغلبته عيناه فنام فانتبه ويده في كتف جارية قاعدة بين يدي فراشه فقال مالك قالت
مالت يدك فرفعتنا فقال أشفقت أن سقطت من فراش ديباج علي بساط ديباج فكيف بما غدا إذا انغمرت في
التراب ووطنتها الخيل قالت وما يضطرك إلى ذلك وقد اعطوك مالك فيه نصف ونجاة إما أن تدخل في دينهم
فتكون مثلهم وإما أن تفتدي منهم بشيء تعطيهم ويقي لك أمرك وإما أن تذهب إلى مأمك من الأرض فقال إن
في عنقي حبال أقاد به إلى مصرعي لا أقدر على الإمتناع

وبات الأعاجم ليبتهم يسكرون العتيق بالقصب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعدما ارتفع النهار من
الغد

قالوا ورأى رستم من الليل أن ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فحتم عليها ثم صعد بها إلى السماء
فاستيقظ مهموما حزينا فدعا خاصته وقصها عليهم وقال إن الله عز وجل ليعظنا لو أن فارس تركوني أنعظ أما ترى
النصر قد رفع عنا وترى الريح مع عدونا وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق
يوم أرمث

ولما تم السكر عبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضربت عليه طيارة وعبأ في القلب ثمانية عشر فيلًا عليها الصناديق والرجال وفي الخيبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال وأقام الجاليوس بينه وبين ميمنته والبيزان بينه وبين ميسرته وبقيت الفنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والمشركين

وأخذ المسلمون أيضًا مصافهم وكانت التعبئة التي تقدم بها سعد قبل انفصاله عن شراف بإذن عمر رضي الله عنه أن جعل على المقدمة زهرة بن الجوية وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وكان من أصحاب النبي {صلى الله عليه وسلم} وأحد التسعة الذين قدموا عليه فتممهم طلحة بن عبيد الله عشرة في العرافة وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي وكان شابًا قد قاتل أهل الردة على الردة ووفي الله عز وجل فعرف ذلك له وعلى الساقية عاصم بن عمرو السعدي وعلى الطلائع سواد بن مالك التميمي وعلى الجردة سلمان بن ربيعة الباهلي وعلى الرجال حمال بن مالك الأسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الخنعمي فلما تصافوا يومئذ جعل سعد زهرة وعاصمًا بين عبد الله بن المعتم وبين شرحبيل بن السمط ووكّل صاحب الطلائع بالطرد وخلط بين الناس في القلب والمجنبات ونادى مناديه ألا إن الحسد لا يحل إلا على الاجتهاد في أمر الله تعالى يا أيها الناس فحاسدوا وتغايروا على الاجتهاد وذكر المدائني أنه كان على الميمنة يوم القادسية شرحبيل بن السمط وعلى

الميسرة هاشم بن عتبة وعلى الخيل قيس بن مكشوح وعلى الرجل المغيرة بن شعبة فالله تعالى أعلم وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس كان به عرق النسا ودما مبل وإنما هو على وجهه وفي صدره وسادة وهو مكب عليها مشرف على الناس من القصر يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة وهو أسفل منه وكان الصف إلى جانب القصر وكان خالد كاخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا وقيل بل استخلفه على الناس لأجل شكواه فاختلف عليه الناس فقال سعد احمولوني فأشرفوا به على الناس فارتقوا به فأكب مطلعًا عليهم والصف في أصل حائط قديس حيث كان سعد يأمر خالدًا فيأمر خالد الناس وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فهم بهم سعد وشمهم وقال أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم فحبسهم في القصر وقيلهم منهم أبو محجن الثقفي

وقال جرير يومئذ أما أي بايعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أن أسمع وأطيع لمن ولي الأمر وإن كان عبدا حبشيا

وقال سعد والله لا يعود أحد بعدها يجبس المسلمين عن عدوهم ويساغهم وهم يبايئهم إلا سنتت فيه سنة يؤخذ بها من بعدي وذكر المدائني أنه أتى رستمًا رجل من أهل الحيرة ليلاً فقال له أمير المسلمين وجع وهو في قصر العذيب مع العيال ولو طرقته خيل لقتل لا يشعر به أصحابه فانتخب رستم خمسمائة فارس فوجههم إليه فترفعوا عن العسكرين وقطعوا الوادي وأخذوا في خفض من الأرض وجاء رجل من العجم إلى المسلمين مستأمنًا فأخبرهم فانتدب حنظلة بن الربيع الأسيدي في خمسمائة من تحت الليل فسار إلى العذيب وقال لأصحابه إنه ليطيب نفسي أن عبد الله بن سبرة بن سعد فانتهى إلى سعد عند طلوع الفجر ولم تصل إليهم الفرس

فأنذروه وأصبحوا فإذا الأساورة متحدرين من ناحية وادي السباع فتلقاهم عبد الله بن سبرة الواقفي أحد بني حرملة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة في سرعان الناس معه عشرة فوارس وغلّام له رومي يقال له يزيد كان أصابه يوم اليرموك وأتبعهم حنظلة في أصحابه فقتل عبد الله بن سبرة قبل أن تنام إليه الخيل اسوارين

وقال مرة المهدي وكان مع حنظلة لما دنونا من معتركهم سمعنا صوتا منكرا شديدا فقال حنظلة صوت ابن الكندية ورب الكعبة بعض هنات أبي قيس فانتبهنا إليهم فإذا عبد الله بن سبرة يذمر أصحابه وهو يقول لغلामه يا يزيد ثكلتك أمك إن فاتك أحد وقد انكسر رمحه وهو يضربهم بعمود ما يضرب به رجلا إلا قتله ولا دابة إلا عقرها وإن غلامه لينودهم عليه بالرمح فلما غشيهم حنظلة وأصحابه انهزموا فما تشاء أن تجد الخمسة والستة من المسلمين يخفقون أسوارا بأسيا فاهم إلا وجدته فقتل منهم ثلاثون ويقال مائة وأقلت الآخرون أكثرهم جريح فرجعوا إلى رستم فطلب الحيري ليقنته وظن أنه عين دس له فلم يقدر عليه وتحول سعد فنزل مع جماعة الناس

وفيما حكاه سيف عن رجاله أن سعدا رحمه الله بعدما تقدم على الذين اعترضوا على خالد بن عرفطة خطب من يليه يومئذ فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله وهو الحق وقوله الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) الأنبياء إن هذا ميراثكم وهو موعد ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج وأنتم تطعمون منها وتأكلون وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منه أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعزمن وراءكم فإن تزهلوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة يجمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله وأن تمشلوا وتمشوا وتضعفوا تذهب ربحكم وتوبقوا آخرتكم

وكتب سعد إلى أهل الرايات إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي كان يعودني وما بي من جيون وإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأى فقريء على الناس فإدهم خيرا فانتبهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة واجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع

قالوا وأرسل سعد للذين انتهى إليهم رأي الناس والذين انتهت إليهم نجلتكم وأصناف الفضل منهم إلى الناس فقال انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم وعليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به وأنتم شعراء العرب وخطبائهم وذووا رأيهم ونجلتكم وسادتهم فسيروا فيهم وحرصوهم على القتال فساروا فيهم فقال قيس بن هبيرة أيها الناس احمدا الله على ما هداكم له وأبلاككم يزدكم واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه في عادته فإن الجنة والغنيمة أمامكم وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر والظراب الخشن والفلوات التي لا تقطعها الأدلة

وقال غالب بن عبد الله الليثي أيها الناس احمدا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم وادعوه بيجكم يا معشر معد ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم يعني الخيل ومن لا يعصيكم معكم يعني السيوف فاذكروا حديث الناس في غد فإنه بكم غدا يبدأ وبمن بعدكم ينهي

وقال ابن الهذيل الأسدي يا معشر معد اجعلوا حصونكم السيوف وكروا عليهم كأسود الأجم وتريدوا إليهم تريد النور وادرعوا العجاج

وثقوا بالله تعالى وغضوا الأبصار فإذا كلت السيوف فإنها مأمورة فأرسلوا عليهم الجنادل فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه

وقال بسر بن أبي رهم احمدا الله وصدقوا قولكم بفعل لا تموتن إلا وأنتم مسلمون انصروا الله ينصركم ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا فإنها تأتي من تهاون بها ولا تميلوا إليها فتهرب منكم

وقال عاصم بن عمرو يا معشر العرب إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان العجم إنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم لا تحدثن اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا وقال ربيع السعدي يا معشر العرب قاتلوا للدين والدنيا سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين (١٣٣ آل عمران) فإن عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل وتقدم كل واحد من أولئك الذين بعثهم سعد من وجوه الناس بمثل هذا الكلام وتواتق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما ينبغي لهم وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك وتعاهدوا وتوصوا واقتنوا بالسلاسل وكان المقترنون ثلاثين ألفا

وقال سعد للناس الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئا حتى نصلي الظهر فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا واعلموا ان التكبير لم يعطه أحد قبلكم وإنما أعطيتموه تأييدا فإذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستموا عدتكم فإذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا ويطاردوا فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تحالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويروى أنه لما نادى منادي سعد بالظهر نادى رستم أكل عمر كبدي أحرق الله كبده علم هؤلاء حتى علموا وقيل إن رستم قال نحو من هذا عندما نزل بين الحصن والعتيق وقد أذن مؤذن سعد الغداة ورأى الناس يتخششون فنادى في أهل فارس أن اركبوا فليل له ولم قال أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتخششوا لكم فقال له رجل قد كان رستم بعثه قبل ذلك عينا إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم وعرف حالهم وانصرف إليه فأخبره ان ذلك تخششهم للصلاة فقال رستم بالفارسية ما تفسيره أتاني صوت عند الغداة وإنما هو عمر الذي يعلم الكلاب العقل فلما سمع الأذان بالصلاة قال أكل عمر كبدي قالوا ولما صلى سعد الظهر أمر غلاما كان عمر رحمه الله ألزمه إياه وكان من القراء بقراءة سورة الجهاد وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التي تليه وقرئت في كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها قال مصعب بن سعد وكانت قراءتها سنة يقرأها رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عند الزحف ويستقرئها فعمل الناس بذلك

قالوا ولما فرغ القراء كبر سعد فكبر الذين يلونه وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتخشش الناس ثم ثنى فاستتم الناس ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشوا القتال وخرج أمثالهم من فارس فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الليثي وهو يقول
قد علمت واردة المسالح
ذات البنان واللبان الواضح
أني سمم البطل المشايخ
وفارج الأمر المهم القادح
الرجز

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجاً فأسره غالب أسراً فجاء به فأدخل إلى سعد وانصرف غالب للمطاردة

وذكر المدائني أن رستم أمر هرمز فقدم في كتيبة فشد عليه غالب وزهرة ابن جوية فسبق إليه غالب في خيل فقتله قالوا وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد علمت صفراء بيضاء اللب

مثل اللجين يتغشاها الذهب

أني أمر الأمر إمرارا السيب

مثلي على مثلك يعديه الكشب

الرجز

فطارد رجلا من أهل فارس فهرب منه وأتبعه حتى إذا خالط صفهم والتقى بفارس معه بغل فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرحل حتى آوى به إلى الصف وإذا الفارس خيماز الملك وإذا الذي كان معه لطف الملك الأخبصة والعسل المعقد فنفل ذلك سعد أهل موقف عاصم وبعث إليهم ليأكلوه وهم في موقفهم

وجال عمرو بن معدي كرب بين الصفيين يجرض الناس ويقول إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى من فرسه فإنما هو تيس

قال قيس بن أبي حازم فينا هو كذلك يجرضنا إذ خرج إليه رجل من الأعاجم فوقف بين الصفيين فرماه بشابة فما أخطأت سية قوسه وهو متكبها

فالتفت إليه ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه ثم وضع سيفه على حلقة فذبحه ثم ألقاه وقال هكذا فافعلوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وقال بعضهم وأخذ سواريه ومنطقته ويلمق ديباج كانت عليه ثم تكتبت الكتاب من هؤلاء وهؤلاء

وذكر المدائني أن رستم ظاهر يومئذ بين درعين وقرب له فرس فتزا عليه ولم يمسه بيده وقال اليوم ندق العرب دقا فقال له رجل قل إن شاء الله قال إن شاء وإن لم يشأ وقدم كتيبة عليها الدروع والمغافر والأداة الكاملة فدفعوا إلى جعفي وهم حديثوا العهد بالشرك فنازلوهم فلم تحك سيوفهم في جنبهم فظنوا أن الحديد لا يحك فيهم حتى حمل رجل منهم على أسوار فطعنه فقتله ونادى يا آل جعفي السلاح تنفذ فيهم فشأنكم بهم ونحو هذا قول عمرو بن معدي كرب في ذلك اليوم وقد رماه رجل من أهل العجم بنشابة فوقعت في كتفه وعليه درع حصينة فلم تنفذ وحمل هو على الرجل فعانقه ثم صرعه فقتله وقال

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون

أضربهم ضرب غلام مجنون

يا زيد إهم يموتون

السريع

ولم يكن عمرو ولا قومه يجهلون أن القوم يموتون ولكن الشعر تحسن فيه هذه المأخذ ويملح بهذه المقاصد ومثله قول الآخر

القوم أمثالكم لهم شعر

في الرأس لا ينشرون أن قتلوا

المنسرح

ويفوق هذا كله قول الله سبحانه و لكتابه المثل الأعلى ولا تهنوا في

ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ()

(١٠٤ النساء)

وقد بعدنا عما كنا بسبيله فلنعد إليه

قالوا لما تكتبت الكتاب بعد الطراد و تراحف الناس صرفت الأعاجم فيولها نحو المسلمين فوجهت إلى الوجه الذي فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلا و صفوا على سائر الناس سبعة عشر ولما حمل أصحاب القبيلة تفرقت الكتاب و ابدعت الخيل و كادت بجيلة تؤكل فرت خيلها نغارا فأرسل سعد بن بني أسد يا بني أسد ذبوا على بجيلة و من لافها من الناس فخرج طليحة بن خويلد و جمال بن مالك الأسدي و غالب بن عبد الله و الرفيل بن عمرو في كتابهم فباشروا القبيلة حتى عزلها ركابها و إن على كل فيل يومئذ عشرين رجلا

وقال موسى بن طريف قام طليحة في قومه حين استصرخهم سعد فقال يا عشيرتاه إن المنوه باسمه الموثوق به أنتم و إن هذا يعني سعدا لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منكم لا ستغاثهم ابدؤهم الشدة و أقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة فإنما سميت أسدا لتفعلوا فعلهم شلوا و لا تصلوا و كروا و لا تفروا لله در ربعة أي فري يفرون وأي قرن يغنون هل يوصل إلى موافقهم فاعنوا عن موافقكم أعانكم الله شلوا عليهم باسم الله فقام المعرور بن سويد و شقيق فشدوا و الله عليهم فما زالوا يضربونهم و يطعنونهم حتى حبسنا القبيلة عنهم و خرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه فما ألبته طليحة أن قتله

قالوا و قام الأشعث بن قيس فقال يا معشر كندة لله در بني أسد

أي فري يفرون وأي هذ يهدون عن موقفهم منذ اليوم أغنى كل قوم ما يليهم و انتم تنظرون من يكفيكم البأس أشهد ما أحسنتم أسوة أخوانكم من العرب و أنهم ليقتلون و يقتلون و انتم جثاة على الركب فوثب إليه منهم عشرة فقالوا عشر جدك إنك لتؤبسننا يا هذا نحن احسن الناس موقفا فمن أين خذلنا قومنا العرب و اسأنا أسوتهم فما نحن معك فنهد و هملوا فأزالوا الذين يازأهم

ولما رأى أهل فارس ما تلقى القبيلة من كتبية بني أسد رموهم بحدهم و بدر المسلمون الشدة عليهم و هم ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس فيهم ذو الحجاب و الجالينوس على بني أسد و معهم تلك القبيلة و قد ثبتوا لهم و كبر سعد التكبيرة الرابعة فزحف إليهم المسلمون و رحى الحرب تلور على بني أسد و حملت القيول في الميمنة و الميسرة على الخيول فكانت الخيول تحجم عنها و تحيد و ألح فرسانهم على الرجل و جد المقاتلة مع القبيلة فقال بعض الأسديين و الله لأموتن أو لأطعن عيني بعض هذه القبيلة فقصد لأعظمها فيلا فقاتل حتى وصل إليه و على كل فيل قوم يقاتلون فطعن في عين ذلك القيل بسيفه و ضربه سائس القيل بعمود فهشم وجهه و أدبر القيل فخطب من حوله و اشتد القتال عند فيل منها فقال حبيش الأسدي لبشر بن أبي العوجاء الطائي أرى القتال قد اشتد عند هذا القيل فتبايعني على الموت فنحمل على حماته فنكشفتهم أو تقتل دونه قال نعم فحملا فضرب حبيش رجلا من الفرس من حماة القيل فقتله و دنوا من القيل فضرب حبيش مشفره فرمى به و ضرب الطائي ساقه فبرك القيل

وانطوت القرس على بني أسد فقتل حيش
وأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو فقال يا معشر بني تميم أستم أصحاب

الإبل والحيل أما عندكم لهذه القبيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى عاصم في رجال من قومه رماة وأخر أهل ثقافة
فقال يا معشر الرماة ذبوا ركبنا القبيلة عنا ويا معشر أهل الثقافة استدبروا القبيلة فقطعوا وضمنها وخرج يحميهم
والرحى دائرة على بني أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد وأقدم أصحاب عاصم على القبيلة فأخذوا بأذناهما
وذباب توابعها فقطعوا وضمنها فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أعرى وقتل أصحابها وتقاتل الناس ونفس عن بني أسد
وردوا عنهم القرس إلى موافقهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهب هداة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء
وأصيب من بني أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا رداء للناس وكان عاصم عادية الناس وحميتهم فهذا يوم
القادسية الأول وهو يوم أرمات

وقال عاصم بن عمرو التميمي في ذلك

ألم يأتيك والأبناء تسري

بما لاقيت في يوم النزال

ولما أن ترايل مقرفهم

عصينا القوم بالاسل الطوال

وعريت الفيول من التوابي

وعطلت الخيول من الرجال

ولولا ذبنا عنم يلينا

للج الجمع فعل الضلال

حمينا يوم أرمات حمانا

وبعض القوم أولى بالحمال

الوافر

وقال عمرو بن ساس الأسدي

(فلا وأبيك لا ينفك فينا من السادات حظ ما بقينا

ألسنا الماخن لدى قديس

جموع القرس مرداة طحونا

ولسنا مثل من لا طرق فيه

ولكن غشنا يلقى سمينا

ونحن إذا يريح الليل أمرا

يهم الناس عصمة من يلينا

ومرقصة منعناها إذا ما

رأت دون المحافظة التقينا

نذكرها إذا ولهت بنينا

ونحميها إذا نحمي بنينا

إذا افترش النواحي بالنواحي
و كان القوم في الأبدان جونا
إذا ثار الغبار كأن فيه
إذا اصطفت عجاجته طحيننا
وقد علمت بنو أسد بأنا
نضارب بالسيوف إذا غشيننا
(ونحن فواري الهيجا إذا مارأيت الخيل مسندة عرينا) الوافر

وذكر المدائني خبر هذا اليوم وقد أورد كثيرا مما أورده في تضعيف الأخبار المتقدمة وفي بعض ما ذكره أن المسلمين هم الذين عبروا إلى الفرس خلافا لما تقدم ذكره أنه لما عزم الفريقان على اللقاء أرسل سعد إلى جرير والمغيرة وحظلة فقال إنكم قد أصبحتم في دار قد أذل الله لكم أهلها فأنتم تطئوهم منذ سنتين وقد أتوكم في جمع لا أظنهم يريدون أن يزيلوكم حتى يفصل بينكم ولستم وهم سواء في دنيا تقاتلون عنها وقد خلفوا مثلها فإن فروا فروا إلى مثلها وأنتم تقاتلون عن دينكم فإن فررتم فررتم عنه إلى فيافي لا خير فيها وأنتم غرر قومكم إنكم إن ظهرتم عليهم كان لكم أبناؤهم ونساؤهم وإن توأكلتم لم يبقوا منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم والأرض من وراءكم قفر بسابس ليس لكم فيها معقل ولا ملجأ فاتقوا الله واصبروا وحضوا للمسلمين وواسوهم وتجزوا موعد الله فإنه قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥ الأنبياء) وقد وليت الحرب خالد بن عرفطة فالزموا السمع والطاعة ولا تموتوا ولا تفشلوا فتنهب ربحكم فخرجوا من عند سعد وقد استعد المشركون لقتالهم وهم وقوف يهابون العبور والإقدام فأرسل سعد إلى الناس لا تعبروا حتى آذن لكم وقد أخذ الناس العدة للقتال فوقفوا ينتظرون الإذن من سعد وحض رؤساء القبائل عشائهم فلما طال وقوفهم ولم يأثم إذن سعد قال جرير بن عبد الله أيها الناس ما تنظرون أما تريدون أن تقاتلوهم إن لم يقاتلوكم وعبر النهر في بجيلة فقال قيس بن مكشوح يا معشر مذحج قد تقدمكم أخوانكم فسابقوهم فوالله لا يسبق أحد اليوم إلا

أعطاه الله غدا على قدر سبقه في الدنيا وعبر قيس وعبر بعده عمرو بن معدي كرب وقال زهرة بن جوية يا بني تميم ما تنظرون وقد مضى أخوانكم وعبروا واتبع الناس بعضهم بعضا فقال سعد اللهم أتمم عبوروا ولم يستأمروني فاقض لهم بالنصر فصف المسلمون على ميمنتهم شرحبيل بن السمط وعلى ميسرتهم هاشم بن عتبة وعلى الخيل قيس بن مكشوح وعلى الرجال المغيرة بن شعبة والمسلمون عشرة آلاف ويقال ما بين السبعة الآلاف إلى الثمانية عامة جهنم براذع الرجال قد عرضوا به الجريد يستترون بها وعلى رؤوسهم أنساع الرجال يطوي الرجل نسعة رحله على رأسه والمشركون ستون ألفا وقيل أكثر

وظاهر رستم بين درعين وقدم كتيبة عليهم الدروع والمغافر والأداة الكاملة فدفعوا إلى جعفي وقد تقدم خبرهم وأخرج رستم بعد ذلك كتيبة فيها الجاليوس فتقدم الجاليوس وقد اعتصب بعصابة ديباج معه ترس مذهب فتلقاه طليحة واختلفا ضربتين فوقعت ضربة الجاليوس في جحفة طليحة ووقع سيف طليحة في رأس الجاليوس قهشم البيضة وندرت عن رأسه وقد جرحه فولوا منهزمين إلى رستم فعظموا أمر العرب ليعذرهم وأخذ طليحة البيضة فنفلها فكانت قيمتها أربعمائة مثقال وأقبل قيس بن مكشوح يومئذ فوقف على المغيرة فقال ما رأيت كاليوم عديدا ولا حديدا فقال المغيرة إن هذا زبد من زبد الشيطان والله جعل بعضه على بعض وحض المغيرة الناس وقال إن

الكلام عند القتال فشل فالزموا الصمت ولا يزولن أحد منكم عن مركزه فإذا حركت رايتي فاحملوا فقال له رجل ما تنتظر قال اجلس فقال له رجل من بني مجاشع الله أكبر إني لأرى الأرض من خلل صفهم فكبروا واحملوا فقال له المغيرة اجلس وأقبل المغيرة على قيس بن مكشوح فقال حمل يا قيس فإني حامل ونكبي خيلك لا

أعرفنك إذا غلبت رجالي فيهم إن تجاوزها خيلك فإذا عضك السلاح رددتها على أعقابها في وجوه رجالي فيكون أشد عليهم من عدوهم وهز المغيرة رايتها وحمل وأبعه قيس فما وصلوا كتيبته حتى رجع فيهم طعنين فقال طليحة يا بني أسد ما تستحيون الناس يقاتلون وانتم وقوف فحمل فقالت امرأة من بني أسد لبنها وهم أربعة يا بني والله ما نبت بكم دار ولا أفحمتكم سنة ولقد أسلمتم طائعين وهاجرتم راغبين وجتتم بأمكم عجوزا كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس فقاتلوا عن دينكم وأمكم فوالله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة فاشهدوا أشد القتال فحملوا فقالت اللهم احفظ في بني

وروى الشعبي أن هذه المرأة كانت من النخع وذكر حديثها بنحو ما تقدم إلى قولها كما أنكم بنو امرأة واحدة وزاد هاهنا ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره فأقبلوا يشدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول اللهم ادفع عن بني فرجعوا إليها وقد احسنوا القتال فما كلم رجل منهم كلما قال الشعبي فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء فيأتون أمهم فيلقونه في حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم

وقد ذكر الزبير بن بكار نحو هذا عن الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية في بنين لها أربعة شهدت معهم حرب القادسية فقالت لهم من أول الليل يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وذكرت من صوفها لنسبهم نحو ما ذكر قبل ثم قالت لهم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغلبوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وباللهم على أعدائه مستبصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظالمها على سباقها وجللت نارها على أرواقها فتييموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام

حميسها تطفروا بالغم والكرامة في دار الخلد والمقامة فخرج بنوها قابلين لنصحها فلما أضاء لهم الصبح باكروا

مراكزهم وأنشأ أولهم يقول

يا اخوتي إن العجوز الناصحة

قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

مقالة ذات بيان واضحة

فباكروا الحرب الضروس الكالحة

وإنما تلقون عند الصالحه

من آل ساسان كلابا ناجحه

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه

وأنتم بين حياة صالحه

أو مودة تورث غنما راجحه

الرجز

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله ثم حمل الثاني وهو يقول
إن العجوز ذات حزم وجلد
والنظر الأفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد
الرجز

فقاتل حتى استشهد رحمه الله ثم وحمل الثالث وهو يقول
والله لانهصي العجوز حرفا
قد أمرتنا حدبا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا
وتكشفوهم عن حماكم كشفا
الرجز

فقاتل حتى استشهد رحمه الله وحمل الرابع وهو يقول
لست لخساء ولا لآخزم
ولا لعمر وذي السناء الأقدم
حميسها تظفروا بالغم والكرامة في دار الخلد والمقامة فخرج بنوها قابلين لنصحها فلما أضاء لهم الصبح باكروا
مراكرهم وأنشأ أولهم يقول
يا اخوتي إن العجوز الناصحة
قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحه
فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وإنما تلقون عند الصالحه
من آل ساسان كلابا ناجحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه
وأنتم بين حياة صالحه
أو موتة تورث غنما راجحه
الرجز

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله ثم حمل الثاني وهو يقول
إن العجوز ذات حزم وجلد
والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد
الرجز

فقاتل حتى استشهد رحمه الله ثم وحمل الثالث وهو يقول

والله لنعصي العجوز حرفا
قد أمرتنا حدبا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا
وتكشفوهم عن حماكم كشفا
الرجز

فقاتل حتى استشهد رحمه الله وحمل الرابع وهو يقول

لست لخنساء ولا لآخزم
ولا لعمر وذو السناء الأقم
إن لم أرد في الجيش جيش العجم
ماض على الهول خضم خضرم
أما لفوز عاجل ومغنم
أو لوفاة في السبيل الأكرم
الرجز

فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه وعلى أخوته فبلغ الخبر أنهم فقاتل الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن
يجمعني بهم في مستقر رحمته فكان عمر رضي الله عنه يعطي الخنساء بعد ذلك أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد
مائتي درهم حتى قبض رحمه الله

فهذا ما ذكره الزبير بن بكار والذي قبله ذكره المدائني رحمهما الله ولعل الخبرين صحيحان والله أعلم أي ذلك كان
ثم ذكر المدائني بعد من حسن بلاء بني أسد وانطواء الفرس عليهم في مجال القبيلة ما قد ذكرناه قبل في موضعه
وذكر أيضا أن الأشعث بن قيس قال عنلما اشتد قتالهم لله در بني أسد أي فري يفرون وأنتم تنظرون يا معشر
كنة

وقال زهرة بن جوية يا بني تميم قد صبر إخوانكم من بني أسد وأحسنوا فذودوا عنهم الفيلة وحماتها فحمل زهرة في
بني تميم وجريز في بجيلة فكشفوا المشركين عن بني أسد وقد استشهد منهم خمسون رجلا وتحاجزوا قريبا من العصر
فجمعوا بين الصلاتين ثم عاودوا القتال مطاردة ومشاوله حتى غابت الشمس
والقى حنظلة بن الربيع الأسيدي وذو الحاجب فاختلفا طعنيتين فصارا جميعا إلى الأرض فضرب حنظلة ذا الحاجب
على رأسه فصرعه فحامت عنه الأسورة حتى ركب وحمى عن حنظلة القعقاع بن عمرو أحد بني يربوع وذريح
أحد بني تيم اللات حتى ركب فقال ذريح
لما رأيت الخيل شك نخورها
رماح ونشاب صبرت جناحا
على الموت حتى أنزل الله نصره
وود جناح لو قضى فأراحا
كأن سيوف الهند حول لبانه
بوارق غيث من تمامة لاحا
الطويل

قال وأصببت يومئذ عين المغيرة بن شعبة وتحاجزوا حين أمسوا فرجع المسلمون إلى عسكرهم ورجع رستم إلى
عسكره هذا ما ذكره المدائني
ويقال إن القعقاع لم يشهد يوم أرمات هذا وإنما قدم من الشام بعد انقضائه فشهد سائر الأيام وأبلى فيها وسيأتي
ذكر ذلك إن شاء الله
وذكر سيف عن بعض رجاله أن سعدا كان قد تزوج سلمى بنت خصيفة امرأة المثني بن حارثة كما تقدم فنزل بها
القادسية فلما كان يوم أرمات وجال الناس جعل سعد يتململ ويجول جزعا فوق القصر وكان لا يطيق جلوسا إلا
على بطنه فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت وامتنياه ولا مثني للخيل اليوم وهي عند رجل قد أضجره ما
يرى من أصحابه ومن نفسه فلطم وجهها وقال أين المثني من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى يعني أسدا
وعاصما وبجيلة فقال أغيرة وجينا قال والله لا يعذرني أحد اليوم إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي فالناس أحق
ألا يعذروني

فلما ظهر المسلمون لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا علوم رضي الله عنه
وكانت القادسية في شوال سنة خمس عشرة وابتداء أيامها يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من شوال أو لأيام بقين منه
وقيل كانت في المحرم سنة أربع عشرة والأول أصح وأولى بالصواب إن شاء الله تعالى

ذكر اليوم الثاني من أيام القادسية وهو يوم أغواث

قالوا ولما أصبح الناس من الغد يعنون الغد من يوم أرمات أصبحوا على تعبنة وقد وكل سعد رجلا بنقل الشهداء
إلى العذيب ونقل الرثيث فأما الرثيث فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم حتى يقضي الله فيهم قضاءه وأما الشهداء
فليدفنوا هنالك على مشرق واد بين العذيب وبين عين شمس في عدوتيه جميعا وفي ذلك يقول سعد رحمه الله
جزى الله أقواما بجنب مشرق

غداة دعا الرحمن من كان داعيا
جنانا من الفردوس والمنزل الذي
يجل به ذو الخير ما كان باقيا
الطويل

وانظر الناس بالقتال حمل الريث والأموال فلما استقلت بهم الإبل موجهة نحو العذيب طلعت عليهم نواصي الخيل
من نحو الشام وكان عمر رضي الله عنه قد أمر أبا عبيدة بن الجراح لما انقضى شأن اليرموك وفتح دمشق بصرف
أهل العراق أصحاب خالد الذين قدم بهم عليه إلى العراق ولم يذكر له عمر خالدًا فضن أبو عبيدة بخالد فحبسه وقد
قيل إن عمر أمر بحبسه فأمسكه وسرح الجيش وهم ستة آلاف ألف من أبناء العرب من أهل الحجاز وسائرهم من
ربيعة ومضر وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو أي التميمي فعجله أمامه
وجعل على إحدى مجنبيه قيس بن مكشوح المرادي ولم يكن شهد الأيام وإنما أتاهم وهم باليرموك حين صرف أهل
العراق فصرف معهم وعلى الجنبية الأخرى الهزهاز بن

عدي العجلي فطوى القعقاع وتعجل فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث وقد عهد إلى أصحابه أن ينقطعوا أعشارا
وهم ألف فكلما بلغ عشرة مد البصر سرح في آثارهم وتقدم هو في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم
بالجنود وقال يا أيها الناس إني قد جنتكم في قوم والله لو كانوا بمكانكم ثم احسوكم لحسدوكم حظوتما وحاولوا أن
يطيروا بها دونكم فاصنعوا كما أصنع فتقدم ثم نادى من يبارز فسكن الناس إليه وقالوا لقول أبي بكر الصديق رضي
الله عنه لا يهزم جيش فيهم مثل القعقاع فخرج إليه ذو الحجاب فقال له القعقاع من أنت فقال أنا بهمن جاذوية
فنادى بالثارت أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر فاجتلدا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد قطعاً وما زالت إلى
الليل وتنشط الناس وكان لم تكن بالناس مصيبة وكأما استقبلوا قناهم بقتل الحاجبي وبلحاق القطع وانكسرت
الأعاجم لذلك

وكان أول القتال قبل ان يقدم القعقاع المطاردة فلما قدم قال أيها الناس اصنعوا كما أصنع فنادى من يبارز فبرز له
ذو الحجاب فقتله وآخر فقتله وخرج الناس من كل ناحية وبدأ الضرب والطعان ونادى القعقاع أيضاً من يبارز
فخرج إليه رجلان أحدهما البيزان والأخر البندوان فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان أحد بني تيم اللات فبارز
القعقاع البيزان فضربه فأذرى رأسه وبارز ابن ظبيان البندوان فضربه فأذرى رأسه وحمل بنو عم القعقاع يومئذ
عشرة عشرة من الرجال على إبل قد ألبسوها فهي مجللة مبرقة وأطافت بهم خيولهم وأمروا أن تحمل تلك الإبل
على خيل الفرس يشبهون بالفيلة التي أرسلت عليهم الفرس بالأمس فجعلت تلك الإبل لاتصمد لقليل ولا لكثير
إلا نفرت بهم خيولهم وركبتهم خيول المسلمين فاستنوا بهم فلقى أهل فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي
المسلمون من الفيلة يوم أرمات

ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها قد تكسرت بالأمس واستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع
حتى كان من الغد ولم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل
وقالوا قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة كلما حمل حملة قتل فيها وآزر القعقاع يومئذ ثلاثة من بني
يربوع وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وقدم ذلك اليوم رسول لعمر رضي
الله عنه بأربعة أفراس وأربعة أسياف ليقسمها سعد فيمن انتهى إليه البلاء إن كان لقي حرباً فدعا حمال بن مالك

والرفيل بن عمرو بن ربيعة الوالين وطليحة بن خويلد الفقعسي وكلهم من بني أسد وعاصم بن عمرو التميمي فأعطاهم الأسياف ودعا القعقاع بن عمرو التميمي والبروعيين وهم نعيم بن عمرو بن عتبان وعتاب بن نعيم بن عتاب وعمرو بن شبيب بن زنباع أحد بني زيد فحملهم على الأفراس فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثة أرباعها وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف فقال الرفيل في قطعة يذكر السيوف

لقد علم الأقرام أني أحقهم
إذا حصلوا بالمرهفات البواتر
الطويل

وقال القعقاع في شأن الخيل
ولم تعرف الخيل العراب سولنا
عشية أغواث بجب القوادس
الطويل

وذكر المدائني حرب هذا اليوم فخالف بعض ما تقدم وقال إن الناس لما أصبحوا غداة الثلاثاء عبر رستم إلى المسلمين بجنوده وفيلته من حين طلعت الشمس إلى قريب من نصف النهار وأخذوا عدة الحرب وصافهم المسلمون وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة هاشم بن عتبة وعلى الخيل المغيرة ابن شعبة وعلى الرجال سلمة بن حديم فقال سعد بن عبيد الأنصاري يا أيها الناس إن الدنيا دار زوال وفتنة وأنتم منقلبون إلى دار الجزاء فلا يكونن شيء أحب إليكم من فراقها فإن ما عند الله خير للأبرار وتقدم أمام الناس فبرز له شهريار السجستاني فقتل كل واحد منهما صاحبه ثم طاردت الفرسان واقتتلوا حتى زالت الشمس وتجاوزوا وصلى المسلمون ثم عادوا إلى مصافهم فنصل من عسكر المشركين رجل يسأل المارزة فبرز له زهرة بن جوية فقتله وحمل فوارس من المشركين على زهرة فعقرها به وندر سيفه من يده فقاتلهم راجلا يحنو في وجوههم التراب حتى توافت إليه خيل المسلمين فكشفوهم عنه وقد ذهبوا بسيفه فقال
فإن تأخروا سيفي فإني محرب
خروج من الغلماء محتضر النصر
وإني لحام من وراء عشيرتي
أطاعن فيهم بالثقفة السمر
الطويل

وقد روى غير المدائني هذا الشعر والخبر للأعراف بن الأعلم العقلي في هذا اليوم

وقال عمرو بن معدي كرب لقومه يا بني زبيد إني محالط الجمع فانظروني قد نحر جزور وتعسيرها ثم اطلبوني فإنكم تجدونني وسيفي في يدي أقاتل به قلما لأزول وفي رواية فإن تأخرتم عني فقد فقدتم أبا ثور وأين لكم مثل أبي ثور وحمل حتى خالطهم فستره الغبار فقال بعض الزبيديين أيا بني زبيد علام تدعون صاحبكم وقد توسط جمع المشركين والله ما أرى أن تدركوه حيا وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم فحملوا وحمل الناس حملة واحدة فانتهوا إليه وقد رمى فرسه بنشابة فسب فصرعه وعار وأخر عمرا

عنه المشركون وذلك بعدما طعنوه وإن سيفه لفي يده يضاربهم به فلما رأى أصحابه أخذ برجل فرس اسوار

فاحتبسه وإن الفارسي ليضرب فرسه فما يتحرك فلما غشيه الجمع رمى بنفسه وخلا فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم تفقدوني وثبت عمرو يقاتل فارسا وراجلا إذا قاتل راجلا شد مقود فرسه في وسطه وقاتل وتزاحف الناس فقال رجل من المسلمين لرجل من الأنصار أعربي ترسك قال ما بي عنه غنى ولكن أي أتراس العجم تريد أتيتك به إن شاء الله فأشار له إلى ترس مذهب فحمل فلم يزل يقاتل حتى خلص إلى صاحب الترس فقتله واستلب ترسه فأتى به صاحبه فقال دونك

وصار الناس إلى السيوف فقاتلوا حتى أعتموا وتحاجزوا عند العتمة عن قتلى وجرحى كثير في الفريقين وقتل يومئذ رجل من طيء يكنى أبا كعب رجلا من المشركين وأخذ قلنسوته فلبسها وأقبل يعدو به فرسه وهو يقاتل فنظر إليه رجل من بجيلة يقال له مضرس وهو يقاتل فظن أنه من القرس فطعنه فقال بسم الله قتلني فقال مضرس إنا لله وعانقه فقال غفر الله لك يا أخي فبكى مضرس واحتمل أبو كعب فقال سعد الشهادة لا تقاد ولا كل ميتة مظنون غيرها ولكن من أحب أخذ الدية فكان مضرس يأتيه يعود فيكي حتى تبل دموعه لحيته ويقول أبو كعب غفر الله لك يا أخي

وقال أبو كعب

لعمري لقد ثارت رماح مضرس

بعلج هوى في الصف من آل فارس

الطويل

ثم مات أبو كعب بعد أيام من تلك الطعنة وصفح وليه عن الدية

ويروى أنه عرض مثل هذا بعينه لرجل آخر من طيء أيضا يقال له

بجير بن عميرة وكان أحمر شبيها بالعجم فاستلب رجلا من أهل فارس رايته فأقبل بها فيصر به رجل من كندة يدعى فروة فحمل عليه فطعنه فأصاب مقتله فنأدى بجير بسم الله فاعتنقه فروة فأتيا سعدا فقال لهما أن الشهادة لا ثواب لها في الدنيا ولكن كفوا العجالات

وخرج يومئذ رجل من أهل فارس ينادي من يبارز فبرز له علباء بن جحش العجلي فبعجه علباء فأصاب سحره وبعج الفارسي علباء فحرق أمعاه وخرا جميعا فأما الفارسي فمات من ساعته وأما الآخر فانتشرت أمعاه فلم يستطع القيام فعالج ادخالها فلم يتأت له حتى مر به رجل من المسلمين فقال له يا هذا أعني على بطني فأدخله له فأخذ بصفاقه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعا من مصرعه إلى صف فارس فقال

أرجو بها من رينا الثوابا

قد كنت ممن يحسن الضرابا

الرجز

قالوا وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى ليلة الهدأة وليلة أغواث تدعى ليلة السواد والنصف الأول يدعى السواد ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث الظفر على فارس وقتلوا فيه عامة أعلامهم وجالت خيل القلب وثبت رجلهم فلولا أن خيلهم كرت أخذ رستم أخذها فلما ذهب السواد تفتأ الناس وباتوا على مثل ما بات القوم عليه ليلة أرماث ولم يزل المسلمون ينتمون لدن أمسوا إلى أن تفتأوا فلما أمسى سعد وسمع ذلك نام وقال لبعض من عنده إن تم الناس على الإنماء فلا توقظوني فإنهم أقرباء

على عدوهم وإن سكتوا ولم يتم الآخرون فلا توظوني فإنهم على التساوي فإن سمعتم ينتمون فأيقظني فإنما
إنتماؤهم من السوء

قالوا ولما اشتد القتال بالسواد وكان أبو محجن قد حبس وقيد فهو في القصر صعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه
ويستقبله فزبره سعد وردة فنزل وأتى سلمى بنت خصفة فقال لها يا بنت خصفة هل لك إلي خير قالت وما ذاك
قال تخلين عني وتعيرني البلقاء فله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي وإن أصبت
وخشيت هذا فما أكثر من يفلت ويجرب صاحبه فقالت وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده ويقول

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا

وأترك مشلودا علي وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت

مصاريع من دوبي تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وأخوة

فقد تركوني واحدا لا أحميا

ولله عهد لا أخيس بعهد

لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

الطويل

فقالت سلمى إني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقتها وقالت أما الفرس فلا اعيرها ورجعت إلى بيتها فاقتاد أبو
محجن الفرس فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها قيل بسرجهما وقيل عربا ثم ذب عليها حتى إذا
كان بجبال اليمينة كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح وسلاحه بين الصفين ثم رجع من خلف المسلمين إلى
الميسرة فكبر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمح وسلاحه ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبرز
أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين صفين برمح وسلاحه وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفا منكرا ويعجب الناس
منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار فقال بعضهم أوائل أصحاب هاشم بن عتبة أو هاشم نفسه

وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مكب من فوق القصر والله لولا محبس أبي محجن الثقفي لقلت إن هذا
أبو محجن وهذه البلقاء وقال بعض الناس إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن أن صاحب البلقاء الخضر وقال
آخرون والله لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا ملك بيننا ولا يذكر الناس أبا محجن ولا يأبهون له لمبيته في محبسه
فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس وتراجع المسلمون وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج فوضع عن نفسه
وعن دابته واعد رجله في قيده وقال

لقد علمت تقيف غير فخر

بأنا نحن أكثرهم سيوفا

وأكثرهم دروعا سابغات

وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وأنا وفلهم في كل يوم

فإن عيوا فسل بهم عروفا

وليلة قادم لم يشعروا بي
ولم أشعر بمخرجي الزحوا
فإن أحس فذلكم بلائي
وإن أترك أذيقهم الحتوفا

الطويل فقالت له سلمى في أي شيء حبسك هذا الرجل قال اما والله ما حبسني لحرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا أمرؤ شاعر يدب الشعر في لساني وينبعث على شفتي فيساء لذلك ثنائي فعلى ذلك حبسني قلت

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني بالقلاة فإنني
أخاف إذا ما مت أن لأذوقها

الطويل

ولم تنزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته فصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا حديث يوم عماس وهو اليوم الثالث من أيام القادسية

قالوا وأصبح المسلمون من اليوم الثالث وهم على مواقفهم وأصبحت الأعاجم كذلك وبين هؤلاء وهؤلاء قدر ميل في عرض ما بين الصفيين وقد قتل من المسلمين ألفان بن رثيث وميت ومن المشركين عشرة آلاف وقال سعد من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وجعلهم المسلمون وراء ظهورهم وأقبل الذين يحملونهم إلى القبور يتبعون القتلى ويبلغون الرثيث إلى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون المقابر في اليومين يوم أرماث ويوم أغواث بعدوتي مشرق وكان في الطريق أصل نخلة بين القادسية والعذيب ليس بينهما يومئذ نخلة غيرها فكان الرثيث إذا انتهى بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستروح إلى ظلها فمر حاجب بن يزيد وكان على الشهداء بتلك النخلة مع بعض الشهداء وولاتهم ورجل من الجرحى من طيء يدعى بجيرا يقول وهو مستظل بظلها

ألا يا أسلمى يا نخلة بين قادم
وبين العذيب لا يجاورك النخل

الطويل

وآخر من بني ضبة أو من بني ثور يدعى غيلان وهو يقول
ألا يا أسلمى يا نخلة فوق جرعة
يجاورك الجمال والرمل والرغل

الطويل

قالوا وبات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه بالأمس ثم قال إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة وكلمة توارث عنكم مائة فليتبعتها مائة فإن جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجدا ففعلوا

ولا يشعر بذلك أحد وكان مكافئهم مما صنع الله للمسلمين فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل طلعت نواصيها فكبر وكبر الناس وقالوا جاء المدد

وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها فجاءوا من قبل خفان فتقدم الفرسان وتكثبت الكتائب فاختلف الطعن والضرب ومدد المسلمين متتابع فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى إنتهى إليهم هاشم وقد طوى في سبعمائة فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يومه فعبأ أصحابه سبعين سبعين فلما نجز آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه فيهم قيس بن هبيرة المرادي وهو ابن المكشوح فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم وقال هاشم أول القتال المطاردة ثم المراماة فأخذ قوسه فوضع سهمها ثم نزع فرفعت فرسه رأسها فخل أذنيها فضحك وقال وأسواتاه من رمية رجل ينتظره كل من رآه أين ترون سهمي كان بالغاً فقبل العتيق فنزقها وقد نزع السهم عن أذنيها ثم ضربها فأقبلت تخرقهم حتى عاد إلى موقفه وقيل إنه نزل عن فرسه وفعل ذلك راجلاً فالله أعلم

وما زالت مقاربة تطلع وقد بات المشركون في علاج توابعهم حتى أعادوها على القبيلة فأصبحوا على مواقفهم وأقبلت القبيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلقوا إليها بفيل واتباعه لينفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه احد كان أوحش وإذا طافوا به كان أنس فكان الفيل كذلك حتى عدل النهار ولما قدم قيس بن المكشوح مع هاشم قام فيمن يليه فقال يا معشر العرب إن الله عز وجل قد من عليكم بالإسلام وأكرمكم بمحمد {صلى الله عليه وسلم} فأصبحتم بنعمته أخوانا دعوتكم واحدة وأمركم واحد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذناب فانصروا الله ينصركم وتجزوا من الله تعالى فتح فارس فإن أخوتكم من أهل السام قد أنجز الله تعالى لهم فتح الشام وانتال القصور الحمر والحصول الحمر

وخرج يوم عماس رجل من العجم حتى إذا كان بين الصغين هدر وشقشق ونادى من يبارز فخرج إليه رجل من المسلمين يقال له شبر بن علقمة وكان قصيراً دميماً فقال يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل فلم يجبه أحد ولم يخرج إليه أحد فقال أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه فلما رأى أنه لا يمنع أخذ سيفه وجحفته ثم تقدم فلما رآه القارسي هدر ثم نزل إليه فاحتمله فألقاه ثم جلس على صدره ثم أخذ سيفه لينبجه ومقود فرسه مشدود بمنطقته فلما استل السيف حاص الفرس حيصه فجذبه المقود فقلبه عنه فقام إليه وهو يسحب فافترسه فجعل أصحابه المسلمون يصيحون به فقال صيحوا ما بدا لكم فوالله لا أفارقه حتى أقتله ثم أسلبه فذبحه وسلبه ثم أتى سعدا بالسلب فنقله إياه فباعه باثني عشر ألفاً

قالوا ولما رأى سعد القبيلة تفرق الناس وعادت لفعالها يوم أرمات سأل هل لها مقاتل فقبل له نعم المشافر والعيون لا تنتفع بها بعدها فأرسل إلى القعقاع وأخيه عاصم أن اكفياي الفيل الأبيض وكان يزاتهما فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصميين لينين ودنوا في خيل ورجل وقالوا اكتنفوه لئحيره وفعل الآخران مثل ذلك فلما اكتنف الثيلان نظر كل واحد منهما يمينة ويسرة وهما يريدان أن يتحبطا فحمل القعقاع وعاصم والفيل الأبيض متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا في عينيه وقبع ونفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فنفحه القعقاع ورمى به ووقع جنبه وقتلوا كل من كان عليه وقال حمال لصاحبه وقد قصدا إلى الفيل الأجرى إما أن تضرب المشفر وأطعن في عينها وطعن في عينه وأضرب مشفره فاختر صاحب الضرب فحمل عليه حمال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه لا يخاف

سائسه إلا على بطانه قطعنه في عينه فأقعى ثم استوى فنفضه الآخر فأبان مشفره وبصر به السائس ففقر أنفه وجبينه بفأسه

ويروى أن الفيلين صاحا عند ذلك صياح الخنزير ثم ولى الأجر الذي عور فوثب في العتيق فأتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم فعبرت العتيق في أثره فبيت المدائن في توابعها وهلك من فيها وقيل إنه بقي منها الفيل الأبيض لم يبق في المعركة غيره وإن الناس رشقوا مشافر الفيلة فعند ذلك انبعث الفيل الآخر فلم تنته عن المدائن وكانت تفعل بالناس الأفاعيل فاستقام للناس بعدها وجه القتال وخلصوا بأهل فارس فاجتلدوا على جرد بالسيوف حتى أمسوا وهم في ذلك على السواء فكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديدا العرب والعجم فيه على السواء ولا يكون بينهم لفظة إلا تقاولها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد بلمدائن إذ كان أمر رستم بأن يرتب الرجال على الطريق بينهما ليبلغه بالتنادي ما يطراً في العسكر من حينه فيرسل إليهم أهل النجدات ممن بقي عنده فيتقون بهم وأصبحت عنده للذي لقي بالأمس الأمداد على البرد فلولا الذي صنع الله للمسلمين في الذي أهم إليه القعقاع في اليومين وما أتاح لهم بماشم لكسر ذلك المسلمين وأصيب يومئذ مؤذن سعد بن أبي وقاص فتنشاح الناس على الأذان حتى كادوا يجتلدون بالسيوف فأقرع بينهم سعد قالوا ولما أمسى الناس من يومهم ذلك وأطعنوا إلى الليل واشتد القتال فصبر الفريقان فخرجا على السواء فلم يسمع إلا الغمائم من هؤلاء وهؤلاء فسميت ليلة الهريز لم يكن بعدها قتال بليل في القادسية

وجدد المشركون في تلك الليلة تعبئة وأخذوا في أمر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة وبقي المسلمون على تعبتهم فخرج مسعود بن مالك الأسدي وقيس بن هبيرة المرادي وهو ابن المكشوح وأشباههم فطاردوا القوم وحر كوهم للقتال فإذا هم فيه أمة لا يشهدون ولا يريدون إلا الزحف فقال قيس بن مكشوح لمن يليه ولم يشهد شيئا من لياليها إلا تلك الليلة إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة والرأي رأي الأمير وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجال فإن القوم إذا زحفوا وطاردتهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ولم يطيقوا أن يقدموا عليهم فتيسروا للحملة قال دريد بن كعب النخعي وكان معه لواء النخع إن المسلمين قد تميعوا للمزاحفة فاسبقوا المؤمنين الليلة إلى الله والجهاد فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه فنافسوه في الشهادة وطبوا بالموت أنفسا فإنه لا نجاء من الموت إن كنتم تريدون الحياة وإلا فالآخرة ما أردتم وقال الأشعث بن قيس يامعشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء أجراً على الموت ولا أسخى أنفسا عن الدنيا منكم تنافسوا ولا تجزعوا من القتل فأنه أمان الكرام ومنايا الشهداء وترجل وقال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار ترحلوا أيها الناس وافعلوا كما نفعل ولا تجزعوا مما لا بد منه فالصبر أجي من الجزع

وفعل طليحة وغالب أهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك وقال أنس بن الجليس ليلة الهريز فكان صليل الحديد فيها كضرب القيون ليلتهم حتى الصباح أفرغ عليهم الصبر افراغا

وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرالم يروا مثله قط وانقطعت الأصوات والأخبار عن سعد ورستم فبعث سعد في تلك الليلة نجادا وهو غلام إلى الصف إذ لم يجد رسولا فقال انظر ماذا ترى من حالهم فرجع

إليه فقال ما رأيت يا بني فقال رأيتهم يلعبون فقال أويجدون فأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان في وجه الصبح
انتمى الناس فاستدل سعد بذلك على أنهم الأعلون وأن الغلبة لهم

قال بعضهم أول شيء سمعه سعد ليلتند مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو
وهو يقول

نحن قتلنا معشرا وزاندا
أربعة وخمسة وواحدا
تحسب فوق البلد الأسودا
حتى إذا ماتوا دعوت واحدا
الله ربي واحترزت جلهدا
الرجز

فاستدل سعد بهذا وربما سمع معه من غير القعقاع من الإنتماء واتسع له الرجاء فسمع عمرو بن معدي كرب يقول
أنا ابن أسلة وطيحة يقول أنا ابن ليلي وسعد بن عمارة يقول أنا ابن أروى ثم سمع الانتساب من كل ناحية خذها
وأنا الغلام الجرمي من النخع خذها وأنا الغلام المالكي من بني أسد خذها وأنا الغلام الأسعدي من عجل فأصبحوا
والناس على موافقهم متحاجزين فصلى المسلمون الغداة وقضوا من شأنهم

خير اليوم الرابع من أيام القادسية

وهذا هو آخر أيامها ويسمى من بينها يوم القادسية وفيه قتل الله رستم وأتم الفتح للمسلمين
قالوا وأصبح الناس ذلك اليوم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فصار القعقاع في الناس فقال إن الدبرة بعد ساعة لن
بدأ اليوم فاصبروا واحملوا فإن النصر مع الصبر فاجتمع إليه هلال بن علفة ومالك بن ربيعة والكلح الضبي
وضرار بن الخطاب وابن الهذيل وغالب وطيحة وعاصم بن عمرو ابن ذي البردين وأمثالهم ممن اختصر ذكره
ومعهم عشائهم ثم صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح
ولما رأت ذلك القبائل قام فيهم رجال منهم فقالوا لا يكونن هؤلاء أجدر في أمر الله تعالى منكم ولا أسخى نفسا عن
الدنيا تنافسوها فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين باءزائهم
وقام في ربيعة عتبة بن النهاس وفرات بن حيان والمعنى بن حارثة وسعيد بن مرة في أمثالهم فقالوا أنتم أعلم الناس
بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم

واقبتل الناس إلى أن انفرج قلب المشركين حين قام قائم الظهيرة وقد ركذ عليهم النقع واشتد الحر وسقفتهم
الشمس فهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريرة فهوت في العتيق فانتهى القعقاع وأصحابه إلى السرير
فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قلمت عليه يومئذ

بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علفة العدل الذي على البغل الذي رستم تحته
فقطع حباله فوقه عليه أحد العدلين ولا تراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارا ويضربه ضربة فنفتحت مسكا
ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه فاقتحمه عليه هلال فنناوله وقد عام فأخرجه ثم ضرب جبينه بالسيف حتى

قتله ثم جاء به فرمى به بين أرجل البغال وصعد السرير ثم نادى قتلتم رستم ورب الكعبة إلي إلي فأطافوا به ما
يحسون السرير وما يرونه وكبروا وتنادوا وانبت قلب المشركين عندها وهزموا وقام الجاليتوس على الردم ونادى

أهل فارس إلى العبور وانسفى الغبار فأما المقترنون فإنهم خشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أقلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا

وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كبايان راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف وقتلوا في المعركة من الليل يعني ليلة الهرير عشرة آلاف سوى من قتلوا في تلك الثلاثة الأيام وأكب المسلمون على من ثبت لهم وعلى من سفل منهم عن الردم ومن ارتفع عنه فقتلوا منهم ستين ألفا فقتلوا يوم القادسية مائة ألف سوى من قتلوا في الأيام قبلة قالوا فلما انكشف أهل فارس فلم يبق منهم بين الخندق والعتيق أحد وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق أمر سعد زهرة بن جوية باتباعهم فنأدى زهرة في المقدمات وساروا وأمر سعد القعقاع بمن سفل وشرحبيل بمن علا وأمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى وبدفن الشهداء فدفن شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية ألفين وخمسمائة وقيل ثلاثة آلاف من وراء العتيق بحيال مشرق ودفن شهداء الأيام الثلاثة قبل ذلك على مشرق ويقال كانوا ألفين وخمسمائة وجمعت الأسلاب والأموال فجمع منها شيء لم يجمع قبله ولا بعده وأرسل سعد إلى هلال بن علفة فدعا له فقال أين صاحبك يعني رستما قال رميت به تحت بغل فقال أذهب فجاء به فذهب فجاء به فقال له سعد جرده إلا ما شئت فخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا ويقال إنه باع الذي سلبه بسبعين ألفا وكان قد تخفف حين وقع في الماء ولم توجد قلنسوته وكانت قيمتها مائة ألف

وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد فرأوا رستما ببابه مطروحا فقالوا أيها الأمير رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره وكان الضرب قد شوهه فضحك سعد وخرج زهرة في آثار أهل فارس فانتهى إلى الردم وقد تبعوه ليمنعوهم به من الطلب فقال زهرة لبكير بن عبد الله الليثي وهو الذي يقال له فارس أطلال وهو اسم فرس له كان يعرف بها بابكير أقدم وكان يقاتل على الإناث فضرب فرسه وقال ثبي أطلال فتجمعت وقالت وثبا وسورة البقرة ثم وثبت ووثب زهرة وكان على حصان وتتابع ذلك ثلاثمائة فارس فلاحق زهرة بالقوم والجالينوس في آخرهم يحميهم فشاو له زهرة فاختلغا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتل أولئك الفرار ما بين الحرارة إلى السيلحين إلى النجف ورجع زهرة في أصحابه حين أمسوا فباتوا في القادسية ولما رجع القعقاع وشرحبيل إلى سعد قال لشرحبيل أعذ في طلب القعقاع وقال القعقاع أعذ في طلب شرحبيل فعلا هذا وسفل هذا حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسية قال الشعبي خرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب من ارتفع وسفل فقتلوهم في كل قرية وأهجة وشاطئ نهر ورجعوا فوافوا صلاة الظهر وهنأ الناس أميرهم وأثنى على كل حي خيرا وذكره منهم وقال في ذلك هلال بن علفة

جدعت أنوف العجم يوم لقيتهم

برستم والجمعان في أشغل الشغل

فضضت به رض الصفوف فقوضت

صفوفهم والحرب جامحة تغلي

الطويل

وقال الشماخ في قصيدة يرثي بكير بن عبد الله فارس أطلال ويذكر ما كان من فرسه في وثبتها المذكورة قبل

وغيب عن خيل بموقان أسلمت

بكير بني الشداخ فارس أطلال

غداة اقتحام القوم من بعد نطقها

وحلفتها عرض العتيق بادلال

الطويل

ولما قتل زهرة الجالينوس وأخذ سلبه جاء به إلى سعد فعرفه الأسارى الذين كانوا عند سعد وقالوا هذا سلب
الجالينوس وكان سيدها من ساداتهم وعظيما من عظمائهم فقال سعد لزهرة هل أعانك عليه أحد قال نعم قال من
قال الله عز وجل فنقله إياة

وقيل إنما جاء بالسلب وقد لبسه فانتزعه منه سعد وقال ألا انتظرت إذني وكتب فيه إلى عمر رضي الله عنه فكتب
إليه عمر أن يمضي لزهرة ذلك السلب وعاتب سعدا في كتابه وقال له تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به
وبقي عليك ما بقي من حريك تكسر قرنه وتفسد قلبه
ويروى ان سعدا استكثر له السلب فكتب فيه إلى عمر فكتب إليه إنني قد نقلت من قتل رجلا سلبه فدفعه إليه سعد
فباعه بسبعين ألفا

وقال زهرة في قتل الجالينوس

تبعنا جيوش الجالينوس وقد رأى

بعينه أمرا ذا إياس منكرا

لحقنا به نرمي الكرانيف سادرا

ويعجب إذخلى الجموح وشمرا

فوليته لما التقينا مصمما

أراه محيا الموت أحرر أصفرا

الطويل

وقال سيف عن رجاله ثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحووا من الفرار فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء
المسلمين لكل كتيبة منها رأس

من رؤساء المسلمين فأباد الله تلك الكتائب يومئذ

وقال سعيد بن المرزبان أصاب أهل فارس يومئذ بعدما هزموا ما أصاب الناس قبلهم قتلوا حتى أن كان الرجل من

المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه وحتى أنه ليأخذ سلاحه فيقتله به وحتى أنه

ليأمر أحد الرجلين منهم بقتل صاحبه

وقال بعض من شهدها أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها وجلسوا تحتها

وقالوا لا نبرح حتى نموت فحمل عليهم فقتلهم وسلبهم وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية وأحد الذين مالوا

بعد الهزيمة على من ثبت وكذلك أخوه عبد الرحمن بن ربيعة ذو النور مال على آخرين قد تكتبوا ونصوا

للمسلمين فطحنهم بخيله وقال الشعبي كات يقال لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور

وقال بعض بني معروض مارأينا مثل أهل القادسية هزمناهم فأتبعناهم وهم على خيولهم كأنها في طين ونحن على

أرجلنا كأننا ظباء ولقد أدركنا رجلا يعدو به فرسه فصحنا به فلم يتحرك فأخذناه أسيرا

قال أبو وائل وشهدها لقد سمعت الفرس يقولون ما تقطع سيوفنا الشعر ولقد نزع منا النصر وقال الأسود النخعي شهدت القادسية فلقد رأيت غلاما منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار وأتى رجل سعدا فقال تجعل لي ثلث ما أجيئك به قال نعم فأتاه بأساورة قد أسرهم فقال له سعد كيف

أخذت هؤلاء وحدك قال صحت بهم وهم منهزمون فوقفوا لم يمتنع منهم أحد فجعل سعد يتعجب وكان سعد أجرا الناس وأشجعهم إنه نزل قصرا غير حصين يشرف منه على الناس ويرى قتالهم وصف المسلمين إلى أصل حائط القصر ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذوا برمته فوالله ما كربه هول تلك الأيام ولا أغلقه ودخل إليه في اليوم الرابع رجل من بجيلة فقال أبا إسحاق إن الناس قد جبنوك وقالوا لم يمنعك من الخروج الوجل قال ما أخاف ذلك على نفسي أو ما ترى ما بي وسأخرج وكان به حيون ودماميل لا يستطيع أن يقر لها إلا مكب على صدره فركب فرسا فانتهى إلى باب القصر وقد تبوأ فيه حمام فطرنا فنفر الفرس فشب فانفجر ما كان من قروحه وخرج فوقف وحض المسلمين وقال لا تكون هذه الأعاجم أصبر على المقارعة منكم واعلموا ان القوم ملوا إن كنتم ملتم فنشط الناس وفي حديث غير هذا أن جريرا البجلي قال في ذلك اليوم

أنا جرير كنيتي أبو عمرو

قد نصر الله وسعد في القصر

الرجز

وقال رجل من المسلمين أيضا

نقاتل حتى أنزل الله نصره

وسعد بباب القادسية معصم

فأبني وقد أمت نساء كثيرة

ونسوة سعد ليس فيهن أيم

الطويل

فلما بلغ ذلك من قولهما سعدا خرج إلى الناس فاعتذر إليهم وأراهم ما به من القروح في فخذيته فعذره الناس وقال

سعد يجيب جريرا من آيات

وما أرجوا بجيلة غير أبي

أؤمل أجرهم يوم الحساب

الوافر

وفي حديث يروى عن قيس بن أبي حازم وكان شهد تلك الحرب أن الفرس لما إهزموا لحقوا بدير قره وما وراءه ونهض سعد بالمسلمين حين نزل بدير قره على من هناك من الفرس وقدم عليه بالدير عياض بن غنم في ألف رجل من الشام مددا لهم فأسهم لهم سعد مع المسلمين في ما أصابوا بالقادسية ثم أن الفرس هربت من دير قره إلى المدائن يريدون ثمانون واحتملوا معهم الذهب والفضة والدياج والقرون والحريير والسلاح وثياب كسرى وخلوا ما سوى ذلك وأتبعهم سعد الطلب فبعث خالد بن عرفطة ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه وجعل على مقدمة الناس

هاشم بن عتبة وعلى ميمنتهم جرير بن

عبد الله وعلى الميسره زهرة بن جوية وتخلف سعد لما به من الوجع فلما أفاق من وجعه أتبع الناس بمن بقي معهم

من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى

أتى سعدا عالج من أهل المدائن فقال أدلكم على طريق تدركوهم قبل ان ينعوا فخرج بهم على محاضرة بقطربل فكان أول من خاضها هاشم واتبعه خيله ثم جاز خالد بن عرفطة بخيله وتتابع الناس فخاضوا حتى جاوزوا فرعموا أنه لم يهتدي لتلك المحاضرة بعد ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساباط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجنوا عنه فكان أول من دخله بجيشه هاشم فلما جاز الاح للناس بسيفه فعرف الناس أن ليس به شيء يخافونه فأجاز بهم خالد بن عرفطة ثم لحق سعد بالناس حين انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها أفضل مما أصابوا بالقادسية وأصبحت إبنة لكسرى يقال لها من جانت ويقال ابنة ابنه وقال شاعر من المسلمين

يارب مهر حسن مطهم

يحمل أثقال الغلام المسلم

ينجو إلى الرحمن من جهنم

يوم جلولاء ويوم رستم

ويوم زحف الكوفة المقدم

ويوم لافي حدفه مهزم

وخر دين الكافرين للفم

الرجز

وفي كتاب المدائني عن أبي وائل قال هزمناهم يعني يوم القادسية حتى انتهوا إلى الفرات فقاتلونا عليه فهزمناهم حتى انتهوا إلى الصراة فقاتلونا عليها فهزمناهم حتى انتهوا إلى المدائن فدخلوها ونزل المسلمون دير السباع فجعلنا نغاديهم فنقاتلهم فقال المسلمون هؤلاء في البيوت ونحن في الصحراء اعبروا إليهم فعبروا إليهم فحصرناهم في الجانب الشرقي حتى أكلوا الكلاب والسنابير فخرجوا على حامية معهم الأتقال والعيال حتى نزلوا جلولاء الواقعة وتبعناهم فقاتلوا بها قتالا شديدا عن العيال والنراي فجال المسلمون جولة فناداهم سعد يا معشر المسلمين أين أين أما رأيتم ما خلفكم أتأتون عمر منهزمين فعطفوا وهزم الله المشركين وسميت جلولاء الواقعة فتح الفتوح وسيأتي عبد ذكر فتح جلولاء والمدائن على التمام بعد انقضاء بقايا الأخبار عن شأن القادسية ومغائرها إن شاء الله تعالى قال الشعبي بلغ الفيء بالقادسية ستمائة ألف ألف وكان خمسين ومائة ألف ألف وكان الملك يزيد جرد بن كسرى قد حمل نصف الأموال إلى أهل فارس بالقادسية ليتوردوا بها بلاد العرب وليغزوا عمر رضي الله عنه في داره وقراره فعل مقتدر مغرور وأمر الجنود أن يحضروا الحرب بأموالهم وأن يختلفوا ليكون أجد لهم في الامتناع والمخاطرة لدينهم فاجتمعت معهم من الأموال والزين والشارات على قدر أحسابهم مالا يحصى وكان سبب ذلك ما قضى الله عز وجل للمسلمين فساقه إليهم وكان يزيد جرد قد استبقى النصف من الأموال وأقره في بيت المال على حاله فأفأه الله على المسلمين يوم المدائن وذكر المدائني أن المسور بن مخرمة أصاب يوم القادسية إبريق ذهب عليه يا قوت فقال له بعض الفرس آخذه منك بعشرة آلاف فأبى وأتى به سعدا فباعه بمائة ألف

وقال مخنث بن سليم إني لقي طلب المشركين يومئذ إذ لحقت رجلين أحدهما على فرس والآخر على بغل ثم ذكر حديثنا إنتهى فيه إلى أن فاته صاحب الفرس ولحق بصاحب البغل فأخذه قال وأنا أريد ان آتي به سعدا وما من رأي

أن انظر إليه فجاء مولى لي وأنا أصلي فحط القمل واستخرج سفضا فنظر إليه وقال
لي أتدري ما معك قلت لا قال بعض كنوز كسرى فنظرت فإذا ناقة ذهب عليها رجل ذهب وبطان ذهب وزمام
ذهب وإذا ذلك كله مكلل بالجواهر عليه مثال رجل من فضة فأتيت بها سعدا فقال ابشر بأفضل منه من ثواب الله
وولاني مغنم القادسية ومعى غيري فجاء رجل بسفض آخر فألقاه في المغنم وقال أما والله لولا خوف الله ما أديته
فإذا الذي جئت به لا يقارب ما جاء به الرجل فقلت من أنت قال والله ما اخبرك لتحمدني أنت ولا أحد من الناس
وأصاب الناس رثة ومتاعا كبيرا

وقال طلحة بن مصرف أمروا مما وجدوا من الطيب للنساء ببعضه فأصاب كل امرأة مع الناس يومئذ ثلاثة وثلاثون
مثقالا من عنبر ومثلها من مسك وأشرك صبيان الذين استشهدوا في ذلك فأما الكافور فلم يعباؤا به شيئا وبعضهم
استبدل منه بالملح كيلا بكيل وأصاب الرجل من المسلمين خمسة آلاف ونيف من سهمه وصير الله عز وجل العدة
والأداة إلى المسلمين فلم يبق أحد إلا أردى وركب وفضل عنهم حتى جنبوا الجنائب
وذكر سيف عن رجاله قالوا وقسم سعد الفيء بالقادسية على تسعة وثلاثين ألفا أو يزيدون وكان من شهدها أكثر
من تسعة وثلاثين ألفا وأقل من الأربعين فأصيب منهم خمسة آلاف ومائتان وقيل وخمسمائة ثم لحق في الأيام الثلاثة
بعد الواقعة عدد من استشهد فقسم الفيء على تلك العدة التي هي أقل من أربعين ألفا قالوا وأعطى الناس المتاع
بالقيمة في سهم الرجل

قال إبراهيم بن يزيد كانوا ليقومون الشيء الثمين بالشيء اليسير

وقال الشعبي لم يقسم يومئذ لأكثر من فرسين ولا يقسم لأكثر من هما قالوا فبلغ سهم الفرسين وصاحبهما سبعة
وعشرين ألفا للرجل خمس ذلك وللفرسين سائر ذلك وللفرس الواحد بحساب ذلك عشرة آلاف ونيف وسهم
الرجل الواحد خمسة آلاف ونيف وسهم الرجل الفارس ذي الفرس الواحد خمسة عشر
ألفا ونيف وكان القاسم بين الناس والمميز للخيال والذي يلي الأقباض سلمان بن ربيعة الباهلي
قال المدائني فجاء عمرو بن معدي كرب بفرسين يقودهما فقال سلمان لأحد الفرسين هذا هجين فقال عمرو المهجين
يعرف المهجين فأغلظ له سعد عند ذلك وهدده فقال عمرو

إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد

قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطي السوية من طعن فهل نمل

ولا سوية إذ تعطي الدنانير

ونحن في الصف قد تلمى حواجبنا

نعطي السوية مما أخلص الكبر

اليسيط

قالوا وكتب سعد بالفتح إلى عمر رحمه الله وبعده من أصيب من المسلمين جملة وسمى له منهم من كان عمر يعرفه
وكان كتابه إليه

أما بعد فإن الله عز وجل نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل
وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الرءون مثل زهوها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى
المسلمين وأتبعهم المسلمون يقتلونهم على الأتجار وعلى صفوف الآجام وفي الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن

عبيد القاريء وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا تعلمهم الله بهم عالم كانوا إذا جن عليهم الليل يدوون بالقرآن
دوي النحل وهم آساد من الناس لا تشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم على من بقي إلا بفضل الشهادة إذ
لم تكتب لهم
ولما أتى عمر الكتاب بالفتح قام في الناس فقرأه عليهم وكان رضي الله عنه

لما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى
بيته فلما لقيه البشير سأله من أين جاء فأخبره فقال يا عبد الله حدثني قال هزم الله العدو وعمر رضي الله عنه يحب
معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته وهو لا يعرفه حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال
الرجل فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين وجعل عمر يقول له لا عليك يا أخي
وقال عمر للناس عنلما قرىء عليهم الفتح إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض
فإذا عجز ذلك عنا تأسينا حتى نستوي في الكفاف إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم ولكني عبد الله عرض علي
الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم وأتبعتم حتى تشبعوا وترووا في بيوتكم سعدت وإن أنا حملتها واستبعتكم إلى
بيتي شقيت ففرحت قليلا وحزنت طويلا وبقيت لا أقال ولا أرد فاستعبت
وكتب سعد أيضا إلى عمر في ثلاثة أصناف من المسلمين اجتمعوا إليه يسأله عنهم عمن أسلم بعدما فتح الله تعالى
عليهم ممن كان له عهد ومعونة وعمن أعتق الجند من رقيقهم بعد الفتح وعمن جاء بعدما فتح الله عليهم وأخبره أنه
مسك عن القسم حتى يأتيه رأيه

قالوا وكانت طائفة من الديلم ورؤساء أهل المسالخ قد استجابوا للمسلمين واختاروا عهدهم على عهد فارس
وقاتلوا مع المسلمين على غير الإسلام وكان حشوة فيمن أسلم منهم فلما فتح الله تعالى على المسلمين قال أولئك
الذين لم يكونوا أسلموا إخواننا الذين سبقونا دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن خير وأصوب رأيا والله لا يفلح
أهل فارس بعد رستم إلا من دخل في هذا الأمر منهم فأسلموا فهم الصنف الأول من الذين سأل عنهم سعد عمر
رضي الله عنهما قالوا وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك

ودمشق ورجعوا مدين لأهل القادسية فتوافوا بها من الغد ومن بعد الغد جاء أولهم يوم أعواث وآخرهم من بعد
الغد من يوم الفتح وقدمت أمداد فيها مراد وهمدان ومن أبناء الناس فهذا الصنف الثاني من ممن كتب فيهم سعد
وأقام المسلمون في انتظار أمر عمر رضي الله عنه يقومون أقباضهم ويجزرون جنلهم ويرمون أمورههم ويجددوون
حربهم حتى جاءهم جواب عمر

أما بعد فالغنيمة لمن شهد الوقعة والمواساة لمن أغاث في ثلاث بعد الوقعة فأشركوهم ومن أعانكم في حربكم من أهل
عهدكم ثم أسلم بعد الحرب في ثلاث ومن شهد حربكم من مملوك ثم عتق في ثلاث بعدها فأشركوا هؤلاء الاصناف
الثلاثة فيما أفاء الله عليكم

وكانوا كتبوا إليه - أيضا - يسألونه عمن احتلم بعد الوقعة ممن شهدها فأجابهم عن ذلك أما بعد فمن أدرك الحلم
ممن شهد الوقعة في ثلاث بعدها فأشركوهم وأحقوهم وأقسموا لهم ولمن لحق في ثلاث أو أسلم في ثلاث فإن الله لن
يزيدكم بذلك ألا فضلا وليست في الفيء أسوة بعد الخمس ألا هؤلاء الطبقات

وكتبوا إلى عمر أيضا أن أقواما من أهل السواد ادعوا عهدا ولم يقيم على عهد الأيام لنا ولم يف به أحد علمناه ألا
أهل بانقيا وبسما وأهل أليس الأخيرة وادعى سائر أهل السواد أن فارس أكرهوهم حشروهم فلم يخالفوا إلينا ولم

يذهبوا في الأرض

وكتبوا إليه أيضا في كتاب آخر أن أهل السواد جلوا فجاننا من تمسك بعهدده ولم يجلب علينا فتمننا لهم على ما كان بين المسلمين وبينهم قبلنا وزعموا أن أهل الأرض قد لحقوا بالمداين فأحدث إلينا فيمن أقامو فيمن جلا وفي من ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم فإننا بأرض رغبة والأرض خلاء من أهلها وعدنا قليل وقد كثر أهل صلحنا وإن اعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم

فلما انتهى ما كتبوا به إلى عمر رضي الله عنه قام في الناس فقال إنه من يعمل في بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وبينه إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل طاعته أصاب أمره وظفر بحظه وذلك أن الله عز وجل يقول ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد (٤٩ الكهف) وقد ظهر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا وفيمن أقام ولم يدع شيئا ولم يجلب وفيمن استسلم فأجمعوا على ان الوفاء لمن أقام وكف وأن من ادعى وصدق بمنزلتهم ومن كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إلى المسلمين فإن شاءوا وادعواهم وكانوا لهم ذمة وإن شاءوا أتموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال وأن يخبروا من أقام واستسلم بين الجزاء والجلاء وكذلك الفلاح فكتب عند ذلك عمر رضي الله عنه جوابا عما كتبوا إليه في ذلك

أما بعد فإن الله عز وجل أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين العدل في السيرة والذكر فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة ولم يرضى منة إلا بالكثير وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء والعدل وإن رئي لنا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقم للباطل من الجور وإن رئي شديدا فهو انكس للكفر فمن تم على عهدده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشيء فله الذمة وعليهم الجزية وأما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم أو ينهب في الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم وأبلغوهم ما أمنهم ومن أقام ولم يجلب وليس له عهد فلهم ما لأهل الذمة بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة والقلاحون إذا فعلوا ذلك وكل من ادعى شيئا فصدق فلهم الذمة وإن كذبوا نبذ إليهم وأما

من أعان وجلا فذلك أمر جعله الله إليكم فإن شئتم فادعواهم إلى أن يقوموا لكم في أرضكم ولهم الذمة وعليهم الجزية فإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى من أهل السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية وتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم عهدده إلا أن خراجهم أثقل وأنزلوا من ادعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقلوا لهم وانزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك القلاحون ولم يدخل في الصلح ما كان لآل كسرى ولا كان لمن خرج معهم ولم يجب إلى الأسلام ولا إلى الجزية فصارت فينا لمن أفاء الله عليه كالصوفي في الأول وسائر السواد لهم ذمة وأخذوهم بخراج كسرى وكان على رعوس الرجال وما بأيديهم من الحصة والأموال وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ومن صوب معهم وعيائهم وعيال من قاتل معهم وماله وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه وما كان للسكك فلم يتأت قسم ذلك القبيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم لأنه كان متفرقا في كل السواد فكان يليه لأهل القبيء من وثقوا به وتراضوا عليه قالوا وأدلى جرير وبجيلة يوم القادسية بمثل ما كان عمر جعل لهم من ربع الخمس مما أفاء الله يوم البويب فكتب

سعد إلى عمر بذلك فأجابه قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين إني إنما كنت جعلت لهم ربع الخمس مما أفاء الله على المشى حين أمددته بهم في وجههم ذلك إلى البويب نفلا فقد أخذوه أيام البويب ثم ولم يمضوا ولكن رجعوا إلى أرض العرب فعنفهم بما ادعوا مما ليس لهم ولا لي وقل لهم والله لولا أني قاسم مستول لبلغت منكم فلما بلغ الكتاب سعدا أمر جريرا بجمع بجيلة فجمعهم له فقرأ عليهم سعد الكتاب فقال جرير صدق والله عمر وأسأنا وتتابع على ذلك قومه إلا امرأة يقال لها أم

كرز فإنها قالت كذبت والله يا جرير وجعل جرير يقول لها حلا يا أم كرز فتعود له بالتكذيب فلا يريد على أن يقول حلا يا أم كرز

وخالف المدائني ما ذكره سيف في قصة جرير وقومه وقال إن سعدا لما جمع الغنائم وعزل الخمس وأراد قسمة الباقي قال له جرير إن أمير المؤمنين جعل لنا الربع وقال بعضهم الثلث بعد الخمس من كل شيء فبعث سعد بالخمسة إلى عمر كتب إليه يقول جرير فقال عمر صدق جرير قد جعلت له ولقومه ما كان من السواد فخبروهم فإن شاعوا اعطوا وكان قتالهم للجعالة وإن شاعوا فلهم سهم المسلمين وقتالهم فخبرهم سعد فاختروا سهام المسلمين فالله أعلم أي ذلك كان

وذكر المدائني أيضا أنه كان فيمن قدم على عمر مع الخمس الأسدي الذي طعن الفيل فضر به سائسه على وجهه فهشم وجهه فقال له عمر من أنت وما هذا يعني الضربة التي في وجهه قال أصابني قدر من قدر الله فأخبر القوم عمر خبره فعانقه عمر وقال أبشر فهي نور لك يوم القيامة فهل لك من حاجة قال تكتب إلى سعد يعطيني محتلما يخدمني وفرسي فكتب إلى سعد أعطه محتلمين ففعل ذلك سعد

قال الشعبي وأمر عمر رضي الله عنه في الأعشار بخمسمائة فرس نفلا من خيل فارس لتقسم في أهل البلاء فأصاب كل عشر خمسون فرسا فأصاب النخع عشرون وقيل خمسة وعشرون وأصاب سائرها سائر مذبح قالوا وكتب عمر رحمه الله إلى سعد أنبئي أي فارس كان يوم القادسية أفرس وأي راجل كان أرجل وأي راكب كان أثبت فكتب إليه إني لم أر فارسا مثل القعقاع بن عمرو وحمل في يوم ثلاثين حملة فقتل في كل حملة كميا ولم أر راجلا مثل يعفور بن حسان الذهلي إنه جاء في يوم بخمسة

فوارس يختل الفارس منهم حتى يردفه ثم يغلبه على عنانه حتى يأتي به سلما ولم أر راكبا مثل الحارث بن قرم البهزي إنه جاء ببعيره يرفعه ثم ركب الكراديس ففرق بينها فإذا نفر بالفارس انحط عنه فعانقه ثم قتله ثم يشب على بعيره من قيام

كتاب : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء

المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي

وكتب عمر إلى سعد أيضا ابني من وجدت أصبر ليلة المهير فكتب إليه إن الحسن سكن عني حتى إذا كان وجه
الصبح سمعت انتماء في مضر وانتماء في ربيعة ثم انتسبا في اليمن فوجدت المنتمين من تميم وأسد وقيس والنتمين من
بكر وحلفائها والمنتسين في أهل اليمن من مذحج وكندة
وفي كتاب المدائني أن عمر كتب إلى سعد يسأله أي الناس كان أصبر بالقادسية فكتب إليه سعد أن الحرب ركدت
ليلة فلم أسمع إلا همهم الرجال وهريهم ووقع الحديد فلما كان قبيل الفجر سمعت الانتماء من كل أنا ابن معدي
كرب أنا الجاذمي أنا المالكي من أسد أنا الأشعري ثم صار الأنتماء قصره في جذيمة فلما انجلت الحرب رأيت جماعة
قتلى في ربطة فقلت من هؤلاء قالوا من جذيمة النخع اصيبوا من آخر ليل وهم ينتمون فنقلهم عمر خمسة
وعشرين فرسا يعني بني جذيمة
وحكى المدائني عن الشعبي قال كان السبي بالقادسية وجلولاء مائة ألف رأس وقد قيل أقل من هذا وقول الشعبي
أكثر وأشهر
ويروى أنه لما كان العطاء فضل من أهل البلاء بالقادسية بخمسائة خمسمائة في أعطيتهم خمسة وعشرون رجلا منهم
زهرة بن الجوية وعصمة الضبي والكلح الضبي وأما أهل البلاء قبلهم ففرض لهم العطاء على ثلاثة آلاف فضلوا
على أهل القادسية
وذكر سيف بن عمر عن رجاله قالوا كانت العرب توقع وقعة العرب وأهل فارس في القادسية يرون أن ثبات
ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلدة
مصيخة إليها تنظر ما يكون من أمرها حتى ان كان الرجل ليريد الأمر فيقول لا انظر فيه حتى أرى ما يكون من أمر
القادسية فلما كانت وقعت سارت بها الجن إلى ناس من الإنس فسبقت أخبار الإنس إليهم قالوا فبرزت امرأة ليلا
على جبل بصنعاء لا يدري من هي وهي تقول
حييت عنا عكرم ابنة خالد
وما خير زاد بالليل المصرد
وحيتك عني الشمس عند طلوعها
وحياك عني كل ناج مفرد
وحيتك عني عصبة حنفية
حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده
بكل رقيق الشفرتين مهند
الطويل

وسمع أهل اليمامة مجتازا يعني بهذه الأبيات

وجدنا الأكثرين بني تميم

غداة الروع أصبرهم رجالا

هم ساروا بأرعن مكفهر

إلى لجب يوازهم رعالا

بحور للأكاسر من رجال

كأسد الغاب تحسيهم جبالا

هم تركوا بقادس عز فخر

وبالنجفين أياما طوالا

مقطعة اكفهم وسوق

بمردى حيث قابلت الجبالا

الوافر

وسمع أهل البحرين راكبا يقول

ألاحييا أفناء بكر بن وائل

فقد تركوا جمع الأعاجم واجما

هم صدقوا يوم القوادس فارسا

بأسيافهم ضربا ييل القوائما

(أناخوا لهم في عرصة الدار وانتموا

إلى باذخ يعلو الذرى والجماجما الطويل

وسمع سامع بعمان قائل

ألا إن عبد القيس كانوا بأسرهم

غداة قديس كالأسود الشداقم

وإذا هم من تغلب إبنة وائل

كتائب تردى بالقنا والقوائم

هم فرقوا جمع الأعاجم وابتنوا

قراهم بالمقربات السواهم

فقولا لعبد الله أهلا ومرحبا

وتغلب إذ فضوا هوادي الأعاجم

وأشقوا رؤوس العجم بالبيض وانتموا

لأكرم أنساب العريب الأكارم

الطويل

وذكر الرواة أنهم سمعوا نحو هذا بالمدينة ومكة ونجران وأنشؤا ما سمع في كل موضع منها تركت ذكر ذلك

إختصارا

ومما قيل أيضا في فتح القادسية من الشعر الذي لم يزل العلماء قديما يروونه قول بشر بن ربيعة الخنعمي

تذكر هداك الله وقع سيوفنا

بباب قديس والمكر ضرير
عشية ود القوم لو أن بعضهم
يعار جناحي طائر فيطير
إذا ما فرغنا من قراع كتبية
برزنا لأخرى كالجبال تسير
ترى القوم منها واجمين كأنهم
جمال بأجمال هن زفير
وعند أبي حفص عطاء لراحل
وعند المعنى فضة وحرير
الطويل

وقال القعقاع بن عمرو يذكر شدة ذلك اليوم وما لقيت الفيول فيه وتأثيره فيها

حضض قومي مضر حي بن يعمر
فلله قومي حين هزوا العواليا
وما خام عنها يوم سادة جموعنا
لأهل قديس بمنعون المواليا
فإن كنت قاتلت العدو بنية
فإني لألقى في الحروب والدواهيا
فويلا أراها كالليوث مغيرة
أحمل أعيانا لها ومآقيا
الطويل

وقال جمال الأسدي في مثل ذلك
ألا هل أتاها يوم أعماس إنني

أمارس آسادآ لها وفيولا
أمارس فيلا مثل كعبة أهر
ترى دونه رجراجة وخبولا
طعنت برمحي عينه فرددته
يرشح بولا خشية وجفولا
الطويل

وقال الشماخ بن ضرار
ويوم بجو القادسية إذ سموا
فعمجت بقصاب من الهند نافح
أجاللهم والحى حولى كأنهم
رجال تلاقوا بينهم بالسوافح

وإني لمن قوم على أن ذممتهم
إذا أولوا لم يولوا بالأنفاح
وإنك من قوم تحن نساؤهم
إلى الجانب الأقصى حنين المناح
الطويل

وقال أيضا
فليت أبا حفص رأنا ووقعنا
بباب قديس بعدما عدل الصف
حملنا على الآساد آساد فارس
كحملة هرماس يجربه الصرف
الطويل

وقال عاصم بن عمرو
شاب المفارق والأعراض فالتنمت
من وقعة بقديس جرها العجم
جاء الكنائب والأوزاع وانشمرت
من صكة صكها ديانها الحكم
بيننا بجيلة قد كدت سراقم
سالت عليهم بأيدي الناصر العصم
سرنا إليهم كأن عارض برد
تزجي تواليه الأرواح والديم
كان العتيق لهم مثنوى ومعركة
فيها الفرائص والأوصال واللمم
البيسط

وقال أبو مجيد نافع بن الأسود التميمي يمدح قومه ويذكرهم أثرهم في الجاهلية والإسلام
وقال القضاة من معد وغيرها
تيممك أكفاء الملوك الأعظم
هم أهل عز ثابت وأرومة
وهم من معد في النرى والغلاصم
وهم يضمنون المال للجار ماثوى
وهم يطعمون الدهر ضربة لازم
سديف النرى من كل كوما بازل
مقيما لمن يعفوهم غير جارم
فكيف تناحيها الأعاجم بعدما

علوا لجسيم المجد أهل المواسم
وبذل العدى للسانلين إذا إعتفوا
وكب المتالي في السنين الأوزم
ومدهم الأيدي إلى غاية العلا
إذا أقصرت عنها أكف الألائم
وإرسالهم في النباتات تلامهم
لفك العناة أو لكشف المغارم
وقودهم الخيل العتاق إلى العدى
ضواري تردى في لجاج المخارم
مجنبة تشكو النسور من الوجى
يعانندن أعناق المطي الرواسم
لتنقض وترا أو لتحوي مغنما
كذلك قدماهم حماة المغانم
وكائن أصابوا من غنيمة قاهر
حدائق من نخل بقران ناعم
وكان لهذا الحي منهم غنيمة
كما أحرزوا المرباع عند المقاسم
كذلك كان الله شرف قومنا

بها في الزمان الأول المتقادم
وحين أتى الإسلام كانوا أئمة
وقادوا معدا كلها بالجزائم
إلى هجرة كانت سناء ورفعه
لباقهم فيهم وخيرا مراغم
إذا الريف لم ينزل عريف بصحبه
وإذ هو تكفيه ملوك الأعاجم
فجائت تميم في الكنائب نصرة
يسرون صفا كالليوث الضراغم
على كل جرداء السراة وملهب
بعيد مدى التقريب عبل القوائم
عليهم من الماذي زعف مضاعف
له حيك من شكة المتلازم
فقليل لكم مجد الحياة فجاهدوا
فأنتم حماة الناس عند العظام

فصفوا لأهل الشرك ثم تككبوا
وطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
فما برحوا يعصوهم بسيوفهم
على الهام منهم والأنوف الرواعم
لذن غدوة حتى تولوا تسوقهم
رجال تميم ذحلها غير نائم
من الراكبين الخيل شعنا إلى الوغى
بصم القنا والمرهفات القواصم
فتلك مساعي الأكرمين ذوي الندى
تميمك لا مسعاة أهل الألاتم
الطويل

ذكر فتح المدائن وما نشأ بينه وبين القادسية من الأمور

والمدائن على مسافة بعض يوم من بغداد ويشتمل مجموعها على مدائن متصلة مبنية على جانبي دجلة شرقا وغربا
ودجلة تشق بينها ولذلك سميت المدائن المدينة الغربية منها تسمى بمرسير والمدينة الشرقية تسمى العتيقة وفيها القصر
الأبيض الذي لا يدري من بناه ويتصل بهذه المدينة العتيقة المدينة الأخرى التي كانت الملوك تنزلهم وفيها إيوان
كسرى العجيب الشأن الشاهد بضخامة ملك بني ساسان ويقال أن سابور ذا الأكتاف منهم هو الذي بناه وهو من
أكابر ملوكهم وقد بنى بيلاذ فارس وخراسان مدنا كثيرة ذكرها أبو بكر بن ثابت الخطيب في صدر كتابه في تاريخ
بغداد قال وكان الأسكندر أجل ملوك الأرض وقيل أنه ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه فقال إنا مكنا له في
الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا (٨٤ - ٨٥ الكهف) حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها وله في كل
إقليم أثر فبنى في المغرب الأسكندرية وخراسان العليا على ما يقال سمرقند ومدينة الصد وخراسان السفلى مرو
وهراة وبناحية الجبل جي ومدينة أصبهان وبنى مدنا
أخرى كثيرة في نواحي الأرض وأطرافها وجمال الدنيا كلها ووطنها فلم يختر منها منزلا سوى المدائن فنزلها وبنى بها
مدينه عظيمه وجعل عليها سورا أثره باق وهي المدينه التي تسمى الرومية في جانب دجلة الشرقي وأقام
بالإسكندرية راغبا عن بقاع الأرض كلها وعن بلاده ووطنه
وذكر بعض أهل العلم إنما لم تزل مستقره منذ نزلها حتى مات بها وحمل منها فدفن بالإسكندرية لمكان ولدته فإنها
كانت إذ ذاك باقيه هناك
وقد كان ملوك الفرس لهم حسن التدبير والسياسة والنظر في الممالك واختيار المنازل فكلهم اختار المدائن وما
جاورها لصحة تربتها وطيب هوائها واجتماع مصب دجلة والفرات بها

ويذكر عن الحكماء أنهم كانوا يقولون إذا أقام الغريب على دجلة من بلاد الموصل تبين في بدنه قوة وإذا أقام بين
دجلة والفرات بأرض بابل تبين في عقله زياده وفي فطنته ذكاء وحدة وذلك الذي أورث أهل بغداد الإختصاص
بحسن الأخلاق والتفرد بجميل الأوصاف وقل ما إجتمع اثنان متشاكلان وكان أحدهما بغداديا إلا كان هو المقدم

في لطف الفطنه وحسن الحيلة وحلاوة القول وسهولة البذل ووجد إينهما جانباً وأجلهما معاشره
وكان حكم المدائن إذ كانت عامرة أهلة هذا الحكم ولم تزل دار مملكة الأكاسرة ومحل كبار الأساورة ولهم بما آثار
عظيمه وأبنيه قديمه منها الإيوان الذي لم ير في معناه أحسن منه صنعة ولا أعجب عملاً وقد أحسن في وصفه أبو
عبادة الوليد بن عبيد البحتري في قصيدة له على ما روي السنين يقال إنه ليس للعرب سينية مثلها ووصف ايضاً
معه القصر الأبيض وما كان مصوراً فيه من الصور العجيبة والتماثيل البديعة والصنائع الغريبة فأبدع في وصف
ذلك وأحسن ما شاء فقال

حضرت رحلي الهموم فوجهت

إلى أبيض المدائن عنس

أتسلى عن الخطوظ وآسى

لمحل من آل ساسان درس

أذكر تنيهم الخطوب التوالي

ولقد تذكر الخطوب وتنس

وهم خافضون في ظل عال

مشرف يحسر العيون ويحس

حلل لم تكن كأطلال سعدا

في قفار من البسابس ملس

ومساع لولا الخاباة مني

لم تطقها مسعاة عنس وعيس

لم تراه علمت أن الليالي

جعلت فيه مآتما بعد عرس

هو ينيبك عن عجائب قوم

لا يشاب البيان فيهم بليس

وإذا ما رأيت صورة أنطاكية

إرتعت بين روم وفرس

والمنايا موائل وأنو شروان

يزجي الصفوف تحت الدرفس

في اخضرار من اللباس على أصفر

يختال في صبيغة ورس

وعراك الرجال بين يديه

في خفوت منهم وإغماض جرسى

من مشيح يهوى بعامل رمح

ومليح من السنان بترس

تصف العين أنهم جلوا أحياء

لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم إرتياي حتى
تتقراهم يداي بلمس
حللم مطبق على الشك عني
أم أمان غيرن ظني و حدس
و كأن الإيوان من عجب الصنعة
جوب في حنبا أرعن جلس

يتظني من الكآبة إذ ييدوا
لعيني مصبح أو ممس
مزعجا بالفراق عن أنس ألف
عز أو مرهق بتطليق عرس
عكست حظه الليالي ويات المشتري
فيه وهو كوكب نحس
فهو بيدي تجلدا وعليه
ككل من كلاكل الدهر مرس
لم يعبه أن بز من بسط الديقاج
واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلوا له شرفات
رفعت في رؤوس رضوى و قدس
لابسات من البيض فما تبصر
منها إلا جلائل برس
لست تدري أصنع إنس لجن
صنعوه أم صنع جن لإنس
غير أني أراه يشهد أن لم
يك بانيه في الملوك بنكس
الخفيف

ولا أعلم أحد من الشعراء وصف القصر الأبيض وهذا الإيوان بأبدع من هذا الوصف ولا أشجى ولا أوقع
ويروى أن أبا جعفر المنصور رحمه الله لما أفضت إليه الخلافه هم بنقض هذا الإيوان واستشار في ذلك جلسائه وذوي
الرأي عنده من رجاله فكلهم وافقه على رأيه وأشار عليه بما يطابق هواه إلا خالد بن برمك فإنه قال له لا تفعل يا
أمير المؤمنين فإنه آية الإسلام وإذا رآه من يأتي في مستقبل الزمان علم أن أصحاب مملكته لم يغلبوا عليه إلا بأمر من
عند الله وبتأييد أمد به المسلمين الذين قهروهم وبقاته فخر لكم وذكر ومع هذا فالمؤونة في هدمه أكثر من العائد
عليه فاستغشه المنصور في ذلك وقال له يا خالد أبيت إلا ميلا مع العجمية ثم أمر بنقض الإيوان فبلغت النفقه في
نقض الشيء اليسير منه مبلغا عظيما فكتب إليه بذلك فعزم على تركه وقال لخالد بن برمك قد صرنا على رأيك

فقال له خالد إن رأيي الآن أن تبلغوا به الماء فقال له المنصور وكيف ذلك قال لأني آنف لكم أن يكون أولئك بنو بناء تعجزون أنتم عن هدمه والهدم أسهل من البناء ففكر المنصور في قوله فعلم أنه قد صدق ثم نظر فإذا هدمه يتلف الأموال فأمر بالإمسك عنه وكان بعد يقول لقد حبب إلي هذا البناء إن لا أبني إلا بناء جليلا يصعب هدمه

وقد بشر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أصحابه بالإستيلاء على مملكة فارس ووعدهم بإفتتاح المدائن فضرب يوم الخندق بمعمل أخذه صخرة عظيمة إعتاصت عليهم في الخندق فكسر ثلثها بضره وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني

لأبصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فكسر ثلثها الثاني وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ثم ضرب الثالثة فكسر بقية الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأرى أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة فصدق الله وعده وأنجز محمد {صلى الله عليه وسلم} ما بشرهم به واستأصل بهم مملكة فارس وفتح عليهم المدائن في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما نذكره إن شاء الله تعالى

وذكر سيف بن عمر عن سماه من رجاله وربما زدت في تضاعيفه من حديث غيره قالوا عهد عمر رضي الله عنه إلى سعد حين أمره بالسير إلى المدائن أن يخلف النساء والعيال بالعتيق ويجعل معهم كنفًا من الجند ففعل وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم قالوا وكان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر رضي الله عنه في العمل بما ينبغي فقدم سعد زهرة بن جوية نحو اللسان وهو لسان البحر الذي أدلعه في الريف وعليه الكوفة اليوم وكانت عليه قبل اليوم الحيرة وكان النخيران معسكرا به فأرفض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ولحق بأصحابه ثم أمر سعد عبد الله بن المعتم ان يتبع زهرة وأمر شرحبيل بن السمط أن يتبع عبد الله ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وولاه خلافته التي كان عليها قبل خالد ابن عرفطة وجعل خالدًا على الساقفة ثم ارتحل سعد يتبعهم بعد فراغه من أمر القادسية كله وكل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله عز وجل إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال فسار زهرة حتى ينزل الكوفة الكوفة كلها حصباء ورملة حمراء مختلطتين ثم نزل عليه عبد الله وشرحبيل فارتحل زهرة عند ذلك نحو المدائن لما انتهى إلى برس لقيه بها بصبهري في جمع فناوشهم زهرة فهزمهم وهربوا إلى بابل وبها فالة القادسية

وبقايا رؤسائهم وكان زهرة قطعنا بصبهري يوم برس فمات من طعنته بعدما لحق ببابل وأقبل عند ذلك بسطام دهقان برس فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور وآتاه بخبر الذين جتمعوا ببابل وقدموا على أنفسهم الفيرزان فكتب بذلك زهرة إلى سعد فأتاه الخبر وقد نزل بالكوفة على من بها مع هاشم بن عتبة فقدمهم ثم أتبعهم حتى نزل برس فقدم منها زهرة وأتبعه الآخرين ثم أتبعهم حتى نزلوا على الفيرزان ببابل فاقتتلوا فهزموا المشركين في أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجهين ولم تكن لهم همة إلا الإفتراق فخرج الهرمزان نحو الأهواز وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نماوند وبها كنوز كسرى فأخذها وأكل الماهين وصمد النخيران ومهران الرازي للمدائن حتى عبرا بهر سير إلى جانب دجلة الآخر ثم قطعوا الجسر وخلفا شهريار دهقانًا من دهاقين الباب في جمع بكوثي فقدم سعد زهرة بن جوية ثم إتبعه الجنود فساروا إليه فلما التقى بأطراف كوثي جيش شهريار وأوائل خيل المسلمين خرج شهريار فنأدى ألا رجل ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلي حتى أنكلكم به فقال زهرة وكايدته لقد أردت أن أبارزك فأما إذ سمعت قولك فأني لا أخرج إليك إلا عبداً فإن أقمته له قتلك وإن فررت منه فإنما فررت من عبد ثم

أمر أبا نباته نانلا الأعوجي وكان من شجعان بني تميم فخرج إليه مع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق إلا أن شهريار مثل الجمل فلما رأى نانلا ألقى الرمح ليعتقه وألقى نائل الرمح ليعتقه وانتصيا سيفيهما فاجتدا ثم اعتقا فخرا عن دابتيهما فوقع شهريار على نائل كأنه بيت فضعضه بفخذه وأخذ الخنجر وأراد حل أزرار درعه ليذبحه فوقعت إهامة في فم نائل فمضغها فحطم عظمها وأحس منه فتورا فتاوره فجلد به الأرض ثم قعد على صدره وأخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه فطعن في بطنه وجنبه حتى مات فأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانكشف

أصحابه فذهبوا في البلاد وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فغتم سعد نانلا ذلك السلب كله وقال له عزمت عليك يا نائل إلا لبست سواريه وقبائه ودرعه وركبت دابته فانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه في سلاحه على دابته فقال له سعد اخلع سواريك إلا أن ترى حربا فالبسهما وكان اول رجل من المسلمين سور بالعراق قالوا فأقام سعد بكوثى أياما وأتى المكان الذي حبس فيه إبراهيم عليه السلام بكوثى والبيت الذي كان فيه محبوسا فنظر إليه وصلى على رسول الله وعلى إبراهيم وعلى أنبياء الله صلوات الله على جميعهم وقرأ وتلك الأيام نداؤها بين الناس (١٤٠ آل عمالان) ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير فمضى من كوثى في المقدمات وتبعته الخنبات وخرج هاشم وخرج سعد في أثره وقد فل زهرة كنيبة كسرى التي كانت تدعى بوران حول المظلم مظلم ساباط وكان رجالها يخلفون كل يوم بالله لا يزول ملك فارس ما عشنا ولما انتهى هاشم إلى مظلم ساباط وقف لسعد حتى لحق به فلما نزل قال أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال (٤٤ إبراهيم ووافق ذلك رجوع المقرط أسد كان كسرى قد ألفه وتخيره من أسود المظلم فيادر المقرط الناس حتى انتهى إليهم سعد فنزل إليه هاشم فقتله فقبل سعد رأسه وقبل هاشم قلميه

وقال المدائني فنظر هاشم إلى الناس وقد أحجموا ووقفوا فقال ما لهم فقبل له أسد قد منعهم ففرج هاشم الناس وقصد له فتاوره الأسد وضربه هاشم فقطع موصله كأنما اجتمع به غصنا ووقعت الضربة في خاصرته وقال بعضهم على هامته فقتله

قالوا وقدم سعد هاشما إلى بهرسير ثم ارتحل سعد فنزل على الناس بها وجعل

المسلمون المتقدمون إليها كلما قدمت عليهم خيل وقفوا ثم كبروا حتى نجح آخر من كان مع سعد ولما نزل سعد على بهرسير بث الخيول فأغار على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات فأصابوا مائة ألف فلاح فقال شيرزاد دهقان ساباط وكان قد تلقى زهرة في طريقه بالصلح وتأدية الجزية فقال لسعد عندما أتى بالقلاحين فخذق لهم إنك لاتصنع هؤلاء شيئا إنما هؤلاء علوج لأهل فارس فدعهم إلي حتى يفرق لك الرأي فيهم فكتب عليه بأسمائهم ودفعهم إليه فقال لهم شيرزاد انصرفوا ألى قراكم وكتب سعد إلى عمر رحمهما الله إنا وردنا بهرسير بعد الذي لقينا بين القادسية وبهرسير فلم يأتنا أحد لقتال فبثت الخيول فجمعت القلاحين من القرى والآجام فرأيتك فأجابه عمر إن من أتاكم من القلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أماتهم ومن لم يأتكم ولم يهرب فهو أماتهم ومن هرب فأدر كتموهفشأنكم به

فلما جاء سعدا الكتاب خلى عنهم وراسله الدهاقين فدعاهم إلى الإسلام أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة فرضوا بالجزية والمنعة ولم يبق في غربي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا أمن واغتبط بملك الإسلام واستقبلوا الخراج وأقام سعد بالناس على بهرسير شهريين يرمونهم بالجانيق ويدبون إليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة

قال بعضهم وكان سعد عندما نزلها وعليها خنادقها وحرصها وعدة الحرب استصنع شيرزاد المجانيق فنصب على أهلها عشرين منجنيقا فشغلهم بها

وكان الأعاجم والعرب مطيفين بهم وربما خرجوا يمشون على المسنيات المشرفة على دجلة في جماعتهم وعدتهم لقتال المسلمين فلا يقومون لهم فكان آخر ما خرجوا في رجالة وناشبة وتجردوا للحرب وتتابعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون فكذبوا وتوالوا وكانت على زهرة بن الجوية يومئذ درع مفصومه فقبل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال ولم فقالوا إنا نخاف عليك منه فقال إني لكريم على الله أن ترك سهم فارس الجند كلهم ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت في فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة فثبتت فيه من ذلك الفصم فقال بعضهم إنزعوها عنه فقال دعوني فإن نفسي معي ما دامت في لعلي أن أصيب فيهم بطعنة أو بضربة أو خطوة فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر فقتله وأحيط به فقتل وانكشفوا وسيأتي بعد من أخبار زهرة بن الجوية وآثاره في الوقائع التي لاشك في كونها بعد هذه ما يوهن خبر قتله المذكور آنفا والأولى بحسب هذا إن شاء الله أن يكون غير زهرة هو صاحب هذه القصة إذ قد ذكر المدائني أن هاشم بن عتبة قال لزهير بن سليم الأزدي قال ويقال لغيره ورأى في درعه فصما إني لا آمن أن تصيبك نشابة في هذا الموضع فلو سردته قال لئن تركت نشابة الفارسي جسدي كله لإلهذا الموضع إني إذ السعيد ثم ذكر نحو ما تقدم فالله أعلم

وقال أنيس بن الحليس بينا نحن محاصرون بهر سير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال إن الملك يقول لكم هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلها ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم أما شعبكم لا أشيع الله بطونكم فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة وقد أنطقه

الله عز وجل بما لا يدري ما هو ولا نحن فأجابه بالفارسية ولا يعرف منها شيئا هو ولا نحن فرجع الرجل ورأيانهم يقطعون إلى المدائن فقلنا يا أبا مفزر ما قلت له قال لا والذي بعث محمدا بالحق ما أدري ما هو وإلا أتي علتي سكينه وأرجو أن أكون أنطقت بالذي هو خير وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد فجاءنا فقال يا أبا مفزر ما قلت له فوالله إنهم هراب فحدثه بمثل حديثه إيانا فنأدى في الناس ثم همد بهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فأمناه فقال ما بقي أحد فيها فما يمتعكم فتسورها الرجال وافتتحناها فما وجدنا فيها شيئا ولا أحدا إلا أسارى أسرناهم خارجا منها فسألناهم وذلك الرجل لأي شيء هربوا فقال بعث إليكم الملك يعرض عليكم الصلح فأجبتموه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريذون بأترج كوئي فقال الملك واولية ألا أرى الملائكة تكلم على ألسنتهم ترد علينا وتجيئنا عن العرب ووالله لئن لم يكن كذلك ما هو إلا شيء ألقى علي في هذا الرجل لنتهي فأرزوا إلى المدينة القصوى

قالوا ولما دخل سعد والمسلمون بهر سير أمر بها فتلمت وتحول العسكر إليها ولاح لهم وذلك في جوف الليل القصر الأبيض فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر أبيض كسرى هذا ما وعد الله رسوله وتابعا التكبير حتى أصبحوا

وقال القعقاع بن عمرو

ألم يأتيك والأخبار تنمي

وتصعد في الملمعة الفباب

توافينا ومنزلنا جميعا

أمام الخيل بالسمر الثقاف

قسمنا أرضهم قسمين حتى
نزلنا مثل منزلهم كفاف
دعاء ما دعونا آل كسرى
وقد هم المرازب بانصراف
وما أن طبعهم جبن ولكن
رميناهم بداعية ذعاف
فتحننا بهر سير بقول حق
أتانا ليس من سجع القوافي
وقد طارت قلوب القوم منا
وملوا الضرب بالبيض الخفاف

الوافر ولما نزل سعد بهر سير وهي المدينة الدنيا من المدائن طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى منها فلم
يقدر على شيء ووجههم قد ضموا السفن فأقاموا أياما يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين ودجلة قد
طما ماؤها يتدقق جانبها فيروى أنه بينا سعد والمسلمون كذلك إذ سمعوا ليلا قائلا يقول يا معشر المسلمين هذه
المدائن قد غلقت أبوابها وغيتت السفن وقطعت الجسور فما تنتظرون فربكم الذي يحملكم في البر هو الذي يحملكم
في البحر فندب سعد الناس إلى العبور فأتاه قوم من العجم ممن قد اعتقد منه ذمة فقالوا ندلك على موضع أقل عمرا
من هذا فدلوه على ديلمايا

وقيل إن سعدا رأى رؤيا كأن خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرتها وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم على تأويل
رؤياه على العبور وفي سنة جود صبيها متتابع فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن عدوكم قد اعتصم
منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فيناوشونكم في سفنهم وليس وراءكم شيء
تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكموهم أهل الأيام واعطوا ثغورهم وأفتوا ذادتهم وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد
العدو بنياتكم قبل أن تحصدكم الدنيا ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك
على الرشد فافعل فقال من يبدأ ويحمي لنا القراض حتى يتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم الخروج فانتدب له عاصم
بن عمرو أول الناس وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات

واستعمل عليهم عاصما فسار فيهم حتى وقف على شاطيء دجلة فقال من يتدب معي لنمنع القراض من عدوكم
حتى تعبروا فانتدب له ستون فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكور ليكون أسلس لعموم الخيل ثم اقتحموا دجلة
واقترح بقية الستمائة على أثرهم وقد شدوا على خيولهم حزمها وألبأها وقرطوها أعتتها وشدوا عليهم أسلحتهم
فلما رأتهم الأعاجم وما صنعوا أعلوا للخيل التي تقدمت خيلا مثلها فاقترحوا إليهم دجلة فلقوا عاصما في
السرعان وقد دنا من القراض فقال الرماح الرماح أشرعوها وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا في الماء وتوخى
المسلمون عيونهم فتولوا نحو البر والمسلمون يشمسون بهم خيلهم حتى ما يملكون منها شيئا فلحقوا بهم في البر
فقتلوا عامتهم ونجا باقيهم عورانا ونزلت بالمسلمين خيولهم حتى انتقضت على القراض وتلاحق باقي الستمائة
بأوائهم الستين غير متعتين

ويروى أن أولئك الستين خرجوا يومئذ من دجلة منقطعين زمرا الزمرة الأولى تسعة فيهم عاصم والثانية ثمانية عشر

والتالته ثلاثة وثلاثون ويومئذ سميت كتيبة عاصم هذه كتيبة الأهوال لما رأى منهم في الماء والقراض
ولما رأى سعد عاصما على القراض وقد منعها أذن الناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل على الله
حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتلاحق عظم الجند فركبوا اللجة وأعتبروا دجلة
وإنها لمسودة تزخر لها حذب يقذف بالزبد فكان أول من اقتحم سعد ابن أبي وقاص ثم اقتحم الناس وقد قرنوا أنثى
بكل حصان يتحدثون على ظهورها كما يتحدثون على الأرض وطبقوا دجلة خيلا ودواب ورجالا حتى ما
أبرى الماء من الشاطئ أحد وسلمان الفارسي يساير سعدا يحدته ووالماء يطفوا بهم والخيال تعوم فإذا أعيا فرس
استوى قائما يستريح كأنه على الأرض فقال قيس بن أبي حازم إني لأسير في دجلة في أكثر مائها إذ نظرت إلى فارس
وفرسه كأنه واقف ما يبلغ الماء حزامه

وقال بعضهم لم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك فقال سعد ذلك تقدير العزيز العليم (١٤ فصلت)
وفي روايه أنه قال لسلمان وهو يسايره في الماء والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه وليهزم من عدوه إن لم يكن في
الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال سلمان يا أبا إسحاق الإسلام جديد ذل الله لكم البحر كما فرقه والله
ليني إسرائيل والذي نفس سلمان بيده لتخرجن منه أفواجا كما دخلتموه أفواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم
يفقدوا شيئا ولم يغرق فيه أحد

قال أبو عثمان النهدي إلا رجلا من بارق يدعى غرقدة زل عن ظهر فرس له شقراء كأني أنظر إليها عريا تنفض
عرفها والغريق طاف فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه فخره حتى عبر فقال البارقي وكان من أشد الناس
أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع وكانت للقعقاع فيهم خوؤه
وقال بعض رجال سيف بن عمر إنه لم ينهب للمسلمين يومئذ في الماء شيء إلا قدح كانت علاقته رثة فانقطعت
فذهب به الماء فقال الرجل

الذي كان يعاوم صاحب القدح معبرا له أصابه القدر فطاح فقال إني لأرجوا والله أن لا يسلبني الله قدحي من بين
أهل العسكر وإذا رجل من المسلمين ممن تقدم ليحامي القراض قد سفل حتى طلعت عليه أوائل الناس وقد ضربت
الرياح والأمواج القدح حتى وقع إلى الشاطئ فتناوله برمحه فجاء به إلى العسكر فعرفه فعرفه صاحبه فأخذه وقال
لصاحبه الذي كان يعاومه ألم أقل لك فيروى أن عمر رحمه الله بلغه ما كان قال له صاحبه أو لا فأنكره وأرسل إليه
أنت القائل أصابه القدر فطاح تهجع مسلما

وقال الأسود بن قطبة أبو مفرر يرتجز يومئذ

يا دجل إن الله قد أشجأك

هذي جنود الله في قراك

فلتشكري الذي بنا حباك

ولا تروعي مسلما أتاك

الرجز

وقال عاصم بن عمرو في ذلك

ألا هل أتاها ان دجلة ذلت

على ساعة فيها القلوب تقلب

ترانا عليها حين عب عابها

تباري إذا جاشت بموج تصوب
نفينا بها كسرى عن الدار فانتوى
لأبعد ما ينوي الركيك المرقب
الطويل

قال وفجأ المسلمون أهل فارس من هذا العبور بأمر لم يكن في حسابهم فأجهضوهم وأعجلوهم عن حمل أموالهم وخرجوا هرابا وقد كان يزدجرد خرج قبلهم إلى حلوان فترها بعد ان قدم إليها عياله حين أخذت بهم سير وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حر متاعهم وخفيفه والنساء والذراري وما قدروا عليه من بيت المال وتركوا في الخزان من الثياب والمتاع والآنية والألطف والأدهان ما لا يدري ما قيمته وخلفوا ما كانوا أعلنوا للحصار من البقر والغنم وكل الأعمه والأشربه فدخل المسلمون المدائن واستولوا على ذلك كله فكان أول من دخلها كتيبة الأهوال ثم تبعها الخرساء كتيبة سعد فأخذوا في سككها لا يلقون أحدا ولا يحسونه إلا ما كان في القصر الأبيض فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة ويرجع إليها أهل المدائن على مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم ونزل سعد القصر الأبيض وسرح زهرة في آثار القوم إلى النهروان فأنتهى إليها وسرح مقدار ذلك في طلبهم من كل وجه وقال حبيب بن صهبان لما عبر المسلمون دجلة جعل أهل فارس وهم ينظرون إليهم يعبرون يقول بعضهم لبعض بالفارسية ما تفسره بالعربية إنكم والله ما تقاتلون الإنس وإنما تقاتلون الجن

قالوا وما زالت حماة أهل فارس يقاتلون على ماء الفراض يمنعون المسلمين من العبور حتى ناداهم مناد علام تقتلون أنفسكم فوالله ما في المدائن من أحد فأهزموا وأقتحمها الخيول عليهم ولما دخلها سعد فرأى خلوقها وانتهى إلى إيوان كسرى أقبل يقرأ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمه كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٥ - ٢٨ الدخان) وصلى فيه صلاة الفتح ولا تصلى جماعة فصلى ثمانى ركعات لا يفصل بينهن واتخذ الإيوان مسجدا وفيه تماثيل الحصص رجال وخيل فلم يمتنع هو ولا المسلمون يعني من الصلاة فيه لأجلها وتركوها على حالها واتم سعد الصلاة يوم دخلها لأنه أراد المقام بها وبالمدائن كانت أول جمعة جمعت بالعراق في الصفر سنة ست عشرة ووكل سعد بالأقباض من يجمعها وأمره بجمع ما في القصر والإيوان ومنازل كسرى وسائر الدور وإحصاء ما يأتيه به

الطلب وقد كان أهل المدائن تأهبوا عند المدائن للغارة ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحد منهم بشيء ولا بخيط ألح عليهم الطلب فتنفخوا ما في أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الأقباض فضموها إلى ما قد جمع وقال حبيب بن صهبان دخلنا المدائن أتينا على قباب تركيه مملوءة سلالا محتمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاما فإذا هي آنية الذهب والفضة وقسمت بعد بين الناس قال ولقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بصفراء وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز

وعن الرقيل بن ميسور قال خرج زهرة يعني ابن الجوية في المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان وهم عليه فازدحموا فوق بغل في الماء وعجلوا عنه ثم كلبوا عليه فقال زهرة أقسم بالله إن لهذا البغل لسانا ما كلب القوم عليه

ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك بعدما أرادوا تركه إلا لشيء فترجل حتى إذا أراحهم أمر أصحابه فاحتملوا الغل بما عليه حتى أدوه إلى الأقباض ما يدرون ما عليه وإذا الذي عليه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة

وقال الكلج الضبي كنت فيمن خرج للطلب فإذا أنا بغالين قد ذبا الخيل عنهما بالنشاب فما بقي معهما غير نشابتين فلتظلت بهما فاجتمعا وقال أحدهما لصاحبه إرمه وأحميك أو أرميه وتحميني فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بهما ثم إني حملت عليهما فقتلتهم وجئت بالبغلين ما أدري ما عليهما حتى بلغتهما صاحب الأقباض فإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور فقال على رسلك حتى نظرت ما معك فحطت عنهما فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخا وكان لا تحمله إلا أسطوانتان وفيهما الجوهر وعلى الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجا منظوما

قالوا وخرج القعقاع يومئذ في الطلب فلحق بفارسي يحمي الناس فاقتلا فقتله القعقاع وإذا معه جنبية عليها عيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة وفي العيبتين أدراع درع كسرى ومغافره وساقاه وساعده ودرع هرقل ودرع خاقان ودرع النعمان ودرع داهر ودرع سيوخش ودرع بهرام شوبين وكانوا استلبوا ما لم يرثوا منها مما استلبوا أيام غزائهم خاقان وهرقل وداهر وأما النعمان وبهرام فحين هربا وخالفا كسرى وفي أحد الغلافين سيف كسرى وهرمز وكسوتي قباذ وفيروز وفي الآخر سيوف سائر من نسبت إليه دروع من تلك الدروع فجاء القعقاع بذلك كله إلى سعد فقال له اختر أحد هذه الأسياف فاختر سيف هرقل وأعطاه إياه معه درع بهرام ونقل سعد سائر ذلك في الخرساء كتيبته إلا سيف كسرى والنعمان فإنه بعث بهما إلى عمر في الأحماس مع حلي كسرى وتاجه وثيابه ليرى ذلك المسلمون ولتسمع به العرب لمعرفتهم بها

وقال عصمة الضبي خرجت فيمن خرج يطلب فأخذت طريقا مسلوكا فإذا عليه حمار فلما رأيته حث حماره فلحق آخر قدامه فمالا وحثا حماريهما فانتبهنا إلى جدول قد كسر جسره فنتبنا حتى أتيتهما ثم تفرقا ورماني أحدهما فألظت به حتى قتلته وأفلت الآخر فرجعت إلى الحمارين فأتيت بهما صاحب الأقباض فنظر فيما على أحدهما فإذا سفطان في أحدهما فرس من ذهب مسروج بسرج من فضة على ثغره ولبيه الزمرد والياقوت منظومين على على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجواهر وإذا في الآخر ناقه من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب وزمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما إلى إسطواني التاج

وعن أبي عبيدة العنبري قال لما هبط المسلمون بالمدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال هو والذين معه لما نظروا إلى ما فيه ما رأينا مثل هذا قط ثم قالوا له هل أخذت منه شيئا فقال أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأننا فقالوا من أنت فقال لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني ولكني أحمد الله وأرض بوابه فأتبعوه رجلا حتى أتى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر ابن عبد قيس ويروى أن سعدا رحمه الله قال حين رأى ما رأى من ورع الناس وكوثهم لم يتعلق على أحد منهم بغلول فيما جمعوا من الغنائم والله إن هذا الجيش لأهل أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر ما فضلتهم عليهم ولقد نالت الدنيا من رجال من أهل بدر حين أصابوها

وقال جابر بن عبد الله والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة قال بعضهم ولقد كانوا يخافون قيس بن مكشوح وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد وأشباههم على الغلول فما تعلق على أحد منه بشيء يكرهونه ولا أرادوا الدنيا ولما قدم على عمر رحمه الله بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه قال إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة فقال علي رضي الله عنه إنك عفتت فعفت الرعية قالوا ولما اجتمعت الغنائم وتراجع الطلب قسم سعد بين الناس فيئهم بعدما حمسه فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل وكانت الجنائب في المدائن كثيرة ويقال كانوا بين أهل الأيام وأهل القادسية الذين لم يشهدوا الأيام وبين من لحق بهم في ثلاث من غير أهل الأيام بالقادسية وبين أهل الروادف ستين ألفا وقسم سعد دور المدائن بين الناس وأوطنوها وكان الذي ولي القبض عمرو بن عمرو المزني والذي ولي القسم سلمان بن ربيعة

وقال الشعبي بعث سعد إلى العيالات فأنزلهم الدور لما قسمها وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا إلى الكوفة بعد

قالوا وجمع سعد الخمس وأدخل فيه كل شيء أراد أن يعجب به عمر من ثياب كسرى وحليه وسيفه ونحو ذلك ونفل من الأحماس في أهل البلاء ولم يجهداها وفضل بعد القسم بين الناس وإخراج الخمس القطف فلم يعتدل فقال للمسلمين هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أحماسه ونبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى فإننا لا نراه يتفق وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعث به على ذلك الوجه والقطف هو بهار كسرى تمل عليهم أن يذهبوا به فتركوه بالمدائن فأصابه المسلمون وكان بساطا واحدا ستين ذراعا في ستين ذراعا فيه طرز كالسور وفصوص كالأنهار وفي خلال ذلك كالدير في حافته كالأرض المروعة والأرض

المبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك وكانوا يعلنونه للشتاء إذا ذهب الرياحين فكان إذا أرادوا الشراب شربوا عليه فكانهم في رياض وكانت العرب تسميه القطف فبعث به

سعد مع الأحماس إلى عمر رضي الله عنه مع بشير بن الخصاصية فلما قدم عليه نفل من الخمس اناسا وقال إن الأحماس ينفل منها من شهدها ومن غلب من أهل البلاء فيما بين الخمسين ولا أرى القوم جهدوا الخمس ثم قسم الخمس في مواضعه ثم قال أشيروا علي في هذا القطف فأجمع ملؤهم على أن قالوا قد جعلوا ذلك لك فراء رأيك إلا ما كان من علي رضي الله عنه فغنه قال يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله اليوم على هذا لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له قال صدقتني ونصحتني

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه استشارهم فيه فمن بين مشير بقبضه وآخر مفوض إليه وآخر مرفق فقام علي رضي الله عنه حين رأى عمر تأني حتى انتهى إليه فقال لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكاً إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفانيت قال صدقتني فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هي بأجود تلك القطع

وذكر المدائني أن عمر حين قال له علي إن قبلته لم تعدم بعدك من يستحق مائتا بك صرفه إلى سعد وكتب إليه أن بعه واقسم ثمنه على من أفاءه الله عليهم

قال رجال سيف ولما أتى عمر بجلى كسرى وزيه في المباهاة وفي غير ذلك وكانت له عدة أزياء لكل حالة زي قال

علي بمحلم وكان أجسم عربي يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب
وصب عليه أوشحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا أمرا عظيما من أمر الدنيا
وفتنتها ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذي كان يلبسه فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع حتى أتى على الأزياء كلها ثم
ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه في ذلك ثم وضعه ثم قال والله غن أقوما ادوا لذووا أمانة وتقل سيف كسرى
محلما هكذا وقع ذكر محلم في هذا الحديث ولا أعرف ولا أعلم في ذلك الصدر من اسمه محلم إلا محلم بن جثامة
ويقال إنه توفي على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقصته في الدم الذي أصابه والعفو عند وجوب القود
ودعاء النبي {صلى الله عليه وسلم} لما مثل بين يديه قصة مشهورة

وقد قيل إنه عاش بعد النبي {صلى الله عليه وسلم} فالله أعلم

وكذلك قيل إن الذي ألبسه عمر سوارى كسرى هو سراقه بن مالك المدلجي
وروى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لسراقه بن مالك كيف
بك إذا لبست سوارى كسرى قال فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقه فألبسه إياهما وكان
سراقه رجلا أذب كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقل الحمد لله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى
بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقه بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج ورفع بها عمر
صوته

وذكر أبو الحسن المدائني في فتوح العراق خبر المدائن فخالف فيه كثيرا مما تقدم وزاد ونقص وسأذكر من ذلك ما
يجس ذكره على سبيل الإختصار والتوخي لحذف ما يكون ذكره تكرارا إلا ما يعتاض فضله من الحديث للحاجة
إليه

فمن ذلك أن يزدجرد لما غلب سعد على مدينة نهر سير واعتقد أهل غربي دجلة منه الذمة تفل خزائنه وأمواله
ودواوينه إلى حلوان وأقام في الإيوان في

مقاتلته وسعد والمسلمون في دير المنازل فيبينما هم به ودجلة قد طماها ماؤها يتدفق جانبها إذ سمعوا ليلا قائلا يقول
يا معشر المسلمين هذه المدائن قد غلقت أبوابها وغيبت السفن وقطعت الجسور فما تنتظرون فربكم الذي يحملكم
في البر يحملكم في البحر فندب سعد الناس إلى العبور ثم ساق الحديث في ركوبهم دجلة على ظهور خيلهم نحو ما
تقدم ثم قال ونظر ضرار بن الخطاب والمسلمون فرأوا بناء أبيض فقال ضرار الله أكبر أبيض المدائن ورب الكعبة
وهرب أهل المسالخ حين عبر المسلمون واعروها وقالوا هؤلاء من السماء وخرج أهل الرومية ومن كان فيها من
الأساورة معهم القبيلة فقاتلهم المسلمون فكانت القبيلة تم في وجوه الخيل والمسلمون قليل ليست لهم رجالة تقابل
عن خيلهم فكانت الخيل تنفر فأتى رجل سعدا فقال تؤموني على نفسي وأهلي ومالي وأذلك على ما ترد به القبيلة
قال نعم قال الخنازير قال وأنى لي بما قال أنا أجنك بما فجاءه بخنازير فضربت فجعلت تقيع في وجوه القبيلة فولت
واهزم المشركون فوقف رجل يحميهم واعترض الطريق فلما دنا منه المسلمون ضرب فرسه ليقدّم عليهم فاعتصم
وضربه ليهرب فاعتصم قطعته رجل من المسلمين فقتله ودخل الآخرون الرومية ومضى الأساورة إلى يزدجرد
بالإيوان فهرب هو وأساورته ومقاتلته وسمعوا صوتا من ورائهم علام تقتلون أنفسكم وقد ذهبت مدة ملككم

ومضى سعد إلى المدينة العتيقة فمر المسلمون بمجلس لكسرى كان يسمى بهشت إيوان فوقفوا ينظرون إليه وقد
تقدم سعد فانطوى عليه فظن أنهم اقتطعوا فسأل عنهم فأخبر فقال لبعض من معه من العجم ما هذا المجلس قالوا

بمشت إيوان قال وما تفسيره قالوا الجنة فأرسل سعد قوما فأحرقوه وخرج أهل المدائن إلى سعد فتلقوه بجامات الذهب والفضة مملوءة دنانير ودراهم يسألونه الأمان على أن يعطوا الجزية فقبل ذلك منهم ونزل القصر الأبيض وأمر أهل المدائن فعدوا الجسر فعبى المسلمون جميعا وأتقاهم وإبلهم وتحول سعد فعسكر في مكانين على الناقرس وعلى نهر أبغش بين العسكرين ميل وكان أكثر العسكرين أهلا الذين على نهر أبغش واتخذ سعد مسجدا على الناقرس فهو إلى اليوم يسمى مسجد العسكر وصلى فيه علي بن أبي طالب حين قدم المدائن وهو يريد صفين ولم يأخذ سعد من المدينة ومن أهلها إلا ما كان للملك وأهل بيته ولمن هرب وأصابوا في خزائهم ما عجزوا عن حمله من المتاع وصنوف الأطعمة ما لا يوصف كثرة فأمر سعد بجمع ذلك فجمع وولاه النعمان بن مقرن ثم تلا أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم (٤٤ - ٤٥ إبراهيم) وكتب سعد إلى عمر بفتح المدائن وبهرب ابن كسرى فكتب إليه عمر

أوصيك بتقوى الله الذي بتقواه سعد من سعد وبترك تقواه شقي من شقي وقد عرفت بلاء الله عندنا أيها الرهط أنه استقذنا من الشرك وأهله وأخرجنا من عبادة أوثالهم وهدانا من ضلالتهم وعرفت مخرجنا من عندهم كيف خرجنا وأن الرهط على بعير عليه أنفسهم وزادهم يتعاور اللحاف الواحد العدة منا من بلغ مأمنه منا بلغ مجهودا ومن أقام في أرضه أقام مفتونا في دينه معذبا في بدنه أشد أهله عليه أقربهم منه ورسول الله { صلى الله عليه وسلم } يقسم بالله لتأخذن كنوز كسرى وقيصر يعجب من ذلك من سمعه فأبأك الله حتى وليت ذلك بنفسك فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الخماص الذين ذهبوا في شامهم لاصقة بطونهم بظهورهم ليس بينهم وبين الله حجاب لم تفتنهم الدنيا ولم يغتروا بها فاقتلوا بمديهم ولا تضلن أنفسكم وكونوا الأمة المملوحة المباركة التي قال الله تبارك وتعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين (٧٣ الأنبياء)

قال وحصر سعد الرومية تسعة أشهر حتى أكل السنابير والكلاب بعضهم فأتى سعدا رجل مستأمن فسأله الأمان لنفسه وأهله على أن يدلّه على عورة المدينة فأمنه فدله على مجرى الماء إلى المدينة وكان يأتيهم الماء في قناة من دجلة فغورها المسلمون فارتحل أهل الرومية حين انقطع الماء عنهم من ليلتهم وحملوا ما خف من أموالهم وخرجوا على حامية معهم أتقاهم فأخذوا طريق خراسان فأتت امرأة منهم سعدا فسألته الأمان فأمنها فقالت لم يبق في المدينة أحد من المقاتلة ولا من عيالنا بقي قوم ضعفاء فدخلها سعد فأصابوا متاعا كثيرا وسلاحا وسبيا قليلا فبعث بخمس ما أصاب من الرومية وما صالح عليه أهل المدائن إلى عمر مع بشير بن الخصاصية وذكر من حديث البساط الذي مر ذكره نحو ما تقدم

وذكر أيضا عن حرملة بن صدقة يأسناده إليه قال غزوت خراسان فرأيت رجلا من العجم يشبه الروم فسألني عن مسكني فقلت المدائن قال أيها قلت الرومية قال فأين منزلك منها فرصفته له قال هذه داري إني أحدث أصحابي عنها وعن حالي وما كنت فيه فيكذبوني ولقد دفت حين حصرنا العرب في الدكان التي على باب الدار عشرة آلاف درهم وآنية ذهب وفضة كثيرة فأغضيت على ما قال واتاذنت أميري في القمل فأذن لي فقدمت فاحتفرت ذلك الموضوع فأصبحت ما قال علي ما قال فأحرزته ورجعت إلى مركزي قال المدائني واقتسم المسلمون الرومية أرباعا فنزلوها ونسبت الأرباع إلى قبائل ومعهم فيها غيرهم غير أنه قيل ربع

عبد القيس وربع بجيلة وأسد وربع خزاعة وربع بقي على ما كان يسمى في الجاهلية طسوج هنلوان وكان كسرى أنزله قوما من الزط فهو يسمى بذلك الإسم إلى اليوم واتخذ آل صوحان مسجدا بالرومية واخطت القبائل فيما حول الإيوان ونزلوا المدينة العتيقة ولم ينزلوا إلا ما كان للملك ولأهل بيته ولمن هرب مما لم يصلح عليه فاخطت حول الإيوان والرومية تميم وسليم وعبس وبكر ومزينة وجهينة وهمدان وثقيف والأنصار ومراد ونزل بنو أسد الفارقين ونزل المسلمون الإيوانات وبيوت النيران والمرابط والسكك ودور الضرب والدواوين وصار بستان الملك الذي كان يدخله إذا فرغ من الزمزمة مقابر للمسلمين ونزل حذيفة مربوط يزدجرد ونزل سعد القصر الأبيض والمسجد الذي يجتمعون فيه مسجد العسكر على الناقرس فلم يزل المسلمون بالمدائن وما حولها حتى تحولوا إلى الكوفة فتركوا خططهم على حالها تعرف بهم وأقام قوم اتخذوا الضياع بالسواد فلم يتحولوا وكان مقامهم بعد الحرب سنتين

وذكر أيضا أن سعد بن أبي وقاص كان حين سار إلى المدائن خلف قوما بأرض الكوفة فقسم لهم مع من شهد المدائن حين فتحها فقام إليه رجل من هذيل فقال له عمدت إلى فيننا فأعطيته من لم يشهد وركب إلى عمر فشكا سعدا فأرسل عمر عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال إن وجدتماه بالكوفة فلا تبيتن بها وإن وجدتماه خارجا عن الكوفة فلا تدعاه يدخلها وخذا الخاتم من يده فلقياه بغيين فأخذ أحدهما الخاتم من يده فنظر إلى الآخر فقال أمر بذلك فقال سعد

خذيبي فجريني ضبا ع وأبشري
بلحم امريء لم يحضر اليوم ناصره
الطويل

قال دعوني أدخل الكوفة قال لا فقطعا به الفرات من دير الأعرور فلما قدم على عمر قال أين الهذلي فقام فقال ما يقول هذا قال سعد صدق قال ارجع فحذه منهم ثم أقسمه
وذكر عن عبد الله بن سليم وغيره قالوا اجتمع الأساورة بجلوان عند

يزدجرد فذكروا العرب وورثاة سلاحهم وسوء عدتهم وظهورهم عليهم فتلاوموا وقالوا أسلمنا ملكنا وما كنا فيه إلى عصابة لم تكن في الأرض أمة أصغر أمرا عندنا منهم فقال بعضهم لا تعجبوا من هذا فإنها دولة جاءت قوما ومدة اقتضت عنكم وهذا أمر أراد الله والله لا يغلب فقال رجل منهم ارفعوا لي كرة فرفعوها فرماها بنشابات فلم يخطئها قال هذا ما ترون من رميي ولقد رأيتني مرة في بستان أرمي الزنانير بجلاهدق فما أخطأت بواحدة فقدم العرب فهربت وأتبغي رجل فرميته بخمس نشابات فما أصبته ودعا رجل بقوسه فرما بنشابة في حائط لبن فغيبها إلى قريب من الريش ثم اعترض ساقا من شجرة بسيفه فاجتمه ثم قال ترون رميي وضربي قالوا نعم قال فإني رميت رجلا يعني من المسلمين ليس عليه سلاح ولا ثوب يقيه فأصبت بطنه فما خدشه ولقد ضربت رجلا حاسرا أصلع بسيفي هذا فخرج من رأسه شبه الدقيق وحدث بعض العجم قال كنت فيمن الهزم عن العرب فإني لأسير في عشرة من الأساورة إذ انتهينا إلى نهر ورجل من العرب يسقي فرسه فلما رأنا شد حزام فرسه وأجمه وركبه وحمل علينا فولينا وانفردت من أصحابي دهشا وطمع في فأتبعني حتى صرت في مؤخر النهر وفرسي أقوى من فرسه فزجرت فرسي فطغى بي النهر ووقف ينظر إلي لا يقدر على العبور فالتفت إليه فقال أولى لك فلم أدر ما قال لي حتى سألت بعد وعلمت فما خرج رعب تلك الكلمة من قلبي

وذكر بإسناد له إلى عبد الله بن معقل بن مقرن المزني قال اصطفى عمر من مال العجم أصنافا مال من هرب ومن قتل وكل مال لكسرى أو لأحد من أهل بيته وكل مسيل ماء وكل دير يريد فكان خراج ما اصطفى سبعة آلاف ألف حتى كان يوم دير الجماجم أحرق الديوان فأخذ كل قوم ما يليهم قال المدائني وكان المغنم بالمدائن والرومية قريبا من مغنم القادسية ومما قيل في ذلك من الشعر قول أبي مجيد نافع بن الأسود التميمي يفخر بقومه بنو تميم عتاد الحرب قد علموا والنهضون إذا فرسألها ركوا

والحاملون إذا ما أزمة أزمت
تقل العشائر إن جها وإن ندبوا
والفاصلون إذا ما خطة جهلت
عند الجموع وفيهم تفصل الخطب
والمانعون من الأعداء دارهم
عند الهياج إذا ما اهتزت الطنب
والواردون على كسرى مدائنه
قسرا ومن دونها بحر له لجب
نحوى فماهم والخيل مشعلة
وسط الدبار ومنها حوهم عصب
شعث عليها ليوث ما يهجهجها
عند الصياح بما عجم ولا عرب
شمس بأيديهم سمر مثقفة
وكل غضب له في متنه شطب
إذا جلوها على الأعداء في فزع
لاحت كأن فوق أيديهم بما شهب
البيسط

وقال أيضا

ونحن صبحنا يوم دجلة أهلها
سيوفا وأرماحا وجيشا عمر ما
نراوح بالبيض الرفاق رءوسهم
إذ الرمي أغرى بيننا فتضرمنا
أذقناهم يوم المدائن بأسنا
صراحا وأسعطنا الألائم علقما
سقيناهم لما تولوا إلى الردى
كؤوسا ملأناهن صابا وشبرما

أبيتم علينا السلم ثم رجعتمو
إلى السلم لما أصبح السلم محرما
ويوم يطير القلب من نعراته
ربطنا له جأشا وهجنا به دما
دعونا إليه من تميم معاشرنا
يجيبون داعيهم وإن كان مجرما
يجلون في اليوم الشديد قيامه
عن الشمس والآفاق أغبر مظلما
ألا أيها ذا السائل عن عشيرتي
ستخبر عنهم إن سألت لتعلما
فمهما عقدنا جاز في الناس حكما
وننقضه منهم وإن كان محكما
الطويل
وقال أيضا

أي يوم لنا كيوم قديس
قد تركنا به القنا مرفوضا
كم سبينا من تاج ملك وأسوار
تري في نطاقه تفضيضا
وقربنا خير الجيوش شتاء
وربيعا مجملا وغريضا
ونفرونا في مثلهم عن تراض
لم نعرض ولم نذق تغميضا
ثم سرنا من فورنا نحو كسرى
ففضضنا جموعه تفضيضا
وأملنا على المدائن خيلا
بجرها مثل برهن أريضا
وانثلنا خرائن المرء كسرى
يوم ولي وحاص منا جريضا
الخفيف

وقال النابغة الجعدي من كلمة يذكر أيامهم تلك مع كسرى وغيره
فمضت كتائبنا إليه عنوة
حتى حللنا حيث ينخرق الصبا
نرمي مدينته ونحطم جمعه

ونصك رأس عموده حتى انشطا
ولقيصر أخرى رمينا رمية
قطعت قرينته كما انقطع السدا
والخيل تحفق بين دجلة عنوة

بالسفع من أقر إلى وادي القرى
لا قيصر أبدا ولا كسرى بما
قضى الحديث وكان شيئا فانقضى
الكامل

حديث وقعة جلولاء

ذكر سيف عن قيس بن أبي حازم قال أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقسمنا ما فيها فأتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء وخذق عليه وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت فكتب سعد بذلك إلى عمر فأجابته أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وروى من سماه سيف من رجاله أن عمر كتب أيضا إلى سعد لئن هزم الله الجندين جند مهران وجند الأنطاك فقدم القعقاع حتى يكون على حد سوادكم بين السواد والجليل قالوا وكان من حديث جلولاء أن الأعاجم لما انتهوا إليها بعد الهرب من المدائن وتفرقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس تذا مروا وقالوا إن افترقتم لم تجتمعوا أبدا وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع به للعرب ولنقاتلهم فإن كان لنا فهو الذي نريد وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا ما علينا وأبلىنا عذرا فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران ونفذ يز دجرد إلى حلوان فنزل بها ورماهم بالرجال وخلف فيهم الأموال فأقاموا في خندقهم وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقهم فضل هاشم بالناس من المدائن في اثني عشر ألفا فيهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب فسار إلى جلولاء أربعا حتى قدم عليهم فحاصروهم وأحاط بهم فطاوهم أهل فارس وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون ثمانين زحفا كل ذلك يعطيهم الله الظفر على المشركين وغلبوهم على حسك الخشب فالتخذوا حسك الحديد

وعن بعض الرواة ان هاشما لما نزل على مهران بجلولاء جعل يقوم في الناس ويقول إن هذا منزل له ما بعده وجعل سعد يمده بالفرسان حتى إذا كانوا أخيرا قال بعضهم لبعض أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعلموا لله فإنكم رددت المسلمين فالتقوا فاقتتلوا وبعث الله عليهم ريحا أظلت عليهم البلاد ولم يستطيعوا إلا الحاخزة فتهفتت فرسانهم في الخندق فلم يجدوا بدا من أن يجعلوا فرضا مما يليهم تصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا نهد إليهم ثانية فدخله عليهم أو نموت دونه فلما نهدوا الثانية خرج القوم فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيول وتركوا للمجال وجهها فخرجوا منه على المسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير إلا أنه كان أكمش وأعجل وانتهى القعقاع في الوجه الذي زحف منه إلى باب خندقهم فأخذ به وأمر مناديا فنادى يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم فأقبلوا إليه ولا يمنكم من بينكم وبينه من دخوله وإنما

فعل القعقاع ذلك ليقوي المسلمين فحملوا حملة لم يقم لها شيء حتى انتهوا إلى باب الخندق ولا يشكون أن هاشما به إذا هم بالقعقاع قد أخذ به وأخذ المشركون في الهزيمة يمينة ويسرة عن الجبال الذي بحيال خندقهم فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعمرت دوابهم وعادوا رجالة وأتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يعد وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف فجللت القتلى الجبال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء لما جللها من قتالهم فهي جلولاء الواقعة

وقال بعضهم كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الري كانوا بحماة أهل فارس ففني أهل الري يوم جلولاء

وفي حديث عن محفز بن ثعلبة وكان شهدها أن أهل فارس لما رأوا أمداد المسلمين بادروا بقتالهم توا في عددهم ثم وصف من شدة قتالهم قال حتى أنفذوا النبل وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزيات وكانوا بذلك صدر فمارهم إلى الظهرية ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء حتى إذا كان بين الصلاتين خست كتيبة من كتائب المشركين وجاءت أخرى فوقفت مكانها فأقبل القعقاع على الناس فقال أهالكم هذه قالوا نعم نحن مكلون وهم مريجون والكال يخاف العجز إلا أن يعقب فقال إنا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين عنهم ولا مقلعين عنهم حتى يحكم الله بيننا فحملوا حملة رجل واحد حتى تخطوهم ولا يكذب أحد منكم فحمل فانفجروا فما ثمنه أحد عن باب الخندق وألبسهم الليل رواقه فأخذوا يمينة ويسرة ونادى منادي القعقاع أين تحجزون وأميركم في الخندق فحمل المسلمون فأدخل الخندق فأتى فسطاطا فيه مرافق وثياب وإذا ترس على إنسان فأنيشه فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس فأخذها وثيابها فاديت الثياب وطلبت الجارية حتى صارت إلى فاتخذتها أم ولد

قالوا وأمر هاشم القعقاع بالطلب فطلبهم حتى بلغ خانقين وأدرك بها مهرا فقتله وأدرك الفيرزان فنزل فوقل في الطراب وخلى فرسه وأصاب القعقاع سببا فبعث بهن إلى هاشم فكن مما اقتسم واتخذن فولدن في المسلمين فذلك السبي ينسب إلى جلولاء ومنه كانت أم الشعبي ويقال من القادسية ويروى أن عمر رضي الله عنه قال وقد بلغه ما أصيب من هؤلاء السببا اللهم إني أعوذ بك من أبناء الجلوليات قالوا ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار في حلوان نحو الجبل فنزل القعقاع بجلوان في جند فلم يزل بها إلى أن تحول سعد بالناس من المدائن إلى الكوفة فلحق به

قالوا وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء وبنزول القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال لو وددت أن بين السواد والجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم حسينا من الريف السواد إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال

وساق المدائني خبر جلولاء مساقا بينه وبين ما تقدم بعض اختلاف وأسندته عن جماعة سمي منهم قال وبعضهم يزيد على بعض فسقت حديثهم أن يزدجرد هرب إلى حلوان فلما فتح سعد الرومية كتب إلى عمر يستأذنه في البعثة إلى ابن كسرى فكتب إليه الحمد لله الذي أذل ابن كسرى وشرده فأقم بمكانك واحذر على من معك من المسلمين فأقام سعد بالمدائن ستين لم يوجه

أحدا وكتب ابن كسرى إلى الجبال فجمع المقاتلة فوجههم إلى جلولاء وأمر الأساورة والجنود فنزلوها فاجتمع بها جمع عظيم عليهم خرزادين خرمهر فكتب سعد إلى عمر بجمعهم فكتب إليه أقم بمكانك ووجه إليهم جيشا فإن الله

ناصرك وتمتم وعده الذي وعد نبيه { صلى الله عليه وسلم } فعقد سعد لهاشم بن عتبة وندب الناس فانتدب معه أربعة آلاف فيهم طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وفرسان المسلمين فسار فلما كان بمجروذ آتاه دهقانها فصالحه على أن يفرش له جريبا دراهم فقبل منه ومضى إلى جلولاء فقدم على قوم قد أعدوا عدة عظيمة وتحزروا بالخذاق فقاتلوهم قتالا شديدا عن العيال والذراري وكتب هاشم إلى سعد يستمده وأتى المشركون أهل أذربيجان مددا فعاجلوهم القتال وكثروهم فجال المسلمون وانكشفوا فناداهم هاشم يا معشر المسلمين أين أما رأيتم ما خلفتم أتأتون عمر منهزمين فعطف الناس وعلى الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة عمرو بن معدي كرب وعلى الخيل زهرة بن جوية وعلى الرجال طليحة بن خويلد فاشتد القتال بينهم حتى مضى وقت الظهر فصلى المسلمون يومئذ إيماء وألح المشركون عليهم وطلعت كتيبة للمشركين حامية فجازت الخندق ثم طلعت أخرى فقال طليحة وعمرو بن معدي كرب يا معشر القرسان الأرض واقرنوا خيولكم ففعلوا وجفوا وأشرعوا الرماح فرجعت الخيل عنهم ورموهم بالنشاب فترسوا فمكثوا بذلك مليا وأشفق المسلمون فحضرهم طليحة وزهرة وعمرو فبينما هم على ذلك إذ سمعوا تكبيرا للمسلمين وراءهم فإذا قيس بن مكشوح قد جاءهم في ألف وأربعمائة فارس وستمائة راجل فانهمز المشركون قبل أن يصل إليهم وهاجت ريح شديدة أظلمت لها الأرض فتهافت المشركون في الخندق وأتبعهم المسلمون فانتهوا إلى خنادقهم وقد انجلت عنهم الظلمة فركبوا أكتافهم فقتلوا منهم مقتله عظيمة وحووا عسكرهم فأصابوا شيئا لم يصيبوا مثله من الأموال والسلاح والمتاع والسيابا والدواب فجمع ذلك كله إلى هاشم فجاء رجل من آل خارجه بن الصلت بتمثال ناقه من

ذهب موشحه بالدر وألقاها في المغنم وجاء

مجفر بن ثعلبة بجارية وجاء كل رجل بما صار في يديه فحمل هاشم ذلك كله إلى سعد فكتب سعد إلى عمر بالفتح وبما أصاب من السيايا واستأذنه في اتباع العجم والمسير إلى الجبال فكتب إليه عمر رحمه الله أقم مكانك عامك هذا حتى نظروا وحذر على المسلمين واترك أهل الجبال ما تركوك فوددت أن بيننا وبين الجبال سدا من نار لا يخلصون إلينا ولا يخلص إليهم حسبنا من الريف السواد فأقم ولا تطلب ما سوى ذلك عامك هذا إلا أن ينزل عدوا بقربك وأقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليهم

وكانت الغنائم ثمانية عشر ألف ألف فبلغت السهام ثلاثة آلاف للفارس سهمان وللراجل سهم وقال قوم كانت الغنائم ستة وثلاثين ألف ألف وكانت السهام ستة آلاف وثمانية من الدواب للفارس سهمان وللراجل سهم فحمل سعد الخمس مع زياد بن أبي سفيان

وفي كتاب سيف عمن سمي من رجاله قالوا ونقل سعد من أحماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ومن أعظمه ممن كان ثابتا بالمدائن وبعث بالأحماس مع قضاعي بن عمرو الدؤلي من الذهب والورق والآنيه والشياب وبعث بالسبي مع أبي مفزر الأسود بن قطبة قال بعضهم وبعث بالحساب مع زياد بن أبي سفيان وكان الذي يكتبه للناس ويدونهم فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء به ووصف له فقال له عمر هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به فقال والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك فكيف لأقوى على هذا في غيرك فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا وبما يستأذنون فيه من الإنسيح في البلاد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخطيب المصقع فقال زياد إن جندنا أطلقوا بأفعالهم لساني

وعن أبي سلمة قال لما قدم على عمر رحمه الله بالأحساس من جلولاء قال عمر والله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يجرسانه في صحن المسجد فلما أصبح جاء في الناس وكشف عنه جلابيبه وهي الأمطاع فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهه بكى فقال له عبد الرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا إلا موطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكيك وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسلوا إلا ألقى بأسهم بينهم ثم دعا الحسن فيما ذكر المدائني فحثا له ثم دعا الحسين فحثا له ثم قال ما ترى أن أئخني لهم حثيا أم نكيل بالصاع قال بل احث لهم ففعل ثم دون الدواوين وفرض وقسم وذكر المدائني أيضا ان سعدا كتب إلى عمر رحمه الله مع زياد يستأذنه في اتباع المشركين ويصغر أمرهم عنده فكتب إليه عمر جاءني كتابك تستأذني في اتباع المشركين وسيأتي فيهم أمري وذلك من حق إمامك عليك وإنما حق المسلم على المسلم بحق الله وإن أعظم اهل الإسلام حقا عليهم إمامهم وذلك انه لا تجد احدا من الناس صلاح اهل الأرض في صلاحه إلا نبي أو خليفه فالأمر إليك في إتباعهم في غير تغير بالمسلمين وانظر ما أجلب الناس به عليك في العساكر من مال أو كراع أو سلاح أو متاع فأقسمه بين من حضر واترك الأرضين والأثمار فتكون في أعطية المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضرك لم يكن لمن بعدهم شيء ولا طوطن ولدا من والده ولا تمسن أنتى من السبي حتى يطيب رحمها ولا تتخذن مشركا أمينا على المسلمين فإنهم يأخذون الرشوة في دينهم ولا رشوة في دين الله وادع الناس فمن استجاب لك وأسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين وله سهم في الإسلام ومن أسلم بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام والأسير إذا أسلم في أيدي المسلمين فقد أمن على دمه وهو فيء للمسلمين وأقر القلاحين على حالهم

إلا من حاربك أو هرب أو ترك أرضه وخلاها فهي لكم فإن رجع فقبلتم منه الجزية فهو ذمة وذكر سيف عن رجاله قالوا كان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمة أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وأن سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وإن قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعهم وبرىء عمر إلى كل ذي عهد من معرفة الجيش

قال بعضهم فكان القلاحون للطرق والجسور الأسواق والحرب والدلالة مع الجزية عن أيديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين قال المدائني وشهد عبد الله بن عمر جلولاء واشترى من المغنم متاعا بأربعين ألفا فلما قدم المدينة أتاه عمر في منزله فقال لإمرأته يا صغية احتفظي بما جاء به عبد الله ولا يصلن منه إلى شيء ثم قال لعبد الله يا عبد الله إشتريت من غنائم المسلمين فقالوا ابن عمر وصاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فلأن يرخصوا عليك بمائة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم لك فيما اشتريت ربحا لدرهم درهم فدعا عمر التجار فعرضه عليهم وقال اشترؤا فإنه للمسلمين فتزايلا حتى بلغ مائة ألف فباعه وأعطى عبد الله ثمانين ألفا وبعث بالباقي إلى سعد وكتب إليه أقسمه فيمن شهد سنة تسع عشرة

وعن رجال سيف قالوا ولما رجع أهل جلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم وصار السواد ذمة لهم إلى ما أصفاهم الله به من مال الأكاسره ومن لج معهم

وقال القعقاع بن عمرو يذكر نزوله بجلولاء

من مبلغ عني القبائل مالكا

وقد أحسنت عند الهياج القبائل

فلله جاهدنا وفي الفرس بغية
ونحن على الشجر المخوف نساجل
وانتم عتاد إن ألت ملمة
وجلت علينا في الثغور الجلائل
وهل تذكرون إن نزلنا وأنتم
منازل كسرى والأمور حوائل
فصرنا لكم ردنا لخلوان بعدما
نزلنا جميعا والجموع نوازل
فنحن الأولى فزنا بخلوان بعدما
أرنت على كسرى الإما والحلائل
الطويل
وقال أبو مجيد في ذلك
ويوم جلولاء الوقعة أصبحت
كتائبنا تردى بأسد عوابس

فضضت جموع القرس ثم أتمهم
فتبا لأجساد الجوس النجائس
وأقلتهن الفيرزان بجرعة
ومهران أردت يوم حز القوانس
أقاموا بدار للمنية موعدا
ولترب تحتوها خجوج الروانس
الطويل

حديث يوم تكريت

وكان سعد رحمه الله لما كتب إلى عمر رضي الله عنه بأمر جلولاء وأجابه بما ذكر قبل كتب إليه أيضا باجتماع أهل
الموصل إلى الأنطاق وإقباله بهم إلى تكريت حتى نزل بها وخذق عليه ليحمي أرضه فأمر عمر سعدا أن يسرح عبد
الله بن المعتم إلى الأنطاق وعين لمقدمته وميمنته وميسرته وساقته رجالا سماهم له ففصل عن ذلك عبد الله من المدائن
في خمسة آلاف فسار إلى تكريت حتى ينزل على الأنطاق ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر وقد خندقوا فحصرهم
أربعين يوما وتراحفوا أربعة وعشرين زحفا في كلها هزم المشركون ولا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم فلما رأت
الروم ذلك تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم إلى السفن وقد كان عبد الله بن المعتم وكل بالعرب ليدعوهم إليه وإلى
نصرته على الروم رجالا من تغلب وإياد والنمر فكانوا لا يخفون عليه شيئا فأقبلت إليه العيون منهم بما فعلت الروم
وسألوه للعرب السلم وأخبروه أنهم قد استجابوا فأرسل إليهم إن كنتم صادقين فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدًا رسول الله وأقروا بما جاء به من عند الله ثم أعملوا بما نأمركم فردوا إليه رسلهم بالإسلام فأرسل إليهم إذا
سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد همدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة وكبروا
وقاتلوا واقتلوا من قدرتم عليه فانطلقوا حتى واطوؤهم على ذلك وهمد عبد الله والمسلمون لما يليهم وكبروا وكبرت

تغلب

وإياد والنمر وقد أخذوا بالأبواب فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم فابتدروا الأبواب التي أمامهم فأخذتهم سيوف المسلمين مستقبلتهم وسيوف الربيعيين الذين أسلموا ليلتذ من خلفهم فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب وإياد والنمر

وقال سيف كان عمر رضي الله عنه قد عهد إلى سعد إن هزم أهل تكريت أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ربيعي بن الإفكل العنزي إلى الحصنين وربيعي هو الذي كان عمر رسم أن يكون على مقدمة عبد الله في هذا الوجه فسرحه عبد الله إلى الحصنين وقال له اسبق الخبر وسر ما دون القيل وأحي الليل وسرح معه تغلب وإياد والنمر فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم وذو القرط وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذي السنينة قتيل الكلاب وابن الحجير الأيادي ويشر بن أبي حوط متساندين فساروا يسبقون إلى الحصنين خبر الهزيمة ليغزوا أهلها فلما كانوا قريبا منها قدموا عتبة بن الوعل فادعى الظفر والنفل والقفل ثم الرجال المسمون أنفا واحدا بعد آخر كلما وصل واحد منهم ذكر مثل ما ذكر عتبة فوقفوا بالأبواب وقد أخذوا بها وأقبلت سرعان الخيل مع ربيعي بن الإفكل حتى اقتحمت الحصنين على أهلها فكانت إياها فنادوا بالإجابة إلى الصلح فأقام من استجاب وهرب من لم يستجب إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم فدعا من لج وهرب ووفى لمن أقام فترجع الهارب واغتبط مع المقيم وصارت لهم جميعا الذمة والمنعة واقتسم المسلمون بتكريت ما أفاء الله عليهم على أن لكل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألف وبعثوا بالأحماس مع فرات ابن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان وولي حرب الموصل ربيعي بن الأفكل والخراج عرفجة بن هرثة

ذكر يوم ما سيدان ويوم قرقيسيا

ذكروا انه لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن بلغ سعدا أن آذين ابن الهرمزان جمع جمعا فخرج بهم إلى السهل وأن أهل الجزيرة بعثوا جندا إلى هيت فكتب سعد بذلك إلى عمر فكتب إليه أن يبعث ضرارا بن الخطاب في جند إلى ابن الهرمزان ويبعث عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند إلى هيت ورسم لكلا الجندين صاحب مقدمتيه ومجنبتين وساقه وسماهم فخرج ضرار في الجند وقدم صاحب مقدمته حتى انتهى إلى سهل ما سيدان فالتقوا بمكان يدعى بهندف فاقتتلوا به فأسرع المسلمون في المشركين وأخذ ضرار آذين بن الهرمزان سلما فأسره فأنزله عنه جيشه فقدمه فضرب عنقه ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ما سيدان عنوة فتطير أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه فنزل الكوفة واستخلف على ما سيدان وكانت إحدى فروج الكوفة

وخرج عمر بن مالك في جنده سائرا نحو هيت وقدم الحارث بن يزيد العامري وهو المعين لمقدمته حتى نزل بميت وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم استطال أمرهم فترك الأحيية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد يحاصرهم وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا في عرة فأخذها عنوة فأجاب أهلها إلى الجزاء وكتب إلى الحارث في أهل هيت إن هم استجابوا فحل عنهم وإلا فخذق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي فسمحوا بالاستجابة وانضم الجند إلى عمر بن مالك والأعاجم إلى أهل بلدهم وقال ضرار بن الخطاب يذكر ملتقاهم بهندف

ولما لقينا في بئداف جمعهم
تناهوا وقالوا يا صبر واياك قارس
فقلنا جميعا نحن أصبر منكم
وأكرم في يوم الوغى والتمارس
ضربناهم بالببيض حتى إذا انشنت
أقمنا لها ميلا بضرب القوانس
فولوا سراعا نحو دار أيهم
وقد خومروا يوم الوغا بالوساوس
فما برحت خيلي تقص طريقهم
وتقتلهم بين اشتباك الحنادس
الطويل

ذكر الحديث عن تمصير الكوفة البصرة

وتحول سعد بن أبي وقاص عن المدائن إلى الكوفة وما يندرج مع ذكر البصرة من فتح الأبله
ذكروا أنه جاء عمر رضي الله عنه فتح جلولا وما ذكر بعدها ونزول المسلمين حيث ذكر قبل نزولهم منها ولما
قدمت الوفود بذلك عليه أنكروهم حين رأهم وقال والله ما هيئتكم بالهيئة التي بدوتم بها ولقد قدمتم وفود القادسية
والمدائن وإنهم لكمما بدوا فما غيركم قالوا وخومة البلاد
فنظر في حوائجهم وعجل سراهم وكتب إلى سعد أنبئني مالذي غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه إن العرب
خددهم وغير ألوانهم وخومة المدائن ودجلة فكتب إليه عمر إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان
فابعث سلمان رائدا وحذيفة وكانا رائدي الجيش فليرتادا منزلا برياً بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ولم
يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده عمر إلى رجل فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى أتى
الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرى شيئا حتى أتى الكوفة وخرج
حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة فأتي عليها وفيها ديارات ثلاث دير حرقة ودير أم عمرو
ودير سلسله وأخصاص خلال ذلك فأعجبتهمما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهما اللهم رب السموات وما
أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الرياح وما أذرت والنجوم وما هوت والبحار وما جرت والشياطين وما
أضلت والأخصاص وما أجننت بارك لنا في هذه الكوفة واجعله من منزل ثبات فرجعا إلى سعد بالخبر
وذكر المدائني أن الناس اجتبوا المدائن بعد ان رجعوا من جلولا فشكوا ذلك إلى عمر فقال عمر هل تصبر بها
الإبل قالوا لا لأن بها بعوضا قال فإن العرب لا تصبر ببلاد لا تصبر بها الإبل اخرجوا فارتادوا بها منزلا
قال أبو وائل فخرجنا فأردنا أن ننزل الحيرة فقال رجل من أهلها يا معشر المعذيين ألا أدلكم على ما ارتفعت عن
البعوضة وتطاطأت عن الثلجة وطعت في البرية وخالطت الريف قلنا بلى فدلنا على الكوفة فاخبط الناس ونزلوا
الكوفة فكتب إلى عمر بذلك
وذكر سيف عمن سماه من رجاله قالوا مصر المسلمون المدائن وأوطنوها حتى إذا فرغوا من جلولا وتكريت

وأخذوا الحصنين كتب عمر إلى سعد أنت ابعت عتبة بن غزوان إلى فرج الهند فليرتد منولا يمحصره وابعث معه سبعين رجلا من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وابعث بعده عرفجة بن هرثمة واجعل مكانه الحارث بن حسان وابعث عاصم بن عمرو وحذيفة بن محصن ومجزأة ابن ثور والحصين بن القعقاع فخرج عتبة في سبعمائة من المدائن وأتبعه عرفجة في سبعمائة ثم عاصم ثم حذيفة ثم مجزأة ثم الحصين كل واحد منهم في سبعمائة ثم سعد بن سلمى في سبعمائة فساروا حتى أتوا على البصرة اليوم فنزلوها وثبوا بها والبصرة كل أرض حجارها حص قالوا ولما نزل أهل الكوفة الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقلوا ثم إن أهل المصرين استأذنوا في بنیان القصب فقال عمر رضي الله عنه العسكرة أجد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم وما القصب قالوا العكرش إذا روي قصب فصار قصباً قال فشأنكم فابتوا بالقصب ثم وقع الحريق في المصرين وكانت الكوفة أشدهما حريقاً فاحترق ثمانون عرشاً ولم يبق فيها قصبية فبعث سعد نفرًا منهم إلى عمر يستأذونه في البنیان باللبن ويخبرونه عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا أمره فيه فقال ابتوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنیان والزمو السنة تلزمكم الدولة فرجع القوم بذلك إلى الكوفة

وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد

فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد فاخطط ثم قام رجل شديد النزاع فرمى عن يمينه ومن بين يديه ومن خلفه وعن شماله وأمر من شاء أن يبني وراء مواقع تلك السهام وبنوا لسعد داراً بجياله بينهما الطريق وجعل فيها بيوت الأموال وهي قصر الكوفة اليوم وبني سعد في الذي خطوا للقصر قصراً بجبال محراب مسجد الكوفة اليوم وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال تقب عليه منه فأخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جانب الدار واجعل الدار قبائله فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما هم فنقل المسجد وأراع بنيانه فقال له دهقان من أهل همدان يقال له روزبة بن بزرجهر أنا أبنيه لك وأبن لك قصراً وأصلهما ويكون بنيانا واحداً فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من بعض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ووضع المسجد بجبال بيوت الأموال وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكنائس لكسرى بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بنى زمن معاوية بنيانه اليوم على يدي زياد ولما اراد زياد بناءه دعا بناءين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يزيد من طوله في السماء وقال أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بني لكسرى لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال الأهواز تنقر ثم تنقب وتحشى بالرخاص وبسافيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ثم تسقفه ثم تجعل له مجنبات ومواخر فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها

قال عطاء مولى إسحاق بن طلحة كنت أجلس في المسجد الأعظم من قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخر فأرى منه دير هند وباب الجسر

وذكر الطبري عن المدائني أن عمر بن الخطاب وجه عتبة بن غزوان إلى البصرة سنة أربع عشرة وذاكر عن الشعبي قال قتل الخطاب مهران في صفر سنة أربع عشرة فقال عمر لعتبة قد فتح الله على إخوانكم الحيرة وما حولها وقتل

عظيم من عظمتها ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس فأنا أريد أن أوجهك إلى أرض الهند والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند لتمنع أهل ذلك الحيز من إمداد إخوانكم على إخوانكم وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم فسر على بركة الله و اتق الله ما استطعت واحكم بالعدل وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله دهقان من أهل همدان يقال له روزبه بن بزرجهر أنا أبنيه لك وأبن لك قصرا وأصلهما ويكون بنيانا واحدا فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من بعض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكنائس لكسرى بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بنى زمن معاوية بنيانه اليوم على يدي زياد ولما اراد زياد بناءه دعا بناءين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يزيد من طوله في السماء وقال أشتهي من ذلك شيئا لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بني لكسرى لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال الأهواز تنقر ثم تنقب وتحشى بالرخاص وبسفيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء ثم تسقفه ثم تجعل له مجنبات ومواخر فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها

قال عطاء مولى إسحاق بن طلحة كنت أجلس في المسجد الأعظم من قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخر فأرى منه دير هند وباب الجسر

وذكر الطبري عن المدائني أن عمر بن الخطاب وجه عتبة بن عروان إلى البصرة سنة أربع عشرة و ذكر عن الشعبي قال قتل الخطاب مهران في صفر سنة أربع عشرة فقال عمر لعتبة قد فتح الله على إخوانكم الحيرة وما حولها وقتل عظيم من عظمتها ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس فأنا أريد أن أوجهك إلى أرض الهند والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند لتمنع أهل ذلك الحيز من إمداد إخوانكم على إخوانكم وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم فسر على بركة الله و اتق الله ما استطعت واحكم بالعدل وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله فأقبل عتبة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا

وذكر من طريق آخر أنه قدمها في ثلاثمائة فلما رأى منبت القصب وسمع نقيق الصفادع قال إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب وأدنى أرض الريف من أرض العجم فهذا حيث وجب علينا طاعة إمامنا فتزل الخريبة

وفي حديث الشعبي وليس بها يعني بالبصرة يومئذ إلا سبع دساكر فكتب إلى عمر ووصف له منزله فكتب إليه عمر أجمع الناس موضعا واحدا ولا تفرقهم وأقام عتبة أشهر لا يغزو ولا يلقى أحدا

وفي حديث آخر أن عتبة أقبل بمن كان معه حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكدان قالوا هذه البصرة فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فإذا حلفاء وقصب نابئة فقالوا ها هنا أمرتم فنزلوا دون صاحب الفرات فأتى فقبل له إن ها هنا قوما معهم راية وهم يريدونك فأقبل في أربعة آلاف أسوار فقال ما هم إلا ما رأى اجعلوا في أعناقهم الحبال وأتوني بهم فجعل عتبة يوجل ويقول إني شهدت القتال مع رسول الله { صلى الله عليه وسلم } يعني فكان لا يقاتل حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر حتى إذا زالت الشمس قال عتبة لأصحابه احمولوا فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين إلا صاحب الفرات أخذوه أسيرا فقال عتبة ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا وكان يوم عكاك فرفعوا له منبرا فقام يخطب فقال إن

الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباغة الإناء ألا وأنكم منتقلون منها إلى دار القرار فانقلوا بخير ما بحضرتكم ولقد ذكر لي أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأته أفعجتهم ولقد ذكر لي أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة ميسرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم له وكظيظ من الزحام ولقد رأيتني وإني لسابع سبعة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما لنا طعام إلا ورق السمير حتى تقرحت أشداقنا والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الأمصار وستجربون الأمراء بعدنا

وفي بعض ما ذكره الطبري من الأحاديث عن مقدم عتبة البصرة وأنه نزل الخريبة قال وبالأبلة خمسمائة من الأساورة يجمونها وكان مرفأ السفن من الصين وما دونها فسار عتبة فنزل دار الإجانة فأقام نحو من شهر ثم خرج إليه أهل الأبلة فناهضهم عتبة وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس وقال لهما كونا ظهورنا فتردا المهزوم وتمنعا من أرادنا من ورائنا ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور وقسمها حتى منحهم الله أكتافهم وولوا منهزمين حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة إلى عسكره فأقاموا أياما وألقى الله في قلوبهم الرعب فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف لهم وعبروا إلى الفرات وخلصوا المدينة فدخلها المسلمون فأصابوا متاعا وسلاحا وسببا وعينا فاقتموا العين فأصاب كل رجل منهم درهمان وولي نافع بن الحارث أقباض الأبلة فأخرج خمسة ثم قسم الباقي بين من أفاء الله عليه وكتب بذلك مع نافع بن الحارث

وقال داود ابن أبي هند أصاب المسلمون بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم فأخذ كل رجل درهمين ففرض عمر لأصحاب الدرهمين في ألفين من العطاء وقال الشعبي شهد فتح الأبلة مائتان وسبعون فيهم أبو بكرة نافع بن الحارث وشبل بن معبد والمغيرة بن شعبة ومجاشع بن مسعود وأبو مريم البلوي

وفي حديث يروي عن عمرة ابنة قيس انه لما خرج الناس لقتال أهل الأبلة وكانوا حياها قالوا للعدو نعبر إليكم أو تعبرون إلينا قال اعبروا إلينا فأخذوا خشب العشر فأوثقوه وعبروا فقال المشركون لا تأخذوا أولهم حتى يعبر آخرهم فلما صاروا على الأرض كبروا تكبيرة ثم كبروا الثانية فقامت دواجم على أرجلها ثم كبروا الثالثة فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض وجعلنا ننظر إلى رعوس تندر ما نرى من يضر بها وفتح الله على أيديهم المدينة

وقال سلمة بن المحبق شهدت فتح الأبلة فوقع في سهمي قدر نحاس فلما نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال وكتب في ذلك إلى عمر فكتب أن تصبر يمين سلمة بالله لقد أخذها يوم أخذها وهي عنده نحاس فإن حلف سلمت إليه وإلا قسمت بين المسلمين قال فحلفت فسلمت لي قال المشنى بن موسى بن سلمة فأصول أموالنا اليوم منها

وقال عباية بن عبد عمرو شهدت فتح الأبلة مع عتبة فبعث ناعفا إلى عمر وجمع لنا أهل دست ميسان فقال عتبة أرى أن نسير إليهم فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان فقاتلناه فأنهزم أصحابه وأخذ أسيرا فأخذه قبأوه ومنطقته فبعث بها عتبة مع أنس بن حجية اليشكري

قال أبو الملبح الهذلي فسأله عمر كيف المسلمون قال انتالت عليهم الدنيا فهم يهبون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة فأتوها

وعن علي بن زيد قال لما فرغ عتبة من الأبلة جمع له مرزبان دست ميسان فسار إليه عتبة من الأبلة فقتله ثم سرح

مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة ووفد عتبة إلى عمر وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات فإذا قدم فهو الأمير فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع إلى البصرة وجمع الميلىكان عظيم من عظماء الأعاجم للمسلمين فخرج إليه المغيرة فلقية بالمرغاب فظفر به فكتب إلى عمر بالفتح فقال عمر لعتبة من استعملت على البصرة فقال مجاشع بن مسعود قال تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر تدري ما حدث قال لا فأخبره بما كان من أمر المغيرة وأمره ان يرجع إلى عمله فمات عتبة في الطريق واستعمل عمر المغيرة وفي رواية أن أهل ميسان هم الذين جمعوا فلقيةهم المغيرة وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات وبعد أن شخص عتبة إلى عمر أثر ما قتل مرزبان دست ميسان

وذكر الطبري بسنده عن قتادة قال جمع أهل ميسان للمسلمين فسار إليهم المغيرة وخلف الأتقال فلقيةهم دون دجلة فقالت أردة بنت الحارث بن كلدة لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم فاعتقدت لواء من خمارها واتخذ النساء من خمرهن رايات وخرجن يردن المسلمين فانتبهن إليهم والمشركون يقاتلوهم فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مددا أتى المسلمين فانكشفوا وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة أردة بنت الحارث بن كلدة

هذه كانت تحت شبيل بن معبد البجلي وكانت أختها صفية عند عتبة بن غزوان فلما ولي عتبة البصرة انحدر معه اصهاره أبو بكر ونافع وشبل وانحدر معهم زياد فلما فتحوا الأبله لم يجدوا قاسما يقسم بينهم فكان زياد قاسمهم وهو ابن أربع عشرة سنة له ذؤابة فأجروا عليه كل يوم درهمين

قال الطبري وكان ممن سبي من ميسان يسار أبو الحسن البصري وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان والأخبار في شأن هذين المصريين يوهم ظاهرها الاختلاف المتباين في وقت عمارة المسلمين لهما فأكثرها على أن ذلك كان بعد المدائن وبعد جلولاء وقد ذكرنا ما ذكر الطبري في بعض ما أورده أن عمر وجه الناس مع عتبة إلى البصرة في سنة أربع عشرة وهذا يقتضي أنه قبل القادسية فضلا عن المدائن وكذلك ذكر المدائني من حديث حميد بن هلال أن خالد بن عمير العلوي حدثه قال لما كان أيام القادسية كتب إلينا أهل الكوفة يستمدوننا فأمدهم أهل البصرة بألف وخمسمائة راكب كنت فيهم فقدمنا على سعد بالقادسية وهو مريض وذكر بقية الحديث ولعل نزول المسلمين بمدين الموضعين كان متقدما على تمصيرهما وبنيتهما بزمان ومع ذلك فلا يرتفع الخلاف في ذلك بين الأخبار كل الإرتفاع والله تعالى أعلم

وكان عمر رضي الله عنه قد امر سعدا بعدما وجهه إلى العراق أن يجعل الناس أعشارا فلما كان بعد ذلك رجح الأعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيرا فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم فكتب إليه أن عدلهم فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب وعقلائهم وذوي الرأي منهم كسعيد بن ثمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم فجعلوهم أسبعا فلم يزالوا كذلك عامة إمارة معاوية حتى ولي زياد فربعهم

ذكر الجزيرة وذكر السبب الذي دعا عمر إلى الأمر بقصدها

وذلك أن هرقل أغزى حمص في البحر بعد أن غلب عليها المسلمون واستمد أهل الجزيرة على أبي عبيدة ومن فيها من المسلمين فأجابوه وبلغت أمداد الجزيرة ثلاثين ألفا سوى أمداد قنشرين من تنوخ وغيرهم فبلغوا من المسلمين كل مبلغ فضم أبو عبيدة مساحه وعسكروا بفناء مدينة حمص وخذقوا عليها وكتبوا إلى عمر واستصرخوه وكان

عمر رضي الله عنه قد اتخذ في كل مصر على قدرها خيولا من فضول اموال المسلمين عدة لما يعرض فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس يشتيها في قبلة قصر الكوفة وميسرته بمكان يسمى لأجل ذلك الآري ويربعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول فسمته الأعاجم آخر الشاهجان يعنون معلف الأمراء وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها في كل يوم وبالبرسة نحو منها وقيمه عليها جزء بن معاوية وفي كل مصر من الأمصار على قدره فلما وقع إلى عمر كتاب أبي عبيدة يستصرخه كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص فإن أبا عبيدة قد أحيط به وتقدم إليهم في الجند والحث وكتب إليه أيضا أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وإن أهل

قرقيسيا لهم سلف وسرح عبد الله بن عتيان إلى نصيبين ثم لينفضا حران والرها وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياض بن غنم فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا إلى عياض فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي آتاهم فيه الكتاب نحو حمص وحديتهم مذكور في أمر حمص من فتح الشام وإنما أعيد منه هنا هذا القدر تطريفا لحديث الجزيرة وتمهيدا له وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فسلخوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها فتوجه كل أمير إلى الكورة التي أمر عليها ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن الجنود قد خرجت من الكوفة ولم يدروا الجزيرة يريدون أم حمص تفرقوا إلى بلدانهم خوفا عليها وخلصوا الروم فأتى سهيل بن عدي حتى انتهى إلى الرقة وقد حصر فيها أهلها الذين ارفضوا عن حمص فنزل عليهم وأقام محاصرتهم حتى صالحوه وذلك أن قالوا فيما بينهم إنكم بين أهل العراق وأهل الشام فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء فبعثوا بذلك إلى عياض وهو في منزل واسط بالجزيرة فقبل منهم وعقد لهم عن امرأة سهيل بن عدي وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتيان فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل عبر إلى البلد ثم أتى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة وخافوا مثل الذي خافوا فعقد لهم عبد الله عن أمر عياض وأجروا ما أخذوه عنوة من الرقة ونصيبين ثم أجابوا مجرى أهل الذمة ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حران فأخذ ما دونها فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم وأجرى من أجاب بعد غلبته مجرى أهل الذمة ثم سرح سهيلا وعبد الله إلى الرها فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية فقبل ذلك عياض منهم وأجرى من دونهم مجراهم فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا وأيسره فتحا

وقال سهيل بن عدي في ذلك

وصادمتنا الفرات غداة سرنا

إلى أهل الجزيرة بالعوالي

ولم نشن الأعنة حين سرنا

بجرد الخيل والأسل النهال

فأجهضنا الأولى قادوا لحمص

وقد منوا أماني الضلال

أخذنا الرقة البيضاء لما

رأينا الشهر لوح بالهلال
وازعجت الجزيرة بعد خفض
وقد كانت تخوف بالزوال
وصار الخرج صافية إلينا
بأكناف الجزيرة عن تغال
الوافر
وقال في ذلك عبد الله بن عتيان
ألا من مبلغ عني بجيرا
فما بيني وبينك من بعد
فأن تقبل تلاق العدل فينا
وتنسى ما عهدت من الجهاد
وإن تدبر فما لك من نصيب
نصبي فيلحق بالعباد
وقد ألفت نصيين إلينا
سواد البطن بالخرج السداد
لقد لقيت نصيين الدواهي
بلهم الخيل والجرد الورد
ونفست الجياد عن أهل حمص
جنود الروم أصحاب الفساد
وعاين عامر منهم عديدا
ودهما مثل سائمة الجراد
الوافر

وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياد بن نزار فإنهم ارتحلوا بكليتهم فاقتحموا أرض الروم فكتب الوليد بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إلى ملك الروم إنه بلغني أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجه أو لتبذن إلى النصارى ثم لنخرجهم إليك فأخرجهم ملك الروم فتم منهم على الخروج أربعة آلاف وخمس بقيتهم فتنفروا مما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف وأبي الوليد أن يقبل من بني تغلب إلا الإسلام وكتب فيهم إلى عمر فأجابه إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام فدعهم على أن لا ينصروا وليدا وأقبل منهم إذا أسلموا فقبل منهم على أن لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا أحد منهم من الإسلام وأبي بعضهم إلا الجزاء ورضي منهم بما
رضي به من العباد وتنوخ

وفي حديث عن أبي سيف التغلبي أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كان عاهد وفد بني تغلب على أن لا ينصروا وليدا فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم ولم يكن على غيرهم فلما كان زمان عمر قال مسلموهم لا

تفروهم بالخراج فينهبوا ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على أن لا ينصروا وليدا إذا أسلم آباؤهم فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر رحمه الله
ولما بعث الوليد إليه برعوس النصارى وبديانهم فأمرهم عمر بأداء الجزية قالوا له أبلغنا مأمنا فوالله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم ووالله لفضحننا من بين العرب فقال لهم أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم والله لتؤدنها وأنتم صغرة قماء ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ثم لأسبينكم قالوا فخذ منا شيئا ولا تسميه جزاء فقال أما نحن فنسميه الجزاء وسموه أنتم ما شئتم فقال له علي بن أبي طالب وأصغى إليه عمر يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة قال بلى قال فرضي به منهم جزاء ورضي القوم بذلك فبنو تغلب تسمي جزيتهم صدقة واما تنوخ فلم تبال أي ذلك كان فهم يسمونها الجزية وكان في بني تغلب عز وامتناع فلا يزالون ينازعون الوليد فيهم بهم ويقول
إذا ما عصبت الرأس مني بمشوذ
فغيك مني تغلب ابنة وائل
الوافر

وبلغت عمر رحمه الله فخاف أن يخرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم فعزله وأمر عليهم فرات بن حيات وهند بن عمرو الجملي

ذكر فتح سوق الأهواز ومناذر ونهرتير

ذكر سيف عن شيوخه قالوا لما انهزم الهرمزان بالقادسية جعل وجهه إلى أمته فملكهم وقاتل بهم من أرادهم فكان يغير على ميسان ودست ميسان من وجهين من مناذر ونهرتير فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فأمدته بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يكونا بين أهل ميسان ودست ميسان وبين نهرتير ووجه عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة الحنظليين فنزلا على حدود أرض ميسان ودست ميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بني العم بن مالك فخرج إليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فتركا نعيما ونعيما وأتيا سلمى وحرملة وقالوا أنتما من العشيرة وليس لكما منزل فإذا كان يوم كذا فانهدوا للهرمزان فإن أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهرتير فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا إليكم فليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله
فلما كانت ليلة الموعد خرج سلمى وحرملة صبيحتها في تعبئة وأهضا نعيما ونعيم وسلمى على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فالتقوا هم والهرمزان بين دلت ونهرتير فاقتلوا فيبيناهم في ذلك أقبل المدد من قبل

غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بأخذ مناذر ونهرتير فكسر الله في ذرعه وذرع جنده وهزمه وإياهم فقتل المسلمون منهم ما شاعوا وأصابوا ما شاءوا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطيء دجيل وأخلوا ما دونه وعسكروا بجيال سوق الأهواز وقد عبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وأقام بها وصار دجيل بينه وبين المسلمين ورأى الهرمزان ما لا طاقة له به فطلب الصلح وكتبوا إلى عتبة يستأمرونه فيه وكتبه الهرمزان فأجاب عتبة إلى ذلك على الأهواز كلها ومهرجان قدق ما خلا نهرتير ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإننا لا نرد عليهم ما تنقذنا وجعل عتبة على مناذر سلمى بن القين مسلحة وأمرها إلى غالب وحرملة على نهرتير وأمرها إلى كليب فكانا على مسالح البصرة وهاجرت طوائف بني العم فنزلوا البصرة وجعلوا يتبايعون على ذلك وكتب عتبة بذلك إلى عمر رحمه الله

ووفد وفدا منهم سلمى وحرملة وأمرهما أن يستخلفهما على عمليهما وغالب وكليب ووفد يومئذ من البصرة ووفدا فأمروهم عمر أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال أما العامة فأنت صاحبها فلم يبق إلا خواص أنفسنا فطلبوا لأنفسهم إلا ما كان من الأحنف بن قيس فإنه قال يا أمير المؤمنين إنه لكما ذكروا ولقد يغرب عنك ما يحق علينا إهأؤه إليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخير ويسمع بأذاهم وإنما لم نزل نزل منزلا بعد منزل حتى أرننا إلى البر وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب والحنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم غضة لم تحضد وإنما معاشر أهل البصرة نزلنا بسبخة هشاشة زعقة نشاشة طرف لها في القلاة

وطرف لها في البحر الأجاج يجير إليها ما جر في مثل مرىء النعام دارنا مفعمة ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير وأشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ودرهمنا كبير وفقيرنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا في أرضنا فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة تطوف علينا ونعيش بها فنظر عمر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجر فنفلهموها وأقطعهم إياها وكان ذلك مما كان لآل كسرى فصار فينا فيما بين دجلة والحجر فافتسموه وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا ويقتسمونه بينهم لا يستأثرون به على بدء ولا ثني بعدما يرفعون خمسة إلى الوالي فكانت قطائع أهل البصرة نصفين نصفها مقسوم ونصفها متروك للعسكر وللإجماع وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفا فألحق عمر أعدادهم بأهل البصرة حتى ساوهم بهم ألحق جميع من شهد الأهواز ثم قال هذا الغلام سيد أهل البصرة يعني الأحنف وكتب إلى عتبة أن يسمع منه ورد سلمى وحرملة وغالبا وكليبا إلى مناذر ومهترير فكانوا عدة فيها لما يعرض حديث فتح الأهواز ومدينة سرق

واتصل ما بين أهل البصرة وبين أهل ذمتهم على ما ذكر إلى أن وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الأرضين اختلاف فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدوا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا فحالاً بينه وبينهما فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالأكراد فكثف جده وكتبوا ببغية وكفروا إلى عتبة فكتب بذلك إلى عمر فأمدهم عمر بحرقوص ابن زهير السعدي وكانت له صحبة وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه فهدوا معه ونهد الهرمزان بمن معه حتى إذا انتهوا إلى جسر سوق الأهواز عبر الهرمزان فوق الجسر بعد أن خيرهم فقالوا له أعبر فاقتلوا هنالك فهزم الله الهرمزان ووجه نحو رامهرمز وافتتح حرقوص سوق الأهواز فأقام بها ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الأهواز إلى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح والأخماس إلى عمر فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة وكان عمر رضي الله عنه قد عهد إلى حرقوص إن فتح الله عليهم أن يبعث جزء بن معاوية في أثر الهرمزان وهو متوجه إلى رامهرمز فما زال يقاتلهم حتى انتهى إلى قرية الشجر وأعجزهم بما الهرمزان فمال منها جزء إلى دورق ومدينة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها فأخذها صافية ودعا من هرب إلى الجزاء والمنعة فأجابوه وكتب بذلك كله إلى عمر وإلى عتبة فكتب عمر رحمه الله إلى جزء وإلى حرقوص بلزوم ما غلبا عليه والمقام حتى يأتيهما أمره ففعلا وأستأذنه جزء في عمران ما دثر فاذن له فشق الأنهار وعمر الموات ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضائق عليه الأهواز بالمسلمين طلب الصلح وراسل فيه حرقوصا وجزءا فكتب فيه حرقوص إلى عمر فكتب إليه وإلى عتبة يأمر بقبول صلح الهرمزان على ما لم يفتتحوا من البلاد على رامهرمز وتستر

والسوس وجندي سابور والبيان ومهرجان نقدق فقبل ذلك الهرمزان وأجابهم إليه فأقام أمراء الأهواز على ما أسند إليهم عمر وأقام الهرمزان على صلحه يجي إليهم ويمعونه وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبا عنه

وكتب عمر إلى عتبة يوفد عليه عشرة من صلحاء جند البصرة فوفد إليه منهم عشرة فيهم الأحنف بن قيس فلما قدموا عليه قال للأحنف إنك عندي مصدق وقد رأيتك رجلا فأخبرني أظلمت الذمة المظلمة نفروا أم لغير ذلك فقال بل لغير مظلمة والناس على ما تحب قال فنعيم إذا أنصرفوا إلى رحالكم وكتب عمر إلى عتبة أن أصرف الناس عن الظلم واتقوا الله واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو يغي فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصرين وبلغ عمر رحمه الله حرقوصاً نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه والجبل كتود يشق على من رامه فكتب إليه بلغني أنك نزلت منزلاً كتوداً لا توتي فيه إلا على مشقة فأسهل ولا تشقن به على مسلم ولا معاهد وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك

ذكر غزو المسلمين أرض فارس

قالوا وكان المسلمون بالبصرة وأرضها يومئذ سوادها والأهواز على ما هم عليه ما عليوا عليه منها ففي أيديهم وما صالحوا عليه ففي أيدي أهله يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة وعميد صلح الهرمزان وقد قال عمر رحمه الله حسينا لأهل البصرة سوادهم والأهواز وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا نصل إليهم منه ولا يصلون إلينا كما قال لأهل الكوفة وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم

وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين رده إليها عمر بعد أن عزله عنهما بقدامة بن مظعون وكان العلاء يناوي سعد بن أبي وقاص لصدع صدعه القضاء بينهما فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة واستعلى بأعظم مما كان جاء به العلاء أسر العلاء أن يصنع شيئا في الأعاجم ورجاء أن يدال كما قد كان أديب ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة وفضل المعصية وعواقبها فندب أهل البحرين إلى أهل فارس فتسرعوا إلى ذلك ففرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر السوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وهو مع ذلك على جماعة الناس فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر رحمه الله لا يأذن لأحد في ركوبه غازيا يكره التغرير بجنده استنانا بالنبي { صلى الله عليه وسلم } وبأبي بكر إذا لم يغزيا فيه أحدا فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا في اصطخر ويزاتهم أهل فارس قد اجتمعوا على الهربذ فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد في الناس فقال إن الله إذا قضى لأحد أمرا جرت به المقادير حتى يصيبه وإن هؤلاء القوم لم يزيلوا بما صنعوا على أن دعوكم لحربهم وإنما جنتم لخارتهم والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنما لكيرة إلا على الخاشعين (٤٥ البقرة) فأجابوه فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتلوا قتالا شديدا في موضع يدعى طاووس وجعل السوار يحض ويذكر قومه عبد القيس حتى قتل وقتل الجارود ويومئذ ولي عبد الله بن المسور والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا وجعل خليد بن المنذر يومئذ يقول للمسلمين

اتزلوا فزولوا فقاتلوا القوم فقتل أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا قبلها مثلها ثم خرج للمسلمون يربلون البصرة إذ
غرفت سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سيلا فوجلوا شهرك قد أخذ عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا

ولما بلغ عمر رحمه الله ما صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر يعني قبل أن يبلغه ما عرض لهم ألقى في روعه
نحو من الذي كان فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه
بتأمر سعد عليه وقال الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك فخرج نحوه بمن معه
وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من

المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله بذلك فحشيت عليهم ألا ينصروا وأن يغلبوا وينشوا
فاندب الناس إليهم وضمهم إليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر فانتدب عاصم بن
عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزأة بن ثور والأحنف بن قيس وصعصعة بن معاوية وآخرون من
ردوس المسلمين وفرسانهم فخرجوا في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد
بني مالك بن حسبل بن عامر بن لؤي والسالم على حالها بالأهواز والذمة وهم ردة الغازي والمقيم فسار أبو سبرة
بالناس وساحل لا يلقاه أحد ولا يعرض له حتى التقى بخليد وأصحابه بحيث أخذ عليهم الطريق وكان أهل اصطخر
حيث اخنوا عليهم الطريق وأنشبوهم استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم فضربوا إليهم من كل وجه وكورة
فالتقوا هم وأبو سبرة وقد توافقت إلى المسلمين أمدادهم وإلى المشركون أمدادهم وعلى المشركين شهرك وهو الذي
كان أخذ عليهم الطريق غب وقعة القوم بطاوس فافتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وأصا بالمسلمون
المنهم ما شاءوا وهي الغزاة التي شرفت بها نابتة البصرة فكانوا أفضل المصريين نابتة ثم إنكأوا بما أصابوا وقد عهد
إليهم عتبة وكتبهم بالحث وقلة العرجة فانضموا إليه بالبصرة فرجع أهلها إلى منازلهم منها وتفرق الذين تنقنوا من
أهل هجر إلى قبائلهم والذين تنقلوا من عبد القيس في موضع سوق البحرين ولما أحرز عتبة الأهواز وأوطأ فارس
استأذن عمر في الحج فأذن له فلما قضى حجه استغفاه فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن إلى عمله فدعا الله ثم
انصرف فمات

في بطن نخلة فدفن بها ومر به عمر زائرا لقبره فقال أنا قتلتك لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم وأثنى عليه بفضلته
ومات عتبة وقد استخلف على الناس أبا سبرة بن أبي رهم وعماله على حالهم ومساحله على نهر تير ومناذر وسوق
الأهواز وسرق وأمر عمر أبا سبرة على البصرة بقية السنة التي مات فيها عتبة ثم عزله واستخلف عبد الرحمن بن
سهل ثم استعمل المغيرة بن شعبة فعمل عليها بقية تلك السنة التي ولاه فيها والسنة التي تليها لم ينقض عليه أحد في
عمله وكان مرزوق السلامة

ذكر فتح رامهرمز والسوس وتستر وأسر الهرمزان

ذكر سيف عن أصحابه قالوا لم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفا على ما خرج عنهم فكتب إليهم وهو بمر
يذكرهم الأحقاد ويؤنبهم أن قد رضيتم يا أهل فارس أن غلبتكم العرب على السواد وما والاه وعلى الأهواز ثم لم
يرضوا بذلك حتى يوردوكم في بلادكم وعقر داركم فخرجوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاهدوا وتواتقوا على
النصرة وجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وجزءا وسلمى وحرملة عن خبر غالب وكتيب فكتبوا إلى عمر وإلى

المسلمين بالبصرة فكتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى الأهواز بعثا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل وابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذي السهمين وجريير بن عبد الله الحميري وجريير بن عبد الله البجلي فليزلوا يازاء الهرمزان حتى يتيقنوا أمره وكتب إلى أبي موسى وهو على البصرة أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سهيل بن عدي وابعث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزأة بن ثور وكعب بن سور وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحصين بن معبد وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعا أبو سبرة بن أبي رهم وكل من أتاه فمدد له

وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة

بجبال ميسان ثم أخذ البر إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل وانتهى إلى نمرتير فجازها وجاز مناذر ثم شق الأهواز وخلف حرقوصا وسلمى وحرملة ثم سار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره ورجا أن يقتطعه وقد طمع في نصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل أمداهم بتستر فالتقى النعمان والهرمزان بأزبك فاقتلوا قتالا شديدا ثم إن الله هزم الهرمزان وأحلى رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز ثم صعدا لا يذج فصالحه عليها تيرويه فقبل منه وتركها ورجع إلى رامهرمز فأقام بها وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا سوق الأهواز فأتاهم بها خبر الواقعة التي أوقعها النعمان بالهرمزان حتى لحق بتستر فمالوا نحوه من سوق الأهواز فكان وجههم منها إلى تستر ومال النعمان إليها من رامهرمز وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء فنزلوا جميعا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال وأهل الأهواز في الخنادق فكتبوا بذلك إلى عمر رحمه الله واستمده أبو سبرة فأمدته بأبي موسى فساجلوهم وعلى أهل الكوفة النعمان وعلى أهل البصرة أبو موسى وعلى الفريقين أبو سبرة فحاصروهم أشهر وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مبارزة مائة سوى من قتل في غير المبارزة وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك وقتل كعب بن سور وأبو تميمه كل واحد منهما مثل ذلك وهؤلاء في عدة من أهل البصرة وفعل مثل ذلك من الكوفيين رجال منهم حبيب بن قررة وربيعي بن عامر وعامر بن عبد الأسد وكان من الرؤساء في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفا تكون عليهم مرة ولهم أخرى حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون يا براء أقسم على ربك ليهزمهم

لنا فقال البراء بن مالك اللهم هزمهم لنا واستشهدني فهزمهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم فارزوا إلى مدينتهم فأحاط المسلمون بها فبينما هم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل إلى النعمان فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يوصل منه إلى المدينة ويكون منه فتحتها فأمنه النعمان فقال انهضوا من قبل مخرج الماء ورمي رجل آخر غير ذلك الرجل من ناحية أبي موسى بسهم يستأمنهم فيه على أن يلهم على ذلك فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بأخرى ودلهم على مخرج الماء فندب الأميران أصحابهما فانتدب لأبي موسى كعب بن سور ومجزأة بن ثور ويشر كثير وانتدب للنعمان أيضا بشر كثير منهم سويد بن المنعبة وعبد الله بن بشر الهلالي فنهضوا فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج وقد تسرب سويد وعبد الله فأتبعهم الفريقان حتى إذا جتمعوا فيها والناس على رجل من خارج كبروا فيها وكبر المسلمين من خارج وفتحت الأبواب فاجتلبوا فيها فأناموا كل مقاتل وأرز الهرمزان إلى القلعة فأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم ما شئتم قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم وإن معي في جمعيتي مائة نشابة ووالله لا تصلون إلي ما دامت معي نشابة وما يقع لي سهم إلا في رجل

وما خير أسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح قالوا فتريد ماذا قال أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء قالوا فذلك لك فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه فشلوه وثاقا واقتسموا ما آفأه الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألفا وجاء الرجل الذي خرج بنفسه إلى النعمان والآخر الذي رمى بالسهم في ناحية أبي موسى فقالا للمسلمين من لنا بالأمان الذي طلبنا علينا وعلى من مال معنا قالوا ومن مال معكم قالوا من أغلق عليه بابه مدخلكم فأجازوا ذلك لهم وقتل ليلتئذ من المسلمين ناس كثير منهم مجزأة بن ثور والبراء بن مالك قتلها الهرمزان

وخرج أبو سبرة من تستر في أثر القل وقد فصلوا السوس وأخرج معه النعمان وأبا موسى ومعهما الهرمزان حتى نزلوا على السوس وكتبوا بذلك إلى

عمر فكتب إلى أبي موسى برده على البصرة فانصرف عليها وأمر عمر على جند البصرة المقرب وهو الأسود بن ربيعة وكتب إلى زر بن عبد الله ابن كليب الفقيمي أن يسير إلى جندي سابور فسار حتى نزل عليها وكان الأسود وزر من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من المهاجرين إليه الوافدين عليه فقال له الأسود لما وفد عليه جئت لأقرب إلى الله بصحبتك فسماه المقرب وقال له زر يا رسول الله في بطني وكثر إخوتنا فادع الله لنا فقال اللهم أوف لزرا عمارته فتحول إليهم العدد ووفد أبو سبرة وفدا فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس وأرسل الهرمزان معهم فقدموا مع أبي موسى البصرة ثم خرجوا نحو المدينة حتى إذا دخلوها هبتوا الهرمزان في هيئته فألبسوه كسوته من الديباج ووضعوا على رأسه تاجا مكللا بالياقوت كما يراه عمر والمسلمون في هيئته ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل لهم جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة فانطلقوا يطلبونه في المسجد فلم يروه فلما انصرفوا مروا بغلمان يلعبون فقالوا لهم ما تلذدكم تريدون أمير المؤمنين فإنه نائم في ميمنة المسجد متوسد برنسه وكان عمر رحمه الله قد جلس لوفد الكوفة في برنس فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدررة في يده فقال الهرمزان أين عمر قالوا هو ذا وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكوا عنه فقال لهم الهرمزان أين حرسه وحجابه فقالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان فقال ينبغي له أن يكون نبيا قالوا بل يعمل عمل الأنبياء وكثر الناس فاستيقظ عمر رحمه الله بالجلبة فاستوى جالسا ثم نظر إلى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فتأمله وتأمل ما عليه وقال اعوذ بالله من النار وأستعين الله ثم قال الحمد لله الذي أذل

بالإسلام هذا وأشباهه يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطنكم الدنيا فإنها غرارة فقال الوفد هذا ملك الأهواز فكلمه فقال لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء فرمى عنه بكل شيء كان عليه إلا شيئا يستره وألبسوه ثوبا صفيقا فقال عمر هي يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا فقال عمر إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا ثم قال عمر ما عذرك وما حجبتك في انقضائك مرة بعد مرة فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتى به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب في مثل هذا فأتى به في إناء يرصاه فجعلت يده ترعد وقال إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال

عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيذوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء إنما أردت أن أستأمن به فقال عمر إني قاتلك فقال قد أمنتني قال كذبت قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتك قال ويحك يا أنس أنا أو من قاتل مجزأة والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج وإلا عاقبتك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وقلت له لا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خذ عنتي والله لا أتخذ إلا أن تسلم فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة ويروى أن المغيرة بن شعبه كان الترجمان يومئذ بين عمر وبين الهرمزان إلى أن جاء المترجم وكان المغيرة يفقه من الفارسية شيئا فقال له عمر ما أراك بما حاذقا ما أحسنها أحد منكم إلا خب ولا خب إلا دق إياكم وإياها فإنها تنقص الإعراب

ذكر فتح السوس

والأخبار التي نذكرها بعد ذلك شديدة الخلاف لبعض ما تقدم وكذلك قال أبو جعفر الطبري إن أهل السير اختلفوا في أمرها قال فأما المدائني فإنه قال لما انتهى فل جلولاء إلى يزدجرد وهو مجلوان دعا بخاصته وبالمويد فقال إن القوم لا يلقون جمعا إلا فلوهم فما ترون فقال المويد نرى ان نخرج فننزل اصطرخ فإنها بيت المملكة وتضم إليك خزائنك وتوجه الجنود فأخذ برأيه وسار إلى أصبهان ودعا سياه فوجهه في ثلاثمائة فيهم سبعون من عظمائهم وأمره أن ينتخب من كل بلدة بمر بها من أحب فمضى سياه واتبعه يزدجرد حتى نزلوا اصطرخ وأبو موسى محاصر السوس فوجه سياه إلى السوس والهرمزان إلى تستر فنزل سياه منزلا تحول عنه حين سار أبو موسى إلى تستر فنزل سياه بينها وبين رامهرمز ودعا الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان وقد عظم أمر المسلمين عنده فقال قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في إيوانات اصطرخ ومصانع الملوك ويشدون خيولهم بشجرها وقد غلبوا على ما رأيتم وليس يلقون جندا إلا فلوهم ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه فانظروا لأنفسكم قالوا رأينا رأيك قال فليكني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين إليه فإني أرى أن ندخل في دينهم فوجهوا شيرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى فقدم عليه فقال إنا قد رغبتنا في دينكم فنسلم على أن نقاتل المعجم

معكم وإن قاتلنا أحد من العرب منعمونا منهم وننزل حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم وتلحقونا بأشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير الذي هو فوقك فقال أبو موسى بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا فقال لا نرضى

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمرهم فأجابه أعطهم ما سألوكم فكتب لهم أبو موسى فأسلموا وشهروا معه حصار تستر فلم يكن أبو موسى يرى منهم جددا ولا نكاية فقال لسياه يا أعور ما أنت وأصحابك كما كنا نرى قال لسنا مظلوم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائرهم وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم ولم تلحقونا بأشرف العطاء ولنا سلاح وكراع وأنتم حسر فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك فكتب إليه أن أحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه أحد من العرب ففرض مائة منهم في ألفين ألفين ولستة منهم في ألفين وخمسمائة لسياه وخسرو وابنه مقلاص وشهريار وشهرويه وأفريدون وإياهم عنى الشاعر بقوله

ولما رأى الفاروق حسن بلائهم

وكان بما يأتي من الأمر أبصرا

فسن لهم ألفين فرضا وقد رأى

ثلاثمئتين فرض عك وحميرا

الطويل قال فحاصروا حصنا بفارس فمشى سياه في آخر الليل في زي العجم حتى رمى بنفسه إلى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم وأصبح أهل الحصن فرأوا رجلا في زيهم صريعا فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به ففتحو باب الحصن ليدخلوه وثار فقواتلهم حتى دخلوا عن باب الحصن وهربوا ففتح الحصن وحده ودخله المسلمون وقوم يقولون فعل هذا الفعل سياه بتستر وحاصروا حصنا آخر فمشى خسروا إلى الحصن فأشرف عليه رجل منهم فكلمه فرماه خسرو بنشابة فقتله

أما سيف فإنه ذكر بإسناد له قال لما نزل أبو سبرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم شهريار أخو الهرمزان نأوشهم مرات كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب إن مما عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها وإن لم يكن معكم فلا تعنوا بحصارنا وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة وعمل مكانه على جندها الذين بالسوس المقرب والنعمان على أهل الكوفة فحاصر السوس مع أبي سبرة فجاء كتاب عمر بصرف النعمان إلى أهل نهموند لاجتماع الأعاجم بها فتهيأ للمسير ثم استقبل في تعبته فناوش أهل السوس قبل مضيه فعاد الرهبان والقسيسون وأشرفوا على المسلمين وغازوهم وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في خيله فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وفتحت الأبواب ودخل المسلمون فألقى المشركون بأيديهم ونادوا الصلح الصلح فأجابهم المسلمون إلى ذلك بعدما دخلوها عنوة واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ثم افترقوا

فتح جندي سابور

قالوا ولما فرغ أبو سبرة من السوس خرج في جنده حتى ينزل على جندي سابور ووزر بن عبد الله محاصرهم فأقاموا عليها يغادوهم ويرأو حوهم القتال فلم يفجأ المسلمين يوما إلا وأبوابها تفتح ثم خرج السرح وخرجت الأسواق وانبث أهلها فأرسل إليهم المسلمون أن مالكم قالوا رميتم لنا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم الجزاء على أن تمنعونا فقال المسلمون ما فعلنا فقال أهل جندي سابور ما كذبنا فسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عبد يدعى مكففا كان أصله منها هو الذي كتب لهم أمانا فرمى به إليهم من عسكر المسلمين فقالوا إنما هو عبد فقال المشركون إنا لا نعرف حركم من عبدكم وقد جاءنا أمان فحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فإن شتمم فاغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر فأجابهم إن الله عظيم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى توفوا ما دمتم في شك أجزوهم وفواهم ففعلوا وانصرفوا عنهم

وقال عاصم بن عمرو في ذلك

لعمرى لقد كانت قرابة مكف

قرابة صدق ليس فيها تقاطع

أجارهم من بعد ذل وقلة

وخوف شديد والبلاء بلاقع

فجواز العبد بعد اختلافنا

ورد أموراً كان فيها تنازع

إلى الركن والوالي المصيب حكومة

فقال بحق ليس فيه تخادع

فلله جندي ساهور لقد نجت

غداة منتها بالبلاء اللوامع

الطويل

حديث وقعة نماوند

والاختلاف فيها بين أهل الأخبار كثير ولكن الذي ذكره أبو الحسن المدائني من حديثها أحسن ما وقفت عليه من الأحاديث منساقاً وأطولها اقتصاصاً فلذلك آثرت الإبتداء به وربما أدرجت في تضعيفه من حديث غيره ما يحسن إدراجه فيه ثم أذكر بعد انقضائه ما اختار ذكره من الأخبار التي أوردها سواه عن هذه الواقعة إن شاء الله

ذكر المدائني عن رجال من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان فقال له أما إذ فتني بنفسك فأشر علي أبقارس أبدا أم بالجمال أذربيجان وأصبهان قال فارس الرأس والجمال جناحان فاقطع الجناحين فلا يتحرك الرأس قال عمر بل أقطع الرأس فلا يقوم جسد ولا جناح ولا رجل فكتب عمر إلى عثمان بن أبي العاص وهو بتوج أن سر إلى اصطخر وقدم عليه أبو موسى فأمره أن يرجع إلى البصرة ويسير إلى ابن كسرى مع عثمان بن أبي العاص وقال كل واحد منكم أمير على جنده فقدم أبو موسى البصرة فسار إلى يزدجرد باصطخر وسار

إليه عثمان من توج فلما ألحوا على يزدجرد كتب إلى أهل الري وأهل الجبال أصبهان وهمدان وقومس أن العرب قد ألحوا علي فاشغلوهم عني وردوهم إلى بلادهم فكتب بعضهم إلى بعض أن صاحب العرب الذي جاء بدينهم وأظهر أمرهم هلك وملك بعده رجل لم يلبث إلا قليلاً حتى هلك وإن صاحبهم هذا عمر وطال سلطانه وأغزى جنوده بلادكم فليس بمنته حتى تخرجوه من بلادكم وتغزوه في بلاده فأجمعوا على ذلك وتمالوا عليه وتعاقدوا وأفقدوا أن يجتمعوا بنهاوند وبلغ ذلك أهل الكوفة فكتبوا به إلى عمر فخرج يمشي حتى قام على المنبر فقال أين المسلمون أين المهاجرون والأنصار فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عظماء أهل الري وأهل أصبهان وأهل همذان وأهل نماوند وأهل قومس وأهل حلوان أمم مختلفة ألوانها وألسنتها وأديانها ومللها وقد تعاهدوا أن يخرجوا إخوانكم من بلادهم وأن يغزوكم في بلادكم فأشيروا علي وأوجزوا ولا تطنبوا فتفشع بكم الأمور فقام طلحة وكان من خطباء قريش وذوي رأيهم ومن عليه أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال يا أمير المؤمنين قد حنكتك الأمور وجربتك الدهور وعجمتك البلبايا وأحكمتك التجارب فأنت ولي ما وليت لا ينشر في يدك ولا يحل عليك فمرنا نطع واحملنا نركب وقدنا نقد فإنك مبارك الأمر ميمون النقيبة وقد أخبرت وخبرت وجربت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار

قال تكلموا فقال عثمان أكتب إلى أهل الشام أن يسيروا من شامهم وإلى أهل اليمن فليسيروا من يمنهم وسر بنفسك في أهل الحرمين إلى أهل المصرين فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فيتعال في عينك ما قد كثر عندك وتكون أعز منهم إنك لن تستبقي من نفسك باقية بعد العرب ولن تمتنع من الدنيا بعزير ولا تلوذ منها بحريز وهذا

يوم له ما بعده فاحضرتهم برأيك واشهلهم بمقدرتك
قال تكلموا فقال علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين إن كتبت إلى أهل

الشام فساروا من شامهم أغارت الروم على بلادهم وإن سار أهل اليمن من بينهم خلفتهم الجيش في عيالاتهم وإن
سرت بأهل الحرمين انتقضت الأرض عليك من أقطارها حتى يكون ما تخلفه من العورات في العيالات أهم إليك مما
بين يديك وأما ما ذكرت من مسيرهم فالله لمسيرهم أكره وهو أقدر على تغيير ما كره وأما كثرتهم فإننا لم نلق عدونا
بالكثرة ولكننا كنا نلقاهم بالصبر إنك إن نظر إليك الأعاجم قالوا هذا أمير العرب فكان أشد لحربهم وكلبهم ولكن
اكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا على ثلاث فرق فلنقم فرقة في ديارهم وفرقة في أهل عهدهم وتسير فرقة إلى
إخوانهم بالكوفة

قال هذا رأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه لعمري لئن سرت بأهل الحرمين ونظر إلي الأعاجم لتنتقض الأرض
وليملنهم من لم يمددهم وليقولن أمير العرب إن قطعناه قطعنا أصل العرب فأشيروا علي برجل أوليه واجعلوه عراقيا
قالوا أنت أفضل رأيا وأعلم بأهل العراق وهم عمالك وقد وفدوا عليك وعرفتهم قال لأولينها رجلا يكون لأول
أسنة يلقاها النعمان بن مقرن وكان النعمان بكسركر قد كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين إنما مثلي ومثل كسركر مثل
شاب عند مومسة تلون له كل يوم وتعطر ويني أذكرك الله إلا بعثني في جيش إلى ثغر غازيا ولا تبعثني جابيا فندب
عمر أهل المدينة فانتدب منهم جمع فوجههم إلى الكوفة وكتب إلى عمار بن ياسر أن يستنفر ثلث أهل الكوفة وأن
يسيروا إلى العجم بنهاوند فقد وليت عليهم النعمان بن مقرن المزني وكتب إلى أهل الكوفة بذلك وكتب إلى أبي
موسى أن يستنفر ثلث أهل البصرة إلى نهاوند وكتب إلى النعمان إني وجهت جيشا من أهل المدينة وأهل الكوفة
وأهل البصرة إلى نهاوند فأنت على الناس ومعك في الجيش طليحة ابن خويلد وعمرو بن معدي كرب فأحضرتهما
الناس وشاورهما في الحرب فإن حدث بك حدث فأمر الناس حذيفة فإن قتل فجرير بن عبد الله فإن قتل فالمغيرة ابن
شعبة فإن قتل فالأشعث بن قيس وذكر الأشعث في هذا غريب فإن

المعروف من عمر رضي الله عنه أنه لم يستعمل أحدا ممن ارتد ولكن هذا وقع في هذا الحديث والله أعلم

وبعث عمر بالكتاب مع السائب بن الأقرع بن عوف وقال له وإن سلم الله ذلك الجند فقد وليتك مغانمهم
ومقاسمهم فلا ترفعن إلا باطلا ولا تمنعن أحدا حقه وإن هلك ذلك الجند فاذهب فلا أرينك أبدا فقدم السائب
الكوفة فيمن نفر من أهل المدينة وبعث بكتاب أهل البصرة مع عمرو بن معدي كرب فاستنفرهم أبو موسى فنفر
ثلثهم وخرجوا إلى الكوفة عليهم مجاشع بن مسعود وعلى أهل الكوفة حذيفة بن اليمان ثم ساروا جميعا مع من قدم
من أهل المدينة إلى نهاوند وسار النعمان بن مقرن فتوافوا بنهاوند والأعاجم بما ستون ألفا عليهم ذو القعدة وهو ذو
الحاجب وهم بمكان يقال له الاسفيدهان بقرية يقال لها فيديسجان دون مدينة نهاوند بفرسخين وقد خندق الأعاجم
وهالوا في الخندق ترابا قد نخلوه فبعث النعمان طليحة بن خويلد وبكير بن الشداخ فارس أطلال ليعلموا علم القوم
فأما بكير فانصرف فليل له ما درك قال أرض العجم ولم يكن لي بها علم فخفت أن يأخذ علي مضيق أو بعض
جباها ومضى طليحة فأبطأ حتى ساء ظن الناس به فعلم علمهم ثم رجع فلم يمر بجماعة إلا كبروا فأنكر ذلك منهم
وقال ما لكم تكبرون إذا رأيتموني قالوا ظننا أنك فعلت كفعلتك قال لو لم يكن دين لحميت أن أجزر العرب هذه
الأعاجم الطماطم وأخبر الناس بعدة القوم وكثرتهم فقالوا حسينا الله ونعم الوكيل وأقام النعمان أياما حتى استجم

الناس أنفسهم وظهرهم فلما كان يوم الأربعاء من بعض تلك الأيام دنا من عسكر المشركين وقال إن أمير المؤمنين كتب إلي أن لا أقاتلهم حتى أذعوهم فمن رجل يأتيهم بكتابه ومعه في عسكره ممن قدم من المدينة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو الزبير وابنه عبد الله فتواكل الناس فقام المغيرة بن شعبة يتذيل في مشيته وكان آدم طويلا ذا ضفيريين أعور فأخذ الكتاب فأتاهم فقال القوا إلي شيئا فألقوا له ترسا فجلس عليه فقال الترجمان ما أقدمكم فذكر ما كانوا فيه من ضيق المعيشة وقال كنا

أهل جهد وجفاء بين شوك وحجر ومدبر وحية وعقرب يغير بعضنا على بعض فأتينا بلادكم فأصبنا مطعما طيبا وشرابا عذبا وليوسا لينا وطلا باردا فلسنا براجعين إلى ما كنا فيه حتى نصيب حاجتنا أو نموت فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا صدق فقالوا إنكم معشر العرب أرجاس أنجاس وإنما غركم مناخر نبد جوى الأهواز وعوران المدائن الذين لقوكم وإنه ليس ممن ترى إلا فارسي محض اسوار ولولا فساد الأرض لقتلناكم فما حاجتكم التي تريدون أن تصيوها فقرأ عليهم المغيرة كتاب عمر إنا ندعوكم إلى ما دعاكم الله إليه ورسوله أن تدخلوا في السلم كافة فإن فعلتم فأنتم إخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا فإن أبيتم الإسلام فالجزية فإن أبيتم الجزية استصرننا الله عليكم قالوا الآن حين نقرنكم في الجبال فرجع المغيرة فقال للنعمان حبست الناس حتى طمحت أبصارهم أما والله إن لو كنت صاحبها قال ربما كنت فلم يخزك الله ولم تخب ونهض المسلمون للحرب فأقبل ذو الحجاب على بردون أمام العجم فقالوا انزلوا بالطائر الصالح الذي نصرتم به على الأمم وهزمون به العرب فيرز له رجل من المسلمين فقتله ذو الحجاب وثمانجوا واقتتلوا حتى كثرت بينهم القتلى والجرحى ثم تحاجزوا وغدا المشركون غداة الخميس من غد يجرون الحديد ويسحبون الدروع وغدا المسلمون على راياتهم فقدم رجل من العجم قد أعلم بعصابة فيها جواهر أمام أصحابه فحمل عليه أوفى بن سبرة القشيري فقتله وسلبه فنقله النعمان وسلبه وحمل المشركون فنلقاهم المسلمون فاقتتلوا حتى صبغت الدماء ثنن الخيل وتحاجزوا عند المساء فبات المسلمون يوقدون النيران ويعصبون بالخرق لهم أنين من الجراح ودوي بالقرآن كلوي النحل وبات المشركون في المعازف والخمور وبهم من الجراح مثل ما

بالمسلمين وأصبحوا يوم الجمعة فأقبل النعمان معلما ببياض على بردون قصير عليه قباء أبيض مصقول وقلنسوة بيضاء فوقف على الرايات فحضهم وقال يا معشر المسلمين إن هؤلاء قد أخطروا لكم دنيا وأخطرتهم لهم أخطارا أخطورا لكم دنيا وأخطرتهم لهم الإسلام فالله الله في الإسلام أن تحذلوه فإنكم أصبحتم بابا بين المسلمين والمشركين فإن كسر الباب دخل على الإسلام ليشغل كل امرئ منكم قربه ولا يخلفه على صاحبه فإنه لوم وخذلان ووهن وفشل إني هاز الراية فإذا هزتها فليأخذ الرجال همأينها في أحقيتها وشسوعها في نعالها وليتعهد أصحاب الخيل أعنتها وحزمها فإذا هزتها الثانية فليعرف كل امرئ منكم مصوب رمح وموضع سلاحه ووجه مقاتله فإذا هزتها الثالثة وكبرت فكبروا واستصروا الله واذكروه فإذا حملت فاحملوا فقال رجل من أهل العراق قد سمعنا مقاتلك أيها الأمير فحن واقفون عند قولك منتهون إلى رأيك فأبي النهار أحب إليك أوله أم آخره قال آخره حين تهب الرياح وتحل الصلاة وينزل النصر لمواقيت الصلاة فأمهل الناس حتى إذا زالت الشمس هز الراية ففضى الناس حوائجهم وشدت الرجال مناطقها ونزع أصحاب الخيل المخالي عن خيلهم وقرطوها وأعنتها وشلوا حزمها وتأهبوا للحرب ثم امهل حتى إذا كان في آخر الوقت هزها فصلى الناس ركعتين وجال أصحاب الخيل في متونها وصوبوا رماحهم فوضعوها بين آذان خيولهم وأقبلت الأعاجم على براذينهم عليهم الرايات المدبجة والمناطق المذهبة ووقف ذو

الحاجب على بغلة فلقد رأى الأعاجم وهم في علقم وإن لإقدامهم في ركبهم لزلزلة وإن الأسوار ليأخذ النشابة فما يسدد الفوق للوتر وما يتمالك أن يضعها على قوسه فقال النعمان يا معشر المسلمين إني هاز الراية وحامل فاحملوا ولا يلوي احد على أحد وإن قيل قتل النعمان فلا يلوي علي أحد وأنا داع بدعوة فعزمت على كل رجل منكم إلا أمن ثم قال اللهم اعط النعمان اليوم الشهادة في نصر المسلمين وافتح عليهم ثم نثل درعه

وهز الراية وكبر فكبر الأديني فالأديني ممن حوله حتى غشيهم التكبير من السماء و صوب رايته كأنها جناح

طائر وحمل وحمل الناس فكان أول صريع رحمه الله ومر به معقل بن يسار فذكر عزمته ألا يلوي أحد علي فجعل علما عنده ومر أخوه سويد بن مقرن أو نعيم فألقى عليه ثوبا لكي لا يعرف ونصب الراية تقطر دما قد قتل بها قبل ان يصرع وسقط ذو الحاجب عن بغلته فانشق بطنه وانهمز المشركون فأتبعوهم يقتلونها كيف شاءوا فقال بعض من حضر ذلك اليوم إني لقي الثقل فتارت بيننا وبين القوم عجاجة قسطنطينية فجعلت أسمع وقع السيوف على الهام ثم كشفت فإذا المسلمون يتبعونهم كالذباب يتبع الغم فأتبعتهم طائفة من المسلمين حتى دخلوا مدينتهم ثم رجعوا وحوى المسلمون عسكرهم ورجع معقل بن يسار إلى النعمان بعد انهزام المشركين ومعه أداة فيها ماء فغسل التراب عن وجهه فقال من أنت قال معقل بن يسار قال ما فعل الناس قال فتح الله عليهم قال الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر وفاضت نفسه فاجتمع الناس وفيهم ابن الزبير وابن عمر فأرسلوا إلى أم ولده فقالوا أعهد إليك عهدا فقالت هاهنا سفظ فيه كتاب فأخذه فإذا كتاب عمر إلى النعمان إن حدث بك حدث فالأمير حذيفة فإن قتل ففلان فإن قتل ففلان فتولى أمر الناس حذيفة فأمر بالغنائم فجمعت ثم سار إلى مدينة نهاوند وقد حملت الغنائم إلى عسكرهم وحصر أهل المدينة وقتلوهم فبيناهم يطاردونهم إذ لحق سماك بن عبيد عظيما من عظمائهم يقال له دينار فسأله الأمان فأمنه وأدخله على حذيفة فصالحه عن البلد على ثمانمائة ألف وشيء من العسل والسمن وقال إن لكم لوفاء بالعهد وأخاف عليكم حمسة أشياء الحب والبخل والغدر والخيلاء والقجور وأخاف أن يأتيكم الخب من قبل النبط والخيلاء من قبل الروم والبخل من قبل فارس والقجور والغدر من قبل أهل الأهواز وأتى السائب ابن الأقرع دهقان وقد جمعت الغنائم فقال له أتؤمنني على دمي ودماء قرابتي وأذلك على كنز النخير جان ثم تجلبوا عليه في الحرب فيقسم وتجري عليه السهام ولم يجرزوه بجزية أقاموا عليها وإنما هو دفين دفنوه

وفروا عنه فتأخذه لصاحبكم يعني عمر رضي الله عنه تحصه به قال أنت آمن إن كنت

صادقا قال فأنهض معي فنهض معه فاتتهى إلى قلعة فرفع صخرة ودخل غارا فاستخرج سفتين فإذا قلائد منظومة بالدرر والياقوت وقرطة وخواتم وتيجان مكللة بالجوهر فأمنه ثم أتى به حذيفة فأخبره فقال اكنمه فكنمه حتى قسم الغنائم بين الناس وعزل الخمس ثم خرج السائب مسرعا فقدم على عمر فقال له عمر ما وراءك فوالله ما نمت هذه الليلة إلا تغررا وما أتت علي ليلة بعد الليلة التي أصبح فيها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ميتا أعظم من هذه الليلة قال أبشر بفتح الله ونصره وحسن قضائه لك في جودك ثم اقتص الخبر حتى انتهى إلى قتل النعمان فقال إنا لله يرحم الله النعمان ثم مه قال ثم والله ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه قال لا أم لك ولا أب قتل الضغفاء الذين لا يعرفهم عمر ابن أم عمر وأكب طويلا وبكى ثم قال أصيبوا بمضيعة قال لا ولكن أكرمهم الله بالشهادة وساقها إليهم فقال ويحك أغلبتم على أجساد إخوانكم أم دفنتموهم قال دفنناهم قال فأعطيت الناس حقوقهم قال نعم قال فنهض عمر فأخذ السائب بثوبه وقال حاجة قال ما حاجتك إذ أعطيت الناس حقوقهم قال حاجة لك وإليك

فجلس فجر السائب الغرارة فأخرج السفطين ففتحهما ونظر إلى ما فيهما كأنه النيران يشب بعضها بعضا فقال عمر ما هذا فأخبره فدعا عليا وعبد الله بن أرقم وغيرهما ففتحوا على السفطين وقال له اختم معك فختمته وقال لعبد الله بن أرقم ارفعه ورجع السائب فرأى عمر ليالي كالحيات يردن ههشه فسرح رجلا وكتب إلى السائب إن صادفك رسولي في الطريق فلا تصلن إلى أهلك حتى تأتيني وإن وصلت إلى أهلك فعزمة مني إليك إذا قرأت كتابي أن تشد على باب راحلتك وتقبل إلي وكتب إلى عمار لا تضعن كتابي حتى ترحل إلى السائب وأمر الرسول أن يعجله فقدم الرسول فقال له السائب أبلغه عني شيء أم به على سخطة قال ما رأيت ذلك ولا أعلمه بلغه عنك خير ولا شر وركب فقدم على عمر فقال له يا ابن أم مليكة يا ابن الحميرية ما لي ولك أم مالك ولي ثكلتك أمك مالذي جنتني به فلقد

بت مما جنتني به مروعا أظن

الحيات تنهشني أخبرني عن السفطين قال والله لئن أعدت عليك الحديث فزدت حرفا أو نقصت حرفا لا كاذب قال إنك لما انصرفت فأخذت مضجعي لمنامي أنتني الملائكة فأوقدوا علي سفطيك حمرا ودفعوها في نحري وأنا أنكص وأعاهلهم أن أردهما فأقسمهما على من أفاءهما الله عليه فكاد ابن الخطاب يحترق ثم لم أزل مروعا أظن الحيات تنهشني فأردد هذين السفطين فبعهما بعتاء الذرية والمقاتلة أو بنصف ذلك وأقسم ثنهما على من أفاءهما الله عليه وقال بعضهم قال له بعهما واجعل ثنهما في أعطية المسلمين بالبصرة والكوفة فإن خرج كفافا فذاك وإن فضل فاجعله في بيت مال المسلمين

فقدم السائب بما فاشترهما عمرو بن حريث بعتاء الذرية والمقاتلة وقال بعضهم اشتراهما بأعطية أهل المصريين فباع أحدهما من أهل الحيرة بما أخذهما به واستفضل الآخر وقال بعضهم استفضل مائة ألف دينار فكان أول مال أعتقده

قال وكان النخبرجان تحصن في قلعة من قلاع نهاوند ومعه مائة امرأة من نساء الأساورة ومعه حلية كثيرة من كنز كسرى فصالحه حذيفة على ما كان معه وافتح حذيفة رساتيق مما يلي أصبهان وكان أهل نهاوند قد حفروا خندقا وهالوا فيه ترابا متحولاً فلما انهزموا جعلوا يسقطون لك الخندق ويغرقون في ذلك التراب

وكان يقال لفتح نهاوند فتح الفتح

وذكر المدائني أيضا عن موسى بن عبيدة عن أخيه قال قلمت البصرة فرأيت بها شيخا أصم فقلت ما أصابك قال أنا من أهل نهاوند فنزل المسلمون يعني عنلما نزلوا عليها فكبروا تكبيرة ذهب سمعي منها

وذكر الطبري فيما ذكره من الأخبار المختلفة في هذه الواقعة عن سيف عن أبي بكر الهذلي نحوه من هذا الحديث وزاد فيه أشياء وخالفه في أماكن منه منها أن النعمان بن مقرن عندما أمره عمر رضي الله عنه على هذه الحرب في هذا الوجه كان يومئذ بالبصرة ومعه قواد من قواد أهل الكوفة قد أمد بهم عمر رحمه الله أهل البصرة عند انتفاض الهرمزان فافتتحوا رامهرمز وايدج واعانوهم على تستر وجندي سابور والسوس فكتب إليه عمر إنني قد وليتك حربهم يعني الأعاجم الذين اجتمعوا بنهاوند فسر من وجهك هذا حتى تأتي ما فيني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافقك بما فإذا اجتمع إليك جندك فسر إلى الفيرزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم واستصر الله وأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله وإن حدث بك حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن

وفي حديثه أنه لما استحث أهل الكوفة كان أسرعهم إلى ذلك الوجه الروادف ليلوا في الدين وليدركوا حظا وأن حذيفة بن اليمان خرج بأهل الكوفة أميرا عليهم بأمر عمر حتى ينتهي إلى النعمان وخرج معه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان بالطرز وجعلوا بمرج القلعة خيلا عليها النسيسر وكتب عمر رحمه الله إلى سلمى بن القين وحرملة بن مريطة ورز بن كليب والمقرب بن ربيعة والقواد الذين كانوا بين فارس والأهواز ان اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري وبعث مجاشع بن مسعود إلى الأهواز وقال له أفصل منها على ما فعلوا ما أمرهم به وقطعوا بذلك على أهل نهاوند أمداد فارس

وفيه أن النعمان لما أتاه طليحة بخبر نهاوند وأعلمه انه ليس بينه وبينها

أحد ولا شيء يكرهه وقد توافى إليه أمداد المدينة نادى عند ذلك بالرحيل وبعث إلى مجاشع أن يسوق الناس وسار النعمان على تعبته وعلى مقدمته أخوه نعيم وعلى مجنبيه أخوه سويد وحذيفة بن اليمان وعلى الجردة القعقاع وعلى الساقفة مجاشع فانتهوا إلى الأسيذهان والفرس به وقوف على تعبتهم أميرهم الفيرزان وقد توافى إليه بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس فلما رأهم النعمان كبر ثلاثا وكبر الناس معه فزلزلت الأعاجم وأمر النعمان وهو واقف بحط الأتقال وبضرب الفسطاط فضرب وهو واقف بحط الأتقال وبضرب الفسطاط وهو واقف وابتدره أشراف أهل الكوفة وأعيانهم فسبق إليه عدة منهم سابقوا أكفاءهم فسبقوهم وهم أربعة عشر رجلا حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الحصاصية وحنظلة بن الربيع الكاتب وابن الهدير وربيع بن عامر وعامر بن مطر وجريير بن عبد الله الحميري وجريير الجلي والأشعث ابن قيس والأقرع بن عبد الله الحميري وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وأنشب النعمان القتال فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في ذلك سجال ثم انحجزوا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله والأعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فاشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول أمرهم وأحبوا المناجزة فتجمع أهل الرأي من المسلمين وأتوا النعمان في ذلك فوافقوه تروي في الذي روي فيه فقال على رسلكم لا تبرحوا ثم بعث إلى من بقي ممن لم يأت من أهل النجدات والرأي في الحرب فوافقوا إليه فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على إنغاضهم وانبعاثهم قبل مشيتهم وهم يرون ما المسلمون فيه من التضايق فما الرأي الذي به نحمشهم ونستخرجهم إلى المناجزة

فقال بعض المسلمين التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا إنا لعلى يقين من إنجاز ربنا موعدة فما لنا وللمطاولة حتى لا نجد منها بدا وتكلم عمرو بن معدي كرب يومئذ فلم يوافقهم قوله الذي قال وردوه عليه وقال طليحة أما انا فأرى أن نبعث خيلا مؤدية فيحذقوا بهم ثم يراموهم ليحمشوهم وينشوا القتال فإذا استحمشوا واختلطوا بهم أرزت إلينا خيلنا تلك استطرادا فإننا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم وإنما فعلنا ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادونا وجادناهم حتى يقضي الله فينا وفيهم ما أحب فأمر النعمان القعقاع صاحب الجردة بذلك ففعل وأنشب القتال فأغضهم فلما خرجوا نكص ثم نكص ثم نكص

فاغتمتها الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الأبواب وجعلوا يركبون القعقاع حتى أرسوا إلى الناس وانقطع القوم من حصنهم بعض الانقطاع والنعمان والمسلمون على تعبتهم في يوم الجمعة وفي صدر النهار وقد عهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يثفتونهم حتى

أفشوا فيهم الجراحات وشكا الناس ذلك بعضهم إلى بعض ثم قالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما لقي الناس فما تنتظر بهم أنذن للناس في قتالهم فقال النعمان رويدا رويدا تروا أمركم فقال المغيرة لو أن هذا الأمر إلي علمت ما أصنع فقال النعمان رويدا ترى أمرك فقد كنت تلي الأمر فتحسن ولا يخذلنا الله وإياك ونحن نرجوا من المكث مثل الذي ترجوا في الحث وجعل النعمان ينتظر بالكاتب أحب الساعات كانت إلى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في القتال أن يلقي فيها العدو وذلك عند الزوال وتفيؤ الأفياء ومهب الأرواح فلما كان قريبا من تلك الساعة تحشش النعمان وسار في الناس على بردون أحوى قريب من الأرض فجعل يقف على كل راية فيحمد الله عز وجل ويثني عليه ويقول قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور وقد أنجز لكم هوادي ما وعدكم وصدروه وإنما بقيت اعجازه وأكارعه والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله واذكروا ما مضى إذ أنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزكم والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم فأما ما أخطروا لكم فهذه الزينة وما ترون من هذا السواد وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ولا سواء ما أخطرتم وأخطروا فلا يكونن على دينهم أحمى منكم على دينكم وأتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء فإنكم بين خيرين تنتظرون إحدى الحسينيين من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير فكفى كل رجل ما يليه ولم يكمل قرنه إلى أخيه فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثا فإذا كبرت الأولى فليتها من لم يكن تمياً فإذا كبرت الثانية فليجمع عليه رداءه

وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معا اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك

وفي رواية انه قال اللهم إني أسألك أن تقر عيني بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضني بعد ذلك على الشهادة أمنوا يرحمكم الله فأمننا وبكينا

فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف رجع إلى موقفه فكبر الأولى والثانية والثالثة والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة ينحى بعضهم بعضا عن سننه وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقضاض العقاب فالتقوا بالسيف فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعه يوم قط كانت أشد منها قتالا فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ما طبق أرض المعركة دما يزلق الناس واللواب وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء منهم النعمان أميرهم زلق فرسه في الدماء فصرعه فأصيب عند ذلك رحمه الله وتناول الراية منه قبل أن تقع أخوه نعيم بن مقرن وسجى النعمان بثوب وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه وكان اللواء مع حذيفة وقال المغيرة اكنموا مصاب أميركم حتى نلظ ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا حتى إذا أظلم الليل عليهم انكشف المشركون وذهبوا والمسلمون مظلون بهم فعمرى على المشركين فصلهم فتركوه وأخلوا نحو اللهب وهو الخندق الذي كانوا انزلوا دونه فوقعوا فيه فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل منهم في

المعركة وهم أعداد الذين هوروا ولم يفلت إلا الشريد ونجا الفيرزان من بين الصرعى في المعركة فهرب نحو همدان في ذلك الشريد فأتبعهم نعيم بن مقرن وقدم القعقاع فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان والثنية مشحونة من بغال وحمير موقورة عسلا فحبسه

على أجله فقتله على الثنية بعدما امتنع لم يزل يتوقل في الجبل لما غشيه إذ لم يجد مساعا وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه واستاق العسل وما خالطه من سائر الأحمال فأقبل به وسميت تلك الثنية بذلك ثنية العسل وقال القعقاع في ذلك

قولا لأصرام بأكناف الجبل

بأن لله جنودا من عسل

تقتل أحيانا بأسياف الأجل

الرجز

ومضى القلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان فدخلوها والخيل في آثارهم فنزلوا عليها وحووا ما حولها فلما رأى ذلك خسروشنوم استامتهم على ان يضمن لهم همدان ودستبي وأن لا يؤتي المسلمون منهم فقبل المسلمون ذلك وأجابوا إليه وآمنوهم فأقبل كل من كان هرب ولما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو اقتلوا بخسروشنوم فراسلوا حذيفة فأجابه إلى ما طلبوا فأجمعوا على إتيانه فخدعهم دينار وكان ملكا إلا انه كان دون أولئك الملوك وأتى إلى المسلمين في الديباج والحلي فأعطاهم حاجتهم واحتمل لهم ما أرادوا فعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته والدخول في أمره فقبل لأجل ذلك ما دينار فنسبت إليه وذهب حذيفة بها وكان النعمان بن مقرن قد عاهد بهراذان على مثل ذلك فقبل ما بهراذان فنسبت إليه لأجل ذلك ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فحاصرها فافتتحها فنسبت إلى النسير وفي غير هذا الحديث أن أهل نهاوند خرجوا ذات يوم على المسلمين فلم

يلبثهم المسلمون أن هزموهم وتبع سماك بن عبيد العنسي رجلا منهم معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم فلم يبرز له أحد منهم إلا قتله حتى أتى عليهم ثم حمل الفارسي الذي كانوا معه فأسره سماك وأخذ سلاحه ووكل به رجلا فقال اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية واسألني أنت عن أسارك ما شئت وقد مننت علي إذ لم تقتلني وإنما انا عبدك الآن وإن أدخلتني على الملك فأصلحت ما بيني وبينه وجدت لي شكرا وكنت لي أحافخلى سبيله وآمنه وقال من أنت قال أنا دينار والبيت يومئذ في آل قارن فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل وصالحه على الخراج فنسبت إليه ما فكان بعد يواصل سماكا ويهدي له ويوافي الكوفة فقدمها في إمارة معاوية مرة فقال للناس يا معشر أهل الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم تكن فيكم واحدة منهن فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم فعلمت من أين أتى ذلك وإذا الخب من قبل الببط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الأهواز

وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة وغيره ولأهل المسالخ جميعا من فيء نهاوند مثل الذي قسم لأهل المعركة لأهم كانوا رداء للمسلمين وكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ونقل حذيفة من الأحماس من

شاء من أهل البلاء ودفع ما بقي منها إلى السائب فخرج بها إلى عمر وتململ عمر رضي الله عنه تلك الليلة التي كان قدر لملافاقم وجعل يخرج ويلتمس الخبر فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلا لحق به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة فقال له الرجل يا عبد الله من أين أقبلت فقال من نهاوند فقال الخبر قال فتح الله على النعمان واستشهد واقسم المسلمون فيء نهاوند فأصاب الفارس منه ستة آلاف وطواه الراكب حتى انغمس في المدينة فلما أصبح الرجل تحدث بحديثه ونمى الخبر حتى بلغ عمر رحمه الله وهو فيما هو فيه فأرسل إليه فسأله فأخبره فقال صدق وصدقت هذا غيثم يريد الجن وقد رأى بريد الإنس فقدم بعد ذلك عليه بالفتح طريف بن سهم أخو ربيعة بن مالك وقدم السائب على أثره بالأحاس

وذكر من حديث السفطين قريبا مما تقدم في الحديث الآخر إلا انه ذكر فيه أنه صرف معه السفطين من فوره وقال له النجاء النجاء عودك على بدنك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه وانه أصاب الفارس منها لما باعهما حذيفة وقسم ثمنهما أربعة آلاف

وفي بعض ما ذكره الطبري عن سيف عن شيوخه أن انبعاث الأعاجم للاجتماع بنهاوند كان بلؤه في زمان سعد بن أبي وقاص بالكوفة وإليه بلغ الخبر فأعلم به عمر ثم انبري لسعد قوم تشكوا منه ظالمين له إلى عمر أحلهم الجراح بن سنان الأسدي فاستقدمه عمر مع محمد بن مسلمة بعد ان وجه محمدا لسؤال أهل الكوفة عنه والطواف به على مساجدها فكلهم يقول إذا سئل لا نعمم إلا خيرا ولا نشتهي به بدلا إلا الجراح وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون يتعمدون ترك الثناء ولا يسوغ لهم قول الشر حتى انتهوا إلى بني عيس فقال محمد أنشد الله رجلا علم حقا إلا قاله فقال أسامة بن قتادة اللهم إذ نشدنا فإنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية فقال سعد اللهم إن كان قالها كاذبا رياء وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمي واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بجبر المرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا غير عليه يقول دعوة سعد الرجل المبارك ثم أقبل سعد يدعو على أولئك النفر الذين انبروا له وخرجوا إلى عمر متشكين به فقال اللهم إن كانوا خرجوا اشرا وبطرا وكذبا فأجهد بلاءهم ففعل الله ذلك

بهم فقطع جراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتاله بسباط وشدخ قيصه بالحجارة وقتل أريد بالوجه وبنعال السيوف وقال سعد والله إني لأول رجل هراق دما في المشركين ولقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلي ولقد رأيتني خمس الإسلام وبنو أسد تزعم أنني لأحسن أصلي وأن الصيد يلهيني وخرج محمد بن مسلمة به وبهم حتى قدموا على عمر فقال يا سعد ويحك كيف تصلي فقال أطيل الأولين وأحذف الآخرين فقال هكذا الظن بك ثم قال لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيننا ثم قال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتيان فأقره عمر واستعمله

قال فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد وأما الوقعة ففي زمان عبد الله

وكان من حديثهم أنهم نفرؤا لكتاب يزدجرد فتوافوا إلى نهاوند مائة وخمسين ألف مقاتل واجتمعوا على الفيروزان وإليه كانوا توافوا ثم قالوا إن محمدا الذي جاء العرب بالدين لم يغرض غرضا يريدون النبي ص قالوا ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرض غرض فارس إلا في غارة تعرض لهم فيها وإلا فيما يلي بلادهم من السواد ثم ملك عمر فطال ملكه وغرض حتى تناولكم وانقضكم السواد والأهواز وأوطأها ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس في عقر

دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوه وقد أخذ بيت مملكتكم فاقبحم بلاد ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتقلعوا هذين المصريين ثم تشغلوه في بلاده وقراره فتعاهدوا على ذلك وتعاقبوا وكتبوا بينهم به كتابا وبلغ الخبر سعدا فكتب به إلى عمر ثم لقيه بالخبر مشافهة لما شخص إليه وقال إن أهل الكوفة يستأذنونك في الإنسيح إليهم ومبادرتهم الشدة وكان عمر منعهم من الإنسيح في الجبل ثم كتب إليه عبد الله بن عبد الله بن اجتماع منهم وقال إن جأونا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة وإن نحن عاجلناهم كان لنا ذلك عليهم وبعث بكتابه مع قريب بن ظفر العبدي

فلما قرأ عمر الكتاب قال للرسول ما إسمك قال قريب قال ابن من قال ابن ظفر فتفاءل إلى ذلك وقال ظفر قريب إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ونودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحينئذ وافاه سعد فتفاءل أيضا إلى سعد بن مالك وقام عمر على المنبر خطيبا فأخبر الناس الخبر واستشارهم وقال هذا يوم له ما بعده من الأيام ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ثم أجيبوني وأجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشع بكم الأمور ويلتوي عليكم الرأي أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا واسطا بين المصريين فأستنفرهم ثم آكون لهم رداء حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب فقام عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا لا نرى ذلك ولكن لا يغيين عنهم رأيك وأمرك ويازائهم وجوه العرب وفسائهم وأعلامهم ومن قد فض جمعهم وقتل ملوكهم وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذا وإنما استأذنونك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع لهم فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي وفهموا ما كتب به إليك وإن هذا الأمر لم يبن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا لقلته هو دينه الذي أظهر وجده الذي أعز وأمهه باللائكة حتى بلغ ما بلغ ونحن على موعود من الله سبحانه والله منعز وعده وناصر جنده ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن إنحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم تجتمع مجدافيره أبدا والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالإسلام فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤسائهم ومن لم يحفل بمن هو أجمع من هؤلاء وأحد وأجد فليأتهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم فسر عمر رحمه الله بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم وقام سعد فقال خفض عليك يا أمير المؤمنين فإنهم إنما جمعوا لنقمة نازلة بهم

وبالوقوف على ما أثبتناه من الأخبار عن هذه الواقعة يعرف ما اتفقت عليه وما اختلفت فيه وقد حذفنا منها ما قدرنا الاستغناء عن إيرادها مما لعل في بعضه زيادة في الخلاف وذكر المدائني أن وقعة نهاوند كانت في سنة إحدى وعشرين وذكر الطبري أنها كانت في أول سنة تسع عشرة لست سنين من إمارة عمر رضي الله عنه وذكر أيضا عن سيف عن شيوخه ما كتب به النعمان بن مقرن من الأمان لأهل ماه بمراذان وحذيفة لأهل ماه دينار وكلا الكتابين موافق للآخر لفظا ومعنى وكتاب النعمان بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى نعمان بن مقرن أهل ماه بمراذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم لا يغيرون على ملتهم ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرسلوا ابن السبيل

وأصلحوا الطرق وقرروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوماً وليلة ووفوا ونصحوا فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد عبد الله بن ذي السهمين والقعقاع بن عمرو وجريير بن عبد الله وكتب في الحرم سنة تسع عشرة قالوا وألحق عمر رضي الله عنه من شهد هاوند من الروادف فأبلى بلاءاً حسناً فاضلاً في ألفين ألحقهم بأهل

القادسية

وقال القعقاع بن عمرو في ذلك
جدعت على الماهات آناف فارس
لكل فتى من صلب فارس حادر
هتكت بيوت الفرس لما لقيتهم
وما كل من يلقي الحروب بتائر
حبست ركاب الفيرزان وجمعه
على قتر من حرها غير فاتر
هدمت به الماهات والدرب بعتة
إلى غاية أخرى الليالي الغواير

الطويل

وقال أبو مجيد في ذلك
لو أن قومي في الحروب أذلة
لأخث عليهم فارس في الملاحم
ولكن قومي أحرزتم سيوفهم
فأبوا وقد عادوا حواة المكارم
أبيننا فلم نعط الظلامة فارسا
ولكن قبلنا عفو سلم المسلم
ونحن حبسنا في هاوند خيلنا
لشر ليال أتتجت للأعاجم
نتجن لهم فينا وعضل سخلها
غداة هاوند لإحدى العظام
ملأن شعابا في هاوند منهم

رجالا وخيلا أضرمت في الضرائم
وأركضهن الفيرزان على الصفا
فلم ينجح منا إنفساح المخارم

الطويل

ذكر الإنسيح في بلاد فارس وعمل المسلمين به بإذن عمر رضي الله عنه فيه بعد منعه إياهم وما تبع ذلك من الفتح في بقية خلافته وقتال الترك والديلم وغيرهم

ولم يزل عمر رضي الله عنه ينهى المسلمين عن الإنسيح في بلاد فارس ويأمرهم بالإقتصار على ما في أيديهم والجد في القتال من قاتلهم نظرا للإسلام واحتياطاً على أهله وإشفاقاً ولا يزال أهل فارس يجهدون بعد كل نيل منهم وهزيمة تأتي على جموعهم في إنباعث جموع آخر رجاء الإستدراك لما قد أذن الله في إقامته والإبقاء من أمرهم لما سبقت المشيئة بزواله واستيلاء الإسلام عليه وعلى سواه تتميماً لنوره وإنجازاً لموعود رسوله الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

وكان بعض أهل الذمة الذين قهرهم الإسلام على الصلح وأقرهم على الجزية ينتقصون عند تحرك أهل فارس فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفد أهل البصرة ع - ن ذلك وهل يفضي للمسلمون إلى أهل الذمة بأذى أو بأمر لها ينتقصون فقالوا لا نعلم إلا وفاء وحسن ملكه قال كيف هذا فلم يجد عند أحد منهم شيئاً يشفيه ويصر به ما يقولون إلا ما كان من الأحنف بن قيس فإنه قال يا أمير المؤمنين أخبرك انك نهيتمنا عن الإنسيح في البلاد وامرتنا بالإقتصار على ما كان في أيدينا وان ملك فارس حي بين أظهرهم وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا

بانعائهم وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فسيح في بلادهم حتى نزله عن فارس ونخرجه من مملكته وعن أمته فهناك ينقطع رجاء أهل فارس فقال صدقتني والله وشرحت لي الأمر عن حقه وأذن عمر عند ذلك في الإنسيح وانتهى إلى رأي الأحنف وعرف فضله وصدقه ورأى أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حرباً إن لم يأذن للناس في الإنسيح في أرض العجم ورأى أن يزدجرد على ما كان في يدي كسرى فوجه عمر رضي الله عنه الأمراء من أهل البصرة وأهل الكوفة وأمر على كلا المصريين أمراء أمرهم بأمرهم وأذن لهم في الإنسيح ففسح وبعث بألويه من ولي مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الأشهل فقدم سهيل البصرة بالألوية فدفق لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس ولواء أردشير خرة وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي ولواء اصطخر إلى عثمان بن أبي العاص ولواء فساوذر الجرد إلى سارية بن زنيمة الكناني ولواء كرمان مع سهيل بن عدي ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو ولواء مكران إلى الحكم بن عمرو التغلبي فعمسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور وذلك في سنة سبع عشرة في بعض ما ذكره الطبري عن سيف عن شيوخه قالوا فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشر

وذكر الطبري أيضاً عن سيف أن إذن في الإنسيح إنما كان فتح نهاوند وهذا لا يكون إلا في سنة تسع عشرة أو بعدها على ما ذكرنا من الاختلاف في فتح نهاوند

وذكر أيضاً أنه قدمت الألوية من عند عمر رحمه الله إلى نهر بالكوفة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن وأمره بالمسير نحو همدان وكان أهلها كفروا بعد الصلح الذي تقدم ذكره بعد هزيمة فارس بنهاوند

وقال له إن فتح الله عليك فما وراءك لك في وجهك كذلك إلى خراسان وبعث عقبة بن فرقد وبكير بن عبد الله وعقد لهما على أذربيجان وفرقها بينهما وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان على يمينتها والآخر أن يأخذ إليها من الموصل على يسرها فتيامن هذا عن صاحبه وتياسر هذا وبعث إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان بلواء وأمره أن يسير إلى أصبهان وكان شجاعاً بطلاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار وأمه بأي موسى من البصرة وأمر مكانه على البصرة عمر بن سراقه وكان عبد الله خليفة سعد على الكوفة عندما توجه إلى عمر فأقره عمر مستعملاً عليها ثم صرفه عنها بزياد بن حنظلة وكتب إليه عندما أراد توجيهه إلى أصبهان أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن

فاندبهم ولا تتخبهم ثم اكتب إلي بذلك فلما أتى إلى عمر إنبعث عبد الله بعث حينئذ زياد بن حنظلة على الكوفة فلما آتاه إنبعث الجنود وإنسيحهم أمر عمار بن ياسر على الكوفة وقرأ قول الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (٥ القصص)

ويروى ان زيادا ألح على عمر في الإستعفاء بعد ان عمل قليلا فأعفاه وولي عمارا وكان زياد من المهاجرين ولما بعث عمر رضي الله عنه عمارا على الكوفة بعث عبد الله بن مسعود ليعلم الناس وكتب إلى أهل الكوفة إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب محمد {صلى الله عليه وسلم}

وفي رواية ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان ابن حنيف القرات وما سقى

وسنذكر إن شاء الله الجهات والكور التي عقد عليها عمر رضي الله عنه الأولوية لمن ذكر قبل من أمرائه جهة جهة وبلدا بلدا غير متقلدين في ذلك تاريخا ولا متبرئين فيه من عهده الخطأ في تقديم مؤخر أو تأخير مقدم لكثرة ما بين أهل الأخبار في ذلك من الاختلاف الذي لا يتحصل معه حقيقة سوى المقصود من صنع الله لأوليائه في إظهار كلمة الإسلام ونصره إليهم على كل من ناوهم من الأمم تتميما لأمره وإنجازا لموعوده وتصديقا في كل زمان ومكان لقوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠ التوبة)

ذكر الخبر عن أصبهان

فأما أصبهان فإن عبد الله بن عبد الله بن عتيان خرج إليها بأمر عمر رضي الله عنه وعلى مقدمته عبد الله بن ورقاء الرياحي وعلى مجنبيه عبد الله بن بديل بن ورقاء الأسدي وليس الخراعي وعصمه بن عبد الله وسار عبد الله في الناس نحو جي وقد اجتمع له أهل أصبهان عليهم الأستدار وعلى مقدمته شهر براز جاذوية شيخ كبير في جمع عظيم فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رستاق أصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء فقتله وانهمز أهل أصبهان وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ فما زال ذلك اسمه بعد ودعى عبد الله من يليه فسارع الأستدار إلى الصلح فصالحه عبد الله ثم سار من رستاق الشيخ نحو جي فانتهى إليها وبها ويومئذ ملك أصبهان الفاذوسفان في جمعه فحاصروهم عبد الله وخرجوا إليه فلما التفتوا قال له ملكهم لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز إلي فإن قتلتك رجع أصحابك وإن قتلني سالمك أصحابي وأن كان أصحابي لا تقع لهم نشابه إلا في رجل فبرز له عبد الله وقال إما أن تحمل علي وإما أن أحمل عليك فقال أحمل عليك فوقف له عبد الله فحمل عليه الفاذوسفان فطعنه فأصاب قربوس السرج فكسره وقطع اللبد والحزام وزال اللبد والسرج فوقع عبد الله قائما ثم استوى على

الفرس عريا وقال له اثبت فحاجزه وقال ما أحب أن أقاتلك فإني قد رأيتك رجلا كاملا ولكن ارجع معك إلى عسكري فأصالحك وأدفع إليك المدينة على أن من شاء أقام وأدى الجزية وقام على ماله وعلى أن تجري مجراهم من أخذتم ماله عنوة ويتراجعون ومن أبي أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه فقال له عبد الله لكم ذلك فرجع القوم إلى جي إلا ثلاثين رجلا من أصبهان خالفوا قومهم فخرجوا فلحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا مدينة أصبهان وإنما وصل إليه أبو موسى من ناحية الأهواز بعد الصلح واغتبط من أقام وندم من شخص

وكتب عبد الله بالفتح إلى عمر فأمره أن يلحق بسهيل بن عدي فيجتمع معه على قتال من بكرمان وأن يستخلف

على أصبهان السائب بن الأقرع ففعل عبد الله ما أمره به وخرج في جريدة خيل فلحق بسهيل قبل أن يصل إلى
كرمان وسيأتي ذكر فتحها بعد أن شاء الله
والكتاب الذي كتبه عبد الله لأهل أصبهان
بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان وما حو اليها إنكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم من الجزية على قدر
طاقتكم كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم ودلالة المسلم وإصلاح طريقة وقراه يوما وليلة وحملان
الراجل إلى مرحلة ولا تسلطوا على مسلم وللمسلمين نصحتكم وأداء ما عليكم ولكم الأمان ما فعلتم فإذا غيرتم
شيئا أو غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلما بلغ منه فإن ضربه قتلناه وكتب وشهد عبد الله
بن قيس وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله

ذكر فتح همذان ثمانية وقاتل الديلم

وقد كان حذيفة اتبع فالة نماوند نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فبلغا همذان فصالحهم خسرو وشنوم على همذان
ودستي فرجعوا عنه ثم أن أهل همذان كفروا بعد وتقضوا ذلك الصلح فكتب عمر رحمه الله إلى نعيم ابن مقرن أن
سر حتى تأتي همذان وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن وعلى مجنبتك ربعي بن عامر ومهلهل بن زيد هذا طائي
وذاك تميمي فخرج نعيم في تعبته فسار حتى نزل مدينة همذان وقد تحصنوا فحاصروهم وأخذ ما بينها وبين جرميدان
واستولى على بلاد همذان كلها فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح على أن يجربهم ومن استجاب له مجرى
واحدا ففعل وقبل منهم الجزاء على المنعة وفرق دستي بين النفر من أهل الكوفة وبين عصمة بن عبد الله الضبي
ومهلهل بن زيد الطائي وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن مخزومة الأسدي وسماك بن خرشة الأنصاري فكان هؤلاء
أول من ولي مسلح دستي وقاتل الديلم
فبينا نعيم في مدينة همذان قي توطئتها في اثني عشر ألفا من الجند تكاتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان ثم خرج
موثا في الديلم حتى ينزل بواج الروذ وأقبل أبو الفرخان في أهل الري حتى انضم إليه وأقبل أخورستم في أهل
أذربيجان حتى انضم إليه وتحصن أمراء مسلح دستي وبعثوا إلى نعيم بالخبر

فاستخلف يزيد بن قيس وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ فاقتتلوا بها قتالا شديدا وقتل القوم
مقتلة عظيمة لم تكن دون وقعة نماوند ولا قصرت ملحمتهم عن الملاحم الكبار وقد كانوا كتبوا إلى عمر رحمه الله
باجتماعهم ففزع عمر واهتم خربهم وتوقع ما يأتيه عنهم فلم يفجأه الا البريد بالبشارة فقال أبشير فقال بل عروة
فلما ثنى عليه أبشير فهم عنه ما أراد فقال بشير فقال عمر رسول نعيم قال رسول نعيم قال الخبر قال البشري
بالفتح والنصر وأخبره الخبر فحمد الله وأمر بالكتاب فقريء على الناس فحمد الله تعالى ثم قدم عليه بالأخماس سماك
بن مخزومة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشة في نفر من أهل الكوفة فنسيهم فانتسبوا له فقال بارك الله فيكم اللهم
أسمك بهم الإسلام وأيدهم بالإسلام ثم كتب إلى نعيم
أما بعد فاستخلف على همذان وأمد بكير بن عبد الله بن سماك بن خرشة وسر حتى تقدم الري فتلقى جمعهم ثم أقم
بها فإنها أوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد
فأقر نعيم يزيد بن قيس على همذان وسار بالناس من واج الروذ إلى الري

وقال نعيم يذكر قتالهم في واج الروذ من أبيات
صلمناهم في واج روذ بجمعنا
غداة رميناهم باحدى القواصم
فما صبروا في حومة الموت ساعة
لجد الرماح والسيوف الصوارم
أصبنا بما موثا ومن لف جمعه
وفيها نهاب قسمها غير عاتم
تبعناهم حتى أووا في شعابهم
نقتلهم قتل الكلاب الحرائم
كأنهم عند انثياب جموعهم
جدار تشظى لبنه للهوادم

الطويل

وقال سماك بن مخزومة الأسدي بعد تلك الأيام
برزت لأهل القادسية معلما
وما كل من يلقي الكريهة يعلم
وقومي بنو عمرو بن نصر كأنهم
أسود بتوج حين شبوا وأسلموا
ويوم بأكناف النخيلة قبلها
لججت فلم ابرح أدمى وأكلم
وأقعص منهم فارسا بعد فارس
وما كل من يغشى الكريهة يسلم
فنجاني الله الأجل وجرأني
وسيف لأطراف المآرب مخنم
وحولي بنو ذودان لايرموني
إذاسرحت صاحوا بهم ثم صمموا
وأيقنت يوم الديلمين أنه

متى ينصرف قومي عن الناس يهزم
محافظة إني امرؤ ذو حفيظة
إذا لم أجد مستأخرا أتقدم
الطويل

فتح الري

وخرج نعيم بن مقرن إلى الري فلقية أبو الفرخان مسالما ومخلفا بالري يومئذ سياتوخش بن مهران بن بهرام وكان سياتوخش قد استمد أهل دنباوند وطبرستان وقرمس وجرجان وقال قد علمتم أن هؤلاء إن حلوا بالري إنه لا مقام لكم فاحتشدوا له فناهدهم للمسلمين فالتقوا بسفح جبل الري الذي إلى جانب مدينتها فاقتتلوا به وقد كان أبو الفرخان قال لنعيم إن القوم كثير وأتم في قلة فابعث معي خيلا أدخل مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يشعروا لك فبعث معه نعيم من الليل خيلا عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بيانا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهمزوا فاقتتلوا مقتلة عدو فيها بالقصب وأفاء الله على المسلمين بالري نحو من فيء المدائن وصالح أبو الفرخان نعيما على أهل الري فلم يزل بعد شرف الري في آله وسقط آل بهرام وأخرب نعيم مدينة الري وهي التي يقال لها العتيقة وأمر أبا الفرخان فبنى مدينة الري الحدباء وكتب لهم نعيم كتابا أعطاهم فيه الأمان لهم ولمن كان معهم من غيرهم على أن على كل حالم من الجزية طاقته في كل سنة وعلى أن ينصحوا ولا يغلوا ولا يسلبوا ويدلوا المسلم ويقروه يوما وليلة ويفخموه فمن سب مسلما أو استخف به نكح عقوبة ومن ضربه قتل ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعته

وأرسل عند ذلك نعيما مردانشاه مصمعان فهاوند في الصلح على شيء يفتدى به من غير أن يسأله النصر والمعونة ففعل ذلك نعيم وكتب له به ولأهل موضعه كتابا على أن يبقى من ولي الفرج من بمائتي ألف درهم في كل سنة

وقال أبو مجيد في يوم الري

ألا هل أتاه أن بالري معشرا

شفوا سقما لما استجاشوا وقتلوا

لها موطنان عاينوا اهلك فيهما

بأيد طوال لم يخنهن مفصل

وخيل تعادي لا هوادة عندها

وزاد وكمت تمتطى ومحجل

ودهم وشقر تنشر البلق بينها

إذا ناهبت قوما وتولوا وأهلوا

قتلناهم بالسفح مثنى وموحدا

وصار لنا فيها مداد ومأكل

قتلنا سياتوخش ومن مال ميله

ولم ينح منهم بالسفوح مؤمل

جزا الله خيرا معشرا عصبوهم

وأعطاهم خير العطاء الذي ولوا

الطويل

وقال أيضا

وبالري إن سألت بنا أم جعفر

فمننا صدور الخيل والخيل تنفر

إذا حذر الأقرام منهن قارح
تفخمه في الموت أعيد أزه
أخو الهيج والروعات إن زفرت به
أناخ إليها صابرا حين يزفر
فتسفر عنها الحرب بعد إنصباها
وفينا البقايا والفعال المسهر
قتلنا بني بهرام لما تتابعوا
على أمر غاويهم وغاب المسور
وبالسفح موتى لا تطير نسورها
لها في سواء السفح مثنى ومغبر
ولولا إلتقاء القوم بالسلم أقفرت بلادهم أو يهربون فيعدروا
خلفناهم بالري والري منزل له جانب صعب هناك معور
الطويل

ذكر فتح قومس وجرجان

فاما قومس فإن عمر رحمه الله كان كتب إلى نعيم بن مقرن حين أعلمه بفتح الري أن قدم سويد بن مقرن إلى قومس
ففصل إليها سويد من الري في تعبته فلم يقم له أحد فأخذها سلما وعسكر بها وكاتب الذين لجأوا إلى طبرستان
منهم والذين أخذوا المفاوز يدعوهم إلى الصلح والجزاء وكتب لهم بذلك كتابا
وأما جرجان فإن سويدا سار إليها فكاتبه ملكها وبدأه بالصلح على أن يؤدي له الجزاء ويكفيه حرب جرجان فإن
غلب أعانه فقبل سويد ذلك منه ثم تلقاه قبل أن يدخل جرجان فدخلها معه وعسكر سويد بها حتى جى إليه
خراجها وسمى فروجها فسلبها بترك دهستان ورفع الجزاء عمن أقام بمنعها وأخذ الخراج من سائر أهلها وكتب
سويد بذلك كتابا لملكها رزيان صول وأهل دهستان وسائر أهل جرجان

ذكر فتح طبرستان

وراسل الأصهبذ سويدا في الصلح على ان يتواعدا ويجعل له شيئا على غير نصره ولا معونة على أحد فقبل ذلك
منه وكتب له

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان أصهبذ خراسان على طبرستان وجبل جيلان إنك
آمن بآمان الله على أن تكف نصرتك وأهل حواشي أرضك ولا تؤوي لنا بغية وتقي من ولي فرج أرضك
بخمسمائة ألف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لأحد منا ان يغير عليك ولا أن يتطوف أرضك ولا
يدخل عليك إلا بإذنك سيبلنا عليكم بالإذن آمنة وكذلك سيبلكم ولا تسألون لنا إلى عدو ولا تغلون فإن فعلتم
فلا عهد بيننا وبينكم

فتح أذربيجان

ولما إفتتح نعيم همذان ثانية وسار إلى الري كتب إليه عمر أن يعث سماك بن خرشة الأنصاري وليس بأبي دجاجة ممدًا
لبكير بن عبد الله بأذربيجان وكان عمر قد فرق أذربيجان بين بكير وبين عتبة بن فرقد وأمر كل واحد منهما
بطريق غير طريق صاحبه فسار بكير حين بعث إليها حتى إذا طلع بحيال جرميدان طلع عليه أسفندياذ بن الفرخازاد
مهزوما من واج روز فكان أول قتال لقيه باكير بأذربيجان فاقتتلوا فهزم الله جند أسفندياذ وأخذ به بكير أسيرا فقال
له الصلح أحب إليك أم الحرب فقال بكير بل الصلح قال فأمسكني عندك فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم
وأراضي لم يقيموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبح والروم ومن كان في حصن تحصن إلى يوم ما فأمسكه
عنده وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن وقدم سماك على بكير وأسفندياذ في إيساره وقد إفتتح ما يليه وافتتح
عتبة بن فرقد ما يليه وتشوفت نفس باكير إلى المضي قدما فقال لسماك إن شئت كنت معي وإن شئت أتيت عتبة
فإني لا أراني إلا تارككما وطالبا وجهها هو أكره من هذا فاستأذن عمر فكتب إليه بالإذن على أن يقدم نحو الباب
وأمره أن أن يستخلف على عمله فاستخلف عتبة على ما افتتح منه ودفع إليه أسفندياذ

فأمر عتبة سماكا على ما استخلفه عليه بكير وجمع عمر رحمه الله أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن
الفرخازاد قد أخذ بطريق عتبة وأقام له في عسكره حتى لحق عتبة فاقتتلوا فهزمهم عتبة وهرب بهرام فلما بلغ الخبر
أسفندياذ وهو بعد في إيسار بكير قال الآن تم الصلح وطفنت الحرب فصالح بكير وأجاب إلى ذلك جميعهم وعادت
أذربيجان سلمًا وكتب عتبة بينه وبين أهلها كتابا إذ جمع له عمل بكير إلى عمله

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها
وجبلها وحواشيها وشعاريها وأهل ملكها كلهم من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وشرائعهم على أن يؤدوا
الجزية على قدر طاقتهم ليس ذلك على صبي ولا على امرأة ولا زمن ليس في يده من الدنيا شيء ولا متعبد متخل
ليس في يديه من الدنيا لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلة ودلالته ومن
حشر منهم في سنة رفع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ
إلى حرزه

حديث فتح الباب

وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سراقة بن عمرو إلى الباب بعد أن رد أبا موسى مكانه إلى البصرة وكان
سراقة يدعى ذا النور وجعل عمر على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على إحدى
مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري وسمى للأخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقة عليه
وكتب إليه أن يلحق به وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة فقدم سراقة عبد الرحمن وخرج في الأثر حتى إذا خرج
من أذربيجان نحو الباب قدم عليه بكير في أدنى الباب فاستدفاً ببكير ودخل بلاد الباب على ما عباه عمر رحمه الله
وكان ملك الباب يومئذ شهربراز رجل من آل شهر براز الملك الذي أفسد بني إسرائيل وأعرى منهم الشام فلما
أطل عليه عبد الرحمن بن ربيعة بالباب كاتبه شهربراز واستأمنه على أن يأتيه فأمنه عبد الرحمن على ذلك فأتاه فقال
إني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغي لذي العقل والحسب أن يعين أمثال هؤلاء ولا
يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ولست من الفتح في شيء
ولا من الأرض وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا اليوم منكم يدي مع أيديكم وصبري معكم فمرحبا بكم
وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم ولكم

النصر والقيام بما تحبون ولا تذلوننا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فقال عبد الرحمن فوقى رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه فسار إلى سراقه فلقيه بمثل ذلك فقال له سراقه قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه ولا بد من الجزاء على من يقيم ولا يهض فقبل ذلك شهر براز وصارت سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن يستنفر من أهل الجزية فتوضع عنه جزية تلك السنة التي استنفر فيها

وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فأجازه وحسنه وليس في تلك البلاد التي في ساحة الجبال نبك لم يقيم الأرمن بما إلا على أوفاز وإنما بما سكان ممن حولها ومن الطراء إستوصلت الغارات نكبها من أهل القرار وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم وجلوا عن قرار أرضهم فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم واكتبوا من سراقه بن عمرو كتابا بالأمان لشهر براز وسكان أرمينية والأرمن على أنفسهم وأموالهم وملتهم لا يضارون ولا ينتقصون وعلى أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والثناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفروا ولكل أمر رآه الوالي صلاحا ناب أو لم ينب على ان توضع على من أجاب إلى ذلك الجزاء ومن استغنى منهم فقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزول يوما كاملا فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به

ثم ان سراقه بن عمرو وجه بعد ذلك بكير بن عبد الله وحيب بن مسلمة وكان عمر أمد به سراقه وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال اخططة بأرمينية فوجه بكيرا إلى موقان وحيبنا إلى تفليس وحذيفة إلى من بجبال اللان وسلمان إلى وجه آخر

وكتب سراقه بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتى عمر أمرا لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه سريعا بغير مؤونة وكان فرجا عظيما به جند عظيم إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ثم يضعون الحرب أو يبعثونها

فلما استوثقوا واستحلوا عدل الإسلام مات سراقه رحمه الله واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة وقد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقه فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكيرا فإنه فض موقان ثم تراجع أهلها على الجزية فقبل منهم وكتب لهم بما وبأمانهم عليها

ولما بلغ عمر رحمه الله موت سراقه واستخلافه عبد الرحمن أقره عمر وأمره بغزو الترك فخرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهر براز ما تريد أن تصنع قال أريد بلنجر فقال شهر براز إنا لنرضى منهم ان يدعوننا من وراء الباب فقال عبد الرحمن لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم وبالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الردم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله { صلى الله عليه وسلم } ودخلوا في هذا الأمر بنية وكانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية قازداد حياؤهم وتكرمهم ولا يزال هذا الأمر دائما لهم والنصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى ينقلوا عن حالهم فعزا عبد الرحمن بلنجر غزاة في زمان عمر رضي الله عنه لم تتم فيها امرأة ولم يتم صبي وبلغت خيله في غزاته البيضاء على رأس ما أتيت فرسخ من بلنجر ثم غزا فسلم ثم غزا غزوات في زمان عثمان رضي الله عنه ثم أصيب عبد الرحمن حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لإستعماله من كان إرتد إستصلاحا لهم فلم يصلحهم ذلك وزادهم فسادا أن سادهم من طلب الدنيا وعضلوا بعثمان رضي الله عنه ورحمه حتى جعل يتمثل

وكنت وعمرا كالمسمن كلبه

فخدشه أنيابه وأضافه

الطويل

وقال سلمان بن ربيعة لما دخل عبد الرحمن بن ربيعة عليهم يعني على الترك حال الله بينهم وبين الخروج عليه وقالوا ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت فتحص نوا منه فرجع بالغنم والظفر وذلك في إمارة عمر ثم لما غزاهم غزوات في زمان عثمان ظفر بهم كما كان يظفر حتى إذا تبدل أهل الكوفة وذكر بعض ما تقدم من استعمال من إرتد وغزاهم بعد ذلك تدمرت الترك وقالوا انظروا وكانوا يقولون أنهم لا يموتون قال فاخففوا لهم في الغياض فرما رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا فاشتد قتالهم وناد مناد من الجو صبرا آل عبد الرحمن وعدكم الجنة فقاتل حتى قتل عبد الرحمن وانكشف المسلمون وأخذ سلمان بن ربيعة الراية فقاتل بها وناد مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان أو ترى جزعا ثم خرج بالناس وخرج سلمان الفارسي وأبو هريرة الدوسي على جيلان فقطعوها إلى جرجان واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن فما زالوا بعد يستسقون به وجعل عثمان رحمه الله يغزيها مع حبيب بن مسلمة

وحدث مطر بن ثلج التيمي قال دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهر براز عنده فأقبل رجل عليه شحوب حتى جلس إلى شهر براز ففساء لا ثم أن شهر براز قال لعبد الرحمن أيها الأمير أتدري من أين جاء هذا الرجل إني بعثته منذ سنتين نحو السند لينظر لي ما حاله ومن دونه وزودته مالا عظيما وكتبت له إلى من يلبني وأهديت له وسألته أن يكتب إلى من وراءه وزودته لكل ملك هدية ففعل ذلك بكل ملك بيني وبينه حين انتهى إليه حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه فكتب له إلى عامله على ذلك البلد فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه فذكر انه أحسن إلى البازيار وقال فتكشرو لي

البازيار فلما انتهينا إذا جيلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعدما استوى بهما وإذا دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده فنظرت إلى ذلك وتفروست فيه ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار على رسلك أكافئك إنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا فيرمى به في هذا اللهب فشرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهوى وانقضت عليها العقاب وقال إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء فخرجت علينا العقبان باللحم في محالبها وإذا فيها ياقوته فأعطانيها وهي هذه فتناولها منه شهر براز وهي حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر إليها ثم ردها إليه فقال شهر براز لهذه خير من هذه البلد يعني الباب وأيم الله لأنتم أحب إلي ملكة من آل كسرى ولو كنت في سلطانهم ثم لغهم خبرها لانزعوها مني وأيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم أو في ملككم الأكبر

فأقبل عبد الرحمن على الرسول وقال ما حال الردم وما شبهه فقال هذا الثوب الذي على هذا الرجل وأشار إلى مطر بن ثلج وكان عليه قباء برود يمنية أرضه حمراء ووشيه أسود أو وشيه احمر وأرضه سوداء فقال مطر صدق والله الرجل لقد نفذ ورأى قال عبد الرحمن أجل ووصف صفة الحديد والصفير وقرأ آتوني زبر الحديد إلى آخر الآية (٩٦ الكهف) وقال عبد الرحمن لشهر براز كم كانت هديتك قال قيمة مائة ألف في بلادتي هذه وثلاثة آلاف ألف وأكثر في تلك البلدان

ذكر مسير يزيدجرد إلى خراسان ودخول الأحنف إليها غازيا

ذكروا ان يزيدجرد لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الري وقد جعل له محمل يطبق ظهر بعيره وكان إذا سار نام ولم يعرس بالقوم فانتهى به إلى مخاضه وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولثلا يفرع إن هو استيقظ إذا خاض البعير به فعنفهم على إنباهه وقال بس ما صنعتم والله لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الأمة إني رأيت أبي ومحمدا يعني النبي {صلى الله عليه وسلم} تناجينا عند الله تعالى فقال له أملككم مائة سنة فقال زدني فقال عشرين ومائة فقال زدني فقال عشرين ومائة فقال زدني فقال عشرين ومائة سنة فقال زدني فقال لك وأنهتموني ولو تركتموني لعلمت فما انتهى إلى الري وثب عليه آبان جاذويه وكان على الري حينئذ فاخذه فقال له يزيدجرد يا آبان جاذويه تغدري فقال لا ولكن قد تركت ملكك وصار في يدي غيرك فأحيت ان أكتب على ما كان لي من شيء وما أردته من غير ذلك وأخذ خاتم يزيدجرد ووصل الأدم واكتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شيء في كتابه

ولما صنع آبان جاذويه بيزدجرد ما صنع خرج يزيدجرد من الري إلى أصبهان وكره جوار آبان ولم يأمنه ثم عزم على كرمان فأتاها ومعه النار فأراد أن يضعها في كرمان ثم عزم على خراسان فأتى مرو فنزها وقد نقل النار فبني لها بيتا وأخذ بستانا وبني أزجا فرسخين من مرو إلى البستان فاطمأن في نفسه وأمن أن يؤتى وكاتب من مرو من بقي من الأعاجم حيث لم يفتحه المسلمون فدانوا له حتى إذا ثار أهل فارس والفيروزان فنكثوا وثار أهل الجبال والفيروزان فنكثوا وصار ذلك داعية إلى إذن عمر رضي الله عنه في الانسياب فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى أثنخوا في الأرض فخرج الأحنف إلى خراسان فأخذ على مهرجان نقذف ثم خرج على أصبهان وأهل الكوفة محاصروحي فدخل خراسان من الطيبين فافتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي ثم سار نحو مرو الشاهجان وأرسل إلى نيسابور وليس دونها قتال مطرف بن عبد الله بن الشخير وإلى سرخس الحارث بن حسان فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزيدجرد نحو مرو الروذ حتى نزها ونزل الأحنف مرو الشاهجان وكتب يزيدجرد إلى خاقان وملك الصغد وصاحب الصين يستملهم ويستعين بهم وخرج الأحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثه بن النعمان الباهلي بعدما لحقت به أمداد الكوفة على أربعة أمراء علقمة بن النضر النضري وربيعي بن عامر التميمي وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي وابن أم غزال الهمداني وبلغ يزيدجرد خروج الأحنف سائر نحوه فخرج إلى بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ وقدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ وأتبعهم الأحنف والتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فهزمه الله بهم وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعبروا ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم وتتابع أهل خراسان ممن شذ وتحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزها واستخلف على طخارستان ربيعي بن عامر وهو الذي يقول له النجاشي وينسبه إلى أمه وكان من أشرف العرب

ألا رب من تدعو فتى ليس بالفتى
ألا إن ربيعي بن كأس هو الفتى
طويل قعود القوم في قعر بيته
إذا شبعوا من ثفل جفنته سقى

الطويل وكتب الأحنف بفتح خراسان إلى عمر رحمه الله فقال لوددت إني لم أكن بعثت إليها جندا ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار فقال علي رضي الله عنه ولم يا أمير المؤمنين قال لأن أهلها سينقضون ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلي من أن يكون بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف أما بعد فلا تجوزن النهر واقصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شيء دخلتم خراسان فدوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر وإياكم وإياكم أن تغيروا فتقضوا

ولما بلغ رسول يزيد جرد إلى خاقان لم يستتب له إنجاده حتى عبر إليه النهر مهزوما وقد استتب له ذلك والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك فأقبل في الترك وحشر أهل فرغانة والصغد ثم خرج بهم وخرج يزيد جرد راجعا إلى خراسان حتى عبر النهر إلى بلخ وعبر معه خاقان فأرز أهل فارس إلى الأحنف بمرور الروذ وجاء للمشركون حتى نزلوا بما عليه وكان حين بلغه عبورهم قاصدين له خرج ليلا في عسكره يتسمع في ليلة مظلمة هل يسمع برأي ينتفع به فمر برجلين يقيان علفا إما تبنا وإما شعيرا وأحدهما يقول لصاحبه لو أن الأمير استندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا والجبل في ظهورنا لئلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد

رجوت أن ينصرنا الله عز وجل فرجع الأحنف واجترأ بها فلما أصبح جمع الناس وقال إنكم قليل وإن عدوكم كثير فلا يهولنكم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم هذا فاسنلوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقتلوه من وجه واحد ففعلوا وقد أعدوا ما يصلحهم والأحنف في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن اجتلبت حتى نزلوا بهم فكانوا يغادونهم ويرأونهم ويتحون عنهم بالليل ما شاء الله وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل حتى علم علمهم ثم خرج ليلة طليعه لأصحابه حتى كان قريبا من عسكر خاقان فوقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه وضرب طبله ثم وقف من العسكر موقفا مثله فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز

إن على كل رئيس حقا

أن يخضب الصعدة أو تندقا

إن لها شيئا بما ملقا

سيف أبي حفص الذي تبقى

الرجز

ثم وقف موقف التركي وأخذ طوقه ثم خرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه ثم وقف دونه فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز

إن الرئيس يرتبي ويطلع

ويمنع الخلاء إذا ما أرتعوا

الرجز

ثم وقف موقف التركي الثاني وأخذ طوقه ثم خرج ثالث من الترك ففعل فعل صاحبيه ووقف دون الثاني منهما فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز

جري الشموس ناجزا بناجر

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ولا يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطله ثم يخرجوا بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتد بعد الثالث فأثروا على فرسانهم مقتلين فتشائم خاقان وتطير وقال قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء بمكان لم يصب بمثله قط أحد منا فما لنا في قتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا بنا فكان وجههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئا فأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ فقال المسلمون للأحنف ما ترى في إبتاعهم فقال أقيموا بمكانكم ودعوهم

وكان يزدجرد لما نزل خاقان بمرور الروذ خرج إلى مرو والشاهجان فنحصن منه حارثة بن النعمان ومن معه فحاصرهم واستخرج خزائنه من مواضعها وخاقان ببلخ مقيم له فلما جمع يزدجرد ما كان في يده مما وضع بمرور فأعجل عنه وأراد أن يستقل منها إذا أمر عظيم من خزائن أهل فارس فقال له أهل فارس أي شيء تريد أن تصنع فقال أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين فقالوا له مهلا فإن هذا رأي سوء إنك إنما تأتي قوما في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ولكن أرجع إلى هؤلاء القوم يعنون المسلمين فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وهم يلون بلادنا وإن عدوا يلبينا في بلادنا أحب إلينا ملكه من عدو يلبينا في بلاده لا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبا عليهم وأبوا عليه فقالوا فدع خزائنا نردها إلى بلادنا ومن يلبينا ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرها فأبى فقالوا إنا لاندعك فاعتزلوه وتركوه في حاشيته فافتتلوا فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها وكتبوا إلى الأحنف

بالخبر فاعتزضهم المسلمون والمشركون يفتنونه فقاتلوه وأصابوا في آخر القوم وأعجلوه عن الأتقال ومضى مزايلا حتى يقطع النهر إلى فرغانة والترك فلم يزل مقيما بقية زمان عمر رضي الله عنه يكاتبهم ويكاتبونه أو من شاء الله منهم إلى أن كان زمن عثمان رضي الله عنه فكفر أهل خراسان فأقبل حتى نزل مرو فكان من أمره إلى حين مقتله ما نذكره بعد في موضعه إن شاء الله

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والأموال وتراجعوا إلى بلدانهم وأمواهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة فكانوا كأنهم في ملكهم إلا أن المسلمين أو في لهم وأعدل عليهم فاغبتوا وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية

ولما سمع خاقان وهو والترك ببلخ ما لقي يزدجرد وأن الأحنف خرج من المسلمين من مرو الروذ نحوه ترك بلخ وعبر النهر وأقبل الأحنف حتى نزل بلخ ونزل أهل الكوفة في كورها الأربع ثم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها وكتب بالفتح الذي صنع الله في خاقان ويزدجرد إلى عمر رحمه الله وبعث إليه بالأخماس ووفد الوفود

ولما عبر خاقان النهر وعبرت معه حاشية آل كسرى أو من أخذ نحوه بلخ منهم مع يزدجرد لقوا رسول يزدجرد الذي كان بعثه إلى ملك الصين وأهدى إليه معه ومعه جواب كتاب يزدجرد من ملك الصين فسألوه عما وراءه فقال لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون وأراهم هديته وأجاب يزدجرد بهذا الكتاب بعد أن كان قال لي قد عرفت أن حقا على الملوك إيجاد الملوك على من غلبهم فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإني أراك تذكر منهم قلة وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل

الذي تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا خير عندهم وشر فيكم فقلت أسألني عما أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث إما دينهم فإن أحبناهم أجرونا مجراهم أو الجزية والمنعة أو المنابذة قال فكيف طاعتهم أمراءهم قلت أطوع قوم لمرشدهم قال فيما يحلون وما يحرمون فأخبرته فقال أيكرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم قلت لا قال فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال أخبرني عن لباسهم فأخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العرب ووصفتها فقال نعمت الحصون هذه ووصفت له الإبل بركها وانبعاتها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الأعناق وكتب معه إلى يزيد جرد أنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمر وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلى لهم سرهم أزالوني ما داموا على ما وصف فسألهم وأرض منهم بالسلامة ولا تهيجهم ما لم يهيجوك

فأقام يزيد جرد وآل كسرى بفرغانة على عهد من خاقان ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبل الأحنف جمع الناس وخطبهم وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم وقال في خطبته إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله وما بعثه به من الهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣ التوبة) فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر جنده ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأمواهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون ألا أن المصريين اليوم من مسالحها كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد وقد غلوا في

البلاد والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده ولا تغيروا فيستبدل الله بكم قوما غيركم فإني لا أخاف على هذه الأمة أن يوتوا إلا من قبلكم وسيأتي بعد إن شاء الله ما كان من انتقاض خراسان وغيرها في خلافة عثمان رضي الله عنه ونذكر الآن بقية فتوح أهل البصرة الذين عقد لهم عمر رضي الله عنه عند الإذن لهم في الإنسيح على ما تقدم

فتح توج

قالوا وخرج أهل البصرة الذين وجهوا أمراء على فارس ومعهم سارية ابن زنيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يصمدوا بجمعهم ولكن قصد كل أمير منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها وبلغ ذلك أهل فارس فتفرقوا إلى بلدانهم ليمنعوها كما تفرق المسلمون في القصد إليها فكانت تلك هزيمة أهل فارس تشتت أمورهم وتفرقت جموعهم فتطبروا من ذلك كأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه فقصد مجاشع بن مسعود فيمن معه من المسلمين لسابور وأردشير خره فالتقوا بتوج مع أهل فارس فاقتتلوا ما شاء الله عز وجل ثم إن شاء الله عز وجل سلط المسلمين على أهل توج فهزمهم وقتلهم كل قتلة وبلغوا منهم ما شاءوا وغنمهم ما في عسكرهم فحووه

وهذه توج الآخرة لم يكن لها بعدها شوكة والأولى التي تنفذ فيها جنود العلاء بن الحضرمي أيام طاووس والوقعتان متساجلتان

ثم دعوا بعد هزيمتهم هذه الآخرة إلى الجزية والذمة فتراجعوا وأقروا وخمس مجاشع الغنائم وبعث بخمسها ووفد وفدا

وقد كانت البشرية والوفود يجازون وتقضي لهم حوائجهم لسنة جرت بذلك من رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وحدث عاصم بن كليب عن أبيه قال خرجنا مع مجاشع غازين توج

فحاصرناها وقتلناهم ما شاء الله فلما افتتحناها حوينا نهباً كثيراً وقتلنا قتلى عظيمة فكان علي قميص قد تحرق فأخذت إبرة وسلكتها فجعلت أحيط قميصي بها ثم إني نظرت إلى رجل من القتلى عليه قميص فنزعته فأنتيت به الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لا تغلوا فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة ردوا ولو المحيط فلما سمعت ذلك نزع القميص فألقيته في الأحماس

وفي ذلك يقول مجاشع
ونحن ولينا مرة بعد مرة
بتوج أبناء الملوك الأكابر
لقينا جنود الماهيان بسحرة
على ساعة تلوي بأيدي الخطائر
فما فتئت خيلي تكرر عليهم
ويلحق منها لاحق غير جائر
لذن غدوة حتى أتى الليل دوهم
وقد عولجوا بالمرهفات البواتر
وكان كذاك الدأب في كل كورة
أجابت لإحدى المنكرات الكبائر
الطويل

حديث اصطخر

قالوا وقصد عثمان بن أبي العاص لاصطخر فالتقى هو وأهلها بجور فاقتتلوا ما شاء الله ثم فتح الله على المسلمين جور واصطخر فقتلوا ما شاء الله وتفرق من تفرق ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة فراسلوه وراسلهم فأحابه الهربذ وكل من هرب أو تحى فتراجعوا وباحوا بالجزاء وجمع عثمان حين هزمهم ما أفاء الله عليهم فخمسه وبعث بالخمسة إلى عمر رحمه الله وقسم الباقي في الناس وعف الجند عن النهاب وأدوا الأمانة واستدقوا الدنيا فجمعهم عثمان ثم قام فيهم وقال إن هذا الأمر لا يزال مقبلاً وأهله معافون مما يكرهون ما لم يغلوا فإذا غلوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم

وعن الحسن قال قال عثمان بن أبي العاص يوم اصطخر إن الله عز وجل إذا أراد بقوم خيراً كفهم ووفر أمانتهم فاحفظوها فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم

ثم إن شهرك خلع في آخر إمارة عمر أو أول إمارة عثمان رحمهما الله ونشط أهل فارس ودعاهم إلى القرض فوجه إليه عثمان بن أبي العاص

ثانية وبعث معه جنوداً أمد بهم عليهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بفارس فقال شهرك لابنه وهو في المعركة وبينهم وبين قرية لهم تدعى ريشهر ثلاثة فراسخ وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً يا بني أين ترى

أن يكون غداؤنا هنا أو بريشهر فقال يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا هنا ولا بريشهر ولا يكون إلا في المنزل ولكن والله ما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل فيه شهرك وابنه وقتل من المشركين مقتله عظيمة وولي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان بن أبي العاص وذكر الطبري عن أبي معشر أن اصطرخر الآخرة كانت سنة ثمان وعشرين وذلك وسط إمارة عثمان بن عفان رضي الله عنه

وذكر ايضا بسنده إلى عبيد الله بن سليمان قال كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى البحرين فأرسل أخاه الحكم في ألفين إلى توج وكان كسرى قد فر عن المدائن ولحق بجور من أرض فارس قال الحكم فقصد إلى شهرك وكان كسرى أرسله فهبطوا من عقبة عليهم الحديد فخشيت ان تغمى أبصار الناس فأمرت مناديا فنادى أن من كانت له عمامة فليلقها على عينيه ومن لم يكن له عمامة فليغمض بصره وناديت أن حطوا عن دوابكم فلما رأى شهرك ذلك حط أيضا ثم ناديت أن اركبوا وصفقنا لهم وركبوا فجعلت الجارود العبدى على الميمنة وأبا صفرة يعني أبا المهلب على الميسرة فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتا فقال لي الجارود أيها الأمير الجند فقلت إنك سترى أمرك فما لبثنا أن رجعت خيلهم ليس عليها فرسانهم والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرءوس بين يدي وأتيت برأس ضخم وكان معي

بعض ملوكهم فارق كسرى ولحق بي فقال هذا رأس الأزدهاق يعنون شهرك فحوصروا في مدينة سابور فصالحهم الحكم وكان ملكهم آذربيان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطرخر وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص يذكر اصطرخر الآخرة

أنا ابن عظيم القريتين كليهما
نتمنى إلى العليا القروع الفوارع
لنا مجد بطحاوي ثقيف وغالب
إذا عد بطحاوها والد سائع
لنا الحسب العود الذي لا تناله
عيون العدى والحاسدات الدواسع
أبي سلب الجبار بيضة ملكه
فخر وأطراف الرماح شوارع
بمعترك ضنك به قصد القنى
وهام وأيد تحتلها القواطع
بأيدي سراة كلهم باع نفسه
فأوفوا بما باعوا وأوفى المبايع
هم المؤمنون الواردو الموت في الوغى
كما ترد الماء العطاش النواع
نجاهد في نصر لخير شريعة
إذا ذكرت يوم الحساب الشرائع
سمونا لرحف المشركين بوقعة

بما در مال الجزية المتتابع
تركنا من القتلى نثارا تعودها
نسور تراماها الضباغ الجوامع
جثى من عظام المشركين كأنها
تلوح من الرأي البعيد صوامع
تركنا سباع الأرض والطير منهم
شباعا وما فيها إلى الحول جائع
الطويل
حديث فساودار ابجرد

وقالوا وقصد سارية بن زنيم لفساودار ابجرد حتى أفضى إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم إنهم
استمدوا فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس فلهم المسلمون أمر عظيم وجمع كثير فرأى عمر رضي الله عنه في
تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى إذا كان في الساعة التي رأى
فيها ما رأى خرج إليهم وكان أريهم والمسلمين بصحراء إن أقاموا فيها أحيط بهم وإن أروا إلى جبل من خلفهم لم
يؤتوا إلا من وجه واحد ثم قام فقال أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما ثم قال يا سارية الجبل الجبل ثم
أقبل عليهم فقال إن الله عز وجل جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم ولما كان تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية
والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله لهم وكتبوا بذلك إلى عمر رحمه
الله وباستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم
وعن رجل من بني مازن قال كان عمر رحمه الله قد بعث سارية بن زنيم الدؤلي إلى فساودار ابجرد فحاصرهم ثم إنهم
تداعوا فأصحروا له وكثروه وأتوه من كل جانب فقال عمر رضي الله عنه وهو يخطب في يوم الجمعة يا سارية بن
زنيم الجبل الجبل

وفي غير هذا الحديث ثم عاد عمر في خطبته فعجب الناس لندائه سارية على بعده فقضى الله سبحانه أن كان سارية
وأصحابه في ذلك الوقت موافقين للمشركين وقد ضايقهم المشركون من كل جانب وإلى جانب المسلمين جبل إن
لبأوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فسمعوا صوتا يقول يا سارية بن زنيم الجبل الجبل كما قال عمر رضي الله عنه
وفي ذلك الوقت بعينه فلجأوا إلى الجبل فنجوا وهزموا عدوهم وأصابوا مغنم كثيرة

قال المازني في حديثه إن سارية أصاب في المغنم سقفا فيه جوهر فاستوهبه المسلمون لعمر فوهبه له فبعث به
وبالفتح رجلا وقال له استقرض ما تبلغ به وما تخلفه في أهلك على جائزتك وكان الرسل والوفد يجازون فقدم
الرجل البصرة ففعل ثم خرج فقدم على عمر رحمه الله فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التي يزر بها بعيره فقصدته
فأقبل عليه بما فقال اجلس فجلس حتى إذا أكل انصرف عمر وقام الرجل فأتبعه فظن عمر أنه رجل لم يشيع فقال
حين انتهى إلى باب داره أدخل فلما جلس في البيت أتى بغدانه خبز وزيت وملح وجريش فوضع له ثم قال للرجل
أدن فكل فأكلا حتى إذا فرغ قال له الرجل رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين فقال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى
مست ركبته ركبته ثم سأله عن المسلمين ثم سأله عن سارية فأخبره بقصة الدرج فنظر إليه ثم صاح به وقال لا ولا
كرامة حتى تقدم على ذلك الجيش فتقسمه بينهم وطرده فقال يا أمير المؤمنين إني قد أنصيت إبلي واستقرضت على

جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فما زال عنه حتى أبدله بعيرا ببعيره من إبل الصدقة وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة ورجع الرجل مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة فنفذ لما أمره به عمر رحمه الله وقد كان أهل المدينة سألوه عن سارية وعن الفتح وهل سمعوا شيئا يوم الواقعة فقال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نملك فلجأنا إليه ففتح الله علينا

حديث فتح كرمان

قالوا وقصد سهيل بن عدي إلى كرمان ولحقه عبد الله بن عبد الله ابن عتيان وعلى مقدمته سهيل بن عدي النسيري بن عمرو العجلي وقد حشد له أهل كرمان واستعانوا بالقفس فاقتتلوا في أدنى أرضهم ففضهم الله تعالى فأخذوا عليهم بالطريق وقتل النسيري مرزبانها ودخل سهيل من قبل طريق القرى إلى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير فأصابوا ما شاءوا من بعير أو شاة فقدموا الإبل والغنم فنحاصوها وأخروا البخت لعظم البخت على العرب وكرهوا أن يزيدوا وكتبوا إلى عمر فأجابهم إن البعير العربي إنما قوم ببعير اللحم وذلك مثله فإذا رأيتم أن للبخت فضلا فزيدوا

وذكر المدائني أن الذي فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر بن الخطاب ثم أتى الطيبين من كرمان ثم قدم على عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إني افتتحت الطيبين فأقطعنيهما فأراد أن يفعل فليل لعمر إنهما رستاقان عظيمان فلم يقطعهما إياهما وهما بابا خراسان فتح سجستان

قالوا وقصد عاصم بن عمرو لسجستان ولحقه عبد الله بن عمير فالتقواهم وأهل سجستان في أدنى أرضهم فهزمهم ثم أتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخر المسلمون أرض سجستان ما شاء الله ثم إنهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الأرضين فأعطاهم ذلك المسلمون وكان فيما اشترطوا من صلحهم أن فدافدها حمى فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروها خشية أن يصيبوا منها فيخفروا فتم أهل سجستان على الخراج فكانت سجستان على الخراج فكانت سجستان أعظم من خراسان شأنًا وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأما كثيرة وكانت فيما بين السند إلى نهر بلخ فلم تزل أعظم البلدين وأصعب القرين وأكثرها عددا وجندا حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من أخيه رتييل إلى بلد فيها يدعى أمل ودانوا لسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان ففرح بذلك وعقد لهم وأنزلهم تلك البلاد وكتب إلى معاوية بذلك يرى أنه قد فتح عليه فقال معاوية إن ابن أخي ليفرح بأمر إنه ليحزنني وينبغي له أن يحزنه قالوا ولم يا أمير المؤمنين قال لأن آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر نكر فيضطرب الجبل غدا فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد آمل بأسرها وتم لهم على عهد ابن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر معاوية الشاه وخلت آمل وخافه أخوه فاعتصم منه بمكانه الذي هو به ولم ير ضه ذلك حين تشاغل

الناس عنه حتى طمع في زرنج فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الأمداد من البصرة قالوا وسار رتييل والذين جاءوا معه فنزلوا تلك البلاد شجا لم ينتزع إلى اليوم وقد كانت البلاد مذلة إلى أن مات معاوية رحمه الله فتح مكران

قالوا وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران حتى انتهى إليها ولحق به شهاب بن محارق بن شهاب فانضم إليه وأمه سهيل بن عدي وعبد الله بن عتيان بأنفسهما فانتهوا إلى دوين النهر وقد انقض أهل كerman إليه حتى نزلوا على شاطئه فعمسكروا وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند فازدلف بهم يستقبل المسلمين فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام فهزم الله راسلا وسلبه وأباح المسلمين عسكره وقتلوا في المعركة من المشركين مقتلة عظيمة وأتبعوهم يقتلونهم أياما حتى انتهوا إلى النهر ثم رجعوا فأقاموا بمكران وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى واستأمره في الفيله فقدم صحار على عمر رحمه الله فسأله عن مكران وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه فقال يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل وماؤها شرب وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير بها قليل والقليل بها ضائع وما وراءها شر منها فقال عمر رحمه الله أسجاع أنت أم خير فقال بل محبر فقال لا والله لا يغزوها لي جيش ما أطعت وكتب إلى الحكم وإلى سهيل أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما واقصرا على ما دون النهر وأمره ببيع الفيلة بأرض الإسلام وقسم أثمها على من أفاءها الله عليه

حديث بيروذ

قالوا لما فصلت الجنود إلى الكور اجتمع بيروذ جمع عظيم من الأكراد وغيرهم وكان عمر رحمه الله قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهي إلى حد ذمة البصرة كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشي أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف أو يخلف في أعقابهم فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا فخرج أبو موسى حتى ينزل بيروذ على الجمع الذي تجمع بها وذلك في رمضان فنزل على جمع لهم منعه فالتقوا بين نهر تيري ومناذر وقد توافى إليها أهل النجدات من أهل فارس والأكراد ليكيدوا المسلمين أو ليصيبوا منهم عورة ولم يشكوا في واحدة من اثنتين فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل فقال لأبي موسى أقسم على كل صائم الإرجع فأفطر فرجع أخوه فيمن رجع لإبرار القسم وذلك الذي أراد المهاجر أن يرجع أخوه لئلا يمنعه من الاستقتال وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله وفرق الله عز وجل المشركين حتى تحصوا في قلة وذلة وأقبل الربيع بن زياد أخو المهاجر فاشتد حزنه عليه ورق له أبو موسى للذي رآه دخله من مصاب أخيه فخلفه عليهم وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصرين جي ثم أنصرف إلى البصرة وقد فتح الله على الربيع بن زياد أهل بيروذ من نهر تيري فهزمهم وجمع السبي والأموال فتنقى أبو موسى ستين غلاما من أبناء الدهاقين وعزهم وبعث بالفتح إلى عمر رحمه الله ووفد وفدا فجاءه رجل من عنزة

يقال له ضبة بن محصن فقال اكتبني في الوفد فقال قد كتبنا من هو أحق منك فانطلق مغاضبا مرغما وكتب أبو موسى إلى عمر بقصة الرجل فلما قدم الكتاب بالفتح والوفد على عمر قدم العنزي فأتى عمر فسلم عليه فقال من أنت فأخبره فقال لا مرحبا ولا أهلا فقال أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل فاختلف إليه ثلاثا يقول هذا ويرد عليه هذا حتى إذا كان اليوم الرابع فدخل عليه فقال له ما نعتت على أميرك فقال تقني ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وله جارية تدعى عقيلة تغذى جفنة وتعشى جفنة وليس منا رجل يقدر على ذلك وله قفيزان وله خانان وفوض إلى زياد وكان زياد هو ابن أبي سفيان يلي أمور البصرة وأجاز الحطيئة بألف فكتب عمر رحمه الله كل ما قال وبعث إلى أبي موسى فلما قدم حجبه أياما ثم دعى به ودعا ضبة بن محصن ودفع إليه الكتاب فقال اقرأ ما كتبت فقرأ أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم

فأخذته فقسّمته بين المسلمين فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت وقرأ له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لأهلي أفوتهم به وقفيز في أيديهم للمسلمين يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر وعلم أن ضبة قد صدقه قال وزياذ يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي فقال أبو موسى وجدت له نبلا ورأيا فأسندت إليه عملي قال وأجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالي أن يشتمني فقال قد فعلت ما فعلت فرده عمر رحمه الله وقال إذا قلت فأرسل إلي زيادا وعقيلة ففعل فقدمت عقيلة قبل زياد وقدم زياد فأقام بالباب فخرج عمر وزياذ بالباب قائم وعليه ثياب بيض كتان فقال ما هذه الثياب فأخبره فقال كم أثمنا فأخبره بشيء يسير وصدقه فقال له

كم عطاؤك قال ألقان قال ما صنعت بأول عطاء خرج لك فقال اشترت به والدي فأعتقتها واشترت في الثاني ربيبي عبيدا فأعتقته فقال وفقت وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيها فرده وأمر أمراء البصرة أن يستعينوا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة

وقال عمر رضي الله عنه ألا إن ضبة بن محصن غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه وفارقه مراغما أن فاته أمر من أمور الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فأياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى النار وكان الحطيئة قد لقيه في غزاة يبروذ وكان أبو موسى ابتدأها فحاصرهم حتى فلهم ثم جازاهم ووكل بهم الربيع ثم

رجع إليهم بعد الفتح فولى القسم

ومن مدح الحطيئة في أبي موسى

وغارة كشعاع الشمس مشعلة

تموى بكل صبيح الوجه بسلام

قب البطون من العداء قد علمت

أن كل عام عليها عام الجام

مستحقيات رواياها جحافلها

يسمو بها أشعري طرفه سامي

لا يجر الطير أن مرت به سحاح

ولا يفاض له قسم بأزلام

جمعت من عامر فيها ومن أسد

ومن تميم وذيان ومن حام

وما رضيت لهم حتى رقدتم

من وائل رهط بسطام يا صرام

في متلف طائعا لله محتسبا

يرجو ثواب كريم العفو رحام

البسيط

غزوة سلمة بن قيس الأشجعي الأكراد

ذكر الطبري من طريقتين كلاهما ينمى إلى سليمان بن بريدة واللفظ في الحديتين متقارب وربما كان في أحدهما زيادة على الآخر وأحدهما عن سيف ابن عمر وفيه أن سليمان بن بريدة قال لقيت رسول سلمة بن قيس الأشجعي فقال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتمع له جيش من العرب بعث عليهم رجلا من أهل العلم والفقهاء فاجتمع إليه جيش فبعث عليهم سلمة بن قيس فقال سر باسم الله قاتل في سبيل الله من كفر بالله فإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال ادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا واختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم وإن أبوا فسلوهم الخراج فإن أعطوكموه فقاتلوا عدوكم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم وإن تحصنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله فلا تعطوهم على حكم الله ورسوله فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله ورسوله فلا تعطوهم ذمة الله ورسوله وأعطوهم ذمة أنفسكم فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا قال فلقينا عدونا من المشركين

من الأكراد فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين من الإسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا عليهم فقتلنا المقاتلة وسمينا الذرية وجمعنا الرثة فوجد فيها سلمة حقي جوهر فجعلهما في سفط ثم قال إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فإن طابت أنفسكم به لأمر المؤمنين بعثت به إليه فإن له بردا ومؤونة فقالوا نعم قد طابت أنفسنا فبعثني سلمة يعني بالخبر والسفط إلى أمير المؤمنين قال فدفعت إليه ضحى والناس يتغدون وهو متكى على عصا كهيئة الراعي في غنمه يطوف في تلك القصاع يقول يا يرفاء زد هؤلاء لحما زد هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقة فلما دفعت إليه قال إجلس فجلست في أداني الناس فإذا طعام فيه خشونه وغلظ طعامي الذي معي أطيب منه فلما فرغ الناس قال يا يرفاء إرفع قصاعك ثم أدبر واتبعته فدخل داره ثم دخل حجرته فاستأذنت وسلمت فأذن لي فإذا هو جالس على مسح متكى على وسادتين من آدم محشوتين ليفا فنبذ إلي إحداهما فجلست عليها فقال يا أم كلثوم غداءنا فجاؤا إليه بقصعة فيها خبز وزيت في عرضها ملح لم يدق فقال لي كل فأكلت قليلا وأكل حتى فرغ ما رأيت رجلا أحسن أكلا منه ما يتليس طعامه بيده ولا فمه ثم قال اسقونا فجاؤا بفس فقال اشرب فشربت قليلا شرابي الذي معي أطيب منه فأخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته وقال إنك لضعيف الأكل والشرب ثم قال الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا قال قلت قد أكل أمير المؤمنين فشبع وشرب فروي حاجتي يا أمير المؤمنين قال وما حاجتك قلت أنا رسول سلمة بن قيس فقال مرحبا بسلمة ورسوله وكأنما خرجت من صلبه قال حدثني عن المهاجرين كيف هم قلت كما تحب من السلامة والظفر على العدو قال كيف أسعارهم قلت أرخص أسعار قال كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرهما قلت البقرة

بكذا والشاه بكذا ثم قلت يا أمير المؤمنين سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمرتنا به من الإسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسمينا الذرية وجمعنا الرثة وخرج له عن الحديث كله حتى انتهى إلى السفط وأخرجه إليه قال فلما نظر إلى تلك القصص من بين أحمر وأصفر وأخضر وثب وجعل يديه في خاصرتيه وقال لا أشبع الله إذن بطن عمر وظن النساء أني قد إغتلتته فكشفت الستة فقال يا يرفاء جأ عنقه فوجأ عنقي وأنا أصيح فقال النجاء وأظنك ستبطنى أما والذي لا إله غيره لأن تفرق الناس إلى مشائهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك فاقرة قلت يا أمير المؤمنين ابدع بي فأحمني قال يا يرفاء أعطه راحلتين من

الصدقة فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه قلت نعم وارتحلت حتى أتيت سلمة فقلت ما بارك الله لي فيما إخصصني به أقسم هذا في الناس قبل أن أفضح والله وتفضح قال فقسمه فيهم قبل التفريق إلى مشاتيهم والقص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم وهو خير من عشرين ألفا
وقد تقدم قبل في فتح فساو در الجرد خبر لرسول سارية بن زنيمة يشبه بهذا الخبر فالله تعالى أعلم
وذكر الطبري غزوة سلمة بن قيس هذه في سنة ثلاث وعشرين وهي السنة التي قتل عمر رضي الله عنه في آخرها على ما نذكره إن شاء الله تعالى

ذكر الخبر عن إحرام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حين مقتله

لم يزل عمر رضي الله عنه قائما على امر الله مجتهدا فيه مجاهدا لأعدائه معروفا منه سبحانه من المعونة والتأييد وجميل الكفاية والعناية والصنع ما وطأ له البلاد ودوخ الممالك وألقى إليه مقاليد الأمم من الفرس والروم والترك والأكراد وغيرهم من الأمم والأجيال الذين تقدم ذكرهم وأنجز الله في مدة خلافته معظم ما وعد به رسوله {صلى الله عليه وسلم} من الفتوح وجمع إليه أكثر ما زواه له من الأرض وتغلغت جنوده في الآفاق عنلما أذن لها في الإنسيح حتى أمرهم آخر إمارته بالإقصار والكف احتياطا على المسلمين ونظرا للإسلام وأقبل عندما أذن لهم في ذلك على الدعاء وتتبع آثار العمال بالعيون والنصحاء في السر والعلانية وتفقد الناس في الشرق والغرب إلى ان أتته منيته المحتومة بالشهادة المقدرة له في مصلاه على ما يأتي الذكر له إن شاء الله تعالى

وقد ورد في غير موضع من الآثار ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لاستشهاده محجرا وداعيا وهو الداعي الحجاب والصادق المصلوق صلوات الله وبركاته عليه

وروي عن عوف بن مالك الأشجعي انه رأى في المنام على عهد أبي بكر رحمه الله تعالى كأن الناس جمعوا فإذا فيهم رجل قد علاهم فهو فوقهم بثلاثة أذرع قال فقلت من هذا قالوا عمر قلت ولم قالوا لأن فيه ثلاث خصال لا يخاف في الله لومة لائم وإنه خليفة مستخلف وشهيد مستشهد قال فأتى أبا بكر فقصها عليه فأرسل أبو بكر إلى عمر ليبشره قال فجاء فقال لي أبو بكر أقصص رؤياك فلما بلغت خليفة مستخلف

زبرني عمر وانتهرني وقال اسكت تقول هذا وأبو بكر حي قال فلما كان بعد وولي عمر مررت بالشام وهو على المنبر فدعاني فقال أقصص رؤياك فقصصتها فلما قالت إنه لا يخاف في الله لومة لائم قال إني لأرجو أن يجعلني الله منهم فلما قلت خليفة مستخلف قال قد استخلفني فأسأله ان يعينني على ما ولايني فلما ذكرت شهيد مستشهد قال أني لي الشهادة وانا بين أظهركم تغزون ولا أغزو ثم قال بلى يأتي الله بها أني شاء يأتي الله بها أني شاء

وكان عمر رحمه الله ملازما للحج في سني خلافته كلها وكان من سيرته أن يأخذ عماله بموافاته كل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويججر عليهم الظلم ويتعرف أحوالهم في قرب وليكون للرعية وقت معلوم ينهون إليه شكوايهم فيه فلما كانت السنة التي قتل منسلخها رضي الله عنه خرج إلى الحج على عادته وأذن لأزواج النبي {صلى الله عليه وسلم} فخرجن معه فلما وقف عمر رحمه الله يرمي الجمرة أتاه حجر فوقع على صلته فأدماه وشم رجل من بني هب قبيلة من الأزد تعرف فيها العيافة والزجر وإياها عنى القاتل

تيممت لها أبتغي العلم عندهم

وقد رد علم العالمين إلي هب

فقال اللهي عندما أدمى عمر رحمه الله أشعر أمير المؤمنين لا يحج بعلمهم
ويروى عن عائشة رضي الله عنها وحجت مع عمر تلك الحججة انه لما ارتحل من الحصبة أقبل رجل متلثم قلت فقال
وأنا أسمع أين كان منزل أمير المؤمنين فقال قاتل هذا كان منزله فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتبعني

عليك سلام من أمير وباركت

يد الله في ذلك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة

ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعلمها

بوائق في أكمامها لم تفق

الطويل

قالت عائشة فقلت لبعض أهلي إعلموا لي من هذا الرجل فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحد قالت عائشة فو الله إني

لأحسبه من الجن فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو لأخيه مزرد

وقال سعيد بن المسيب لما صدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة بطحاء ثم طرح

عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك

غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض

وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا وضرب بإحدى يديه على الأخرى

قال سعيد فما انسلخ ذو الحججة حتى قتل رحمه الله

وروى عن عمر رحمه الله أنه لما انصرف من حجته هذه التي لم يحج بعلمها وانتهى إلى ضجنان وقف فقال الحمد لله

ولا إله إلا الله يعطي من يشاء ما يشاء لقد كنت بهذا الوادي أرمي أبلا للخطاب وكان فظا غليظا يتعني إذا عملت

ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه ثم تمثل

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته

يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه

والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له

والإنس والجن فيما بينها برد

أين الملوك التي كانت نوافلها

من كل أوب إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب

لا بد من ورده يوما كما وردوا

الطويل

ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن قدم المدينة من حجة خرج يوما يطوف بالسوق فلقبه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا فقال يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة فأن علي خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وإيش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال قال وبلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح لفعلت قال نعم قال فاعمل لي رحا قال لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر لقد توعدني العليج أنفا ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الأحمق فقال يا أمير المؤمنين اعهد فأنتك ميت في ثلاثة أيام قال وما يدريك قال أجد في كتاب الله التوراة فقال عمر آله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك بأنه قد فنى أجلك وعمر لا يحس وجعا ولا ألما فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ثم جاء من بعد الغد فقال ذهب يومان وبقي يوم ليلة وهي لك إلى صباحها فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فإذا استوت أخبروه فكبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه وضرب به عمر ست ضربات إحداهن تحت سرتة هي التي قتلتها فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال دونكم الكلب فإنه قتلي وما ج الناس وأسرعوا إليه فجرح منهم ثلاثة عشر رجلا حتى جاء رجل منهم فاحتضنه من خلفه وقيل ألقى عليه برنسا فقيل أنه لما أخذ قتل نفسه

وقال عمر رضي الله عنه عندهما سقط أي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل بالناس قال فصلى عبد الرحمن بن عوف وحمل عمر إلى منزله فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال إني أريد أن أعهد إليك قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أتشیر على بذلك قال اللهم لا قال والله لا أدخل فيه أبدا قال فهني صمنا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو عنهم راض ادعوا لي عليا وعثمان والزبير وسعدا قال وانظروا أحاكم طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي إن وليت من أمر الناس شيئا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس وأنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب وأمرهم أن يحضر معهم عبد الله بن عمر على أن لا يكون له في الأمر شيء ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فقال قم على بهم لا تدع أحدا يدخل إليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم وأوصى الخليفة من بعدي بالعرب فإنها مادة الإسلام أن تؤخذ صدقات أغنيائهم فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة من بعدي بدمه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلي فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل مني بيد رجل سجد لله سجدة

واحدة يحاجني بلا إله إلا الله يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله أئذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن مالا منكم كان هذا فيقولون معاذ الله ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول وأوعدي كعب ثلاثا أعدها

ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت

ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

الطويل فقبل له لو دعوت الطيب فدعى له طيب من بني الحارث بن كعب فسقاه نبیذا فخرج مشكلا فقال اسقوه لبنا فخرج اللبن أبيض فقال له الطيب لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلا فافعل وفي رواية أنه قيل له عند ذلك يا أمير المؤمنين اعهد قال قد فرغت وقال لعبد الله أنه قال له أذهب إلى عائشة فاسألها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبي بكر وفي رواية أنه قال له أذهب إلى عائشة فقل لها أن عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه ولا تقل أمير المؤمنين فأني لست اليوم بأمر المؤمنين فذهب إليها عبد الله فوجدتها تبكي فذكر لها ذلك فقالت نعم قد كنت أردته لنفسي ولأوثرته اليوم على نفسي فرجع إليه عبد الله وهو متطلع إليه فقال ما قالت لك قال أذنت قال الحمد لله ما كان علي أمر أهم من هذا فإذا أنا مت فاغسلني ثم احملني وأعد عليها الاستئذان فأذن أذنت وإلا فاصرفني إلى مقابر المسلمين

فلما توفي رحمه الله ورضي عنه خرجوا به فصلى عليه صهيب ودفن في بيت عائشة رضي الله عنه وعنهما ويروى أنه لما احتضر قال ورأسه في حجر ابنه عبد الله رضي الله عنهما

ظلمت لنفسي غير إني مسلم

أصلي الصلاة كلها وأصوم

الطويل

وكان مقتله لأربع بقين من ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين وقيل لثلاث بقين منه وقيل إن وفاته كانت غرة الحرم من سنة أربع وعشرين

ونزل في قبره عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص وقيل صهيب وابنه عبد الله بن عمر عوضا من الزبير وسعد

واختلف في مبلغ سنه يوم توفي وأشهر ما في ذلك أنه توفي ابن ثلاث وستين سنة وإنه استوفى عدة خلافة سن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التي توفي لها وسن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

ويروى عن عامر الشعبي أنه لما طعن عمر رضي الله عنه دخل عليه عبد الله بن عباس فقال يا أمير المؤمنين أبشر بالجنة فقال ما تقول قال اللهم نعم أسلمت حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين خذله الناس ومات نبي الله {صلى الله عليه وسلم} وهو عنك راض ولم يختلف في خلافتك رجالان ثم قتلت شهيدا فقال عمر والله إن من تغرونه لمغرور والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء لأفتديت به من هول المطلع

وعن ابن عباس أيضا قال لما وضع عمر في أكفانه إكتنفه الناس يصلون عليه ويدعون فإذا أنا برجل قد زمني من خلفي فنظرت فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقام فدعا له وترحم عليه ثم قال والله ما أصبح أحد أحب إلي من أن ألقى الله بمثل صحيفته منك وإني لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرا ما سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول خرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وفعلت أنا وأبو بكر وعمر فإني أرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك

وذكر عبد الله بن مسعود يوما عمر رضي الله عنه فهملت عيناه وهو قائم حتى بل الحصى ثم قال إن عمر كان

حائطا كثيفا يدخله المسلمون ولا يخرجون منه فلما مات عمر إنظم الحائط فهم يخرجون ولا يدخلون وما من أهل بيت من المسلمين لم تدخل عليهم مصيبة من موت عمر إلا أهل بيت سوء فإذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وروى انس بن أبي طلحة أنه قال والله ما أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم لموت عمر رضي الله عنه تقص في دينهم وفي دنياهم

وعن أبي وائل قال خرج حذيفة إلى المدائن وهم يذكرون الدجال فأخبرنا مسروق أنه سأله عن ذلك فقال نجب تجيء من ها هنا تنعي عمر

وعن حذيفة أيضا قال كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قريبا فلما قتل عمر رضي الله عنه كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترضيه وفجعني فيروز لا در دره

بأبيض تال للكتاب منيب
رعوف على الأذن غلظ على العدا
أحى ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله
سريع إلى الخيرات غير قطوب
الطويل

ومما ينسب إلى الشماخ بن ضرارو إلى أخيه مزرد بن ضرار أنه قاله في عمر ابن الخطاب ويروى عن عائشة أن الجن بكت به على عمر رحمه الله قبل أن يقتل بثلاث وقد تقدم ذكر بعض هذا الشعر

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت
له الأرض تهنز العضاة بأسوق
جزى الله خيرا من إمام وباركت
يد الله في ذاك الأديم الممزق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته
بكفي سبتي أزرق العين مطرق
الطويل

وقبل هذا البيت بيتان قد تقدما قبل فلذلك حذفاهما الآن هنا اختصارا

ذكر خلافة ذي النورين أبي عمرو عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه ومبايعة أهل الشورى له بعد وفاة عمر رضي الله عنه

ولما مضى عمر رحمه الله لسبيله تفاوض أهل الشورى فيما بينهم ثلاثا بعد وفاته وانصرف أمر جميعهم إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فبايع لعثمان رحمه الله فبايعه بقيه أهل الشورى وكافة الصحابة رضي الله عن جميعهم وذلك يوم السبت غرة المحرم من سنة أربع وعشرين

وذكر سيف بإسناد له أنه لما بايع أهل الشورى عثمان رحمه الله خرج وهو أشلمهم كآبة فأنى منبر النبي { صلى الله عليه وسلم } فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه { صلى الله عليه وسلم } ثم قال إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتهم صبحم أو مسيتهم ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٣٣ لقمان) اعتبروا بمن مضى ثم جلدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها وامتعوا بها طويلا ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله ضرب لها مثلها والذي هو خير فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٤ - ٤٥ الكهف)

وذكر سيف أن أول كتاب كتبه عثمان رضي الله عنه إلى عماله أما بعد فإن الله عز وجل أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يقدم إليهم في أن يكونوا جباة وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فإذا عادوا كذلك أنقطع الحياء والأمانة والوفاء إلا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور الناس وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تشوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدو الذي تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء قال وأول كتاب كتبه إلى أمراء الجنود في الفروج أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذائقهم وقد وضع لكم عمر رحمه الله ما لم يرغب عنا بل كان عن مالا منا فلا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فإنني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه

وكتب رحمه الله إلى عمال الخراج أما بعد فإن الله تعالى خلق الخلق بالحق ولا يقبل إلا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من سلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله ورسوله خصم لمن ظلمهم وكان كتابه إلى العامة

أما بعد فإنكم بلغتم ما بلغتم بالإقتداء والإتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الإبتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن فان رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال الكفر في العجمة فاذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا

وزاد عثمان رضي الله عنه الناس في أعطياتهم مائة مائة وهو أول خليفة زاد الناس في العطاء وكان عمر رحمه الله يجعل لكل نفس منفوسة من أهل القية في رمضان درهما في كل يوم وفرض لأزواج النبي { صلى الله عليه وسلم } درهين درهين فقيل له لو وضعت لهم طعاما فجمعتهم عليه فقال أشبع الناس في بيوتهم فأقر عثمان الذي صنع عمر وزاد فوضع طعام رمضان للمتعب الذي يبست في المسجد ولا بن السيل وللثوبين بالناس في رمضان وكان في مدة خلافته رحمه الله فتوح عظام في البر والبحر وهو أول من أغزى فيه وقد تقدم ذكر كثير من ذلك كأفريقية وغزوة ذات الصواري في البحر على يدي عبد الله بن سعد وغزوة قبرس على يدي معاوية بن أبي سفيان وغير ذلك مما سلف في هذا الكتاب

ونذكر الآن من ذلك ما تيسر ذكره إن شاء الله تعالى مما لم نذكر قبل وأكثر من ذلك مما كان قد افتتح على عهد عمر رحمه الله وانتقض بعد وفاته فوجه اليه عثمان رحمه الله فاسترده حتى استوثق الأمر وانتظمت الفتوح ذكر غزوة الوليد بن عقبة أذريجان وأرمينية لمنع أهلها ما صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر بن الخطاب ويقال إنها كانت في السنة التي بويع فيها عثمان وقيل في سنة خمس وعشرين بعلمها وقيل في سنة ست ذكر ذلك كله الطبري

وحكى أيضا عن أبي مخنف عن قرّة بن لقيط الأزدي ثم العامري أن مغازي أهل الكوفة كانت الري وأذريجان وكان بالبحرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ستة آلاف بأذريجان وأربعة آلاف بالري وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل وكان يغزو هذين المصرين منهم عشرة آلاف كل سنة فكان الرجل تصيبه في كل أربع سنين غزوة فغزا الوليد بن عقبة في أزمانه على الكوفة في سلطان عثمان أذريجان وأرمينية فدعى سلمان بن ربيعة الباهلي فبعته أمامه مقدمة له وخرج الوليد في جماعة الناس يريد أن يمعن في أرض أرمينية فمضى حتى دخل أذريجان فبعث عبد الله بن شبل بن عوف الأحمسي في أربعة آلاف فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان فأصاب من أموالهم وغنم وسبي سبيا يسيرا وتحرز القوم منه فأقبل بذلك إلى الوليد ثم أن الوليد صالح أهل أذريجان على ثمانمائة ألف درهم وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم حبسوها بعد وفاته فلما وطنهم الوليد بالجيش انقادوا وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ففعل وقبض منهم المال وبث الغارات فيمن حوهم من أعداء الإسلام فبعث سلمان بن ربيعة إلى أرمينية في اثني عشر ألفا فسار في أرضها فقتل وسبي وغنم وانصرف مملوء اليدين إلى الوليد فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته فلما دخل الموصل راجعا أتاه كتاب من عثمان رحمه الله أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بمجموع كثيرة عظيمة وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وسخاءه وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام

فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإن الله قد أبلى للمسلمين في هذا الوجه بلاء حسنا فرد عليهم بلادهم التي كفرت وفتح بلادا لم تكن افتتحت وردد لهم سالمين غانمين ماجورين والحمد لله رب العالمين وقد كتب إلي أمير المؤمنين أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى ثمانية آلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام فإنهم قد جاشت عليهم الروم وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المين فانتدبوا رحكم الله مع سلمان بن ربيعة فانتدب الناس فلم يمض ثلاثة أيام حتى خرج في ثمانية آلاف من أهل الكوفة فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم فشنوا عليهم الغارات وأصابوا ما شاعوا من سبي وملاؤا أيديهم من المغنم وافتحوا بها حصونا كثيرة وكان على أهل الشام حبيب بن مسلمة وسلمان على أهل الكوفة وزعم

الواقدي ان سعيد بن العاص هو الذي أمد حبيبا بسلمان وإن سبب ذلك أن عثمان رضي الله عنه أمر معاوية بإغزاه حبيب في أهل الشام أرمينية فوجه إليها معاوية فبلغ حبيبا أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفا من الروم والترك فأعلم بذلك معاوية فكتب معاوية إلى عثمان فكتب عثمان إلى سعيد بإمداد حبيب فأمدته بسلمان في ستة آلاف وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يبيت الموريان فسمعت امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبيّة يذكر ذلك فقالت له فأين موعدك قال سرادق الموريان أو الجنة ثم بيتهم فقتل من إشراب له وأتى السرادق فوجد امرأته

قد سبقت فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سراق ثم مات عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهري فهي أم ولد

ذكر انتفاض فارس ومسير عبد الله بن عامر إليها وفتحها إياها

ولما ولي عثمان رحمه الله أقر أبا موسى الأشعري على البصرة ثلاث سنين وعزله في الرابعة وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبيد الله بن عمير الليثي من بني ثعلبة فأتخن فيها إلى كابل وأتخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي فأتخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبيد الله بن عنيس وبعث إلى فارس والأهواز نفرا وأبو موسى في كل ذلك على البصرة فلما كان في السنة الثالثة كفر أهل ايدج والأكراد فنادى أبو موسى في الناس وحضهم وذكر من فضل الجهاد في الرحلة حتى حمل نفر على دوابهم وأجمعوا على ألا يخرجوا إلا رجالة ثم نشأ بينه وبين أهل البصرة في هذا الإستنفار ما نفرهم عنه وطلبوا إلى عثمان أن يديهم عنه فدعا عثمان عند ذلك عبد الله بن عامر فأمره على البصرة وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان بن سعد واستعمل على خراسان أمين بن أحمري المشكري وعلى سجستان عمران بن الفضل البرهجي وعلى كرمان عاصم ابن عمرو فمات بها فجاشت فارس فانقضت بعبيد الله بن معمر واجتمعوا له باصطخر فالتقوا على بابها فقتل عبيد الله وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة إليهم وخرج في الناس وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص فالتقى هو وأهل فارس باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزلوا منها في ذل وكتب بذلك إلى عثمان بن عفان فكتب إليه يأمره أن يولي على كور فارس نفرا سماهم له وفرق خراسان بين ستة نفر منهم الأحنف بن قيس على المورين

ذكر انتفاض خراسان وخروج سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر إليها وذكر طبرستان واستيلاء سعيد عليها

ذكر الطبري أن أداني أهل خراسان وأقاصيهم اعترضوا زمان عثمان رضي الله عنه لسنتين خلنا من إمارته فبدأ بنو كناري وهم أحوال كسرى فأتثروا في نيسابور وأجأوا عبد الرحمن بن سمرة وعماله إلى مرو الروذ وثني أهل مرو الشاهجان وثلث بنيزل فاستولى على بلخ وأرز من بها إلى مرو الروذ وعلها بن سمرة فكتب إلى عثمان بخلع أهل خراسان فأرسل إلى ابن عامر أن يسير في جند البصرة فخرج ابن عامر في الجنود حتى يدخل خراسان على الطبسين من قبل يزدجرد وبث الجنود في كورها وأمرهم أن يطأوا فيهم ووطأ هو في أهل هراة بعدما وهنهم الجزاء وصلحوه ثم ثني بنيسابور ففعلت فعل هراة ولقيت الكور من الجنود مثل ذلك فذلوا لهم واكتتب منهم أهل مرو والشاهجان وسائر خراسان وسار ابن عامر إلى نيزل فقتل تركه قتل الكلاب ولحق هو بترك بلاد الشام وستأتي بعد هذه الجملات مفصلة بعد

وذكر الطبري بإسناد له قال غزا سعيد بن العاص وهو على الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وابن الزبير وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل ابرشهر وبلغ ذلك سعيدا فنزل قرمس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد

نماوند فأتى جرجان فصالحه على مائتي ألف ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة لجرجان وهي مدينة على

ساحل البحر فقاتله أهلها حتى صلى يومئذ صلاة الخوف وهم يقتتلون بعد أن سأل حذيفة فأخبره كيف صلاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وضرب يومئذ سعيد رجل من المشركين على جبل عاتقه فخرج السيف من مرفقه وحاصرهم فطلبوا الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا وحوى ما كان في الحصن

وذكر الطبري من طريق آخر أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأتي جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان وكان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وعن بشر بن حنظلة العمي أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يجيئون أحيانا مائة ألف ويقولون صلحنا وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلاثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعه ثم امتنعوا وكثروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص

ذكر مقتل يزيدجرد

قال الطبري اختلف في سبب قتله كيف كان فذكر عن ابن إسحاق أن يزيدجرد هرب من كرمان في جماعة ليسير إلى مرو فسأل مرزبانها مالا فمنعه فخافوا على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستصرون بهم عليه فأتوه فبيتوه وقتلوا أصحابه وقيل بل أهل مرو هم الذين بيتوه لما خافوه ولم يستجيشوا عليه الترك فقتلوا أصحابه وخرج هاربا على رجله معه منطقتة وسيفه وتاجه حتى أتى إلى منزل نغار على شط المرغاب فلما غفل يزيدجرد وقيل لما نام قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب فأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره حتى خفي عليهم عند منزل النقار فأخذوه فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته وأخذوا متاعه ومتاع يزيدجرد وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت خشب فرعم بعضهم أنه حمل إلى اصطخر فدفن بها في أول سنة إحدى وثلاثين وكان يزيدجرد قد وطئ امرأة بمرو فولدت منه بعد مقتله غلاما ذاهب الشق فسمي المخدج وعاش حتى ولد له أولاد بخراسان فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جاريتين فقبل له إلهما من ولد المخدج فبعث بهما أو بإحداهما إلى الحجاج بن يوسف فبعث بهما إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له يزيد بن الوليد بن عبد الملك الناقص

وذكر عن المدائني أن يزيدجرد أتى خراسان ومعه خرزادمهر أخو رستم فقال لمزبان مرو واسمه ما هو به إني قد أسلمت إليك الملك ثم أقام بمرو وهم بعزل ما هو به فكتب ماهوية إلى الترك يخبرهم بمكانه وعاهلهم على المؤازرة عليه وخلق لهم الطريق فأقبلوا إلى مرو وخرج إليهم يزيدجرد في أصحابه فقاتلهم ومعه ماهوية في أساورة مرو فأتخن يزيدجرد في الترك حتى خشي ماهوية أن ينهزموا فتحول إليهم في أساوره مرو فانهزم جند يزيدجرد وقتلوا وعقر عند المساء فرس يزيدجرد فمضى ماشيا هاربا حتى انتهى إلى بيت فيه رحي على شط المرغاب فمكث فيه ليلتين فطلبه ماهوية فلم يقدر عليه إلى أن دخل صاحب الرحي بيته في اليوم الثاني فرأى يزيدجرد فقال ما أنت إنسي أم جني قال إنسي فهل عندك طعام قال نعم فأتاه به فقال إني مزمزم فأتني بما أزمزم به فذهب الطحان إلى بعض الأساورة فطلب منه ما يزمزم به قال وما تصنع به فقال عندي رجل لم أرى مثله قط وقد طلب هذا مني فجاء الأسوار بالطحان إلى ما هو به فأخبره فقال هذا يزيدجرد اذهبوا فجيئوني برأسه فقال له الموبذ ليس ذلك إليك قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ومتى فعلت انتهكت الحرمة العظيمة وتكلم الناس فأعظموا ذلك فشتهم

ماهويه وقال للأساورة من تكلم فاقتلوه وأمر عدة فذهبوا مع الطحان ليقتلوا يزدجرد فانطلقوا فلما رأوه كرهوا قتله وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان ادخل فاقته فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسه ثم اجتره فدفعه إليهم والقي جسده في المرغاب فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان وهدموا أرحاه و ذكر الطبري حديثين مختلفين مطولين وأحدهما أطول من الآخر يتضمن ضربا من الإضطرابات تقلب فيها وأنواعا من الدوائر دارت عليه حتى كانت منيته آخرها وفيه أن رجال ما هويه الذين وجههم لطلب يزدجرد وأمرهم بقتله لما انتهوا إلى الطحان فسألوه عنه فأنكره فضربوه ليدل عليه فلم يفعل

فلما أرادوا الإنصراف قال أحدهم إني أجد ريح المسك ونظر إلى طرف ثوب من ديباج في الماء فاجتذبه فإذا هو يزدجرد فسأله ألا يقتله ولا يدل عليه وجعل له سواره وخاتمه ومنطقته فأبى عليه إلا أن يعطيه أربعة دراهم ويخلي عنه ولم يكن ذلك عند يزدجرد فقال قد كنت أخبرني سأحتاج إلى أربعة دراهم وقال للرجل ويحك خاتمي لك وثمنه لا يحصى فأبى وأنذر أصحابه فأتوه فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه وقال ويحكم إنا نجد في كتبنا أن من إجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا مع ما هو قادم عليه فلا تقتلوني وأتوا بي إلى الدهقان أو سرحوني إلى العرب فإنهم يستحيون مثلي من الملوك فأخذوا ما كان عليه من الحلي فجعلوه في جراب وختموا عليه ثم خنقوه بوتر وطرحوه في نهر مرو

وفي آخر الحديث أنه لما بلغ مقتله رجلا من أهل الأهواز كان مطرانا على مرو جمع من كان قبله من النصارى وقال لهم إنا ملك الفرس قد قتل وهو ابن شهريار بن كسرى ولهذا الملك عنصر في النصرانية وإنما شهريار ولد شيرين التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها في غير وجه مع ما نال النصارى في مملكة جده كسرى من الشرق وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه حتى بنى لهم بعضهم البيع وسدد لهم بعضهم يعني للنصارى ملتهم فينغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك ونظهر من كرامته بقدر ما كان من احسان سلفه وجدته إلى النصارى وقد رأيت أن ابني له ناووسا واحمل جثته في كرامه حتى أواربها فقال له النصارى أمرنا لأمرك تبع ونحن لك على رأيك هذا مواطنون فأمر المطران ببناء ناووس في حرف بستان المطارنه بمرو ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدجرد من النهر وكفنها وجعلها في تابوت وحملها هو وأولئك النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي بنى له وواروه فيه وردموا بابه فكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة في تعب من محاربة العرب إياه

وكان آخر ملك من آل أردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب فسبحان ذي العظمة والملكوت والملك الحق الحي الدائم الذي لا يموت لإله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

ذكر فتح أبرشهر وطوس وبيورد ونسا وسرخس وصلح مرو

ذكر الطبري أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه اوس بن حبيب التميمي فقال أصلح الله الأمير إن الأرض بين يديك ولم تفتح من ذلك إلا القليل فسر فإن الله ناصرك قال أولم نأمرك بالسير وكره أن يظهر له انه قبل رأيه وذكر في بعض ما ذكره عن المدائني أن ابن عامر لما فتح فارس رجع إلى البصرة واستعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم يقال له الأحنف وقيل غيره فقال له إن عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه

فتجهز ابن عامر وأمر الناس بالتجهز للمسير واستخلف على البصرة زيادا وسار إلى كرمان ثم أخذ إلى خراسان قال وأشياخ كرمان يذكرون أنه نزل العسكر بالسيرجان وسار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود وأخذ ابن عامر على مفازة رابر وهي ثمانون فرسخا ثم سار إلى الطبيين يريد أبرشهر وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته الأحنف بن قيس فأخذ إلى قهستان وخرج إلى أبرشهر فلقيته الهياطلة فقاتلهم الأحنف فهزمهم ثم أتى ابن عامر نيسابور

وافتح ابن عامر مدينة أبرشهر قتل صلحا وقيل عنوة وفتح ما حولها طوس ويورد ونسي وهران وسرخس ويقال إنه بعث إلى سرخس عبد الله بن خازم ففتحها وأصاب جارييتين من آل كسرى ويروى أن أهل أبرشهر لما فتحها ابن عامر صلحا في قول من قال ذلك أعطوه جارييتين من آل كسرى

وعن أشياخ من أهل خراسان أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم من عدي الرباب إلى بيهق وهي من أبرشهر بينهما ستة عشر فرسخا ففتحها وقتل الأسود وكان فاضلا في دينه ومن أصحاب عامر بن عبد قيس وكان عامر يقول بعدما خرج من البصرة ما آسى من العراق على شيء إلا على ظماء الهواجر ونجاوب المؤذنين وإخوان مثل الأسود بن كلثوم

ويروى أن ابن عامر لما غلب على من بنيسابور أرسل إليه أهل مرو يطلبون الصلح فبعث إليهم حاتم بن النعمان الباهلي فصالح مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف وقال مقاتل بن حيان على ستة آلاف ألف ومائتي ألف قال الطبري وفي سنة اثنتين وثلاثين كانت غزوة معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقيل فاختة واستعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر وأمد الجيش الذي كان به مقيما مع حذيفة بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة

وكان عثمان رحمه الله قد أمر سعيدا بإغزاء سلمان فيما ذكره سيف عن بعض رجاله وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة الذي يقال له ذو النور وهو على الباب أن الرعية قد أبطر كثيرا منها البطنة فقصر ولا تقتحم بالمسلمين فإني خاش أن يبتلوا فلم يزر ذلك عبد الرحمن عن غايته فغزا في السنة التاسعة من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصرها ونصب عليها الجانيق والعرادات فجعل لا يدنوا منها أحد إلا اعتنوه أو قتلوه وأسرعوا في الناس ثم أن الترك اتعدوا يوما فخرج أهل بلنجر وتوافى إليهم الترك فاقتلوا فأصيب عبد الرحمن ذو النور فانهزم المسلمون وتفرقوا

وقد تقدم ذكر مقتله قبل وإن المشركين احتازوه إليهم فجعلوه في سبط فكانوا يستسقون به بعد ويستصرون به

وذكر سيف من بعض طرقه انه لما تابعت الغزوات على الخزر تدامروا وتعابروا وقالوا كنا أمة لا يقوم لها أحد حتى جاءت هذه الأمة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم إنهم لا يموتون ولو كانوا يموتون لما افتتحوا علينا ثم كمنوا في الغياض ليحربوا فرموا بعض من مر بهم في ذلك الكمين من جنود المسلمين فقتلوهم فعند ذلك تداعوا إلى الحرب وتواعلوا يوما فاقتلوا فقتل عبد الرحمن وتفرق الناس فرقتين فرقة نحو الباب فحماهم سلمان الفارسي حتى أخرجهم وفرقة نحو الخزر فطلعوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة

وقال بعضهم غزا أهل الكوفة ثمان سنين من إمارة عثمان رضي الله عنه لم تتم فيهن امرأة ولم يبتنم فيهن صبي من قتل حتى كان يعني في السنة التاسعة فكان ما ذكر من قتل عبد الرحمن بن ربيعة ومن أصيب معه

ذكر فتح مرو الروذ والطارقان والفارياب والجوزجان وطخارستان

ذكر الطبري بإسناده عن ابن سيرين قال بعث ابن عامر الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ مخضراً أهلها فخرجوا إليهم فقاتلهم فهزمهم المسلمون حتى اضطروهم إلى حصونهم فأشرفوا عليهم فقالوا يا معشر العرب ما كنتم عندنا كما نرى لو علمنا أنكم كما نرى لكنا لنا ولكم حال غير هذه فأمهلونا ننظر في يومنا وارجعوا إلى عسكركم فرجع الأحنف فلما أصبح غاداهم وقد أعلوا له فخرج من المدينة رجل من العجم معه كتاب فقال أي رسول فأمنوني فأمنوه فإذا هو ابن أخي مرزبان مرو ومعه كتابه إلى الأحنف وإذا فيه إلى أمير الجيش إنا نحمد الله الذي بيده اللول يغير ما يشاء من الملك ويرفع من شاء بعد الذلة ويضع من شاء بعد الرفعة إني دعاني إلى مصالحتك ومواعتك ما كان من إسلام جدي وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحبا بكم فأبشروا وأنا أدعوكم إلى الصلح على أن أؤدي إليكم خراجنا ستين ألف درهم وأن تقرروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس وقطعت السبيل من الأرض والقرى بما فيها من الرجال ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج ولا تخرجوا المرزبة من أهل بيتي إلى غيرهم فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت

فكتب إليه الأحنف بسم الله الرحمن الرحيم من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو الروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى أما بعد فإن ابن أخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده وأبلغ عنك وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي عن كورتك وفلاحيك والأرضين ستين ألف درهم إلى وإلى الوالي بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأرضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطعها جد أبيك والأرض لله يورثها من يشاء من عباده وأن عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وإن لك على ذلك نصر المسلمين على من يقاتل من ورائك من أهل ملتك جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك ما للمسلمين من العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمة المسلمين وذمة آبائهم وعن مقاتل بن حيان أن ابن عامر صالح أهل مرو وبعث الأحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتى نزل موضع قصر الأحنف من مرو الروذ وجمع له أهل طخارستان وأهل الجوزجان والطارقان والفارياب وكانوا ثلاثة زحوف ثلاثين ألفاً وأتى الأحنف خبرهم فاستشار الناس فاختلّفوا فمن قاتل نرجع إلى مرو وقاتل نرجع إلى ابرشهر وقاتل نقيم ونستمد وقاتل نلقاهم فنناجزهم

قال فلما أمسى الأحنف خرج يمشي في العسكر ويسمع حديث الناس فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن وهم يتحدثون ويذكرون العدو فقال بعضهم الرأي للأمير إذا أصبح أن يسير حتى يلقي القوم حيث لقيناهم

فإنه أربع لهم فنناجزهم فقال صاحب الخزيرة أو العجين إن فعل ذلك فقد أخطأ تأمرونه أن يلقي حد العدو مصحراً في بلاده فيلقى جمعا كثيرا بعدد قليل فإن جالوا جولة اصطلموا ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل

فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال فضرب عسكره وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه فقال إني أكره أن أستصر بالمشركين فأقيموا على ما أعطيناكم فإن ظفرونا فنحن على ما جعلنا لكم وإن ظفروا بنا وقاتلواكم فقاتلوا عن أنفسكم

قال فوافوا المسلمين صلاة العصر فعاجلهم المشركون فناهضوهم وقاتلوهم فصر الفريقان حتى أمسوا والأحنف يتمثل

أحق من لم يكره المنية

حزور ليست له ذرية

الرجز وفي غير حديث مقاتل أن الأحنف لقيهم في المسلمين ليلا فقاتلوهم حتى ذهب عامة الليل ثم هزمهم الله فقتلهم المسلمون حتى أنتهوا إلى رسكن وهي على اثني عشر فرسخا من قصر الأحنف وكان مرزبان مرو الروذ قد تربص بجمل ما كان صالح عليه لينظر ما يكون من أمرهم فلما ظفر الأحنف سرح رجلين إلى المرزبان وأمرهما أن لا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا فعلم أنهما لم يصنعا ذلك به إلا وقد ظفروا فحمل ما كان عليه وبعث الأحنف إلى الجوزجان الأقرع بن حابس في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف التي هزمهم الأحنف فقاتلهم الأقرع بخيله فجال المسلمون جولة فقتل بعض فرسانهم ثم أظفر الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم وأولئك القتلى من فرسان المسلمين عنى أبو كثير النهشلي إذ قال

سقى مزن السحاب إذا استهلت

مصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوط

أقادهم هناك الأقرعان

الوافر

وهي طويلة

ذكر جري الصلح بين الأحنف وبين أهل بلخ

قال المدائني بإسناده عن إياس بن المهلب سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصروهم فصالحه أهلها على أربعمائة ألف فرضي بذلك منهم واستعمل ابن عمه أسيد بن الشمس على أخذها منهم ومضى إلى خوارزم فأقام حتى هجم عليه الشتاء فقال لأصحابه ما ترون فقال له حصين قد قال عمرو بن معدي كرب

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

الوافر

فأمر الأحنف بالرحيل ثم انصرف إلى بلخ وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه ووافق مهر جانهم وهو يجيهم فأهلوا إليه هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع ودواب فقال أسيد هذا لم نصالحكم عليه قالوا لا ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم لمن ولينا نستعطفه به قال ما أدري ما هذا وإني لأكره أن أردده ولعله من حقي ولكني أقبضه وأعزله حتى أنظر وقدم الأحنف فأخبره فسأهم عنه فقالوا مثل ما قالوا له فقال الأحنف أتى به الأمير فحملة

إلى ابن عامر وأخبره عنه فقال أقبضه يا أبحر فهو لك قال لا حاجة لي فيه فقال ابن عامر ضمه إليك يا مسمار قال فضمه القرشي وكان مضما

وذكر المدائني بإسناد آخر أن ابن عامر حين صالح أهل مرو وصالح الأحنف أهل بلخ بعث خليلد بن عبد الله الحنفي إلى هراة وإلى باذغيس فافتتحهما ثم كفر العدو بعد ذلك فكان مع قارن

وقال ولما رجع الأحنف قال الناس لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان فقال لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج معتمرا من موقفي فأحرم بعمره من نيسابور فلما قدم على عثمان رضي الله عنه لأمه على إحرامه من خراسان وقال له ليتك تضبط الميقات الذي يحرم منه الناس

قال استخلف ابن عامر على خراسان حين خرج منها سنة اثنتين وثلاثين قيس بن الهيثم فجمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبيين وأهل باذغيس وهراة وقهستان فأقبل في أربعين ألفا فقال قيس لعبد الله بن خازم ما ترى قال أرى أن تخلي البلاد في أي أميرها ومعني عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابا قد افتعله فكره قيس مشاغبته فخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال تركت البلاد حربا وأقبلت قال جاءني بعهد منك

قال وسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من عسكره أمر الناس أن يدرج كل واحد منهم على زج رمحه ما كان من خرقة أو قطن أو صوف ثم يوسعوه ودكا من سمن أو زيت أو دهن أو اهالة وقدم مقدمته ستمائة ثم أتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح وجعل بعضهم يقتبس من بعض وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن نصف الليل ولهم حرس فناوشوهم وهاج المشركون على دهش وكانوا آمنين على أنفسهم من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمينة ويسرة وتتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع ولا يرون أحدا فهالهم ذلك ثم غشيهم ابن

خازم بالمسلمين ومقدمته تقاتلهم فقتل قارن وأهزم العدو فأتبعوهم يقتلوهم كيف شاءوا وأصابوا سببا كثيرا وأخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضى وأقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى أمر الجمل

وقد روي انه لما جمع قارن هذا الجمع للمسلمين ضاق المسلمون بأمرهم واستشار قيس عبد الله بن خازم في ذلك فقال له إنك لا تطيق كثرة من أانا فإخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من جمعوا لنا ونقيم نحن في هذه الحصون نطوهم حتى تقدم ويأتينا مددكم فخرج قيس فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولاني ابن عامر على خراسان فسار إلى قارن وظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة فكانوا كذلك حتى كانت الفتنة فالله أعلم أي ذلك كان

فتح عمورية وانتقاضها

وعن سعيد بن عبد العزيز أن عثمان رضي الله عنه إثم بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في أثره المجاهدين وتقويتهم بالأموال ولقد زاد عثمان أهل العطاء مائة مائة وتابع إغراءهم أرض الروم حتى ذلت عمورية وما دونها من مدائن

ضاحية الروم على أداء الجزية وعلى إنزال جماعة من المسلمين مدينة عمورية يقاتلون من خلفها فلم يزل المسلمون بها حتى بلغ أهل عمورية قتل عثمان رضي الله عنه قبل أن يبلغ ذلك من كان بها من المسلمين فقتلوهم على فرشهم وانتقض ذلك الصلح

وتمت الفتوح بعثمان رضي الله عنه ورحمه فلم تفتح بعده بلدة إلا صلحا كان كفر أهلها أو أرض مما افتتح عيال على ما افتتح عمر لا يقوى عليها الجنود إلا بالقيء الذي أفاء الله عز وجل على عمر رضي عنه مقتل عثمان رضي الله عنه

وقتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة في الثامن عشر لذي الحجة سنة خمس وثلاثين وقيل في وسط أيام التشريق وقيل يوم التروية وقيل غير ذلك ولا خلاف بينهم في أنه قتل في ذي الحجة إنما الخلاف في أي يوم منه قتل وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأياما وسنه يوم قتل مختلف فيها أيضا على ما قيل في ذلك أنه كان ابن تسعين سنة وقيل ابن ثمان وثمانين سنة وقيل ابن ست وثمانين سنة وقيل ابن اثنتين وثمانين وقيل ابن ثمانين

وقتل رحمه الله ورضي عنه ظلما وتعديا بمقدمات فتن نشأت على عهده قد كان رسول {صلى الله عليه وسلم} أنذر بها وأخبر أن الحق مع عثمان رحمه الله ورضي عنه فيها

وروى مرة البهزي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال إنها ستكون فتن كأنها صياصي فمر علينا رجل متقنع فقال هذا وأصحابه على الحق فذهبت فنظرت إليه فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه

وحديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول له إن الله ملبسك قميصا تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه قال فلم أدر ما هو حتى رأيت عثمان قد أعطى كل شيء سئله إلا الخلع فعلمت أنه على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي سمع منه

وفي حديث آخر عنها أنها رأت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسار عثمان ولون عثمان يتغير فلما حصر قيل له ألا تقاتل قال لا إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عهد إلي عهدا فأنا صابر نفسي عليه

وضايق الناس عثمان رضي الله عنه وتبسطوا عليه وآذوه وهو صابر على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} راض بقضاء الله فيه أمر بكف الأسلحة والأيدي كل من انبعث لنصره واق للمؤمنين بنفسه

حدث عبد الله بن ربيعة أنهم كانوا معه في الدار فلما سمع أنهم يريدون قتله قال ما أعلم أنه يحل دم المؤمن إلا الكفر بعد الإيمان والرنا بعد الإحصان أو قتل نفس بغير حق وأيم الله ما زينت في جاهلية ولا إسلام وما ازددت للإسلام إلا حبا ولا قتلت نفسا بغير حق فعلام تقتلونني ثم عزم علينا أن نكف أيدينا وأسلحتنا وقال إن أعظمكم غناء

أكفكم ليده وسلاحه

وقال أبو هريرة لأهل الدار وهو معهم فيها أشهد لسمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول تكون بعدي فتن وأمور قلنا فأين المنتجأ منها يا رسول الله قال إلى الأمين وحزبه وأشار إلى عثمان فقام الناس فقالوا قد أمكنتنا البصائر فأذن لنا في الجهاد فقال عثمان أعزم على من كانت لي عليه طاعة أن لا يقاتل

ومما ينسب إلى كعب بن مالك يذكر هذه الحال من عثمان بعد قتله رضي الله عنه وقال مصعب هي لحسان وقال

ابن أبي شيبه هي للوليد بن عقبة

فكف يديه ثم أغلق بابه

وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم
عفا عن ذنب امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله ألقى عليهم العداوة
والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده
عن الناس إدبار السحاب الحوامل
الطويل

وقال ابن عمر لبعض من وقع عنده في عثمان أما والله ما نعلم عثمان قتل نفسه بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئا
ولكن هو هذا المال إن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه ذوي قرابته سخطتم إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا
يتركون أميراً إلا قتلوه وفاضت عيناه من الدمع وقال اللهم إنا لا نريد ذلك
وحسب عثمان رضي الله عنه من الفضل العظيم والحظ الجسيم إلى ما له في الإسلام من الآثار الكرام والنفقات التي
بيضت وجه النبي عليه السلام قوله {صلى الله عليه وسلم} أنت وليي في الدنيا والآخرة
ويروى أنه لما قتل سقطت من دمه قطرة أو قطرات على المصحف فصادفت قول الله تعالى فسيفكفيهم الله (١٣٧
البقرة) ويقال إن الذي تولى قتله من الذين دخلوا عليه رجل من أهل مصر يقال له جبلة بن الأيهم وكذلك كان
جمهور الداخلين عليه من أهل مصر فيروى عن يزيد بن أبي حبيب وهو من جملة المصريين أنه قال بلغني أن عامة
النفر الذين ساروا إلى عثمان بن عفان جنوا
وعن أبي قلابة قال كنت في فندق بالشام فسمعت مناديا ينادي يا ويلة النار النار فقامت فإذا أنا برجل مقطوع
اليدين من المنكبين مقطوع الرجلين من الحقوين أعمى منكب لوجهه ينادي يا ويلة النار النار فقلت

ما لك قال كنت فيمن دخل على عثمان يوم الدار وكنت في سرعان الناس أو من أول الناس وصل إليه فلما دنوت
منه صاحت امرأته فلطمتها فنظر إلي عثمان فتغرغرت عيناه بالدموع وقال ما لك سلب الله يدك ورجليك وأعمى
بصرك وأدخلك جهنم قال فأخذتني رعدة شديدة ولا والله ما أحدثت شيئا غير هذا فخرجت وركبت راحلتي حتى
إذا صرت بموضعي هذا ليلا أتاني آت والله ما أدري إنسي هو أم جني ففعل بي الذي ترى وقد استجاب الله دعوته
في يدي ورجلي وبصري فوالله إن بقي إلا النار قال أبو قلابة فهممت أن أطأه برجلي ثم قلت بعدا وسحقا
وكان مع عثمان رحمه الله ورضي عنه في الدار جماعة من الصحابة وأبناء الصحابة يدعون عنه وقاتلوا عنه يوم الدار
حتى أخرج منهم يومئذ أربعة من شباب قريش محمولين مضرجين بالدم وهم الحسن بن علي وعبد الله ابن الزبير
ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم ولما أخبر علي بقتله قال للذين أخبروه تبأ لكم آخر الدهر وسمع يومئذ ضجة
فسأل عنها فقبل عائشة تلعن قتله عثمان والناس يؤمنون فقال علي اللهم العن قتله عثمان اللهم العن قتله عثمان
وقال سعيد بن زيد لو أن أحدا اقضى لما فعل بعثمان لكان حقيقا أن يقض

وقال ابن عباس لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط
وقال عبد الله بن سلام لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا ينغلق عنهم إلى يوم القيامة
وفي ذلك يقول بعضهم
لعمر أيلك ولا تكذبين
لقد ذهب الخير إلا قليلا

لقد سفة الناس في دينهم

وخلى ابن عفان شرا طويلا

المتقارب

وذكرت عائشة رضي الله عنها قتله وقتلته فقالت اقتحم عليه النفر الثلاثة حرمة البلد الحرام والشهر الحرام وحرمة

الخلافة ولقد قتلوه وإنه لمن أوصلهم للرحم وأتقاهم لربه

وقال أيمن بن خريم

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحي

فأي ذبح حرام ويلهم ذبحوا

وأى سنة كفر سن أولهم

وباب شر على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضل الله سعيهم

بسفك ذاك الدم الداكي الذي سفحوا

البيسط

وقال علي بن حاتم سمعت يوم قتل عثمان صوتا يقول

أبشر يا ابن عفان بروح وريحان

أبشر يا ابن عفان برب غير غضبان

أبشر يا ابن عفان بغفران ورضوان

الهنج وأحباب التفعيلة الأولى الحرم

قال فالتفت فلم أر أحدا

والأخبار والأشعار في هذا المعنى كثيرة أعجلتنا عن الإكثار منها محاولة الخاتمة فسأل الله أن يجعلها جميلة ويقبلها

قربة إليه وإلى رسوله ووسيلة

الخاتمة

وقد انتهى والحمد لله ما عملنا عليه في هذا الكتاب من قصد الإستيفاء لمغازي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

ومغازي الثلاثة الخلفاء ولم يقع في خلافة رابعهم في تقلدها المحتوم بأيام إمارته محتوم أملها أبي الحسن علي بن أبي

طالب رضي الله عنه وعنهم من أمثال هذه الفتوح ما نشبته معها ونجوي في إيراده على الطريقة التي سلكتنا مهيعها

لاستقباله بخلافته رضي الله عنه من مكابدة الفتن المارحة ومحاربتة الفتنه الباغية والفرقة الخارجة ما اشتهر عند أهل

الإسلام وأغنى العلم به عن الإعلام ولو كان لاغتمنا به زيادة الإمتاع وإفادة القلوب والأسماع لأن هؤلاء الخلفاء

الأربعة رضي الله عنهم هم بعد نبينهم صلوات الله عليه خير الأمة والراشدون من الأئمة وأولى من صرف إلى تقييد

أخبارهم وتخليد آثارهم عنان الهمة وأحق من اعتلق من حبهم والإيواء إلى شعبيهم والثناء عليهم والإنصاء إلى

حزبهم بأوثق أسباب العصمة وأمتن ذرائع الحرمة والرحمة وكل صحابة المصطفى أهل منا لذلك والموفق من سلك في

حيهم هذه المسالك

وما فضل أصحاب النبي وقومه

لمن رام إحصاء له بحسب

ولكنه أجر وزخر أعده
وأجعله أمني وحصني ومهربي
سأقطع عمري بالصلاة عليهم
وأدأب في حبي لهم كل مدأب
إليك رسول الله منها وسيلة
تناجيك عن قلب بحبك مشرب
يزورك عن شحط الديار مسلما
ويلفكك بالإخلاص لم يتكذب
الطويل

تم كتاب الإكتفاء من مغازي سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومغازي الثلاثة الخلفاء رضي الله عنهم
وحشرنا معهم وربنا الحمود لا إله غيره ولا مرجو إلا بركته وخيره برسم الفقير إلى الله تعالى جمال الدين محمد ابن
ناصر الدين محمد بن السابق الحنفي الحموي لطف الله تعالى به على يد الفقير لعفوره القدير محمد بن خليل بن
إبراهيم الحنفي عامله الله بلطفه الحفي وفرغ من كتابته في اليوم المبارك ثمار الأربعاء السادس من صفر سنة ستين
وثمانمائة أحسن الله عاقبتها آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم